

مراقي العزة

ومقومات السجادة

وقفات قرآنية ووصايا وفوائد وفرائد علمية تزويج
وحكم ومعانٍ شعرية

تأليف

أ.د. سليمان بن إبراهيم اللاسم

الأستاذ في قسم القرآن وعلموه

بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة القصيم

دار ابن الجوزي



دار ابن الجوزي لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

المملكة العربية السعودية:
الدمام - حي الريان - شارع عثمان بن عفان
ت: ٨٤٦٧٥٩٣ - ٨٤٢٨١٤٦
٨٤١٢١٠٠

ص. ب. واصل: ٨١١٤
الرمز البريدي: ٣٢٢٥٦
الرقم الإضافي: ٤٩٧٣
الرياض - ت: ٥٩٢٦٦٢٤٩٥
جوال: ٥٠٣٨٥٧٩٨٨
الأحساء - ت: ٥٨٨٣١٢٢
جدة - ت: ٠١٢٦٠١٠٠٦٣
جوال: ٥٨٣٠١٧٩٥١

لبنان:
بيروت - ت: ٠٣/٨٦٩٦٠٠
فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١

مصر:
القاهرة - تليفاكس: ٠٢٤٤٣٤٤٩٧٠
جوال: ٠١٠٠٦٨٢٢٧٣٨٨

✉ aljawzi@hotmail.com

📞 +966503897671

🌐 aljawzi

📍 eljawzi

🌐 aljawzi.net

🌐 ibnaljawzi.com

ح دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٤٣ هـ
فهرست مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

اللاحم، سليمان بن إبراهيم بن عبدالله
مراقي العزة ومقومات السعادة. / سليمان بن إبراهيم بن
عبدالله اللاحم. - ط ١، الدمام، ١٤٤٣ هـ
٧٥٢ صفحة ١٧ × ٢٤
ردمك: ٧-٥٣-٨٣٣٨-٦٠٣-٩٧٨
١- الوعظ والإرشاد
ديوي ٢١٣
أ. العنوان
١٤٤٣/٦٩٤٣

رقم الإيداع: ١٤٤٣/٦٩٤٣
ردمك: ٧-٥٣-٨٣٣٨-٦٠٣-٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة
للمؤلف
الطبعة الأولى
(١٤٤٣ هـ)

الباركود الدولي: ٩٧٨٦٠٣٨٣٣٨٥٣٧



مِرَاقِي الْعِرَّةِ

وَمَقُومَاتِ السَّجَّادَةِ

وَقَفَاتِ قُرْآنِيَّةٍ وَوَصَايَا وَفَوَائِدُ وَفَرَائِدُ عَلِمِيَّةٍ تَرْبِيَّةٍ
وَحَكْمٍ وَمَعَانٍ شِعْرِيَّةٍ

تَأْلِيفُ

أ.د. سُلَيْمَانُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ اللّٰحْمِ

الْأُسْتَاذُ فِي قِسْمِ الْقُرْآنِ وَعِلْمِهِ

بِكَلِيَّةِ الشَّرِيعَةِ وَالدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ - جَامِعَةِ الْقَصِيمِ

دار ابن الجوزي

الإهداء

أهدي هذا الكتاب

لكل مسلم ينشد العزة، ويطلب السعادة في الدارين والدنيا والآخرة.

لكل أب، وكل أم، وكل أسرة،

وكل معلم، وكل معاملة، وكل إمام، وكل خطيب،

وكل داعٍ إلى الله تعالى،

وكل ناصح لله تعالى وكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن أعظم نعم الله تعالى على العباد، بعد نعمة الخلق والإيجاد، نعمة بعثة محمد ﷺ، وإنزال القرآن الكريم؛ الذي فيه الهدى والنور، وبه الفلاح والنجاح، واستقامة أحوال العباد، وصلاح أمر دينهم ودنياهم وأخراهم؛ من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن اتبعه ودعا إليه هدى إلى صراط مستقيم.

قال الله تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ. وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

وعن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال: «أبشروا أبشروا، ليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟»، قالوا: نعم، قال: «فإن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدا»^(١).

(١) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن (٢٩٠٦)، وابن أبي شيبة (٣٠٠٠٦) - واللفظ له - وابن حبان في

وقد سجلت في ثنايا تفسيري «عون الرحمن، في تفسير القرآن، وبيان ما فيه من الهدايات والفوائد والأحكام» أكثر من مئة وسبعين وقفه علمية تربوية، وجعلت مسك ختامه مئة وصية، وأربعين من الفوائد والفرائد، وحكم ومعان شعرية مختارة. وهي في مجملها عملية تطبيقية لمن رغب في الاهتداء والاستنارة بها بنفسه، أو توجيه أولاده، أو جماعة مسجده، أو طلابه، أو غيرهم.

ولأجل تقربها وتسهيل تناولها وتوسيع الانتفاع بها والاستفادة منها، رأيت أفرادها في هذا الكتاب، وسميته: «مراقي العزة ومقومات السعادة».

وجعلت ترتيبها وفق ترتيبها في التفسير؛ تيمناً بكتاب الله تعالى؛ وهي كما يلي:

- ١ وقفه في: وجوب حسن التعامل مع الناس كلهم.
- ٢ وقفتان في: مجمل القول بالنسخ.
- ٣ وقفات أربع في: الجنائز.
- ٤ وقفه في: وجوب حسن العشرة بين الزوجين.
- ٥ وقفات ست في: الصلاة.
- ٦ وقفه في: حل عقدة المؤامرة.
- ٧ وقفتان في: فضل العفو والصفح، والحلم، وكظم الغيظ.
- ٨ وقفه في: أعظم الأمانات: النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.
- ٩ وقفات ثلاث في: صلاة الجماعة.
- ١٠ وقفتان في: تقوى الله.
- ١١ وقفه في: خطر الغلو في الدين.
- ١٢ وقفتان في: نعمة اللباس، وأخذ الزينة للصلاة.

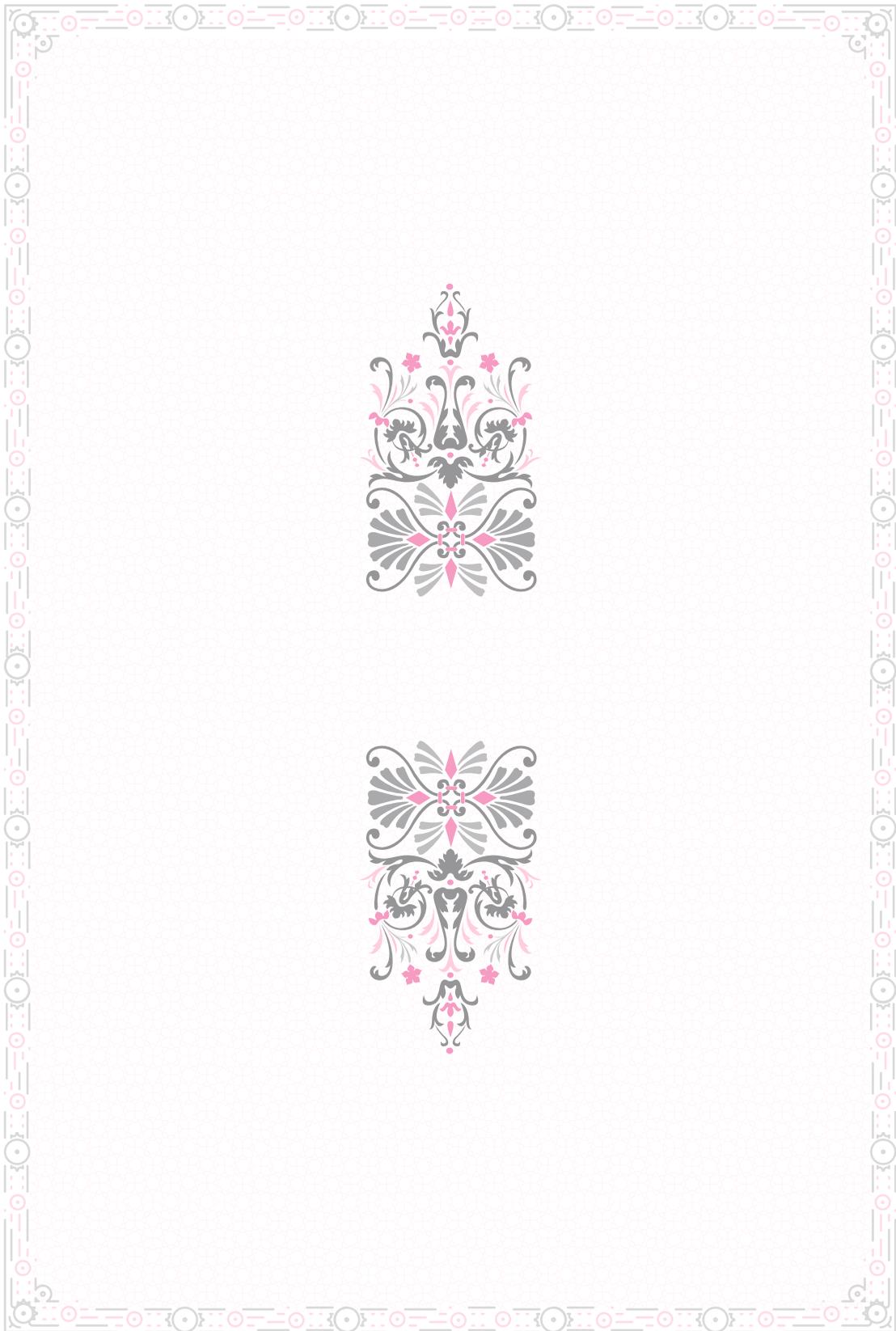
- ١٣ وقفات أربع في: الدعاء
- ١٤ وقفات أربع في: إصلاح ذات البين.
- ١٥ وقفات ست في: الفتن وخطرها على الدين، وعلى العباد والبلاد.
- ١٦ وقفات ست في: تربية الأولاد.
- ١٧ وقفات ثلاث في: الرؤيا وتأويلها.
- ١٨ وقفة في: احفظ الله يحفظك.
- ١٩ وقفات أربع عشرة في: وجوب شكر نعم الله ﷻ.
- ٢٠ وقفات ثلاث في: تحريم كفر نعم الله ﷻ.
- ٢١ وقفة في: أهل الجنة بين نزع الغل وإذهاب الحزن.
- ٢٢ وقفة في: فضل التواضع.
- ٢٣ وقفة في: مكمّن السعادة والحياة الطيبة.
- ٢٤ وقفات ثلاث في: بر الوالدين.
- ٢٥ وقفة في: وجوب حفظ السمع والبصر والفؤاد.
- ٢٦ وقفات ثلاث في: الرقية الشرعية.
- ٢٧ وقفات أربع في: الصديق والأصدقاء.
- ٢٨ وقفات ست في: أهمية الوقت ووجوب المحافظة عليه وتنظيمه.
- ٢٩ وقفتان في: سلامة القلب، وانسراح الصدر.
- ٣٠ وقفات ثلاث في: اللغة العربية بين عقوق وجهل أبنائها وعجز علمائها.
- ٣١ وقفة في: الأخذ بالعزم والحزم في الأمور كلها.
- ٣٢ وقفتان في: أمانة المسؤولية في أعمال الأمة.

- ١٣٢ وقفات خمس في: تدبر القرآن الكريم وتحريم هجره.
- ١٣٤ وقفات ثلاث في: إنزال الناس منازلهم.
- ١٣٥ وقفة في: شهادة الجوارح على العبد يوم القيامة، ووجوب الاحترام منها.
- ١٣٦ وقفات ست في: وجوب صلة الأرحام.
- ١٣٧ وقفة في: حقوق المسلمين بعضهم على بعض.
- ١٣٨ وقفات تسع في: تحريم العصبية القبلية ودمها.
- ١٣٩ وقفات خمس في: فضيلة اللسان، وخطورته، ووجوب حفظه.
- ١٤٠ وقفات ثلاث في: الكرم.
- ١٤١ وقفة في: أهمية خطبة الجمعة، وعظم مسؤولية الخطيب.
- ١٤٢ وقفات خمس في: التفاؤل.
- ١٤٣ وقفات خمس في: حسن الخلق.
- ١٤٤ وقفتان في: مشروعية الوقف.
- ١٤٥ وقفة في: العدل والإنصاف من النفس.
- ١٤٦ وقفة في: فضل عشر ذي الحجة، وفضل الأعمال الصالحة فيها، والأعمال التي تتأكد مشروعيتها فيها.
- ١٤٧ وقفة في: التيمن.
- ١٤٨ وقفة في: تأمل معاني سورة العصر.
- ١٤٩ وقفة في: الاستعداد للقاء الله تعالى.
- ١٥٠ وقفتان في: الحسد.
- ١٥١ وقفة في: وسوسة الشيطان للإنسان على أنواع ومراتب.
- ١٥٢ وقفة فيما يعتصم به الإنسان من الشيطان.

هذا، وأسأل الله العليّ القدير، بمنه وجوده وكرمه، أن يكتب له القبول، وأن يعم
بمنفعه، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أبو إبراهيم





وقفة في: وجوب حسن التعامل مع الناس كلهم

قال الله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

اعتنى الإسلام بحسن التعامل مع الناس كلهم، وجعل الدين المعاملة:

المعاملة أولاً مع الخالق ﷻ: بتقواه وإخلاص العبادة له ﷻ.

ثم **المعاملة ثانياً مع الناس كلهم**: بأداء حقوقهم، بدعوتهم إلى الإسلام، والإحسان إليهم، والبر بهم، والعدل معهم، والإصلاح بينهم، وكف الأذى عنهم، ونحو ذلك، من غير اعتبار لأجناسهم وألوانهم، وعرقياتهم وأديانهم، وغير ذلك.

قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ لَتَوَدُّوا

الْأَمْنَتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ

وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدْيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِمْ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢].

وقال رسول الله ﷺ: «ألا من قتل نفساً معاهداً له ذمّة الله وذمّة رسوله، فقد أخفر

بذمّة الله»^(١).

وعن ابن عمرو رضيه الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل معاهداً لم يرحم رائحة الجنة،

وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً»^(٢).

(١) أخرجه الترمذي في الدييات (١٤٠٣)، وابن ماجه في الدييات (٢٦٨٧)، والحاكم (١٢٧/٢) من حديث

أبي هريرة رضيه الله عنه. وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وضعفه الألباني في «بلوغ المرام» ص (٢٦٠).

(٢) أخرجه البخاري في الجزية والموادعة (٣١٦٦)، وابن ماجه في الدييات (٢٦٨٦).

واستأذنت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدمت عليها أمها، وهي مشرّكة، في عهد قريش، وهي راغبة في الوصل، هل تصلها؟ قال صلى الله عليه وسلم لها: «نعم، صلي أمك» ^(١).

وقال صلى الله عليه وسلم في معاملة المماليك من المسلمين وغيرهم: «إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم» ^(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «للملوك طعامه وكسوته، ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق» ^(٣).

وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه، فإن لم يجلسه معه، فليناوله لقمةً أو لقتين أو أكلةً أو أكلتين» ^(٤).

وقال صلى الله عليه وسلم: «كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوتهم» ^(٥).

وقد فاق الإسلام بما جاء به من العدل والرحمة والإحسان جميع الأديان والملل والنحل والمذاهب، والقوانين والنظم الأرضية والوضعية، وما يتبجح به أدياء منظمات حقوق الإنسان وغيرهم.

فقد شمل الإسلام الناس كلهم بعدله ورحمته وإحسانه، حتى من غير المسلمين:

قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ

(١) أخرجه البخاري في الهبة للمشرّكين (٢٦٢٠)، ومسلم في الزكاة (١٠٠٣)، وأبو داود في الزكاة (١٦٦٨)، وأحمد ٦/٣٤٤ (٢٦٩١٥).

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان (٣٠)، ومسلم في الإيمان (١٦٦١)، وأبو داود في الأدب (٥١٥٨)، والترمذي في البر والصلة (١٩٤٥)، وابن ماجه في الأدب (٣٦٩٠)، وأحمد ٥/١٦١ (٢١٤٣٢) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان (١٦٦٢)، ومالك في الاستئذان بلاغاً (٢/٩٨٠)، وأحمد ٢/٢٤٧ (٧٣٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري في العتق (٢٥٥٧)، ومسلم في الإيمان (١٦٦٣)، والترمذي في الأطعمة (١٨٥٣)، وابن ماجه في الأطعمة (٣٢٨٩، ٣٢٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم في الزكاة (٩٩٦)، وأبو داود في الزكاة (١٦٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿الممتحنة: ٨﴾.

ولما قيل للنبي ﷺ: ادعُ على المشركين. قال: «إني لم أبعثُ لعانًا، وإنما بُعثتُ رحمةً»^(١)، ومصدق هذا قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].
ودعا ﷺ لقومه، وهم يُوقِعون به وبأصحابه صنوف الأذى، فقال: «ربُّ اغفرْ لقومي فإنهم لا يعلمون»^(٢).

وزار ﷺ اليهودي الذي كان يخدمه لما مرض، فقعده عند رأسه، فقال له: «أسلم»، فنظر إلى أبيه، فقال له أبوه: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمدُ الذي أنقذه من النار»^(٣).

وجلس الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ يتحاكم مع اليهودي الذي وجد درعه عنده إلى القاضي شريح، ولم يكن لديه بينة، فقيل له: يحلف اليهودي، ويأخذ الدرع؟ فقال: هو ذلك. فلما رأى اليهودي أن خليفة المسلمين تحاكم معه إلى القضاء، اعترف بالدرع لعلي ﷺ، وأعلن إسلامه^(٤).

وكان لعبد الله بن المبارك ﷺ جازٌ يهودي، فاحتاج اليهودي وأراد أن يبيع داره، فقيل له: بكم تبيعها؟ قال: بألفين. فقيل له: هي لا تساوي إلا ألفًا. فقال: صدقتم، ولكن ألفٌ للدار، وألفٌ لجوار عبد الله بن المبارك، فدعاه عبد الله وسأله: ما الذي دعاك لبيع دارك؟ قال: عليٌّ دين. فأعطاه ثمن الدار، وقال: لا تبعها^(٥).

وبهذا ضرب الإسلام بتشريعاته العظيمة، ومبادئه السمحة، وسلوك أتباعه، أروع الأمثلة في العدل والرحمة والإحسان؟

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة (٢٥٩٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٧)، وفي استتابة المرتدين (٦٩٢٩)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٩٢)، وابن ماجه في الفتن (٤٠٢٥)، وأحمد ١/ ٣٨٠ (٣٦١١) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري في «الجنائز» (١٣٥٦)، وأبو داود في الجنائز (٣٠٩٥) من حديث أنس ﷺ.

(٤) «تاريخ الخلفاء» للسيوطي ص (١٨٤ - ١٨٥).

(٥) انظر: «تذكرة أولي النهى» ٥/ ٢٧٢، و«موسوعة الأخلاق» ١/ ٣١٣.

قال ابن باز رحمه الله في بيان المشروع في معاملة غير المسلمين: «إن من المشروع للمسلم بالنسبة إلى غير المسلم أموراً متعددة، منها:

أولاً: الدعوة إلى الله، بأن يدعوهُ إلى الله، ويبين له حقيقة الإسلام، حيث أمكنه ذلك، وحيث كانت لديه البصيرة؛ لأن هذا هو أعظم الإحسان، وأهم الإحسان الذي يهديه المسلم إلى موطنه، وإلى من اجتمع به من اليهود أو النصارى أو غيرهم من المشركين؛ لقول النبي ﷺ: «من دل على خيرٍ فله مثل أجر فاعله» رواه الإمام مسلم في صحيحه ^(١)، وقوله ﷺ لعلي لما بعثه إلى خيبر، وأمره أن يدعو إلى الإسلام قال: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمُر النَّعَم» متفق على صحته ^(٢).

وقال ﷺ: «من دعا إلى هُدًى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا يَنْقُصُ ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا يَنْقُصُ ذلك من آثامهم شيئاً» رواه مسلم في صحيحه ^(٣).

فدعوته إلى الله وتبليغه الإسلام ونصيحته في ذلك من أهم المهمات، ومن أفضل القربات.

ثانياً: لا يجوز أن يظلمه في نفسٍ ولا في مالٍ ولا في عرضٍ، إذا كان ذمياً أو مستأمناً أو معاهداً، فإنه يؤدي إليه الحق، فلا يظلمه في ماله لا بالسرقة ولا بالخيانة ولا بالغش، ولا يظلمه في بدنه لا بضربٍ ولا بغيره؛ لأن كونه معاهداً أو ذمياً في البلد أو مستأمناً يعصمه.

ثالثاً: لا مانع من معاملته في البيع والشراء والتأجير ونحو ذلك، فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه اشترى من الكفار عبداً الأوثان، واشترى من اليهود، وهذه معاملة، وقد توفي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في طعامٍ اشتراه لأهله.

(١) أخرجه مسلم في الإمارة (١٨٩٣)، وأبو داود في الأدب (٥١٢٩)، والترمذي في الموضوع السابق (٢٦٧١)، وأحمد ٤/١٢٠ (١٧٠٨٤) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في أصحاب النبي (٢٩٤٢)، وأبو داود في فضائل الصحابة (٢٤٠٦)، وأبو داود في العلم (٣٦٦١) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم في العلم (٢٦٧٤)، وأبو داود في السنة (٤٦٠٩)، والترمذي في العلم (٢٦٧٤)، وابن ماجه في المقدمة (٢٠٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

رابعاً: في السلام، لا يبدأه بالسلام؛ لقول النبي ﷺ: «لا تَبَدُّوْا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ» أخرجه مسلم في صحيحه (١).

وقال: إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: «وعليكم»؛ فالمسلم لا يبدأ الكافر بالسلام، ولكن يرد عليه بقوله: «وعليكم»؛ لقول النبي ﷺ: «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْكِتَابِ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ»؛ متفق على صحته (٢).

هذا من الحقوق المتعلقة بين المسلم والكافر، ومن ذلك أيضاً: حسن الجوار إذا كان جاراً تحسن إليه ولا تؤذيه في جواره، وتتصدق عليه إذا كان فقيراً؛ تُهْدِي إِلَيْهِ، وتنصح له فيما ينفعه؛ لأن هذا مما يسبب رغبته في الإسلام ودخوله فيه، ولأن الجار له حق، قال النبي ﷺ: «ما زال جبريلُ يُوصيني بالجارِ حتى ظننتُ أنه سيورثُه» متفق على صحته (٣).

وإذا كان الجار كافراً كان له حق الجوار، وإذا كان قريباً وهو كافر صار له حقان: حق الجوار وحق القرابة.

ومن المشروع للمسلم أن يتصدق على جاره الكافر وغيره من الكفار غير المحاربين من غير الزكاة؛ لقول الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَى كُفْرَ اللَّهِ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْبَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: ٨]، وللحديث الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر ﷺ: أن أمها وفدت عليها بالمدينة في صلح الحديبية، وهي مشرقة تريد المساعدة، فاستأذنت أسماء النبي ﷺ في ذلك، هل تصلها؟ فقال: «صليها».

(١) أخرجه مسلم في السلام (٢١٦٧)، وأبو داود في الأدب (٥٢٠٥)، والترمذي في السير (١٦٠٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في الاستئذان (٦٢٥٨)، ومسلم في السلام (٢١٦٣)، وأحمد ٩٩/٣ (١١٩٤٨) من حديث أنس ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب (٦٠١٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٢٤)، وأبو داود في الأدب (٥١٥١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٤٢)، وابن ماجه في الأدب (٣٦٧٣) من حديث عائشة ﷺ. وأخرجه البخاري في الموضوع السابق (٦٠١٥) من حديث عبد الله بن عمر ﷺ. وأخرجه الترمذي في الموضوع السابق (١٩٤٣) من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ.

أما الزكاة: فلا مانع من دفعها للمؤلفة قلوبهم من الكفار؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهِمَا وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبِهِمْ ﴾ الآية [التوبة: ٦٠].

أما مشاركة الكفار في احتفالاتهم بأعيادهم، فليس للمسلم أن يشاركهم في ذلك»^(١).
تذييل: في وجوب الإحسان إلى الحيوان:

ولم يقف الإسلام في إيجاب حسن المعاملة بين الناس فقط، بل أوجب حسن المعاملة مع الحيوانات والبهائم، والرفق بها، وحلبها يوم وريدها، وإحسان ذبحها، وتأمين أكلها وشربها، وعدم تحميلها ما لا تطيق، وغير ذلك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الإبل: «ومن حقها حلبها يوم وريدها»^(٢).
وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليُجدَّ أحدكم شفرته، وليُرح ذبيحته»^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرِب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني. فنزل البئر فملاً خُفَّهُ ماءً، ثم أمسكه بفيه حتى رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له». قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في هذه البهائم لأجرًا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «في كل كبد رطبة أجر»^(٤).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقَّتها، إذ هي حبسَتْها، ولا هي تركتها تأكل من

(١) «مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز» ٦/ ٣٦٤.

(٢) أخرجه البخاري في الزكاة (١٤٠٢)، ومسلم في الزكاة (٩٨٧)، وأبو داود في الزكاة (١٦٥٩)، والنسائي في الزكاة (٢٤٤٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم في الصيد والذبائح (١٩٥٥)، وأبو داود في الضحايا (٢٨١٥)، والنسائي في الضحايا (٤٤٠٥)، والترمذي في الديات (١٤٠٩)، وابن ماجه في الذبائح (٣١٧٠).

(٤) أخرجه مالك في اللباس (٩٢٩/٢)، والبخاري في المساقاة (٢٣٦٣)، ومسلم في السلام (٢٢٤٤)، وأبو داود في الجهاد (٢٥٥٠).

خَشَاشِ الْأَرْضِ»^(١).

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه: أن جملاً شكاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما يلقى من صاحبه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنه شكاً إلي أنك تُجِيعُهُ وتُدَيِّئُهُ»^(٢).



(١) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٨٢)، ومسلم في السلام (٢٢٤٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
 (٢) أخرجه أبو داود في الجهاد (٢٥٤٩)، وأحمد ١/٢٠٥ (١٧٥٤)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٢٢٩٧).

وقفتان في: مجمل القول في النسخ

قال الله تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦]

الوقفة الأولى في:

بيان مجمل القول في معنى النسخ في اصطلاح المتقدمين والمتأخرين

معنى النسخ في اللغة: الرفع والإزالة؛ يقال: نَسَخَتِ الشَّمْسُ الظِّلَّ؛ أي: أزالته.

أ) معنى النسخ في اصطلاح المتقدمين:

توسع السلف عليهم السلام من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم في مدلول النسخ، فكما يطلقونه على معناه المعروف عند الأصوليين وعند المتأخرين، فقد كانوا يطلقونه أيضاً على: تخصيص العام، وتقييد المطلق، وتفصيل المجمل، وإيضاح المبهم، وعلى الاستثناء والشرط والصفة. ويطلقونه على رفع البراءة الأصلية، وعلى رفع ما كان عليه أهل الكتاب، وعلى ما جاء في نسخة الآية؛ أي: في موضوعها، ونحو ذلك.

كما يطلقونه على آيات يمكن العمل بكلِّ منها في وقته المناسب، كآيات العفو والصفح والإعراض عن المشركين وأهل الكتاب ومجادلتهم بالتي هي أحسن، ونحو ذلك. مع آيات القتال عامة، وهي لا تعارض بينها، فكلُّ منها موقته بمناسبتها، فتطبق الأمة ما قَدَرَت عليه منها حسب مراحل قوتها وضعفها، فتطبق الأمر بالقتال حال قوتها، وتطبق الأمر بالعفو حال ضعفها، وهكذا^(١).

ب) معنى النسخ في اصطلاح الأصوليين والمتأخرين:

عرَّفَ الأصوليون وغيرهم من المتأخرين النسخَ في الاصطلاح بتعاريف كثيرة، ووقفتُ على قريبٍ من عشرين منها.

(١) انظر «مجموع الفتاوى» لابن تيمية ١٤ / ١٠١، و«إعلام الموقعين» ١ / ٣٥، و«البرهان، في علوم القرآن» ٢ / ٤٢ - ٤٣، و«الموافقات» للشاطبي ٣ / ١٠٧ - ١١٧، و«مناهل العرفان» للزرقاني ٢ / ١٥٠.

أصحابها وأجمعها وأمنعها ما ذكره فضيلة الشيخ: محمد بن صالح العثيمين رحمته الله في كتابه «الأصول، من علم الأصول»^(١)، وهو: «رفع حكم دليل شرعيٍّ أو لفظه بدليل من الكتاب والسنة».

الوقف الثانية في:

مجمّل القول في قضايا ودعاوى النسخ في القرآن الكريم

كثرت دعاوى النسخ في القرآن الكريم بسبب توسع السلف والمتقدمين في إطلاق مدلول النسخ - كما سبق بيانه - حتى بلغت قريباً من ثلاثمئة دعوى.

والحقيقة أن القضايا التي اشتهر فيها القول بالنسخ وفق المعنى الاصطلاحي الصحيح للنسخ، لا تتجاوز إحدى عشرة قضية، يمكن تقسيمها على النحو الآتي:

أولاً: القضايا التي ترجح أو صح القول فيها بالنسخ:

وهي خمس قضايا، وهي كما يلي:

❖ قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: ١٨٤].

فكان المسلم مخيراً في أول فرض الصيام بين الصيام أو الإطعام، فنسخ هذا التخيير بقوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [الآية: ١٨٥]^(٢).

❖ مفهوم قوله تعالى في سورة النساء: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ [الآية: ٤٣].

فمفهوم هذه الآية إباحة السكر في غير وقت الصلاة، وقد نسخ هذا المفهوم بتحريم السكر مطلقاً في قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِمَّنْ عَمِلَ الشَّيْطَانُ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ

(٢) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس بتحقيقنا ١/٥٠٢.

(١) ص ٣٥.

وَيَصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴿١﴾ [الآيتين: ٩٠-٩١].^(١)

﴿١﴾ قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: ٦٥].

ففي هذه الآية كُلف الواحد من المؤمنين في المعركة بمصابرة عشرة من الكفار، ثم نسخ بمصابرة المؤمن للاثنين من الكفار بقوله تعالى في الآية بعدها: ﴿أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الآية: ٦٦].^(٢)

﴿٢﴾ قوله تعالى في سورة المجادلة: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْكُمْ بِحَبْرٍ صَدَقَةٌ﴾ [الآية: ١٢].

نُسخت هذه الآية بقوله تعالى في الآية بعدها: ﴿أَسْأَلُكُمْ أَنْ تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْكُمْ بِحَبْرٍ صَدَقَةٍ فَذَلِكُمْ تَقْبَلُونَ وَأَتَابُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الآية: ١٣].

فأوجب الله ﷻ على المؤمنين في الآية الأولى تقديم الصدقة بين يدي مناجاة الرسول ﷺ تخفيفاً عليه، ثم نسخها بالآية الثانية؛ تخفيفاً عليهم.^(٣)

﴿٣﴾ قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الْمُرْمَلُ (١) فَوَاللَّيْلِ لَاقِيلًا (٢) نِصْفَهُ، وَأَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْزَدَ عَلَيْهِ وَرِثَلًا الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ١-٤].

أوجب الله ﷻ في هذه الآية قيام الليل، فقام النبي ﷺ وأصحابه حولاً كاملاً حتى انتفخت أقدامهم، ثم نسخ وجوب ذلك بقوله تعالى في آخر السورة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ، وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصِيَهُ فَبَاتَ عَلَيْكَ قَائِمًا وَمَا تَنْسَرُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل: ٢٠].^(٤)، وبقي قيام الليل بعد ذلك مندوباً.^(٥)

(١) انظر المصدر السابق ٢/ ٢١٢.

(٢) انظر المصدر السابق ٢/ ٣٨٨.

(٣) انظر المصدر السابق ٣/ ٥٥.

(٤) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٧٤٦)، وأبو داود في قيام الليل (١٣٤٢)، والنسائي في قيام

الليل وتطوع النهار (١٦٠١)، وأحمد ٥٣/ ٦ (٢٤٢٦٩) من حديث عائشة ؓ.

(٥) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس بتحقيقنا ٣/ ١٢٩.

فهذه القضايا الخمس النسخ فيها ظاهرٌ والله الحمد، ولا إشكال في فهم ذلك، ولا احتمال فيها لغير النسخ.

ثانياً: القضايا التي تَرَجَّحُ أو صَحَّ القول فيها بالإحكام، وعدم النسخ، وهي ست قضايا، وهي كما يلي:

❖ قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ [الآية: ١٨٠].

ذهب أكثر السلف وأهل العلم بعدهم إلى أن هذه الآية منسوخة بآيات المواريث، وحكى بعضهم الإجماع على ذلك.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن هذه الآية محكمة، خصصتها آيات المواريث بمن لا يرث من الوالدين لمانع من موانع الإرث، وهي: الرق، والقتل، واختلاف الدين، وبمن لا يرث من الأقربين؛ لكونه محجوباً، وهذا هو الراجح (١).

❖ قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

ذهب كثير من السلف وأهل العلم بعدهم إلى أن هذه الآية منسوخة بآية السيف، وهي قوله تعالى: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ [التوبة: ٥]، وبغيرها من آيات الأمر بالقتال.

وذهب بعضهم إلى أن الآية محكمة، وأن القتال في الأشهر الحرم لا يجوز، ما لم يكن هناك اعتداء من الكفار؛ لأنه لا تنافي بينها وبين آية السيف وآيات الأمر بالقتال؛ لأن آية السيف وآيات القتال عامة بجواز قتال المشركين في جميع الأمكنة والأزمنة، وهذه الآية خاصة بالمنع من القتال في الأشهر الحرم، ولا تعارض بين خاص وعام. وهذا هو الراجح، وإليه ذهب بعض المحققين (٢).

❖ قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ [البقرة: ٢٤٠].

(٢) انظر المصدر السابق ١/ ٥٣٩.

(١) انظر المصدر السابق ١/ ٤٨٦.

فذهب أكثر العلم إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى قبلها: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَيَدْرُونَ أَرْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [الآية: ٢٣٤].

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الآيتين محكمتان، فالآية الأولى في وجوب التربص أربعة وعشراً على وجه التحميم على المرأة، والآية الثانية وصية لأهل الميت أن يبقوا زوجة ميتهم حولاً كاملاً؛ جبراً لخاطرها، وبراً بميتهم، وهذا هو الراجح؛ لأنه إذا استقام حمل الآية على هذا المعنى فلا موجب للقول بنسخها بالآية التي قبلها^(١).

❖ قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَبُدُّوهُمَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

جاء في بعض الآثار أن هذه الآية نسخت بقوله تعالى بعدها: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا

لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

والصحيح أن الآيتين محكمتان، وأن الآية الثانية لم تنسخ الآية الأولى، وإنما نسخت وأزالت ما وقع في نفوس بعض الصحابة من فهمهم أن في الآية الأولى التكليف بما لا يطاق، والمعاقبة على ما في أنفسهم، وهذا لم تدل عليه الآية، وإنما دلت فقط على المحاسبة على ذلك دون المعاقبة؛ ولهذا لا تنافي بينها وبين الآية الثانية يُوجب القول بالنسخ.

قال ابن تيمية^(٢): «وكذلك ينسخ الله ما وقع في نفوس من فهم المعنى، وإن كانت الآية لم تدل عليه، لكنه مُحتمل، وهذه الآية من هذا الباب، فإن قوله: ﴿وَأَنْ تَبُدُّوهُمَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ الآية، إنما يدل على أن الله يحاسب على ما في النفوس، لا على أنه يعاقب على كل ما في النفوس»^(٣).

❖ قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَأَلَّتِي بَاتِيكِ الْفَدْحَشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً

مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيهَا مِنْكُمْ فَأَمَّا ذُوهُمَا فَانْتَبِهَا وَاصْلِحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [الآيتين: ١٥-١٦].

ذهب أكثر أهل العلم - بل حكى بعضهم الإجماع - على نسخ هاتين الآيتين بالحدود، مع اختلاف فهم الناسخ لهما.

(١) انظر المصدر السابق ٢/ ٨٩.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» ١٤/ ١٠١.

(٣) انظر: «الناسخ والمنسوخ» بتحقيقنا ٢/ ١٢٤.

وعند التأمل في هاتين الآيتين نجد الأولى منهما مُغْيَاةً بغايةٍ ينتهي حكمها عند حلول تلك الغاية، وهي قوله: ﴿أَوْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾، وقد جاء السبيل بوجوب رجم المحصن، وجلد غير المحصن مئة جلدة، وتغريب عام، وهذا لا يسمّى نسخاً على المعنى الصحيح للنسخ.

ونجد الآية الثانية فيها الأمر بأذاهما، وما شرعه الله تعالى من رجم المحصن، وجلد غير المحصن وتغريبه نوع من الأذى، فهو بيان للآية، والبيان لا يُعد نسخاً. وهذا هو الراجح، فالآيتان محكمتان^(١).

﴿قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتِ أَيْمَنُكُمْ فَأَتَوْهُمْ نَصِيحُهُمْ﴾ [الآية: ٣٣]. أي: والذين تعاهدتم وتحالفتم وإياهم بالأيمان والمواثيق المؤكدة المغلظة، وكان هذا في الجاهلية، الرجل يعاقد الرجل أيهما مات ورثه الآخر، وكانوا يتوارثون بالحلف. وقوله: ﴿فَأَتَوْهُمْ نَصِيحُهُمْ﴾ قال كثير من المفسرين: من الميراث.

قالوا: ونسخ هذا بقوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأَنْفَال: ٧٥].

وقال بعضهم: ﴿فَأَتَوْهُمْ نَصِيحُهُمْ﴾ من النصرة والمعونة، والنصيحة والرأي، والعقل، دون الميراث.

فالآية محكمة غير منسوخة؛ لأنه لا تعارض بينها وبين آية الموارث، وهذا هو الراجح^(٢). يضاف إلى هذا أن الإسلام قد أبطل الحلف، كما جاء في حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا حلف في الإسلام، وأيما حلف كان في الجاهلية فإن الإسلام لم يزدّه إلا شدة»^(٣).

وهذا يتبين أن الآيات التي نُسخت من القرآن الكريم لا تتجاوز خمس آياتٍ فقط، وما عداها مما قيل بنسخه فهو محكم غير منسوخ، والله الحمد.

(١) انظر المصدر السابق ٢ / ١٦٨ - ١٦٩.

(٢) انظر المصدر السابق ٢ / ٢٠٦.

(٣) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة (٢٥٣٠)، وأبو داود في الفرائض (٢٩٢٥)، وأحمد ٤ / ٨٣ (١٦٧٦١).

وقفات أربع في: الجنائز

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾

[البقرة: ١٥٥، ١٥٦]

الوقفة الأولى في:

ما ينبغي للمؤمن مراعاته عند المصيبة:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٦﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَتَبْلُوَنكُمْ بَشِيرٌ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

لقد اشتملت هذه الآيات على توطين النفوس على المصائب قبل وقوعها، وبيان ما تقابل به إذا وقعت، وما يقال عند ذلك، وما يعين على الصبر، وما للصابرين من الأجر، وبهذا يتبين - والله الحمد - الفرق بين المؤمن الذي يثق بوعده الله ورحمته به، ويحتسب مصابه، وبين غيره، وخلاصة القول أنه ينبغي للمؤمن عند المصيبة مراعاة ما يأتي:

أولاً: الاستعانة بالصبر والصلاة والتسليم والرضا بقضاء الله وقدره، وأن يقارن ما أخذ الله منه بما أعطاه من النعم التي لا تحصى؛ كما قال ﷺ لما أرسلت له إحدى بناته أن ابناً لها في الموت قال ﷺ: «ارجع إليها فأخبرها أن الله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجلٍ مسمى، فمُرّها فتصبر ولتحتسب»^(١).

وأن يقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ اللهم أجرني في مصيبي واخلف لي خيراً منها»^(٢).

(١) أخرجه البخاري في التوحيد (٧٣٧٧)، ومسلم في الجنائز (٩٢٣) من حديث أسامة بن زيد ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم في الجنائز، ما يقال عند المصيبة (٤/٩١٨).

معترفاً بقلبه أنه ملك لله ﷻ، يدبره كيف يشاء، ومرده إليه، واختياره سبحانه له أحسن من اختياره لنفسه، فيحتسب عند الله مصيبتَه؛ ليطمئن قلبه، وينشرح صدره، فإن الكثيرين منَّا يقولون هذه المقالة من غير تدبر لمعناها، والذي لو تدبرناه حقاً، ووطننا أنفسنا عليه، لهوّن علينا المصائب بإذن الله تعالى.

كما أن على المؤمن أن يتذكر ما وعد الله به الصابرين في هذه الآيات من معيَّته لهم، وبشارتهم، والثناء عليهم، ورحمتهم، وتأكيد هدايتهم، وما وعدهم به في غيرها؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١١]، وقال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا مَنِّجَةً وَسَلَامًا ۗ ﴾ [الفرقان: ٧٥، ٧٦].

ولما قالت فاطمة ؑ: «واكرب أبتاه!» قال ﷺ: «لا كرب على أبيك بعد اليوم»^(١). وقوله ﷻ في الحديث القدسي: «ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا، ثم احتسبه إلا الجنة»^(٢).

وقوله ﷻ لما مات ابنه إبراهيم ؑ: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»^(٣).

وقوله ﷻ: «عجباً لأمر المؤمن لا يقضي الله قضاءً إلا كان خيراً له، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»^(٤).

وقال ﷻ: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا

(١) أخرجه البخاري في المغازي (٤٤٦٢)، وابن ماجه في الجنائز (١٦٢٩) من حديث أنس ؓ.

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق (٦٤٢٤) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٣) أخرجه البخاري في الجنائز (١٣٠٣)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٥)، وأبو داود في الجنائز (٣١٢٦) من حديث أنس بن مالك ؓ.

(٤) أخرجه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٩٩)، وأحمد ٤/٣٣٢، ٣٣٣ (١٨٩٣٤، ١٨٩٣٩) من حديث

غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها»^(١).

قال الشاعر:

فإذا بليت بمحنة فاصبر لها صبر الكريم فإن ذلك أحزم
وإذا بليت بكربة فالبس لها ثوب السكوت فإن ذلك أسلم
لا تشكون إلى العباد وإنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم^(٢)

ثانياً: ينبغي للمصاب أن يتأمل في حقيقة الدنيا وطبيعتها، وأنها دار فناء، لا دار بقاء، دار

غرور ومتاع قليل، وأن الدار الآخرة هي الدار الحقة؛ كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٣٦﴾ وَبَقِيَ

وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٣٧﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٣٨﴾

[آل عمران: ١٨٥، الحديد: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٣٩﴾ [الرعد: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٤٠﴾ [القصص: ٦٠، الشورى: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿فَمَا مَتَاعُ

الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤١﴾ [التوبة: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْتُونَهُنَّ الْأَمْوَالَ الدُّنْيَا ﴿٤٢﴾

وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٤٣﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴿٤٤﴾ [الضحى: ٤]، وقال

تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤٥﴾

[العنكبوت: ٦٤].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله ﷺ على حصير، فقام وقد أثر في

جنبه، فقلنا: يا رسول الله، لو اتخذنا لك وطاء؟ فقال: «ما لي وما للدنيا، ما أنا في الدنيا إلا

كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها»^(٣).

وقال ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة

(١) أخرجه البخاري في المرضي (٥٦٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٧٣)، والترمذي في التفسير

(٣٠٣٨)، وأحمد ٢/٣٠٣ (٨٠٢٧) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم.

(٢) الأبيات لزین العابدين بن الحسين رضي الله عنه، وتنسب للشافعي رحمه الله. انظر: «عيون الأخبار» (٢/٢٨٤)،

«الدر الفريد وبيت القصيد» (١/١٥٤).

(٣) أخرجه الترمذي في الزهد (٢٣٧٧)، وابن ماجه في الزهد- مثل الدنيا (٤١٠٩)- وقال الترمذي:

«حديث حسن صحيح».

ماء» (١).

وقال رحمته الله: «الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر» (٢).

ولهذا قال ابن عمر رضي الله عنهما: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء» (٣)، قال الشاعر:

تَعَزَّ فِلا شَيْءٍ عَلَى الْأَرْضِ بَاقِيًا وَلَا وَزَرَ مِمَّا قَضَى اللهُ وَاقِيًا (٤)
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

لَا شَيْءَ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بِشَاشَتِهِ يَبْقَى الْإِلَهَ وَيَفْنَى الْمَالَ وَالْوَلْدُ (٥)
وقال أبو الحسن التهامي لما مات ابنه (٦):

حُكِمَ الْمَنِيَّةِ فِي الْبَرِيَّةِ جَارٍ مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بَدَارٍ قَرَارٍ
طَبَعَتْ عَلَيَّ كَدْرٌ وَأَنْتَ تَرِيدُهَا صَفْوًا مِنَ الْأَقْدَاءِ وَالْأَكْدَارِ
وَمَكَّلَفَ الْأَيَّامِ ضِدًّا طَبَاعِهَا مَتَلَمَسَ فِي الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارِ
وَإِذَا رَجَوْتَ الْمَسْتَحِيلَ فَإِنَّمَا تَبْنِي الرَّجَاءَ عَلَيَّ شَفِيرَ هَارِ
فَالْعَيْشَ نَوْمَ وَالْمَنِيَّةَ يَقْظَةَ وَالْمَرْءَ بَيْنَهُمَا خِيَالَ سَارِ
وَالنَّفْسَ إِنْ رَضِيَتْ بِذَلِكَ أَوْ أَبَتْ مَنَقَادَةً بِأَزْمَةِ الْأَقْدَارِ

(١) أخرجه الترمذي في الزهد (٢٣٢٠)، وابن ماجه في الزهد (٤١١٠). وقال الترمذي: «حديث صحيح غريب». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٦٨٦، ٩٤٣).

(٢) أخرجه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٥٦)، والترمذي في الزهد (٢٣٢٤)، وابن ماجه في الزهد (٤١١٣)، وأحمد ٢ / ٣٢٣ (٨٢٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في الرقاق (٦٤١٦)، والترمذي في الزهد (٢٣٣٣).

(٤) البيت لم يسم قائله. انظر: «الجنبي الداني في حروف المعاني» ص (٢٩٢)، و«أوضح المسالك» (١ / ٢٧٥)، «المغني» (٢ / ٦١٢).

(٥) انظر: «الإمتاع والمؤانسة» ص (٣٤٧)، «العمدة في محاسن الشعر وآدابه» (١ / ٣٤). والبيت ورد في عدة مصادر مع اختلاف فيه، ولم ينسب لقائل.

(٦) انظر: «ديوانه» ص (٤٨).

فأقضوا ما ربكم عجالاً إنما
وتراكموا خيل الشباب وبادروا
وقال الآخر:

متاع غرور لا يدوم سرورها
فمن أكرمت يوماً أهانت له غداً
فكم في كتاب الله من ذكر ذمها!
وقال لبيد بن ربيعة^(٢):

بلينا وما تبلى النجوم الطوالعُ
وما المرء إلا كالشهاب وضوئه
وما المال والأهلون إلا ودائع
أليس ورائي إن تراخت منيتي
وقال الآخر:

فهن المنايا أي واد سلكته
وقال الآخر:

ومن لم يمت بالسيف ما ت بغيره
تنوعت الأسباب والموت واحد^(٤)

ثالثاً: ينبغي أن يعلم المصاب أن في طي المحنة منحة، وفي البلية نعمة، وأن الخيرة فيما يختاره الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وقال تعالى: ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

(١) الأبيات لابن مشرف. انظر: «ديوانه» (ص ٣٨).

(٢) انظر «ديوانه» ص (٥٦)، ويوجد فيه اختلاف يسير.

(٣) البيت بلا نسبة. انظر: «مجموع الفتاوى» (١٥ / ٢١٥)، «بدائع الفوائد» (١ / ١١٩).

(٤) البيت لابن نباتة السعدي. انظر: «الدر الفريد» (٧ / ٤٤٧)، «المحاضرات والمحاورات» للسيوطي ص (٣٧٩).

قال أبو تمام (١):

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت
وقال علي بن أبي طالب عليه السلام (٢):

لا تكره المكروه عند حلوله
كم نعمة لا يستهان بشكرها
وقال الآخر:

فلرب أمر مسخط
ولربما اتسع المضيـق
ق وربما ضاق الفضاء (٣)

ومن هنا ينبغي أن يعلم المصاب بفقد حبيب من ولد، أو والد، أو زوج، أو أخ، أو قريب، أو صديق أن ما عند الله خير للمؤمن؛ لأن الشيطان قد يأتي لأهل المصاب؛ ليحزنهم، ويزيد مصابهم، فيوسوس لهم أن ميتهم المسكين خسر حياته أو خسر شبابه، أو أن المسكين مات بهذا الحادث أو بهذا المرض الخطير، أو مات فجأة، ونحو ذلك؛ فينبغي أن يعلم أن المؤمن إذا مات بأي وقت من عمره، وبأي سبب فما عند الله خير له، وهو مأجور على ما أصابه، وبموته انتقل من الضيق إلى السعة، ومن العناء إلى الراحة، ومن الخوف إلى بر الأمان؛ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَالْآخِرُونَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣]، فلا خوف عليهم مما أمامهم، ولا هم يحزنون على من خلفهم، فالله يتولاهم ويتولى من خلفهم.

رابعاً: ينبغي أن يتذكر المصاب بمصيبته المصيبة العظمى بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقطاع الوحي من السماء.

(١) انظر: «ديوانه» ص (٥٧٧).

(٢) انظر: «الفرج بعد الشدة» (٥/ ٢٦)، «الصناعتين» ص (٢٢٦)، «خزانة الأدب» (٢/ ٣٧٧)، مع اختلاف في بعض الكلمات.

(٣) البيتان لصفي الدين الحلبي. «الغيث المنسجم» ص (١١٣)، «الكشكول» (١/ ٢٠٨).

قال أبو العتاهية^(١):

اصبر لكل مصيبة وتجلد
أوما ترى أن المصائب جمّة
من لم يُصَبْ ممّن ترى بمصيبة؟!
وإذا أصبت مصيبة تشجى بها
واعلم بأن المرء غير مخلد
وترى المنية للعباد بمرصد!
هذا سبيل لست فيها بأوحد
فاجبر مصابك بالنبى محمد

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «قال أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها، فلما انتهينا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله صلى الله عليه وسلم. فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله صلى الله عليه وسلم، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتها على البكاء، فجعلنا يبكيان معها»^(٢).

قال حسان رضي الله عنه:^(٣)

بطيبة رسم للرسول ومعهد
ظلمت بها أبكي الرسول فأسعدت
قبورك يا قبر الرسول وبورك
وبورك لحد منك ضمّن طيباً
تهيل عليه التراب أيدٍ وأعين
لقد عيوا حلماً وعلماً ورحمة
وزأحوا بحزنٍ ليس فيهم نبيهم
يكون من تبكي السموات يومه
وهل عدلت يوماً رزية هالك
منيفٌ وقد تعفو الرسوم وتهمد
عيون ومثلاها من الجفن تسعد
بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
عليه بناء من صفيح منضد
عليه وقد غارت بذلك أسعد
عشية علوه الثرى لا يوسد
وقد وهنت منهم ظهور وأعصد
ومن قد بكته الأرض فالتاس أكمد
رزية يوم مات فيه محمد

(١) انظر: «ديوانه» ص (١٢٩).

(٢) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٥٤)، وابن ماجه مختصراً في الجناز (١٦٣٥).

(٣) «ديوانه» ص (٦٠-٦٣).

وَقَدْ كَانَ ذَا نُورٍ يَغُورُ وَيُنْجِدُ
إِلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ الْمَوْتِ مُقْصِدُ
يُبَكِّيهِ جَفْنُ الْمُرْسَلَاتِ وَيَحْمَدُ
لِغَيْبَةِ مَا كَانَتْ مِنَ الْوَحْيِ تَعَهُدُ
فَقِيدَ يَبْكِيهِ بَلَاطٌ وَغَرْقُدُ
خَلَاءَ لَهُ فِيهِ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ
وَلَا أَعْرِفُنَاكَ الدَّهْرَ دَمْعَكَ يَجْمَدُ
عَلَى النَّاسِ مِنْهَا سَابِغٌ يُتَغَمَّدُ!
لَفَقِدَ الَّذِي لَا مِثْلَهُ الدَّهْرُ يُوجَدُ
وَلَا مِثْلَهُ حَتَّى الْقِيَامَةِ يُفْقَدُ

تَقَطَّعَ فِيهِ مُنْزِلُ الْوَحْيِ عَنْهُمْ
فَبَيَّنَا هُمْ فِي ذَلِكَ النُّورِ إِذْ غَدَا
فَأَصْبَحَ مَحْمُودًا إِلَى اللَّهِ رَاجِعًا
وَأَمْسَتْ بِلَادُ الْحَرَمِ وَحَشًّا بِقَاعُهَا
فَقَارًا سِوَى مَعْمُورَةِ اللَّحْدِ ضَافِهَا
وَمَسْجِدُهُ فَالْمَوْحِشَاتُ لِفَقْدِهِ
فَبَكِّي رَسُولَ اللَّهِ يَا عَيْنُ حَسْرَةً
وَمَا لِي لَا أَبْكِي لِذِي النِّعْمَةِ الَّتِي
فَجُودِي عَلَيْهِ بِالْدَمُوعِ وَأَعُولِي
فَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ

خامسًا: أن يعلم المصاب أن المصيبة الكبرى والبلية العظمى أن يصاب الإنسان

في دينه فيخسر دنياه وأخراه؛ كما قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ إِلَّا
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿[العصر: ١-٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ
الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

قال شريح رحمته الله: «إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات: أحمده إذ لم تكن
أعظم مما هي، وأحمده إذ رزقني الصبر عليها، وأحمده إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو فيه
من الثواب، وأحمده إذ لم يجعلها في ديني»^(١)؛ فإن من كل شيء عوضًا إلا الدين.

سادسًا: على المصاب انتظار الفرج من الله تعالى: كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥﴾

﴿مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الانشراح: ٥، ٦].

وقال رحمته الله لابن عباس رحمته الله: «واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» ١٩٨/٧ (٩٩٨٠)، وابن عساكر في «تاريخه» (٤٢/٢٣). وانظر:
«الكبائر» للذهبي ص (١٩٥)، «سير أعلام النبلاء» (٤/١٠٥).

مع العسر يسراً»^(١).

ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لن يغلب عسرٌ يسرين»^(٢).

قال الشاعر:

وكل الحادثات إذا تناهت فموصول بها الفرج القريب^(٣)

وقال الآخر:

ولرُبَّ نازلة يضيق بها الفتى ذرعًا وعند الله منها المخرج

ضاقَت فلما استحكمت حلقاتها فُرِجَت وكان يظنها لا تفرج^(٤)

وقال الآخر:

عسى فرج يأتي به الله إنه له كل يوم في خليقته أمر^(٥)

وقال أبو العتاهية^(٦):

يا صاحب الهم إن الكرب منفرج أبشر بخير فإن الفارج الله

أليأس يقطع أحيانًا بصاحبه لا تياسن فإن الكافي الله

الله يحدث بعد العسر ميسرة لا تجزعن فإن الكاشف الله

إذا بليت فثق بالله وارض به إن الذي يكشف البلوى هو الله

(١) أخرجه أحمد ٣٠٧/١ (٢٨٠٣)، والطبراني في «الكبير» ١٢٣/١١ (١١٢٤٣)، قال السخاوي في

«المقاصد الحسنة» ص (٢٥٧): وأصل الحديث بدون لفظ الترجمة عند الترمذي، وصححه من حديث حنش عن ابن عباس مرفوعًا، بل أخرجه أحمد، والطبراني، وغيرهما من هذا الوجه أيضا بتمامه، وهو أصح وأقوى رجلاً.

قلت: أخرجه الطبراني من حديث ابن أبي مليكة عن ابن عباس به.

(٢) ذكره البخاري معلقاً دون نسبة في تفسير سورة ﴿ألم نشرح لك﴾ قبل حديث (٤٩٥٢)، وأخرجه مالك

في الجهاد (٤٤٦/٢)، والطبراني في «جامع البيان» (٣٣٤/٦).

(٣) البيت لابن السكيت. انظر: «الكشكول» (٥٢/٢).

(٤) البيتان لإبراهيم بن العباس الصولي. انظر: «الفرج بعد الشدة» (١٥/٥).

(٥) البيت لمحمد بن إسماعيل. انظر «الصاحبي في فقه اللغة» ص (١٥٧).

(٦) انظر: «المحاسن والأضداد» ص (١٥٧).

والله ما لك غير الله من أحد فحسبك الله في كل لك الله
سابعاً: ينبغي أن يتأسى المصاب ويتسلى بأحوال السلف عند المصائب وما هم عليه
 من قوة الصبر، والتسليم لفضاء الله وقدره، والرضا به.

والأخبار عنهم في هذا مستفيضة، فقد رُوي أن أبا ذر رضي الله عنه كان لا يعيش له ولد، فقيل
 له في ذلك، فقال: «الحمد لله الذي يأخذهم في دار الفناء، ويدخرهم في دار البقاء»^(١).
 ولما حضرت بلالاً رضي الله عنه الوفاة أنشأ يقول: «غداً نلقى الأحبة؛ محمداً وحزبه»، فقالت
 امرأته: «واويلاه!». فقال: «وافرحاه!»^(٢).

وقد روي أن عروة بن الزبير رضي الله عنه وقعت في رجله الآكلة، فقطعها من الساق، ولم
 يمسكه أحد وهو شيخ كبير، ولم يدع ورده تلك الليلة، ومات أحد أبنائه، فقال رضي الله عنه:
 «اللهم إن كنت ابتليت فقد عافيت، وإن كنت أخذت فقد أبقيت، أخذت عضواً وأبقيت
 أعضاءً، وأخذت ابناً وأبقيت أبناءً»، وتمثل بهذه الأبيات:

لعمري ما أهويت كفي لربة ولا نقلتني نحو فاحشة رجلي
 ولا قاذي سمعي ولا بصري لها ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي
 وأعلم أي لم تصبني مصيبة من الدهر إلا قد أصابت فتى مثلي^(٣)
 ولما مات عبد الملك بن عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه قال عمر: «الحمد لله الذي جعلك
 في ميزاني، ولم يجعلني في ميزانك، رضينا بقضاء الله، وسلمنا لأمر الله، والحمد لله رب
 العالمين، وإنا لله وإنا إليه راجعون».

ومات ولد لعقبة اسمه يحيى، فلما أنزله في قبره قيل له: «والله لقد كان نعم القائد
 للجيش! فاحتسبه». فقال: وما لي لا أحتسبه وقد كان من زينة الحياة الدنيا، وهو اليوم من
 الباقيات الصالحات».

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٢١٢/١٩ (٣٥٨٣٢)، والطبراني في «الكبير» ١٥٠/٢ (١٦٢٩)،
 وأبو نعيم في «الحلية» (١٦٠/١).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (٢٩٤)، وانظر: «سير أعلام النبلاء» (٣٥٩/١).

(٣) انظر: «الكبائر» للذهبي ص (١٩٢)، «تاريخ دمشق» لابن عساکر (٤٢٩/٥٩).

وقيل لرجل: كم لك من الولد؟ فقال: تسعة، فقيل له: نحن لا نعرف لك إلا ولدًا واحدًا. فقال: «الحمد لله كان لي عشرة من الولد فقدمت تسعة أحسبتهم عند الباري ﷻ، وبقي واحد، لا أدري هل أنا له، أم هو لي؟».

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام لمصاب: «إنك إن صبرت جرّت عليك المقادير؛ وأنت مأجور، وإن جزعت جرّت عليك المقادير؛ وأنت مأزور»^(١).

وروي في «مناقب الشافعي» للبيهقي^(٢): أن عبد الرحمن بن مهدي مات له ولد فجزع عليه جزعاً شديداً؛ حتى امتنع من الطعام والشراب. فبلغ ذلك الشافعي، فكتب إليه: أما بعد، فعزّ نفسك بما تعزي غيرك، واستقبح من فعلك ما تستقبحه من فعل غيرك، واعلم أن أمّصّ المصائب فقد سرور وحرمان أجر، فكيف إذا اجتمع مع اكتساب وزرٍ؟! ألهمك الله عند المصائب صبراً، وأجزل لنا ولك بالصبر أجراً. وكتب إليه:

إني معزّيكَ لا أُنِي على ثقة من الخلود ولكن سنة الدين
فما المعزّي بباق بعد ميته ولا المعزّي وإن عاشا إلى حين
ويشاء الله أن يموت بعدها ابن للشافعي عليه السلام الذي كان يعزّي أصبح يعزّي، فتمثل بهذا البيت:

ما الدهر إلا هكذا فاصطر له رزية مال أو فراق حبيب
ولما قتل أبناء الخنساء الأربعة في معركة القادسية وجاءها الخبر ما زادت على أن قالت:
«الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته»^(٣)، وهي التي كادت تهلك جزعاً لما مات أخوها صخر في الجاهلية؛ حيث تقول:

يذكرني طلوع الشمس صخرًا وأذكره لكل غروب شمسٍ
ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

(١) أخرجه ابن المقريء في «معجمه» (٣٦٩) عن الفريابي.

(٢) (٩٠/٢-٩١).

(٣) انظر: «الاستيعاب في معرفة الصحاب» (٤/١٨٢٩) وما بعدها، «شرح ديوان الحماسة» (٢/٢٧٨)،

«خزانة الأدب» (١/٤٣٨).

فلا والله لا أنساك حتى أفارق مهجتي ويشق رمسي
 فقد ودعت يوم فراق صخر أبي حسان لذاتي وأنسي
 فيا لهفي عليه ولهف أُمي أيصبح في الضريح وفيه يمسي؟! (١)

ثامناً: ينبغي أن يُعلم أنه ما سلم أحد من المصائب، حتى الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكما قيل:

ولو كانت الدنيا تدوم لأهلها لكان رسول الله حياً مخلداً (٢)
 بل لم يسلم الوحوش في القفار، والأسود في الغابات، والحيتان في أعماق البحار، وكما قيل:

هي الليالي وقاك الله صولتها تصول حتى على الآساد في الأجم (٣)
 وقد روي أن الإسكندر المقدوني ويقال: ذا القرنين. لما حضرته الوفاة أمر أمه أن تصنع طعاماً إذا مات وتدعو له جميع الناس، وأن تكتب على الباب أنه لا يأتي إليها إلا من لم يصب بمصيبة قط، ففعلت ذلك، فلم يأتها أحد، فقالت: لم يأت إلي أحد؟ فقيل لها: إنك كتبت أنه لا يأتي إليك إلا من لم يصب بمصيبة قط، وما من أحد إلا وقد أصيب بمصيبة، فعلمت السر في وصية ابنها لها بذلك وقالت: «لقد عزيتني عن نفسك بنفسك» (٤).



(١) انظر: «ديوان الخنساء» ص (٨٤).
 (٢) البيت ينسب لحسان. انظر: «الكشكول» (٢٨٩/١) وليس في ديوانه.
 (٣) البيت لأبي عبد الله العربي العقيلي. انظر: «نفتح الطيب» (٥٢٩/٤).
 (٤) انظر: «العقد الفريد» (٢٣٣/٣)، «المستطرف» (٥٨٧/٢)، «مروج الذهب» (٢٩٢/١)، «مختار الحكم» ص (٢٣٩)، وانظر: «تاريخ دمشق» (٣٥٨/١٧)، «التبصرة» لابن الجوزي (١٧٣/١).

الوقفة الثانية في: التحذير من بعض البدع والمخالفات في الجنائز:

استحدث الناس في الجنائز بدعاً ومخالفاتٍ كثيرةً، دلت نصوص الكتاب والسنة على تحريمها، وحذر منها المحققون من علماء الأمة، يجب الحذر منها، والبعد عنها، منها ما يلي:

- ❖ النياحة على الميت والندب، ولطم الخدود، وشق الجيوب.
- ❖ الدعاء للميت بطريقة جماعية بعد الفراغ من الصلاة عليه.
- ❖ التهليل أثناء تشييع الجنازة.
- ❖ الأذان عند القبر، عند دفن الميت.
- ❖ تلقين الميت بعد دفنه الشهادتين، وما سوف يُسأل عنه: مَنْ رَبُّكَ؟ ما دينُكَ؟ من نبيِّكَ؟
- ❖ رفع القبور، وتخصيصها، والبناء عليها، والكتابة عليها.
- ❖ وضع جريد النخل والشجر على القبر.
- ❖ الاجتماع لقراءة القرآن للميت قبل دفنه، أو بعد دفنه، عند القبر، أو في أي مكان.
- ❖ جعل المصاحف عند القبور للقراءة للأموات.
- ❖ وقف الأوقاف لتلاوة القرآن، وجعل ثوابه للأموات.
- ❖ استئجار من يقرأ القرآن للأموات.
- ❖ اجتماع الناس في البيوت لقراءة القرآن على رُوح الميت، وختم القرآن وجعل ثوابه للميت.
- ❖ ذبح الذبائح وصنع الطعام، واجتماع المعزين من الناس.

❖ الذكرى الأربعينية بعد مرور أربعين يوماً من وفاة الميت.

❖ تخصيص زيارة المقابر يوم العيد وليلته أو يوم الجمعة.

إلى غير ذلك من المخالفات والبدع الكثيرة، التي أوصلها بعض أهل العلم إلى أكثر من مئتي مخالفة وبدعة^(١).



الوقفه الثالثة في:

التنبيه على أمور تتعلق بالجنائز:

هناك أمور كثيرة مما يتعلق بالجنائز ينبغي التنبيه لها، ومراعاتها، منها ما يلي:

❖ عدم تأخير الصلاة على الميت ودفنه لغير حاجة؛ لأن في ذلك تعدياً على حقه، وتأخيراً له عن الوصول إلى ما عند الله تعالى له من الخير، قال ﷺ: «أسرعوا بالجنائز؛ فإن تك صالحاً فخيرٌ تقدمونها إليه، وإن تكن غير ذلك فشرُّ تضعونه عن رقابكم»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً أسوداً - أو امرأة سوداء - كان يقمُّ المسجد، فمات، فسأل النبي ﷺ عنه، فقالوا: مات. قال: «أفلا آذنتُموني به، دُلُّوني على قبره» أو قال: «قبرها» فأتى قبرها فصلى عليها^(٣).

وفي بعض الروايات: قالوا: «إنه كان ليلاً»^(٤)؛ أي: أنه توفي ليلاً. وفي بعضها: «فكرهنا أن نُوقظك».

(١) انظر: «أحكام الجنائز وبدعها» للألباني رضي الله عنه ص ٣٠٣ - ٣٣٦.

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز (١٣١٥)، ومسلم في الجنائز (٩٤٤)، وأبو داود في الجنائز (٣١٨١)، والنسائي في الجنائز (١٩١٠، ١٩١١)، والترمذي في الجنائز (١٠١٥)، وابن ماجه في الجنائز (١٤٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في الصلاة (٤٥٨)، وفي الجنائز (١٣٣٧)، ومسلم في الجنائز (٩٥٦)، وأبو داود في الجنائز (٣٢٠٣)، وابن ماجه في الجنائز (١٥٢٧).

(٤) أخرجه أحمد ٣٨٨/٢ (٩٠٣٧).

فلم ينتظر الصحابة رضوان الله عليهم استيقاظه ﷺ ليصليَ عليها معهم، ولم ينكر ذلك عليهم، وإنما قال لهم: «أفلا أدنتموني»؟ أي: أخبرتموني، فبينوا له سبب ذلك، وهو أن ذلك كان ليلاً.

ولهذا لا ينبغي أن تؤخَّر الصلاة على الميت ودفنه انتظاراً لمن كان بعيداً أو مسافراً من أقرابه أو معارفه وأصدقائه، أو لأجل حشد أكبر عددٍ من المصلين، ونحو ذلك، إلا في حدود وقت كافٍ لتجهيزه وتغسيله وتكفينه، وحفر قبره، أو انتظار وقت صلاة قريب، ونحو ذلك، كما قال الفقهاء ﷺ.

❖ استبدال الكتابة للناس في وسائل الاتصال بأن العزاء في المقبرة غيرها، كأن يكتب للناس: ليس هناك جلوس في البيت للتعزية، ونحو ذلك؛ لأن التعزية ليس لها مكان محدود ولا وقت محدود. قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ﷺ: «ليس للعزاء أيام محددة، بل يُشرع من حين خروج الروح، قبل الصلاة على الميت وبعدها، وليس لغايته حد في الشرع المطهر، سواء كان ذلك ليلاً أو نهاراً، وسواء كان ذلك في البيت أو الطريق، أو المسجد، أو في المقبرة، أو في غير ذلك من الأماكن»^(١).

❖ ينبغي لكل من دخل المقبرة من المشيِّعين وغيرهم الحرص على السلام على الأموات، والدعاء لهم، وعدم نسيان ذلك.

❖ ينبغي لأهل الميت ومن شيعه معهم تقديم دفنه، والدعاء له بعد ذلك بالمغفرة والثبات، وعدم الانشغال عن ذلك بالتعزية؛ لأن دفنه والدعاء له بعد الدفن من حقه عليهم، وهو أولى وأكد، ويفوت وقته بخلاف التعزية.

عن عثمان بن عفان ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، فقال: «استغفروا لأخيكم، وسلّوا له التثبيت؛ فإنه الآن يُسأل»^(٢).

(١) فتاوى اللجنة الدائمة وسماحة الشيخ ابن باز رقم (٧٤٠٨).

(٢) أخرجه أبو داود في الجنائز (٣٢٢١) من حديث عثمان ﷺ. قال النووي في «الخلاصة» (١٠٢٨/٢): «رواه أبو داود بإسناد حسن». وقال الألباني في «أحكام الجنائز» ص (١٥٦): «أخرجه أبو داود والحاكم

❖ التعزية إنما تكون لأهل الميت وأقاربه، ومَنْ أُصِيب وتأثر بموته، لا لكل مَنْ شيع الجنازة وحضرها.

❖ يُستحسن ممن ليس لديه القدرة على الصبر والتحمل، ومقابلة المعزين، من أقارب الميت، ويُحشى أن يتأثر أو يتضرر: عدم الجلوس للتعزية، ولا يُلزم بذلك؛ لأن التعزية إنما شُرعت للمواساة، وتخفيف المصاب، والدعاء للميت، وهي في الأصل سنة، فإذا ترتب عليها ضرر، وجب تركها.

❖ اعتاد الناس في المدن والبلدان الكبيرة الصلاة في وقت واحد على عدة أموات، ووصيتي لكل مَنْ شيعهم وحضر دفنهم ألا يغادر المقبرة حتى يدعو لهم جميعاً بالمغفرة والثبات، فإن تمكن من الوقوف عند قبر كل واحدٍ منهم والدعاء له فحسن، وإلا عمَّ بالدعاء لهم جميعاً. ولا يكتفي بالدعاء فقط لميته، كما هو حال كثير من الناس اليوم.

❖ رَغِبَ النبي ﷺ في الصلاة على الجنائز واتباعها، فقال ﷺ: «من شهد الجنازة حتى يصليَ فله قيراط، ومن شهدها حتى تُدفنَ له قيراطان»^(١).

وهذا فضل عظيم ينبغي للمسلم أن يحرص ألا يفوته هذا الأجر، إذا قدر على ذلك دون تعطيل سائر أعماله، والتخلي عما عليه من حقوق قد يكون بعضها لله ﷻ، أو لوالديه وأهله وأولاده، وأقاربه وجيرانه وإخوانه، أو للأمة عامة؛ لأن هناك أناساً فرغوا أنفسهم للصلاة على الجنائز واتباعها، فجلسوا ينتظرون الجنائز، وفرطوا في كثيرٍ من الحقوق المذكورة وغيرها.

وهذا أمر لم يفعله الرسول ﷺ، ولا القرون المفضلة من الصحابة والتابعين وتابعيهم، ولا مَنْ بعدهم من خيرة هذه الأمة، وقد وصل الحال ببعض من ذُكر أنه يمر على الجنائز في بعض المساجد فيصلي عليها بمفرده قبل صلاة الناس عليها

(١/٣٧٠)، والبيهقي (٤/٥٦) وعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» ص (١٢٩). وقال الحاكم:

«صحيح الإسناد». ووافقه الذهبي، وهو كما قالاً.

(١) أخرجه البخاري (١٣٢٥)، ومسلم (٩٤٥)، وأحمد في «مسنده» ٢/٢ (٤٤٥٣).

ليدرك الصلاة على الجنائز في المساجد الأخرى، وربما فاتته صلاة الجماعة بسبب ذلك، وهذا أمر لا ينبغي ولا يجوز، والصلاة على الجنائز مهما كثرت لا تعوّض فوات هذه الحقوق.

٦ يتعاطف بعض أقارب الميت وأصدقائه ومعارفه معه فيقوم بعضهم بجمع التبرعات لأجل الصدقة عنه، أو الوقف له. وهذا العمل لم يُنقل عن الرسول ﷺ، ولا عن خلفائه وأصحابه، والقرون المفضلة، ولو كان خيراً لسبقونا إليه. مع ما فيه من مجاملة البعض، وإحراجهم، والميت في غنى عن هذا، ولو كان حياً ما رضي بذلك، فينبغي تركه.

٧ يتوسع أقارب بعض الأموات في الشناء عليهم بعد موتهم، وإطرائهم، وامتداح سيرتهم، وتعداد أعمالهم الخيرية، والمبالغة في ذلك، ويُحشى أن يدخل ذلك في باب النعي المذموم، فالأولى الحرص بدلاً من ذلك على ما ينفع الميت، وهو الدعاء له بالمغفرة والرحمة ونحو ذلك.

الوقفّة الرابعة :

لا يجوز أن يترتب على الصلاة على الجنائز وتشيعها

التفريط فيما هو أهم

فلا يجوز أن يترتب على صلاة الجنائز تفويت صلاة الجماعة أو بعضها؛ لأن هذا العمل من استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، وفاعله أشبه بمن يعمّر قصرًا ويهدم مصرًا. كما أنه لا يجوز أن تكون الصلاة على الجنائز مبررًا لترك بعض أهل المسؤوليات في الأمة مسؤولياتهم من المؤذنين والأئمة والمدرسين والموظفين وغيرهم؛ لأن بإمكانهم الصلاة عليها في المقبرة قبل الدفن أو بعده، بعد أداء مسؤولياتهم، وإذا كان هذا مسوغًا لأهل الميت وأقاربه الأذنين الذين يتولون تجهيزه، فليس مسوغًا لغيرهم.

وقفة في: وجوب حسن العشرة بين الزوجين

قال الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]

يُعد عقد الزوجية من أغلظ العقود، وأشدّها وأخطرها، ربّ الله ﷻ عليه حقوقاً عظيمة بين الزوجين، يجب على كلّ منهما مراعاتها، والقيام بها، وأداؤها للآخر، على أكمل الوجوه وأتمها؛ لكي تصلح الحياة الزوجية بينهما وتستقر، ويكونا أسرة صالحة آمنة مستقرة بإذن الله تعالى.

ومن أوجب الحقوق وأعظمها فيما بين الزوجين: أن يعاشر كلّ منهما الآخر بالمعروف، كما قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]؛ أي: ليعاشر كلّ من الزوجين الآخر بما هو معروف وواجب في الشريعة الإسلامية من حسن المعاشرة؛ قولاً وفعلاً وبذلاً، واحتراماً وتقديراً، ليناً في القول، ومعاملة حسنة، وصحبة جميلة، وأداءً للحقوق، وبذلاً للندى، وكفّاً للأذى.

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في حسن خلقه ﷺ وطيب معشره في تعامله مع أزواجه ﷺ.

قالت عائشة رضي الله عنها: خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس: «تقدموا» فتقدموا. ثم قال لي: «تعالِي حتى أسأبِقِكِ». فسأبقته فسبقته، فسكت عني حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: «تقدموا» فتقدموا، ثم قال: «تعالِي حتى أسأبِقِكِ». فسأبقته فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول: «هذه بتلك»^(١).

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد (٢٥٧٨)، وابن ماجه في النكاح (١٩٧٩)، وأحمد ٦/٢٦٤ (٢٦٢٧٧).

وصححه الألباني في «الإرواء» (١٥٠٢).

وسألها الأسود بن يزيد رضي الله عنه: ماذا كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته؟ قالت: «كان يكون في مهنة أهله - تعني خدمة أهله - فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة»^(١).

وقد قال رضي الله عنه: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»^(٢).

ومن أوجب وأهم حقوق المعاشرة بالمعروف أن يسعى كلٌّ من الزوجين بكل ما استطاع إلى إعفاف الآخر وإشباع ميوله ورغبته الجنسية، والتودّد والتحبّب إليه بحسن الخلق، وطيب المعشر، ولين الحديث، وبالملاطفة والممازحة والملاعبة. وبظهور كلٍّ منهما أمام الآخر بأجمل صورة، وأزكى رائحة، وأنظف بدن، وأفضل ملبس، حتى ترى الزوجة في زوجها جمال يوسف بن يعقوب رضي الله عنه، وحتى يرى الزوج في زوجته جمال العنقاء، أو كما يقال: «بنت المطر». فلا هي تبغي بزوجها بديلاً، ولا ترى في عالم الجمال سواه، ولا هو يبغي بزوجته بديلاً، ولا يرى في عالم الجمال سواها.

قال رضي الله عنه لجابر بن عبد الله رضي الله عنه: «هَلَّا بَكَرًّا أَوْ جَارِيَةً تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ!»^(٣).

وقال ابن عباس رضي الله عنه: «إني أحب أن أتزين للمرأة، كما أحب أن تتزين لي المرأة؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾»^(٤) [البقرة: ٢٢٨].

ومن أعظم التقصير من كلٍّ من الزوجين في حق الآخر البرود في هذا الجانب، والبلادة، بل الجفاء في معاملة أحدهما صاحبه، مما يؤدي في النهاية إلى نفور كلٍّ منهما من الآخر.

ويكون سبباً لكثير من مشكلات البيوت؛ بل سبباً للطلاق، وتفكك كثير من

(١) أخرجه البخاري في الأذان (٦٧٦)، والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٨٩)، وأحمد (٢٤٢٢٦) ٤٩/٦.

(٢) أخرجه الترمذي في المناقب (٣٨٩٥)، والدارمي في النكاح ٢/٢١٢ (٢٢٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها. قال الترمذي: «حديث حسن غريب صحيح». وقال الألباني في «الصحيحة» (٢٨٥): «إسناده صحيح على شرط الشيخين». وأخرجه ابن ماجه في النكاح (١٩٧٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في البيوع (٢٠٩٧)، ومسلم في الرضاع (٧١٥).

(٤) أخرجه الطبري في «جامع البيان» ٤/١٢٠، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٢/٤١٧.

الأسر، فليس بصحيح أن يرى الرجل أهم واجب عليه النفقة، وتأمين السكن والمأكل والملبس، ونحو ذلك، وأن ترى الزوجة أهم واجب عليها طهي الطعام، وغسل ملبسه، ونحو ذلك.

بل أهم من ذلك وأوجب أن يسعى كلُّ منهما ما استطاع إلى إعفاف الآخر. وليس بصحيح أن تأتي الزوجة إلى فراش زوجها بقميص المطبخ، وثوب الغسيل، وتريد أن تدوم العشرة بينها وبين زوجها. وليس بصحيح أن يأتي الرجل إلى فراشه بثوب ورشة الحدادة، أو قميص رحلة التنزه، وهو يريد دوام العشرة بينه وبين زوجته. وليس بصحيح إذا أراد الزوج زوجته أن يذهب يبحث عنها في زوايا البيت، أو يقودها بسلسلة إلى فراشه، وهي تريد ديمومة العشرة معه. وليس بصحيح ألا يهتم الرجل بإشباع رغبة زوجته، ويتعد عنها وينساها، ثم يريد ديمومة العشرة معها، هذا أمر لا يكون. وليس بصحيح أن من يتعامل بهذا قد أدى ما يجب عليه في حق زوجته، بل هو مقصر أشد التقصير، ومسؤول أمام الله عن ذلك. ومع أن البرود في هذا الجانب، وعدم إعطائه حقه سببٌ لكثير من مشكلات البيوت، وتفكك الأسر، وربما أدى بالزوجين أو أحدهما إلى التطلع إلى الحرام، قلَّ من يسعى إلى تبصير الناس في هذا الأمر؛ ليعود للبيوت جمال الحياة الزوجية، وتعود للأسر الألفة والمحبة، وتسلم من التفكك والتشرد والتشتت، بل ليسلم الزوجان من النظر والتطلع إلى الحرام، نسأل الله السلامة.

همسة :

ينبغي للزوجين لكي يتعاشرا بالمعروف أن يستشعرا أنه ما من شريكين أو متعاشرين يرضى كل منهما خلق الآخر على التمام، وقد قيل: «ما تعاشر اثنان إلا وأحدهما يتغاضى عن الآخر».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَفْرَكُ مؤمنٌ مؤمنةً، إن كره منها خُلُقًا، رضي منها آخر»^(١).

وهكذا ينبغي للزوجة، فلا تبحث عن بعض السلبيات، وتناسى الإيجابيات الكثيرة لدى زوجها.

قال الشاعر:

وإذا الحبيب أتى بذنْبٍ واحدٍ جاءتْ مَحاسِنُهُ بألفِ شَفِيعِ^(٢)
وقال الآخر:

ومن لم يغمّض عينه عن صديقه وعن بعضٍ ما فيه يَمُتُ وهو عائبُ
ومَن يتبع جاهداً كل عثرةٍ يَحْدُها ولا يَسَلِّمُ له الدهرَ صاحبُ^(٣)
وقال الآخر:

إذا كنت تهوى العيشَ فاقنَعِ تَوَسُّطًا فعند التناهي يَقْصُرُ المُتَطَوِّلُ
تُوقِّ البدورَ النقصَ وهي أهْلَةٌ ويُدرِكها النقصانُ وهي كوامِلُ^(٤)
وقال زهير:

ومَن لم يُصانِعِ في أمورٍ كثيرةٍ يُضَرِّسُ بأنيابٍ ويوطأ بَمَنَسِمِ^(٥)



(١) أخرجه مسلم في الرِّضَاعِ (١٤٦٩)، وأحمد ٢/٣٢٩ (٨٣٦٣).

(٢) انظر: «زاد المعاد» (٣/١٧٠).

(٣) البيتان لكثير عزة. انظر: «ديوانه» ص ١٥٤.

(٤) البيتان لأبي العلاء المعري. انظر: «ديوانه، سقط الزند» ص ٥٩.

(٥) انظر «شرح ديوان زهير بن أبي سلمى» ص ٢٩.

وقفات ست في: الصلاة:

قال الله تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]

الوقفة الأولى في:

ذكر الأدلة على مشروعية الصلاة، ووجوبها

الأدلة على مشروعية الصلاة ووجوبها كثيرة معلومة؛ منها ما يأتي:

- ❖ قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِشَيْءٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ السَّبِيلُ الَّذِي هُوَ عَلَىٰ سُبُلٍ مُّكْتُمَاتٍ ۚ وَهُوَ الْقَائِمُ أَدْبَارًا ۚ وَهُوَ اللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ [البقرة: ١٤٣].
- ❖ قوله تعالى: ﴿وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِشَيْءٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ السَّبِيلُ الَّذِي هُوَ عَلَىٰ سُبُلٍ مُّكْتُمَاتٍ ۚ وَهُوَ الْقَائِمُ أَدْبَارًا ۚ وَهُوَ اللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ [البقرة: ١٤٣].
- ❖ قوله تعالى: ﴿وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِشَيْءٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ السَّبِيلُ الَّذِي هُوَ عَلَىٰ سُبُلٍ مُّكْتُمَاتٍ ۚ وَهُوَ الْقَائِمُ أَدْبَارًا ۚ وَهُوَ اللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ [البقرة: ١٤٣].
- ❖ قوله تعالى: ﴿وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِشَيْءٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ السَّبِيلُ الَّذِي هُوَ عَلَىٰ سُبُلٍ مُّكْتُمَاتٍ ۚ وَهُوَ الْقَائِمُ أَدْبَارًا ۚ وَهُوَ اللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ [البقرة: ١٤٣].
- ❖ قوله تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].
- ❖ قوله تعالى: ﴿وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِشَيْءٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ السَّبِيلُ الَّذِي هُوَ عَلَىٰ سُبُلٍ مُّكْتُمَاتٍ ۚ وَهُوَ الْقَائِمُ أَدْبَارًا ۚ وَهُوَ اللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ [البقرة: ١٤٣].
- ❖ وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «بُني الإسلام على خمسٍ؛ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً»^(١).
- ❖ وفي حديث أنس رضي الله عنه في قصة الإسراء: «أن الله ﷻ فرض عليه ﷺ وعلى أمته خمسَ صلواتٍ في اليوم والليلة»^(٢).

(١) أخرجه البخاري في الإيمان (٨)، ومسلم في الإيمان (١٦)، والنسائي في الإيمان وشرائعه (٥٠٠١)، والترمذي في الإيمان (٢٦٠٩)، وأحمد ٢٦/٢ (٤٧٩٨).

(٢) أخرجه البخاري في التوحيد (٧٥١٧) ومسلم في الإيمان (١٦٢)، والنسائي في الصلاة (٤٤٩)، وابن

❖ قول جرير رضي الله عنه: «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»^(١).

❖ قوله ﷺ وهو يجود بنفسه: «الصلاة، الصلاة، وما ملكت أيمانكم»^(٢).
إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الكثيرة الدالة على أن الصلاة أعظم شعائر الإسلام وأكدها وأوجبها بعد الشهادتين.
❖ إجماع المسلمين على مشروعيتهما، ووجوبها، وأنها أحد أركان الإسلام، بل الركن الثاني بعد الشهادتين.

قال ابن هبيرة رضي الله عنه^(٣): «وأجمعوا على أن الصلاة أحد أركان الإسلام، وعلى أنها خمس صلوات في اليوم والليلة... وعلى أنه لا يسقط فرضها في حق من جرى عليه التكليف».



الوقف الثانية في:

ذكر الأدلة على كفر تارك الصلاة، وأنه لا حظ له في الإسلام

الأدلة على كفر تارك الصلاة، وأنه لا حظ له ولا نصيب في الإسلام كثيرة، منها ما يأتي:
❖ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ فِي الَّذِينَ﴾ [التوبة: ١١].

ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٩٩).

(١) أخرجه البخاري في الإيمان (٥٧)، ومسلم في الإيمان (٥٦)، والنسائي في البيعة (٤١٧٥)، والترمذي في البر والصلوة (١٩٢٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه في الجنائز (١٦٢٥)، وأحمد ٦/٢٩٠، ٣١١ (٢٦٤٨٣، ٢٦٦٥٧) من حديث أم سلمة رضي الله عنها. وصححه الألباني في «الصحيحه» (٨٦٨)، و«الإرواء» (٧/٢٣٨). وأخرجه أبو داود في الأدب (٥١٥٦)، وابن ماجه في الوصايا (٢٦٩٨)، وأحمد ١/٧٨ (٥٨٥) من حديث علي رضي الله عنه.

(٣) في «الإفصاح، عن معاني الصحاح» ١/١٠٠.

ومفهوم هذا أنهم إن لم يتوبوا، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فليسوا بإخواننا في الدين، بل كفار.

❖ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]؛ أي: اتركوهم لا تقاتلوهم؛ لأنهم مسلمون.

❖ قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٣١].

❖ قوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ (٣١) وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى﴾ [القيامة: ٣١، ٣٢].

❖ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا اللَّهَ لَا يُزَكِّيَكُمْ إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِذْ يُؤْمِنُ بِاللَّكْذِبِينَ﴾ [المرسلات: ٤٨، ٤٩].

❖ قوله تعالى: ﴿فَلَفَّ مِنْ بَدْرِهِمْ خَلْفًا أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَةَ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ (٥٩) ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٥٩، ٦٠].

❖ قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ (٤٤) ﴿قَالُوا لَنْ نَكُفَّ مِنْ الْمَصَلِينَ﴾ [المدثر: ٤٢، ٤٣].

❖ وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»^(١).

❖ وعن بُريدة رضي الله عنها، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»^(٢).

❖ وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أمرتُ أن أقاتل الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسولُ الله، ويُقيموا الصلاةَ، ويؤتوا الزكاةَ، فإذا فعلوا ذلكَ عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقَّ الإسلامِ، وحسابهم على الله صلى الله عليه وسلم»^(٣).

(١) أخرجه مسلم في الإيمان (٨٢)، وأبو داود في السنة (٤٦٧٨)، والترمذي في الإيمان (٢٦٢٠)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٠٧٨)، وأحمد ٣/٣٨٩ (١٥١٨٣).

(٢) أخرجه النسائي في الصلاة (٤٦٣)، والترمذي في الإيمان (٢٦٢١)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٠٧٩)، وأحمد ٥/٣٤٦ (٢٢٩٣٧). وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح غريب». وصححه

الألباني في «مشكاة المصابيح» (٥٧٤).

(٣) أخرجه البخاري في الإيمان (٢٥)، ومسلم في الإيمان (٢٢).

❖ وقال عبد الله بن شقيق رضي الله عنه: «كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفرًا إلا الصلاة»^(١).

❖ وكتب أبو بكر رضي الله عنه لعامله: «واعلموا أن أهم أموركم عندي الصلاة، فمن ضيَّعها فهو غيرها أضيَّع...»^(٢).

❖ وكان عمر رضي الله عنه يكتب إلى الآفاق^(٣): «إن أهم أموركم عندي الصلاة، فمن حفظها حفظ دينه، ومن ضيَّعها فهو لما سواها أضيَّع، ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة»^(٤).

❖ وقال الإمام أحمد رضي الله عنه: «فكلُّ مُستخِفٍّ بالصلاة، مستهينٍ بها، هو مستخفٌّ بالإسلام، مستهينٌ به، وإنما حظُّهم من الإسلام على قدرِ حظِّهم من الصلاة، ورغبتهم في الإسلام على قدرِ رغبتهم في الصلاة، فاعرف نفسك يا عبد الله، واعلم أن حظك من الإسلام، وقدر الإسلام عندك، بقدر حظك من الصلاة، وقدرها عندك، واحذر أن تلقى الله ولا قدر للإسلام عندك، فإن قدر الإسلام في قلبك كقدر الصلاة في قلبك».

❖ وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رضي الله عنه: «ومعلوم أن ترك الصلاة كفر وضلال، وخروج عن دائرة الإسلام؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «بين الرجل والشرك ترك الصلاة»، وقال صلى الله عليه وسلم: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر». والآيات والأحاديث في تعظيم شأن الصلاة، ووجوب المحافظة عليها، وإقامتها كما شرع الله، والتحذير من

(١) أخرجه الترمذي في الإيمان (٢٦٢٢).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤٠/٢٢).

(٣) انظر: «كتاب الصلاة وحكم تركها» لابن القيم ص ٩، تحقيق عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، المنصورة.

(٤) أخرجه مالك في وقوف الصلاة (٦/١) عن نافع مولى ابن عمر عن عمر رضي الله عنه، وعنه عبد الرزاق في «المصنف» ٥٣٦/١ (٢٠٣٨)، والبيهقي (٤٤٥/١). وانظر: «مجموع الفتاوى» (٤٠/٢٢).

(٥) في «رسالة الصلاة» مراجعة محمود محمد شاكر ص (١٥-١٦)، الفقرتين (١٩، ٢٠).

(٦) في كتابه «رسالتان في الصلاة» ص ٧٥.

تركها؛ كثيرة معلومة، فالواجب على كل مسلم أن يحافظ عليها في أوقاتها، وأن يقيمها كما شرع الله».

وقال الشيخ محمود محمد شاكر رحمته في تقديمه لـ «رسالة الصلاة» للإمام أحمد رحمته (١): «وليعلم امرؤ أن صلاته إذا بطلت بطل عمله كله، وأنه إذا استهان بشيء مما فيها، استهان الله به، وأن إقامة الصلاة على وجهها أصل في إقامة الدين كله على وجهه».

الوقفة الثالثة في:

بيان مكانة الصلاة في الإسلام، وفي سائر الشرائع

للصلاة مكانة عظيمة، ومنزلة كبيرة في الإسلام، وفي سائر الشرائع، فهي عماد الدين، وأعظم مستلزمات الإيمان في الشرائع كلها؛ لهذا جاء الأمر بها، والترغيب فيها، والحث على إقامتها في الشرائع السابقة على السنة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

قال إبراهيم رحمته: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي﴾ [إبراهيم: ٤٠].

وقال تعالى عن إسماعيل رحمته: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٥].

وقال تعالى مخاطباً نبيه موسى رحمته: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

وقالت الملائكة رحمتهن لمريم رحمته: ﴿يَمْرُؤُا فَتَنَّا لَبِئْسَ مَا كُنَّا فِيكَ وَكَمْ كُنَّا مِنْكَ مَرْجُوعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣].

وقال عيسى رحمته: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١].

وشأن الصلاة في الإسلام أعظم وأعظم، ومنزلتها فيه أهم، ومكانتها فيه أكبر؛ حيث «فرضها الله ﷻ على رسوله ﷺ بدون واسطة، من فوق سبع سموات، ليلة أُسْرِي به ﷺ إلى بيت المقدس، وعُرِجَ به إلى السماء»^(١).

وهي أول فرائض الإسلام، وأعظمها، وثاني أركانها بعد الشهادتين، وهي عمود الإسلام، وأجل مبانيه العظام، وركنه الركين الذي لا يقوم بدونه، وقُطِبَ رَحاه الذي يدور عليه.

عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول ﷺ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةٌ سَنَامِهِ الْجِهَادُ»^(٢).

قال الإمام أحمد ﷺ^(٣): «أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْفُسْطَاطَ إِذَا سَقَطَ عَمُودُهُ سَقَطَ الْفُسْطَاطُ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِالطُّنْبِ، وَلَا بِالْأَوْتَادِ؟ فَكَذَلِكَ الصَّلَاةُ مِنَ الْإِسْلَامِ».

وهي أعظم العبادات، وأجلها، وأوجبها، وأكثرها، وأفضل الذكر، وجماع الخيرات، وشعار التمسك بالقرآن، والصلاح، والإصلاح. قال الله تعالى مخاطباً لنبيه موسى ﷺ: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَمْسُكُونَ بِالْكَذِبِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضْمِعُ أَجْرَ الْمُضْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

وقال ﷺ: «استقيموا، ولن تُحْضُوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على

(١) أخرجه البخاري في التوحيد (٧٥١٧)، ومسلم في الإيمان (١٦٢)، والنسائي في الصلاة (٤٥٠)، وابن ماجه في إقامة الصلاة، والسنة فيها (١٣٩٩)، وأحمد ٢/١٤٨-١٤٩ (١٢٥٠٥) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٢) أخرجه الترمذي في الإيمان (٢٦١٦)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٣)، وأحمد ٥/٢٣١ (٢٢٠١٦). قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وصححه الألباني في «الصحيحه» (٣٢٨٤)، وفي «الإرواء» (٤١٣).

(٣) في «رسالة الصلاة» ص ١٦ فقرة (٢٠).

الوضوء إلا مؤمن»^(١).

وهي آخر ما يُنفق من الدين، فهي أول الإسلام وآخره، قال ﷺ: «أول ما تَفْقِدُونَ من دِينِكُمْ الأمانة، وآخر ما تَفْقِدُونَ من دينكم الصلاة»^(٢).

قال الإمام أحمد ﷺ^(٣): «فصلاتنا آخر ديننا، وهي أول ما نُسأل عنه غداً من أعمالنا، فليس بعد ذهاب الصلاة إسلام ولا دين، فإذا صارت الصلاة آخر ما يذهب من الإسلام، فكل شيء يذهب آخره فقد ذهب جميعه، فتمسكوا بحكمكم الله بأخر دينكم». عظم الله ﷺ شأنها، فأوجب التطهر لها من الحدث الأصغر والأكبر، ومن النجاسات، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾^(٤) [المائدة: ٦]، وقال ﷺ: «لا يقبل الله صلاةً بغير طهور»^(٥).

وجعلها ﷺ من أجل صفات المؤمنين والملتقين في مواضع كثيرة من كتابه المبين، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: ٩٢]، وقال

(١) أخرجه ابن ماجه في الطهارة وسنها (٢٧٧)، وأحمد ٥/٢٧٦-٢٧٧ (٢٢٣٧٨) من حديث ثوبان ﷺ. وأخرجه ابن ماجه في الموضوع السابق (٢٧٨) من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ. وصححه الألباني في «الإرواء» (٤١٢).

(٢) أخرجه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (١٧١)، وابن الجارود في «المنتقى» (٧٧)، وتمام الرازي في «الفوائد» ١/٨٤ (١٩١)، والضياء في «المختارة» (١/٤٩٥) من حديث أنس ﷺ. وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٧٣٩).

(٣) في «رسالة الصلاة» ص ١٧، فقرة (٢١).

(٤) أخرجه مسلم في الطهارة (٢٢٤)، والترمذي في الطهارة (١)، وابن ماجه في الطهارة (٢٧٢) من حديث ابن عمر ﷺ. وأخرجه أبو داود في الطهارة (٥٩)، والنسائي في الطهارة (١٣٩) من حديث أبي المَلِيح، عن أبيه أسامة بن عمير الهذلي ﷺ. وأخرجه ابن ماجه في الطهارة وسنها (٢٧٣) من حديث أنس ﷺ، (٢٧٤) من حديث أبي بكره ﷺ.

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩]، وفي المعارج: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الآية: ٣٤].

وهي الصلة بين العبد وبين ربه؛ ولهذا فإنها لا تسقط بحالٍ من الأحوال، ما دام العقل موجوداً، لا في حال الخوف، ولا في حال المرض، أو غير ذلك، قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فِرَاجًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩]؛ أي: فصلوا رجالاً أو ركباناً.

وقال رحمته الله لعمران بن حصين رحمته الله: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فِقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلِي جَنْبٍ»^(١).

وقال أبو بكر رحمته الله: «واعلموا أن الله عملاً في الليل لا يقبله في النهار، وعملاً في النهار لا يقبله في الليل»^(٢).

قال ابن تيمية رحمته الله بعد ذكره قول أبي بكر رحمته الله: «وأما عمل النهار الذي لا يقبله بالليل، وعمل الليل الذي لا يقبله بالنهار، فهما صلاة الظهر والعصر، لا يحل للإنسان أن يؤخّرهما إلى الليل»^(٣).

وقال أيضًا: «وبالجمله، فليس لأحدٍ قطُّ شُغْلٍ يُسْقِطُ عنه فعل الصلاة في وقتها، بحيث يؤخر صلاة النهار إلى الليل، وصلاة الليل إلى النهار، بل لا بد من فعلها في الوقت»^(٤).

وبقية أركان الإسلام بعد الشهادتين قد تسقط، فالزكاة تسقط عن من لا مال عنده، والصوم يسقط عن من لا يستطيعه؛ لمرضٍ، أو كِبَرٍ، أو غير ذلك، والحج يسقط عن من لا يستطيع إليه سبيلاً؛ ولهذا كانت الصلاة عماد الدين، وعموده؛ لأنها تقوم مقام جميع

(١) أخرجه البخاري في الجمعة (١١١٧)، وأبو داود في الصلاة (٩٥٢)، والنسائي في قيام الليل (١٦٦٠)، والترمذي في الصلاة (٣٧٢)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٢٢٣)، وأحمد ٤/٤٢٦ (١٩٨١٩) من حديث عمران بن حصين رحمته الله.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنّفه» ١٩/١٣٤ (٣٥٥٧٤)، وعمر بن شبة في «تاريخ المدينة» (٦٧٢/٢)، والآجُرِّيُّ في «الشرعية» ٤/١٧٣٩ (١٢٠٢). وانظر: «مجموع الفتاوى» (٢٢/٣٨ - ٤٠).

(٣) «الفتاوى الكبرى» (١٧/٢). (٤) «الفتاوى الكبرى» (١٦/٢).

الأركان عند سقوطها، ما عدا الشهادتين.

قال الإمام أحمد رحمه الله ^(١): «فالصلاة خطرها عظيم، وأمرها جسيم، وبالصلاة أمر الله ﷻ رسوله أول ما أوحى إليه بالنبوة، قبل كل عمل، وقبل كل فريضة، وبالصلاة أوصى النبي ﷺ عند خروجه من الدنيا، قال: «الله، الله في الصلاة، وفيما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» ^(٢) في آخر وصيته إياهم.

وجاء الحديث أنها آخر وصية كل نبيٍّ لأُمَّته، وآخر عهده إليهم عند خروجه من الدنيا، وجاء في حديث آخر عن النبي ﷺ أنه كان يَجُودُ بنفسه ويقول: «الصلاة، الصلاة، الصلاة» ^(٣).

فالصلاة أول فريضة فُرِضت عليه، وهي آخر ما وصى به أُمَّته، وآخر ما يذهب من الإسلام، وهي أول ما يُسأل عنه العبد من عمله يوم القيامة، وهي عمود الإسلام، وليس بعد ذهابها إسلام ولا دين».

وقال ابن القيم رحمه الله في «مفتاح دار السعادة» ^(٤) في فضل الصلاة، وعظم منزلتها: «فالصلاة قد وُضعت على أكمل الوجوه وأحسنها، التي تعبد الخالق ﷻ عباده؛ من تضمنها للتعظيم له، بأنواع الجوارح؛ من نطق اللسان، وعمل اليدين والرجلين، والرأس، وحواسه، وسائر أجزاء البدن، كلُّ يأخذ حظه من الحكمة في هذه العبادة العظيمة المقدار، مع أخذ الحواس الباطنة بخططها، وقيام القلب بواجب عبوديته فيها، فهي مشتملة على الثناء والمدح، والتحميد، والتسبيح، والتكبير، وشهادة الحق، والقيام بين يدي الرب مقام العبد الذليل، الخاضع المدبّر المربوب، ثم التذلل له في هذا المقام، والتضرع، والتقرب إليه بكلامه...».

ثم ذكر تذللّه وخشوعه له ﷻ في كل أحوال الصلاة، في ركوعه، ورفعته، وسجوده، واستوائه، وجلوسه، وتشهده، وثنائه على ربه، وسلامه على نبيه، وعلى عباده الصالحين، وصلاته على رسوله، ثم سؤاله ربه من خيره، وبره، وفضله، ثم قال: «فأَيُّ

(١) في «رسالة الصلاة» ص (٢٢)، فقرة (٢٤).

(٢) سبق تخريجه.

(٤) ٦/٢، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

(٣) سبق تخريجه قريباً.

شيء بعد هذه العبادة من الحُسن؟ وأي كمال فوق هذا الكمال؟ وأي عبودية أشرف من هذه العبودية؟!».

وقال فضيلة الشيخ صالح السدلان رحمته الله (١): «نعم، إن الصلاة رأس الإسلام، وعموده، وهي الصلة بين العبد العارف لعبوديته، الناصح لنفسه، وبين ربه الذي يربُّه ويربي جميع العالمين بنعمه وفضله، وهي آية محبة العبد لربه، وتقديره لنعمه، وشكره لفضله وإحسانه، وهي الفارق الحقيقي بين المؤمن والكافر، نعم، إن من ضيع الصلاة فهو لغيرها أضيع، وانقطعت كل صلة له بالله تعالى، ورأس العبادة وأهمها الصلاة؛ فهي إحدى فرائض الدين، وأركان الشريعة، ونظام شمل الإسلام، وهي الركن الثاني الذي يحقق الركن الأول: «شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله» شعوريًا وعمليًا، وكل الإسلام بعد ذلك يأتي أثرًا عنها، ومن أجل هذا كان خير ما يفعله المسلم، وأعظم ما يقربه إلى الله الصلاة».

الوقفه الرابعة في:

ذكر فوائد الصلاة، وآثارها، وثمارها، ومنافعها

رتب الله ﷻ على حفظ الصلاة وإقامتها كما شرع، فوائد عظيمة، وآثارًا جليَّة، وثمارًا كبيرة، ومنافع كثيرة معلومة، من أهمها ما يأتي:

أولاً: أنه بإقامتها بعد الشهادتين يدخل المرء في الإسلام، وتثبت الأخوة بينه وبين المسلمين، ويُعصم دمه، وماله، وعرضه، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

وقال ﷺ: «أمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم،

(١) في كتابه: «صلاة الجماعة حكمها وأحكامها» ص ٩، ١٠، ١٧.

وأموالهم، وأعراضهم، وحسابهم على الله ﷻ»^(١).

ثانياً: أنها السبب الأول للتوفيق والسعادة، والفلاح والنجاح في الدين والدنيا والآخرة، وهي سُلَّم الوصول إلى معالي الأمور، وسفينة النجاة، وبوابة الخير، ومفتاح التيسير.

ثالثاً: أنها من أعظم أسباب العون على أمور الدين والدنيا والآخرة، واستقامة الأحوال، قال تعالى: ﴿وَأَسْعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، «وكان النبي ﷺ إذا حزبه أمرٌ صلى»^(٢).

ولما أخبر ابن عباس ؓ وهو في سفرٍ بموت أخيه «قثم» استرجع، ثم تنحى عن الطريق فأناخ، فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس، ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول: ﴿وَأَسْعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]^(٣).

رابعاً: أن حفظها وإقامتها من أعظم أسباب التوفيق لحفظ ما سواها من أمور الدين، وتقوى الله، والهداية لكل خير، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ١، ٢]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُدُوا لِّلْحَيَاةِ الْحَكِيمِ ﴿٤﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [لقمان: ١-٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَن أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ﴾ [الأنعام: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [الشورى: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

(١) سبق تخريجه قريباً.

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة (١٣١٩)، وأحمد ٣٨٨/٥ (٢٣٢٩٩) من حديث حذيفة ؓ. وحسنه الألباني في «صحيح أبي داود» (١١٩٢).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» ١/ ٢٩٤ (٣٩٨)، والطبري في «جامع البيان» (١/ ٦٢٠)، وابن عساكر في «تعزية المسلم عن أخيه» (١٣). قال الحافظ في «الفتح» (٣/ ١٧٢): «أخرجه الطبري في «تفسيره» بإسناد حسن».

فَمَنْ حَفِظَهَا، وَأَقَامَهَا كَمَا شَرَعَ اللَّهُ، وَوَقَّفَ لِحِفْظِ مَا سِوَاهَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَمَنْ ضَيَعَهَا، فَهُوَ لَهَا سِوَاهَا أَضْيَعٌ، كَمَا جَاءَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (١).

خامساً: أن في حفظها وإقامتها الحفظ من جميع الشرور والمعاصي؛ لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، واتباع الشهوات، وارتكاب الموبقات، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾ [مریم: ٥٩].

فتضييعهم الصلوات أدى بهم إلى اتباع الشهوات، وارتكاب المعاصي والسيئات. **سادساً:** أنها السبب الأول والأعظم للراحة والطمأنينة والسعادة، وانسراح الصدر، والسياح المعنوي الروحي أمام تقلبات الحياة، ونوازع النفس، تمنح العبد بإذن الله تعالى الثبات والتوازن، في السراء والضراء، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلْقٌ هَلُوعًا﴾ (١١) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جُرُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿ [المعارج: ١٩-٢٣]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، والصلوة أعظم ذكر الله تعالى.

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

والصلوة أعظم شعائر الإسلام.

وقد قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَجَعَلْتُ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» (٢)، وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول لبلال: «أرْحَنَا

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه النسائي في عشرة النساء (٣٩٣٩، ٣٩٤٠)، وأحمد ١٢٨/٣ (١٢٢٩٣)، والحاكم (١٦٠/٢) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣١٢٤).

بالصلاة» (١).

ولهذا فإن ما يصيب كثيراً من الناس من الاضطراب والتذبذب، وفقدان التوازن في الحياة؛ سببه الأعمى عدم المحافظة على الصلاة، وعدم إقامتها كما شرع الله ﷻ. بل ما أصاب الأمة كلها من الضعف والهوان، وتسلط الأعداء، وتفرق الكلمة، أعظم أسبابه وأهمها ضعف أمر الصلاة عند كثير من المسلمين، وعدم إقامتها كما شرع الله ﷻ! **سابعاً:** أنها سبب الرزق، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢].

ثامناً: أنها سبب للتمكين في الأرض والنصر والقوة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

تاسعاً: أن في حفظ الصلاة وإقامتها كما شرع الله تعالى التجارة الربحية مع الله ﷻ، والثواب العظيم، والزيادة من فضله ﷻ في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ (٢١) لِيُؤْفِقَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٣٦) وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كِبْرَ الْأَيْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٦-٣٨].

عاشراً: أن المحافظة عليها، والخشوع فيها، سبب للفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، والفوز بالفردوس الأعلى من الجنة، والخلود فيها، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ

(١) أخرجه أبو داود في الأدب (٤٩٨٦)، وأحمد ٥/ ٣٧١ (٢٣١٥٤) عن عبد الله بن محمد ابن الحنفية، عن صهر لهم من الأنصار، وأخرجه أبو داود في الموضوع السابق (٤٩٨٥)، وأحمد ٥/ ٣٦٤ (٢٣٠٨٨) عن سالم بن أبي الجعد عن رجل من أسلم. وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١٢٥٣)، و«صحيح الجامع» (٧٨٩٢).

الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفَرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١-١١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المعارج: ١٩-٣٥].

فذكر ﷺ في هاتين السورتين عددًا من صفات المؤمنين المصلين، بدأها بامتداحهم بخشوعهم في صلاتهم، وديمومتهم عليها، وختمها بامتداحهم بالمحافظة عليها، ووعدهم على ذلك بالفلاح، والفوز بالفردوس الأعلى من الجنة، والكرامة في الجنات.

حادي عشر: أن في إقامتها تكفير السيئات، ودخول الجنات، قال تعالى: ﴿لَبِنَ أَقَمْتُمْ الْأَصْلُوةَ وَعَآتَيْتُمُ الزَّكوةَ وَعَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿١٢٠﴾﴾ [المائدة: ١٢٠].

وقال ﷺ: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، كفارات لما بينهن، ما لم تُغش الكبائر»^(١).

وقال ﷺ: «أرايتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟» قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا»^(٢).

وقال ﷺ: «مثل الصلوات الخمس كمثل نهرٍ جارٍ غمرٍ على باب أحدكم، يغتسل منه كل يوم خمس مرات»^(٣).

(١) أخرجه مسلم في الطهارة (٢٣٣)، والترمذي في الصلاة (٢١٤)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٠٨٦)، وأحمد ٣٥٩/٢ (٨٧١٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة (٥٢٨)، ومسلم في المساجد (٦٦٧)، والنسائي في الصلاة (٤٦٢)، والترمذي في الأمثال (٢٨٦٨)، وأحمد ٣٧٩/٢ (٨٩٢٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٦٨)، وأحمد ٤٢٦/٢ (٩٥٠٥) من حديث جابر ﷺ.

ثاني عشر: أنها أول ما يحاسب عليه العبد من أعماله يوم القيامة، وقبولها سبب لقبول سائر الأعمال الصالحة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر»^(١).

الوقفه الخامسة في:

ذكر أهم الأسباب المعينة على حفظ الصلاة وإقامتها

من أهم الأسباب، والوسائل المعينة على حفظ الصلاة وإقامتها، كما شرع الله تعالى، ما يلي:

أولاً: معرفة وتذكر عظمة الصلاة، ومكانتها من الدين، وأنها عمود الإسلام، وأعظم أركانه، وثانيها بعد الشهادتين، ومعرفة فوائدها، وآثارها، وثمارها، ومنافعها الكثيرة العظيمة في الدين، والدنيا والآخرة، وتقديرها قدرها.

ثانياً: استحضار العبد لعظمة الله صلى الله عليه وسلم وتقديره حق قدره، كما قال صلى الله عليه وسلم: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١]، وقال تعالى: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

ثالثاً: تذكر نعم الله تعالى العظيمة، وآلائه الجسيمة، التي لا تعد ولا تحصى؛ خلق، ورزق، وأنعم علينا بسائر النعم، التي أعظمها وأجلها نعمة الإسلام والإيمان، كما قال صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنْ نَعُدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا نُحْصِيهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤، والنحل: ١٨].

(١) أخرجه أبو داود في استفتاح الصلاة (٨٦٤)، والنسائي في الصلاة (٤٦٥)، والترمذي في الصلاة (٤١٣)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٤٢٥)، وأحمد ٢/٢٥٠ (٩٤٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الترمذي: «حديث حسن غريب». وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٨١٠)، و«الصحيحة» (١٣٥٨).

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَإِنَّهٗ يَجْتُرُونَ﴾ [النحل: ٥٣]، وقال تعالى مخاطباً الإنس والجن في إحدى وثلاثين آية في سورة الرحمن: ﴿فَإِنِّي آءَاءُ رَيْكُمَا نَكَذِبَانِ﴾.

ففي تعظيم الرب ﷻ، وتذكر نعمه سبحانه، ومعرفة مكانة الصلاة من الدين، أعظم مُعينٍ على حفظ الصلاة، والعناية بها، والخشوع فيها؛ خوفاً من الله ﷻ ورجاءً لثوابه، وشكراً لنعمه ﷻ؛ لأن في الصلاة كمال العبودية لله ﷻ، العظيم المنعم، والعبودية أشرف حالٍ، وأجل وصفٍ يوصف به البشر؛ ولهذا لما نزل قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤، ٩٦، والحاقة: ٥٢]، قال ﷻ: «اجعلوها في رُكُوعِكُمْ»، ولما نزل قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، قال ﷻ: «اجعلوها في سُجُودِكُمْ»^(١)، وذلك تعظيماً لله ﷻ في أشرف حال، وأعظم عبادة.

رابعاً: التهيؤ للصلاة من أول وقتها، بدءاً من متابعة المؤذن، والذكر والدعاء أثناء الأذان وبعده، والوضوء، والتزين للصلاة باللباس الحسن، والطيب، والسعي إليها بسكينة ووقار، وتقديم الرجل اليمنى عند دخول المسجد، والذكر عنده.

والتفرغ التام للصلاة من مشاغل الحياة كلها؛ فهي الزاد المعنوي والروحي للإنسان، قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ تَجَنُّدٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور: ٣٧].

خامساً: المبادرة إليها بعد سماع النداء، والمسارعة والمسابقة إلى ذلك، والمنافسة على الصف الأول، وميامن الصفوف، والحذر من التأخر، ومزاحمة الناس، وتخطي رقابهم.

سادساً: تأمل الفرق الشاسع، والبون الواسع بين صلاة حفظها صاحبها، وتها لها، وتفرغ لها، وبادر إليها، واستحضر عظمة الله ﷻ فيها، وعظمة الصلاة وأهميتها، وبين

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة (٨٦٩)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (٨٨٧)، وأحمد ٤/ ١٥٥ (١٧٤١٤) من حديث عقبة بن عامر ﷻ. قال النووي في «خلاصة الأحكام» (٣٩٦/١): «رواه أبو داود، وابن ماجه بإسناد حسن». وضعفه الألباني في «الإرواء» (٣٣٤)، و«ضعيف أبي داود» (١٥٢).

صلاة يؤديها كثير من الناس مجرد عادة، من غير تهيؤ، ولا تفرغ لها، مع انشغال البال، وتشوش الفكر، بلا طمأنينة ولا خشوع.

الوقفة السادسة في:

صفة الصلاة كما صلاها النبي ﷺ

نقل الصحابة الكرام رضوان الله عليهم في الأحاديث الصحيحة المتواترة صفة صلاة النبي ﷺ من أولها إلى آخرها، من التكبير إلى التسليم، من غير زيادة ولا نقصان، كما نقلوا عنه ﷺ وﷺ سائر سنته من أقواله، وأفعاله، وتقريراته، وجميع أحواله.

وعُني العلماء ﷺ من السلف ومن بعدهم إلى يومنا هذا بدراسة الأحاديث الواردة في صفة صلاته ﷺ، وتناولها- بالجمع والتحقيق، والتلخيص والتدقيق- جمع من المحققين في كتبهم، بل أفردوا جمع منهم بالتأليف في كتب ورسائل؛ منهم: الإمام أحمد ﷺ، وابن تيمية، وابن القيم، وابن باز، وابن عثيمين، والألباني، وغيرهم ﷺ، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيرًا.

ومن أخصر هذه الكتب والرسائل، وأوجزها، وأنفعها ما كتبه سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ﷺ، في رسالته: «كيفية صلاة النبي ﷺ»، وقد رأيت إتمامًا للفائدة ذكر ما جاء فيها، والاكتفاء به.

قال ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم، «كيفية صلاة النبي ﷺ» (١):

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه، أما بعد: فهذه كلمات موجزة في بيان صفة صلاة النبي ﷺ أردت تقديمها إلى كل مسلم ومسلمة؛ ليجتهد كل من يطلع عليها في التأسي به ﷺ في ذلك؛ لقوله ﷺ: «صلُّوا كما

(١) اعتمدت في هذا النقل على نسخة طبعة الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّيُّ»؛ رواه البخاري (١).

وإلى القارئ بيان ذلك:

❖ يُسبغ الوضوء، وهو أن يتوضأ كما أمره الله؛ عملاً بقوله ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]، وقول النبي ﷺ: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طَهْوَرٍ، وَلَا صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ»؛ رواه مسلم في «صحيحه».

❖ يتوجه المصلي إلى القبلة- وهي الكعبة- أينما كان بجميع بدنه قاصداً بقلبه فعل الصلاة التي يريدّها من فريضة أو نافلة، ولا ينطق بلسانه بالنية؛ لأن النطق باللسان غير مشروع، بل هو بدعة؛ لكون النبي ﷺ لم ينطق بالنية، ولا أصحابه ﷺ (٢)، ويُسن أن يجعل له سُترَةً يصلي إليها إن كان إماماً أو منفرداً؛ لأمر النبي ﷺ بذلك.

❖ يكبر تكبيرة الإحرام قائلاً: «الله أكبر»، ناظراً ببصره إلى محل سجوده (٣).

❖ يرفع يديه عند التكبيرة إلى حذو منكبيه، أو إلى حِمالِ أُذنيه (٤).

❖ يضع يديه على صدره؛ اليمنى على كفه اليسرى والرُّسْغ والساعد؛ لورود ذلك من حديث وائل بن حُجْرٍ، وقبيصة بن هُلب الطائي عن أبيه ﷺ (٥).

❖ يُسن أن يقرأ دعاء الاستفتاح وهو: «اللهمّ باعدْ بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما يُنقى الثوب الأبيض من

(١) أخرجه البخاري في الأذان (٦٣١)، والدارمي ١ / ٣١٨ (١٢٥٣) من حديث مالك بن الحويرث ﷺ.

(٢) انظر: «زاد المعاد» ١ / ٢٠١

(٣) انظر: «رسالة الصلاة» للإمام أحمد ص ٣١، قال ابن القيم في: «زاد المعاد» ١ / ٢٦٥: «وكان ﷺ إذا قام في الصلاة طأطأ رأسه».

(٤) ممدودة الأصابع، مستقبلاً بها القبلة. انظر: «زاد المعاد» ١ / ٢٠٢.

(٥) ولم يرد في الأحاديث، ولا في الآثار عن السلف ﷺ ذكر حال القدمين أثناء القيام قبل الركوع ولا بعده، ولا حال الركوع، وهل يُفرج بينهما أو يضمهما، وحيث لم يرد في ذلك شيء، فينبغي أن يقف المصلي معتاداً، فلا يضم قدميه، ولا يفرج بينهما، كما يفعل بعض الناس. والدليل على هذا عدم الدليل.

الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنَ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ؛ متفقٌ عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإن شاء قال بدلاً من ذلك: «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدُّك، ولا إله غيرُك»؛ لثبوت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإن أتى بغيرهما من الاستفتاحات الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا بأس، والأفضل أن يفعل هذا تارةً وهذا تارةً؛ لأن ذلك أكمل في الاتباع، ثم يقول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، «بسم الله الرحمن الرحيم»، ويقرأ سورة الفاتحة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا صلاةَ لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»، ويقول بعدها: «آمين» جهراً في الصلاة الجهرية، وسراً في السرية، ثم يقرأ ما تيسر من القرآن، والأفضل أن تكون القراءة في الظهر والعصر والعشاء من أوساط المفصل، وفي الفجر من طوالة، وفي المغرب من قصاره، وفي بعض الأحيان من طوالة أو أوساطه - أعني في المغرب - كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويُشرع أن تكون العصر أخف من الظهر.

❖ يركع مكبراً رافعاً يديه إلى حذو منكبيه أو أذنيه، جاعلاً رأسه حيال ظهره، واضعاً يديه على ركبتيه، مفرقاً أصابعه^(١)، ويطمئن في ركوعه ويقول: «سبحان ربي العظيم»، والأفضل أن يكررها ثلاثاً أو أكثر، ويُستحب أن يقول مع ذلك: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي».

❖ يرفع رأسه من الركوع، رافعاً يديه إلى حذو منكبيه أو أذنيه، قائلاً: «سمع الله لمن حمده»، إن كان إماماً أو منفرداً يقول بعد رفعه: «ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، مِلءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلءَ الْأَرْضِ، وَمِلءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ»، وإن زاد بعد ذلك: «أهل الثناء والمجد، أحقُّ ما قال العبد، وكلُّنا لك عبد، اللهم لا مانعَ لما أعطيت، ولا مُعطيَ لما منعت، ولا ينفعُ ذا الجَدِّ منك الجَدُّ» فهو حسن؛ لأن

(١) قال ابن القيم: «وكان صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من القراءة سكت بقدر ما يترادُّ إليه نفسه، ثم رفع يديه - كما تقدم - وكبَّر رَاكِعًا، ووضع كفيه على ركبتيه كالفابض عليهما، ووَثَّرَ يديه، فنحاهما عن جنبه، وبسط ظهره ومدّه، واعتدل ولم ينصب رأسه، ولم يخفضه، بل يجعله حيال ظهره معادلاً له. «زاد المعاد» ١/ ٢١٦، وانظر: «رسالة الصلاة» للإمام أحمد ص ٣٢.

ذلك قد ثبت عن النبي ﷺ في بعض الأحاديث الصحيحة، أما إن كان مأموماً فإنه يقول عند الرفع: «ربنا ولك الحمد» إلى آخر ما تقدم، ويُستحب أن يضع كل منهم يديه على صدره، كما فعل في قيامه قبل الركوع؛ لثبوت ما يدل على ذلك عن النبي ﷺ من حديث وائل بن حجر وسهل بن سعد ﷺ.

❖ يسجد مكبراً واضعاً ركبتيه قبل يديه إذا تيسر ذلك^(١)، فإن شق عليه قدم يديه قبل ركبتيه، مستقبلاً بأصابع رجليه ويديه القبلة، ضمّاً أصابع يديه، ويكون على أعضائه السبع: الجبهة مع الأنف، واليدين، والركبتين، وبطن أصابع الرجلين، ويقول: «سبحان ربي الأعلى»، ويكرر ذلك ثلاثاً أو أكثر، ويُستحب أن يقول مع ذلك: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي»، ويكثر من الدعاء؛ لقول النبي ﷺ: «أما الركوع فعظموا فيه الربّ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم»^(٢)، وقوله ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجدٌ، فأكثروا الدعاء»؛ رواهما مسلم في «صحيحه»^(٣)، ويسأل ربّه له ولغيره من المسلمين من خير الدنيا والآخرة، سواء كانت الصلاة فرضاً أو نفلًا، ويجافي عَضُدَيْهِ عن جنبيه وبطنه عن فخذيه، وفخذيه عن ساقيه، ويرفع ذراعيه عن الأرض؛ لقول النبي ﷺ: «اعتدلوا في السجود، ولا ييسطُ أحدكم ذراعيه انبساط الكلب»؛ متفق عليه^(٤).

(١) قال ابن القيم ﷺ: «وكان ﷺ يضع ركبتيه قبل يديه، ثم يديه بعدهما، ثم جبهته وأنفه، هذا هو الصحيح». ثم ذكر الأحاديث، والخلاف في ذلك. انظر: «زاد المعاد» ١/ ٢٢٣-٢٣٢. وانظر: «رسالة الصلاة» للإمام أحمد ص ٣٠، وهكذا اختار فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ﷺ في رسالته في صفة صلاة النبي ﷺ أنه يضع ركبتيه قبل يديه، وقد اختار فضيلة الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني ﷺ في رسالته في «صفة صلاة النبي ﷺ» أنه يضع يديه قبل ركبتيه. فقرة (٨٨).

(٢) أخرجه مسلم في الصلاة (٤٧٩)، وأبو داود في الصلاة (٨٧٦)، والنسائي في التطبيق (١٠٤٥)، وأحمد ٢١٩/١ (١٩٠٠)، والدارمي ١/ ٣٤٩ (١٣٢٦) من حديث ابن عباس ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم في الصلاة (٤٨٢)، وأبو داود في الصلاة (٨٧٥)، والنسائي في التطبيق (١١٣٧)، وأحمد ٢/ ٢٤١ (٩٤٦١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) أخرجه ابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها (٨٩٨)، وأحمد ١/ ٣١٥ (٢٨٩٥) من حديث ابن عباس

❖ يرفع رأسه مكبراً، ويفرش قدمه اليسرى ويجلس عليها، وينصب رجله اليمنى ويضع يديه على فخذه وركبتيه^(١)، ويقول: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وارحمني وارزقني وعافني واهدني واجبرني»^(٢)، ويطمئن في هذا الجلوس حتى يرجع كل فقار إلى مكانه، كاعتداله بعد الركوع؛ لأن النبي ﷺ كان يطيل اعتداله بعد الركوع، وبين السجدين.

❖ يسجد السجدة الثانية مكبراً، ويفعل فيها كما فعل في السجدة الأولى.

❖ يرفع رأسه مكبراً، ويجلس جلسة خفيفة مثل جلوسه بين السجدين، وتسمى جلسة الاستراحة، وهي مستحبة في أصح قولي العلماء، وإن تركها فلا حرج، وليس فيها ذكر ولا دعاء^(٣)، ثم ينهض قائماً إلى الركعة الثانية معتمداً على ركبتيه^(٤) إن تيسر ذلك، وإن شق عليه اعتمد على الأرض بيديه، ثم يقرأ الفاتحة وما تيسر له من القرآن

❖ قال الألباني في «صفة صلاة النبي» ص (١٥٣): «أخرجه ابن ماجه بسند جيد».

قال ابن القيم: «وكان إذا سجد مكن جبهته وأنفه من الأرض، ونحى يديه عن جنبيه، وجافى بها حتى يرى بياض إبطيه. وكان يضع يديه حذو منكبيه وأذنيه. وكان يعتدل في سجوده، ويستقبل بأطراف أصابع رجله القبلة. وكان يسط كفيه وأصابعه، ولا يفرج بينها، ولا يقبضها». «زاد المعاد» ١/ ٢٣٢. وانظر: «رسالة الصلاة» للإمام أحمد ص ١٣.

(١) قال ابن القيم: «ثم كان ﷺ يرفع رأسه مكبراً، غير رافع يديه، ويرفع من السجود رأسه قبل يديه، ثم يجلس مفترشاً، يفرش رجله اليسرى ويجلس عليها، وينصب اليمنى، وكان يضع يديه على فخذه، ويجعل مرفقه على فخذه، وطرف يده على ركبته، ويقبض ثنتين من أصابعه، ويحلق حلقة، ثم يرفع أصبعه يدعو بها ويحركها». «زاد المعاد» ١/ ٢٣٨. وبنحو من هذا قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في رسالته في صفة صلاة النبي ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في الأذان (٨٢٢)، ومسلم في الصلاة (٤٩٣)، والنسائي في التطبيق (١١١٠) من حديث أنس ؓ.

(٣) اختلف العلماء في جلسة الاستراحة؛ فمنهم من يرى أنها مستحبة، ومنهم من يرى أنها تُفعل عند الحاجة، وغير ذلك. انظر: «زاد المعاد» ١/ ٢٤٠-٢٤٢.

(٤) قال العثيمين: «ثم ينهض للركعة الثانية معتمداً على ركبتيه بدون جلوس»؛ أي: بدون جلسة استراحة. وقال الألباني: «ثم ينهض معتمداً على الأرض بيديه المقبوضتين، كما يقبضهما العاجن إلى الركعة الثانية» فقرة (١٢٥).

بعد الفاتحة، كما سبق في الركعة الأولى، ثم يفعل كما فعل في الركعة الأولى. ولا يجوز للمأموم مسابقة إمامه؛ لأن النبي ﷺ حذر أمته من ذلك، وتكره موافقته للإمام، والسنة له أن تكون أفعاله بعد إمامه من دون تراخ، وبعد انقطاع صوته؛ لقول النبي ﷺ: «إنما جعل الإمام ليؤتم به، فلا تختلفوا عليه، فإذا كبر فكبروا، وإذا ركع فاركعوا، وإذا قال: سمع الله لمن حمده فقولوا: ربنا ولك الحمد، وإذا سجد فاسجدوا» الحديث متفق عليه^(١).

❖ إذا كانت الصلاة ثنائية، أي: ركعتين؛ كصلاة الفجر، والجمعة، والعيد، جلس بعد رفعه من السجدة الثانية ناصباً رجله اليمنى، مفترشاً رجله اليسرى، واضعاً يده اليمنى على فخذه اليمنى، قابضاً أصابعه كلها إلا السبابة فيشير بها إلى التوحيد عند ذكر الله سبحانه، وعند الدعاء، وإن قبض الخنصر والبنصر من يده اليمنى وحلق إبهامها مع الوسطى وأشار بالسبابة فحسن؛ لثبوت الصفتين عن النبي ﷺ. والأفضل أن يفعل هذا تارةً وهذا تارةً^(٢)، ويضع يده اليسرى على فخذه اليسرى وركبته، ثم يقرأ التشهد في هذا الجلوس، وهو: «التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»، ثم يقول: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد،

(١) أخرجه البخاري في الأذان (٧٢٢)، ومسلم في الصلاة (٤١٧)، وأبو داود في الصلاة (٦٠٣)، والنسائي

في الافتتاح (٩٢١)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها (٨٤٦، ١٢٣٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) قال ابن القيم: «إذا جلس للتشهد وضع يده اليسرى على فخذه اليسرى، ووضع يده اليمنى على فخذه اليمنى، وأشار بأصبعه السبابة، وكان لا ينصبها نصباً، ولا ينيمها، بل يحنيها شيئاً، ويحركها شيئاً... وكان يقبض أصبعين وهما الخنصر والبنصر، ويحلق حلقة، وهي الوسطى مع الإبهام، ويرفع السبابة يدعو بها، ويرمي ببصره إليها، ويسط الكف اليسرى على الفخذ اليسرى ويتحامل عليها... وكان ﷺ يخفف هذا التشهد جداً».

وقال أيضاً: «وكان يسط ذراعه على فخذه، ولا يجافيها، فيكون حد مرفقه عند آخر فخذه، وأما اليسرى فممدودة الأصابع على الفخذ اليسرى، وكان يستقبل بأصابعه القبلة في رفع يديه في ركوعه، وفي سجوده، وفي تشهده، ويستقبل أيضاً بأصابع رجله القبلة في سجوده». «زاد المعاد» 1/ 242، 542، 552 - 652، 562. وانظر: «رسالة الصلاة» للإمام أحمد (ص 03 الفقرة 33) وما بعدها.

كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ»، ويستعيدُ بالله من أربع، فيقول: «اللهم إني أعوذُ بك من عذابِ جهنم، ومن عذابِ القبر، ومن فتنةِ المحيا والممات، ومن فتنةِ المسيح الدجال»، ثم يدعو بما شاء من خير الدنيا والآخرة، وإذا دعا لوالديه أو غيرهما من المسلمين فلا بأس -سواء كانت الصلاة فريضةً أو نافلةً- لعموم قول النبي ﷺ في حديث ابن مسعود لما علمه التشهد: «ثم لِيَتَحَيَّرَ من الدعاء أعجبهُ إليه فيدعو»^(١)، وفي لفظٍ آخر: «ثم لِيَتَحَيَّرَ من المسألة ما شاء»^(٢)، وهذا يعم جميع ما ينفع العبد في الدنيا والآخرة، ثم يسلم على يمينه وشماله، قائلاً: «السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله».

❦ إن كانت الصلاة ثلاثية؛ كالمغرب، أو رباعية؛ كالظهر والعصر والعشاء، قرأ التشهد المذكور آنفاً، مع الصلاة على النبي ﷺ، ثم نهض قائماً معتمداً على ركبتيه، رافعاً يديه إلى حذو منكبيه، قائلاً: «الله أكبر»^(٣)، ويضعهما -أي يديه- على صدره كما تقدم، ويقرأ الفاتحة فقط، وإن قرأ في الثالثة والرابعة من الظهر زيادة عن الفاتحة في بعض الأحيان فلا بأس؛ لثبوت ما يدل على ذلك عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيدٍ رضي الله عنه^(٤)، ثم يتشهد بعد الثالثة من المغرب، وبعد الرابعة من الظهر والعصر والعشاء، ويصلي على النبي ﷺ، ويتعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال، ويكثر من الدعاء. ومن الدعاء المشروع في

(١) أخرجه البخاري في الأذان (٧٣٥)، والنسائي في السهو (١٢٩٨).

(٢) أخرجه مسلم في الصلاة (٤٠٢).

(٣) انظر: «زاد المعاد» ١/ ٢٤٥. قال الألباني: «ولكنه قبل أن ينهض -يعني للركعة الرابعة- يستوي قاعداً على رجله معتدلاً حتى يرجع كل عظم إلى موضعه، ثم يقوم معتمداً على يديه، كما فعل في قيامه للركعة الثانية» فقرة (١٥٣).

(٤) أخرجه مسلم في الصلاة (٤٥٢)، والنسائي في الصلاة (٤٧٦)، وابن ماجه في إقامة الصلاة، والسنة فيها (٨٢٨). قال ابن القيم: «فهديه الراتب ﷺ إطالة الركعتين الأوليين من الرابعة على الآخرين، وإطالة الأولى من الأوليين على الثانية». «زاد المعاد» ١/ ١٥٢-١٥٢.

هذا الموضوع وغيره: «ربنا آتنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً، وقنا عذاب النار»؛ لما ثبت عن أنس رضي الله تعالى عنه، قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «ربنا آتنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً، وقنا عذاب النار»^(١)، كما تقدم ذلك في الصلاة الثنائية، لكن يكون في هذا الجلوس متورّكاً، واضعاً رجله اليسرى تحت رجله اليمنى، ومقعدته على الأرض، ناصباً رجله اليمنى؛ لحديث أبي حميد في ذلك^(٢)، ثم يسلم عن يمينه وشماله، قائلاً: «السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله».

ويستغفر الله ثلاثاً، ويقول: «اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»، ويسبح الله ثلاثاً وثلاثين، ويحمده مثل ذلك، ويكبره مثل ذلك، ويقول تمام المئة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»، ويقرأ آية الكرسي، و«قل هو الله أحد»، و«قل أعوذ برب الفلق»، و«قل أعوذ برب الناس» بعد كل صلاة، ويُستحب تكرار هذه السور الثلاث ثلاث مرات بعد صلاة الفجر وصلاة المغرب؛ لورود الحديث الصحيح بذلك عن النبي ﷺ، كما يُستحب أن يزيد بعد الذكر المتقدم بعد صلاة الفجر، وصلاة المغرب، قول: «لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يُحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير» عشر مرات؛ لثبوت ذلك عن النبي ﷺ، وإن كان إماماً انصرف إلى الناس وقابلهم بوجهه بعد استغفاره ثلاثاً، وبعد قوله:

(١) أخرجه البخاري في التفسير (٤٥٢٢)، وفي الدعوات (٦٣٨٩)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٠)، وأبو داود في الصلاة (١٥١٩)، وأحمد ٣/١٠١ (١١٩٨١) من حديث أنس بن مالك ﷺ.
(٢) أخرجه البخاري في الأذان (٨٢٨)، وأبو داود في افتتاح الصلاة (٧٣٠)، والنسائي في السهو (١٢٦٢)، والترمذي في الصلاة (٣٠٤)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها (١٠٦١). وانظر: «زاد المعاد» (٢٥٢/١).

«اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام»، ثم يأتي بالأذكار المذكورة، كما دل على ذلك أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ، منها حديث عائشة ؓ في «صحيح مسلم». وكل هذه الأذكار سنة وليست فريضة.

ويُستحب لكل مسلم ومسلمة أن يصلي قبل صلاة الظهر أربع ركعات، وبعدها ركعتين، وبعدها صلاة المغرب ركعتين، وبعدها صلاة العشاء ركعتين، وقبل صلاة الفجر ركعتين، الجميع اثنتا عشرة ركعة، وهذه الركعات تسمى الرواتب؛ لأن النبي ﷺ كان يحافظ عليها في الحضر، أما في السفر فكان يتركها إلا سنة الفجر والوتر، فإنه كان يحافظ عليهما حضرًا وسفرًا، ولنا فيه أسوة حسنة؛ لقول الله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾، وقوله ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»؛ رواه البخاري (١).

والأفضل أن تُصلى هذه الرواتب والوتر في البيت، فإن صلاها في المسجد فلا بأس؛ لقول النبي ﷺ: «أَفْضَلُ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ»؛ متفق على صحته، والمحافظة على هذه الركعات من أسباب دخول الجنة؛ لما ثبت في «صحيح مسلم»، عن أم حبيبة رضي الله تعالى عنها، أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعًا غير فريضة، إلا بنى الله له بيتًا في الجنة»، وقد فسرها الإمام الترمذي في روايته لهذا الحديث بما ذكرنا، وإن صلى أربع ركعات قبل العصر، واثنتين قبل صلاة المغرب، واثنتين قبل صلاة العشاء، فحسن؛ لقوله ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً صَلَّى أَرْبَعًا قَبْلَ الْعَصْرِ»؛ رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي وحسنه، وابن خزيمة وصححه، وإسناده صحيح، ولقوله ﷺ: «بَيْنَ كُلِّ أَذَانِ صَلَاةٍ، بَيْنَ كُلِّ أَذَانِ صَلَاةٍ» ثم قال في الثالثة: «لَنْ شَاءَ»؛ رواه البخاري. والله ولي التوفيق. قاله مملية الفقير إلى ربه عبد العزيز بن عبد الله بن باز، سامحه الله، وغفر له، ولوالديه وللمسلمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وأصحابه أجمعين، وأتباعه بإحسانٍ إلى يوم الدين» (٢).

(١) سبق تخريجه قريبًا.

(٢) «كيفية صلاة النبي ﷺ» لابن باز ؓ، وانظر: «صفة الصلاة» للإمام أحمد ؓ.

وأخيراً:

فإنني أتوج هذه الوقفات في الصلاة بكيفية صلاة النبي ﷺ لسماحة العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمته؛ وذلك لما لسماحته رحمته من جهود عظيمة مباركة، ومن أعمال جلييلة في خدمة الإسلام والمسلمين؛ في التعليم، والدعوة، والنصح، والفتوى، والخير، والبذل.

ولما لسماحته من أثر عظيم في المسلمين في شتى بقاع المعمورة، فقل أن تجد مسلماً إلا وقد أفاد من علمه، ودعوته، ونصحه، وفتواه، وخيره، وبذله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وأعتبر هذا - مع ما أفدته منه، ومن غيره من أهل العلم - من الوفاء لهم، ومن نشر علمهم، وأسأل الله أن يجعل ذلك في موازين حسناتهم، وأن يُعْظِمَ لهم الأجر والثوبة. لقد تأثرت في حياتي بسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته أكثر من غيره، وأحبيته في الله رحمته أكثر من غيره، مما أرجو به أن أكون معه، كما قال رحمته: «المرء مع من أحب»^(١) مع قلة البضاعة، ولكن كما قال الشافعي رحمته^(٢):

أَحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ لِعَلِيَّ أَنْ أَنَالَ بِهِمْ شَفَاعَةَ

وذلك لما حباه الله تعالى من النصح لله، ولدينه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم، ومن العلم والحكمة، والكرم، والتواضع، وحسن الخلق، والورع، والزهد، والتبشير، والإحسان والعطف على المساكين، وحب الخير للمسلمين.

ولما حباه الله من ذلك الصوت الندي الشجي، المميز الجميل، الذي يفيض بالعلم والحكمة، والصدق، والنصح، ومحبة الخير للناس، والغيرة على دين الله، الذي يأخذ

(١) أخرجه البخاري في الأدب (٦١٦٨، ٦١٦٩)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٤٠)، وأحمد ١/٣٩٢

(٣٧١٨) من حديث ابن مسعود رحمته. وأخرجه أبو داود في النوم (٥١٢٧)، والترمذي في الزهد (٢٣٨٥)،

(٢٣٨٦)، وأحمد ٣/١٠٤ (١٢٠١٣) من حديث أنس رحمته.

(٢) سبق.

بُلْبُ السَّامِعِ وَمَشَاعِرُهُ، فَلَا يَمْلِكُ إِلَّا أَنْ يُنصِتَ لَهُ، وَيَلْهَجُ لَهُ بِالْدَعَاءِ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ.

رَحْمَةُ اللَّهِ رَحْمَةٌ وَاسِعَةٌ، وَجَزَاهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرَ الْجَزَاءِ.



وقفتان في: فضل العفو والصفح، والحلم وكظم الغيظ

قال الله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]

الوقفة الأولى في: فضل العفو والصفح

العفو: التجاوز، وترك المؤاخذه على الذنب، وأعلى درجاته «الصفح»، وهو الإعراض عما حصل كليّةً، وترك اللوم والتشريب.

والعفو من أفضل الصفات وأعظمها وأجلها وأكملها، وصف الله ﷻ به نفسه في آيات كثيرة، وقرنه في عدد منها بالمغفرة؛ لبيان أن عفوهُ ﷻ مقرون بالستر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠، والمجادلة: ٢].

كما قرنه ﷻ بالقدرة؛ لبيان أن عفوهُ ﷻ مقرون بالقدرة التامة على العقوبة، لا عن عجز، فقال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩].

وقرنه ﷻ بالتوبة؛ لبيان أن عفوهُ ﷻ مقرون بالتوبة على من تاب من عباده، فقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥].

وبيّن ﷻ عفوهُ سبحانه عن كثير من كسب العباد مما يستحقون عليه العقوبة، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿أَوْ يُوبِقَهُنَّ يَمَّا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٤].

وأمر ﷻ به رسوله ﷺ فقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وأمر ﷻ به المؤمنين، فقال تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقرنه ﷺ بصفات المسارعين إلى مغفرته ﷻ وجنته، المتقين المنفقين، الكاظمين الغيظ، المحسنين، الذين يحبهم الله ﷻ، فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

وقرنه ﷻ بالإصلاح، فقال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]. وجعله ﷻ من الصبر الذي هو شرط الإيمان، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].

وهو من صفات المصطفى ﷺ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ [التحریم: ٣]؛ أي: عفا وتغافل عن بعض صلوات الله وسلامه عليه.

ولهذا كان ﷺ يقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»^(١)، وفي المغفرة عفو وستر. ولما سأله ملك الجبال أن يطبق عليهم الأخشبين، قال: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً»^(٢) ولما دخل مكة فاتحاً عفا ﷺ عن قريش.

وعفا عن غورث بن الحارث الذي استل سيفه من الشجرة وأراد قتله^(٣). ونزل عليه ﷺ ثمانون رجلاً من التنعيم يريدون قتله، فعفا عنهم لما قدر عليهم^(٤). وقد تكفل ﷻ بأجر من عفا وأصلح، فقال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾

-
- (١) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٧)، وفي استتابة المرتدين (٦٩٢٩)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٩٢)، وابن ماجه في الفتن (٤٠٢٥)، وأحمد ١/ ٣٨٠ (٣٦١١) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.
- (٢) أخرجه البخاري في بدء الخلق (٣٢٣١)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٩٥) من حديث عائشة ﷺ.
- (٣) أخرجه البخاري في الجهاد والسير (٢٩١٠)، وفي المغازي (٤١٣٥، ٤١٣٦، ٤١٣٩)، ومسلم في صلاة المسافرين (٨٤٣)، وأبو داود في الطهارة (١٩٨)، وأحمد ٣/ ٣٦٤ (١٤٩٢٨) من حديث جابر ﷺ.
- (٤) أخرجه مسلم في الجهاد والسير (١٨٠٨)، وأحمد ٣/ ١٢٢ (١٢٢٢٧) من حديث أنس ﷺ.

[الشورى: ٤٠]، فلا أحد يقدر قدر أجره إلا من تكفل به، وهو الله ﷻ، كما قال تعالى في الصوم: «الصوم لي وأنا أجزي به»^(١).

وامتدح ﷻ من صبر وغفر بأنه من أهل عزائم الأمور، فقال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]؛ وذلك لأنه جمع بين الصبر والعفو والستر. ورغب ﷻ بالعفو، وبيّن أنه أقرب للتقوى، فقال ﷻ: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

ورتب ﷻ على العفو والصفح المغفرة والرحمة، فقال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَأِنْ تَعَفُّواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

ورغب ﷻ بدفع السيئة بالحسنة مبيناً أثرها العظيم في جعل العدو صديقاً، وأنه لا يلقاها إلا أهل الصبر والحظ العظيم، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٣٤) وما يلقونها إلا الذين صبروا وما يلقونها إلا ذو حظٍ عظيمٍ ﴿ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

وقال ﷻ: «ما نقص مال من صدقة، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفّعه الله»^(٢).

وعن ابن عباس ﷻ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يومُ القيامة نادى منادٍ يقول: أين العافون عن الناس؟ هلّموا إلى ربكم وخذوا أجوركم، وحقّ على كل امرئٍ عفا أن يدخل

(١) أخرجه مالك في الصيام (١/٣١٠)، والبخاري في الصوم (١٩٠٤)، وفي التوحيد (٧٤٩٢)، ومسلم في الصيام (١١٥١)، والنسائي في الصيام (٢٢١٦-٢٢١٨)، والترمذي في الصوم (٧٦٤)، وابن ماجه في الصيام (١٦٣٨)، والدارمي ٢/٤٠ (١٧٧٠)، وأحمد ٢/٢٥٧ (٧٤٩٤) من حديث أبي هريرة ﷺ. وأخرجه النسائي في الموضوع السابق (٢٢١١) من حديث علي ﷺ. وفي (٢٢١٢) من حديث ابن مسعود ﷺ. وفي (٢٢١٣) من حديث أبي سعيد ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم في البر والصلة (٢٥٨٨)، والترمذي في البر والصلة (٢٠٢٩)، وأحمد ٢/٢٣٥ (٧٢٠٦)، والدارمي ١/٤٨٦ (١٦٧٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.

الجنة»^(١).

وعن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أخبرني بفواضل الأعمال، قال: «يا عقبه، صل من قطعك، وأعط من حرمك، وأعرض عن ظلمك»^(٢).

وفي الأثر: «من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه»^(٣).

قال الشاعر:

لما عفوت ولم أحقد على أحدٍ أرحت نفسي من همِّ العداوات^(٤)

فيا سعادة من وفقه الله تعالى للعتو والصفح والتسامح، ففضى حياته سليم القلب، منشرح الصدر، حسن المعشر، مرتاح البال.

ويا بشارته في الآخرة بما تكفل الله صلى الله عليه وسلم به من الفوز العظيم، والثواب الجزيل، والأجر الكريم لمن عفا بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

فليجعل كلُّ منا العفو والصفح والتسامح ديدنه وشعاره، وليحذر كل الحذر من نزغات الشيطان، ومن النفس الأمارة بالسوء، ومن الحرج، وضيق الخلق، ومن فظاظة القلب وقساوته؛ فإن أبعد الناس من الله صلى الله عليه وسلم القلب القاسي.

وليسأل كلُّ منا ربه على الدوام أن يجازيه عما له من حقوق على إخوانه المسلمين من

(١) أخرجه ابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال» (٥١٩)، وأبو الشيخ في «الثواب» كما في «الجامع الكبير» للسيوطي (٢٧٠١)، و«كنز العمال» للمتقي الهندي (٧٠١٥).

(٢) أخرجه أحمد ٤/١٤٨، ١٥٨، (١٧٣٣٤، ١٧٤٥٢)، والطبراني في «الكبير» ١٧/٢٦٩ - ٢٧٠ (٧٣٩)، (٧٤٠). قال الهيثمي في «المجمع» (١٨٨/٨): «رواه أحمد والطبراني، وأحد إسنادي أحمد رجاله ثقات». وصححه الألباني في «الصحيحه» (٨٩١).

(٣) أخرجه نعيم بن حماد في روايته «الزهد والرفائق» لابن المبارك (١٠/٢) عن أبي رضي الله عنه بلفظ: «ما ترك عبد شيئاً لا يتركه إلا لله إلا آتاه الله مما هو خير منه من حيث لا يحتسب». قال العجلوني في «كشف الخفاء»

(٢٤٢٨): «قال في «الدرر»: «رواه أحمد [٧٨/٥، ٧٩، ٧٧٣٩، ٢٠٧٤٦] عن بعض أصحابه مرفوعاً

بلفظ: «إنك لا تدع شيئاً اتقاء لله؛ إلا أعطاك خيراً منه».

(٤) البيت للشافعي. انظر: «روض الأخيار، المنتخب من ربيع الأبرار» ص (١٧٧).

قريب أو بعيد، وأن يعفو عنهم، كما يسأل ربه أن يجازي من فضله ﷺ من لهم عليه حقوق، وأن يعفو عنه ويتجاوز، فضله ﷺ واسع، وعفوه عظيم.

وشتان شتان بين من يرد غداً على أكرم الأكرمين، وأجود الأجودين، ذي الفضل العظيم، فيوفيه أجره بغير حساب، وبين من يرد على الناس الضعفاء الفقراء المساكين من أقاربه وجيرانه وإخوانه المسلمين؛ ليقترض منهم، وربما اقتصر من أقرب الأقربين إليه؛ من أمه وأبيه، وزوجه وولده وغيرهم، بسبب حرجه وشح نفسه.

فارفع رأسك أخي الكريم وأختي الكريمة، بطلب معالي الأمور، واجعل العفو والصفح والتسامح ديدنك؛ ابتغاء ما عند الله تعالى، تُوفِّق في دينك وتسعد في دنياك، وتجنّي بذلك عند لقاء الله عظيم الأجر.

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعِزْمِ تَأْتِي الْعِزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
وَتَكْبُرُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعِظَائِمُ^(١)

الوقفه الثانية في: فضل الحلم، وكظم الغيظ

الحلم^(٢)؛ بكسر الحاء: ترك المعاجلة في العقوبة، والرفق والتثبت والأناة. والغيظ: الغضب الشديد، وكظمه: حبسه، وهو من أعظم آثار الحلم. والحلم من أفضل الصفات وأعظمها وأجلها وأكملها، وقد سمي الله ﷺ نفسه به (الحليم) ووصف نفسه بالحلم في آيات كثيرة من كتابه الكريم.

قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ﴾

(١) البيتان للمتنبي، انظر: «ديوانه» (٢/ ٢٧٢).

(٢) انظر: «لسان العرب» مادة «حلم».

[البقرة: ٢٦٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤، وفاطر: ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].

فالحلم من أجل صفات الله ﷻ وأعظمها، و(الحليم) من أعظم أسمائه ﷻ؛ أي: الذي لا يعاجل من عصاه بالعقوبة.

قال ابن القيم^(١):

وهو الحليمٌ فلا يُعاجِلُ عبدهُ بعقوبةٍ؛ ليتوبَ من عِصيانِ وقد وصفَ ﷻ بالحلم خليله إبراهيم ﷺ فقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥].

وكان نبينا محمد ﷺ من أشد الناس حلماً، كما تقدم في الكلام على صفة العفو. فلقد لقي من قومه من التكذيب والأذى ما لم يلقه نبي قبله من الأنبياء، وكان مع ذلك صلوات الله وسلامه عليه يقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

وأبى على ملك الجبال أن يطبق على أهل مكة الأخشيين، وقال: «بل أرجو أن يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا يَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، ولما دخل مكة فاتحاً عفا عن أهلها. فالحلم وكظم الغيظ من أنبل وأجل وأفضل الصفات، قال تعالى في مدح المتقين: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]؛ أي: الذين يجبسون الغيظ، وهو الغضب، كما قال تعالى في وصف المؤمنين المتوكلين: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧].

وقال ﷻ لأشج عبد القيس: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يَجْبِهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ»^(٢)؛ والأناة:

(١) «النونية» (ص ١٤٨).

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان (١٧)، والترمذي في البر والصلة (٢٠١١) من حديث ابن عباس ﷺ. وأخرجه

التأني في الأمور، والتثبت والرفق والتؤدة.

قال الشاعر:

الرفق يُمنُّ والأناةُ سعادةٌ^(١)

وقال رجل: يا رسول الله، أوصني، قال: «لا تغضب»، قال: أوصني، قال: «لا تغضب»، قال: أوصني، قال: «لا تغضب»^(٢).

وقال ﷺ: «الغضب جمرَةٌ من جمرِ جهنم يُوقدُها الشيطانُ في قلبِ ابنِ آدمٍ»^(٣).
وقال ﷺ: «إن الله رفيقٌ يحب الرفق في الأمر كله، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يُعطي على ما سواه»^(٤).

وقال ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيءٍ إلا زانه، ولا يُنزع من شيءٍ إلا شانه»^(٥).
وقد قيل: «في التأني السلامة، وفي العجلة الندامة»^(٦).
والحلم إنما يُمدح ويُستحق في مكانه المناسب؛ كما قال ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»^(٧).

مسلم في الموضوع السابق (١٨) من حديث أبي سعيد ﷺ.

- (١) انظر: «لسان العرب»، مادة «أني».
- (٢) أخرجه البخاري في الأدب (٦١١٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.
- (٣) أخرجه الترمذي في الفتن (٢١٩١)، وأحمد ١٩/٣، ٦١ (١١٤٣)، ١١٥٨٧ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ بلفظ: «الغضب جمرَةٌ توقد في جوف ابن آدم». قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».
- (٤) أخرجه البخاري في الاستئذان (٦٢٥٦)، ومسلم في البر (٢٥٩٣)، وابن ماجه في الأدب (٣٦٨٩) من حديث عائشة ﷺ. وأخرجه أبو داود في الأدب (٤٨٠٧)، وأحمد ٨٧/٤ (١٦٨٠٢) من حديث عبد الله بن مغفل ﷺ. وأخرجه مالك في الاستئذان (٩٧٩/٢) من حديث خالد بن معدان ﷺ. وأخرجه ابن ماجه في الموضوع السابق (٣٦٨٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.
- (٥) أخرجه مسلم في البر (٢٥٩٤)، وأبو داود في الجهاد (٢٤٧٨)، من حديث عائشة ﷺ.
- (٦) انظر: «فتح ذي الجلال والإكرام، بشرح بلوغ المرام» للشيخ ابن عثيمين (٤١١/٦)، و«معجم اللغة العربية المعاصرة» للدكتور أحمد مختار عمر (١٠٥٩/٢).
- (٧) أخرجه مالك في حسن الخلق (٩٠٦/٢)، والبخاري في الأدب (٦١١٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٠٩)، وأحمد ٢٣٦/٢ (٧٢١٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

ورأى ﷺ رجلاً قد انتفخت أوداجه من شدة الغضب، فقال ﷺ: «إني أعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»^(١).

قال النابغة الجعدي^(٢):

ولا خير في حلمٍ إذا لم تكن له بوادٍ تحمي صفوه أن يُكدرًا
ولا خير في جهلٍ إذا لم يكن له حلِيمٌ إذا ما أوردَ الأمرَ أضدرًا
وقال الآخر:

حلِيمٌ إذا ما الحلمُ زَيْنَ أهله معَ الحلمِ في عينِ العدوِّ مهيبٌ^(٣)
فلنأخذ بالحلم والعفو فعاقبتهما الحسنى، والأجر العظيم والنجاة، ولنحذر كل الحذر من الغيظ والغضب، فعاقبتهما الندامة، والإثم الكبير، والهلاك.



(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق (٣٢٨٢)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٦١٠) من حديث سليمان بن صُردٍ ﷺ. وأخرجه أبو داود في الأدب (٤٧٨٠)، والترمذي في الدعوات (٣٤٥٢) من حديث معاذ بن جبل ﷺ.

(٢) انظر: «ديوانه» ص (٦٩)، و«الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ٢٨٠).

(٣) البيت لمحمد بن كعب الغنوي. انظر: «جمهرة أشعار العرب» (ص ٥٦٠)، أو لكعب بن سعد. انظر: «ديوان المعاني» (٢/ ١٧٨).

وقفه في: حل عقدة المؤامرة

قال الله تعالى: ﴿أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أِنَّا هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل

عمران: ١٦٥]

في هذه الآية حل لعقدة المؤامرة التي يبرر بها كثير من المسلمين في العالم الإسلامي كله سبب ضعفهم وتحاذلهم وتحلفهم عن ركب الحضارة، ويلقون فيها التبعة في ذلك على غيرهم من أعداء الإسلام.

وفيه بيان أن ما أصاب المسلمين وما يصيبهم إنما هو بسبب أنفسهم؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿أَن تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [القصص: ٤٧].

فأعداء الإسلام منذ بزغت شمس الإسلام لا يألون جهداً في الكيد له، ومحاولة النيل منه، ومن أهله، ولا يتوقع منهم غير هذا، وأسوأ منه؛ إذ لا يُجنى من الشوك العنب.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه:

أين المسلمون الذين يتجاوز عددهم ملياراً ونصفاً؟

إن مصيبة الأمة على ضوء الآية الكريمة تتمثل في تخلي كثير من المسلمين عن مواقعهم، وعن مسؤولياتهم التي سيُسألون عنها أمام الله ﷻ؛ في ولاياتهم الكبيرة والصغيرة، وفي بيوتهم ومساجدهم وأعمالهم وأسواقهم وغير ذلك، وعدم قيامهم بها كما ينبغي، وبهذا صار كثير من المسلمين على اختلاف مواقعهم هم السبب الأول في ضعف الأمة، وتحلفها بين الأمم!

إن الأعداء مهما تكالبوا على الأمة، وأجلبوا عليها بخيلهم ورجلهم، لا يستطيعون

النيل منها حين تصدق مع الله ﷻ، وتعتصم بحبله، ويؤدي كل فرد فيها مسؤوليته؛ حاكمًا كان أو مسؤولًا، أو والدًا، أو قاضيًا، أو معلمًا، أو إمامًا، أو مؤذنًا، أو موظفًا، أو تاجرًا، أو غير ذلك.

قال تعالى: ﴿لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذَىٰ وَإِنْ يَقْتُلُوكُمْ يُؤْتِكُمُ الْآدَاءَ بَارِئًا لَّمْ لَا يُضِرُّوكُمْ﴾ [آل عمران: ١١١]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ لَا تَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].

فإذا صلحت الأمة وصدقت مع الله ﷻ ما ضرها نباح الكلاب، فالكلاب تنبح والقافلة تسير بتوفيق الله ﷻ وعونه.

لكن إذا ضعف سير القافلة أو توقفت، نهشتها الكلاب ونالت منها.

وهذا يحتّم ويوجب على كل فرد من أفراد الأمة أيًا كان موقعه أن يستشعر عظم مسؤوليته أمام الله ﷻ، وأن يقوم بها خير قيام، وأن يعلم؛ كما قال الأوزاعي ﷺ: «لِيَعْلَمَ كُلُّ مِنْكُمْ أَنَّهُ عَلَى ثَغْرٍ مِنْ ثُغُورِ الْإِسْلَامِ، فَاللَّهُ، اللَّهُ، أَنْ يُؤْتَى الْإِسْلَامُ مِنْ قِبَلِهِ»^(١)!

علينا أن نصدّق مع الله ﷻ، ونوجه جهودنا وعملنا لإصلاح المجتمع، وإصلاح بيوتنا ومساجدنا وأسواقنا وأعمالنا ومؤسساتنا، وغير ذلك.

فهذا هو الذي به نجاتنا، وصلاح مجتمعاتنا، والذي سيحاسبنا الله تعالى عليه يوم القيامة.

علينا ألا ننشغل بتضخيم المؤامرة والترويج لكيد الأعداء، فنفت في عضد الأمة بإظهار باطلهم، فكيدهم ضعيف لو صدقنا مع الله ﷻ؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

وقد قصدت في هذه الوقفة القصيرة التنبيه على أمرين، كل منهما في غاية الأهمية، وكل منهما أهم من الآخر:

الأمر الأول: أن كل فرد من أفراد الأمة عليه مسؤولية، أيًا كان موقعه، فيجب عليه

(١) أخرجه محمد بن نصر المروزي في السنة (٢٩).

تحمل مسؤوليته أمام الله ﷻ.

الأمر الثاني: أنه لا أحد يستطيع أن يبرر لنفسه السلامة من التبعة، وعدم المسؤولية عما أصاب الأمة من الضعف والتخلف عن ركب الحضارة.

راجياً من الله العلي القدير أن يوفق كل فرد من المسلمين لأخذ دوره في الأمة، والقيام بمسؤوليته؛ ليعود للأمة عزها وكرامتها وتأخذ مكانتها بين الأمم، وما ذلك على الله بعزيز!



وقفة في: أعظم الأمانات: النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]

عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»^(١).

قال النووي رحمته الله في «شرح صحيح مسلم»: «هذا الحديث عظيم، عليه مدار الإسلام»^(٢).

ومعنى: «الدين النصيحة»: أن عماد الدين وقوامه النصيحة.

والنصيحة: إرادة الخير للمنصوح له. والنصيحة: هي الدين كله؛ لأن الدين يشمل الإسلام والإيمان والإحسان، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في آخر حديث جبريل عليه السلام الذي بين فيه الإيمان والإسلام والإحسان، قال: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم»^(٣).

فالنصيحة لله تعالى: شهادة أنه لا إله إلا الله، والإيمان به؛ أي: بوجوده، وبربوبيته وألوهيته، وأسمائه وصفاته، وشرعه، وعبادته وحده لا شريك له، وتنزيهه من جميع النقائص، وصرف جميع أنواع العبادة له تعالى وحده؛ من المحبة والتعظيم والخوف

(١) أخرجه مسلم في الإيمان (٥٥)، وأبو داود في الأدب (٤٩٤٤)، والنسائي في البيعة (٤١٩٧) من حديث تميم الداري رضي الله عنه. وأخرجه النسائي في الموضوع السابق (٤١٩٩)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «المنهاج، شرح صحيح مسلم بن الحجاج» (٣٧/٢).

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان (٨)، وأبو داود في السنة (٤٦٩٥)، وأحمد ٢٧/١ (١٨٤) من حديث ابن عمر عن عمر رضي الله عنه. وأخرجه النسائي في المواقيت (٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والرجاء، والتوكل والاستعانة، وغير ذلك، وتقواه بفعل أوامره وطاعته، واجتناب نواهيه، والحذر من معصيته، والاعتراف بنعمه وشكره عليها، والدعوة إليه ﷺ، وإلى دينه، وشرعه، وصراطه المستقيم.

قال الخطابي في «معالم السنن»: «و حقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد في نصحه لنفسه، فالله تعالى غني عن نصح الناصحين».

وأما النصيحة لكتاب الله تعالى: فهي الإيمان بأنه كلام الله تعالى، منزل من عند الله تعالى، غير مخلوق، معجز بأقصر سورة منه، ليس بمقدور الخلق الإتيان بمثله ولا بعشر سور من مثله، ولا بسورة من مثله، وتعظيمه وتلاوته، وتعلمه وتعليمه، والتصديق بأخباره، والعمل بأحكامه، والاهتداء بما فيه من الهدى والنور، والاعتبار بمواعظه، والدعوة إليه، والذب والدفاع عنه من تأويل الجاهلين، وتحريف المبطلين، وشبهات الطاعنين والمكذبين.

وأما النصيحة لرسوله ﷺ: فهي شهادة أنه رسول الله حقاً، وتعظيمه وتوقيره ومحبته، واتباع سنته، والإيمان بكل ما جاء به، وطاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع، والذب والدفاع عنه ﷺ، وتعلم سنته وتعليمها ونشرها، والدعوة إليها، والدفاع عنها؛ قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١].

وأما النصيحة لأئمة المسلمين: فطاعتهم بالمعروف، ومعونتهم على الحق، ودعوتهم إليه بالتي هي أحسن وحثهم عليه، وتذكيرهم به، وتنبههم بما خفي عليهم من أحوال الرعية، وتأليف قلوب الناس على طاعتهم، والتحذير من الخروج عليهم، والدعاء لهم بالتوفيق والهداية والصلاح، وإكرامهم وتوقيرهم واحترامهم.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا، وَأَنْ تَنَاصِحُوا مَنْ

ولاه الله أمركم» (١).

وقال ﷺ: «ثلاث لا يُغَلُّ عليهنَّ قلبُ مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة وُلاة الأُمَر، ولُزوم جماعة المسلمين» (٢).

سئل ابن عباسٍ ﷺ عن أمر السلطان بالمعروف، ونهيه عن المنكر، فقال: «إن كنت فاعلاً ولا بد، ففيما بينك وبينه» (٣).

وأما النصيحة لعامة المسلمين، وهم من عدا وُلاة الأُمَر: فأداء حقوقهم، ومحبتهم، والشفقة عليهم، وحب الخير لهم كما يحبه المرء لنفسه، وكرهته لهم ما يكرهه لنفسه، وإرشادهم إلى مصالح دينهم ودنياهم وأخراهم، وأمرهم بالمعروف ونهيه عن المنكر، وترغيبهم في الخير، وسد خَلَّاتهم، وستر عوراتهم، ورفع الظلم عنهم، والحذر من أذيتهم وحسدهم وسوء الظن بهم، أو غشهم، ونحو ذلك، وقد قال ﷺ: «مَنْ غَشَنَا فَلَيْسَ مِنَّا» (٤).

سئل ابن المبارك ﷺ: أيُّ العمل أفضل؟ قال: «النصح لله» (٥).

وقال الفضيل بن عياض ﷺ: «لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صيامٍ ولا صلاة، وإنما أدرك عندنا بسخاء النفس، وسلامة الصدر، والنصح للأمة» (٦).

والنصيحة هي منهج الرسل عليهم الصلاة والسلام مع أممهم، من لَدُن نوحٍ ﷺ

(١) أخرجه مسلم في الأفضية (١٧١٥)، وأحمد ٢/٣٦٧ (١٧٩٩).

(٢) أخرجه الترمذي في العلم (٢٦٥٨) من حديث ابن مسعود ﷺ. وأخرجه ابن ماجه في المقدمة (٢٣٠)، وابن حبان ٢/٤٥٤ (٦٨٠) من حديث زيد بن ثابت ﷺ. وأخرجه ابن ماجه في المناسك (٣٠٥٦) من حديث جُبَيْر بن مطعمٍ ﷺ. وأخرجه أحمد ٣/٢٢٥ (١٣٣٥٠) من حديث أنسٍ ﷺ. وصححه الألباني في «التعليقات الحسان» (٦٧٩)، وفي «صحيح الجامع» (٢٣٠٩).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٢١/١١٩ (٣٨٤٦٢)، وسعيد بن منصور في التفسير من «السنن» ٤/١٦٥٧ (٧٤٦).

(٤) أخرجه مسلم في الإيمان (١٠١)، والترمذي في البيوع (١٣١٥)، وأحمد ٢/٤١٧ (٩٣٩٦) من حديث أبي هريرةٍ ﷺ.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (٧١)، وفي «العقوبات» (٣٧).

(٦) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/١٠٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» ٧/٤٣٩ (١٠٨٩١).

إلى نبينا محمد ﷺ .

قال نوح ﷺ لقومه: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَصْحُكُمْ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٦٢].

وقال هود ﷺ لقومه: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨].

وقال صالح ﷺ: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا

تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ﴾ [الأعراف: ٧٩].

وكان نبينا صلوات الله وسلامه عليه أعظم الأنبياء نصيحًا لأمته، وأشفقهم وأشدهم حرصًا على هدايتهم، كما وصفه الله ﷻ بقوله: ﴿الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]؛ أي: أنصح لهم وأشفق عليهم من أنفسهم؛ ولهذا كادت نفسه أن تذهب على من لم يؤمن منهم حسرات، حتى نهاه الله تعالى بقوله: ﴿فَلَا تَذَهَبْ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ [فاطر: ٨]، وقال: ﴿لَعَلَّكَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ تَلْمِزُكَ لِيَوْمٍ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣].

وإذا كان الدين هو النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، والنصيحة في ذلك كله هي الدين، وهي أفضل الأعمال، ومنهج الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم - كانت النصيحة من أوجب الواجبات وأهمها، وأعظم أسباب التوفيق والسعادة والنجاة في الدنيا والآخرة.

فتأمل أخي الكريم، وأختي الكريمة:

أين نحن من النصيحة لله تعالى؟

وأين نحن من النصيحة لكتابه العزيز؟

وأين نحن من النصيحة لرسوله ﷺ؟

وأين نحن من النصيحة لأئمة المسلمين؟

وأين نحن من النصيحة لعامة المسلمين؟

وأين نحن من حمل هم الأمة والنهوض بها، وإصلاح المجتمع؟

إن كثيرًا من المسلمين اليوم لا يعنيه أمر النصح لله ولا لكتابه ولا لرسوله، ولا

لأئمة المسلمين وعامتهم، وإنما هممه نفسه فقط، والركض وراء الدنيا وحفظ النفس الفانية وشهواتها.

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «بايعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»^(١).

الله أكبر.. «النصح لكل مسلم»!

وقال رضي الله عنه في حديث معقل بن يسار رضي الله عنه: «ما من والٍ يلي رعيةً من المسلمين، فيموت وهو غاشٌّ لهم، إلا حَرَّمَ اللهُ عليه الجنة»^(٢).

وفي رواية: «ما من عبدٍ يسترعيه اللهُ رعيةً، يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته، إلا حَرَّمَ اللهُ عليه الجنة»^(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته؛ فالأمير الذي على الناسٍ راعٍ، وهو مسؤولٌ عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته، وهو مسؤولٌ عنهم، والمرأة راعيةٌ على بيتِ بعلها وولده، وهي مسؤولَةٌ عنهم، والعبد راعٍ على مال سيده، وهو مسؤولٌ عنه، ألا فكلُّكم راعٍ، وكلكم مسؤولٌ عن رعيته»^(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حق المسلم على المسلم ستٌّ»، وذكر منها: «وإذا استنصحتك فانصَحْ له»^(٥)؛ أي: إذا طلب منك النصيحة والمشورة فانصحه؛ أي: فابدُلْ له محض النصيحة وخالصها.

قال عمر بن الخطاب: «لا خير في قوم ليسوا بناصرين، ولا خير في قوم لا يحبون النصح»^(٦).

(١) سبق تخريجه. (٢) أخرجه البخاري في الأحكام (٧١٥١).

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان (١٤٢).

(٤) أخرجه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمامة (١٨٢٩)، وأبو داود في الخراج والإمارة (٢٩٢٨)، والترمذي في الجهاد (١٧٠٥)، وأحمد ٥٤، ٥ / ٢ (٥١٦٧، ٤٤٩٥).

(٥) أخرجه مسلم في السلام (٢١٦٢)، وأحمد ٣٧٢ / ٢ (٨٨٤٥).

(٦) انظر: «الاستقامة» لابن تيمية (ص ١٤٨).

فانظر أخي المسلم وأختي المسلمة في هذا، وتأمل فيه غاية التأمل، واعلم أنك لن تنجو من كرب الدنيا وشدائد الآخرة إلا بالنصح لله تعالى، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم.

قال الأوزاعي رضي الله عنه: «لِيَعْلَمَ كُلُّ مَنْكُم أَنَّهُ عَلَى ثَغْرِ مِنْ ثُغُورِ الْإِسْلَامِ، فَاللَّهُ، وَاللَّهُ، أَنْ يُؤْتَى الْإِسْلَامُ مِنْ قِبَلِهِ»^(١).

ولما حضرت أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه الوفاة، في الطاعون الذي وقع في الشام، ومات منه خلق كثير، وكان والياً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه على الشام، أوصى جنده فقال: «إني موصيكم بوصية إن قبلتموها لن تزالوا بخير: أقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا شهر رمضان، وتصدقوا، وحجوا، واعتمروا، وتواصوا بالحق، وانصحو لأمرائكم، ولا تغشوهم، ولا تلهيكم الدنيا؛ فإن المرء لو عمّر ألفَ حولٍ ما كان له بُدٌّ من أن يصيرَ إلى مصرعي هذا الذي ترون... إن الله كتب الموت على بني آدم، فهم ميتون، وأكيسهم أطوعهم لربه، وأعملهم ليوم معاده... والسلام عليكم ورحمة الله»^(٢).

فكن أخي مباركاً أينما كنت، وقدم النصح والخير والإحسان لإخوانك المسلمين بالقول والفعل والبذل؛ بنصيحة، أو هدية، أو مساعدة، أو كلمة طيبة، أينما كنت، ومع من لقيت.

يُدُّ الْمَعْرُوفِ خَيْرٌ حَيْثُ كَانَتْ تَلَقَّفَهَا كَفُورٌ أَمْ شَكُورٌ
فَفِي شُكْرِ الشُّكُورِ لَهَا جِزَاءٌ وَعِنْدَ اللَّهِ مَا كَفَرَ الْكُفُورُ^(٣)
وكن كالنخلة في بركتها وكثرة ثمرها وخيرها وعطائها ونفعها.

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: «الإصابة» ٢/ ٢٥٢ ترجمة (٤٤٠٠)، و«حلية الأولياء»، ١/ ١٠٠، و«تاريخ ابن عساکر» ٧/ ١٥٧، و«صفة الصفوة» ١/ ١٢٤، و«أشهر مشاهير الإسلام» ص ٥٠٤، و«الرياض النضرة» ص ٣٠٧.

(٣) البيتان لابن المبارك. انظر: «ديوانه» ص (١٣٩)، و«اصطناع المعروف» لابن أبي الدنيا (٤٦)، و«بهجة المجالس» ص (٦٥). أو لابن عائشة. انظر: «المحاسن والأضداد» للجاحظ ص (٢٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» (٥/ ٣٨٤).

تقرب إلى الله ﷻ بمحبة إخوانك المسلمين، ومحبة الخير لهم، قال ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، ألا أدلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟! أفشوا السلام بينكم»^(١).

وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه»^(٢).

اغسل قلبك من الحسد، والعداوة والبغضاء، والغِلِّ والحقد على أحدٍ من إخوانك المسلمين.

قال الشاعر:

لا يَحْمِلُ الحَقْدَ مَنْ تَعَلَّوْهُ بِهِ الرَّتْبُ ولا يَنالُ الرِّضَا مَنْ طَبَعَهُ الغَضْبُ^(٣)

كن مبتسماً بشوشاً مع إخوانك المسلمين، وأحسن الظن بهم، وتعامل معهم بأخلاق أهل الجنة، تكن من أهلها بإذن الله تعالى.



(١) أخرجه مسلم في الإيمان (٥٤)، وأبو داود في الأدب (٥١٩٣)، والترمذي في الاستئذان والآداب (٢٦٨٨)، وابن ماجه في المقدمة (٦٨) من حديث أبي هريرة ﷺ. وأخرجه الترمذي في صفة الجنة والقيامة والورع (٢٥١٠) من حديث الزبير بن العوام ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان (١٣)، ومسلم في الإيمان (٤٥)، والنسائي في الإيمان وشرائعه (٥٠١٦، ٥٠١٧)، والترمذي في صفة القيامة والرفائق والورع (٢٥١٥)، وابن ماجه في المقدمة (٦٦) من حديث أنس ﷺ.

(٣) البيت لعنترة بن شداد. انظر: «ديوانه» ص (١٠).

ثلاث وقفات في: صلاة الجماعة

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْفُخَ طَافِكَةً مِنْهُمْ مَعَكَ﴾ [النساء: ١٠٢]

الوقفة الأولى في:

بيان وجوب صلاة الجماعة

صلاة الجماعة في المساجد مع المسلمين بالنسبة للرجال واجبة، بل إنها من أوجب واجبات الصلاة، وأكدها، بل ذهب بعض العلماء إلى أن الجماعة شرط لصحة الصلاة^(١)، فإن تركها من غير عذرٍ لم تُقبَلْ صلاته. وقد دل الكتاب والسنة القولية، والفعلية الثابتة عن النبي ﷺ، والإجماع على وجوبها^(٢).

ومن الأدلة على ذلك:

﴿قوله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْفُخَ طَافِكَةً مِنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَافِكَةً أُخْرَى لَمْ يَصَلُّوا فليصلوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢].

فأمر ﷺ نبيه ﷺ في حال الحرب والخوف أن يصلي بأصحابه جماعة، ولو كانت صلاة الجماعة غير واجبة لكان لهم مندوحة أن يصلوا فرادى في هذه الحال.

(١) انظر: «المحلى» (٤/٢٦٥)، و«المجموع» (٤/٧٧)، و«مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٣/٣٣٣)، و«كتاب الصلاة» لابن القيم (ص ٤٦٠)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٣/١٩٩)، و«صلاة الجماعة» للسدلان (٦٤-٦٥).

(٢) انظر: «الصلاة وحكم تاركها» لابن القيم (ص ٨٢، ٨٣).

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمته الله (١): «فأوجب سبحانه أداء الصلاة في الجماعة في حال الحرب، فكيف بحال السلم؟! ولو كان أحد يُسَمَّحُ في ترك الصلاة في جماعة، لكان المُصَافُونَ للعدو، والمهدِّدون بهجومه عليهم، أولى بأن يُسَمَّحَ لهم في ترك الجماعة، فلما لم يقع ذلك عُلم أن أداء الصلاة في جماعةٍ من أهم الواجبات، وأنه لا يجوز لأحدٍ التخلف عن ذلك».

❖ قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، والأمر للوجوب. قال ابن باز رحمته الله (٢): «وهذه الآية الكريمة نصٌّ في وجوب صلاة الجماعة، والمشاركة للمصلين في صلاتهم، ولو كان المقصود إقامتها فقط لم تظهر مناسبة واضحة في ختم الآية بقوله سبحانه: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾؛ لكونه قد أمر بإقامتها في أول الآية».

❖ قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، والأمر هنا كذلك للوجوب.

❖ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَبَسَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفُهُمْ ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ﴾ [القلم: ٤١، ٤٢].

قال ابن القيم (٣): «ووجه الاستدلال بها أنه سبحانه عاقبهم يوم القيامة بأن حال بينهم وبين السجود، لما دعاهم إلى السجود في الدنيا فأبوا أن يجيبوا الداعي، إذا ثبت هذا فإجابة الداعي هي إتيان المسجد بحضور الجماعة، لا فعلها في بيته وحده، فهكذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الإجابة. وقد قال غير واحد من السلف في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ﴾، قال: هو قول المؤذن: «حيَّ على الصلاة، حي على الفلاح».

❖ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً أعمى أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إنه ليس لي قائد يلائمني إلى المسجد، فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ فقال له النبي

(١) في كتابه: «رسالتان في الصلاة» (ص ١٣).

(٢) في كتابه: «رسالتان في الصلاة» (ص ١٣).

(٣) في كتاب: «الصلاة وحكم تاركها» (ص ٧٢-٧٣).

ﷺ: «هل تسمع النداء بالصلاة؟» قال: نعم. قال: «فأجب»^(١). وفي رواية: «لا أجد لك رخصة»^(٢).

❖ وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لقد هممتُ أن أمر بحطّ فيحطب، ثم أمر بالصلاة فيؤذّن لها، ثم أمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم، والذي نفسي بيده لو يعلم أحدُهم أنه يجد عرقاً سمياً، أو مرامتين^(٣) حسنتين، لشهد العشاء»^(٤). وفي رواية: «... ثم أنطلق برجالٍ معهم حُزْمٌ من حطبٍ إلى قومٍ لا يشهدون الصلاة، فأحرق عليهم بيوتهم»^(٥).

❖ أن ترك صلاة الجماعة، والتساهل فيها من صفات المنافقين، كما قال تعالى في وصفهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أثقل صلاةٍ على المنافقين صلاةُ العشاء، وصلاةُ الفجر، ولو يعلمون ما فيها لأتوهما ولو حبواً، ولقد هممتُ أن أمر بالصلاة فتقام، ثم أمر رجلاً فيصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجالٍ معهم حُزْمٌ من حطبٍ إلى قومٍ لا يشهدون الصلاة، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار»^(٦).

-
- (١) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٥٣)، والنسائي في الإمامة (٨٥٠).
(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة (٥٥٢)، والحاكم (٢٤٧/١) وسكت عنها، من حديث ابن أم مكتوم ﷺ.
وصححها الألباني في «صحيح أبي داود» (٥٦١).
(٣) العرق: العظم الذي أخذ منه معظم اللحم، والمِرْمَاة: ظلف الشاة، وقيل: ما بين ظلفيها. وهذا كناية عن قوة همتهم في طلب الدنيا، دون ما عند الله من الأجر والثواب.
(٤) أخرجه مالك في صلاة الجماعة (١/١٢٩)، والبخاري في الأذان (٦٤٤)، والنسائي في الإمامة (٨٤٨)، والدارمي في الصلاة (١/٢٩٨)، وأحمد (٢/٢٤٤) (٧٣٢٨).
(٥) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٥١)، وأبو داود في الصلاة (٥٤٨)، وابن ماجه في المساجد والجماعات (٧٩١)، وأحمد (٢/٤٢٤) (٩٤٨٦).
(٦) أخرجه البخاري في الأذان (٦٥٧)، ومسلم في المساجد (٦٥١)، وابن ماجه في المساجد والجماعات

وعلامات المنافقين لا تكون إلا بترك واجب، أو ارتكاب محرّم.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: «لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة إلا منافقٌ علم نفاقه، أو مريض، وإن كان المريض ليمشي بين الرجلين حتى يأتي الصلاة»^(١).

❖ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسَلِّمًا، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث يُنادي بهن، فإن الله شرع لنيبكم رضي الله عنه سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته، لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعمد إلى مسجدٍ من هذه المساجد، إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنةً، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئةً، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يُقام في الصف»^(٢).

وعنه رضي الله عنه قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا سنن الهدى، وإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه»^(٣).

❖ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كانوا ثلاثةً فليؤمّهم أحدُهم»^(٤).

❖ وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من ثلاثة نفرٍ في قرية، ولا بدو، لا يؤذّن، ولا تقام فيهم الصلاة، إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة،

(٧٩٧)، وأحمد ٤٢٤ / ٢ (٩٤٨٦).

(١) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٥٤)، وأبو داود في الصلاة (٥٥٠)، والنسائي في الإمامة (٨٤٩)، وابن ماجه في المساجد والجماعات (٧٧٧)، وأحمد ٤١٤ / ١ (٣٩٣٦).

(٢) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٥٤)، وأبو داود في الصلاة (٥٥٠)، والنسائي في الإمامة (٨٤٩)، وابن ماجه في المساجد والجماعات (٧٧٧)، وأحمد ٣٨٢ / ١ (٣٦٢٣).

(٣) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٥٤).

(٤) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٧٢)، والنسائي في الإمامة (٧٨٢، ٨٤٠)، وأحمد ٢٤ / ٣ (١١١٩٠).

فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»^(١).

❖ وعن مالك بن الحويرث رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال لهم: «ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم، وعلموهم، ومروهم، فإذا حَضَرَتِ الصلاةُ فليؤذَنُ لكم أحدكم، ثم ليؤمِّمكم أكبركم»^(٢).

❖ وعن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع النداء فلم يأتِه فلا صلاة له إلا من عذر»^(٣). قال الترمذي^(٤): «وقد رُوِيَ عن غير واحد من أصحاب النبي ﷺ أنهم قالوا: من سمع النداء، فلم يجب، فلا صلاة له. وقال بعض أهل العلم: هذا على التعليل والتشديد، ولا رخصة لأحدٍ في ترك الجماعة إلا من عذر».

❖ وعن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً الصبح، فقال: «أشاهدُ فلان؟» قالوا: لا. قال: «أشاهدُ فلان؟» قالوا: لا. قال: «إن هاتين الصلاتين أثقلُ الصلوات على المنافقين، ولو تعلمون ما فيها لأتيموهما ولو حبواً على الرُّكْب...»^(٥).

(١) أخرجه أحمد ١٩٦/٥ (٢١٧١٠)، والحاكم (٢١١/١) من طريق زائدة بن قدامة عن السائب بن حبيش الكَلَاعِي عن معدان بن أبي طلحة اليعمري عن أبي الدرداء. قال الحاكم: «هذا حديث صدوق رواه، شاهد لما تقدمه، متفق على الاحتجاج برواياته إلا السائب بن حبيش، وقد عُرف من مذهب زائدة أنه لا يحدث إلا عن الثقات». وحسن الألباني إسناده في «الثمر المستطاب» (١١٧/١).

(٢) أخرجه البخاري في الأذان (٦٢٨، ٦٣١)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٧٤)، والنسائي في الأذان (٦٣٥)، وأحمد ٤٣٦/٣ (١٥٥٩٨).

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة (٥٥١)، وابن ماجه في المساجد والجماعات (٧٩٣)، والدارقطني (٤٢٠/١)، وابن حبان ٤١٥/٥ (٢٠٦٤)، والحاكم (٢٤٥/١)، والبيهقي (٧٥/٣، ١٨٥). قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين». ووافقه الذهبي، قال الألباني في «الإرواء» (٢٤٥/١): «وهو كما قالوا». وضعف إسناده أبو داود في «ضعيف أبي داود» (٥٦٠)، و«الإرواء» (٥٥١).

(٤) في كتاب الصلاة، ما جاء فيمن يسمع النداء ولا يجيب، بعد حديث (٢١٧).

(٥) أخرجه أبو داود في الصلاة (٥٥٤)، والنسائي في الإمامة (٨٤٣)، وأحمد ١٤٠/٥ (٢١٢٦٥)، والدارمي ٣٢٦/١ (١٢٦٩)، وابن حبان ٤٠٥/٥ (٢٠٥٦). وحسنه الألباني في «صحيح أبي داود» (٥٦٣)، و«التعليقات الحسان» (٢٠٥٤).

وهذا يدل على وجوب الصلاة جماعةً من وجهين؛ الأول: تفقده ﷺ للمصلين، والثاني: وصفه المتخلفين عن الصلاة جماعةً بالمنافقين.

❖ وعن مجاهد، قال: سئل ابن عباس ﷺ عن رجل يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يشهد جمعةً ولا جماعة، فقال: «هو في النار»^(١).

❖ أن النبي ﷺ طول حياته داوم على صلاة الجماعة، وحافظ عليها، ولم يتركها لا حَضْرًا ولا سَفْرًا، وكان ﷺ يكون في حاجة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة^(٢). وهكذا كان الصحابة ﷺ من بعده، والتابعون، وتابعوهم، وهم القرون المفضَّلة، كما قال ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»^(٣).

❖ أن الله ﷻ قد أذن وأمر برفع المساجد، بينها وتشييدها حسيًّا، ورفعها بعمارتها معنويًّا بالصلاة، وذكر الله تعالى فيها، فقال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۗ رِجَالٌ ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

فلو كانت صلاة الجماعة غير واجبة، لما أمر ببناء المساجد، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۗ ﴾ [التوبة: ١٨].

فامتدح ﷻ عُمَّارَ المساجد بحصر الإيمان بالله، واليوم الآخر، وإقام الصلاة، وإيتاء

(١) أخرجه الترمذي في الصلاة (٢١٨)، وعبد الرزاق في «المصنف» ٥١٩ / ١ (١٩٨٩، ١٩٩٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» ١٩٩ / ٣ (٣٤٩٤)، ١٧١ / ٤ (٥٥٨٣).

وقال الشيخ أحمد شاکر في تعليقه عليه: «هذا إسناد صحيح، وهذا الحديث وإن كان موقوفًا ظاهرًا على ابن عباس، إلا أنه مرفوع حكماً؛ لأن مثل هذا مما لا يُعلم بالرأي، وليس من القصص ينقل عن أهل الكتاب وغيرهم، ولا يجزم ابن عباس في رجل يصوم النهار ويقوم الليل بأنه في النار إلا عن خبر عنده عن رسول الله ﷺ إن شاء الله».

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٦)، وأحمد في مسنده (٢٤٢٢٦).

(٣) أخرجه البخاري في الشهادات (٢٦٥٢)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٣٣)، والترمذي في المناقب (٣٨٥٩)، وابن ماجه في الأحكام (٢٣٦٢) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

وأخرجه البخاري في الشهادات (١٥٦٢)، ومسلم في فضائل الصحابة (٥٣٥٢)، وأبو داود في السنة (٧٥٦٤)، والنسائي في الأبيان والنذور (٩٠٨٣)، والترمذي في الفتن (١٢٢٢) من حديث عمران بن حصين ﷺ.

الزكاة، وخشية الله تعالى فيهم، وهذا يدل على عظم أمر صلاة الجماعة، ووجوبها؛ ولهذا قال ﷺ: «من بنى لله مسجدًا يتنغي به وجه الله، بنى الله له مثله في الجنة»^(١).

❁ إجماع الصحابة رضوان الله عليهم على وجوب صلاة الجماعة^(٢).

قال ابن هُبَيْرَةَ^(٣): «وأجمعوا على أن صلاة الجماعة مشروعة، وأنه يجب إظهارها في الناس، فإن امتنع من ذلك أهل بلد قوتلوا عليها».

إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة الدالة على وجوب صلاة الجماعة، وأنها فرض عين. وإنك لتعجب أن يذهب بعض أهل العلم ﷺ إلى خلاف ذلك مع كثرة أدلة وجوبها، ووضوحها، لكن العبرة بالدليل، واتباع الحق، لا بقول أحد غير النبي ﷺ من الخلق.

والحقيقة أنه ليس لدى القائلين بعدم وجوب صلاة الجماعة أي دليل؛ لا من الكتاب، ولا من السنة، ولا غير ذلك؛ لأن غاية ما استدلوا به على عدم وجوبها الأحاديث الواردة في المفاضلة بين صلاة الجماعة وصلاة الفرد^(٤)، كما في حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة»^(٥).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بخمس وعشرين درجة»^(٦).

(١) أخرجه البخاري في الصلاة (٤٥٠)، ومسلم في المساجد (٥٣٣)، والترمذي في الصلاة (٣١٨)، وابن ماجه في المساجد والجماعات (٧٣٦) من حديث عثمان ﷺ. وأخرجه أحمد ٢٤١ / ١ (٢١٥٧) من حديث ابن عباس ﷺ.

وأخرجه ابن ماجه في المساجد والجماعات (٨٣٧) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.

(٢) انظر كتاب: «الصلاة وحكم تاركها» لابن القيم ص (٨٢-٨٣).

(٣) في «الإفصاح عن معاني الصحاح» (١/١٤٢).

(٤) انظر: «معالم السنن» للخطابي (١/١٦٠).

(٥) أخرجه مالك في صلاة الجماعة (١/١٢٩)، والبخاري في الأذان (٦٤٥)، ومسلم في المساجد (٦٥٠)، والنسائي في الإمامة (٨٣٧)، وأحمد ٦٥ / ٢ (٥٣٣٢).

(٦) أخرجه البخاري (٦٤٦)، وأحمد ٥٢٥ / ٢ (١٠٧٩٨).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «تفضل صلاة في الجميع على صلاة الرجل وحده خمسا وعشرين درجة»^(١).

وأحاديث المفاضلة لا حجة فيها على عدم وجوب صلاة الجماعة؛ لأن المفاضلة بين صلاة الجماعة وصلاة الفرد لا تدل على عدم وجوب صلاة الجماعة، كيف وقد فاضل الله صلى الله عليه وسلم بين الإيمان أو جب الواجبات، وبين الكفر، فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَحَزُّوَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصف: ١٠، ١١]، أفيقول قائل: إن الإيمان ليس بواجب؛ لأن الله فاضل بينه وبين الكفر؟ لا أحد يقول هذا.

كما أن المفاضلة قد ترد بين أمرين ليس في أحدهما شيء من الفضل، كما في قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفرقان: ٢٤]، ففاضل صلى الله عليه وسلم بين مستقر أهل الجنة ومقيلهم، وبين مستقر أهل النار ومقيلهم، مع أنه لا شيء من الفضل البتة في مستقر أهل النار ومقيلهم.

وهكذا نص كثير من السلف، والعلماء المحققين على أن صلاة الجماعة فرض واجب على الأعيان. قال عطاء بن أبي رباح رضي الله عنه: «فحق واجب لا بد منه، ولا يحل غيره إذا سمع الأذان أن يأتي ويشهد الصلاة»^(٢).

وقال ابن قدامة رحمته الله: «وهي - أي: صلاة الجماعة - واجبة للصلوات الخمس على الرجال»^(٣).

وقال ابن القيم رحمته الله^(٤): «ومن تأمل السنة حق التأمل تبين له أن فعلها في المساجد فرض على الأعيان إلا لعارض يجوز معه ترك الجمعة والجماعة، فترك حضور المسجد

(١) أخرجه مالك في صلاة الجماعة (١/١٢٩)، والبخاري في الصلاة (٤٧٧)، وفي الأذان (٦٤٨)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٤٩)، وأبو داود في الصلاة (٥٥٩)، والنسائي في الصلاة (٤٨٦)، والترمذي في الصلاة (٢١٦)، وأحمد ٢/٢٣٣ (٧١٨٥).

(٢) «مختصر الفتاوى المصرية» (ص ٥٠). (٣) «المقنع» ١/١٩٣.

(٤) في كتاب: «الصلاة وحكم تاركها» ص ٨٩.

لغير عذر كترك أصل الجماعة لغير عذر، وبهذا تتفق جميع الأحاديث والآثار، فالذي ندين الله به أنه لا يجوز لأحد التخلف عن الجماعة إلا من عذر».

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله (١): «والأحاديث الدالة على وجوب الصلاة في الجماعة، وعلى وجوب إقامتها في بيوت الله التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه كثيرة جدًا، فالواجب على كل مسلم العناية بهذا الأمر، والمبادرة إليه، والتواصي به مع أبنائه وأهل بيته وجيرانه وسائر إخوانه المسلمين؛ امتثالاً لأمر الله ورسوله، وحثراً مما نهى الله عنه ورسوله، وابتعاداً عن مشابهة أهل النفاق الذين وصفهم الله بصفات ذميمة، من أحببها تكاسلهم عن الصلاة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٤٢)، مُدْبِدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهَ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، ولأن التخلف عن أدائها في الجماعة من أعظم أسباب تركها بالكلية. ومعلوم أن ترك الصلاة كفر وضلال وخروج عن دائرة الإسلام».

وقال أيضاً: «ولا يخفى ما في صلاة الجماعة من الفوائد الكثيرة، والمصالح الجمّة، ومن أوضح ذلك التعارف، والتعاون على البر والتقوى، والتواصي بالحق والصبر عليه، وتشجيع المتخلف، وتعليم الجاهل، وإغاظة أهل النفاق، والبعد عن سبيلهم، وإظهار شعائر الله بين عباده، والدعوة إليه سبحانه بالقول والعمل، إلى غير ذلك من الفوائد».

وقال فضيلة الشيخ صالح السدلان رحمته الله (٢) بعد أن ذكر عدداً من الأدلة من القرآن الكريم، والسنة النبوية الدالة على وجوب صلاة الجماعة: «قال ابن القيم في كتابه: «الصلاة»: فدلّت هذه النصوص السالفة الذكر من القرآن الكريم والسنة النبوية على وجوب صلاة الجماعة، وأنه لا يجوز التخلف عنها، إلا لعذر كالمرض أو الخوف،

(١) في كتابه «رسالتان في الصلاة». ص ١٥-١٦، وانظر: «مجموع فتاوى» ابن باز ١٨/١٢، ٣٨.

(٢) في كتابه: «صلاة الجماعة؛ حكمها وأحكامها» ص ٧١-٧٢، وانظر كتاب: «الصلاة وحكم تاركها» لابن

وبهذا قال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين، وهو ظاهر مذهب الإمام أحمد، وبه قال الشافعي، وقد أثر عنه أنه قال: «وأما الجماعة فلا أرخص في تركها إلا من عذر» نقل ذلك عنه المُرْنَبِيُّ رحمته الله.

قال الشيخ صالح بعد هذا: «ويتبين مما تقدم أن الأئمة الأربعة رحمهم الله اتفقوا على وجوب صلاة الجماعة، وأن تاركها بدون عذر آثم، وإن اختلفت عباراتهم. ويشهد لذلك كلام الله سبحانه، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا كلام لأحدٍ مع كلام الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم».

وقال الشيخ صالح أيضاً ^(١) - بعد أن ذكر القول بأن صلاة الجماعة فرض، ومن قال به وأدلتهم، وعباراتهم -: «وعلى هذا لو تركها المسلم بدون عذر يآثم، وصلاته صحيحة؛ استدلالاً بالنصوص الواردة من القرآن والسنة».

وقال أيضاً ^(٢) - بعد أن ذكر الأقوال في حكم صلاة الجماعة، وذكر من قال بذلك من المتقدمين والمتأخرين، وفصّل أقوالهم وأدلتهم -: «يتضح والله أعلم أن أقرب الأقوال إلى الصواب القول الرابع، وهو: أن صلاة الجماعة فرض عين؛ أي: واجبة على الأعيان؛ وذلك لقوة أدلة هذا القول وصراحتها، وإعمال النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية».

الوقف الثانية في:

ذكر آداب صلاة الجماعة، والأسباب المعينة على المحافظة عليها

لصلاة الجماعة آداب كثيرة، وأسباب تعين على إقامتها، كما شرع الله سبحانه.

ومن أهمها ما يلي:

(٢) (ص ٧٢).

(١) في كتابه: «صلاة الجماعة؛ حكمها وأحكامها» (ص ٦٧).

❖ **التفرغ التام للصلاة** إذا حضر وقتها بالقلب، والبدن، والحزم كل الحزم في ذلك، والحذر كل الحذر من المشاغل والقواطع. ولنعلم أن الظبي أسرع من الكلب، لكنه إذا التفت إلى الكلب لحق به وأدركه فأمسكه، وهكذا الإنسان إذا التفت بعد دخول وقت الصلاة إلى المشاغل والقواطع؛ من عمل، أو إكمال جلسة، أو قهوة، أو أي شاغل، قطعه ذلك عن الصلاة، ففاته كلها أو بعضها، فما بعد الأذان إلا المبادرة إلى الصلاة. فينبغي التهيؤ للصلاة، وتحريها قبل دخول وقتها، والتفرغ التام لها بعد دخول وقتها؛ بدءاً من متابعة المؤذن، والذكر، والدعاء، مع الأذان وبعده، والوضوء... إلخ.

والحاجات لا تنتهي، ولا تنقضي، وقد أحسن القائل:

تموت مع المرء حاجته وتبقى له حاجة ما بقي
نروح ونغدو لحاجتنا وحاجات من عاش لا تنقضي

❖ **الحرص على التذكير إلى المساجد، والمنافسة في ذلك.**

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ

أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا

كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١]، وقال تعالى:

﴿فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ

الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة: ١٠-١٢]، وقال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾

[المطففين: ٢٦].

وقال ﷺ: «ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ إسباغ الوضوء

على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم

الرباط، فذلكم الرباط»^(١).

(١) أخرجه مالك في قصر الصلاة في السفر (١/ ١٦١)، ومسلم في الطهارة (٢٥١)، والنسائي (١٤٣)،

والترمذي في الطهارة (٥١)، وابن ماجه في الطهارة وسننها (٤٢٨)، وأحمد ٢٣٥/٢ (٧٢٠٩) من

وفي حديث السبعة الذين يُظلمهم الله في ظله، قال ﷺ: «ورجل قلبه معلق بالمساجد»^(١).
وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من تطهر في بيته، ثم مشى إلى بيت من بيوت الله، ليقضي فريضةً من فرائض الله، كانت خطواته إحداهما تحطُّ خطيئةً، والأخرى ترفع درجة»^(٢).

وعن بُريدة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «بشّر المشائين في الظُّلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»^(٣).

قال سعيد بن المسيّب ﷺ: «منذ أربعين سنةً ما سمعت الأذان إلا وأنا في المسجد، وما رأيت ظهر مصلٍّ يعني: أنه دائماً في الصف الأول، قال: «وما خرجت من بيتي فقابلني الناس خارجين من الصلاة»^(٤).

قال فضيلة الشيخ صالح السدلان، ﷺ^(٥): «وحبُّ الصلاة، والمسارعة إليها، على أكمل الوجوه، وإتمامها ظاهراً وباطناً، هي الآية على قدر ما في القلب من حب الله، والشوق إلى لقاءه.

والإعراض عنها، والتكاسل والتباطؤ عن تلبية داعيها، والتثاقل في القيام إليها، أو أداؤها على انفراد في غير المسجد مع جماعة المسلمين، من غير عذر، آية فراغ القلب من محبة الله، والزهد فيما عنده، قال الحسن البصري ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَلْفَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾ [مريم: ٥٩]، قال: «عطلوا

حديث أبي هريرة ﷺ.

(١) أخرجه البخاري في الأذان (٦٦٠)، ومسلم في الزكاة (١٠٣١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٦٦).

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة (٥٦١)، والترمذي في الصلاة (٢٢٣). قال الترمذي: «هذا حديث غريب».

وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٥٧٠). وأخرجه ابن ماجه في المساجد والجماعات (٧٨١)

من حديث أنس ﷺ.

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (١٦٣/٢)، و«شعب الإيمان» (٣٧٠/٤).

(٥) في مقدمة كتابه: «صلاة الجماعة حكمها وأحكامها» ص ٩-١٠.

المساجد، واشتغلوا بالبضائع، والأسباب، وأخلدوا إلى اللذات والمعاصي، نعوذ بالله من ذلك»^(١).

❖ **أن يتوضأ، ويحسن الوضوء**، ويخرج إلى الصلاة على أحسن حال، وأجمل هيئة، وأطيب رائحة، نظيفاً، متجملاً، متطيباً، متسوكاً، متزيناً بأحسن لباس.

قال تعالى: ﴿يَتَّبِعْ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

ولما قال رجل للنبي ﷺ: «إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسناً؛ قال ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال»^(٢).

وكثير من الناس لا يبالي بأي لباس جاء به إلى الصلاة، وبأي مظهر كان عليه، وهو يقف بين يدي ربه ﷻ فيناجيه، ولو ذهب لأدنى مناسبة أو لمقابلة الآخرين، أو خرج إلى السوق، ليس أجمل ثيابه، واهتم بمظهره؛ خوفاً أن ينتقده الناس، فأين التعظيم لله ﷻ؟! وشتان بين صلاة يتهيا لها صاحبها، ويأتي إليها على أجمل وأحسن هيئة، وبين صلاة يأتي إليها بقميص النوم، ونحو ذلك!

❖ **أن يجتنب الروائح الكريهة، والخبيثة؛ من الثوم، والبصل، والكراث، والدخان،** ورائحة عرق الجسم؛ بسبب قلة الاغتسال، ونحو ذلك.

عن جابر ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا، وليعتزل مسجداً، وليقعده في بيته»^(٣).

❖ **أن يتجنب الأمور التي تتنافى مع آداب الصلاة؛** من تشبيك الأصابع، والهرولة، وسرعة المشي، وكثرة الالتفات يميناً وشمالاً، ورفع الصوت، ونحو ذلك.

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١١/ ١٢٣.

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان (٩١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٩٩)، وأحمد ١/ ٣٩٩ (٣٧٨٩) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة (٨٥٥)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٦٤)، وأبو داود في الأطعمة (٣٨٢٢)، وأحمد ٣/ ٤٠٠ (١٥٢٩٩).

عن كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ، فَأَحْسَنَ وَضُوءَهُ، ثُمَّ خَرَجَ عَامِدًا إِلَى الْمَسْجِدِ، فَلَا يُشْبِكُنْ بَيْنَ أَصَابِعِهِ؛ فَإِنَّهُ فِي صَلَاةٍ» (١).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعُونَ، وَأَتُوهَا تَمْشُونَ وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأْتُوا» (٢).

❖ **أن يحافظ على الأدب والدعاء عند الخروج من البيت**، فيقدم رجله اليمنى في الخروج ويدعو بما ورد.

عن أَنَسِ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ، فَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، يُقَالُ حَيْتَنَذَا: هُدَيْتَ، وَكُفَيْتَ، وَوُقِيْتَ. فَتَنْحَى عَنْهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرٌ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ، وَكُفِيَ، وَوُقِيَ» (٣).

وعن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهَا، قَالَ: «بِاسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ» (٤).

❖ **أن يستشعر وهو مُقْبِلٌ إِلَى الْمَسْجِدِ أَنَّهُ مُقْبِلٌ عَلَى اللَّهِ**، وقاصد بيتاً من بيوت الله ﷻ، وإذا دخل المسجد أنه في بيت من بيوت الله، وذلك بلزوم السكينة، والوقار،

(١) أخرجه الترمذي في الصلاة (٣٨٦)، والدارمي ١ / ٣٨١ (١٤٠٤). وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٩٤).

(٢) أخرجه مالك في الصلاة (٦٨/١)، والبخاري في الأذان (٦٣٦)، وفي الجمعة (٩٠٨)، ومسلم في المساجد (٦٠٢)، وأبو داود في الصلاة (٥٧٢)، والنسائي في الإمامة (٨٦١)، والترمذي في الصلاة (٣٢٧)، وابن ماجه في المساجد (٧٧٥).

(٣) أخرجه أبو داود في الأدب (٥٠٩٥)، والترمذي في الدعوات (٣٤٢٦). قال الترمذي: «حسن غريب». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٩٩).

(٤) أخرجه أبو داود في الأدب (٥٠٩٤)، والترمذي في الدعوات (٣٤٢٧)، وأحمد ٦ / ٣٠٦ (٢٦٦١٦). قال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣١٦٣)، و«مشكاة المصابيح» (٢٤٤٢).

والخضوع والخشوع. قال الإمام أحمد رحمه الله (١): «ويستحب للرجل إذا أقبل إلى المسجد أن يُقبل بخوف ووجل، وخشوع وخضوع، وأن يكون عليه السكينة والوقار، فما أدرك صلى، وما فاته قضى».

وقال أيضًا: «فاعلموا رحمكم الله أن العبد إذا خرج من منزله يريد المسجد إنما يأتي لله الجبار، الواحد القهار، العزيز الغفار، وأنه إنما يأتي بيتًا من بيوت الله، يريد الله، ويتوجه إلى الله تعالى في هذه البيوت التي: ﴿إِذْ أَنْتَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣١﴾ يَجَالُ لَا تُلْهِمُهُمْ فَجْرَةً وَلَا يَبْعَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَابِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يُخَافُونَ يَوْمًا نُنْقَلِبُ فِيهِ الْقُلُوبَ وَالْأَبْصَارَ ﴿٣٧﴾﴾ [النور، ٣٦، ٣٧].

فإذا خرج من منزله فليحدث لنفسه تفكيرًا، وأدبًا غير ما كان عليه، وغير ما كان فيه قبل ذلك من حالات الدنيا وأشغالها، وليخرج بسكينة ووقار؛ فإن النبي ﷺ بذلك أمر، وليخرج برهبة ورغبة، وتخوف ووجل، وخشوع وخضوع، وذل وتواضع لله ﷻ؛ فإنه كلما تواضع لله ﷻ وخشع وخضع وذلَّ لله تعالى كان أزكى لصلاته، وأحرى لقبولها، وأشرف للعبد، وأقرب له من الله ﷻ، وإذا تكبر قصمه الله، ورد عمله، وليس يقبل من المتكبرين عملاً».

❖ أن يحافظ على الأدب والدعاء عند دخول المسجد وبعد دخوله، فإذا وصل

إلى المسجد وضع نعليه يسار الباب أو يمينه، بحيث لا يؤذي الناس، ولا يضعهما في مدخل الباب، أو على عتباته، ثم قدم رجله اليمنى، وقال الدعاء الوارد عند دخول المسجد، «اللهم افتح لي أبواب رحمتك» (٢).

فإذا وصل قرب الصف سلم بصوتٍ يسمعه القريب منه، ولا يجلس حتى يصلي تحية المسجد ركعتين؛ لقوله ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس» (٣).

(١) في: «رسالة الصلاة» ص ٣٥-٣٦.

(٢) أخرجه مسلم (٧١٣)، وأبو داود (٤٦٥)، وابن ماجه (٧٧٢).

(٣) أخرجه مالك في قصر الصلاة في السفر (١/١٦٢)، والبخاري في الصلاة (٤٤٤)، ومسلم في صلاة

ويشتغل بذكر الله تعالى، والدعاء، وقراءة القرآن، ويتوجه بقلبه وقلبه إلى الله تعالى، ويتعد عن الكلام في أمور الدنيا مع الآخرين، أو بالجوال، ونحو ذلك.

❖ **أن يحرص على الدنو من الإمام**، والمنافسة على الصف الأول، وميامن الصفوف، بدون مزاحمة، ولا تخطُّ لرقاب الناس، ولا منازعة أحد في مكانه، أو تضيق على أحد.

قال ﷺ: «لو تعلم أمتي ما في النداء، والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه، لاستهموا»^(١).

وقال ﷺ: «إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف»^(٢)؛ أي: يستغفرون لمن على يمين الإمام من الصفوف.

وينبغي الحذر كل الحذر من الجفاء، وترك المكان الأفضل، واستبداله بالمكان المفضول، لأي اعتبار كان، فإن من الناس من يدركه الشيطان فيخدعه في اللحظات الأخيرة، بعد أن جاهد نفسه وتوضأ وأقبل إلى المسجد، فيُزهد من القرب من الإمام، وفي الصف الأول، وفي مقدمات وميامن الصفوف، فيترك المكان الأفضل، كأنه مستوحش، فيفوته بسبب ذلك أجر عظيم، لا يقدر قدره إلا الله ﷻ، وربما برر بعضهم لفعله ذلك بأن مقدمة الصف أو الصف الأول لكبار السن ونحوهم، أو لأن يمين الصف فيه فلان، أو فلان، ونحو ذلك من الذرائع الواهية، والخدع الشيطانية، التي تدل على ضعف الرغبة في المسابقة والمنافسة في الخير، وعلى الزهد في القرب من الله، ولا شك أن هذا من مكائد الشيطان؛ ليحرم الإنسان من الخير، والفضل، وهو من اختيار الذي

المسافرين (٧١٤)، والنسائي في المساجد (٧٣٠)، والترمذي في الصلاة (٣١٦)، وأحمد ٢٩٥/٥ (٢٢٥٢٣) من حديث أبي قتادة ﷺ.

(١) أخرجه مالك في الصلاة (٦٨/١)، والبخاري (٦١٥)، ومسلم (٤٣٧)، والنسائي في المواقيت (٥٤٠)، وفي الأذان (٦٧١)، والترمذي في الصلاة (٢٢٥)، وأحمد ٢٣٦/٢ (٧٢٢٦).

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة (٦٧٦)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها (١٠٠٥) من حديث عائشة ﷺ. قال النووي رحمه الله في «رياض الصالحين» (١٠٩٤): «إسناده صحيح على شرط مسلم، وفيه رجل مختلف فيه». وحسن الألباني إسناده في «صحيح أبي داود» (٦٨٠).

هو أدنى وتقديمه على الذي هو خير، كما قال موسى ﷺ لبني إسرائيل: ﴿أَسْتَبْدِلُوكَ﴾
الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ [البقرة: ٦١].

وينبغي أن يعلم المسلم أنه إذا دخل بيتاً من بيوت الله فهو ضيفٌ على أكرم الأكرمين، وأجود الأجودين، فالحزم كلّ الحزم أن يؤثر القرب منه ﷺ بالقرب من الإمام، والتقدم ما أمكنه في الصف الأول، وفي ميامن الصفوف، حيث سيقف أمام ربه، وبين يديه، ويناجيه، وهذا المعنى لا يدركه إلا من وفقّه الله ﷻ، وعظّم القيام بين يدي ربه ﷻ.

ولله المثل الأعلى، لو أن شخصاً استضاف جماعة من الناس، فلما جاءوا جلسوا عند الباب، أو في أدنى المجلس، وأبوا القرب من مقدمته، لعد ذلك جفاءً في عرف الناس، وأي جفاء فوق جفاء من دخل المسجد، ووجد مكاناً في الصف الأول خلف الإمام، عن يمينه، أو عن يساره، فاختر مكاناً أبعد ولم ينافس في القرب من الله، واستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

﴿ **أن يستحضر إذا دخل في الصلاة عظمة الله تعالى**، ويستشعر أنه إذا كبر للصلاة أنه بذلك كشف الحجاب بينه وبين ربه، وأنه يقف بين يدي الله ﷻ، ملك الملوك، ذي الجبروت والملكوت، والكبرياء والعظمة.

ويستحضر قوله ﷺ في حديث جبريل ﷺ: «الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(١).

قال الإمام أحمد ﷺ^(٢): «فإن استطاع أحدكم رحمكم الله إذا قام في صلاته كأنه ينظر إلى الله ﷻ، فإنه إن لم يكن يراه، فإن الله يراه.

(١) أخرجه البخاري في الإيمان (٥٠)، ومسلم في الإيمان (٩)، والنسائي في الإيمان وشرائعه (٤٩٩١)، وابن ماجه في المقدمة (٦٤) من حديث أبي هريرة ﷺ. وأخرجه مسلم في الموضوع السابق (٨)، وأبو داود في السنة (٤٦٩٥)، والنسائي في الموضوع السابق (٤٩٩٠)، والترمذي في الإيمان (٢٦١٠)، وابن ماجه في الموضوع السابق (٦٣) من حديث ابن عمر عن أبيه ﷺ.

(٢) في «رسالة الصلاة» ص (٤١، ٤٠) فقرة (٤٥).

وقد جاء الحديث عن النبي ﷺ: أنه أوصى رجلاً بوصية، فقال له في وصيته: «اتقِ الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك»^(١)، فهذه وصية النبي ﷺ للعبد في جميع حالاته، فكيف بالعبد في صلاته إذا قام بين يدي الله ﷻ، في موضع خاص، ومقام خاص، يريد الله ويستقبله بوجهه، ليس موضعه ومقامه وحاله في صلاته كغير ذلك من حالاته. جاء الحديث: «إن العبد إذا افتتح الصلاة استقبله الله ﷻ بوجهه، فلا يصرفه عنه حتى يكون هو الذي ينصرف أو يلتف يميناً وشمالاً»^(٢).

فرحم الله من أقبل على صلاته خاشعاً، خاضعاً، ذليلاً لله ﷻ، خائفاً، داعياً، راغباً، وجلاً، مشفقاً، راجياً، وجعل أكبر همته في صلاته لربه تعالى، ومناجاته إياه، وانتصابه بين يديه قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً، وفرغ لذلك قلبه، وثمره فؤاده، واجتهد في أداء فرائضه؛ فإنه لا يدري هل يصلي صلاة بعد التي هو فيها أو يعاجل قبل ذلك، فقام بين يدي ربه ﷻ محزوناً، مشفقاً، يرجو قبولها، ويخاف ردها، فإن قبلها سعد، وإن ردها شقي، فما أعظمَ حَظَرَكَ أخي في هذه الصلاة، وفي غيرها من عملك.

عن سعيد بن معاذ رضي الله عنه، قال: «ما صليت صلاة قط، فحدثت نفسي فيها بشيء من أمر الدنيا، حتى انصرفت»^(٣).

❖ **أن يستشعر عظمة الصلاة**، ومكانتها في الدين، وما رتب الله عليها من السعادة والفلاح والنجاح، وصلاح أمر الدين والدنيا والآخرة، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، فيحفظها ويقيمها، ويشهد بها بقلبه وقالبه ما استطاع.

❖ **أن يحرص على متابعة الإمام**؛ في التكبير، والقيام، والركوع، والسجود، والخفض، والرفع، قال رضي الله عنه: «إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبر فكبروا، وإذا ركع فاركعوا.....»^(٤).

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (٧٧٠).
 (٢) أخرجه الحاكم (٢٣٦/١) من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه. قال الحاكم: «والحديث على شرط الأئمة صحيح محفوظ».
 (٣) «رسالة الصلاة» للإمام أحمد ص (٣٩) فقرة (٤٣).
 (٤) أخرجه مالك في صلاة الجماعة (١/١٣٥)، والبخاري في الصلاة (٣٧٨)، ومسلم في الصلاة (٤١١)،

فيبادر للاهتمام بالإمام، والاقتراء به، والدخول معه بعد تكبيرة الإحرام مباشرة، ومتابعته من بداية الصلاة حتى انتهائها، ولا ينشغل عن ذلك بصلاة سنة، أو غير ذلك؛ قال ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة»^(١).

وإن جاء بعد إقامة الصلاة دخل مع الإمام على أية حالٍ كان. وينبغي الحذر من مسابقة الإمام؛ فإنها تبطل الصلاة، كما تكره موافقته، وتحرم مخالفته إذا طالت، وقد تبطل الصلاة. وقد جاء الوعيد لمن يسابق الإمام، فيرفع رأسه قبله في الركوع، أو السجود، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار»^(٢).

قال الإمام أحمد رضي الله عنه^(٣): «وليس لمن سبق الإمام صلاة، بذلك جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ وعن أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين» وذكر عددًا من الأحاديث، منها حديث: «أما يخاف الذي يرفع رأسه قبل إمامه» الحديث. قال: «وذلك لإساءته صلاته؛ لأنه لا صلاة له، ولو كانت له صلاة لرُجِيَ له الثواب، ولم يخفُ عليه العقاب أن يحول الله رأسه رأس حمار».

وقال أيضًا ﷺ^(٤): «قول النبي ﷺ: «إذا كبرَ فكبروا» معناه: أن تنتظروا الإمام حتى يكبر، ويفرغ من تكبيره، وينقطع صوته، ثم تكبرون بعده، والناس يغلطون في هذه الأحاديث، ويجهلونها، مع ما عليه عامتهم من الاستخفاف بالصلاة، والاستهانة بها،

وأبو داود في الصلاة (٦٠١)، والنسائي في الإمامة (٧٩٤)، والترمذي في الصلاة (٣٦١)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٣٨)، وأحمد ١٦٢/٣ (١٢٦٥٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
 (١) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٧١٠)، وأبو داود في التطوع وركعات السنة (١٢٦٦)، والنسائي في الإمامة (٨٦٥، ٨٦٦)، والترمذي في الصلاة (٤٢١)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها (١١٥١)، وأحمد ٤٥٥/٢ (٩٨٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
 (٢) أخرجه البخاري في الأذان (٦٩١)، ومسلم في الصلاة (٤٢٧)، وأبو داود في الصلاة (٦٢٣)، والنسائي في الإمامة (٨٢٨)، والترمذي في الجمعة (٥٨٢)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (٩٦١)، وأحمد ٢٦٠/٢ (٧٥٣٤).

(٣) في: «رسالة الصلاة» ص (٨) فقرة (٢). (٤) في: «رسالة الصلاة» ص (١٠ - ١١) فقرة (٩).

فساعة يأخذ الإمام في التكبير يأخذون معه في التكبير، وهذا خطأ لا ينبغي لهم أن يأخذوا في التكبير حتى يكبر الإمام، ويفرغ من تكبيره، وينقطع صوته، ومن كبر قبل الإمام فليست له صلاة؛ لأنه دخل في الصلاة قبل الإمام، وكبر قبل الإمام، فلا صلاة له.

ولما تكلم ﷺ عن معاني جمل الحديث قال: «وهذا تمام الصلاة فاعقلوه، وأبصروه، وأحكموه، واعلموا أن أكثر الناس اليوم ما يكون لهم صلاة؛ لسبقهم الإمام بالركوع والسجود والرفع والخفض، وقد جاء الحديث: «يأتي على الناس زمان يصلون ولا يصلون» وقد تخوفت أن يكون هذا الزمان»^(١).

وقال أيضًا ﷺ: «وليعلم المتهاونُ بصلاته، المستخفُّ بها، المسابقُ الإمام فيها، أنه لا صلاة له، وأنه إذا ذهب صلاته ذهب دينه، فعظموا الصلاة رحمكم الله وتمسكوا بها، واتقوا الله فيها خاصة، وفي أموركم عامة»^(٢).

✽ **الحرص على تسوية الصفوف؛** لأن ذلك من كمال الصلاة، وذلك بإكمال الصف الأول فالأول، وتسويتها، والترصص فيها.

عن جابر بن سمرة ﷺ، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟» فقلنا: يا رسول الله، وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: «يتمون الصفوف الأولى، ويطراصون في الصف»^(٣).

وعن عبد الله بن عمر ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «من وصل صفًا وصله الله، ومن قطع صفًا قطعه الله»^(٤).

(١) في: «رسالة الصلاة» ص (١٣) فقرة (١٥).

(٢) السابق ص (١٧) فقرة (٢١).

(٣) أخرجه مسلم في الصلاة (٤٣٠)، وأبو داود في الصفوف (٦٦١)، والنسائي في الإمامة (٨١٦)، وابن ماجه في إقامة الصلاة، والسنة فيها (٩٩٢)، وأحمد ١٠١/٥ (٢٠٩٦٤).

(٤) أخرجه أبو داود في الصلاة (٦٦٦)، والنسائي في الإمامة (٨١٩)، وأحمد ٩٧/٢ (٥٧٢٤)، والحاكم (٢١٣/١). قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم بن الحجاج ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٦٧٢).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا صليتم فأقيموا صفوفكم» ^(١). وقال ﷺ: «والله لتقيمَنَّ صفوفكم أو ليخالفنَّ الله بين قلوبكم» ^(٢). وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم» ^(٣). ومن الملاحظ أن بعض المصلين وهو واقف أو جالس في الصف يبدو وكأنه خارج الصلاة؛ لعدم استشعاره ما ينبغي من تسوية الصفوف، والترصص فيها. ويلاحظ تساهل النساء أكثر في تسوية صفوفهن إذا حضرن المسجد. ولهذا ينبغي للإمام تنبيه المصلين إلى تسوية الصفوف قبل التكبير، والدخول في الصلاة، بقوله: «تراصُّوا، سوُّوا صفوفكم، سدُّوا الخلل، حاذوا بين المناكب والأقدام، لا تختلفوا فتختلف قلوبكم»، ونحو ذلك من العبارات المأثورة، ويلتفت يميناً وشمالاً، ويُجِيل نظره في الصفوف، ويحرص على تسويتها.

التفاهم التام بين الإمام والمأمومين، والتناصح بينهم، وهذا من أهم آداب صلاة الجماعة:

فعلى الإمام مراعاة الوقت المناسب لإقامة الصلاة من غير تكبيرٍ ولا تأخير، وليعلم أن الوقت لله، وليس له، وعليه إعطاء الصلاة حقها من الطمأنينة من غير استعجالٍ مُخلٍ، ولا تثقيلٍ مُبلٍ، وعليه أن يكون للجماعة كالطبيب، في مراعاة أحوالهم وظروفهم كلها، يرفق بهم، ويسعى لتعليم وإرشاد جاهلهم، ومساعدة محتاجهم، وزيارة مريضهم، ويحمد الله ﷻ على أن بوأه هذه المكانة العظيمة، والمنزلة الرفيعة.

وعلى المأمومين في المقابل مراعاة حق الإمام واحترامه، والانتظار حتى يأتي،

(١) أخرجه مسلم في الصلاة (٤٠٤)، وأبو داود في الركوع والسجود (٩٧٢)، والنسائي في الإمامة (١٠٦٤)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (٨٤٧)، وأحمد ٤/٣٩٣ (١٩٥٠٤).

(٢) أخرجه أبو داود في الصفوف (٦٦٢)، وأحمد ٤/٢٧٦ (١٨٤٣٠) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم في الأفضية (٤٣٢)، والنسائي في الإمامة (٨٠٧)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (٩٧٦)، وأحمد ٤/١٢٢ (١٧١٠٢).

وحتى يقيم الصلاة، وعدم التدخل في ذلك، باستعجاله بالكلام، أو بالإشارة، أو بكثرة الالتفات يَمَنَةً وَيَسْرَةً وَإِلَى الْخَلْفِ، والقيام قبل إقامته الصلاة، ونحو ذلك. وعليهم تشجيعه والتعاون معه والنصح له، والحذر من تتبع زلاته، وسبه والكلام فيه، فالكمال عزيز ونادر، وكما قيل:

ومن ذا الذي تُرضى سجاياه كلُّها كَفَى المرءَ نبلاً أن تُعدَّ معايبه^(١)

﴿التعاون بين الإمام، والمؤذن، وجماعة المسجد، وأهل الحي على البر والتقوى.﴾

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢]، وقال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يُشدُّ بعضه بعضاً»^(٢)، وقال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(٣).

ومن أهم ذلك وألزمه أن يحرص أهل الحي كلهم على الصلاة في مسجدهم جميعاً، ويحذروا كل الحذر من التفرق والتشتت؛ بسبب علل واهية.

ولن يتأتى هذا إلا إذا قام الإمام بدوره كما ينبغي، وكان هو أول من يحرص على جمع شمل الجماعة، بالتزامه بالوقت، وإعطاء الصلاة حقها، والرفق بهم، وكونه لهم كالطبيب - كما سبق - . والحذر كل الحذر أن يكون هو السبب في تفرق جماعة المسجد وتشتتهم بثقالته، وكثرة غيابه وتخلفه، أو عدم إعطائه الصلاة حقها من العناية والاهتمام، أو بسبب سوء خلقه، وعدم احترامه وتقديره لجماعة مسجده، وعدم مراعاته لهم، وبخاصة كبار السن، ممن يجب إجلالهم، وإكرامهم، وإنزالهم منازلهم، فإن تفرق بعض جماعات المساجد سببه غالباً يرجع إلى الإمام.

(١) البيت يُنسب لبشار بن برد، ولعلي بن الجهم، وليزيد المهلي، انظر: «جمهرة الأنساب المولدة» ص ٣٨٩.

(٢) أخرجه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر (٢٥٨٥)، والنسائي في الزكاة (٢٥٦٠)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٨)، وأحمد ٤/٤٠٤ (١٩٦٢٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٦)، وأحمد ٤/٢٧٠ (١٨٣٧٣) من حديث النعمان بن بشير ﷺ.

فإذا بذل الإمام جهده بالقيام بدوره ومسؤوليته، من الالتزام بالوقت، وعدم التخلف أو التأخر أو التقدم، والعناية بإقامة الصلاة، ونظافة المسجد، وحسن الخلق في التعامل مع الجماعة، فلا عليه ممن يشذ منهم، فإن رضا الناس غاية لا تدرك، فمن الناس من لا يعجبه العجب، فتراه لعلل واهية يترك مسجد الحي الذي هو فيه وجماعته، ويركب سيارته يبحث عن مسجد آخر، في جميع الصلوات، فيشق على نفسه، ويستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير؛ لفرط حساسية في نفسه، أو عجلة، أو علل واهية.

ولا شك أن هذا ليس من المروءة، ولا من حسن الخلق والأدب في حق جيرانه وإمام مسجدهم ومؤذنه وجماعته، وأهل حيّه، بل من التقصير في حقهم؛ لأن هذا يؤلمهم ويفت في عضدهم؛ لما فيه من السلبية التي تُخل بما ينبغي أن يكون بينهم من التعارف والتآلف، والتناصح والتآزر، والتعاون على البر والتقوى، ويد الله على الجماعة، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

قال الشيخ صالح السدلان رحمته الله (١) في كلامه عن حكمة مشروعية صلاة الجماعة: «والخلاصة أن أداء الصلاة في جماعة ينشئ الاتحاد والمحبة والإخاء بين المسلمين، ويجعل منهم كتلة مترابطة، وينشئ فيهم المواساة والتراحم، وائتلاف القلوب، وكذلك يرببهم على النظام والانضباط، والمحافظة على الأوقات».

الوقفه الثالثة:

الأئمة، والمؤذنون، والعاملون في بيوت الله؛ بين التكليف والتشريف

يسر الله ﷻ لي سنة ١٤٢٥هـ كتابة رسالة بهذا العنوان المذكور، وطباعتها سنة ١٤٢٦هـ، وقد قدم لها معالي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد،

(١) في كتابه «صلاة الجماعة، حكمها وأحكامها» ص ٢٤.

الشيخ: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، ومعالي عضو هيئة كبار العلماء،
فضيلة الشيخ: صالح بن فوزان الفوزان، جزاهما الله خيراً.

وقد رأيت من تمام الحفظ لهذه الرسالة، والإفادة منها أن أختتم هذه الوقفات في
صلاة الجماعة بخلاصة ما جاء فيها، وهي كما يلي:

الإمامة فضلها، ومسئولياتها، وواجبات الإمام:

أولاً: فضل الإمامة:

اعلم أخي الإمام- بارك الله فيك- أن إمامة المسلمين بالصلاة في المساجد من
أفضل الأعمال لمن وفقه الله ﷺ وقام بها خير قيام، ويكفي الإمامة شرفاً وفضلاً أنها
وظيفة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ويكفي الأئمة شرفاً وفضلاً أنهم مع
توفيق الله في عداد أئمة المتقين، ووظيفتهم مطلب عباد الرحمن في دعائهم ﴿وَأَجْعَلْنَا
لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

ولهذا استدل الصحابة ﷺ على أحقية أبي بكر الصديق ﷺ للخلافة بتولية الرسول
ﷺ له إمامة الناس في الصلاة في حياته ﷺ، وقالوا لمن طعن في توليته الخلافة: «رَضِينَا
لِدُنْيَانَا مَنْ رَضِيَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لِدِينِنَا»^(١).

ثانياً: الإمامة مسؤولية كبيرة وأمانة عظيمة:

قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى
أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

والأمانة والأمانات عامة في كل ما تحمَّله الإنسان من الأمانات فيما بينه وبين الله،

(١) أخرجه أبو بكر الخلال في «السنة» ٢٧٣/١ (٣٣٣)، والأجري في «الشرعية» ١٧٢١/٤ (١١٩٢)-
١١٩٤)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» ١٣٧٢/٧ (٢٤٥٥)، وابن بطّة في «الإبانة» ٧٥٥/٩
(٢١٦)، وأبو نعيم في «فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم» (١٨٨، ١٩٠) عن علي ﷺ. وانظر: «مختصر
سيرة الرسول ﷺ» لمحمد بن عبد الوهاب ص (٤٦٩).

وفيما بينه وبين الخلق.

ومن ذلك، بل من أهم ذلك القيام بما وُكل إليه من مسؤوليات الأمة كالإمامة والأذان، والقضاء، والتدريس، والعمل الوظيفي، وغير ذلك أتم قيام.

وقال عليه السلام في الحديث: «الإمام ضامن، والمؤذن مؤتمن، اللهم أرشد الأئمة، واغفر للمؤذنين»^(١).

والمعنى: أن الإمام ضامن، يتحمل عن المأمومين ما يحصل من نقصٍ في الصلاة، فعليه أن يقيم بهم الصلاة على الوجه الأتم الأكمل؛ ولهذا لو أن أحد المأمومين نسي واجباً من واجبات الصلاة تحمله عنه الإمام.

والمؤذن مؤتمن على الوقت، يجب عليه أن يؤذن بعد دخول وقت الصلاة من غير تقديم أو تأخير.

ودعا عليه السلام للأئمة بالرشد، وهو الاهتداء لطرق الخير عامة في أمور الدين والدنيا، وهو ملاك الخير كله دنيا وأخرى. نسأل الله التوفيق.

ودعا عليه السلام بالمغفرة للمؤذنين؛ لما قد يحصل منهم من سهو في التقديم أو التأخير للأذان عن الوقت.

والمغفرة هي: ستر الذنب عن الخلق والتجاوز عن عقوبته؛ كما في حديث ابن عمر عليهما السلام في المناجاة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يُدنى المؤمن يوم القيامة من ربه ﷻ، حتى يضع عليه كنفه»^(٢)، فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي ربّ أعرف. قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم»^(٣).

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة (٥١٧)، والترمذي في الصلاة (٢٠٧)، وأحمد ٢/ ٢٣٢ (٧١٦٩). وصححه الألباني في «الإرواء» (٢١٧)، و«صحيح أبي داود» (٥٣٠).

(٢) أي: ستره، ورحمته.

(٣) أخرجه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٤١)، وفي التفسير (٤٦٥٨)، ومسلم في التوبة (٢٧٦٨)، وابن ماجه في المقدمة (١٨٣)، وأحمد ٢/ ٧٤ (٥٤٣٦).

ثالثاً: أهم الواجبات على الإمام:

من أهم وأعظم واجبات الإمام ما يلي:

أ. العناية التامة بإقامة الصلاة؛ بشروطها، وأركانها، وواجباتها، وسننها:

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣] وغيرها من الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينٌ

الْقَيِّمَةُ﴾ [البينة: ٥].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»^(١).

وقد جاء في هذه النصوص وغيرها من نصوص الكتاب والسنة الأمر بإقامة الصلاة، دون الأمر بالصلاة؛ لأن الأمر بإقامة الصلاة معناه أن تؤدي كاملة، تامة الشروط، والأركان، والواجبات، والسنن، فتكون قائمة معتدلة على التمام.

ولهذا يجب على الإمام استكمال شروط الصلاة، وأركانها، وواجباتها، ومن ذلك:

❖ **الطهارة:** فيحرص كل الحرص على إتمام طهارته غسلًا ووضوءًا، بدنًا وثوبًا، وهذا أمرٌ بيّنه وبينه الله ﷻ، فليتق الله في ذلك.

❖ **دخول الوقت:** فلا يصلّيها قبل دخول وقتها، ولا يؤخرها عن وقتها، ويحسن أن يصلّيها في أول الوقت؛ لأن الملاحظ أن الناس يرغبون في الصلاة مع الإمام الذي يبادر إلى الصلاة في أول وقتها؛ شريطة أن يكون بين الأذان والإقامة وقتٌ كافٍ للوضوء والحضور إلى المسجد، وذلك في حدود ربع أو ثلث ساعة، أما التراخي والتأخير أكثر من ذلك فقد يكون سببًا لتأخر الناس وتفرقهم، وعدم انضباطهم في الحضور إلى الصلاة. ويُستثنى من هذا صلاة المغرب فتكون الإقامة بعد عشر دقائق بعد الأذان؛ لأن السنة وردت بتعجيلها، ويحسن أيضًا أن يزيد في الانتظار في صلاة الفجر، بحيث يكون

(١) سبق تخريجه.

بين الأذان والإقامة ٢٥ دقيقة؛ مراعاة لقيام الناس من النوم، وينبغي أن يعلم الإمام أن تحديد ما بين الأذان والإقامة قصراً وطولاً ليس من حقه هو ولا من حق المؤذن، ولا الجماعة، بل هو حق لله تعالى، يجب التوسط فيه، بحيث يتهيأ الناس ويتمكنون من الوضوء، والحضور إلى المسجد، فلا يجوز له أن يبادر بإقامة الصلاة، فيشق على الناس، ويفوت عليهم الصلاة، كما لا يجوز له أن يتأخر، فيشق على الناس، ويربطهم عن مصالحهم، وينفرهم، وهو مسؤول أمام الله ﷻ في الحالين، وحيث إن إدارة المسجد هي الجهة المسؤولة عن المساجد، فيجب على الأئمة والمؤذنين الالتزام بما تحدده بهذا الخصوص؛ جمعاً للكلمة، ودرءاً للاختلاف والتفرق.

✿ **الطمأنينة:** يجب على الإمام عندما يدخل في الصلاة أن يحرص على الطمأنينة، وإعطاء الأركان والواجبات حقها، وأدائها على الوجه الشرعي، من غير إخلال بها بنقص أو زيادة، ويُسْتَحَب أن يحرص على استكمال سنن الصلاة؛ لأن ذلك من تمامها. والمطلوب الاعتدال في ذلك كله، فلا ينقرها نقر الغراب، ولا يطيل فيها إطالة تخرج عن الحد المطلوب شرعاً، وخير الأمور الوسط، وديننا الإسلامي في كل أحكامه وسط بين الغالي والجافي.

وكان من هدي المصطفى ﷺ مراعاة حال المأمومين، وكان يقول ﷺ: «إذا صلى أحدكم للناس فليخفف؛ فإن في الناس الضعيفَ والسقيمَ وذو الحاجة»^(١).
والأولى أن يقرأ الإمام في الفجر من طِوَالِ المِفْصَلِ، وفي المغرب من قِصاره، وفي الظهر والعصر والعشاء من أوساطه.

وفي التراويح والقيام في شهر رمضان المبارك ينبغي أن تحرص أخي الإمام - واعلم

(١) أخرجه مالك في صلاة الجماعة (١/ ١٣٤)، والبخاري في الأذان (٧٠٣)، ومسلم في الصلاة (٤٦٧)، وأبو داود في افتتاح الصلاة (٧٩٤)، والنسائي في الإمامة (٨٢٣)، والترمذي في (٢٣٦) من حديث أبي هريرة ﷺ. وأخرجه البخاري في العلم (٩٠)، ومسلم في الموضع السابق (٤٦٦)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها (٩٨٤) من حديث أبي مسعود الأنصاري ﷺ.

أن النبي ﷺ كان يداوم على قيام الليل، وكان لا يزيد في رمضان ولا في غيره عن إحدى عشرة ركعة^(١).

وكان إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا ليله، وأيقظ أهله، وجدَّ، وشدَّ المِئزَرَ^(٢).

وكان يقول: «أحب الصلاة إلى الله صلاةُ داودَ ﷺ؛ كان ينام نصفَ الليل، ويقوم ثلثه، وينام سُدُسَه»^(٣).

وعن السائب بن يزيد ﷺ قال: «أمر عمر بن الخطاب أبي بن كعب وتميمًا الداري أن يقوموا للناس بإحدى عشرة ركعة. قال: وقد كان القارئ يقرأ بالمِئمين، حتى كنا نعتد على العِصي من طول القيام، وما كنا ننصرف إلا في فروع الفجر^(٤)»^(٥).

وفي رواية: «أن تميم بن أوس الداري وأبي بن كعب صلَّيا بالناس إحدى وعشرين ركعة»^(٦).

وكان سلف هذه الأمة إلى عهدٍ قريبٍ يصلون عشرين ركعة، ويوترون بثلاث ركعات، فإذا دخلت العشر الأواخر قسموا القيام إلى عشر أول الليل صلاة التراويح،

(١) أخرجه البخاري في التهجد (١١٤٧)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٣٨) من حديث عائشة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في فضل ليلة القدر (٢٠٢٤)، ومسلم في الاعتكاف (١١٧٤)، وأبو داود في قيام الليل (١٣٧٦)، والنسائي في قيام الليل وتطوع النهار (١٦٣٩)، وابن ماجه في الصيام (١٧٦٨)، وأحمد ٤٠/٦ (٢٤١٣١) من حديث عائشة ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري في الجمعة (١١٣١)، ومسلم في الصيام (١١٥٩)، وأبو داود في الصوم (٢٤٤٨)، والنسائي في قيام الليل وتطوع النهار (١٦٣٠)، وابن ماجه في الصيام (١٧١٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ.

(٤) أي: قرب الفجر.

(٥) أخرجه مالك في الصلاة في رمضان (١١٥/١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٢٢٠/٥ (٧٧٥٣)، والبيهقي (٤٩٦/٢). وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١٣٠٢).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» ٢٦٠/٤ (٧٧٣٠) بسند صحيح.

وعشر في آخره صلاة القيام، يطيلون فيها القراءة والصلاة. ويؤخذ من هذا كله: فضل الصلاة بإحدى عشرة ركعة، وجواز الزيادة إلى ثلاث وعشرين ركعة، أو أكثر، كما يؤخذ من ذلك: أنه ينبغي زيادة الاجتهاد في العشر الأواخر من رمضان؛ كما قالت عائشة: «كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره»^(١).

كما يؤخذ من ذلك: أن الأولى لمن اقتصر على صلاة إحدى عشرة ركعة أن يحسنها ويطيلها؛ كما قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ لا يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعاً، فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثاً»^(٢).

كما ينبغي أن تحرص أخي الإمام - وفقك الله - في دعاء القنوت وختم القرآن على الأخذ بالأدعية الواردة في الكتاب والسنة، والمأثورة عن سلف الأمة، وأن تحذر من الاعتداء في الدعاء، والإطالة فيه، وتعمد السجع فيه، ورفع الصوت به، وتحذر الجماعة مع رفع الصوت بالتأمين على الدعاء، فإن ذلك كله خلاف السنة، وما عند الله لا يُنال بمخالفة السنة. وقد قال الله ﷻ لنيبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

وقال ﷺ لأصحابه لما رفعوا أصواتهم بالدعاء: «اربعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»^(٣).

واعلم أخي الإمام - وفقك الله - أن تطبيق السنة مطلوب في الفرض والنفل، وشرط

(١) أخرجه مسلم في الاعتكاف (١١٧٥)، والترمذي في الصوم (٧٩٦)، وابن ماجه في الصيام (١٧٦٧)، وأحمد ٢٥٥/٦ (٢٦١٨٨).

(٢) أخرجه مالك في صلاة الليل (١/ ١٢٠)، والبخاري في التهجد (١١٢٧)، وفي صلاة التراويح (٢٠١٣)، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٧٣٨)، وأبو داود في الصلاة (١٣٤١)، والنسائي في قيام الليل (١٦٩٧)، والترمذي في الصلاة (٤٣٩)، وأحمد ٣٦/٦ (٢٤٠٧٣).

(٣) سيأتي تخريجه.

في صحتها وقبولهما، والسنة هي الوسط - والله الحمد- فإن أخذت بها، ووفيت للمؤمنين حقهم، أحببك الله وأحبك الناس، وكان لك- إن شاء الله- بقدر أجور من يصلون خلفك.

ولا يضعف عزيمة، ويفت في عضدك قلة المصلين خلفك، فأجرك تام بإذن الله تعالى كثروا أم قلوا، بل قد يكون الأجر أكثر إذا قلوا؛ لأن ذلك أعظم في الاحتساب والإخلاص، ومجاهدة النفس.

ولا تغتر بهم إن كثروا، واحرص على الإخلاص؛ فقد قال ﷺ: «إن أكثر منافقي أمتي قرأوها»^(١).

واحذر من مراعاة رغباتهم ولو كان ذلك على خلاف السنة؛ كالتخفيف في الصلاة والقراءة، والاعتداء في الدعاء، ونحو ذلك. وتذكر قوله ﷺ: «الإمام ضامن»^(٢).

واعلم أن من يصلون خلفك - إذا لم تعط الصلاة حقها - هم غرماؤك يوم القيامة، لهم الغنم وعليك العرم؛ فاحرص - هداك الله ووفقك - على الأخذ بالسنة في الصلاة، والقراءة والدعاء، واسأل عما خفي عليك منها، فذلك أحرى بالقبول، وأبشر بالخير إن شاء الله تعالى.

ب. يجب على الإمام الالتزام بالإمامة، وعدم التخلف إلا في حالات الضرورة، وما لا بد منه.

وليعلم الإمام أن الإمامة - كما سبق - مسؤولية عظيمة سيحاسب عنها غداً أمام الله ﷻ، وليعلم أن منهجه وطريقته في الالتزام بالإمامة أو عدمه ينعكس على جماعة المسجد

(١) أخرجه أحمد ١٧٥/٢ (٦٦٣٣)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» ص (١١٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٧١/١٩ (٣٥٤٧٦)، والطبراني في «الكبير» ١٧/١٣ (٢٥) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ. قال الهيثمي في «المجمع» (٦/٢٣٠): «رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات، وكذلك رجال أحد إسنادي أحمد ثقات». وأخرجه أحمد ١٥١/٤ (١٧٣٦٧)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» ص (١١٨)، والطبراني في «الكبير» ١٧/٣٠٥ (٨٤١) من حديث عقبة بن عامر ﷺ. قال الهيثمي في «المجمع» (٦/٢٢٩): «رواه أحمد والطبراني، وأحد أسانيد أحمد ثقات أثبات». وصححه أحمد شاكر في تحقيقه على «المسند». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧٥٠).

(٢) سبق تخريجه.

سلبًا وإيجابًا، فإن التزم وداوم وحرص على إقامة الصلاة في وقتها، وكما شرع الله ﷻ أحبه الجماعة وانضبطوا في حضورهم، وأصبح المسجد حيًّا بسبب حياة الإمام القلبية، وهو مأجور مثناب على هذا المنهج، وله - إن شاء الله - مثل أجور من تبعه ومن يؤمهم من المصلين، فبشراه بالخير، وهو من أئمة المتقين بإذن الله ﷻ.

وأما إن كان الإمام يكثر تخلفه، فيتخلف الأيام، وربما الأسابيع، وربما لا يمر يوم إلا ويتخلف فيه عن صلاة وقت أو وقتين أو أكثر، فإن ذلك سيعود سلبيًا على جماعته، في حضورهم إلى الصلاة، فتجدهم غير منضبطين، بل مضطربين ومختلفين بسبب ذلك؛ منهم من تفوته الصلاة كلية، ومنهم من لا يدرك منها إلا بعضها، ومنهم من يبحث عن مسجد آخر، وذلك بسبب عدم انضباط الإمام، وهو بهذا سيء بإثمه وإثمهم؛ لأنه هو السبب في ذلك، وتجد مسجده ميتًا بسبب ذلك.

وقد يتعلل بعض الأئمة بأنه ذاهب للعمرة، أو لصلاة جنازة، أو لاجتماع يقصد منه خيرًا ونحو ذلك.

وليت هؤلاء وأمثالهم تأملوا قول ابن القيم رحمه الله: «إن الشيطان يأمر بسبعين بابًا من أبواب الخير، إما ليتوصل بها إلى باب واحد من الشر، وإما ليفوت بها خيرًا أعظم من تلك السبعين بابًا وأجلّ وأفضل» (١).

فتأمل هذا يا أخي الكريم، وقل لي بربك: أيهما أحرى بعظيم الأجر، إمام ترك جماعته لأجل الأعمال المذكورة سواء أناب غيره أم لا، أو إمام احتسب وقال: صلاتي بالجماعة أهم وأولى وربط نفسه لأجل ذلك؟

لا شك أن الأخير أولى وأحرى بالأجر العظيم؛ لأجل مرابطته في عمله الواجب، والذي يتقاضى عليه رزقًا من بيت المال، وقد تحمل مسؤوليته، فأدى أمانته، ووفى لجماعته بحقوقهم عليه، وأحسن فيهم وأعانهم على أنفسهم، وكان عضوًا نافعًا في الأمة، وهو حري - بإذن الله ﷻ، بسبب مرابطته في إمامته، واهتمامه بمسؤوليته وخوفه أن يؤتى

(١) انظر: «التفسير القيم» (ص ٦١٣).

الإسلام من قبله - حري بأن يضاعف الله له الأجور، ويعطيه أجور تلك الأعمال التي لم يتمكن منها بسبب ما هو أوجب، وأهم من مصالح الأمة.

فإذا احتسب الإمام وقال: أنا أعرف أن العمرة فضلها عظيم - وبخاصة في رمضان - لكنني أشفق على جماعة مسجدي أن يتفرقوا، ويؤثر فيهم غيابي عنهم، فإن الله قد يعطيه ثواب أكثر من عمرة؛ فإن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، ومن لم يتمكن من القيام ببعض السنن لعذر، إما لانشغاله بما هو واجب، أو بما هو أهم، أو لعدم القدرة البدنية أو المالية على ذلك، فإن له أجر ذلك العمل بفضل الله تعالى.

فيا من تريد عظيم الأجر والثواب من الله، وتريد أن يعطيك الله أجر العمرة وغيرها من أعمال البر مما لا يمكنك القيام به؛ لانشغالك بإمامة المسلمين في أعظم فريضة فرضها الله عليهم، وهي الصلاة، أحسن النية والقصد، واجتهد في مسؤوليتك، يعطك الله أجر ما لم تتمكن منه بسبب هذه المسؤولية.

واعلم أخي أنه كما يقال: «الأحدب يعرف كيف ينام»، فمن الممكن أن تنتهز فرصة قصيرة أياماً قليلة تنيب فيها شخصاً تكون فيه الكفاية، يؤم الناس، تؤدي فيها مناسك العمرة، فأجرك على هذا في عمرتك وبقائك في مسجدك يفوق أضعاف أضعاف أجور من حكّموا أهواءهم، وأكثروا من التخلف عن الإمامة بهذه التعليقات والحجج الواهية.

وعلى الإمام الناصح لنفسه ولجماعته، الحريص على أداء دوره في الأمة أن يجعل في حساباته أن أوجب الواجبات عليه ما تحمله من أمر المسلمين، وأن يجتهد للقيام بذلك على الوجه المطلوب؛ إبراءً للذمة، ونصحاً للأمة، وطلباً للمثوبة والأجر من الله، وليشتر بالخير - إن شاء الله - وليحذر أن يحكّم هواه ورغباته، ويفتي نفسه بأنه ما دام تخلفه عن الإمامة لعمل خيري فلا بأس بذلك.

وهل ضاعت كثير من مصالح الأمة إلا بسبب مثل هذه التبريرات والتعليقات الواهية، وذلك على مستوى جميع العاملين وأرباب المسؤوليات في الأمة. والله المستعان.

ج. أمور يجب على الإمام مراعاتها:

الإمام هو الحاكم الإداري في المسجد، فعليه مراعاة ما يلي:

❖ التعاون والتفاهم مع المؤذن، والتناصح فيما بينهما، وأن يكونا أخوين متحابين، وعلى كل منهما نصح الآخر إذا قصر، وإرشاده بطريقة مهذبة، وبالتي هي أحسن، مع تحاشي الاختلاف والعداوة بينهما؛ فإن ذلك من الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، ومن ثم ذلك يعود ذلك بالضرر عليهما وعلى المسجد وعلى الجماعة، وهو فساد ذات الين التي تحلق الدين، وعلى الإمام في هذا مسؤولية أكبر؛ لأنه هو الراعي الأول في المسجد، فلا يجوز له أن يترك المؤذن يتقدم في الأذان أو يتأخر عن الوقت أو يتخلف عن الأذان، بل يرشده ويناصحه ويتابعه.

❖ متابعة الفراش والخدام في المسجد، وشكره، وتقديره، والدعاء له إذا قام بعمله على الوجه المطلوب من نظافة المسجد وفرشه ودورات المياه، وجميع ملحقات المسجد، ومحاسبه إذا قصر ونصحه وإرشاده، وأن يبين له أنه يجب عليه القيام بعمله أتم قيام، ولا يجوز له أن يتساهل في ذلك كما هو حال الكثيرين.

❖ الحرص على جمع شمل الجماعة بما أشرت إليه سابقاً من الصلاة في أول الوقت، والعناية بإقامة الصلاة على الوجه المشروع، والتوسط في ذلك دون التقصير المخل، أو التطويل الممل، وأن يحرص على مناصحة المتخلفين عن الصلاة والمتأخرين في المجيء إليها، وإرشادهم، وتوجيههم بالتي هي أحسن، وليحذر من التسرع معهم، والغلظة عليهم بما ينفرهم عنه، فقد قال الله تعالى لنيبه ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَقْتَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال ﷺ لموسى وهارون ﷺ لما أرسلهما إلى فرعون الذي ادعى الربوبية والألوهية قال: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْسَ أَعْلَاهُ، بِتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤].

فعليه زيارة المتخلفين عن الصلاة والجلوس معهم، ودعوتهم لمنزله والتقرب إلى قلوبهم ومساعدة محتاجهم، ومن ثم نصحهم وإرشادهم بلين ورفق، ولا ييأس من

روح الله وهدايتهم.

❖ العناية بمظهر المسجد، وتهويته وتبريده وتدفئته، وإعداده الإعداد اللائق؛ ليحصل للمصلين الاطمئنان في الصلاة.

❖ العناية بدورات المياه ونظافتها ومتابعة الفراش في هذا.

وإن مما يؤسف له أن تقع عين الداخل كثيرًا من دورات المساجد على ما تشمئز منه النفس من الأوساخ والقاذورات، مما يوجب توعية الناس في هذا، وتعاون العاملين في المسجد وجماعته للقضاء على هذه الظاهرة وآثارها، فالعناية بها من العناية ببيوت الله تعالى المساجد.

❖ كما ينبغي للإمام تذكير الجماعة، ووعظهم، وتعليمهم ما يحتاجون إليه في العقيدة، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، والتفسير، والحديث، وغير ذلك، وتشجيع طلبة العلم لإلقاء الدروس والمحاضرات في مسجده، والترتيب معهم في ذلك، والتعاون مع الجماعة على البر والتقوى، وتجنب المسجد الخلافات، ورفع الأصوات، ولعب الصبيان، والتشويش على المصلين، وغير ذلك.

وعودًا على بدء أقول: أيها الإمام - بارك الله فيك - احمد الله أن بؤك هذه المنزلة العظيمة، واقدّر لها قدرها، واعلم أنك على ثغرٍ عظيم من ثغور الإسلام، فالله الله أن يؤتى الإسلام من قبلك؛ فأنت أشبه بالحاكم الإداري، تحت مسؤوليتك المسجد وتهيئته، والمؤذن والجماعة والفراش، ومياه الشرب، ودورات المياه.

فأحظ هذه المسؤوليات برعايتك وعنايتك، وأحسن التعامل مع جميع العاملين في المسجد، ومع الجماعة، وعودهم ونفسك على القول والعمل، وكن كالطبيب الحاذق يتعرف بدقة على موضع الداء، ويصف له الدواء، ولا تتعجل جني ثمرة قبل أوانها، وليكن صدرك رحبًا في التعامل مع جميع هذه الأطراف، وخذهم بالحكمة والتوجيه والإرشاد بالتي هي أحسن، وحاول أن تسدد ما حصل منهم من نقص بقولك وفعلك وأخلاقك ومالك، واجعل تعاملك مع الله ﷻ في كل ذلك، تفرز برضا الله ﷻ ثم برضا

الناس، وتكون لك العقبي في الأمور كلها، فالعاقبة للمتقين.

ولخطباء الجمعة خاصة أقول:

احرص - أخي الخطيب وفقك الله - على ما يلي:

أولاً: من حيث الإطار العام للخطبة ينبغي مراعاة الأمور التالية:

❖ الإخلاص وحسن النية، والنصح لله، وكتابته، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم، كما قال ﷺ: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «الله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(١)، وقال ﷺ: «ثلاث لا يُغَل عليهن قلب مؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لولاة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»^(٢). وعن جرير بن عبد الله ﷺ قال: «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»^(٣).

❖ قَصْرُ الخطبة، وطول الصلاة؛ اتباعاً لهدي النبي ﷺ، فقد قال ﷺ: «إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه»^(٤).

❖ أخذ مادة الخطبة من المصادر الأصلية؛ الكتاب والسنة، وكتب التفسير، وشروح السنة، وكتب المحققين من علماء الأمة.

❖ وفاء الخطبة بالمقصود منها، وهو: تعليم الناس أمور دينهم، وإرشادهم، وتوجيههم للعلم النافع، والعمل الصالح، والبر والخير، والتعاون على ذلك بأسلوب

(١) أخرجه مسلم في الإيمان (٥٥)، وأبو داود في الأدب (٤٩٤٤)، والنسائي في البيعة (٤١٩٧، ٤١٩٨)، وأحمد ٤/١٠٢ (١٦٩٤٠) من حديث تميم الداري ﷺ. وأخرجه النسائي في الموضوع السابق (٤١٩٩، ٤٢٠٠)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٦)، وأحمد ٢/٢٩٧ (٧٩٥٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه الترمذي في العلم (٢٦٥٨) من حديث ابن مسعود ﷺ. وأخرجه ابن ماجه في المناسك (٣٠٥٦)، والدارمي في المقدمة ١/٤٥ (٢٣٦)، وأحمد ٤/٨٠ (١٦٧٣٨) من حديث جبير بن مطعم عن أبيه ﷺ. وأخرجه ابن ماجه في المقدمة (٢٣٠) من حديث زيد بن ثابت ﷺ. وأخرجه أحمد ٣/٢٢٥ (١٣٣٥٠) من حديث أنس ﷺ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٧٦٦).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه مسلم في الجمعة (٨٦٩)، وأحمد ٤/٢٦٣ (١٨٣١٧) من حديث عمار بن ياسر ﷺ.

يدخل إلى سُويداء القلوب؛ فإن كثيراً من الناس يخرج من الخطبة وكأن المراد بها غيره! ❁ تحري الاعتدال في المنهج، والسداد في القول، والحرص على ما فيه تأليف قلوب المسلمين، وجمع كلمتهم على الحق، وتحذيرهم من أسباب الفرقة والاختلاف وفساد ذات البين، فهي الحالقة؛ قال ﷺ: «لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»^(١). وكان ﷺ إذا رأى من أناسٍ ما لا ينبغي وهو يعرفهم ويعرف ما حصل منهم يقول: «ما بال أقوامٍ يقولون كذا أو يفعلون كذا»^(٢).

❁ التركيز في جميع الخطب على الجانب التربوي، وتربية الناس على القول والعمل معاً، فعلاً للواجبات، وبعداً عن المنهيات؛ أداءً لحقوق الله، وحقوق الخلق، والتأكيد على ذلك على الدوام، فإن أعظم مصيبة أصيب بها كثير من المسلمين اليوم عدم تحقيق القول بالعمل، بل كثرة القول بلا عمل، وقد قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣].

فالتلاوم والتباكي على واقع الأمة، وكثرة القيل والقال، ونقد الآخرين مع تفریط كثيرٍ منا في حقوق الله، وحقوق الخلق، وفيما توليناه من مسؤوليات، كل ذلك لا يجدي عن أهله شيئاً!

ثانياً: من حيث موضوعات الخطب ينبغي مراعاة ما يلي:

- (١) أخرجه أبو داود في الأدب (٤٩١٩)، والترمذي في القيامة (٢٥٠٩)، وأحمد ٤٤٤/٦ (٢٧٥٠٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٩١) من حديث أبي الدرداء ﷺ. قال الترمذي: «حسن صحيح». وصححه الألباني في «غاية المرام» (٤١٤). لكن ليس فيه: «لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين». وهذا اللفظ أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٦٠) من حديث أبي هريرة ﷺ. قال الألباني في تحقيقه «الأدب المفرد»: «حسن لغيره». وأخرجه الترمذي في القيامة (٢٥١٠)، وأحمد ١٦٧/١ (١٤٣٠) من حديث الزبير بن العوام ﷺ. قال الألباني في «الإرواء» (٢٣٨/٣): «رجاله ثقات غير مولى الزبير فلم أعرفه، وأشار ابن أبي حاتم إلى إعلاله به، نقلاً عن أبي زرعة».
- (٢) أخرجه البخاري في النكاح (٥٠٦٣)، ومسلم في النكاح (١٤٠١)، والنسائي في النكاح (٣٢١٧) من حديث أنس ﷺ. وأخرجه أبو داود في الأدب (٤٧٨٨) من حديث عائشة ﷺ.

❖ ترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوس الناس؛ بيان معنى الشهادتين والتوحيد، ووجوب إخلاص العبادة لله ﷻ، والتحذير من الشرك والبدع والخرافات.

❖ بيان وشرح أركان الإيمان الستة، ووجوب الإيمان بها وبكل ما أخبر الله به ورسوله من المغيبات.

❖ بيان وشرح أركان الإسلام الخمسة، مع العناية - بعد الشهادتين - بالصلاة، وأحكامها، وفضلها، وصفتها؛ كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، وكما في كتب المحققين؛ كصفة الصلاة لابن باز، وابن عثيمين، والألباني ﷺ، وبيان أحكام صلاة الجمعة، وفضلها، وفضل الاغتسال، والتبكير لها، والسواك، والطيب، والدنو من الإمام، والتحذير من تخطي رقاب الناس، وغير ذلك.

❖ بيان كل ما يجب على المسلم من حقوق الله ﷻ وحقوق الخلق، كحق الرسول ﷺ، وحق ولاية الأمر في الولاية الكبرى والولايات الصغرى، وحق الوالدين، والأولاد، والأزواج، وسائر الأقارب، والجيران، وحقوق المسلمين.

❖ التأكيد على تعاهد القلوب، ومعالجة أمراضها، والحرص على سلامتها من النفاق، والغل، والحسد، والحقد، والعداوة، والبغضاء، وسوء الظن، وغير ذلك من أمراض القلوب.

❖ بيان كل ما يحرم على المسلم؛ كالقتل العمد، والربا، وأكل مال اليتيم، والظلم، وشهادة الزور، والفواحش، وشرب الخمر، والغيبة، والنميمة، والرشوة، والغش في المعاملات، والنظر المحرم، والسماع المحرم، وغير ذلك. والتحذير من ذلك، وبيان آثاره السيئة.

❖ العناية ببيان الأحكام التي يجهلها كثير من الناس؛ كبعض أحكام الطهارة، والمسح على الخفين، وبعض أحكام الصلاة، وأحكام البيع والشراء وسائر المعاملات، وأحكام الأوقاف والوصايا، وغير ذلك.

❖ تفسير بعض قصار السور، وبعض الآيات المشتملة على الأحكام والمواعظ،

وشرح بعض الأحاديث الجامعة، وبيان ما فيها من الحكم والأحكام، والتوجيهات والآداب، وربط الناس بالقرآن والسنة.

٦ إبراز الصور المشرفة في سيرة المصطفى ﷺ، وسير خلفائه وأصحابه ﷺ، وسلف علماء الأمة وأبطالها ﷺ، وغيرهم ممن سار على نهجهم.

٧ شحذ الهمم، وتحريك الضمائر والقلوب إلى المسارعة والمسابقة إلى الصلاة في الصفوف الأولى وميامن الصفوف، إلى بر الوالدين، إلى صلة الأرحام، إلى الإنفاق في سبيل الله، إلى الدعوة إلى الله، إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى التخلق بالأخلاق الفاضلة، إلى إفشاء السلام، إلى العفو والتسامح ولين الجانب، إلى الإحسان إلى الآخرين، إلى محبة الخير للمسلمين، إلى احترام العالم والكبير، إلى العطف على الصغير، إلى رحمة المساكين، إلى أعمال البر والخير كلها، إلى ما فيه السعادة في الدنيا والآخرة، والعزة والرفعة؛ مع استجلاء معاني كلام الله ﷻ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: ١٣٣ من آل عمران وما بعدها]، ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الحديد: ٢١]، ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ (١٠) ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠، ١١]، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

إلى غير ذلك من الجوانب والأساليب التي لا تحفى على الخطيب اللبيب، والتي قد يكون بعضها أهم من بعض ما ذكر؛ إذ المقصود فيما ذكر التمثيل لا الحصر.

وأنت أخي المؤذن:

احمد الله تعالى على أن بوأك هذه المنزلة، ومنحك إياها، واعلم أن مسؤوليتك عظيمة فأعطها حقها؛ لتسلم من تبعتها، وتنال الأجر الموعود عليها بإذن الله ﷻ؛ فقد قال ﷺ، كما تقدم في الحديث: «المؤذن مؤتمن»^(١)، وقال ﷺ: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا»^(٢)، وقال ﷺ: «المؤذنون

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مالك في الصلاة (١/٦٨)، والبخاري في الأذان (٦١٥)، ومسلم في الصلاة (٤٣٧)، وأبو داود في الأدب (٥٢٤٥)، والنسائي في المواقيت (٥٤٠)، وفي الأذان (٦٧١)، والترمذي في الصلاة (٢٢٥)، وأحمد ٢/٢٣٦ (٧٢٢٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.

أطول الناس أعناقاً يوم القيامة»^(١).

وقال ﷺ: «لا يسمع مدى صوت المؤذن جنٌّ ولا إنسٌ ولا شيءٌ إلا شهد له يوم القيامة»^(٢).

وقد رُوي عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: «لو كنت أُطيق الأذان مع الخلافة لأذنتُ»^(٣).

وقد ذهب طائفة من أهل العلم والمحققين إلى أن الأذان أفضل من الإمامة، واختار هذا شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ^(٤).

فاحمد الله ﷻ أخي المؤذن، وارفع صوتك بالأذان، وارفع رأسك بطاعة الله ﷻ، وكن أميناً على الأذان في وقته، وأحسن النية والقصد، وأبشر بالخير إن شاء الله تعالى.

وأنت أخي الفراش والمستخدم في المسجد:

اعلم أن عملك من أشرف الأعمال وأفضلها، كيف لا؟ وهو خدمة بيوت الله وتنظيفها، فقم بهذا العمل على الوجه المطلوب، وأبشر بالخير إن شاء الله، فعن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً أسوداً أو امرأة سوداء كان يقيم المسجد فمات، فسأل النبي ﷺ عنه، فقالوا: مات. قال: «أفلا كنتم آذنتموني به، دُلوني على قبره - أو على قبرها» فأتى قبرها فصلى عليه^(٥).

(١) أخرجه مسلم في الصلاة (٣٨٧)، وابن ماجه في فضل الأذان (٧٢٥)، وأحمد ٤/ ٩٥ (١٦٨٦١) من حديث معاوية ﷺ.

(٢) أخرجه مالك في الصلاة (٦٩/١)، والبخاري في الأذان (٦٠٩)، والنسائي في الأذان (٦٤٤)، وابن ماجه في الأذان والسنة فيه (٧٢٣)، وأحمد ٣/ ٣٥ (١١٣٠٥) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» ١/ ٤٨٦ (١٨٦٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٢/ ٣٧٦ (٢٣٦٠)، والبيهقي في الصلاة (٤٣٣/١)، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه، انظر: «فتح الباري» ٢/ ٧٧، و«التلخيص الحبير» ١/ ٢٢٣.

(٤) انظر: «الاختيارات الفقهية» ص ٣٦.

(٥) أخرجه البخاري في الصلاة (٤٥٨)، وفي الجنائز (١٣٣٧)، ومسلم في الجنائز (٩٥٦)، وأبو داود في (الجنائز ٣٢٠٣)، وابن ماجه في الجنائز (١٥٢٧)، وأحمد ٢/ ٣٥٣ (٨٦٣٤).

وهذا بلا شك يدل على فضل تنظيف المساجد والقائمين على ذلك.
واحذر أخي الكريم من التساهل في هذه المسؤولية، وإن كنت لست قادرًا
على القيام بها، ومضطرًا أن تكلف بها غيرك ممن قد يقوم بها وقد لا يقوم، فاتركها
لغيرك، اللهم إلا أن تكون الجهة التي كلفتك أذنت بذلك، واعلم أنك مسؤول عنها
أمام الله يوم القيامة، ولا يغرك ما عليه كثير من الناس، فإن الناقد بصير، والحساب عسير
إلا على من يسره الله تعالى عليه.



وقفتان في: تقوى الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]

الوقفة الأولى في:

مكانة تقوى الله تعالى، وفضلها

تقوى الله ﷻ هي أعظم وصية أوصى الله ﷻ بها الأولين والآخرين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

وبها أرسل ﷻ جميع رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام ليأمرها أقوامهم، وأمرهم بها، فقال ﷻ لأفضلهم وخاتمهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١].
ولهذا قال ﷻ: «والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له»^(١).

ذكرها الله ﷻ في القرآن في نحو مئتين وخمسين موضعاً، أمراً بها، وحثاً عليها، وإنكاراً على من تركها، وامتداحاً لأهلها بأفضل وأعظم الصفات، ووعداً وبشارة لهم، وبياناً وتفضيلاً لما لهم عند الله من الكرامة، وغير ذلك.

ورتب الله ﷻ عليها التوفيق والعزة والسعادة، وصلاح أمر الدين والدنيا والآخرة، والفوز والفلاح، والنجاة والسلامة من الفتن ومن جميع الشرور في الدنيا والآخرة، وجعلها ﷻ خير الزاد، وخير لباس، وسبباً لكرامة المرء عند الله تعالى، وجعلها في آن واحد سبباً للإيمان والأعمال الصالحة، وثمره للإيمان والأعمال الصالحة.

جعلها الله ﷻ سبباً للسمع والطاعة، والتوكل على الله، والأخذ بما أتى به

(١) سيأتي تخريجه.

الرسول ﷺ، والانتهاه عما نهى عنه، والتقرب إلى الله تعالى، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام، والقول السديد، والوفاء بالعهود، والتأمل في آيات الله، والتفريق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والحلال والحرام، والخير والشر، وغير ذلك، ومن ثم الموت على الإسلام.

ورتب ﷺ عليها ولايته للمتقين، ومحبتة إياهم، ومعيتة الخاصة لهم، ومغفرته لهم، ورضوانه عنهم، وتكفير سيئاتهم، وقبول أعمالهم.

وجعلها ﷺ من أخص صفات عباده المؤمنين، المهتدين بالقرآن، المتعظين المتذكرين به، السامعين المطيعين الأبرار، المنفقين في السراء والضراء، والكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس، المحسنين، المستغفرين، الصابرين، المصابرين، المرابطين، الصادقين، المصدقين، المتصدقين، الذاكرين، الشاكرين، المفلحين، الفائزين، الذين جمعوا بين عبادة الله تعالى والإخلاص له، والتوكل عليه، وخشيته وخوفه ورجائه، والاستعداد للقاءه، إلى غير ذلك من جليل الصفات، وجميل الخصال.

وجعلها سبباً للفلاح والعقبى الحسنة، والفوز في الدار الآخرة بالجنة، وما فيها من الأجر الكبير، والثواب العظيم، ومقعد الصدق، والمقام الأمين، والنعيم المقيم، والغرف العالية، والظلال الوارفة، والأنهار والعيون الجارية، والمفاوز والحدايق والأعنان، والمشتهيات من الفواكه والمأكول والمشارب، والكواعب الأتراب، والكأس الدهاق، وغير ذلك من أنواع النعيم.

وجعلها سبباً للوقاية والنجاة من عقاب الله الشديد، ومن القيامة وأهوالها العظيمة، ومن النار، وما فيها من الأغلال والأنكال، والجحيم، والعذاب المقيم، وغير ذلك.



الوقف الثانية في: حقيقة تقوى الله تعالى ومعناها، ومضمونها ومقتضاها

أ- حقيقة تقوى الله تعالى ومعناها:

عرف السلف عليهم السلام من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل العلم تقوى الله تعالى بتعاريف فيها بيان حقيقتها، ومعناها، وتدلل على سعة مضمونها ومقتضاها. فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «حق تقاته: أن يُطاعَ فلا يُعصى، وأن يُشكرَ فلا يُكفر، وأن يُذكرَ فلا ينسى»^(١).

وعن علي رضي الله عنه أنه قال: «التقوى: الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل»^(٢).

وعن طلق بن حبيب رضي الله عنه قال: «تقوى الله: أن تعمل بطاعة الله، على نورٍ من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نورٍ من الله، تخاف عقاب الله»^(٣).
وعرفها بعض أهل العلم بعدهم بقوله: «أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقايةً؛ بفعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه».

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ١٢٩ (٤٤١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» ١٧٠/ ١٩ (٣٥٦٩٥)، والطبري في «جامع البيان» (٥/ ٦٣٧)، وابن المنذر في «تفسيره» ١/ ٣١٧ (٧٦٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٣/ ٧٢٢ (٣٩٠٨)، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» بتحقيقنا (١/ ٤٥٤) الأثر (٢١)، والطبراني في «الكبير» ٩٢/ ٩ (٨٥٠١، ٨٥٠٢)، والحاكم (٢/ ٢٩٤). ورؤي مرفوعاً. قال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٧١، ٧٢): «وهذا إسناد صحيح موقوف».

(٢) انظر: «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» (١/ ٤٢١).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهدة» (١٣٤٣)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٦٤)، وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» الأثر ١٥/ ٥٩٩، ١٩/ ٣٥٧ (٣٠٩٩٣، ٣٦٣٠٨)، وفي «كتاب الإيمان» (٩٩). وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٩٨ (٤٥٣). وانظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦٣)، (٢٠/ ١٣٢).

ب- مضمون تقوى الله تعالى ومقتضاها:

في التعاريف السابقة خلاصة ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة من حقيقة تقوى الله ﷻ ومعناها، وسعة مضمونها ومقتضاها، وأنها تشمل الدين كله، فتشمل أركان الإيمان، وأركان الإسلام، والإحسان.

كما جاء في حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، فجلس إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، أخبرني عن الإيمان. فقال: «الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» فقال: أخبرني عن الإسلام. فقال: «الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً» قال عمر: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: أخبرني عن الإحسان. قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» الحديث (١).

فأركان الإيمان ستة، وهي:

الإيمان بالله تعالى؛ أي: الإيمان بوجوده وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.
والإيمان بالملائكة؛ أي: الإيمان بوجودهم، وأنهم خلقٌ من خلق الله تعالى، خلقهم الله ﷻ من نور، كما قال ﷺ: «خُلقت الملائكة من نور» (٢).

والإيمان بما ذكر من أسمائهم، وعبادتهم لله تعالى، وأحوالهم، وأعمالهم التي وكلهم الله تعالى بها على جهة الإجمال والتفصيل، كما جاء في القرآن والسنة.
والإيمان بالكتب؛ أي: الإيمان بجميع الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله، ما سمي الله تعالى لنا منها في القرآن الكريم، وما لم يسمه.

(١) أخرجه مسلم في الإيمان (٨)، وأبو داود في السنة (٤٦٩٥)، والنسائي في الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠)، والترمذي في الإيمان (٢٦١٠)، وابن ماجه في المقدمة (٦٣) من حديث ابن عمر عن أبيه ﷺ.
(٢) أخرجه مسلم في الزهد والرفائق (٢٩٩٦)، وأحمد ٦/١٦٨ (٢٥٣٥٤) من حديث عائشة ﷺ.

والإيمان بالرسول؛ أي: الإيمان بجميع الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله تعالى، مَنْ قص الله تعالى علينا منهم في القرآن، ومن لم يقصصهم علينا.

والإيمان باليوم الآخر؛ أي: الإيمان بيوم القيامة وما فيه من بعث الناس من قبورهم، ومن الأهوال، والحساب، والجزاء على الأعمال، والإيمان به من أهم أركان الإيمان؛ ولهذا يقرن الله ﷻ الإيمان باليوم الآخر في القرآن الكريم بالإيمان به ﷻ، وذلك لأن الإيمان باليوم الآخر من أعظم ما يحفز على العمل؛ لأن فيه الحساب والجزاء على الأعمال، وربط الدنيا بالآخرة، مما يحمل على الاجتهاد في العمل والمنافسة والمسارعة والمسابقة، إضافة إلى تهوين مصائب الدنيا؛ قال الشاعر:

الأمر جِدٌّ وَهُوَ غَيْرُ مِزَاحٍ فاعْمَلْ لِنَفْسِكَ صَالِحًا يَا صَاحِبِ (١)
وقال الآخر:

قد رَشَّحوكَ لِأَمْرٍ لَوْ فَطِنْتَ لَهُ فاربأً بِنَفْسِكَ أَنْ تَرَعَى مَعَ الْهَمَلِ (٢)
والإيمان بالقدر خيره وشره؛ أي: الإيمان بأن الله قدر في الأزل مقادير كل شيء، قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، كما جاء في الحديث (٣).
والإيمان بأن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً، كما جاء في حديث ابن عباس ﷺ (٤).

(١) البيت لنشوان الحميري. انظر: «ملوك حمير وأقيال اليمن» ص ١.

(٢) البيت للطغرائي. انظر: «شرح لامية العجم» ص ١٢٤.

(٣) أخرجه مسلم في القدر (٢٦٥٣)، والترمذي في القدر (٢١٥٦)، وأحمد ١٦٩/٢ (٦٥٧٩) من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ.

(٤) أخرجه أحمد ٣٠٧/١ (٢٨٠٣)، والطبراني في «الكبير» ١٢٣/١١ (١١٢٤٣)، والحاكم (٥٤١/٣)، (٥٤٢) من حديث ابن عباس ﷺ. قال الحاكم: «هذا حديث كبير عالٍ من حديث عبد الملك بن عمير، عن ابن عباس ﷺ، إلا أن الشيخين ﷺ لم يخرجوا شهاب بن خراش، ولا القداح في الصحيحين». وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة» ص (٢٥٧): «وأصل الحديث بدون لفظ الترجمة عند الترمذي [في

وأركان الإسلام خمسة، وهي:

الأول: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله؛ أي: شهادة أن لا معبود بحق إلا الله، وهي نفي وإثبات، نفي الإلهية عن غير الله تعالى، وإثباتها لله تعالى وحده.

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله؛ أي: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يُعبد الله إلا بما شرع.

الثاني: إقام الصلاة؛ أي: أداؤها والمحافظة عليها، وإقامتها كما شرع الله تعالى، بشروطها، وأركانها، وواجباتها، وسننها.

والصلاة في اللغة: الدعاء.

وفي الشرع: التعبد لله تعالى بأفعال وأقوال مخصوصة، مبتدأة بالتكبير، مختتمة بالتسليم.

الثالث: إيتاء الزكاة؛ أي: إعطاؤها لمستحقيها من الأصناف الثمانية، كما قال

تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَةَ فَلُوهُمُ فِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠].

والزكاة في اللغة: النماء والزيادة.

وفي الشرع: حق مالي مخصوص، في مال مخصوص، لطائفة مخصوصة، في زمن مخصوص.

الرابع: صوم رمضان.

والصوم في اللغة: الإمساك.

وفي الشرع: التعبد لله تعالى بالإمساك عن المفطرات الحسية والمعنوية، من

صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦)، وصححه من حديث حنث عن ابن عباس مرفوعاً، بل أخرجه أحمد، والطبراني، وغيرهما من هذا الوجه أيضاً بتمامه، وهو أصح وأقوى رجلاً.

طلوع الفجر إلى غروب الشمس، طيلة شهر رمضان المبارك.

والخامس: حج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً.

والحج في اللغة: القصد.

وفي الشرع: قصد البيت الحرام، وأداء مناسك الحج لمن استطاع إلى ذلك سبيلاً.

والإحسان: ركن واحد: وهو: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

كما تشمل تقوى الله تعالى: امتثال كل ما أمر الله تعالى به من الأقوال والأفعال. هذا كله في جانب المأمورات والأفعال.

كما تشمل تقوى الله: ترك ما نهى الله تعالى عنه، والبراءة منه، ومن ذلك:

❖ البراءة من الشرك بنوعيه:

أ- الشرك الأكبر: من عبادة القبور والأشجار والأحجار، ودعاء الأموات، والاستعانة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، ونحو ذلك، وصاحبه مخلد في النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

ب- الشرك الأصغر: كالرياء، والحلف بغير الله، ونحو ذلك.

قال ﷺ: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» فسئل عنه، فقال:

«الرياء»^(١). وقال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»^(٢).

❖ البراءة من النفاق بنوعيه:

أ- النفاق الاعتقادي: وهو أن يظهر الإنسان الإيمان، ويبطن الكفر، وهذا

(١) أخرجه أحمد ٥ / ٤٢٨، ٤٢٩ (٢٣٦٣٠، ٢٣٦٣٦) من حديث محمود بن لبيد ﷺ. قال الهيثمي في «المجمع» (١ / ١٠٢): «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح». وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٩٥١).

(٢) أخرجه أبو داود في الإيمان والنذور (٣٢٥١)، والترمذي في النذور والإيمان (١٥٣٥) من حديث ابن عمر ﷺ. قال الترمذي: «حديث حسن». وصححه ابن حبان ١٠ / ١٩٩ - ٢٠٠، ٢٠٧ (٤٣٥٨، ٤٣٦٥)، والحاكم (١ / ١٨، ٥٢، ٤ / ٢٩٧)، ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٠٤٢).

أشد من الكفر الصريح، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ
الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

ب- النفاق العملي: من الكذب، والغدر، وخلف الوعد، وخيانة العهد،
والفجور في الخصومة، ونحو ذلك. وهذا من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر
لمخالفته صفات المؤمنين، ومشابهته صفات الكافرين.
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب،
وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»^(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أربعٌ من كنَّ فيه
كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها:
إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»^(٢).

❖ ترك كل ما نهى الله تعالى عنه من الأقوال والأفعال:

كما قال ﷺ: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحشر: ٧].
وبهذا يتبين أن مضمون تقوى الله تعالى ومدلولها يشمل الدين كله؛ فعلاً لما
أمر الله تعالى به، وتركاً لما نهى الله ﷻ عنه.
فهو دين الله الذي بعث به رسله، وأنزل به كتبه، وهي الهدى ودين الحق
الذي أرسل به رسوله محمداً ﷺ، وهي توحيد الله، واتباع شريعته، وتعظيم أمره،
وطاعته وطاعة رسوله ﷺ.

هي عبادة الله تعالى التي خلق الله الثقلين لأجلها، هي الإيمان والإسلام
والإحسان والبر، والاستقامة، ونحو ذلك.

(١) أخرجه البخاري في الإيمان (٣٣)، ومسلم في الإيمان (٥٩)، والنسائي في الإيمان وشرائعه (٥٠٢١)،
والترمذي في الإيمان (٢٦٣١).

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان (٣٤)، ومسلم في الإيمان (٥٨)، وأبو داود في السنة (٤٦٨٨)، والنسائي
والترمذي (٥٠٢٠)، والترمذي (٢٦٣٢).

هي ضد الشرك والكفر، والنفاق والفسوق والعصيان، أمر الله ﷻ بها الناس عامة والمؤمنين خاصة.

همسة :

أخي الكريم المبارك، وأختي الكريمة المباركة وفقكما الله تعالى، تدبراً وتأملاً جيداً قول الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الفصص: ٨٣].

وقوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلنَّقِيِّ﴾ [طه: ١٣٢].

وتدبراً وتأملاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّةٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤-٥٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّةٍ وَعُيُوبٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعْنَا لَهُمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلَّامِينَ رِيكٍ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الدخان: ٥١-٥٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّةَ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾﴾ [القلم: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّةٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَنِكَهِينَ بِمَاءٍ أَنَّهُمْ رُبُّهُمْ وَوَقَّعْنَا لَهُمُ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الطور: ١٧-٢٠].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّةٍ وَعُيُوبٍ ﴿١٥﴾ أَخَذِينَ مَا ءَانَّهُمْ رَبُّهُمْ ءِيمَةً كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ [الذاريات: ١٦، ١٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّةٍ وَعُيُوبٍ ﴿٤٥﴾ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٥-٤٧].

[٤٨-٤٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوْكَةٍ مِمَّا يَشْتَبُونَ ﴿٤٢﴾ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كَانُوا

تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ [المسلات: ٤١-٤٤].

وتدبراً وتأملاً قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥]، وقوله

تعالى: ﴿وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلْمُنْفِقِينَ غَيْرَ عَائِدٍ ﴿٣١﴾﴾ [ق: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [البقرة: ١٩٤]، والتوبة: ٣٦، ١٢٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾ [التوبة: ٤، ٧].

وقوله تعالى: ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزخرف: ٣٥].

وتدبراً وتأملاً قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف:

[٦٧].

ولا أزيد على هذا، وأسأل الله لي ولكما ولجميع المسلمين التوفيق.



وقفة في: خطر الغلو في الدين

قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]

أ- معنى: الغلو في الدين:

«الغلو» هو الزيادة في الشيء، والإفراط فيه والتشدد، ومجاوزة الحد المشروع^(١). والغلو في الدين: هو التشدد فيه، وزيادة ما لم يشرعه الله تعالى ولا رسوله ﷺ، وضده الجفاء والتفريط، والنقص في الدين.

ب- نشأة الغلو في الدين:

نشأ الغلو في الدين من عهد قوم نوح ﷺ حيث غلوا بصالحيتهم حتى عبدوهم، وأشركوهم مع الله ﷻ، وانتقل بعد ذلك إلى أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠].

وكثر الغلو في النصراني خاصة، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِيَةَ أَتَدْعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٧]. ثم انتقل بعد ذلك إلى هذه الأمة؛ مصداقاً لقوله ﷺ: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»^(٢).

(١) انظر: «لسان العرب» مادة «غلا».

(٢) أخرجه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٣٢٠)، ومسلم في العلم (٢٦٦٩) من حديث أبي

ج- الحكمة من نهى أهل الكتاب في القرآن الكريم عن الغلو في الدين:

نهى الله ﷺ أهل الكتاب في القرآن الكريم عن الغلو في الدين؛ تحذيرًا لهم، وتحذيرًا أيضًا لهذه الأمة من الغلو في الدين، وسلوك مسلك أهل الكتاب، ولذا نحن نقول في الفاتحة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]؛ أي: ندعو الله بالسلامة من طريق اليهود الذين عرفوا الحق وتركوه، ومن طريق النصارى الذين عبدوا الله على جهل وضلال.

وقال ﷺ: «لا تُطْرُونِي كما أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(١).

د- أقسام الغلو في الدين:

ينقسم الغلو في الدين إلى قسمين:

❖ القسم الأول: الغلو في العقيدة: كقول اليهود: عَزِيْرُ ابْنِ اللَّهِ، وقول النصارى: المسيح ابن الله. تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا. وكقول بعضهم للنبي ﷺ: «أنت سيدنا وابن سيدنا»، ولهذا قال ﷺ: «أيها الناس، قولوا بقولكم أو ببعض قولكم، ولا يستجربنكم الشيطان، إنما أنا عبدٌ، فقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»^(٢).

ومن هذا قول البوصيري في «البردة»^(٣):

يا أكرمَ الخلقِ ما لي من أَلُوذُ به سواك عند حلولِ الحادِثِ العَمَمِ

سعيد الخدري ﷺ. وأخرجه ابن ماجه في الفتن (٣٩٩٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(١) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٤٥)، وأحمد ١/٢٣، ٢٤ (١٥٤، ١٦٤) من حديث ابن عباس عن عمر بن الخطاب ﷺ.

(٢) أخرجه أبو داود في الأدب (٤٨٠٦)، والنسائي في «الكبرى» ٦/٧٠ (١٠٠٧٦). وصححه الألباني في

«صحيح أبي داود» (٢١١/١٥٥) من حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه ﷺ.

(٣) ص ٢٢.

إن لم تكن في معادي آخذًا بيدي فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم
ومن ذلك الغلوبال البيت كما يفعل الرافضة - أخزاهم الله تعالى - والغلوبالصالحين،
والطواف حول قبورهم، كما يفعل غلاة المتصوفة وغيرهم في كثير من البلاد الإسلامية.

❖ القسم الثاني: الغلو في العمل: كرهبانية النصارى، قال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٧].

ومن هذا ما أراده عثمان بن مظعون ومن معه ﷺ من التبتل بالصيام والقيام،
وترك الزواج؛ ولذا قال لهم النبي ﷺ: «أنتم الذين قلتُم كذا وكذا؟ أما والله إني
لأتقاكم لله وأخشاكم له، وإني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، فمن
رغب عن سنتي فليس مني»^(١).

ولهذا نهى ﷺ عن صوم الدهر، وقيام الليل كله، ويبيّن أن أفضل الصيام والقيام:
صيام داود ﷺ وقيامه: «كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، ويصوم يوماً
ويُفطر يوماً»^(٢).

وقال ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ في ختم القرآن: «اقرأه في ثلاث ولا تزد
على ذلك»^(٣).

ومن هذا ما جاء في قصة أبي الدرداء وسلمان الفارسي ﷺ، لما زار سلمان أبا الدرداء
وجد أم الدرداء متبذلة، وسألها، فقالت له: «أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في

(١) أخرجه البخاري في النكاح (٥٠٦٣)، ومسلم في النكاح (١٤٠١)، والنسائي في النكاح (٣٢١٧) من حديث أنس ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في الجمعة (١١٣١)، ومسلم في الصيام (١١٥٩)، وأبو داود في الصوم (٢٤٤٨)، والنسائي في قيام الليل وتطوع النهار (١٦٣٠)، وابن ماجه في الصيام (١٧١٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري في الصوم (١٩٧٨) من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ.

الدنيا». فأنكر عليه سلمان، وقال له: «إن لرَبِّك عليك حقًا، ولزوجك عليك حقًا، ولزورك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه»^(١).

هـ- الخطر العظيم الذي يترتب على الغلو في الدين:

يترتب على الغلو في الدين بقسميه العقدي والعملي: الخروج عن الدين، والكفر، فهو أشد من الجفاء والتفريط والنقص؛ لأن الغلو في الدين، والزيادة فيه أشد من النقص منه؛ لأن الزيادة في الدين تشريع من دون الله، ومفادها أن الدين لم يكمل. فمن غلا في الأنبياء والصالحين وغيرهم من دون الله، أو صرف لهم شيئاً من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها إلا لله، فهو مشرك كافر، خارج عن الدين. ومن غلا في الدين بأن أوجب ما لم يوجبه الله تعالى ورسوله ﷺ، أو حرم ما لم يجرمه الله ورسوله ﷺ، أو استحله ما حرمه الله تعالى ورسوله ﷺ، ومن ذلك الخروج على المسلمين وأئمتهم فهو كافر خارج عن الدين.

كما جاء في قصة ذي الخُوَيْصرة التميمي حين اعترض على النبي ﷺ في قسمة غنائم حنين، وقال: «اتق الله يا محمد» فقال النبي ﷺ: «إن من ضُضِّعِي هذا قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»^(٢).

وبسبب الغلو في الدين انتشر الشرك في كثير من بلاد المسلمين، وتعددت طوائف الغلاة، ومن أشد الغلاة كفرةً وشرًّا وشرًّا:

الرافضة - أخزاهم الله تعالى - الذين غلوا بعلي ﷺ وآل البيت، فعبدوهم من دون الله، وأشركوهم مع الله ﷻ في الربوبية والألوهية، وكفروا من عداهم من المسلمين، وجمعوا بين كل أنواع الكفر والشرك، فأشركوا آل البيت وأئمتهم ومعممهم

(١) أخرجه البخاري في الصوم (١٩٦٨)، والترمذي في الزهد (٢٤١٣) من حديث أبي جحيفة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٤)، ومسلم في (١٠٦٤)، والنسائي في الزكاة (٢٥٧٨)،

وأحمد ٦٨/٣ (١١٦٤٨) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

مع الله تعالى، وزعموا أن جبريل ﷺ خان في الرسالة، فقد كانت لعلي، فأعطاها لمحمد، وزعموا أن القرآن محرف، وأن الصحابة ارتدوا عن الإسلام، ورموا عائشة أم المؤمنين ﷺ بالفاحشة، وليس على وجه البسيطة أقدر ولا أنجس ولا أشر منهم، لا من اليهود ولا النصرى، ولا من الملحدين، ولا من غيرهم، كما قال القحطاني (١) ﷺ:

إِنَّ الرِّوَافِضَ شَرُّ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى
مَنْ كُلِّ إِنْسِي نَاطِقٍ أَوْ جَانٍ
وَصَدَقَ - وَاللَّهِ - ﷺ.

ومن طوائف الغلاة في الدين:

الخوارج الذين خرجوا على علي ﷺ وعلى المسلمين في عهده، ومنهم الذين يخرجون على ولاية أمور المسلمين بين حينٍ وآخر، تحت مسميات مختلفة، ويفرقون صف المسلمين، ويستحلون دماءهم، بدعوى الانتصار للدين، ونحو ذلك من الذرائع الباطلة التي لا تجيز لهم الخروج على المسلمين، وهؤلاء مارقون وخارجون من الدين، وكفار، كما في قصة ذي الخويصرة.

ومن طوائف الغلاة في الدين:

غلاة الصوفية الذين يعظمون قبور الأنبياء والصالحين، ويطوفون حولها، ويطلبون المدد من أصحابها، وهؤلاء أيضاً كفار ومشركون شرّاً أكبر.

و- سبب الغلو في الدين في هذه الأمة:

سبب الغلو في الدين في الأمة الإسلامية: هو البعد عن كتاب الله تعالى، وعن سنة رسوله ﷺ وعن منهج سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وعن العلماء الربانيين المحققين، مع فشو الجهل، واتباع الهوى، وكثرة الفتن.

ز- السبيل للسلامة من الغلو في الدين:

لا سبيل للسلامة من الغلو في الدين، ومن الجفاء والإفراط والتفريط، ومن الحيرة

(١) في «نونيته» ص (٢٦) رقم (١٣٨).

والبلبلة والتذبذب، والعصمة من ذلك كله، إلا بالاعتصام بالكتاب والسنة، ولزوم منهج سلف الأمة، وتقوى الله ﷻ وصدق اللجوء إليه ﷻ، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ءَاتَىٰ وَءَاتَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-٧].

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠].

وقال ﷻ في الحديث القدسي: «ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»^(١).

وقال ﷻ: «احفظِ الله يحفظك»^(٢).

وقال ﷻ: «كل الناس يغدو، فبائعُ نفسه فمعتقها أو موبقها»^(٣).



(١) أخرجه البخاري في الرقاق (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه الترمذي في صفة القيامة (٢٥١٦)، وأحمد ١/٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧، ٢٦٦٩، ٢٧٦٣، ٢٨٠٣، والحاكم (٣/٥٤١، ٥٤٢). قال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وقال الحاكم: «هذا حديث كبير عالٍ من حديث عبد الملك بن عمير، عن ابن عباس ﷺ، إلا أن الشيخين ﷺ لم يخرجوا شهاب بن خراش». وصححه أحمد شاكر في شرحه لـ «المسند» (٢٦٦٩، ٢٧٦٣). وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٨٢).

(٣) أخرجه مسلم في الطهارة (٢٢٣)، والترمذي في الدعوات (٣٥١٧)، وابن ماجه في المقدمة (٢٨٠)، وأحمد ٥/٣٤٢ (٢٢٩٠٢) من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ.

وقفتان في: نعمة اللباس، وأخذ الزينة للصلاة:

قال الله ﷻ: ﴿يَبْنِيءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تِكُمْ وَرِيشًا﴾ [الأعراف: ٢٦]،

وقال تعالى: ﴿يَبْنِيءَ آدَمَ حُدُوءَ زِينَتِكُمْ عِنْدَكُم مَّسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]

الوقفه الأولى في:

نعمة اللباس، وأن الله جميل يحب الجمال

أ- اللباس نعمة عظيمة من الله ﷻ:

امتنَّ الله ﷻ على بني آدم بنعمة اللباس؛ فقال ﷻ: ﴿يَبْنِيءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تِكُمْ وَرِيشًا﴾ [الأعراف: ٢٦]؛ أي: قد خلقنا وأوجدنا لكم لباسًا يستر عوراتكم وريشًا؛ أي: وزينة وجمالًا لكم يستر أبدانكم ويقيكم الحر والبرد.

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١].

فاللباس من أعظم نعم الله تعالى على العباد، ولا يعرف قدر اللباس إلا من فقدته، فكانت عورته عرضة لأنظار الآخرين، وجسمه عرضة للسخ الحر والبرد. ولك أخي أن تتصور حال الإنسان عُريَانًا، رجلاً كان أو امرأة، لتحمد الله تعالى وتشكره، فكم من إنسان لا يجد ما يستر به عورته! فضلًا عما يستر به بدنه ويتقي به الحر والبرد. وتأمل حال الأبوين لما وسوس لهما الشيطان وخدعها فأكلا من الشجرة، وبدت لهما سواتهما، فأخذا يخصِفان عليهما من ورق الجنة لستر سواتهما.

ب- إن الله جميل يحب الجمال:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»، قال رجل: يا رسول الله، الرجل يجب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسناً. قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بَطْرُ الحق، وغمطُ الناس»^(١)؛ أي: رد الحق وإنكاره، واحتقار الناس والتعالي عليهم.

فالتجمل وأخذ الزينة والنظافة في الملبس والهيئة والمظهر محبوب إلى الله ﷻ.
وزينة اللباس تكون في كل ما يلبس ويستر البدن؛ من قميص، ورداء، وإزار، وسراويل، وعمامة، ونعل، وغير ذلك.
ومن ذلك تغطية الرأس بعمامة، أو غير ذلك.

قال ابن القيم رحمته الله (٢): «كانت له - أي للنبي ﷺ - عمامة تسمى السحاب كساها علياً رضي الله عنه، وكان يلبسها ويلبس تحتها قلنسوة^(٣)، وكان يلبس القلنسوة بغير عمامة، ويلبس العمامة بغير قلنسوة، وكان إذا اعتم سدل عمامته بين كتفيه»^(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله (٥): «كشف الرؤوس، وتفتيل الشعر ليس هذا من شعار أحد من الصالحين، لا من الصحابة، ولا من التابعين، ولا شيوخ الإسلام». وقال الألباني رحمته الله (٦): «وليس من الهيئة الحسنة في عرف السلف اعتياد حسر الرأس، والسير كذلك في الطرقات، والدخول كذلك في أماكن العبادات، بل هذه عادة أجنبية

(١) أخرجه مسلم في الإيمان (٩١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٩٩)، وأحمد ٤١٦ / ١ (٣٩٤٧).

(٢) في «زاد المعاد» ١ / ٩٤.

(٣) القلنسوة: لباس يوضع على الرأس، انظر: «لسان العرب» مادة «قلس».

(٤) أخرجه الترمذي في اللباس (١٧٣٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. قال الترمذي: «حسن غريب». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧١٧).

(٥) في «الفتاوى العراقية» ص ٧٦.

(٦) في «إتمام المنة في التعليق على فقه الشنّة» ص ١٦٤، ١٦٥، وانظر: «أخطاء المصلين» للشيخ مشهور

حسن سليمان ص ٥٩.

تسربت إلى البلاد الإسلامية حين دخلها الكفار.

وليس من الزينة المشروعة إسبال الثياب، بل هو محرّم لا يجوز، وقد قال ﷺ: «من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»^(١)، وقال ﷺ: «ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار»^(٢)، وقال ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، وهم عذاب أليم» فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات. قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال ﷺ: «المُسبِل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»^(٣)، وفي رواية: «المُسبِل إزاره»^(٤)، والإسبال في الصلاة أشدّ تحريماً وهي صحيحة مع الإثم.

الوقف الثانية في:

أخذ الزينة للصلاة باللباس وغيره

قال الله تعالى: ﴿يَبۡتَغِي ۤأَدۡمَ ۤأَخۡدُوا زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]؛ أي: تزينوا عند جميع المساجد وجميع الصلوات فرضها ونفلها.

والأمر في الأصل للوجوب، وهو محمول على الوجوب في حدود ستر العورة بالإجماع، وهو للاستحباب فيما زاد على ذلك من الزينة باللباس، والطيب، والسواك، ويتأكد هذا في صلاة الجمعة، والعيدين، كما دلت على ذلك السنة.

وقال تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ أٰذَنَ ٱللَّهُ أَن تَرۡفَعَ وَيَذۡكُرۡ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ [النور: ٣٦]؛ أي: أن تُعظّم بالعبادة فيها، وأخذ الزينة عندها، كما في الآية السابقة، وذلك بنظافة البدن، وارتداء الملابس الجميلة والنظيفة، والطيب، والسواك، وغير ذلك، واستشعار المسلم أنه سيقف في الصلاة أمام الله ﷻ ملك الملوك.

ومن الزينة للصلاة: تغطية الرأس، وكان النبي ﷺ يداوم على ذلك، ولم يُنقل عنه ﷺ أنه

(١) أخرجه البخاري (٥٧٨٤)، ومسلم (٢٠٨٥). (٢) أخرجه البخاري (٥٧٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٦). (٤) أخرجه ابن ماجه (٢٢٠٨).

صلى حاسراً رأسه ولا مرة واحدة، مع توافر الدواعي على نقله، اللهم إلا في حال الإحرام^(١).
 عن نافع قال: «رأني ابن عمر أصلي في ثوبٍ واحدٍ فقال: ألم أكسك ثوبين؟ فقلت:
 بلى. قال: أرأيتَ لو أرسلتُك إلى فلان أكنت ذاهباً في هذا الثوب؟ فقلت: لا. فقال: الله
 أحقُّ من تزينَ له، أو من تزينتَ له»^(٢).

وقد روي أن تميمًا الداري رضي الله عنه اشترى رداءً بألف، فكان يصلي فيه^(٣).
 فاحرص - أخي وفقك الله - أن تقف أمام ربك في الصلاة بأجمل لباس، وأحسن
 هيئة، وأزكى رائحة؛ تعظيماً لله ﷻ، واهتماماً بالصلاة وعناية بها، ولا تغترَّ بمن لا يبالون
 بذلك.

فشتان بين من يستحضر هذه المعاني العظيمة في تعظيم الخالق ﷻ، وتعظيم الصلاة،
 فتأتي صلاته تامة تامة تامة، بتوفيق الله ﷻ، وبين من لا يستحضرها، فيأتي إلى الصلاة
 بقميص النوم، أو بأي لباس كان، وعلى أية حالٍ كان.
 ولو أنه أراد مقابلة أي شخص، أو الذهاب لأي مناسبة، ونحو ذلك لاهتم بلباسه
 ومظهره كل الاهتمام، فأى مناسبة تفوق الوقوف أمام الله ﷻ في الصلاة ومناجاته؟!!



(١) انظر: «الدين الخالص» ٣/ ٣١٤، و«أخطاء المصلين» ص ٥٩.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» ١/ ٣٥٨ (١٣٩١)، والبيهقي (٢/ ٢٣٦).

(٣) أخرجه البغوي في مسند ابن الجعد ٢/ ١١٠٦ (٢٦١٦)، والطبراني ٢/ ٤٩ (١٢٤٨) من طريق قتادة عن
 محمد بن سيرين به، وصحح إسناده إلى قتادة: ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٣٦٦).

وقفات أربع في: الدعاء

قال الله تعالى: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]

الوقفة الأولى في: معنى الدعاء، وأنواعه، وفضله

أ- معنى الدعاء وحده:

الدعاء في اللغة: النداء، يقال: دعاه^(١)، إذا ناداه؛ قال تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف: ١٩٥]؛ أي: نادوا شركاءكم، وقال تعالى: ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ [الحج: ١٣]؛ أي: ينادي.

قال عنتره^(٢):

يَدْعُونَ عَنترَ والرماحُ كأنها
أي: ينادون عنتر ويقولون: يا عنتر.
والدعاء في الشرع يُطلق على العبادة، وعلى المسألة والطلب.

ب- أنواع الدعاء:

الدعاء نوعان:

النوع الأول: دعاء عبادة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالِكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: ١٧٣]؛ أي: الذين تعبدون من دون الله، وقوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ

(٢) انظر: «ديوانه» ص ٢١٦.

(١) انظر: «لسان العرب» مادة «دعا».

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴿١٤﴾ [غافر: ١٤].

وقال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٠]، أي: قل إنما أعبد ربي وحده، ولا أشرك به أحداً.

النوع الثاني: دعاء مسألة وطلب؛ أي: سؤال العبد وطلبه من ربه حاجته من خير الدنيا والآخرة، من جلب نفع، أو دفع ضرر، كما في قوله تعالى: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٥، ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]؛ أي: نادوه، واسألوه بها، وتعبدوا له بها.

ودعاء العبادة ودعاء المسألة متلازمان، فدعاء العبادة: مستلزم لدعاء المسألة، ودعاء المسألة: متضمن لدعاء العبادة؛ لأن السائل إنما سأل الله ﷻ وحده تعظيماً له ﷻ، وإقراراً واعترافاً بأن له الخلق والأمر والتفرد بالربوبية والألوهية.

ج- فضل الدعاء وثماره، وفوائده وآثاره:

للدعاء فضائل عظيمة، وثمار كثيرة، وفوائد جلييلة، وآثار كبيرة، اجتمعت فيه أنواع الصبر كلها؛ الصبر على طاعة الله تعالى بالدعاء، وعظيم الرجاء، والصبر عن معصية الله تعالى بعدم التسخط والقنوط واليأس من رحمة الله تعالى، وترك الدعاء، والصبر على أقدار الله المؤلمة إن طال البلاء، وتأخرت إجابة الدعاء.

ومن أهم فضائل الدعاء وثماره وفوائده وآثاره ما يلي:

❖ أن الدعاء طاعة وعبادة لله ﷻ، أمر به وحث عليه، وبه يخلص العبد من الكبر، وينجو من الوعيد الشديد، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]؛ أي: فاعبدوا الله مخلصين له العبادة.

وعن النعمان بن بشير ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة»، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ

داخريين ﴿١﴾ [غافر: ٦٠].

﴿١﴾ أنه أكرم شيء على الله تعالى؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس شيء أكرم على الله صلى الله عليه وسلم من الدعاء» ﴿٢﴾.

﴿٢﴾ أنه سبب لمحبة الله تعالى، واندفاع غضبه صلى الله عليه وسلم؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم يسأل الله يغضب عليه» ﴿٣﴾.

وكان سفيان الثوري رضي الله عنه يقول: «يا من أحبُّ عباده إليه من سأله فأكثر سؤاله، ويا من أبغض عباده إليه من لم يسأله، وليس كذلك غيرك يا رب» ﴿٤﴾.

قال الشاعر:

لا تسألنَّ بُنَيَّ آدَمَ حَاجَةً وَسَلِ الَّذِي أَبَوَاهُ لَا تُحِبُّ
فَاللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سَوَالَهُ وَبُنَيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ ﴿٥﴾

قال ابن القيم ﴿٦﴾: «والرب تعالى كلما سألته كُرمْت عليه، ورضي عنك وأحبك، والمخلوق كلما سألته هُنت عليه، وأبغضك، ومقتك وقلاك، وقبيحُ بالعبد أن يتعرض لسؤال العبيد، وهو يجد عند مولاه كل ما يريد».

﴿١﴾ أخرجه أبو داود في الوتر (١٤٧٩)، والترمذي في التفسير (٢٩٦٩، ٣٢٤٧)، وفي الدعوات (٣٢٧٢) وابن ماجه في الدعاء (٣٨٢٨). قال الترمذي في المواضع الثلاثة: «حسن صحيح». وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» (١٢٤).

﴿٢﴾ أخرجه الترمذي في الدعوات (٣٣٧٠)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٢٩)، وأحمد ٣٦٢ / ٢ (٨٧٤٨)، وابن حبان ١٥١ - ١٥٢ (٨٧٠)، والحاكم (١ / ٤٩٠). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». ووفقه الذهبي. وحسنه الألباني في «التعليقات الحسان» (٨٦٧).

﴿٣﴾ أخرجه الترمذي في الدعوات (٣٣٧٣)، وأحمد ٤٤٢ / ٢ (٩٧٠١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٥٨). وصححه الألباني في تحقيقه «الأدب المفرد».

﴿٤﴾ أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادير الأصول» (٢ / ٢٨٤).

﴿٥﴾ البيتان مجهولان النسبة، انظر: «شعب الإيمان» للبيهقي (٢ / ٣٥)، و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٥ / ١٦٤)، و«تفسير ابن كثير» (١ / ٣٩).

﴿٦﴾ في «مدارج السالكين» (٢ / ١٣١).

❖ أنه دليل على قوة الإيمان بالله ﷻ، والتوكل عليه، وتمام الثقة به سبحانه، واستمداد العزة والقوة منه ﷻ وحده، والتعلق به وحده، ورجائه وخوفه وحده، وقطع الطمع فيما سواه، من جميع الخلق، كما قال تعالى عن زكريا وابنه يحيى وزوجه ﷺ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْحَيْرَاتِ وَيَدْعُونَ آبَاءَهُمْ وَأَوْلِيَاءَهُمْ أَلَّا يَأْتُوا بِبَنَاتٍ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(١): «كلما قوي طمع العبد في فضل الله ورحمته لقضاء حاجته ودفع ضرورته قويت عبوديته لله، وحرية مما سواه».

❖ أن في الدعاء لذة المناجاة، وانسراح الصدر، وزوال الهموم والغموم، وتيسير الأمور، كما قال ابن تيمية ﷻ: «وليكثر من الدعاء؛ فإنه مفتاح كل خير»^(٢).
فبملازمة الدعاء ينتقل العبد من الحزن واليأس والقنوط والجزع والضيق، إلى السعادة والتفاؤل والسعة والرضا والطمأنينة، وحسن الظن بالله ﷻ.

قال ابن وهيب الحميري:

وإني لأدعو الله حتى كأنني أرى بجميل الظن ما الله صانع^(٣)
وقال الآخر:

وإني لأدعو الله والأمر ضيقٌ عليّ فما ينفك أن يتفرجاً
وربّ فتى ضاقت عليه وجوهه أصاب له في دعوة الله مخرجاً^(٤)

❖ أن الدعاء ملاذ المضطرين؛ قال الله ﷻ: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾

[النمل: ٦٢].

فبالدعاء أنجي الله نوحاً ﷻ ومن معه في الفلك، وأغرق المكذبين من قومه.
وبالدعاء وهب الله ﷻ لإبراهيم ﷻ على الكبر إسماعيل وإسحاق، وكانت امرأته

(١) انظر: «العبودية» (ص ٩٤ - ٩٥). (٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٦٦١).

(٣) انظر: «عيون الأخبار» لابن قتيبة (٢ / ٣١٠)، و«بهجة المجالس، وأنس المجالس» لابن عبد البر (٢ / ٣٨٠).

(٤) انظر: «عيون الأخبار» لابن قتيبة (٢ / ٣١١)، و«الفرج بعد الشدة» للتونخي (٥ / ٦٩).

عقيماً، وجعل كلاً منهما نبياً.

وبالدعاء غفر الله لموسى ﷺ، وأهلك فرعون وقومه.

وبالدعاء عصم الله ﷺ يوسف ﷺ من الفاحشة.

وبالدعاء كشف الله ﷺ الضر عن أيوب ﷺ.

وهو مفزع المظلومين، ولهذا قال ﷺ لمعاذ رضى الله عنه: «واتق دعوة المظلوم؛ فإنه

ليس بينها وبين الله حجاب»^(١).

قال الشاعر:

لا تظلمنَّ إذا ما كنتَ مُقتدِراً فالظلمُ يرجعُ عقباهُ إلى النَّدَمِ
تنام عينُك والمظلومُ مُنتبهٌ يدعو عليك وعينُ الله لم تَنَمِ!^(٢)
وقال الشافعي^(٣):

أتهزأُ بالدعاءِ وتزدريه وما تدري بما صنعَ الدعاءُ؟!
سَهامُ الليلِ لا تُخطي ولكن لها أمدٌ وللامدِ انقضاءُ

والدعاء ملاذ المضطرين، حتى من المشركين، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ

دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَّهْمُ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وقال تعالى:

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا بَجَّهَكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾

[لإسراء: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَنْجِيكُمْ مِنْ ظُلْمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَٰذِهِ

لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(٤) قُلْ اللَّهُ يُنَجِّيكَ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٦٣، ٦٤]، وقال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي يُسَبِّحُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَبَ بِهَمِّ بَرِيحٍ طَيْبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْنَا

(١) أخرجه البخاري في الزكاة (١٤٩٦)، وفي المظالم والغصب (٢٤٤٨)، ومسلم في الإيمان (١٩)، وأبو

داود في الزكاة (١٥٨٤)، والنسائي في الزكاة (٢٥٢٢)، والترمذي في الزكاة (٦٢٥)، وابن ماجه في الزكاة

(١٧٨٣) من حديث ابن عباس ﷺ.

(٢) البيتان لعلي بن أبي طالب ﷺ. انظر: «ديوانه» (ص ٤٠٦).

(٣) انظر: «ديوانه» (ص ١٠٩).

مِنْ هَذِهِ لَنَكُونُ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٣٢﴾ فَلَمَّا أَنْجَحَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴿٣٣﴾ [يونس: ٢٢، ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان: ٣٢].

❖ أنه سبب لدفع البلاء، ومنعه قبل نزوله، ورفع بعد نزوله، ورد القدر بإذن الله ﷻ وتقديره.

عن ثوبان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يُردُّ القدر إلا الدعاء، وإن الرجل ليُحرّم الرزق بالذنب يصيبه»^(١).
قال ابن القيم^(٢): «والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدفعه ويعالجه، يمنع نزوله ويرفعه أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن».

❖ أنه سبب لتأكيد الأخوة الإيمانية بين المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبدٍ مسلمٍ يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك بمثل»^(٣).

❖ أنه يسير لا يحتاج إلى كُلفة وتعب، وفي الحديث: «أعجز الناس من عجز عن الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام»^(٤).

(١) أخرجه ابن ماجه في الفتن (٤٠٢٢)، وأحمد ٥/ ٢٧٧ (٢٢٣٨٦)، وصححه ابن حبان ٣/ ١٥٣ (٨٧٢)، والحاكم (٤٧٣/ ١). قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (١٤٥٢)، وفي «ضعيف الترغيب والترهيب» (١٤٧٣، ١٤٧٨).

(٢) في «الداء والدواء» (ص ١).

(٣) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٣٢)، وأبو داود في الصلاة (١٥٣٤).

(٤) أخرجه الطبراني في «الأوسط» ٥/ ٣٧١ (٥٥٩١)، وأبو الشيخ في «أمثال الحديث» (٢٤٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٩/ ٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا. قال الهيثمي في «المجمع» (٢١/ ٨): «رواه الطبراني في «الأوسط»، وقال: لا يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد، ورجاله رجال الصحيح غير مسروق بن المرزبان، وهو ثقة». وحسن سنده الألباني في «الصحيحة» (٦٠١)، وأخرجه البخاري

الوقفه الثانية في: آداب الدعاء، وأسباب الإجابة

آداب الدعاء وأسباب الإجابة كثيرة، من أهمها ما يلي:

❖ الحمد لله، والشناء على الله ﷻ:

كما علّم الله ﷻ المؤمنين في قوله ﷻ في سورة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴿٣﴾ **مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴿٤﴾ [الفاتحة: ٢-٤] فهذه الآيات حمد وثناء وتمجيد لله تعالى، وهو إخبار وأمر للمؤمنين بأن يقدموا بين يدي دعائهم الحمد والثناء والتمجيد له ﷻ؛ ليجيبهم، ولهذا قال في الحديث القدسي عن قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]: «هذه بيني وبين عبدي نصفين ولعبي ما سألت». وقال عن قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخر السورة، [٦-٧]، «وهذه لعبي ولعبي ما سألت»^(١).

وكما جاء في دعاء ذي النون عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وعن شداد بن أوس الداري عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»، قال: «من قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»^(٢).

في «الأدب المفرد» (١٠١٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» ١٣/١٩٧ (٢٦٢٦١)، وأبو يعلى في «مسنده» ١٢/٥٢٧ (٦٦٤٩)، وابن حبان في «صحيحه» ١٠/٣٤٩ (٤٤٩٨) موقوفاً على أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) أخرجه مسلم في الصلاة (٣٩٥)، وأبوداود (٨٢١)، والنسائي في الافتتاح (٨٧٢)، والترمذي في التفسير (٢٩٥٣)، وابن ماجه - في إقامة الصلاة (٨٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات (٦٣٠٦)، والنسائي في الاستعاذة (٥٥٢٢)، والترمذي في الدعوات (٣٣٩٣).

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، علمني دعاء أدعوه به في صلاتي. قال: «قل: اللهم إني ظلمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك، إنك أنت الغفور الرحيم»^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، أرأيت إن وافقت ليلة القدر، ما أدعو، أو ما أقول؟ قال: «تقولين: اللهم إنك عفوٌّ تحب العفو فاعف عني»^(٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: جاءت أم سليم رضي الله عنها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، علمني كلماتٍ أدعو بهن. قال: «تسبحين الله عشرًا، وتحمدينه عشرًا، وتكبرينه عشرًا، ثم سلي حاجتك، فإنه يقول: قد فعلت»^(٣).

❖ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: «ما شئت»، قال: قلت: الربع، قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك»، قلت: النصف؟ قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك»، قال: قلت: فالثلثين، قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك»، قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: «إذن تُكفي همَّك، ويُغفرَ لك ذنبُك»^(٤).

والمراد بقوله: كم أجعل لك من صلاتي؟ أي: من دعائي.

(١) أخرجه البخاري في الأذان (٨٣٤)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٥)، والنسائي في السهو (١٣٠٢)، والترمذي في الدعوات (٣٥٣١)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٣٥).

(٢) أخرجه الترمذي في الدعوات (٣٥١٣)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٥٠)، وأحمد ٦/ ١٧١ (٢٥٣٨٤). قال الترمذي: «حسن صحيح». وصححه الألباني في «الصحيحه» (٣٣٣٧).

(٣) أخرجه الترمذي في الوتر (٤٨١)، والنسائي في السهو (١٢٩٩)، وأحمد ٣/ ١٢٠ (١٢٢٠٧). وصححه الألباني في «الصحيحه» (٣٣٣٨).

(٤) أخرجه الترمذي في صفة القيامة (٢٤٥٧)، والحاكم (٤٢١/٢). قال الترمذي: «هذا حديث حسن». وقال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وحسنه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٩٢٩).

❖ الطهارة:

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من رجل يذنب ذنباً، ثم يقوم ويتطهر، ثم يصلي، ثم يستغفر، إلا غفر الله له» ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجَسَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥] (١).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: لما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من حنين، وذكر الحديث، وفيه: فدعا بماء فتوضأ، ثم رفع يديه فقال: «اللهم اغفر لعبيد أبي عامر». ورأيت بياض إبطيه» (٢).
ومن الطهارة: السواك قبل الدعاء تطهيراً للفم.

❖ استقبال القبلة:

عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا المصلّى يستسقي، فدعا واستسقى، واستقبل القبلة، وقلب رداءه (٣).

وفي يوم بدر لما رأى كثرة جيش المشركين استقبل القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض»، فما زال يهتف بربه، ماداً يديه مستقبلاً القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه (٤).

واستقبل صلى الله عليه وسلم القبلة لما دعا عند المشعر الحرام، كما جاء في حديث جابر رضي الله عنه، كما استقبلها لما دعا عند الجمرات في منى؛ كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما (٥).

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة (١٥٢١)، والترمذي في الصلاة (٤٠٦)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٣٩٥)، وأحمد ٢/١ (٢). قال الترمذي: «حسن». وحسنه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١٣٢٤).

(٢) أخرجه البخاري في المغازي (٤٣٢٣)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٩٨).

(٣) أخرجه البخاري في الدعوات (٦٣٤٣)، ومسلم في الاستسقاء (٨٩٤)، والنسائي في الاستسقاء (١٥٠٥)، وابن ماجه في إقامة الصلاة، والسنة فيها (١٢٦٧).

(٤) أخرجه مسلم في الجهاد (١٧٦٣) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٥) سيأتي تخريجهما.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة فدعا على نفر من قريش ^(١).
قال النووي في «شرح مسلم» ^(٢) في شرح حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه: «فيه استحباب استقبال القبلة»، يعني: في الدعاء.

❖ الإخلاص في الدعاء:

قال الله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥]

❖ إظهار الرغبة والرغبة والخشوع، والشكوى إلى الله تعالى، والافتقار إليه صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى في الثناء على زكريا وزوجه وابنه يحيى عليهم السلام: ﴿إِنَّمَا كَانُوا يُسْتَرْعَبُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

وقال أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وقال زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

وكما في دعاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر ^(٣).

❖ أن يعزم المسألة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يقولنَّ أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة؛ فإن الله لا مكْرَهَ له» ^(٤).

(١) أخرجه البخاري في المغازي (٣٩٦٠)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٩٤).

(٢) ١٨٩ / ٦.

(٣) سيأتي تخريجه قريبًا.

(٤) أخرجه مالك في القرآن (٢١٣ / ١)، والبخاري في الدعوات (٦٣٣٩)، ومسلم في الذكر والدعاء والتوبة

(٩ / ٢٦٧٩)، وأبو داود في الصلاة (١٤٨٣)، والترمذي في الدعوات (٣٤٩٧).

وفي رواية: «فإن الله لا يتعاضمه شيء أعطاه»^(١).

❖ أن يكرر الدعاء ثلاثاً، ويُليح على الله تعالى في الدعاء:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، من حديث طويل عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه: فلما قضى صلاته رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، ثم قال: «اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش»^(٢).

وفي قصة سحر النبي صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها: «فدعا ثم دعا ثم دعا»^(٣).

وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا جاء الرجل يعود مريضاً فليقل: اللهم اشفِ عبدك ثلاثاً»^(٤).

قال ابن عبد البر^(٥): «مَنْ أَدْمَنَ قَرَعَ الْبَابَ يَوْشِكُ أَنْ يُفْتَحَ لَهُ، وَلَا يَمَلُ اللَّهُ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْعِطَاءِ حَتَّى يَمَلُ الْعَبْدُ مِنَ الدُّعَاءِ، وَمَنْ عَجَلَ وَتَبَرَّمَ فَنَفْسَهُ ظَلَمَ».

❖ رفع اليدين في الدعاء:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: دعا النبي صلى الله عليه وسلم ثم رفع يديه، ورأيتُ بياضَ إبطيه»^(٦).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه وقال: «اللهم أبرأ إليك مما فعل خالد»^(٧).

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنْ رَبَكُمْ صلى الله عليه وسلم حَيٌّ يُسْتَحْيَى مِنْ

عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»^(٨).

ورفع اليدين إنما يكون فيما ثبت رفع اليدين فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ كالأستسقاء، ولو كان في خطبة الجمعة، ويوم عرفة، وليلة مُزدلفة، وعند الجمرتين الأولى والثانية أيام التشريق،

(١) أخرجه مسلم (٨/٢٦٧٩).

(٢) أخرجه البخاري في الصلاة (٥٢٠)، ومسلم في الجهاد والهجرة (١٧٩٤)، والنسائي في الطهارة (٣٠٧).

(٣) أخرجه مسلم في السلام (٢١٨٩)، وابن ماجه في الطب (٣٥٤٥).

(٤) سيأتي تخريجه قريباً. (٥) في الاستذكار ٢/٥٢٦.

(٦) سبق تخريجه قريباً.

(٧) أخرجه البخاري في المغازي (٤٣٣٩)، والنسائي في آداب القضاة (٥٤٠٥)، وأحمد ١٥٠/٢ (٦٣٨٢).

(٨) أخرجه أبو داود في الصلاة (١٤٨٨)، والترمذي في الدعوات (٣٥٥٦)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٦٥).

قال الترمذي: «حسن غريب». وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٣٣٧).

وعلى الصفا والمروة، وغير ذلك.

ويكون أيضًا في الدعاء العام، دون الأدعية الموظفة بأوقات وأماكن وأحوال، ولم يرد رفع اليدين فيها؛ ولهذا لا يُشْرَعُ بعد الفريضة، ولم يُنْقَلْ رفعهما بعد النافلة، فالأولى عدم المداومة عليه، أو تركه.

أما مسح الوجه باليدين بعد الدعاء فالأحاديث فيه ضعيفة، وقال بعض أهل العلم: «لا يُنْكَرُ على من فعله».

❖ تحري أوقات الإجابة وأحوالها وأماكنها:

كدبر الصلوات، وثلاث الليل الآخر، ويوم الجمعة، وكحال السجود، والصوم، والسفر، وحال حضور القلب وصفائه وإقباله على الله تعالى، وفي أماكن الإجابة كعرفة، وعند المشعر الحرام، وعند الجمرات، وعلى الصفا والمروة.

❖ الاستعانة بالله تعالى:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «يا معاذ، والله إني لأحبك، والله إني لأحبك» فقال: «أوصيك يا معاذ لا تدعني في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»^(١).

ومن عونه ﷺ على ذكره وشكرك وحسن عبادته التوفيق للدعاء؛ إذ لا شيء يتم للعبد إلا بعون الله تعالى وتوفيقه، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:^(٢)

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

❖ الإقرار والاعتراف بالذنب والظلم للنفس، وسؤال الله تعالى المغفرة والرحمة:

قال تعالى: ﴿وَذَا التَّوْنِ إِذْ ذَهَبَ مُغْلَبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ

إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ، وَكَذَلِكَ نُشَجِّي

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة (١٥٢٢)، والنسائي في الصلاة (١٣٠٣)، وأحمد ٥/٢٤٤ (٢٢١١٩)، والبخاري

في «الأدب المفرد» (٦٩٠). وصححه الألباني «الأدب المفرد»، وفي «صحيح أبي داود» (١٣٦٢).

(٢) انظر: «ديوان علي رضي الله عنه» ص (٣٧)، و«الفرج بعد الشدة» (١/١٧٧)، و«محاضرات الأدباء» (١/٥٣٢).

الْمُؤْمِنِينَ ﴿[الأنبياء: ٨٧، ٨٨]، وقال موسى ﷺ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرْتَهُ إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٦].

وقال نبينا محمد ﷺ: «أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعاً، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»^(١).

وقالت ملكة سبأ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].
وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، علمني دعاءً أدعوه به في صلاتي، قال: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»^(٢).

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. فمن قالها في النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»^(٣).

﴿ أن يبدأ بالدعاء لنفسه، ولو لوالديه، ويثنى بالدعاء لإخوانه المؤمنين:

قال نوح ﷺ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَارًا﴾ [نوح: ٢٨]، وقال إبراهيم ﷺ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

وقال نبينا محمد ﷺ: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩].
وامتدح ﷺ المؤمنين بقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

(١) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين (٧٧١)، وأبو داود في استفتاح الصلاة (٧٦٠)، والنسائي في الاستفتاح (٨٩٧)، والترمذي في الدعوات (٣٤٢١) من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه قريباً. (٣) سبق تخريجه قريباً.

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ذكر أحداً فدعا له بدأ بنفسه ^(١).
ولشروعية دعاء الإنسان لغيره من إخوانه شرع التأمين على الدعاء، كما في التأمين
بعد الفاتحة، وكما جاء أن هارون عليه السلام كان يؤمّن على دعاء أخيه موسى عليه السلام: ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ
عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَسَدِّدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾، ولهذا قال الله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ
دَعْوَتُكُمْ﴾ [يونس: ٨٨، ٨٩]، بضمير التثنية.

❦ اليقين بالإجابة وحضور القلب:

لقوله تعالى في الحديث القدسي: «ولعبي ما سألت» ^(٢).
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة،
واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء قلب غافل لاه» ^(٣).
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مسلم يدعو الله بدعوة
ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها؛ إما أن يعجل له دعوته في الدنيا، وإما
أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها». قالوا: إذن نُكثِر. قال:
«الله أكثر» ^(٤).

قال ابن القيم ^(٥): «قال يحيى بن معاذ: من جمع الله له قلبه في الدعاء لم يرده».

(١) أخرجه أبو داود في الحروف والقراءات (٣٩٨٤)، والترمذي في الدعوات (٣٣٨٥)، وأحمد ١٢١ / ٥
(٢١١٢٦). قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب صحيح».

(٢) سبق تخريجه قريباً.

(٣) أخرجه الترمذي في الدعوات (٣٤٧٩)، والحاكم (٤٩٣ / ١). قال الترمذي: «هذا حديث غريب». وقال الحاكم: «هذا حديث مستقيم الإسناد تفرد به صالح المري، وهو أحد زهاد أهل البصرة، ولم يخرجاه». وأخرجه أحمد ١٧٧ / ٢ (٦٦٥٥) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه. وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٩٤).

(٤) أخرجه أحمد ١٨ / ٣ (١١١٣٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٠). وصححه الألباني في تحقيقه «الأدب المفرد». وأخرجه الترمذي في الدعوات (٣٥٧٣) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه. قال الترمذي: «حديث حسن صحيح غريب».

(٥) في «الفوائد» (ص ٤٧).

ثم قال ابن القيم: «قلت: إذا اجتمع عليه قلبه، وصدقت ضرورته وفاقته، وقوي رجاؤه، فلا يكاد يُرَدُّ دعاؤه».

قال ابن حجر^(١): «كل داعٍ يستجاب له، لكن تتنوع الإجابة، فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة بعوضه».

١٥ عدم استعجال الإجابة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُستجاب لأحدكم ما لم يُعَجِّلْ، يقول: دعوتُ، ودعوتُ فلم يُسْتَجَبْ لي»^(٢).

وفي رواية: «لا يزال يُستجاب للعبد ما لم يدعُ بإثمٍ أو قطيعةٍ رحِمَ ما لم يستعجل». قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال: «يقول: قد دعوتُ، وقد دعوتُ فلم أرَ يستجيب لي. فيستحسر عند ذلك ويدعُ الدعاء»^(٣).

قال داود بن أبي هند: «الإجابة عند حلاوة الدعاء»^(٤).

أي: عندما يستشعر العبد لذة مناجاة الله تعالى، ويجد الأُنس والسعادة بالدعاء، يكرمه الله ﷻ بالإجابة والعتاء.

ومقام الدعاء مقام عظيم، فمن فتح الله عليه بالدعاء، فقد جمع له مفاتيح الخير كلها؛ من قوة الإيمان واليقين، وحسن الظن بربه، وأجر الدعاء وثوابه، والسلامة من القنوط واليأس والإحباط، والاستغناء عن الخلق.

ومن تأمل سير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ظهر له ذلك، فهذا إبراهيم خليل الرحمن ﷺ صبر على الابتلاء ولازم الدعاء، ففاز بالإجابة وأعظم على ربه الشاء: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

(١) في «فتح الباري» (١١ / ٩٥).

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات (٦٣٤٠)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٣٥ / ٩٠)، وأبو داود في الصلاة (١٤٨٤)، والترمذي في الدعوات (٣٣٨٧)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٥٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٣٥ / ٩٢).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤ / ٢٧٤)، وانظر: «سير أعلام النبلاء» (٤ / ٣٤٠).

وُلد له إسماعيل وعمره (٩٠) عامًا، وولد له إسحاق وعمره (١١٢) عامًا، وكانت امرأته عقيماً، ومع ذلك لم يستعجل ﷺ الإجابة، ولم ييأس من رحمة الله تعالى ويترك الدعاء. ❁ خفض الصوت بالدعاء.

قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَجْهَرُ بِصَوْتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]. وقال تعالى عن زكريا ﷺ: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة، فجعلنا لا نصعد شرفاً، ولا نعلو شرفاً، ولا نهبط وادياً إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير، قال: فدنا منا فقال: «يا أيها الناس، ازْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا، إِنْ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبَ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ، يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَةً مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(١).

قال الحسن البصري ﷺ: «بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفًا، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما يُسمع لهم صوت، إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾، وإن الله ذكر عبدًا صالحًا، ورضي بفعله فقال: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾»^(٢).

قال ابن تيمية ﷺ: «وفي إخفاء الدعاء فوائد عديدة: أنه أعظم إيمانًا؛ لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع الدعاء الخفي، وأنه أعظم في الأدب والتعظيم، وأنه أبلغ في التضرع والخشوع الذي هو روح الدعاء ولُّبه ومقصوده، وأنه أبلغ في الإخلاص، وأنه أبلغ في جمعية القلب على الذلة في الدعاء، فإن رفع الصوت يفرِّقه، وأنه دال على قرب صاحبه من الله، وأنه لا اقترانه منه وشدة حضوره يسأله مسألة مناجاة القريب للقريب، لا مسألة نداء البعيد للبعيد، وأنه أدعى بدوام الطلب والسؤال، فإن اللسان لا يمل والجوارح لا

(١) أخرجه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٩٢)، وفي القدر (٦٦١٠)، ومسلم في الذكر (٢٧٠٤)، وأبو داود في الصلاة (١٥٢٦ - ١٥٢٨)، والترمذي في الدعوات (٣٣٧٤).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٥ / ١٥)، و«بدائع الفوائد» (٦ / ٣).

تتعب، بخلاف ما إذا رفع صوته، وأنه أبعد له من القواطع والمشوشات، فإن الداعي إذا أخفى دعاءه لم يدر به أحد، فسلم من الممانع والمعارض والحاسد، وقد قال يعقوب ليوسف ﷺ: ﴿لَا نَقْضُ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥] (١).

❖ أن يقدم بين يدي دعائه عملاً صالحاً يتقرب به إلى الله ﷻ، ويتوسل به: من صدقة وصلاة وقراءة القرآن، فهذا أخرى للإجابة؛ كما جاء في حديث الثلاثة الذين أَوْوُوا إلى غار، فانطبقت عليهم الصخرة، فتوسل كل منهم بأفضل أعماله، فاستجاب الله تعالى لهم، فانفجرت الصخرة وخرجوا يمشون (٢).

❖ أن يتوسل إلى الله تعالى بأمرٍ يرتب على إجابة دعائه: كما في قوله ﷺ لما كان يدعو قبيل معركة بدر: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض» (٣).

ومن ذلك قول موسى ﷺ: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَذُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ تُسْحِكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَتَذَكَّرَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٢٧ - ٣٥].

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جاء الرجل يعود مريضاً فليقل: اللهم اشفِ عبدك ثلاثاً، يَنكأُ لك عدوًّا، أو يمشي لك إلى الصلاة» (٤).

❖ البكاء:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن النبي ﷺ تلا قوله: ﴿رَبِّ إِنَّمَنْ أَضَلَّنْ كَثِيرًا﴾

- (١) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٥ / ١٥ - ١٩)، و«بدائع الفوائد» لابن القيم (٣ / ٦ - ١٠).
- (٢) أخرجه البخاري في البيوع (٢٢١٥)، وفي الإجارة (٢٢٧٢)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٤٣)، وأبو داود في البيوع (٣٣٨٧)، وأحمد ١١٦ / ٢ (٥٩٧٣) من حديث عبد الله بن عمر ﷺ.
- (٣) أخرجه أحمد ١١٧ / ١ (٩٤٨)، والبخاري ٢ / ٢٩٦ (٧١٩)، والطبري في «جامع البيان» (١١ / ٦٢ - ٦٣). وقال الهيثمي في «المجمع» (٦ / ٧٦): «رواه أحمد والبخاري، ورجال أحمد رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب وهو ثقة».
- (٤) أخرجه أبو داود في الجنائز (٣١٠٧)، وأحمد ١٧٢ / ٢ (٦٦٠٠)، والحاكم (١ / ٣٤٤). قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخبره». وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٠٤، ١٣٦٥).

مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْزِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴿ [إبراهيم: ٣٦]، وقال عيسى: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فرجع يديه وقال: «اللهم أمتي، أمتي». وبكى، فقال الله ﷻ: «يا جبريل، اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل ﷻ فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك»^(١).

❖ ألا يستحيي الداعي أن يسأل الله كل ما يجوز سؤاله:

كبيراً كان أو صغيراً، فإن الله ﷻ يغفر الكبير كما يغفر الصغير، ويعطي الكثير كما يعطي القليل، ولا يتعاضمه شيء أعطاه.
قال سليمان ﷻ: ﴿وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥]، فأعطاه الله ﷻ ذلك بتسخير الريح له والشياطين.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «فإن الله لا يتعاضمه شيء أعطاه»^(٢).

وعن أنس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله ﷻ يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني، غفرتُ لك ولا أبالي، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»^(٣).

وعن عائشة ﷻ قالت: «سلوا الله كل شيء حتى الشسع»^(٤)؛ فإن الله إن لم ييسره لم يتيسر»^(٥).

(١) أخرجه مسلم في الإيمان (٢٠٢)، والنسائي في «الكبرى» ٦/٣٧٣ (١١٢٦٩).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه الترمذي في الدعوات (٣٥٤٠). وقال: «حسن غريب». وصححه الألباني في «الصحيح» (١٢٧).

(٤) الشسع: سير النعل، انظر: «لسان العرب» مادة «شسع».

(٥) أخرجه أحمد في «الزهد» (١١٣٨)، وأبو يعلى في «مسنده» ٨/٤٤ (٤٥٦٠)، وابن السني في «عمل

اليوم والليلة» (٣٥٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» ٢/٤٢ (١١١٩). قال الهيثمي في «المجمع»

(١٥٠/١٠): «رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله بن نمير، وهو ثقة». وقال

فاسأل أخي المسلم ربك ما بدا لك، وكن عالي الهمة طموحاً حريصاً على سؤال معالي الأمور، وأعلى المطالب الدينية والدنيوية والأخروية، وأعلى ذلك وأعظمه الفوز بالزحزحة عن النار، ودخول الجنة مع الأبرار، ورؤية العزيز الغفار.

قال الشاعر:

إذا غامرت في شرفٍ مَرُومٍ فلا تَقْنَعُ بما دونَ النجومِ^(١)

وقال الآخر:

على قَدْرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ وتأتي على قدرِ الكرامِ المكارمُ
وتعظمُ في عينِ الصغيرِ صغارُها وتصغرُ في عينِ العظيمِ العظائمُ^(٢)

❖ ملازمة الأدعية المقيّدة في أوقاتها وأحوالها وأماكنها:

كالأدعية دُبر الصلوات، وأدعية الصباح والمساء، وعند النوم، وغير ذلك، والأدعية عند دخول المسجد والخروج منه، وعند دخول المنزل والخروج منه، ودخول الخلاء والخروج منه، وبدعاء السفر، ودعاء هبوب الريح، ودعاء الكرب، وغير ذلك، وفي عَرَفة وفي مُزدلفة، وعند الجمرتين الأولى والثانية أيام التشريق، وفي المطاف، وعلى الصفا والمروة، وعند نزول منزل، وغير ذلك.

❖ اختيار الأسماء والصفات المناسبة لكل دعاء، كأن يقول: يا غفور اغفر لنا، يا رحمن ارحمنا، يا كريم أكرمنا، يا رزاق ارزقنا، يا تواب تُب علينا، يا حفيظ احفظنا، يا لطيف الطف بنا، وهكذا.

كما في قول موسى ﷺ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١]، وقوله ﷺ: ﴿فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ حَيْرُ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، وقول سليمان ﷺ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

الألباني في «الضعيفة» (٧٦/١): «أخرجه ابن السني بسند حسن». وصححه في «الصحيحة» (٢١٣).

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي، انظر: «ديوانه» ص (٢٣٢).

(٢) البيتان لأبي الطيب المتنبي، انظر: «ديوانه» ص (٣٨٥).

وقول الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ

الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

وقوله ﷺ: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾

[المؤمنون: ١٠٩]، وقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨].

❖ أن يختار من الأدعية أفضلها، وأحراها بالإجابة، ومن ذلك:

أ- الدعاء باسم الله الأعظم:

عن بُريدة رضي الله عنها قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو ويقول: اللهم أسألك بأني أشهد أنك الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فقال: «والذي نفسي بيده لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يدعو: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان، بديع السماوات والأرض، ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال: «لقد سألت الله باسمه الأعظم»^(١).

جوامع الدعاء:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك^(٢).

أولاً: جوامع الدعاء من القرآن الكريم:

من جوامع الدعاء من القرآن الكريم ما يأتي:

❖ دعاء الفاتحة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا

(١) أخرجه أبو داود في الوتر (١٤٩٥)، والنسائي في السهو (١٣٠٠)، الترمذي في الدعوات (٣٥٤٤)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٥٨)، وأحمد ٣/ ١٢٠ (١٢٢٢٦)، وابن حبان ٣/ ١٧٥ - ١٧٦ (٨٩٠)، والحاكم (١/ ٥٠٣ - ٥٠٤)، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٣٤٢).

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة (١٤٨٢)، وأحمد ٦/ ١٨٩ (٢٥١٥١). وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٣٣٢)، وقال في «أصل صفة الصلاة» (٣/ ١٠١٣): «وسنده صحيح على شرط مسلم».

الصَّالِينَ ﴿ الفاتحة: ٦، ٧.]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته: «ولهذا كان أنفع الدعاء وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]، فإنه إذا هداه الصراط المستقيم أعانته على طاعته، وترك معصيته، فلم يصبه شر؛ لا في الدنيا ولا في الآخرة»^(١).

❖ الدعاء والاستعاذة بالمعوذتين: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾، و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾: فقد «كان النبي ﷺ يتعوذ بالله من الجنّ وعين الإنسان، فلما نزلت المعوذتان أخذ بها وترك ما سواهما»^(٢).

❖ ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].
عن أنس بن مالك رضي عنه قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار»^(٣).

❖ ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧].
عن سعد بن أبي وقاص رضي عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، إنه لم يدعُ بها رجل مسلم في شيء قطُّ إلا استجاب الله له»^(٤).
❖ الدعاء باسم الرب ﷻ، وصفة الربوبية:

فقد كان أكثر دعاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين بذلك كما جاء في القرآن

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» ١٤ / ٣٢٠.

(٢) أخرجه ابن ماجه في العين (٣٥١١)، والنسائي في الاستعاذة من عين الجن (٥٤٩٤)، (٧٨٧٧).

(٣) أخرجه البخاري في الدعوات (٦٣٨٩)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٠)، وأبو داود في الصلاة (١٥١٩)، وأحمد ٣ / ١٠١ (١١٩٨١).

(٤) أخرجه الترمذي في الدعوات (٣٥٠٥)، وأحمد ١ / ١٧٠ (١٤٦٢)، والنسائي في «الكبرى» ٦ / ١٦٨ (١٠٤٩٢)، والحاكم (١ / ٥٠٥). قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٨٣).

الكريم؛ لأن معنى الرب: الخالق المالك المدبر، الذي بيده أفعال الربوبية كلها من الخلق والرزق والإحياء والإماتة والنفع والضرر، وغير ذلك.

قال الأبوان عليهما الصلاة والسلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وقال نوح ﷺ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا يُزِدْ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَارًا﴾ [نوح: ٢٨]، وقال: ﴿رَبِّ أَنْزِلْ مِنَّا مَبْرُكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنين: ٢٩].

وقال إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام: ﴿رَبَّنَا قَبَلْنَا مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وقال إبراهيم ﷺ: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ إلى قوله: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٣٥-٤١] فتوسل بربوبية الله ﷻ في هذه الآيات تسع مرات.

وقال ﷺ في سورة الأنعام: ﴿لِيَن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الآية: ٧٧]، وقال ﷺ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصفات: ١٠٠].

وقال موسى ﷺ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦]، وقال ﷺ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

وقال عيسى ﷺ: ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة: ١١٤].

وقال تعالى حكاية عن أيوب ﷺ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وقال زكريا ﷺ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩].

وقال سليمان ﷺ: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

وقالت آسية بنت مزارح امرأة فرعون ﷻ: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبَنِّحْنِي مِنَ

فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ، وَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغُورِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ [التحریم: ١١].

وقالت ملكة سبأ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ [النحل: ٤٤].

وقال أصحاب الكهف: ﴿رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةٌ وَهِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشْدًا ﴿١٠﴾ [الكهف: ١٠].

وقال حملة العرش من الملائكة ﷺ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ

تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ ﴿٧﴾ [غافر: ٧، ٨].

وقال المؤمنون: ﴿رَبَّنَا لَا تَوَخُّذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ

عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى

الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٥، ٢٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦].

وقالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تَفْرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ

النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيثَاقَ ﴿٨﴾ [آل عمران: ٨، ٩].

وقالوا: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ

عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١١٣﴾ رَبَّنَا وَءَايِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيثَاقَ ﴿١١٣﴾

[آل عمران: ١٩٣، ١٩٤].

وقالوا: ﴿رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿١٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿١٥﴾

[الفرقان: ٦٥، ٦٦].

وقالوا: ﴿رَبَّنَاهَبْنَا مِنْ أَرْوَجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا فَرَّةَ أَعْيُنٍ وَأَجْعَلْنَا الْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ [الفرقان: ٧٤].

وقالوا: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا

إِنَّكَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ [الحشر: ١٠].

وقال ﷺ أمرا نبيه محمداً ﷺ وأمته: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٧٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ

رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٧٧﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨].

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾ [المؤمنون: ١١٨].

وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوِّبِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعِ الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ

وَتُذِلُّ مَنْ شَاءَ بِيَدِكَ الْحَزِيءُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦١﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ شَاءَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٦٢﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧].

وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٤٦].

وذكر ﷺ دعاء الإنسان بعد بلوغ أشده وبلوغ أربعين بقوله: ﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَوَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دِينِي لِي فِي دِينِي إِنَّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وقد اشتملت هذه الأدعية على حسنة الدنيا والآخرة، وعلى كل ما فيه صلاح العبد في دينه ودنياه وأخراه، من سؤال الله ﷻ الهداية إلى الصراط المستقيم والرشد والدخول في الإسلام والإيمان، والثبات على ذلك والوفاء عليه، والسلامة من الشرك، ومن طريق المغضوب عليهم والضالين، وسؤاله ﷻ دخول الجنة والوقاية من النار، ومن الخزي يوم القيامة، وسؤاله ﷻ قبول الأعمال، ومغفرة الذنوب وتكفير السيئات، والتوكل على الله والافتقار إليه، وسؤاله الحفظ والكفاية والرحمة وعدم المؤاخذه على النسيان والخطأ، وعدم تحميلهم إصرًا وما لا يطيقونه، وسؤاله التوفيق إلى إقام الصلاة والعمل الصالح وشكر النعم، والذرية الطيبة الصالحة، وقرة العين من الأزواج والذريات، وسؤاله بركة المنزل، وكشف الضر، والإعازة من همزات الشياطين وحضورهم، ومن جميع شرور الخلق، ومن السحر والحسد والوسواس وغير ذلك.

ثانيًا: جوامع الدعاء من السنة النبوية المطهرة:

من جوامع الدعاء من السنة النبوية المطهرة ما يأتي:

❖ دعاء عرفة:

عن طلحة بن عبيد الله بن كريب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أفضل الدعاء دعاء عرفة، وأفضل ما قلتُ أنا والنبيون من بعدي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له»^(١).

(١) أخرجه مالك في القرآن (٢١٤/١)، وفي الحج (٤٢٢/١)، وعنه عبد الرزاق في «مصنفه» ٣٧٨/٤

❖ سؤال الله تعالى ثبات القلب على الدين:

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلَّبَ القلوب ثبَّتْ قلبي على دينك»، فقلت: يا رسول الله، آمناً بك وبما جئت به، لأنت تخاف علينا؟ قال: «نعم، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء»^(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد يصرفه كيف يشاء»، ثم قال رسول الله ﷺ: «يا مصرِّفَ القلوب صرِّفْ قلوبنا على طاعتك»^(٢).

❖ سؤال الله تعالى الهدى والتقى والعفاف والسداد والغنى:

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يفتتح صلاته إذا قام من الليل بقوله: «اللهم ربَّ جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطرَ السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»^(٣).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى»^(٤).

(١٢٥) عن طلحة بن عبيد الله بن كرز بن أحد التابعين مرسلًا. قال الألباني في «الصحيحة» (٧/٤): «وهذا إسناد مرسل صحيح». وأخرجه الترمذي في الدعوات (٣٥٨٥) من حديث عمرو بن شعيب عن أبي عن جده رضي الله عنه. وقال: «حديث غريب». وقال الألباني في «الصحيحة» (٧/٤): «أخرجه الترمذي بسند فيه ضعف».

(١) أخرجه الترمذي في القدر (٢١٤٠)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٣٤)، وأحمد ١١٢/٣ (١٢١٠٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٨٣). قال الترمذي: «حديث حسن». وصححه الألباني في تحقيقه لـ «الأدب المفرد».

(٢) أخرجه مسلم في القدر (٢٦٥٤)، وأحمد ١٦٨/٢ (٦٥٦٩).

(٣) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين (٧٧٠)، وأبو داود في الصلاة (٧٦٧)، والنسائي في قيام الليل (١٦٢٥)، والترمذي في الدعوات (٣٤٢٠)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٣٥٧).

(٤) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢١)، والترمذي في الدعوات (٣٤٨٩)، وابن ماجه في الدعاء

وعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل: «اللهم اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادةً لي في كل خير، والموت راحةً لي من كل شر»^(٢).

❖ سؤال الله تعالى العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، والحفظ في الأهل والمال:

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: «اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي، وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي»^(٣).

❖ سؤال الله تعالى المغفرة:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو بهذا الدعاء: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جدي وهزلي، وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير»^(٤).

❖ دعاء السجود:

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده: «اللهم إني أعوذ برضاك من

(٣٨٣٢)، وأحمد ١/٤١٦ (٣٩٥٠).

(١) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٥)، وأبو داود في الخاتم (٤٢٢٥)، والنسائي في الزينة (٥٢١٢)، وأحمد ١/١٥٤ (١٣٢١).

(٢) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٠).

(٣) أخرجه أبو داود في الأدب (٥٠٧٤)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٧١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٢٠٠)، وأحمد ٥/٢٥ (٤٧٨٥). وصححه الألباني في تحقيقه «الأدب المفرد».

(٤) أخرجه البخاري في الدعوات (٦٣٩٨، ٦٣٩٩)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧١٩)، وأحمد ٤/٤١٧ (١٩٧٣٨).

سَخَطِكَ، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده: «اللهم اغفر لي ذنبي كله، دِقَّةً وَجِلَّةً، وأوله وآخره، وعلانيته وسره»^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول في سجوده: «اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي سمعي نوراً، وفي بصري نوراً، وعن يميني نوراً، وعن شمالي نوراً، وأمامي نوراً، وخلفي نوراً، وفوقي نوراً، وتحتي نوراً، واجعل لي نوراً»^(٣).

❖ دعاء قيام الليل:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا تهجد من الليل قال: «اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد أنت قِيَمُ السماوات والأرض، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهنَّ، أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك الحق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلهي لا إله إلا أنت»^(٤).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يقول: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم

(١) أخرجه مالك في القرآن (١/ ٢١٤)، ومسلم في الصلاة (٤٨٦)، وأبو داود في الصلاة (٨٧٩)، والنسائي في الطهارة (١٦٩)، وفي التطبيق (١١٠٠)، والترمذي في الدعوات (٣٤٩٣)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٤١).

(٢) أخرجه مسلم في الصلاة (٤٨٣)، وأبو داود في الركوع والسجود (٨٧٨).

(٣) أخرجه البخاري في الدعوات (٦٣١٦)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٦٣)، وأبو داود في الصلاة (١٣٥٣)، والنسائي في التطبيق (١١٢١).

(٤) أخرجه مالك في القرآن (١/ ٢١٥)، والبخاري في الدعوات (٦٣١٧)، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٧٦٩)، وأبو داود في افتتاح الصلاة (٧٧١)، والترمذي في الدعوات (٣٤١٨)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٥٥).

بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهديني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»^(١).

❖ دعاء الجلوس بين السجدين:

عن أبي مالك الأشجعي، عن أبيه رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ وأتاه رجل فقال: يا رسول الله، كيف أدعو حين أسأل ربي؟ قال: «قل: اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني - ويجمع أصابعه إلا الإبهام- فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك»^(٢).

❖ الاستعاذة بالله تعالى من الشرك وغيره:

عن مَعْقِل بن يَسَار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر رضي الله عنه: «قل: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم»^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»^(٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين، ويقول: «إن أباكما كان يعوِّذ بهما إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة»^(٥).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا هذه الكلمات كما

(١) سبق تخريجه قريباً.

(٢) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٧)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٤٥)، وأحمد ٢/ ٤٧٢ (١٥٨٧٧).

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧١٦)، وأبو يعلى في «مسنده» ١/ ٦٢ (٦٠، ٦١). وقال الهيثمي في «المجمع» (٢٢٤/١٠): «رواه أبو يعلى عن شيخه: عمرو بن الحصين العقيلي، وهو متروك». وصححه الألباني في تحقيقه لـ«الأدب المفرد».

(٤) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٨٨)، وأحمد ٢/ ٤٧٧ (١٠١٨٠).

(٥) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٧١)، وأبو داود في السنة (٤٧٣٧)، والترمذي في الطب

(٢٠٦٠)، وابن ماجه في الطب (٣٥٢٥).

تعلم الكتابة: «اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن أُرَدَّ إلى أرذل العُمُر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وعذاب القبر»^(١).

وعن أنس رضي الله عنه، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهم، والحزن، والكسل، والجبن، والبخل، وضَلَع الدّين، وغلبة الرجال»^(٢).

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والبخل، والهَرَم، وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكّها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يُستجاب لها»^(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهَرَم، والمغرم والمأثم، اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار، وفتنة النار، وفتنة القبر، وعذاب القبر، وشر فتنة الغنى، وشر فتنة الفقر، ومن شر فتنة المسيح الدجال، اللهم اغسل خطاياي بماء الثلج والبرَد، ونقّ قلبي من الخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب»^(٤).

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تعوذوا بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن»^(٥).

وعن ابن عباس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن

(١) أخرجه البخاري في الدعوات (٦٣٩٠)، والنسائي في الاستعاذة (٥٤٤٥)، والترمذي في الدعوات (٣٥٠٧).

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٩٣)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٦)، وأبو داود في الوتر (١٥٤١)، والنسائي في الاستعاذة (٥٤٤٩)، والترمذي في الدعوات (٣٤٨٤).

(٣) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٢)، والنسائي في الاستعاذة (٥٤٥٨)، وأحمد ٤ / ٣٧١ (١٩٣٠٨).

(٤) أخرجه البخاري في الدعوات (٦٣٧٥)، والنسائي في الاستعاذة (٥٤٧٧)، وأحمد ٦ / ٢٠٧ (٢٥٧٢٧).

(٥) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٦٧).

تُضِلَّنِي، أنت الحي الذي لا يموت، والإنس والجن يموتون»^(١).
وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من سوء القضاء، ومن دَرَك الشقاء،
ومن شماتة الأعداء، ومن جهد البلاء^(٢).
وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملتُ،
ومن شر ما لم أعملْ»^(٣).
وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني أعوذ بك من زوال
نعمتك، وتحول عافيتك، وفُجاءة نِقمتك، وجميع سخطك»^(٤).
وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من البرص، والجنون،
والجذام، ومن سبيئ الأسقام»^(٥).

❖ دعاء قضاء الدين والغنى من الفقر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة رضي الله عنها: «قولي: اللهم ربَّ السماوات
السبع، وربَّ العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، مُنْزَلُ التوراة والإنجيل والقرآن
العظيم، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر
فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقضِ عنا الدين وأغننا من الفقر»^(٦).

❖ دعاء الكرب:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله
إلا الله رب السماوات والأرض وربَّ العرش العظيم»^(٧).
وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كربه أمر قال: «يا حيَّ يا قيوم برحمتك

(١) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧١٧).

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات (٦٣٤٧)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧١٦).

(٤) أخرجه مسلم في الرقاق (٢٧٣٩)، وأبو داود في الرقاق (٢٧٣٩).

(٥) أخرجه أحمد (١٣٠٠٤)، وأبو داود في الاستعاذة (١٥٥٤).

(٦) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧١٣)، والترمذي في الدعوات (٣٤٨١)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٣١).

(٧) أخرجه البخاري في الدعوات (٦٣٤٥)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٣٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

أستغيث» (١).

إلى غير ذلك من جوامع أدعية السنة التي تجلُّ عن الحصر من الأدعية العامة، والأدعية المقيّدة في الأوقات والأماكن والأحوال.

وقد اشتملت هذه الأدعية على توحيد الله تعالى وتعظيمه والثناء عليه وسؤاله الثبات على الدين والهدى والتقوى والعفاف والسداد والغنى، والعفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، والحفظ في الأهل والمال، والتعوذ بالله وبرضاه من سخطه وبعفوه من عقوبته، وسؤال مغفرة الذنب والخطأ والجهل والعمد والإسراف والجد والهزل، وما قدم وما أحر، وما أسر وما أعلن، وصلاح أمر الدين والدنيا والآخرة، وجعل الحياة زيادةً في كل خير، والموت راحة من كل شر، والتنقية من الذنوب والخطايا، والمباعدة بينه وبين الذنوب والخطايا كما بين المشرق والمغرب، وسؤال النور والهداية لما اختلف فيه من الحق والرحمة والرزق، والاستعاذة من الشرك، ومن عذاب النار وعذاب القبر وفتنتها، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال، والاستعاذة بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة، ومن هم، والحزن، والكسل، والجبن، والبخل، وضلع الدين، وغلبة الرجال، والمغرم، والمأثم، والعجز، والهرم، وسؤال الله إيتاء النفس تقواها، وتركيبتها، والاستعاذة من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، ودعوة لا يستجاب لها، ومن الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ومن الضلال، ومن شر فتنة الغنى والفقر، ومن سوء القضاء، ودرك الشقاء، وشهامة الأعداء، وجهد البلاء، ومن شر كل ما عمل، ومن شر كل ما لم يعمل، ومن زوال نعمة الله ﷻ، وتحول عافيته، وفجاءة نعمته، وجميع سخطه، وسؤال قضاء الدين، والغنى من الفقر، وتفريج الكرب، والاستغاثة برحمة الله ﷻ، وغير ذلك.

(١) أخرجه الترمذي في الدعوات (٣٥٢٤). وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣١٨٢). وأخرجه الحاكم

(٥٠٩/١) بنحوه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

❖ ملازمة الدعاء في الشدة والرخاء:

فإن من الناس من لا يعرف الدعاء إلا وقت الشدة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوَ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّیُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الزمر: ٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَقَهُمْ مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَاوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

❖ طيب المطعم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الذُّبَابُ كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك»^(١).

❖ عدم الاعتداء في الدعاء، وهو أنواع، منها:

أ- التكلف بالتفصيل بالدعاء:

فعن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه أنه سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها، فقال: أي بني، سل الله الجنة، وتعوذ به من النار؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء»^(٢).

(١) أخرجه مسلم في الزكاة (١٠١٥)، والترمذي في التفسير (٢٩٨٩)، والدارمي ٣٨٩/٢ (٢٧١٧)، وأحمد ٣٢٨/٢ (٨٣٤٨).

(٢) أخرجه أبو داود في الطهارة (٩٦)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٦٤)، وأحمد ٨٦/٤ (١٦٧٩٦). و صححه

وعن ابن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعني أبي وأنا أقول: اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها وهبجتها، وكذا وكذا، وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها، وكذا وكذا. فقال: يا بني، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «سيكون قوم يعتدون في الدعاء، فإياك أن تكون منهم، إنك إن أعطيت الجنة أعطيتها وما فيها من الخير، وإن أعدت من النار أعدت منها وما فيها من الشر» (١).

ب- التكلف في السجع في الدعاء:

فإن حال الداعي ينبغي أن تكون حال ذل وخضوع، والتكلف في السجع ينافي ذلك. قال ابن عباس رضي الله عنه لأحد أصحابه من نصيحة له: «فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه؛ فإني عهدتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك؛ يعني: لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب» (٢).

ج- الدعاء على النفس والأهل والولد والمال، أو على من لا يستحق ذلك:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم» (٣).

د- الدعاء بإثم أو قطيعة رحم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يزال يُستجاب للعبد ما لم يدعْ بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل» (٤).

هـ- تحجير رحمة الله تعالى ومغفرته:

الألباني في «صحيح أبي داود» (٨٦).

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة (١٤٨٠)، وأحمد ١/ ١٧٢ (١٤٨٣). وضعف إسناده أحمد شاكر في

تخرجه لـ «المسند». وقال الألباني في «صحيح أبي داود» (١٣٣٠): «حسن».

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات (٦٣٣٧).

(٣) أخرجه مسلم في الزهد (٣٠٠٩)، وأبو داود في الوتر (١٥٣٢).

(٤) سبق تخرجه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في صلاة وقمنا معه، فقال أعرابي وهو في الصلاة: اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا، فلما سلم النبي ﷺ قال للأعرابي: «لقد حجرتَ واسعًا». يريد رحمة الله ^(١).



الوقفة الثالثة في: الأوقات والأحوال والأماكن التي يُشرع فيها الدعاء

أ- الأوقات والأحوال التي يشرع فيها الدعاء:

الأوقات كلها محل للدعاء وللإجابة، وكذا الأحوال إلا ما استثني منها ^(٢)، لكن من الأوقات والأحوال ما شرع الدعاء فيها على وجه الخصوص بدلالة الكتاب والسنة، فعلى المسلم الاجتهاد في الدعاء في كل وقت وفي كل حال، وعليه أن يتحرى الأوقات والأحوال التي شرع فيها الدعاء أكثر.

ومن الأوقات والأحوال التي شرع فيها الدعاء:

❖ الوقت ما بين الأذان والإقامة:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الدعاء لا يُرد بين الأذان والإقامة» ^(٣).

❖ حال السجود:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثرُوا الدعاء» ^(٤).

(١) أخرجه البخاري في الأدب (٦٠١٠)، وأبو داود في الركوع والسجود (٨٨٢)، والنسائي في السهو (١٢١٦، ١٢١٧) والترمذي في الطهارة (١٤٧)، وابن ماجه في الطهارة وسننها (٥٣٠).

(٢) كحال قضاء الحاجة، ونحو ذلك.

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة (٥٢١)، والترمذي في الصلاة (٢١٢)، وأحمد ١١٢/٣ (١٢٢٠٠). وصححه الألباني في «الإرواء» (٢٤٤).

(٤) أخرجه مسلم في الصلاة (٤٨٢)، وأبو داود في الصلاة (٨٧٥)، والنسائي في التطبيق (١١٣٧)، وأحمد

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أما الركوع فعظّموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم»^(١).

❖ دُبْرُ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَاتِ (قَبْلَ السَّلَامِ):

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله، أي الدعاء أسمع؟ قال: «جوف الليل الآخر، ودُبْرُ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَاتِ»^(٢).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخذ بيده وقال: «والله إني لأحبك، والله إني لأحبك» فقال: «أوصيك يا معاذ لا تدعن دُبْرَ كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»^(٣).

وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه ﷺ لما علم أصحابه التشهد قال: «ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو»^(٤).

❖ جَوْفُ اللَّيْلِ وَثَلَاثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا ﷻ كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له»^(٥).

٤١٢/٢ (٩٤٦١).

(١) أخرجه مسلم في الصلاة (٤٧٩)، وأبو داود في الصلاة (٨٧٦)، والنسائي في التطبيق (١٠٤٥)، وأحمد ٢١٩/١ (١٩٠٠)، والدارمي ٣٤٩/١ (١٣٢٦). ومعنى «فقمن» أي: فحري.

(٢) أخرجه الترمذي في الدعوات (٣٤٩٩). وحسنه الألباني في تخريج «الكلم الطيب» (١١٤)، وفي «مشكاة المصابيح» (٩٦٨، ١٢٣١).

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة (١٥٢٢)، والنسائي في الصلاة (١٣٠٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٩٠). وصححه الألباني «الأدب المفرد»، وفي «صحيح أبي داود» (١٣٦٢).

(٤) أخرجه البخاري في الأذان (٨٣٥).

(٥) أخرجه مالك في القرآن (٢١٤/١)، والبخاري في الجمعة (١١٤٥)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٥٨)، وأبو داود في الصلاة (١٣١٥)، والترمذي في الصلاة (٤٤٦)، وفي الدعوات (٣٤٩٨)، وابن

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيراً إلا أعطاه الله إياه»^(١).

❖ يوم الجمعة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال: «فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يصلي يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه»^(٢).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة لا يوجد فيها عبد يسأل الله شيئاً إلا آتاه إياه، فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر»^(٣).

وأرجى ساعات الإجابة يوم الجمعة عندما يجلس الإمام على المنبر إلى أن تقضى الصلاة، وبعد العصر إلى غروب الشمس.

❖ يوم عرفة:

عن طلحة بن عبيد الله بن كرزب مرسلًا؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلتُ أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له»^(٤).

❖ إذا تعارَّ من الليل:

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من تعارَّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا

ماجه في إقامة الصلاة (١٣٦٦).

(١) أخرجه مسلم في الصلاة (٧٥٧)، وأحمد ٣/٣١٣ (١٤٣٥٥).

(٢) أخرجه مالك في الجمعة (١/١٠٨)، والبخاري في الجمعة (٩٣٥)، ومسلم في الجمعة (٨٥٢)، والترمذي في الجمعة (٤٩١).

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة (١٠٤٨)، والنسائي في الجمعة (١٣٨٩)، والحاكم (١/٢٧٩). قال الحاكم:

«حديث صحيح على شرط مسلم، فقد احتج بالجلال بن كثير، ولم يخرجاه». وحسن إسناده الحافظ

ابن حجر في «الفتح» (٢/٤٢٠).

(٤) سبق تخريجه قريبًا.

استُجيب له، فإن توضأً وصلّى قُبِلت صلّاته»^(١).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مسلم بيت على ذكرٍ طاهرًا، فيتعار من الليل فيسأل الله خيرًا من الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه»^(٢).

❖ حال الصيام وعند الإفطار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا تُرد دعوتهم: الصائم حتى يُفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم»^(٣).

❖ حال السفر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده»^(٤).

❖ عند الأذان:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثنتان لا تُردان، أو قلما تُردان: الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يُلحَم بعضهم بعضًا»، وفي رواية قال: «ووقت المطر»^(٥).

وفي رواية: «ساعتان تُفتح فيهما أبواب السماء: عند حضور الصلاة، وعند الصف في سبيل الله»^(٦).

(١) أخرجه البخاري في التهجد (١١٥٤)، وأبو داود في النوم (٥٠٦٠)، والترمذي في الدعوات (٣٤١٤)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٧٨).

(٢) أخرجه أبو داود في الأدب (٥٠٤٢)، وأحمد ٥/ ٢٣٤ (٢٢٠٤٨). وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٢٨٨).

(٣) أخرجه الترمذي في الدعوات (٣٥٩٨)، وابن ماجه في الصيام (١٧٥٢)، وأحمد ٢/ ٣٠٤ (٨٠٤٣). قال الترمذي: «حديث حسن». وضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٣٥٨).

(٤) أخرجه أبو داود في الوتر (١٥٣٦)، والترمذي في البر والصلة (١٩٠٥)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٦٢). قال الترمذي: «هذا حديث حسن». وحسنه الألباني أيضًا في «صحيح أبي داود» (١٣٧٤).

(٥) أخرجه أبو داود في الجهاد (٢٥٤٠)، والدارمي ١/ ٢٩٣ (١٢٠٠)، والحاكم في الجهاد (١٩٨/١). وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٢٢٩٠).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» ١/ ٤٩٥ (١٩١٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» ١٥/ ١٢٣.

❖ عند نزول الغيث:

لما جاء في بعض روايات حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: «وقت المطر»^(١).

❖ عند التقاء الجيوش:

لما جاء في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: «وعند البأس حين يُلحِم بعضهم بعضاً، وعند الصف في سبيل الله».

ب- الأماكن التي يُشْرَعُ فيها الدعاء:

الدعاء مشروع في جميع الأماكن، وتُرجى إجابته، ما عدا الأماكن التي لا يجوز الدعاء فيها: كدورات المياه ونحوها، وكذا المقابر؛ لأن الدعاء عبادة، والعبادة لا تجوز في المقابر؛ لأنها وسيلة إلى الشرك، ويُستثنى من ذلك الدعاء للميت في الصلاة عليه أو على قبره وعند زيارة القبور.

وهناك أماكن تُشْرَعُ فيها الدعاء على الخصوص، منها ما يأتي:

❖ عرفة للحاج يوم عرفة:

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خير الدعاء دعاء عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»^(٢).

❖ عند المشعر الحرام ليلة جمع للحاج:

لما جاء في حديث جابر رضي الله عنه الطويل، وفيه: «ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة، فدعاه وكبره وهلله ووحده، فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً،

(٢٩٨٥٢)، وابن حبان ٥/٥ (١٧٢٠)، والطبراني في «الدعاء» (٤٨٩)، والبيهقي (١/٤١١).

(١) سبق تخريجه في الحديث قبل السابق.

(٢) وأخرجه الترمذي في الدعوات (٣٥٨٥) من حديث عمرو بن شعيب عن أبي عن جده رضي الله عنه. وقال: «حديث غريب». وقال الألباني في «الصحيحة» (٧/٤): «أخرجه الترمذي بسند فيه ضعف».

فرجع قبل أن تطلع الشمس»^(١).

❖ الدعاء في الطواف بين الركن اليماني والحجر الأسود:

لما جاء أنه يقول بين الركنين: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»^(٢).

❖ الدعاء على الصفا والمروة للمعتمر والحاج:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه في حديثه الطويل في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم قال: ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن سَعَابِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]، «أبدأ بما بدأ الله به»، فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة، فوحد الله وكبره، وقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»، ثم دعا بين ذلك، قال مثل هذا ثلاث مرات. الحديث، وفيه: ففعل على المروة ما فعل على الصفا^(٣).

❖ الدعاء عند رمي الجمرة الأولى والثانية أيام التشريق:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رمى الجمرة التي تلي مسجد منى يرميها بسبع حصيات، يكبر كلما رمى بحصاة، ثم تقدم أمامها فوقف مستقبل القبلة رافعاً يديه، وكان يطيل الوقوف، ثم يأتي الجمرة الثانية فيرميها بسبع حصيات، يكبر كلما رمى بحصاة، ثم ينحدر ذات اليسار مما يلي الوادي فيقف مستقبل القبلة، رافعاً يديه ثم يأتي الجمرة التي عند العقبة فيرميها بسبع حصيات، يكبر عند كل حصاة، ثم ينصرف ولا يقف عندها»^(٤).

(١) أخرجه مسلم في الحج (١٢١٨)، وأبو داود في المناسك (١٩٠٥)، وابن ماجه في المناسك (٣٠٧٤).

(٢) أخرجه أبو داود في المناسك (١٨٩٢)، وأحمد ٤١١/٣ (١٥٣٩٨، ١٥٣٩٩)، والحاكم (٤٥٥/١)،

٢/٢٧٧) من حديث عبد الله بن السائب رضي الله عنه. قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه».

وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٦٥٣).

(٣) أخرجه مسلم في الحج (٢٠١٨)، وابن ماجه في المناسك (٣٠٧٤)، والدارمي ٦٧/٢ (١٨٥٠) من

حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري في الحج (١٧٥٣).

❖ الدعاء داخل الكعبة:

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل البيت دعا في نواحيه كلها^(١).

❖ الدعاء في الملتزم، وهو ما بين الحجر الأسود والباب:

دعاء الملتزم لم يثبت فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم، لكن كثيراً من الصحابة رضي الله عنهم كانوا يفعلونه، منهم ابن عباس رضي الله عنهما وغيره^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وإن أحب أن يأتي الملتزم - وهو ما بين الحجر الأسود والباب - فيضع عليه صدره ووجهه وذراعيه وكفيه ويدعو ويسأل الله تعالى حاجته، فعل ذلك، وله أن يفعل ذلك قبل طواف الوداع، فإن هذا الالتزام لا فرق بين أن يكون حال الوداع أو غيره، والصحابة كانوا يفعلون ذلك حين يدخلون مكة... ولو وقف عند الباب ودعا هناك من غير التزام للبيت كان حسناً»^(٣).

وقال ابن باز رحمه الله: «دعاء الملتزم لا بأس به، فعله كثير من الصحابة، ورؤي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فعله، ولكن في سنده نظر، ولكن فعله بعض الصحابة، وهو ما بين الركن والباب، إن كان يقف فيه ويدعو ربه لا بأس بهذا، تُرجى فيه الإجابة»^(٤).

وقال ابن عثيمين: «الالتزام لم ترد فيه سنة، لكن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يفعلونه عند القدوم. والفقهاء قالوا: يفعله عند المغادرة. وعلى هذا فالالتزام لا بأس به ما لم يكن فيه أذية وضيق»^(٥).

❖ الدعاء في المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم والمسجد الأقصى:

لأن الصلاة والعبادة فيها تضاعف، وغير ذلك.

وقد يكون للدعاء في سائر المساجد فضل؛ لأنها بيوت الله، وأفضل بقاع الأرض.

(١) أخرجه مسلم في الحج (١٣٣٠)، والنسائي في مناسك الحج (٢٩١٧)، وأحمد ٢٠١/٥ (٢١٧٥٤).

(٢) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة (٢٣٠).

(٣) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٦/١٤٢ - ١٤٣).

(٤) انظر: «موقع ابن باز رحمه الله» صوتياً. (٥) انظر: «الشرح الممتع» (٧/٣٧٢).

الوقفه الرابعة في: إجابة الدعاء، وموانع الإجابة، والتحذير من الدعاء على النفس والولد والأهل والمال، ومن ترك الأدعية الواردة في الكتاب والسنة، والأدعية المأثورة، والاعتداء بالدعاء

أ- إجابة الدعاء:

أمر الله ﷻ العباد كلهم أن يدعوه، ووعدهم بالاستجابة لهم، فقال تعالى: ﴿ادْعُونِي﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال ﷻ في الحديث القدسي: «من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه»^(١). وقال تعالى مخاطبًا المشركين: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ، تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَنَّا مِنْ هَذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (١٣) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ [الأنعام: ٦٢، ٦٣]. وقد وردت بعض الأدلة بالتخصيص بإجابة الدعاء، وممن ورد تخصيصهم بذلك، وبأن دعوتهم لا تُردُّ من يأتي:

❖ من اتصف بما ذكر في هذين الحديثين:

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره! منهم البراء بن مالك»^(٢).

وعن أنس ﷺ: أن أخت الربيع أم حارثة جرحت إنسانًا، فاخصموا إلى النبي ﷺ

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي في المناقب (٣٨٥٤)، وأحمد ٣/ ١٤٥ (١٢٤٧٦). قال الترمذي: «حديث حسن

غريب». وحسنه الألباني في «مشكاة المصابيح».

فقال رسول الله ﷺ: «القصاص، القصاص». فقالت أم الربيع: يا رسول الله، أيتقن من فلانة؟! والله لا يتقن منها. فقال النبي ﷺ: «سبحان الله يا أم الربيع، القصاص كتابُ الله». قالت: والله لا يتقن منها أبداً. قال: فما زالت حتى قبلوا الدية. فقال رسول الله ﷺ: «إن من عبادِ الله مَنْ لو أقسم على الله لأَبْرَهُ»^(١).

فهذه شهادة من رسول الله ﷺ للبراء بن مالك وأم الربيع ﷺ بإجابة دعوتهما، كما أن في الحديثين دلالة على أن من نال هذه المكانة عند الله ﷻ فهو مجاب الدعوة.

❖ المظطر:

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢].

❖ المظلوم:

عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ بعث معاذًا إلى اليمن، فقال: «واتقِ دعوةَ المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»^(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث دعوات يُستجاب لهن لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده»^(٣).

وفي رواية: «ثلاثة لا تُردُّ دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يُفطر، ودعوة المظلوم، يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين»^(٤).

(١) أخرجه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٠٦)، ومسلم في القسامة والمحاربين والقصاص والديات (١٦٧٥)، وأبو داود في الديات (٤٥٩٥)، والنسائي في القسامة (٤٧٥٥)، وابن ماجه في الديات (٢٦٤٩).

(٢) سبق تخريجه قريباً.

(٣) أخرجه أبو داود في الوتر (١٥٣٦)، والترمذي في البر والصلة (١٩٠٥)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٦٢). قال الترمذي: «هذا حديث حسن». وحسنه الألباني أيضاً في «صحيح أبي داود» (١٣٧٤).

(٤) أخرجه الترمذي في الدعوات (٣٥٩٨)، وابن ماجه في الصيام (١٧٥٢)، وأحمد ٢/٣٠٤ (٨٠٤٣). قال الترمذي: «حديث حسن».

❖ المسافر.

❖ الصائم حتى يفطر.

❖ الإمام العادل.

❖ دعوة الوالد على ولده: لما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

❖ دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير قال له الملك الموكل به: آمين ولك بمثل»^(١).

❖ دعوة من أطاب مطعمه:

لما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في «الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذّي بالحرام، فأني يستجاب لذلك؟!»^(٢).

فمفهوم هذا أن من أطاب مطعمه فهو حريٌّ بإجابة دعوته.

ب- موانع الإجابة:

من موانع الإجابة ما يأتي:

❖ أكل الحرام:

لما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء، يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذّي بالحرام، فأني يستجاب لذلك؟!»^(٣).

❖ الدعاء بإثم أو قطيعة رحم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ: «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو

(١) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٣٣)، وأبو داود في الصلاة (١٥٣٤).

(٢) سبق تخريجه قريباً. (٣) سبق تخريجه.

قطيعة رحم»^(١).

❖ الغفلة واللغو حال الدعاء:

لقوله ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب الدعاء من قلبٍ غافلٍ لاهٍ»^(٢).

❖ التقصير في الواجبات، وارتكاب المنهيات، والظلم، وكثرة الذنوب والمعاصي:

فإن ذلك يُحول بين العبد وبين إجابة الدعاء.

❖ استعجال الإجابة:

لقوله ﷺ: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوتُ ودعوتُ فلم يُستجب لي»^(٣). قال ابن رجب^(٤): «جعل ذلك من موانع الإجابة حتى لا يقطع العبد رجاءه من إجابة دعائه، ولو طالت المدة، فإنه سبحانه يحب الملحِّين في الدعاء».

ج- التحذير من الدعاء على النفس والولد والأهل والمال:

عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد ضعف فصار مثل الفرخ، فقال له رسول الله ﷺ: «هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله إياه؟» قال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجِّله لي في الدنيا. فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله! لا تُطيقه- أو لا تستطيعه- أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار»^(٥).

وعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاءً فيستجيب لكم»^(٦).

وعن أم سلمة ﷺ قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شخص بصره،

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في «جامع العلوم والحكم» ١/ ٤٠٣.

(٥) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء (٢٦٨٨)، والترمذي في الدعوات (٣٤٨٧)، وأحمد ١٠٧/٣ (١٢٠٤٩).

(٦) سبق تخريجه قريباً.

فأغمضه ثم قال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر». فضج ناس من أهله، فقال: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير؛ فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون»^(١).

د- التحذير من ترك الأدعية الواردة في الكتاب والسنة، والأدعية المأثورة، والاعتداء بالدعاء؛

مما يجب التنبيه عليه، وهو من الأهمية بمكان، أنه ينبغي للمسلم أن يحرص كل الحرص على الأدعية الواردة في القرآن الكريم، وفي سنة المصطفى ﷺ الذي أعطي جوامع الكلم والأدعية المأثورة، فإن هذه الأدعية جامعة مانعة، ومن دعا بها فهو حري بالإجابة بإذن الله ﷻ مع انتفاء الموانع.

وينبغي عدم الاغترار بما أحدثه الناس من تخصيص بعض الأدعية المسجوعة المتكلفة التي لا يخلو الكثير منها من الاعتداء بالدعاء الذي نهى الله عنه ورسوله، كما يفعل الكثير من أئمة المساجد في القنوت، وعند ختم القرآن، إضافة إلى المبالغة في رفع أصواتهم في الدعاء - مما يؤدي إلى مبالغة المأمومين برفع أصواتهم في التأمين - وكذا الإطالة في ذلك مما لا نسبة بينه وبين الصلاة، وكل هذا مما يخالف السنة، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥] أي: المعتدين في الدعاء.

ولما رفع الصحابة أصواتهم بالدعاء قال ﷺ: «أيها الناس، اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إن الذي تدعونه سميع قريب، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» وفي رواية: «إنه معكم، إنه سميع قريب، تبارك اسمه وتعالى جده»^(٢).

ولهذا ينبغي لأئمة المساجد - وفقهم الله وهداهم - أن يتقوا الله في أنفسهم وفيمن

(١) أخرجه مسلم في الجنائز (٩٢٠)، وابن ماجه في الجنائز (١٤٥٤)، وأحمد ٦/٢٩٧ (٢٦٥٤٣).

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٩٢)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٤)، وأبو داود في الصلاة

(١٥٢٦)، والترمذي في الدعوات (٣٣٧٤) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

يصلون خلفهم، فيحرصوا على أدعية الكتاب والسنة، والمأثور عن سلف الأمة، ويلزموا طريق القصد؛ فإن ذلك أحرى بالقبول والإجابة.

كما ينبغي أن يُعلم أن الشرع كله مبني على الاتباع لا على الابتداع، ولهذا لما علّم النبي ﷺ البراء بن عازب ﷺ الدعاء الذي يُقال عند النوم: «اللهم أسلمت نفسي إليك»... إلى قوله: «آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت» قال البراء: ورسولك الذي أرسلت، فقال النبي ﷺ: «لا، ونيك الذي أرسلت»^(١).

ومن هنا يُعلم أهمية الاتباع في الأذكار والأدعية وغيرها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «والمشروع للإنسان أن يدعو بالأدعية الماثورة؛ فإن الدعاء من أفضل العبادات، وقد نهانا الله عن الاعتداء فيه، فينبغي لنا أن نتبع فيه ما شرع وسُن، كما أنه ينبغي لنا ذلك في غيره من العبادات، والذي يعدل عن الدعاء المشروع إلى غيره - وإن كان من أحزاب بعض المشايخ - الأحسن له ألا يفوته الأكمل الأفضل، وهي الأدعية النبوية، فإنها أفضل وأكمل باتفاق المسلمين من الأدعية التي ليست كذلك، وإن قالها بعض الشيوخ، فكيف وقد يكون في عَيْنِ الأدعية ما هو خطأ أو إثم، أو غير ذلك. ومن أشد الناس عيباً من يتخذ حزباً ليس بمأثور عن النبي ﷺ، وإن كان حزباً لبعض المشايخ، ويدع الأحزاب النبوية التي كان يقولها سيد بني آدم، وإمام الخلق، وحجة الله على عباده، والله أعلم»^(٢).

(١) أخرجه البخاري في الدعوات (٦٣١١)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧١٠)، وأبو داود في الأدب (٥٠٤٦)، والترمذي في الدعوات (٣٥٧٤) من حديث البراء بن عازب ﷺ.
(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٥٢٥/٢٢).

وقفات أربع في: إصلاح ذات البين

قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]

الوقفة الأولى في:

معنى إصلاح ذات البين، وحكمه، وفضله

أ- معنى: إصلاح ذات البين:

الإصلاح: نقيض الإفساد، وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه^(١)، و«ذات» بمعنى: صاحبة، فمعنى «ذات البين»؛ أي: صاحبة البين.

«البين»: البين في كلام العرب جاء على وجهين:

يكون البين بمعنى: الفرقة، ويكون بمعنى: الوصل، وهو من الأضداد؛ قال تعالى:

﴿لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٥]؛ أي: لقد تقطع وصلكم، أو ما بينكم^(٢).

ومن إطلاق البين على الفرقة قول الشاعر:

شاب الفؤادُ وسال الدمعُ من عيني لَمَّا تَغَنَّى غُرَابُ الْبَيْنِ بِالْبَيْنِ

فمعنى: إصلاح البين: إصلاح الأحوال والعلاقات بين الناس؛ أي: إصلاح ما فسد

منها، والعمل على وصلها، وعدم قطعها.

ب- حكم إصلاح ذات البين:

إصلاح ذات البين من أوجب الواجبات على المسلمين فيما بينهم، قال تعالى:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ: إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

فأمر الله ﷻ بتقواه، وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله، والأمر في هذا واجب،

(٢) انظر: «لسان العرب» مادة «بين».

(١) انظر: «لسان العرب» مادة «صلح».

واكتنف الأمر بإصلاح ذات البين الأمر بتقوى الله وطاعته ورسوله؛ للدلالة على أن الإصلاح من تقوى الله وطاعته ورسوله، وبين أن ذلك كله من شرط الإيمان بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَنْ طَافَيْنَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَبْغَى إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠].

وهو واجب على الكفاية إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين.

ج- فضل إصلاح ذات البين:

إصلاح ذات البين من خير الأعمال وأفضلها، وأعظمها أجراً، تكفل الله ﷻ للساعين به بالأجر العظيم، والرحمة، ووعدهم بالنجاة، والسلامة من الهلاك. قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

وهو أفضل من نوافل العبادات؛ من الصلاة والصيام والصدقة، ونحو ذلك. عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟! قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة»^(١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كل سلامي من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة»^(٢).

وكان ﷺ بنفسه يسعى للإصلاح، فعن سهل بن سعد ﷺ: أن أهل قُباء اقتتلوا حتى

(٢) سيأتي تخريجه.

(١) سبق تخريجه.

تراموا بالحجارة، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فقال: «اذهبوا بنا نصلح بينهم»^(١).
وقد أثنى ﷺ على الحسن بن علي ﷺ بقوله ﷺ: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين»^(٢).

ولهذا جعل الإسلام نصيباً من الزكاة للغارمين، وهم كل من يتحمل غرامة لإصلاح ذات البين بين المسلمين، أو إصلاح نفسه.

كما أحل المسألة لمن تحمل حمالةً لأجل الإصلاح بين الناس، قال ﷺ: «إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمّل حمالةً، فحلّت له المسألة حتى يُصيّبها ثم يُمسك...»
الحديث^(٣).

كما أباح الإسلام الكذب لأجل الصلح، قال ﷺ: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً، أو يقول خيراً»^(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «وتعلمون أن من القواعد العظيمة التي هي من جماع الدين: تأليف القلوب، واجتماع الكلمة، وصلاح ذات البين، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]»^(٥).

قال الشاعر:

إن الفضائل كلّها لو جُمعت رَجَعَتْ بِجُمْلَتِهَا إِلَى شَيْئِينَ
تعظيم ذات الله جلّ جلاله والسعي في إصلاح ذات البين^(٦)

(١) أخرجه البخاري في الصلح (٢٦٩٣).

(٢) أخرجه البخاري في الصلح (٢٧٠٤)، وأبو داود في السنة (٤٦٦٢)، والنسائي في الجمعة (١٤١٠)، والترمذي في المناقب (٣٧٧٣) من حديث أبي بكره ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم في الزكاة (١٠٤٤)، وأبو داود في الزكاة (١٦٤٠)، والنسائي في الزكاة (٢٥٧٩) من حديث قبيصة بن معارق ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري في الصلح (٢٦٩٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٠٥)، وأبو داود في الأدب (٤٩٢٠) - (٤٩٢١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٣٨) من حديث أم كلثوم بنت عقبة ﷺ.

(٥) انظر: «المنتخب من كتب شيخ الإسلام» (ص ١٥٣).

(٦) البيتان مجهولان النسبة، انظر: «روض الأخيار، المنتخب من ربيع الأبرار» لمحيي الدين ابن الخطيب

الوقفة الثانية في: عِظَمُ مَسْئُولِيَةِ الْأُمَّةِ عَنِ إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ

من أعظم المسؤوليات وأوجبها على الأمة الإسلامية، على مستوى الدول والشعوب، جماعاتٍ وأفرادًا: السعي لإصلاح ذات البين بين المسلمين، والقضاء على أسباب النزاعات والخلافات والخصومات، وأسباب الشحناء والبغضاء والعداوات بين المسلمين؛ امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَافَيْنَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَلَوْا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

فهذا يُوجِبُ على جميع الدول الإسلامية التعاون فيما بينهم في الإصلاح والسعي بكل ما تملك من مقومات سياسية، واقتصادية، وغير ذلك؛ لإصلاح ما يحصل بين بعض الدول الإسلامية من نزاعات وحروب حسب استطاعتها.

فلا يجوز للدول الإسلامية أن تقف حيال ما يجري بين بعض الدول الإسلامية من نزاعات وحروب موقف المشاهد فقط، كما هو حال كثير من الدول اليوم، بل ربما سعى البعض إلى تأجيج الصراع والنزاع، بدلاً من السعي بالإصلاح، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّوَدُّنِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وقال ﷻ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً». قال: أنصره إذا كان مظلوماً، فكيف نصره إذا كان ظالماً؟ قال: «تمنعه من الظلم»^(١).

ولا شك أن أعداء الإسلام تمكنوا من تشتيت كلمة المسلمين، وتمزيق وحدتهم، ونشر العداوة بينهم، وما كان هذا ليحصل لو اعتصم المسلمون بحبل الله جميعاً، لكن هذا لا يعفي المسلمين أمام الله ﷻ من وجوب التعاون بينهم، وإصلاح ذات بينهم، ولقد كان لولاة الأمر في هذه البلاد جزاهم الله خيراً منذ عهد المؤسس الملك عبد العزيز ﷺ إلى يومنا هذا جهود مباركة في هذا المجال، تُذكر فتشكر، سطرها التاريخ بمداد من ذهب خلال أكثر من مئة وعشرين سنة.

كما يجب على المسلمين - جماعاتٍ وأفراداً - التعاون بينهم في الإصلاح، والسعي في إصلاح ذات بينهم.

ولا يجوز لمسلم أن يتصل من هذا الواجب العظيم، ويقف موقفاً سلبياً، وهو يرى فساد ذات البين يستشري بين إخوانه المسلمين؛ بين الأزواج، والإخوة، والأقارب، والجيران، والشركاء، والخصوم، وغيرهم.

فإن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح ويُمسِ ناصحاً للمسلمين فليس منهم^(١).

وقد قال ﷺ: «الدين النصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٢). وقال جرير بن عبد الله ﷺ: «بايعتُ رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»^(٣).

وأحمد ٣/ ٩٩ (١١٩٤٩) من حديث أنس ﷺ.

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» ٧/ ٢٧٠ (٧٤٧٣)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ٢٢٢) من حديث حذيفة ﷺ. قال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٢٦٤): «رواه الطبراني في «الأوسط» و«الصغير»، وفيه عبد الله بن أبي جعفر الرازي، ضعفه محمد بن حميد ووثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان».

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان (٥٥)، وأبو داود في الأدب (٤٩٤٤)، والنسائي في البيعة (٤١٩٧) من حديث تميم الداري ﷺ. وأخرجه النسائي في الموضوع السابق (٤١٩٩)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) سبق تخريجه.

الوقفة الثالثة في:

الفوائد الجليلة، والمنافع العظيمة، والآثار الحميدة لإصلاح ذات البين

لإصلاح ذات البين فوائد جليلة، ومنافع عظيمة، وآثار حميدة، لا تُعد ولا تُحصى، من أهمها:

أولاً: أنه صمام الأمان لجمع شمل المسلمين، وتوحيد كلمتهم، وقوتهم ووحدتهم، والقضاء على أسباب التنازع والاختلاف والفرقة بينهم، الذي به قوام أمر دينهم، وسعادتهم في دنياهم وأخراهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فَيُشَلُّوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

قال الشاعر^(١):

تأبى القِداحُ إذا اجتمعنَ تكسُّراً وإذا افترقنَ تكسَّرتْ أفراداً
ثانياً: أنه سبب لتثبيت الأخوة والمودة، والألفة والمحبة بين المسلمين، والقضاء على أسباب الشحناء والعداوات والبغضاء، والهجر والتقاطع بينهم.

ثالثاً: أنه سبب لغرس بذور العفو والصفح والتسامح، والإيثار بين المسلمين، والتحلي بأزكى الأخلاق، وأفضل الصفات.

رابعاً: أن السعي بالإصلاح بين الناس يُعد من تقوى الله تعالى وطاعته وطاعة رسوله ﷺ ومن الإيمان وخير الأعمال؛ لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

(١) البيت للطغرائي. انظر: «ديوانه» (ص ١٣٧).

وقوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ

النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

خامساً: أنه سبب للحيلولة دون استئراء فساد ذات البين، وفساد العلاقات بين المسلمين، وقساوة القلوب، واندثار كثير من الأخلاق والمثل الإسلامية العالية، والقيم الإنسانية الرفيعة.

سادساً: الأجر العظيم من الله ﷻ والرحمة، قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ

إِلَّا مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا

عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿فَمَن عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَأَنْصِيحُ أَجْرَ

الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

سابعاً: الإعذار من الله تعالى، والنجاة من الهلاك، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ

لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

ثامناً: انتشار من وقع بينهم فساد ذات البين مما رتب على ذلك من الوعيد الشديد،

كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٢٣) **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ**

اللَّهُ فَأَصْمَهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

وقال ﷺ: «من هجر أخاه سنةً فهو كسفك دمه»^(١).



(١) أخرجه أبو داود في الأدب (٤٩١٥)، وأحمد ٢٢٠/٤ (١٧٩٣٥) من حديث أبي خراش السلمي ﷺ.

وصححه الألباني في «الصححة» (٩٢٨).

الوقففة الرابعة في: مجالات إصلاح ذات البين

مجالات إصلاح ذات البين كثيرة لا تُحصى، وتزداد كثرةً، والله المستعان، كلما بُعد المسلمون عن دينهم، وطغت الأنانية، وحب المال والأثرة، وقَلَّ المصلحون، وكثر الانتهازيون والمتشمتون، وعندما أصبح النصح والسعي في الإصلاح عند البعض تدخلاً في الشؤون الخاصة للآخرين، وفيما لا يعني، وكثر التنازع والشحناء، وأُحضرت الأنفس الشح، وفشا التهاجر والتقاطع، مصداق قوله ﷺ: «إن الشيطان قد يئس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم»^(١).

ومجالات إصلاح ذات البين على قسمين:

القسم الأول: الإصلاح بين الدول الإسلامية فيما يقع بين بعضها من حروب، ومشكلات سياسية أو اقتصادية، أو غير ذلك.

وهذا منوط بالحكومات الإسلامية فيما بينها، فيجب عليها جميعاً التعاون؛ لنصرة المظلوم من المسلمين، والسعي في الإصلاح بين المتحاربين والمتنازعين منهم؛ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ الآية [الحجرات: ٩].

القسم الثاني: الإصلاح لما يقع بين المسلمين داخل المجتمع أفراداً أو جماعات.

وهذا منوط بالمسلمين فيما بينهم، ومجالاته أكثر من أن تُحصى، ومن أهمها ما يلي:

❖ الإصلاح لما يقع من تنازع بين ولاة الأمر وأصحاب المسؤوليات في الأمة، وبين عامة الناس، كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ

لَنَنْزَعَكُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

(١) أخرجه مسلم في صفة القيامة (٢٨١٢)، والترمذي في البر والصلة (١٩٣٧)، وأحمد (٣/٣١٣/١٤٣٦٦).

❖ الإصلاح بين الزوجين؛ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ، وَحَكْمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨].

ويتولى هذا من يختاره ولي الأمر، أو أقارب الزوجين، أو من علم حالهما من المسلمين، شريطة أن يريد الحكمان الإصلاح، وأن يكونا من أهل الدين والخلق، والحكمة والعقل والمعرفة، والعدل والنصح والستر، وغير ذلك من الصفات التي ينبغي أن تتوفر في الحكم والمصلح.

❖ الإصلاح بين الأقارب؛ بين الآباء والأبناء، بين الإخوة، وغيرهم من أفراد الأسرة والأقارب.

❖ بين الجيران.

❖ بين الموصي والورثة والموصى إليهم، قال تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِتْمَانًا فَاصْلَحْ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨٢].

❖ بين غيرهم من المسلمين، كالشركاء في العمل، أو في المال، أو غيرهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا عِرْضَةَ لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

وكما تقدم، فإن مجالات الإصلاح لا يمكن حصرها، لكن المهم أن يتعاون المسلمون في ذلك، ويرشّح لكل قضية بحسبها من لديه القدرة على الإصلاح من ذوي الدين والعقل والحكمة، والعدل والنصح والستر، ونحو ذلك.



وقفات ست في:

الفتن وخطرهما على الدين، وعلى العباد، والبلاد

قال الله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةً لَأَنْصِبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]

الوقفة الأولى:

معنى الفتنة، وإطلاقاتها في القرآن الكريم

أ- معنى الفتنة:

الفتنة في اللغة: هي الابتلاء، والامتحان، والاختبار، وجمعها: الفتن.

وأصلها مأخوذ من قولك: فتنْتُ الفضةَ والذهبَ، إذا أذبتَهما بالنار؛ لتمييز الرديء من الجيد^(١).

قال ابن حجر^(٢): «أصل الفتنة: إدخال الذهب بالنار لتظهر جودته من رداءته، ثم استعملت في كل أمر يكشفه الامتحان».

والفتنة في الشرع: ما يعرض للإنسان من الشر والخير، من مصيبة أو نعمة، أو فقر أو غنى، أو مرض أو صحة، أو شدة أو رخاء، ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿وَنَبِّئُكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

فبالابتلاء بالشر يميز من يصبر ومن يجزع، ومن يثبت على الحق ممن يتزلزل عنه. وبالابتلاء بالخير يميز من يشكر نعمة الله تعالى ويثبت على الحق، ممن يكفرها ويخرج عن الحق.

بالابتلاء يظهر الصادق من الكاذب، والمؤمن من المنافق، كما قال تعالى: ﴿آلِهَ ١﴾

(٢) في: «فتح الباري» (١١/٢).

(١) انظر: «لسان العرب» مادة «فتن».

أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾ [العنكبوت: ١-٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنٰفِقِينَ ﴿١١﴾ [العنكبوت: ١٠، ١١].

ب- إطلاقات الفتنة في القرآن الكريم:

أطلقت الفتنة في القرآن الكريم على معانٍ كثيرة، منها ما يأتي:

❖ الشرك والكفر:

قال تعالى: ﴿ وَقَنَلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ لِلَّهِ فَإِنْ اٰنْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَالظَّٰلِمِينَ ﴿١﴾ [البقرة: ١٩٣]، وقال تعالى: ﴿ وَقَنَلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ لِلَّهِ فَإِنْ اٰنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ [الأنفال: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴿١٩١﴾ [البقرة: ١٩١].

فالمراد بالفتنة في هذه الآيات: الشرك والكفر.

❖ الابتلاء، والامتحان، والاختبار:

قال تعالى: ﴿ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴿٤٠﴾ [طه: ٤٠]، أي: ابتليناك ابتلاء، وامتحانك، واختبرناك. وقال تعالى: ﴿ وَتَبْلُوكُمْ بِالنَّسْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴿٣٥﴾ [الأنبياء: ٣٥]، أي: ابتلاء وامتحاناً لكم. وقال تعالى: ﴿ اَلَمْ ءَاخِسِبَ النَّاسَ اَنْ يُتْرَكُوْا اَنْ يَقُوْلُوْا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُوْنَ ﴿٢﴾ [العنكبوت: ١، ٢]، أي: وهم لا يُبتلون ولا يُمتحنون ويُختبرون.

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾ [العنكبوت: ٣]، أي: ابتلينا وامتحنا الذين من قبلهم.

❖ العذاب والأذى:

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ اِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِيْنَ هٰجَرُوْا مِنْۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوْا ﴿١١٠﴾ [النحل: ١١٠]، أي: من بعد ما عذبوا وأوذوا.

وقال تعالى: ﴿ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴿١٠﴾ [العنكبوت: ١٠]، أي: جعل عذاب الناس.

❖ الإثم:

قال تعالى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ١٤٩]، أي: في الإثم.

❖ التعذيب والإحراق في النار:

قال تعالى: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ [الذاريات: ١٤]، أي: احترقكم في النار.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتِنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [البروج: ١٠]، أي: عذبوهم بالإحراق بالنار.

❖ القتال والقتل:

قال تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ١٠١]، أي: أن يقاتلوكم، أو يقتلوكم.

❖ الصد عن الصراط المستقيم:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٧٣]، أي: ليصدونك.

وقال تعالى: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَقْتُولُكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]، أي: أن يصدوك.

❖ الإضلال:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ، فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [المائدة: ٤١]، أي: ومن

يرد الله إضلاله.

❖ العذر والعلة:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، أي: لم تكن

معذرتهم.

إلى غير ذلك من المعاني، مع وجود الاختلاف بين المفسرين في المراد بالفتنة في بعض

هذه الآيات.



الوقفه الثانية في:

قضاء الله تعالى التام، وحكمته البالغة بوقوع الضن

أ- فضل نعمة الإسلام:

نعمة الإسلام أعظم نعمة امتن الله تعالى بها على العباد، وأكمل دين وأرضاه، وهو الدين الحق الذي لا يقبل دين سواه.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزَكَاةً وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٢-٤].

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُسَ اللَّهِ أَنَّ قَاتِلَهُمْ إِلاَّ وَانْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٥].

وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:

٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ عِزَّ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَّالَةً أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وهذه النصوص كلها توجب حمد الله تعالى وشكره على نعمة الإسلام والإيمان، والاعتصام بحبل الله تعالى، وسؤاله ﷺ الثبات، والاستعاذة به سبحانه من مضلات الفتن، ما ظهر منها وما بطن.

ب- قضاء الله تعالى التام، وحكمته البالغة بوقوع الفتن؛

قضى الله ﷻ قضاءً قدرياً تاماً مبرماً بالابتلاء بالفتن، دل على ذلك القرآن الكريم، والسنة والنبوية المطهرة.

قال الله ﷻ: ﴿ أَلَمْ يَأْتِ الْبَشَرِ الْفِتْنَةَ ﴾ [آل عمران: ١٤٢].
 وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٦]، وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤]، وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكون فتنٌ القاعدُ فيها خير من القائم، والقائمُ فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن يستشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأً أو معاذاً فليعُدْ به»^(١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «إنه لم يكن نبيٌ قبلي إلا كان عليه حقاً أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم بشر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاءٌ وأمورٌ تنكرونها، وتجيء فتنه فيرقق بعضها بعضاً، وتجيء

(١) أخرجه البخاري في المناقب (٣٦٠١)، ومسلم في الفتن وأشراف الساعة (٢٨٨٦)، وأحمد ٢/٢٨٢

الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي. ثم تنكشف، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه»^(١).
والحكمة في ذلك الابتلاء والامتحان؛ ليظهر الصادق من الكاذب، ويتميز المؤمن
من المنافق، والصابر من غيره، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا
وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَذَّابِينَ﴾ [العنكبوت: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾
[العنكبوت: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَلَيَمْحَصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١]،
وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرِّ وَالْبَصِيرَةِ
[البقرة: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنَ الْوَالِدِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ
وقال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ
فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٧].

الوقفة الثالثة في:

الإخبار بوقوع الفتن وخطرها على الدين وشدتها،
وكثرتها في آخر الزمان، ووجوب اتقائها، والحذر منها،
والتعوذ بالله منها

قال الله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: إننا قرأنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر، وعمر، وعثمان
رضي الله عنهم: ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ لم تكن نحسب أننا أهلها حتى وقعت
منا حيث وقعت^(٢).

(١) أخرجه مسلم في الإمارة (١٨٤٤)، وأبو داود في الفتن والملاحم (٤٢٤٨)، والنسائي في البيعة (٤١٩١)،
وابن ماجه في الفتن (٣٩٥٦).

(٢) أخرجه أحمد ١/١٦٥ (١٤١٤). قال الهيثمي في «المجمع» (٢٧/٧): «رواه أحمد بإسنادين، رجال

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم». قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن». قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر». فقلت: وهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها». قلت: يا رسول الله، صفهم لنا. قال: «هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا». قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم». قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»^(١).

وعن العرياض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظةً وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودّع فأوصنا. قال: «أوصيكم بتقوى الله صلى الله عليه وسلم، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيري اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعصوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يُقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج - وهو القتل القتل - حتى يكثر فيكم المال فيفيض»^(٣).

أحدهما رجال الصحيح».

(١) أخرجه البخاري في المناقب (٣٦٠٦)، ومسلم في الإمارة (١٨٤٧)، وأبو داود في الملاحم (٤٢٤٤).

(٢) أخرجه أبو داود في السنة (٤٦٠٧)، والترمذي في العلم (٢٦٧٦)، وابن ماجه في المقدمة (٤٣)، وأحمد

١٢٦/٤ (١٧١٤٢). قال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وصححه الألباني في «الصحيحه» (٩٣٧)،

(٢٧٣٥).

(٣) أخرجه البخاري في الاستسقاء (١٠٣٦)، وأحمد ٥٣٠/٢ (١٠٨٦٣).

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: أشرف النبي ﷺ على أطم من أطام المدينة، فقال: «هل ترون ما أرى؟»، قالوا: لا. قال: «فإني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر»^(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنماً يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن»^(٢).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما بي إلا أن يكون رسول الله ﷺ أسرَّ إليَّ في ذلك شيئاً لم يحدثه غيري، ولكن رسول الله ﷺ قال وهو يحدث مجلساً أنا فيه عن الفتن، فقال رسول الله ﷺ وهو يعدُّ الفتن: «منهن ثلاث لا يكدن يذرَن شيئاً، ومنهن فتن كرياح الصيف، منها صغار، ومنها كبار» قال حذيفة: فذهب أولئك الرهط كلهم غيري^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً، ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً، ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا قليل»^(٤).

وعن كُرُز الخزاعي رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، هل للإسلام من منتهى؟ قال: «نعم، أيما أهل بيت من العرب أو العجم أراد الله بهم خيراً أدخل عليهم الإسلام». قال: ثم مَه؟ قال: «ثم تقع الفتن كأنها الظُّلُّ». قال: كلا والله إن شاء الله. قال: «بلى والذي نفسي بيده، ثم تعودون فيها أسوداً صُبَّاً، يضرب بعضكم رقاب بعض، وأفضل الناس يومئذ مؤمن معتزل في شعب من الشُّعاب يتقي ربه ﷻ، ويدع الناس من شره». قال

(١) أخرجه البخاري في فضائل المدينة (١٨٧٨)، وفي المظالم والغصب (٢٤٦٧)، ومسلم في الفتن (٢٨٨٥)، وأحمد ٥/٢٠٠ (٢١٧٤٨).

(٢) أخرجه مالك في الاستئذان (٩٧٠/٢)، والبخاري في الإيمان (١٩)، وأبو داود في الفتن والملاحم (٤٢٦٧)، والنسائي في الإيمان وشرائعه (٥٠٣٦)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٨٠)، وأحمد ٣/٣٠ (١١٢٥٤).

(٣) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة (٢٨٩١)، وأحمد ٥/٤٠٧ (٢٣٤٦٠).

(٤) أخرجه مسلم في الإيمان (١١٨)، والترمذي في الفتن (٢١٩٥)، وأحمد ٢/٣٠٣ (٨٠٣٠).

سفيان: أساود صبباً: الحية السوداء تنصب؛ أي: ترتفع (١).

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فأحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترنَّ أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة، وثنان وسبعون في النار»، قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: «الجماعة» (٢).

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَتَبْعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فَمَنْ؟!» (٣).

إلى غير ذلك من الأحاديث والأخبار في الفتن التي يشيب من هولها الوليد، فتن كالظُّلْمِ، وَكَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ، تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ، وَيَرِقُّ بِعَضِّهَا بَعْضًا، يَكْثُرُ فِيهَا التَّفَرُّقُ وَالِاخْتِلَافُ، وَيَلْتَبَسُ فِيهَا الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ، يَصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيَمْسِي كَافِرًا، وَيَمْسِي مُؤْمِنًا وَيَصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ، فَتَنُ تَذْهَبُ بِعُقُولِ الرِّجَالِ، وَتَدْعُ الْحَلِيمَ حَيْرَانًا، فَتَنُ لَا تَذَرُ شَيْئًا، تُحْرِقُ الدِّينَ وَالْعَقْلَ وَالْبَدْنَ، وَكُلَّ خَيْرٍ، وَتُهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ، وَالرُّطْبَ وَالْيَابِسَ، وَتَذَرُ الدِّيَارَ بِلَاقِعٍ، وَتَعْمُ الصَّالِحَ وَالطَّالِحَ، كَمَا فِي حَدِيثِ

(١) أخرجه أحمد ٤٧٧/٣ (١٥٩١٧، ١٥٩١٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٣٦/٢١ (٣٨٢٨١)، والحاكم (٣٤/١، ٤٥٤/٤). قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه هذه السياقة». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٠٩١).

(٢) أخرجه ابن ماجه في الفتن (٣٩٩٢). وأخرجه أبو داود في السنة (٤٥٩٦)، والترمذي في الإيمان (٢٦٤٠)، وابن ماجه في الموضوع السابق (٣٩٩١)، وأحمد ٣٣٢/٢ (٨٣٩٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الترمذي: «حسن صحيح». وأخرجه ابن ماجه في الموضوع السابق (٣٩٩٣)، وأحمد أيضًا ٣/١٢٠، ١٤٥ (١٢٢٠٨، ١٢٥٠١) من حديث أنس رضي الله عنه. وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٤٩٢).

(٣) أخرجه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٣٢٠)، ومسلم في العلم (٢٦٦٩). وأخرجه الترمذي في الفتن (٢١٨٠) من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه. وأخرجه ابن ماجه في الفتن (٣٩٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

زينب بنت جحش رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟! قال: «نعم، إذا كثُرَ الحَبْثُ»^(١).

ولهذا أمر الله ﷻ باتقائها، وحذر منها النبي ﷺ وتعوذ منها، وأمر بالحذر، والتعوذ منها قبل وقوعها، وبعد وقوعها، وهذا يوجب على المسلم الحذر كل الحذر منها، والتعوذ بالله منها، والأخذ بأسباب النجاة والعصمة منها.

الوقففة الرابعة في:

أنواع الفتن وأقسامها، وأقسام القلوب، وأقسام الناس أمامها

أ- أنواع الفتن:

الفتن نوعان:

النوع الأول: فتن الشهوات؛ من النساء، والأولاد، والأموال، والأزواج، والمناصب، والرياسات، والجاه، ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَقَابِلِ﴾ [آل عمران: ١٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥].

النوع الثاني: فتن الشبهات، من الشرك، والشك، والبدع، والاختلاف، والتفرق، واختلاط الأمر على الإنسان، فلا يميز الحق من الباطل، والحلال من الحرام، والوقوع في الظلم، والجور، والكبائر، وهذه أشد وأعظم، وهي المقصودة أولاً في الفتن التي حذر منها الكتاب والسنة.

(١) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٦)، ومسلم في الفتن (٢٨٨٠)، والترمذي في الفتن (٢١٨٧)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٥٣).

قال ابن القيم^(١): «الفتنة نوعان: فتنة الشبهات، وهي أعظم الفتن.

وفتنة الشهوات، وقد يجتمعان للعبد، وقد ينفرد بإحدهما.

فتنة الشبهات؛ من ضعف البصيرة، وقلة العلم، لا سيما إذا اقترن بذلك فساد القصد، وحصول الهوى، فهناك الفتنة العظمى، والمصيبة الكبرى، فقل ما شئت في ضلال سيئ القصد، الحاكم عليه الهوى لا الهدى، مع ضعف بصيرته وقلة علمه بما بعث الله به رسوله، فهو من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنْ يَبْعُونَ إِلَّا الْأَظْنَ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ [النجم: ٢٣].

وهذه الفتنة مألها إلى الكفر والنفاق، وهي فتنة المنافقين، وفتنة أهل البدع... ولا ينجي من هذه الفتنة إلا تجريد اتباع الرسول وتحكيمه في دقِّ الدين وجُله، ظاهره وباطنه، عقائده وأعماله، حقائقه وشرائعه».

ب- أقسام الفتن:

الفتن قسمان:

القسم الأول: فتن خاصة بالإنسان، بنفسه، أو ولده، أو أهله، أو ماله، أو أقاربه، أو جيرانه، ومنها كون الفتنة خاصة بأناس معينين؛ من عائلة، أو قبيلة، أو مجموعة من الناس، أو محلة، أو بلدة، ونحو ذلك.

القسم الثاني: الفتن العامة في الأمة والمجتمع كله، وهي المقصودة في كثير من نصوص الكتاب والسنة، وهي الأمر العظيم، والشأن الخطير، والخطب الجلل.

عن حذيفة رضي الله عنه، قال: بينا نحن جلوس عند عمر إذ قال: أيكم يحفظ قول النبي صلى الله عليه وسلم في الفتنة؟ قال: فتنة الرجل في أهله، وماله، وولده، وجاره، تكفرها الصلاة، والصدقة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. قال: ليس عن هذا أسألك، ولكن التي تموج كموج البحر. فقال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها باباً مغلقاً، فقال عمر: أيكسر الباب أم يفتح؟ قال: لا بل يكسر. قال عمر: إذن لا يغلق أبداً. قلت: أجل.

(١) في: «إغاثة اللهفان» (٢/ ٢٣٩).

قلنا لحذيفة: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم، كما يعلم أن دون غد ليلة، وذلك أني حدثته حديثاً ليس بالأغليط، فهبنا أن نسأله: من الباب؟ فأمرنا مسروقاً فسأله، فقال: من الباب؟ قال: عمر^(١).

ج- أقسام القلوب أمام الفتن:

تنقسم القلوب عندما تُعرض عليها الفتن إلى قلبين:

قلب ثابت على الدين، قوي الإيمان واليقين، ينكرها، أبيض مثل الصفا لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض.

وقلب مضطرب ضعيف الإيمان واليقين، أو خلو من ذلك، يشربها فينقلب وينتس. قال ﷺ: «تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأبي قلب أشربها نُكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير القلوب على قلبين: على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مُرباداً كالكوز مُجْحِيّاً لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه»^(٢).

د- أقسام الناس أمام الفتن:

بناءً على انقسام القلوب أمام الفتن إلى قلبين، ينقسم الناس أمامها إلى ثلاثة أقسام: **القسم الأول:** مؤمن قوي الإيمان واليقين، ذو علم بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، ومنهج السلف الصالح وأهل السنة والجماعة، حذر من الفتن ويستعيد بالله منها، ويعرف كيفية التعامل معها، وأسباب النجاة منها، وهذا بإذن الله ينجيه الله تعالى منها.

القسم الثاني: من يخوض ويسعى في الفتن بلا علم ولا دراية، وإنما يردد وينشر ما يقوله الناس في المجالس وفي المنتديات والمواقع، وعبر وسائل الاتصال: «سمعت الناس

(١) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة (٥٢٥)، وفي الفتن (٧٠٩٦)، ومسلم في العلم (١٤٤)، والترمذي في الفتن (٢٢٥٨)، وأحمد ٣٨٦/٥ (٢٣٢٨٠).

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان (١٤٤)، وأحمد ٣٨٦/٥ (٢٣٢٨٠) من حديث حذيفة ﷺ.

يقولون شيئاً فقلته»، وعلى هذا أكثر الناس، وهذا على خطرٍ إن لم يتداركه الله ويوفقه، فيخرج منها ويتبعد عنها، ويلزم طريق السلامة، ويأخذ بأسباب النجاة منها.

القسم الثالث: من أشرها وتلقفها، ووافقت هواه، وخاض فيها، وسعى فيها بسوء قصد، وترعّمها، فهذا كما قال ﷺ: «من الدعاة على أبواب جهنم».

الوقفه الخامسة في:

أسباب العصمة من الفتن والنجاة منها

أسباب العصمة من الفتن والنجاة منها قبل وقوعها وبعد وقوعها كثيرة جداً، بتوفيق الله تعالى وعونه، ومن أهمها ما يلي:

❖ تحقيق التوحيد لله ﷻ:

توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، بتحقيق معنى قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فما ضل من ضل عن الإسلام، وما انحرف من انحرف عن الدين الصحيح، ووقع في الفتن إلا بسبب خلل في التوحيد والعقيدة.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، أي: لم يلبسوا إيمانهم وتوحيدهم بشرك، أولئك لهم الأمن المطلق؛ الأمن النفسي، والأمن الاجتماعي، الأمن في الدنيا من الفتن، والشروع، والضلال، وفي الآخرة من العذاب والأهوال.

❖ الاعتصام بالكتاب والسنة:

قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ

ءَايَتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَفَرُوا وَآخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿آل عمران: ١٠٣-١٠٥﴾، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٥].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

قال ابن عباس رضي الله عنه: «تضمن الله لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه: ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة» ثم تلا: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ ^(١).

وقال رضي الله عنه: «تركت فيكم أمرين، لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه» ^(٢). فالاعتصام بالكتاب والسنة ضمانه وأمان من الفتن والاختلاف والتنازع والتفرق. قال الإمام مالك رضي الله عنه: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها». قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رضي الله عنه: «والذي أصلح أولها هو تمسكهم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وسيرهم على ذلك، والتواصي بذلك، والتعاون في ذلك، هذا هو الذي ساروا عليه، وهو الذي أصلحهم الله به، ولن يصلح آخرهم إلا بذلك» ^(٣).

❖ الثبات عند الفتن وقوة الإيثار والتوكل على الله صلى الله عليه وسلم:

والاستعانة به والإكثار من قول: «يا مقلبَ القلوب ثبتَّ قلبي على دينك» ^(٤). فقد كان صلى الله عليه وسلم - وهو أخشى الناس لله وأتقاهم له ^(٥) - يكثر من هذا الدعاء.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٤٤٦/١٥ (٣٠٥٧٦)، ٢٤٣/١٩ (٣٥٩٢٦)، والطبري في «جامع البيان» (١٩١/١٦).

(٢) أخرجه مالك بلاغاً في القدر (٨٩٩/٢). وحسنه الألباني في «المشكاة» (١٨٦).

(٣) «الفقه في الدين عصمة من الفتن» (ص ٤٩)، لفضيلة الشيخ صالح الفوزان وتعليق الشيخ عبد العزيز بن باز.

(٤) أخرجه الترمذي في القدر (٢١٤٠)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٣٤)، وأحمد ١١٢/٣ (١٢١٠٧)،

والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٨٣) من حديث أنس رضي الله عنه. قال الترمذي: «حديث حسن». وصححه

الألباني في تحقيقه لـ «الأدب المفرد».

(٥) كما قال صلى الله عليه وسلم: «والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له...» الحديث. وقد سبق تخريجه.

وقول: «حسبنا الله ونعم الوكيل»؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٣) فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّهُمْ شُؤٌّ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

قال ابن عباس رضي الله عنه: «حسبنا الله ونعم الوكيل» قالها إبراهيم حين أُلقي في النار، وقالها محمد حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١).

وقد وعد الله ﷻ بتثبيت المؤمنين، وأمرهم بالثبات، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَدُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَبِيئًا﴾ [النساء: ٦٦]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ وُجُوهًا فَاقْبَلُوهَا﴾ [الأنفال: ٤٥].

❖ الاستعانة بالصبر والصلاة:

قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَبْرًا وَصَابِرًا وَرَابِطًا وَأَقْفُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَذِبَنَّ لِذَلِكَ لِمَنِ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠].

وكان ﷺ إذا حزبه أمر فرع إلى الصلاة (٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقباض على الجمر» (٣).

(١) أخرجه البخاري في التفسير (٤٥٦٣).

(٢) أخرجه أبو داود في الصلاة (١٣١٩)، وأحمد ٣٨٨/٥ (٢٣٢٩٩)، والطبري في «جامع البيان» (٦١٨/١) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي في الفتن (٢٢٦٠). قال الترمذي: «حديث غريب». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٥٧).

وقال عليه السلام وذكر آخر الزمان: «التمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر، وأجره أجر خمسين». قالوا: يا رسول الله، منّا أو منهم؟ قال: «بل منكم»^(١).
وذلك لقلة المعين، وكثرة المخدّلين، ولهذا وصفهم عليه السلام بالغرباء، فقال: «طوبى للغرباء، الذين يصلحون إذا فسد الناس». وفي رواية: «يُصلحون ما أفسد الناس»^(٢).

❖ التقوى، وملازمة العبادة، والعمل الصالح:

من صلاة وصدقة، وبر للوالدين، وصلة للأرحام، وصيام وذكر وقراءة القرآن وغير ذلك، وأعظم ذلك المحافظة على أداء الواجبات واجتناب المنهيات.
عن معقل بن يسار رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «العبادة في الهرج كهجرة إلي»^(٣).
وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم»^(٤).

❖ الدعاء والتضرع إلى الله تعالى، والاستعاذة به من الفتن:

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ أَمَّنتْ فَفَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَاءَ امْنُوا﴾

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادير الأصول» (١٠١٠). وأخرجه ابن وضاح في «البدع» ١٣٧/٢ (١٩٢) بلفظ: «التمسك بديني وسنتي في زمان المنكر كالقابض على الجمر، للعامل منهم يومئذ بستي أجر خمسين منكم». وأخرجه أبو الشيخ في «الأمثال» (٢٣٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤٩/٨): «القائمون يومئذ بالكتاب والسنة لهم أجر خمسين صديقاً جميعاً من حديث أنس رضي الله عنه. وأخرج ابن بطة في «الإبانة» ١/٣٤٤ (٢١٦) عن عمر رضي الله عنه مرفوعاً: «التمسك بديني وسنتي في زمان المنكر كالقابض على الجمر، للعامل منهم يومئذ بستي أجر خمسين منكم».

(٢) أخرجه الترمذي في الإيمان (٢٦٣٠) من حديث عمرو بن عوف رضي الله عنه. قال الترمذي: «حديث حسن». وضعفه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١٧٠). وأخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد «المسند» ٧٣/٤ (١٦٦٩٠) من حديث عبد الرحمن بن سنان رضي الله عنه. وأخرجه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٢٨٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وصححه الألباني في «الصحيح» (١٢٧٣).

(٣) أخرجه مسلم في الفتن وأشراف الساعة (٢٩٤٨)، والترمذي في الفتن (٢٢٠١)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٨٥)، وأحمد ٥/٢٥ (٢٠٢٩٨).

(٤) سبق تخريجه قريباً.

كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ [يونس: ٩٨]، وقال تعالى: ﴿أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ

لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢].

وقال ﷺ: «دعوة ذي النون وهو في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ

مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، إنه لم يدعُ بها مسلم في شيء قطُّ إلا استجاب الله له بها»^(١).

وعن زيد بن ثابت ﷺ أن النبي ﷺ قال: «تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما

بطن»^(٢).

وفي حديث أبي هريرة ﷺ أنه ﷺ كان يأمر في التشهد بالتعوذ من أربع: من عذاب

جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال^(٣).

وعن عائشة ﷺ أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكسل، والهَرَمِ،

والمأثم، والمغرم، ومن فتنة القبر، وعذاب القبر، ومن فتنة النار، وعذاب النار، ومن شر

فتنة الغنى، وأعوذ بك من شر فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال»^(٤).

وعن أنس ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهَرَمِ، وأعوذ بك

من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»^(٥).

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا هذه الكلمات كما تُعَلَّم

الكتابة: «اللهم أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن أُرَدَّ إلى أُرْدَلِ

العُمَرُ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر»^(٦).

(١) سبق تخريجه من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم في صفة الجنة ونعيمها وأهلها (٢٨٦٧).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري في الدعوات (٦٣٦٨)، ومسلم في الذكر والدعاء (٥٨٩)، والنسائي في الاستعاذة

(٥٤٦٦)، والترمذي في الدعوات (٣٤٩٥)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٣٨).

(٥) أخرجه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٢٣)، وفي الدعوات (٦٣٦٧)، ومسلم في الذكر والدعاء

(٢٧٠٦)، وأبو داود في الوتر (١٥٤٠)، والنسائي في الاستعاذة (٥٤٤٨).

(٦) سبق تخريجه.

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ في صلاته من فتنة المحيا والميات ^(١).

❖ لزوم جماعة المسلمين وإمامهم:

قال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما أخذ علينا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ» ^(٢).

وعنه رضي الله عنه قال: «بَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمُنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَأَلَّا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ» ^(٣).

وفي حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ» ^(٤) يعني: لولاة أمور المسلمين؛ لما في ذلك من اجتماع كلمة المسلمين وقوتهم وهيبتهم أمام أعدائهم ^(٥).

وكان صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته: «وَأَمَّا الْخَيْرُ الْحَدِيثُ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» ^(٦).

قال فضيلة الشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى ^(٧): «كذلك من أعظم الفتن فتنة

(١) أخرجه البخاري في الأذان (٨٣٢)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٨٩)، وأبو داود في الصلاة (٨٨٠)، والنسائي في السهو (١٣٠٩).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩).

(٣) أخرجه البخاري (٧١٩٩)، ومسلم (١٧٠٩). (٤) سبق تحريجه.

(٥) انظر: «الفقه في الدين عصمة من الفتن» (ص ١٨ - ١٩).

(٦) أخرجه مسلم في الجمعة (٨٦٧)، والنسائي في صلاة العيدين (١٥٧٨)، وابن ماجه في المقدمة (٤٥)

من حديث جابر رضي الله عنه.

(٧) في كتابه: «الفقه في الدين عصمة من الفتن» (ص ١٨ - ١٩).

التفرق والاختلاف، وظهور الفِرَق والجماعات، هذا من أعظم الفتن، وهذا شيء أخبر عنه الرسول ﷺ، ثم ذكر حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

وقال أيضًا حفظه الله تعالى: «من أسباب النجاة: لزوم جماعة المسلمين، والبعد عن الانتماء للفِرَق، والجماعات المخالفة لما كان عليه سلف هذه الأمة؛ لأن الرسول ﷺ يقول في الفرقة الناجية: «هم من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي».

قال رضي الله عنه: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله»^(١).

نعم، سيكون هناك من يهون من شأنهم، من يجهلهم، من يستغفلهم، من يقول: هؤلاء ناس صالحون، ولكن ما يعرفون الواقع، ولا يعرفون كذا، كل هذا يجب على المسلم ألا يلتفت إليه، «وهم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» لا نجاة إلا بهذا: لزوم جماعة المسلمين «وعليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة».

والنبي ﷺ في أكثر من حديث حثنا على أن نكون مع الجماعة المتمسكة بطريقة النبي ﷺ، وطريقة أصحابه، وطريقة سلف الأمة؛ لأن سلف هذه الأمة أدرى وأقرب للحق ممن جاء بعدهم»^(٢).

وسأل عمرو بن ميمون التابعي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن الجماعة؟ فقال له عبد الله: «الجماعة ما وافق الحق، وإن كنت وحدك»^(٣).

❖ التفقه في الدين:

التفقه في الدين أن يعقل المؤمن ويفهم ويعرف أحكام دينه، وما يجب عليه وما يجرم، وما ينبغي وما لا ينبغي، حتى يتعبد لله تعالى على بصيرة من أمره، ويعرف الحكم فيما

(١) أخرجه مسلم في الإمامة (١٩٢٠)، وأبو داود في الفتن والملاحم (٤٢٥٢)، والترمذي في الفتن (٢٢٢٩)، وابن ماجه في المقدمة (١٠)، وأحمد ٥/٢٧٩ (٢٢٤٠٣) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٢) «الفقه في الدين عصمة من الفتن» (ص ٣٥-٣٧).

(٣) أخرج الطبراني في «مسند الشاميين» ١/١٣٨ (٢٢٠)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» ١/١٢١ (١٦٠) عن عمرو بن ميمون، أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك». وانظر: «الفقه في الدين عصمة من الفتن» للشيخ صالح الفوزان (ص ٥١).

يعرض له من مشكلات، وما يُعرض عليه من الفتن؛ لأن من أعظم أسباب الوقوع في الفتن الجهل في الدين.

وقد حث الله ﷺ ورغب في الفقه في الدين، فقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وأثنى الله ﷺ على أهل الفقه في الدين الذين عرفوا الحق واتبعوه قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]، أي: أنعمت عليهم بمعرفة الحق واتباعه. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: ٦٩]، أي: أنعم الله عليهم بمعرفة الحق والأخذ به.

ووصف الله ﷺ المنافقين بأنهم لا يفقهون؛ أي: لا يفهمون أحكام الله ﷺ. فعلى كل مسلم أن يتفقه في دينه، ليعرف الحق فيأخذ به ويكون مع أهله، ويحذر الباطل وأهله، فينجو بإذن الله تعالى من الفتن.

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله: «فكل مؤمن وكل مؤمنة في هذه الدنيا في أشد الحاجة إلى التفقه في الدين، والتبصر، حتى يعلم حكم الله في جميع أعمال المكلفين، وحتى يسير على بصيرة، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتفقه في الدين بالعناية بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، كما تفقه من قبلنا من الصحابة ومن بعدهم»^(١).

وهذا يوجب العناية والاهتمام بتربية الأولاد والأهل على الفقه في الدين، وتبصيرهم في أمر دينهم، والثبات عليه حتى لا تعصف بهم الفتن التي تعرض لهم. كما يوجب هذا العمل على تبصير الناس كلهم في أمور دينهم للنجاة من الفتن؛ لأن من أعظم أسباب الوقوع في الفتن الخلل في منهج التلقي وعدم تربية الأجيال على العقيدة الصحيحة، والدين القويم.

٩. التوبة والإنابة إلى الله تعالى، وكثرة الاستغفار والذكر:

قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر:

(١) انظر: «الفقه في الدين عصمة من الفتن» ص ٤٥ - ٤٦.

[٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِتْنَةً فَاقْبَلُوهَا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

فبالتوبة والإجابة إلى الله ﷻ، وكثرة الاستغفار والذكر، يحفظ الله ﷻ العبد، ويعصمه من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

✦ حفظ اللسان، والقلم، والبنان من الخوض في الفتنة إذا وقعت، إلا في خير؛ من التحذير منها، والتثبيت على الحق:

قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥٣]. وقال ﷺ: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(١). فاللسان عدو الإنسان، ولربما كلمة كانت سبباً في الزيغ والهلاك، قال ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سَخَطِ اللَّهِ، لا يُلْقِيهَا بِالْأَلِّ، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»^(٢). وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تكون فتنة تستنظف العرب، قتلاها في النار، اللسان فيها أشد من وقع السيف»^(٣). قال الشاعر:

وإن النار بالعُودَيْنِ تُذَكِّي وإن الحربَ أولها كَلامٌ^(٤)

- (١) أخرجه البخاري في الأدب (٦٠١٨)، ومسلم في الإيمان (٤٧)، وأبو داود في الأدب (٥١٥٤)، والترمذي في صفة القيامة (٢٥٠٠)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٧١) من حديث أبي هريرة ﷺ. وأخرجه مالك في صفة النبي ﷺ (٩٢٩/٢)، والبخاري في الأدب (٦٠١٩)، ومسلم في الإيمان (٤٨) من حديث أبي شريح الكعبي ﷺ.
- (٢) أخرجه مالك في الكلام (٩٨٥/٢)، والبخاري في الرقاق (٦٤٧٨)، ومسلم في الزهد (٢٩٨٨)، والترمذي في الزهد (٢٣١٤)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.
- (٣) أخرجه أبو داود في الفتن والملاحم (٤٢٦٥)، والترمذي (٢١٧٨)، وابن ماجه (٣٩٦٧)، وأحمد ٢/٢١١ (٦٩٨٠). وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٣٢٢٩). وتستنظف العرب أي: تنفيهم.
- (٤) البيت لنصر بن سيار. انظر: «عمدة الكتاب»، للنحاس (٣٩ / ١)، و«التذكرة الحمدونية» (١ / ٤٣٢).

وقال الآخر:

احذَرِ لِسَانَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ لَا يَلِدْغُنْكَ إِنَّهُ ثَعْبَانُ
 كم في المقابر من قتيلٍ لسانه! كانت تهاب لقاءه الفرسانُ^(١)
 وقال الآخر:

ولئن ندمت على سكوتك مرةً فلتندمن على الكلامِ مِراراً^(٢)
 وقد قيل: «لو كان الكلام من فضة، لكان السكوت من ذهب».

ومما ينبغي التنبيه عليه: أن الكتابة اليوم بالبنان في وسائل التواصل الاجتماعي أصبحت أشد أثرًا وأعظم ضررًا من اللسان بأضعاف مضاعفة؛ إذ أصبحت مجالًا واسعًا ولغ فيها كل الذين يريدون إشعال الفتن بين المسلمين؛ مما يوجب على المسلم الحذر من ذلك ومحاسبة نفسه محاسبة دقيقة في كل ما يكتب على شاشات هذه الوسائل، فالأمر خطير، والناقد بصير، وقد أحسن القائل:

وما من كاتبٍ إلا سيفني ويَبْقَى الدهرَ ما كَتَبْتُ يَدَاهُ
 فلا تكتبْ بكفِّكَ غيرَ شيءٍ يُسْرُكُ في القيامةِ أن تراهُ

❖ الرجوع إلى أهل العلم من العلماء الربانيين، وأهل الذكر، وسؤالهم:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣، والأنبياء: ٧].

قال ابن القيم رحمه الله^(٣): «كنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضافت بنا الأرض، أتيناها- يعني شيخه ابن تيمية رحمه الله - فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحًا وقوة، ويقينًا وطمأنينة».

(١) انظر: «اللطائف والظرائف» للثعالبي (ص ١٠٤).

(٢) انظر: «المَوْشَى، الظرف والظرفاء» (ص ٨).

(٣) في «الوايل الصيب» (ص ٤٨).

❖ الفرار من الفتن:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنماً يتبع بها شَعَفَ الجبال، ومواقع القَطْرِ، يفر بدينه من الفتن»^(١).
وقد بَوَّب البخاري رضي الله عنه باب «من الدين الفرار من الفتن».
وفي حديث حذيفة رضي الله عنه في الفتن لما قال له النبي ﷺ: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم». قال حذيفة: يا رسول الله، فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال ﷺ: «فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعصَّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»^(٢).
هذه هي أهم الأسباب التي بها - بإذن الله تعالى وتوفيقه - النجاة من الفتن والعصمة منها.

الوقفه السادسة في:

المنهجية والطريقة في مواجهة الفتن

سبق ذكر الأسباب في النجاة من الفتن والعصمة منها، قبل وقوعها وبعد وقوعها، وفي هذه الوقفة بيان المنهجية والطريقة في مواجهتها، وكيفية التعامل معها حتى تحمد أو تمر بسلام.

يجب على المسلم عند وقوع الفتنة الحرص على السلامة منها، والخلاص من شرها، ومن أهم الأسباب لذلك ما يلي:

أولاً: الثبوت في الأمور كلها، وفي تلقي الأخبار:

والتمحيص والتدقيق فيها، والحذر كل الحذر من نقل الإشاعات، وتلقف الأخبار الكاذبة المصللة، والحرص على عدم نشر أخبار الفتن، ولو صحت، كما قال بعض أهل العلم: «أميتوا الباطل بالسكوت عنه».

(٢) سبق تخريجه قريباً.

(١) سبق تخريجه قريباً.

قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقُ بَنِي فَتَيِّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَدِيمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]، وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيِّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَن ءَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ ءالسَّلَامُ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنْ ءَلْفَىٰ عَلَيْكُمْ فَتَيِّنُوا إِن ءَلَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤].

وبالتثبت يعرف المسلم حقيقة الأمر، فيسلم من الوقوع في الخطأ والإثم، وأذية الآخرين، ومن جر الشرور وجذبها إلى الأمة، وفيها من الجراح والمصائب ما يكفيها.
ثانياً: الثبات على الحق، والاستعاذة بالله من الفتن، وسؤاله الثبات على الإسلام حتى الممات:

قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَفِي ءَآخِرَةِ ۗ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۗ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فيثبت المؤمن على دينه، ويقف أمام ما يقع من الفتن بقلب مطمئن، قوي الإيمان، راسخ العقيدة، ثابت كثبوت الجبال الراسيات أمام الأعاصير، حتى تذهب الفتنة وتنجلي. وكثبوت النخلة من بين كثير من الأشجار أمام الرياح الشديدة والعواصف، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

ولهذا شبه ﷺ المؤمن بالنخلة في الثبات وكثرة الخير^(١).
وعن شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا كَنَزَ النَّاسُ الدَّرْهَمَ وَالدِّينَارَ فَانْكَزُوا هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرَّشْدِ»^(٢).
فالفتن كالأعاصير والعواصف سرعان ما تنقشع وتنجلي، فيبقى المؤمن المطمئن على

(١) انظر تفسير هذه الآية في تفسيرنا «عون الرحمن».

(٢) أخرجه النسائي في السهو (١٣٠٤)، والترمذي في الدعوات (٣٤٠٧)، وأحمد ٤/١٢٣ (١٧١١٤).

وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٢٢٨).

إيمانه، كما تبقى الجبال راسية في أماكنها، والنخلة ثابتة على أصلها.

ثالثاً: الرفق، والحلم، والتأني، وعدم الاستعجال:

فإذا ظهرت الفتنة وبرزت واستشرفت للناس، فعلى المسلم بالرفق والحلم والتأني، وعدم الاستعجال، في الأقوال والأفعال والأفكار والمواقف، والحكم على الأشياء، وفي اتخاذ القرار، قال ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»^(١). وقال ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه»^(٢).

وقال ﷺ لأشج عبد القيس: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»^(٣). وقد جاء في القرآن الكريم التعريض بدم العجلة والتحذير منها، فقال تعالى: ﴿وَيَذَعُ الْأِنْسَانُ بِالْأَشْمِ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ مُجْمُولًا﴾ [الإسراء: ١١].

فمن خلال الرفق والحلم والتأني وعدم الاستعجال، يمكن للمسلم - بتوفيق الله تعالى - النظر في عواقب الأمور ومآلاتها، ورؤية الأشياء على حقيقتها، وكما هي. ويمكنه - بتوفيق الله تعالى - الحكم عليها؛ لأن «الحكم في الشيء فرع عن تصوره»، فيسلم بإذن الله تعالى من الوقوع في الخطأ والإثم، وفيما لا تحقيق فيه، مما لا يغني ولا ينفع، بل قد يضر؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٩٤)، وأبو داود في الجهاد (٢٤٧٨)، وأحمد ٥٨/٦ (٢٤٣٠٧) من حديث عائشة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في الاستئذان (٦٢٥٦)، وفي استئابة المرتدين (٦٩٢٧)، ومسلم في البر (٢٥٩٣)، وابن ماجه في الأدب (٣٦٨٩) من حديث عائشة ﷺ. وأخرجه أبو داود في الأدب (٤٨٠٧)، وأحمد ٨٧/٤ (١٦٨٠٢) من حديث عبد الله بن مغفل ﷺ. وأخرجه مالك في الاستئذان (٩٧٩/٢) من حديث خالد بن معدان ﷺ. وأخرجه ابن ماجه في الموضوع السابق (٣٦٨٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان (١٧)، والترمذي في البر والصلة (٢٠١١) من حديث ابن عباس ﷺ. وأخرجه مسلم في الموضوع السابق (١٨) من حديث أبي سعيد ﷺ.

وقال رحمته: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»^(١).

وقال رحمته: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»^(٢).

وقال الشاعر:

وأحزُمُ الناسِ من لو مات من ظمًا لا يقربُ الوردِ حتى يعرفَ الصِّدرا^(٣)

رابعًا: العدل والإنصاف والتجرد من الهوى في الأمر كله، في الأقوال، والأفعال،

والأحكام، والآراء.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِمَهْدِ اللَّهِ آوُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال

تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدُوا أَعْدَاؤُهُمْ أَقْرَبَ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

وذلك لأن عدم العدل والإنصاف، واتباع الهوى لا يعالج الفتنة إذا وقعت، بل يزيد

من اتساعها، واشتعالها، وانتشارها.

خامسًا: الاعتصام بالكتاب والسنة، ولزوم الجماعة:

وهم أهل السنة والجماعة، طاعة لولااتهم بالمعروف، واقتداء بأئمتهم وعلمائهم ذوي

العلم الراسخ، والعقيدة السليمة، والحذر كل الحذر من الاختلاف والتفرق في الدين فإنه

سبب لكل فتنة.

(١) أخرجه النسائي في الأشربة (٥٧١١)، والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٨)، وأحمد ١/ ٢٠٠ (١٧٢٣)،

والحاكم (١٣/٢، ٩٩/٤) من حديث الحسن بن علي رحمته. قال الترمذي: «حديث صحيح». وصححه

الألباني في «الإرواء» (١٢، ٢٠٧٤).

(٢) أخرجه مالك في حسن الخلق (٩٠٣/٢)، والترمذي في الزهد (٢٣١٨) مرسلًا من حديث علي بن

الحسين رحمته. وأخرجه أحمد ١/ ٢٠١ (١٧٣٧) من طريق علي بن الحسين عن أبيه رحمته. وأخرجه

الترمذي أيضًا (٢٣١٧)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٦) من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة رحمته. قال

الترمذي عن حديث أبي هريرة: «غريب». وقال عن حديث علي بن الحسين: «وهذا أصح عندنا

من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة». وقد ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤٠/٨) عن الطبراني

في المعاجم الثلاثة، وقال: «رجال أحمد و«الكبير» ثقات». وقال أحمد شاعر في تخريج «المسند»

(١٧٣٧): «إسناد صحيح». وانظر: «جامع العلوم والحكم» ص (٧٩-٨٤). وصححه الألباني في

«صحيح الجامع» (٥٩١١).

(٣) البيت لصفي الدين الحلبي، انظر: «ديوانه» (ص ٦٩).

قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وفي حديث حذيفة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «تَلَزَمَ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»^(١).

وقال رضي الله عنه: «عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة»^(٢).

وقال رضي الله عنه: «الجماعة رحمة، والفرقة عذاب»^(٣)؛ أي: الجماعة رحمة للعباد في الدنيا والآخرة، والفرقة عذاب في الدنيا والآخرة لمن تفرقوا وخالفوا أمر الله تعالى.

ولهذا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لما أتم الصلاة خلف عثمان رضي الله عنه، وكان عبد الله لا يرى الإتمام في السفر، ولما سئل عن ذلك قال: «يا هذا، الخلف شر، الخلف شر، الخلف شر»، كررها ثلاث مرات رضي الله عنه^(٤).

وصدق رضي الله عنه؛ فالاختلاف والفرقة بين الأمة أكبر شر وأعظم بلية، وأكبر وأعظم عون لأعداء الأمة لتمزيق وحدتها، والتغلب عليها، وإضعافها وسلب خيراتها.

قال ابن تيمية: «وبلاد الشرق من أسباب تسليط الله عليهم الترك: كثرة التفرق بينهم في المذاهب، وكل ذلك من الاختلاف الذي ذمه الله، فإن الاعتصام بالجماعة والاتئلاف من أصول الدين»^(٥).

(١) سبق تخريجه قريباً.

(٢) أخرجه الترمذي في الفتن (٢١٦٥)، والحاكم (١١٣/١). قال الترمذي: «حديث حسن صحيح غريب». وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين». ووافقه الذهبي. قال الألباني في «الإرواء» (٢١٥/٦): «وهو كما قالوا». وأخرجه أحمد ٥/٣٧٠ (٢٣١٤٥) من حديث زكريا بن سلام عن أبيه عن رجل.

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد «المسند» ٤/٢٧٨ (١٨٤٤٩). قال ابن كثير في «تفسيره» (٤١٤/٨): «إسناده ضعيف». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٦٦٧).

(٤) أخرجه أبو داود في المناسك (١٩٦٠)، وعبد الرزاق في «مصنفه» ٢/٥١٦ (٤٢٦٩)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» ٨/٣٤٣ (١٤١٧٤)، والبيهقي (٣/١٤٣، ١٤٤) عن عبد الرحمن بن زيد عنه. وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٧١٢).

(٥) انظر: «الفتاوى المصرية» (ص ٤٣).

سادساً: حفظ اللسان والقلم والبنان، وضبط الأقوال والأفعال؛ فليس كل ما يُعلم يقال، ولا كل ما يقال يقال في كل الأحوال، وليس كل فعل بدا حسنه يُفعل في كل حال. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لهم فتنة»^(١).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «حدثوا الناس بما يعرفون؛ أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟!»^(٢).

ولهذا قال رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها: «ألم تَرَي أن قومك لما بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم». قالت: فقلت: يا رسول الله، أفلا تردها على قواعد إبراهيم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت»^(٣).

سابعاً: وَزُنْ كل ما يرفع من رايات يزعم أربابها أنها إسلامية، ولنصرة الإسلام والمسلمين بميزان الشرع، من حيث التوحيد وسلامة العقيدة، ومن حيث عدم استباحة ترك شيء من الواجبات، أو استحلال شيء من المحرمات، سواء كانت هذه الرايات رايات دول، كما زعم الحميني الهالك في ثورته المشؤومة، أو رايات أحزاب وجماعات، كما يقع بين حينٍ وآخر في كثير من البلاد الإسلامية.

ثامناً: يجب على العلماء الراسخين في العلم، وطلاب العلم الذين يدركون عواقب الفتن، وأضرارها العظيمة، ونتائجها الوخيمة على الدين، وعلى العباد والبلاد: أن يسعوا جهدهم في تجنيب عامة الناس مزلق الفتن، وأضرارها، وخاصة الشباب، ومن لديهم الحماس للخير، وهم لا يدركون عواقب الفتن، وذلك باحتوائهم وتوجيههم إلى الطريق الصحيح في مواجهة الفتن، وفق الضوابط الشرعية، والقواعد المرعية، ومنهج السلف الصالح والقرون المفضلة؛ من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وأهل السنة والجماعة؛ حتى لا تجتاهم هذه الفتن،

(١) أخرجه مسلم في المقدمة (١/١١). (٢) أخرجه البخاري في العلم (١٢٧). (٣) أخرجه البخاري في العلم (١٢٦)، ومسلم في الحج (١٣٣٣)، وابن ماجه في المناسك (٢٩٥٥)، وأحمد ١٠٢/٦ (٢٤٧٠٩).

ويكونوا وقودًا لها، ويعود ذلك بالضرر على الأمة في ثباتها على دينها ووحدها.

والشواهد على هذا المنهج من حياة السلف من الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم كثيرة معلومة: فعن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: يا أيها الناس، اهتموا أنفسكم؛ فإننا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية، ولو نرى قتالًا لقاتلنا، فجاء عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله، ألسنا على الحق، وهم على الباطل؟ قال: «بلى». قال: أليس قتلنا في الجنة، وقتلاهم في النار؟ قال: «بلى». قال: فعلام نعطي الدنيَّة في ديننا؟ أنرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: «يا ابن الخطاب، إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبدًا». فانطلق عمر إلى أبي بكر، فقال له مثل ما قال للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إنه رسول الله، ولن يضيعه الله أبدًا. فنزلت سورة الفتح، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر إلى آخرها، فقال: وفتح هو؟ قال: «نعم»^(١).

وفي حديث المسور بن مخرمة ومرّوان بن الحكم: فقال عمر بن الخطاب: فأنت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: ألسنت نبي الله حقًا، قال: «بلى»، قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى»، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: «إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري»، قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام؟» قال: قلت: لا. قال: «فإنك آتية ومطوّف به»، قال: فأنت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقًا؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: أيها الرجل إنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بعزّزه، فوالله إنه على الحق، قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، فأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنك آتية ومطوف به. قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً^(٢).

وفي رواية أحمد: «ثم قال عمر: ما زلت أصوم، وأتصدق، وأصلي، وأعتق من الذي صنعت؛ مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ، حتى رجوت أن يكون خيرًا».

(١) أخرجه البخاري في الجزية (٣١٨٢)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٨٥)، وأحمد ٤٨٥/٣ (١٥٩٧٥).

(٢) أخرجه البخاري في الشروط (٢٧٣١)، وأحمد ٣٢٥/٤ (١٨٩٢٨).

ولهذا قال عمر رضي الله عنه لقبیصة بن جابر: «إن في الإنسان - أو في الشاب - عشرة أخلاق، تسعة حسنة، أو صالحة، وواحد سييء، ويفسدها ذلك السييء، فإياك وعشرة الشباب، أو عشرات الشباب، أو فاتق طيرات الشباب، أو غرات الشباب»^(١).

وكانه رضي الله عنه يشير إلى ما يوجد عند الكثيرين من العجلة والتسرع، وعدم تقدير العواقب، بسبب عدم اكتمال العقل والحكمة، كما يحصل من تصرفات بعض الأولاد مع والديهم، وبعض الطلاب مع معلمهم، وبعض الصغار مع الكبار.

لهذا ذكر رضي الله عنه من ضمن السبعة الذين يظلمهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله: «شاباً نشأ في طاعة الله»^(٢).

وعن نافع أن ابن عمر رضي الله عنه أتاه رجلان في فتنه ابن الزبير، فقالا: إن الناس صنعوا، وأنت ابن عمر، وصاحب النبي صلى الله عليه وسلم، فما يمنعك أن تخرج؟ فقال: يمنعني أن الله حرم دم أخي، فقالا: ألم يقل الله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ فقال: قاتلنا حتى لم تكن فتنه، وكان الدين لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنه ويكون الدين لغير الله^(٣).

وقد حصل الأذى لكثير من علماء الإسلام على مر العصور، وثرَّب عليهم في مواقفهم الثابتة أمام الفتن، وعدم انجرارهم إليها، أو تحذيرهم الشديد من الوقوع في فخاخها ومستنقعاتها، وثباتهم أمامها.

تاسعاً: لا يجوز إيقاع وتطبيق أحاديث الفتن على واقع معين، سواء ما نعيشه اليوم، أو ما بعده، أو ما قبل ذلك.

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» ٤/٤٠٦، ٤٠٧، (٨٢٣٩، ٨٢٤٠)، والطبري في «جامع البيان» (٨/٦٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/١٢٠٦ (٦٨٠٤)، والحاكم (٣/٣١٠)، والبيهقي (٥/١٨١). قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(٢) أخرجه مالك في الشعر (٢/٩٥٢)، والبخاري في الأذان (٦٦٠)، ومسلم في الزكاة (١٠٣١)، والنسائي في آداب القضاة (٥٣٨٠)، والترمذي في الزهد (٢٣٩١)، وأحمد ٢/٤٣٩ (٩٦٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في التفسير (٤٥١٣).

وقفات ست في: تربية الأولاد

قال الله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوْلَكُمُ وَأَوْلَدُكُمْ فَتَنَةٌ ﴿الأنفال: ٢٨﴾

الوقفة الأولى:

الأولاد فتنة؛ بين المنحة والمحنة

الأولاد من أعظم المنح وأكبر النعم التي امتنَّ الله ﷻ بها على العباد، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴿النحل: ٧٢﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَمَدَدْنَكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرِ نَفِيرًا ﴿الإسراء: ٦﴾، وقال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿الكهف: ٤٦﴾.

وقال نوح ﷺ مرعباً قومه باستغفار الله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّيَ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿نوح: ١٠-١٢﴾.

وقال هود ﷺ مذكراً قومه بنعم الله عليهم: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿الشعراء: ١٣٢-١٣٣﴾.

فالأولاد من أجلِّ المنح والنعم الدنيوية وأعظمها، وهم زينة الحياة الدنيا، كما ذكر الله ﷻ.

قال الشاعر^(١):

نِعَمُ الْإِلَهِ عَلَى الْعِبَادِ كَثِيرَةٌ وَأَجَلُّهُنَّ نَجَابَةُ الْأَوْلَادِ
لكن الأولاد قد يكونون فتنة ومحنة، وابتلاءً ونقمة، إذا أهملوا، ولم يُعتنَ بتعليمهم وتربيتهم على الإسلام، كما قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوْلَكُمُ وَأَوْلَدُكُمْ فَتَنَةٌ ﴿١٣٢﴾

(١) انظر: «طبائع النساء» لابن عبد ربه الأندلسي (٨٩).

[الأَنْفَال: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن: ١٥]، وقال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِأَنَّهُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩]، وقال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْزَاقِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدْوًا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن: ١٤]

فاحرص أيها الوالد الكريم على تعليم أولادك وتربيتهم التربية الصالحة؛ ليكونوا لك بتوفيق الله تعالى منحة ونعمة، واحذر من إهمالهم والانشغال عنهم؛ لئلا يكونوا محنة لك ونقمة، فالجزاء من جنس العمل.

الوقفه الثانية:

الأولاد أمانة عظيمة في أعناق والديهم

من أعظم الأمانات، وأكبر المسؤوليات الملقاة على عاتقي الوالدين، وأهمها، وأوجبها: مسؤوليتهما عن أولادهما؛ لهذا أوصى الله ﷻ الوالدين بأولادهما، فقال تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ [النساء: ١١].

وقد قال بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأَنْفَال: ٢٧]: إن المراد بالأمانات في قوله: ﴿ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ ﴾: أمانات الأولاد.

ولا شك أن الأولاد من أول من يدخل تحت الأمانات في الآية، وهي أعم من ذلك. وقال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحریم: ٦]، وقال تعالى مخاطبًا نبينا ﷺ: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: ١٣٢].

وامتدح ﷺ إسماعيل عليه السلام بقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم: ٥٥]؛ والأولاد من أخص الأهل.

وقال ﷺ: «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرّقوا بينهم في المضاجع»^(١).

وقال ﷺ: «الرجل راعٍ في أهل بيته ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها»^(٢).

فاحمل أيها الوالد الكريم هذه الأمانة بقوة، وأدّها بأمانه وإحسان، تجنّ ثمره ذلك في دينك ودنياك وأخراك، فما جزاء الإحسان إلا الإحسان.

الوقفه الثالثة:

من أهم حقوق الأولاد على والديهم

حقوق الأولاد على والديهم كثيرة، من أهمها ما يلي:

❖ اختيار أمهم من ذوات الدين والخلق، كما قال ﷺ: «فاظفر بذات الدين تربت يداك»^(٣).

❖ الدعاء لهم بالصلاح قبل وجودهم، وبعد وجودهم:

كما قال إبراهيم ﷺ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصفوات: ١٠٠]، وقال ﷺ: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وقال ﷺ: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي﴾ [إبراهيم: ٤٠].

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة (٤٩٥)، وأحمد ٢/ ١٨٠، ١٨٧ (٦٦٨٩، ٦٧٥٦) من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده ﷺ. وصححه الألباني في «الإرواء» (٢٩٨، ٢٤٧).

(٢) أخرجه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، وأبو داود في الخراج والإمارة (٢٩٢٨)، والترمذي في الجهاد (١٧٠٥)، وأحمد ٢/ ٥٤، ٥٥ (٤٤٩٥، ٥١٦٧) من حديث ابن عمر ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري في النكاح (٥٠٩٠)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٦)، وأبو داود في النكاح (٢٠٤٧)، والنسائي في النكاح (٣٢٣٠)، وابن ماجه في النكاح (١٨٥٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وقال هو وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨].

وقال عباد الرحمن: ﴿رَبَّنَاهَبْ لَنَا مِن أَرْوَجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا فَرَةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولدٌ في ذلك، لم يضره الشيطان أبداً»^(١).

❖ تسميتهم بأحسن الأسماء، مما هو مستحسن شرعاً، أو عرفاً، ولا محذور فيه.

❖ الإنفاق عليهم، والعناية بتغذيتهم، ونمو أجسامهم، وصحتهم؛ فالعقل السليم في الجسم السليم، و«المؤمن القوي خير وأحب الله من المؤمن الضعيف»؛ كما جاء في الحديث^(٢).

❖ تربيتهم التربية الصالحة منذ الصغر، وتعليمهم العقيدة الإسلامية الصحيحة؛ بتعليمهم التوحيد بأقسامه الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وأنهم خُلِقوا لعبادة الله تعالى وحده، وتحذيرهم من الشرك والكفر والنفاق، وسيئ الأخلاق.

وتعليمهم أركان الإيمان الستة، وكل ما يجب على المسلم الإيمان به، وأركان الإسلام الخمسة، وكل ما يجب على المسلم العمل به، وتعليمهم كل ما يجب عليهم من حقوق لله تعالى، وحقوق للخلق، وتعليمهم الأخلاق والآداب، وغير ذلك؛ فإن العلم في الصغر كالنقش في الحجر، والطفل على ما نُشئ عليه، والعود كما قيل على ما حُني عليه.

(١) أخرجه البخاري في الوضوء (١٤١)، ومسلم في النكاح (١٤٣٤)، وأبو داود في النكاح (٢١٦١)، والترمذي في النكاح (١٠٩٢)، وابن ماجه في النكاح (١٩١٩).

(٢) أخرجه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وابن ماجه في المقدمة (٧٩)، وفي الزهد (٤١٦٨)، وأحمد ٣٦٦/٢ (٨٧٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الشاعر:

وينشأ ناشئُ الفتيانِ منَّا
وما دان الفتى بحجًّا ولكنْ
على ما كان عوَّده أبوه
يعوَّده الديانةُ أقربوه^(١)
وقال الآخر:

قد ينفعُ الأدبُ الأولادَ في صغرٍ
إنَّ الغُصونَ إذا عدلتها اعتدلتْ
وليس يَنفَعُهُم من بعده أدبٌ
ولا يَلِينُ - ولو لَيَّنْتَه - الخشبُ^(٢)
وقال الآخر:

ليس اليتيمُ الذي قد مات والدُه
وقال أحمد شوقي^(٤):
إن اليتيمَ يتيِّمُ العلمَ والأدبَ^(٣)

ليس اليتيمُ مَنْ انتهى أبواه من
إن اليتيمَ هو الذي تلقى له
همَّ الحياةِ وخلفاه ذليلاً
أمَّا تخلَّتْ أو أباً مشغولاً

❖ تربيتهم ذكورهم وإناثهم على تمام الثقة بالله تعالى، وعلى قوة الشخصية، وعلى الحزم والعزم، والتفاؤل، والأخذ بمعالى الأمور؛ جمعاً بين عبادة الله تعالى، والتوكل عليه ﷺ، بين الاستعانة بالله ﷻ، وفعل الأسباب، كما قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ وَإِيَّاكَ نَعْتَصِلُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وقال ﷺ لابن عباسٍ ﷺ: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ»^(٥).

لينشأ الأولاد كلهم - ذكورهم وإناثهم - كل منهم قوي الثقة بربه، وبتوفيقه له وحفظه لا يخاف إلا الله، ولا يرجو إلا الله، ولا يعتمد إلا على الله، ولا يؤمن إلا بالله، ثابتاً على ذلك ثبات الجبال الراسيات، لسان حاله ومقاله كما قال الشاعر:

(١) البيتان لأبي العلاء المعري، انظر: «ديوانه» ص (١٤٥٨).

(٢) البيتان مجهولان النسبة، انظر: «علو الهمة» لمحمد إسماعيل المقدم ص (٣٦٦).

(٣) البيت لعلي بن أبي طالب ﷺ، انظر: «ديوانه» جمع وترتيب: عبد العزيز الكرم ص (١٦).

(٤) «الشوقيات» (١/ ١٨٣).

(٥) سيأتي تخرجه

سأعيش رغم الداءِ والأعداءِ النورُ في جنبي وبين جوانحي
كالنَّسرِ فوق القمَّةِ الشَّمَاءِ فعلامٌ أخشى السيرَ في الظلماءِ؟! (١)

والحذرَ كلَّ الحذرِ من تربيتهُم التربية العقيمة السقيمة، المتداعية المتهالكة، التي تهدم ولا تبني، وهي تربية الأولاد على التشاؤم والمخاوف، فينشأ الواحد منهم - ذكراً كان أو أنثى - مذذب الشخصية، ضعيف الإرادة، خائر العزيمة، يخاف من كل شيء، يخاف كما يقال: حتى من ظله؛ يخاف من الفقر، ومن المرض، ومن العين والسحر والجن، ومن الموت، وغير ذلك أكثر من خوفه من الله تعالى.

❖ العدل بينهم في تقريبتهم ومحبتهم، وفي إعطاء كل منهم ما يحتاجه ذكورهم وإناثهم، كما جاء في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه لما نحلَّ أحد أولاده نِحْلَةً، وجاء ليشهد النبي ﷺ على ذلك، قال له: «أكلَّ أولادك نحلَّت هذا؟» قال: لا. قال: «اتقوا اللهَ واعدلوا بين أولادكم».

وفي روايةٍ قال: «أشهد على هذا غيري». وفي روايةٍ قال: «لا أشهد على جور» (٢).

❖ التواصل المستمر من الوالدين مع أولادهم وأحفادهم، والتواصي معهم بالحق، والإرشاد والنصح لهم ما داموا على قيد الحياة.

الوقفه الرابعة: العناية بالبنات

البنات من أعظم النعم المُسداة؛ لأنهن الأنسات المؤمنات، زينة البيوت وجمالها، البارات، العطوفات الحنونات، الرحيمات المشفقات؛ ولهذا قيل: من لم يولد له بنات

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في الشهادات (٢٦٥٠)، ومسلم في الهبات (١٦٢٣)، والنسائي في النحل (٣٦٨٢)،

وأحمد ٤/٢٦٨ (١٨٣٦٣).

فهو عقيم!

وقد اعتنى الإسلام بهنَّ؛ نظرًا لضعفهن، فقال ﷺ: «إني أُحَرِّجُ حقَّ الضعيفين: المرأةَ واليتيم»^(١).

وبَيَّنَّ ﷺ عِظْمَ أَجْرٍ وَثَوَابٍ مَنِّ عَالِهِنَ، وَقَامَ عَلَيْهِنَ، فَقَالَ ﷺ: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ» وَضَمَّ أَصَابِعَهُ^(٢).

وقال ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَ، وَأَطْعَمَهُنَّ، وَسَقَاهُنَّ، وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَّتِهِ كَنَّنَ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

وقال ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تَدْرَكَهُ ابْتِتَانٌ فَيُحَسِّنُ صَحْبَتَهُمَا إِلَّا أَدْخَلْتَاهُ الْجَنَّةَ»^(٤)، وَقَالَ ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ: يُوْوِيهِنَّ وَيُكْفِيهِنَّ وَيُرْحَمُهُنَّ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ». فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَعْضِ الْقَوْمِ: وَابْتِتَانٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَابْتِتَانٍ»^(٥).

وقال ﷺ: «مَنْ ابْتَلَى مِنَ الْبَنَاتِ بَشِيءًا، فَصَبَرَ عَلَيْهِنَ، وَأَدَّبَهُنَّ، وَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهُنَّ، وَرَبَّاهُنَّ، فَأَحْسَنَ تَرْبِيَّتَهُنَّ، كَنَّنَ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»^(٦).

(١) أخرجه ابن ماجه في الأدب (٣٦٧٨)، وأحمد ٤٣٩/٢ (٩٦٦٦)، والحاكم (٦٣/١) من حديث أبي هريرة ﷺ. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠١٥).

(٢) أخرجه مسلم في البر والصلة (٢٦٣١)، والترمذي في البر والصلة (١٩١٤)، وأحمد ١٤٧/٣ (١٢٤٩٨) من حديث أنس ﷺ.

(٣) أخرجه ابن ماجه في الأدب (٣٦٦٩)، وأحمد ١٥٤/٤ (١٧٤٠٣) من حديث عقبة بن عامر ﷺ. وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٩٤).

(٤) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٧) من حديث ابن عباس ﷺ. وحسنه الألباني في تحقيقه «الأدب المفرد» لغيره.

(٥) أخرجه أحمد ٣/٣٠٣ (١٤٢٤٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٨) من حديث جابر ﷺ. وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٢٧، ٢٦٧٩).

(٦) أخرجه البخاري في الزكاة (١٤١٨)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٢٩)، والترمذي في البر والصلة (١٩١٥)، وأحمد ٣٣/٦ (٢٤٠٥٥) من حديث عائشة ﷺ.

ومن العناية بهن: رعايتهن رعايةً تامّةً، وكفالتّهن، وتربيتّهن التربية الصالحة، وإعطاؤهن حقّهنّ من العطف، والحنان القلبي والنفسي، بالجلوس معهن، والانبساط إليهن، والتبسم لهن، والحديث معهن، والإنصات لحديثهن، والتحبب إليهن، والثناء على خلقهن وجمالهن، ونحو ذلك.

ومن ذلك أيضًا: توريثهن وتزويجهن، وعدم حرمانهن من الميراث، أو منعهن من الزواج، أو تحجيرهن لأبناء عمومتهن أو لغيرهم كما يفعله أهل الجاهلية. ومن ذلك أيضًا: إكرامهن، وإشعارهن بمكانتهن في الإسلام. ومن ذلك: تذكيرهن بأنّ منهن فاطمة عليها السلام التي قال عنها عليها السلام: «سيدة نساء أهل الجنة»^(١).

وكان عليها السلام إذا دخلت عليه عليها السلام قام إليها فأخذ بيدها، وقبّلها، وأجلسها في مجلسه^(٢). ومنهن: أمهات المؤمنين عليهن السلام أزواجه عليهن السلام. ومنهن: مريم بنت عمران، وآسية بنت مراح عليها السلام. ومنهن: بنات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهن، وقد كان جل ذرية الأنبياء عليهم السلام من البنات، ولم يعش لبنينا عليهما السلام من الأولاد إلا البنات. ومن العناية بهن أيضًا: حسن التعامل معهن بعد زواجهن، والاحتفاء بهن وبأولادهن، وإكرام أزواجهن وتقديرهم، واستضافتهم، والإحسان لمن مات زوجها ولأولادها، ولمن طلقت منهن، إلى غير ذلك من وجوه الإكرام، فأكرموهن تكريمًا، فما أكرمهن إلا الكريم.

(١) أخرجه البخاري في المناقب (٣٦٢٣، ٣٦٢٤)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٥٠)، وأحمد ٦/ ٢٨٢ (٢٦٤١٣) من حديث عائشة عليها السلام.

(٢) أخرجه أبو داود في النوم (٥٢١٧)، والترمذي في المناقب (٣٨٧٢) من حديث عائشة عليها السلام. قال الترمذي: «حسن صحيح غريب». وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٤٦٨٩).

الوقففة الخامسة: ثمرات العناية بتربية الأولاد

للعناية بتربية الأولاد تربية سالحة، والقيام بحقوقهم، ثمرات عظيمة، وفوائد كثيرة، ومنافع جملة، في الدين والدنيا والآخرة:

فهى في المقام الأول: أداء لواجب من أكد الواجبات وأعظمها وأهمها، ووفاء بأمانة من أثقل الأمانات، وتخلص من تبعثها.

وهى سبب لقرة أعين والديهم بهم في الحياة قبل الممات، والأجر العظيم في الآخرة. قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وهى سبب لانتفاع والديهم بدعائهم في حياتهم وبعد مماتهم، قال ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»^(١).

وعن أبي هريرة ؓ: «إن الرجل لترفع درجته في الجنة، فيقول: أنى هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك»^(٢).

وهى سبب للحاقهم به في الآخرة، واجتماعهم معه في جنات عدن، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَابْتَعَنُوا دُرِّيَّتَهُمْ بِإِيمَانٍ لِّحَقْنَاهُمْ دُرِّيَّتَهُمْ وَمَا لَنَنْتَهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١]، وقال تعالى: ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَدُرِّيَّتِهِمْ﴾ [الرعد: ٢٣].

(١) أخرجه مسلم في الوصية (١٦٣١)، وأبو داود في الوصايا (٢٨٨٠)، والنسائي في الوصايا (٣٦٥١)، والترمذي في الأحكام (١٣٧٦)، وأحمد ٢/٣٧٢ (٨٨٤٤) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٢) أخرجه ابن ماجه في الأدب (٣٦٦٠)، وأحمد ٢/٥٠٩ (١٠٦١٠). وصححه الألباني في «الصحيححة» (١٥٩٨).

وذكر تعالى دعاء حَمَلَةَ العرش لهم بقولهم: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنِ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ [غافر: ٨].

فمن اعتنى بتربية أولاده تربية سالحة، وأدى حقوقهم، وبذل جهده في تعليمهم وتوجيههم ونصحهم، وأدى الأمانة فيهم، برئت ذمته أمام الله ﷻ يوم القيامة، وقرت عينه ببرهم به في حياته، وانتفع بدعائهم له بعد مماته، وألحقهم الله تعالى به في الآخرة، وجمعهم معه في جنات عدن، فحصل له قرة العين بهم في الدارين، وشتان ما بين القرتين والدارين، وتحقق له ما دعا به المؤمنون: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤].

الوقفظة السادسة في:

خطر إهمال تربية الأولاد،

وأن الفساد إنما جاء كثيراً منهم من قبل آبائهم

التقصير في تربية الأولاد، وإهمالهم، وعدم توجيههم والنصح لهم وتعليمهم ما ينفعهم وتحذيرهم عما يضرهم في دينهم ودنياهم وأخراهم: خيانة من أعظم الخيانات وأكبرها، رتب عليها الشرع أشد الوعيد والتهديد، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، والأولاد من أخص الأهل.

وعن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبدٍ يسترعيه الله رعيةً، يموت يوم يموت وهو غاشٍ لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة»^(١).

ومن حُرمت عليه الجنة فمصيره إلى النار وبئس القرار، فلا وعيد أشد من هذا

(١) أخرجه البخاري في الأحكام (٧١٥١)، ومسلم في الإيمان (١٤٢)، والدارمي ٤١٧/٢ (٢٧٩٦)، وأحمد ٢٥/٥ (٢٠٢٩١).

الوعيد!

والمصيبة أن كثيراً من الآباء لا يستحضر هذا الوعيد الشديد الذي ترجف له القلوب، ولا يعير مسؤوليته عن تربية أولاده أي اهتمام، بل قصرها على تربية أبدانهم فقط، بتوفير الأكل والمتاع لهم. وانشغل عنهم بما لا ينفعه ولا ينفعهم، بإزجاء الأوقات باللهو والغفلات، والتنقل في الأسفار والفلوات، وبين المتنزّهات والاستراحات، أو بالركض وراء الدنيا، وجمع حطامها، والمكاثرة فيها، مما لا تدعو الحاجة إليه، أو ربما انشغل بما هو أسوأ من ذلك، متناسياً أن أولاده له غداً بالمرصاد: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَحْبِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس ٣٤-٣٧].

وقد قال ﷺ: «كل مولودٍ يُولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه»^(١).

فقوله: «فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه» معناه: أنهما ينحرفان به عن الفطرة إلى ما هما عليه من الديانة: اليهودية، أو النصرانية، أو المجوسية.

أو أنهما يهملان تربيته، وينشغلان عنه، كما هو حال كثير من الآباء، فينحرف عن الفطرة، ويتلقف أي ديانة كانت؛ يهودية، أو نصرانية، أو مجوسية، أو غير ذلك، من إلحادٍ، أو غلوٍّ، أو إفراط، أو تفريط، أو انحلال وفساد أخلاق، أو غير ذلك.

أو أنهما يريبانه على غير فطرة الله التي فطر الله الناس عليها؛ لأن من الآباء من يكون قدوة سيئة لأولاده، بارتكابه المعاصي والمُوبقات بمرأى ومنظر منهم؛ من ترك الصلاة، أو ترك صلاة الجماعة، أو عقوق والديه، أو قطيعة رحمه، أو التعامل بالربا ونحوه، أو الظلم للناس والأذية لهم، أو تعاطي الدخان والمخدرات، أو غير ذلك.

مما يجعل الأولاد ينشؤون على هذا فتنتكس فطرهم، فلا يرون بأساً في ترك الواجبات، أو ارتكاب المحرمات، ونحو ذلك.

(١) أخرجه مالك في الجناز (١/ ٢٤١)، والبخاري في الجناز (١٣٥٨، ١٣٥٩)، ومسلم في القدر (٢٦٥٨)، وأبو داود في السنة (٤٧١٤)، والترمذي في القدر (٢١٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الشاعر:

إذا كان ربُّ البيت بالدفِّ ضاربًا فشيمةُ أهل البيتِ كلُّهم الرقصُ ^(١)
 كما أن من الآباء من يغرس في قلوب أولاده- بعد أن كانت سليمة- بذور الثارات
 والعداوات والتفاخر بالأحساب والأنساب، ويذكر لهم ما جرى في غابر الزمان بين
 القبائل بسبب ذلك، فيحیی في أولاده رُوح العصبية المقيتة؛ عصبية الجاهلية، وقد قال
 ﷺ: «دعوها فإنها مُتِنَةٌ» ^(٢).

ومنهم من يذكر لأولاده ما حصل فيما مضى بين الأقارب والأجداد والأعمام
 وأبنائهم والأحوال وغيرهم، مما ليس في ذكره إلا فساد القلوب، وإيغار الصدور،
 وإثارة الأحقاد والضغائن، والخسران المبین، والبعد عن الطريق المستقيم.

كما أن من الآباء من يحمل أولاده على التعلق بالدنيا والافتتان بها، بشدة حرصه
 وتحريضه لهم عليها، وجعله أكثر تشجيعهم وتوجيههم إليها، مما يغرس في قلوبهم
 حبها، والإقبال عليها إقبالاً قد يضر بآخرتهم، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَأَتَّبِعْ فِيمَا أَتَىكَ اللَّهُ
 الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَفْسِكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧]، وهؤلاء عكسوا الأمر.

وكان كثيراً منهم يخشى الفقر على أولاده، مع ما هو فيه- هو وأبناؤه- من نعمة
 وخير، وقد قال ﷺ: «والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تُبسط عليكم الدنيا
 كما بُسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتُهلككم كما أهلكتهم» ^(٣).
 والخلاصة أن فساد كثير من الأولاد بسبب والديهم.

فكم من أولاد انحرفوا عن الفطرة وضلوا بسبب اقتدائهم بأبائهم الضالين!

- (١) البيت مجهول النسبة، انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» للدكتور: أحمد مختار عمر (١/٢٦٧)،
 ٢/٨٤٢)، و«مشكلة السرف في المجتمع المسلم» لعبد الله بن إبراهيم الطريقي ص (١١٣).
 (٢) أخرجه البخاري في تفسير القرآن (٤٩٠٥)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٤)، والترمذي في تفسير القرآن
 (٣٣١٥)، وأحمد ٣/٣٣٨ (١٤٦٣٢) من حديث جابر ﷺ.
 (٣) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار (٤٠١٥)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٦١)، والترمذي في صفة
 القيامة (٢٤٦٢)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٩٧) من حديث عمرو بن عوف الأنصاري ﷺ.

وكم من أولاد ركبوا موجة العصبية المقيتة وضاعت فيها أعمارهم بسبب آبائهم!

وكم من أولاد قطعوا أرحامهم وعادوا أقاربهم بسبب آبائهم!

وكم من أولاد افتتنوا بالدنيا وحطامها بسبب آبائهم!

وكم من أولاد فشلوا في الحياة في أمر دينهم ودنياهم بسبب تربية آبائهم العقيمة!

وكم، وكم، من أولادٍ فسدوا بسبب إهمال آبائهم لهم!

قال ابن القيم في «تحفة الودود، في أحكام المولود»^(١): «فوصية الله للآباء بأولادهم

سابقة على وصية الأولاد بأبائهم»، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْنُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١].

فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سدى، فقد أساء غاية الإساءة، وأكثر الأولاد

إنما جاء فسادهم من قبل الآباء، وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه،

فأضاعوهم صغاراً، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كباراً.

كما عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال: «يا أبت، عققني صغيراً، فعققتُ كبيراً،

وأضعتني وليداً، فأضعتك شيخاً».

صدق ابن القيم رحمه الله، وصدق الولد في رده على عتاب والده!



وقفات ثلاث في: الرؤيا وتأويلها

قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَا تَيْكَمَا طَعَامٌ تُزْرَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمْ آتٍ وَإِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمْ ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [يوسف: ٣٧]

الوقفة الأولى:

تأويل الرؤيا وتعبيرها فتوى يجب أن يُبنى على العلم

تأويل الرؤيا وتعبيرها فتوى يجب أن يبنى على العلم لا على الظن والتخمين، قال يوسف عليه السلام: ﴿ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [يوسف: ٣٧].

وذكر تعالى قول الملك: ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونًا فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣]؛ أي: إن كنتم من أهل العلم بتعبير الرؤيا.

وقال ملؤه حيث لا علم عندهم: ﴿أَضَعْتُ أَحْلَامِي وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ [يوسف: ٤٤]. وهذا يُوجب تقوى الله ﷻ على كل من يتصدر لتفسير الأحلام، والحذر كل الحذر من الخوض في هذا الباب بغير علم - حباً للمال أو للشهرة - احتياطاً لدينه، وسلاماً لعقيدته، وقد قال ﷺ: «إن الحلال بيّن وإن الحرام بيّن، وبينهما أمور متشبهات، لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام»^(١).

قال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ مفتي عام المملكة العربية

(١) أخرجه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، وأبو داود في البيوع (٣٣٢٩)، والنسائي في الأشربة (٥٧١٠)، والترمذي في البيوع (١٢٠٥)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٨٤) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

السعودية حفظه الله تعالى^(١): «أما المعبرون فالواجب عليهم تقوى الله ﷻ، والحذر من الخوض في هذا الباب بغير علم، فإن تعبير الرؤى فتوى؛ لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الْمَلَأَ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَاءِ يَافِعُونَ﴾ [يوسف: ٤٣].

ومعلوم أن الرؤيا بابها العلم لا الظن والتخرص، ثم أيضًا: تأويل الرؤى ليس من العلم العام الذي يحسن نشره بين المسلمين ليصححوا اعتقاداتهم وأعمالهم، وهي كما قال النبي ﷺ: «مبشرات»، وكما قال بعض السلف: «الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره».

هذا، وإن التوسع في باب تأويل الرؤيا حتى سمعنا أنه يخصص لها في القنوات الفضائية، وكذلك على الهواتف، وفي الصحف والمجلات، والمتدييات العامة من المنتجعات وغيرها، أماكن خاصة بها؛ جذبًا للناس، وأكلاً لأموالهم بالباطل، كل هذا شر عظيم وتلاعب بهذا العلم الذي هو جزء من النبوة.

قيل للمالك ﷺ: أيعبر الرؤيا كل أحد؟ فقال: «أبالنبوة يلعب؟!».

وقال مالك: «لا يعبر الرؤيا إلا من يُحسِنها، فإن رأى خيرًا أخبر به، وإن رأى مكروهًا فليقل خيرًا أو ليصمت»، قيل: فهل يعبرها على الخير وهي عنده على المكروه؛ لقول من قال: إنها على ما أولت عليه؟ قال: «لا»، ثم قال: «الرؤيا جزءٌ من النبوة، فلا يُتلاعب بالنبوة».

فيجب على المسلمين التعاون في منع هذا الأمر كل حسب استطاعته، ويجب على ولاة الأمور السعي في غلق هذا الباب؛ لأنه باب شر وذريعة إلى التخرص، والاستعانة بالجن، وجر المسلمين في ديار الإسلام إلى الكهانة، والسؤال عن المغيبات.

زيادة على ما فيها من مضارٍّ لا تحفى من إحداث النزاعات والشقاق والتفريق بين المرء وزوجه، والرجل وأقاربه وأصدقائه، كل هذا بدعوى أن ما يقول المعبر هو تأويل الرؤيا، فيؤخذ على أنه حق محض لا جدال فيه، وتبنى عليه الظنون، وهذا من أبطل الباطل، ونحن لا نعلم أن أصحاب النبي ﷺ - وهم خير القرون وأحرصهم على هدي

(١) في مقال طويل له ضمن مجلة البحوث الإسلامية (٦٧-١٦-١٨)، تحت عنوان: تأويل الرؤى والحذر من التوسع فيها.

نبينا ﷺ وأتقاهم لله وأخشاهم له- لا نعلم أنهم عقدوا مجالس عامة لتأويل الرؤى، ولو كان خيراً لسبقونا إليه.

وإني- إبراءً للذمة، ونصحاً للأمة- لأحذر كل من يصل إليه هذا البيان من التعامل مع هؤلاء أو التعاطي معهم، والتمادي في ذلك، بل الواجب مقاطعتهم، والتحذير من شرهم، عصمنا الله وإياكم من مضلات الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وألزمنا وإياكم كلمة التقوى، ورزقنا اتباع سنة سيد المرسلين، واقتفاء آثار السلف الصالحين، وحشرنا وإياكم في زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً. آمين. انتهى.

وقد سئل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين رحمته: ما حكم تفسير الأحلام؟

فأجاب: «أولاً: ينبغي للإنسان ألا يتعلق بالأحلام ولا يهتم بها، وليعرض عنها؛ لأنه إذا اهتم بها واغتم عند المكروه منها لعب به الشيطان وصار يوربه في منامه أشياء تزعجه، وتشوش عليه، فالأولى للإنسان أن يتناسى الأحلام، وألا يبالي بها، وألا يتذكرها إذا استيقظ»^(١).

الوقف الثانية:

أقسام ما يراه النائم، والتوجيه النبوي الكريم لمن رأى رؤيا

أ- أقسام ما يراه النائم:

ما يراه النائم لا يخرج عن أقسام ثلاثة:

القسم الأول: أن يرى الإنسان ما يحزنه ويغمه، وهذا من الشيطان، فينبغي أطراحه، والإعراض عنه، وعدم الالتفات إليه؛ لأن الشيطان حريص على إدخال الغم والهم والحزن على المسلم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [المجادلة: ١٠].

(١) فتاوى نور على الدرب ٢ / ٢٤، الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ ابن عثيمين، فتاوى نور على الدرب الشريط ٣٤٩، فتوى بعنوان: «حكم تفسير الأحلام».

ومن هذا أن يرى الإنسان ما لا يمكن وقوعه، فهذا من الشيطان، كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، رأيت في المنام كأن رأسي قطع أو ضرب فتدحرج، فاشتدت على أثره، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تحدّث بتلعّب الشيطان بك في المنام»^(١). فجعل صلى الله عليه وسلم هذا من تلاعب الشيطان.

القسم الثاني: ما يراه النائم في منامه مما يحدث به نفسه في اليقظة، فإذا كان الإنسان يفكر في شيء، ويحدث به نفسه كثيراً في يقظته، فإنه قد يعرض له في منامه وهذا أمر معلوم، ولهذا قالوا: أحلام الناس من حديث قلوبهم.

القسم الثالث: الرؤيا التي لها أصل، وهي لا تخلو إما أن تكون مما يحبه الإنسان، أو مما يكرهه.

واشترط لها العلماء شروطاً ثلاثة:

الشرط الأول: ألا تكون مخالفة للشرع والواقع، فإن كانت مخالفة لهما فهي من الشيطان.

الشرط الثاني: أن يتذكرها الإنسان كلها، فإن ضيّع شيئاً منها فليست بشيء.

الشرط الثالث: ألا تدخل عليه الحزن والأذى في البدن، وإلا فهي من الشيطان.

ب- التوجيه النبوي الكريم لمن رأى رؤيا:

عن أبي سلمة قال: لقد كنت أرى الرؤيا فتمرضني، حتى سمعت أبا قتادة رضي الله عنه يقول: وأنا كنت لأرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «الرؤيا الحسنة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها ومن شر الشيطان، ويتفل ثلاثاً، ولا يحدث بها أحداً؛ فإنها لا تضره»^(٢).

وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها، فليبصق

(١) أخرجه مسلم في الرؤيا (٢٢٦٨).

(٢) أخرجه مالك في الرؤيا (٩٥٧/٢)، والبخاري في التعبير (٧٠٤٤)، ومسلم في الرؤيا (٢٢٦١).

عن يساره ثلاثاً، وليستعد بالله من الشيطان ثلاثاً، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه»^(١). قال ابن باز رحمته الله: «أيها المسلم، وأيتها المسلمة، إذا رأى الإنسان ما يحب مثل أن يرى أنه يصلي على الوجه الشرعي، يرى أنه يتعلم علماً يتفقه في الدين، يرى أنه دخل الجنة، وما أشبه ذلك من المرئيات الطيبة، يرى أنه يجالس الصالحين والأخيار، يرى أنه في حلقات العلم، هذه رؤيا طيبة، يقول إذا استيقظ: الحمد لله، يسر بهذا الشيء، يخبر بها أحبائه ومن أحب لا بأس.

أما إذا رأى ما يكره، رأى أنه يضرب، أو يتوعد، أو أنه مع الأشرار، أو أنه دخل النار، أو أنه مريض، أو ما أشبه ذلك من الأشياء المكروهة إذا استيقظ فزع منها، كرهها، فالرسول ﷺ قد أوصاه أن يتفل عن يساره ثلاث مرات، ويقول: أعوذ بالله من الشيطان، ومن شر ما رأيت، ثلاث مرات، ثم ينقلب على جنبه الآخر، فإنها لا تضره، ولا يخبر بها أحداً.

ويبين ﷺ أن هذه الرؤيا من الشيطان ليحزن الإنسان، ليؤذيه، فلا ينبغي أن يقر الشيطان ويسره، لا، بل ينبغي له أن يكون عدواً للشيطان، يتعوذ بالله من الشيطان، يتفل عن يساره ثلاث مرات، ويتعوذ بالله من الشيطان، ومن شر ما رأى، حتى يغيظ الشيطان، ثم ينقلب على جنبه الآخر كما أمر النبي ﷺ، ولا يخبر به، لا يقول: رأيت، رأيت، يتركها؛ فإنها لا تضره، والحمد لله»^(٢).



(١) أخرجه مسلم في الرؤيا (٢٢٦٢)، وأبو داود في الأدب (٥٠٢٢)، وابن ماجه في التعبير (٣٩٠٨)، وأحمد ٣/٣٥٠ (١٤٧٨٠).

(٢) موقع الإمام ابن باز الإلكتروني، فتوى بعنوان: حكم قراءة كتب تفسير الأحلام.

الوقفة الثالثة :

شروط المعبر للرؤيا، وبيان أنه قد يصيب، وقد يخطئ وهو الأكثر،
والتحذير من اقتناء كتب تفسير الأحلام وقراءتها

أ- شروط المعبر للرؤيا :

يُشترط في المعبر للرؤيا شروط ثلاثة:

الأول: المعرفة بدلالات اللغة التي تُحكى بها الرؤيا.

الثاني: المعرفة بنصوص الكتاب والسنة ومعانيها.

الثالث: أن يكون له فِرَاسة.

وهذه الشروط قل أن تجتمع فيمن يتصدرون اليوم لتفسير الرؤيا.

ب- المعبر للرؤيا قد يصيب وقد يخطئ، وهو الأكثر :

تعبير الرؤيا ليس وحيًا، والمعبر لا يعلم الغيب، وقد يصيب وقد يخطئ، حتى لو كان على علمٍ وبصيرة، ولهذا لا ينبغي الجزم بصواب التعبير، لا من العابر، ولا من المعبر له. ولهذا لما عبر أبو بكر رضي الله عنه الرؤيا التي رآها رجل وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وحدثه بها، وقال أبو بكر بعد أن عبرها: فأخبرني يا رسول الله بأبي أنت، أصبت أم أخطأت؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أصبتَ بعضًا، وأخطأتَ بعضًا»^(١).

وإذا كان أبو بكر رضي الله عنه وهو أفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين، والذي هو منه في علمه صلى الله عليه وسلم، وفي إيمانه الذي لو وُزن بإيمان الأمة لرجح بها، إذا كان صلى الله عليه وسلم أخطأ بعضًا، فغيره من باب أولى وأولى بالخطأ، وبخاصة من خاض بهذا الأمر بلا علم ولا هدى ولا بصيرة، وبقصد جمع المال، أو الشهرة؛ كحال كثير من المعبرين اليوم، فهذا حريٌّ ألا يوفق

(١) أخرجه البخاري في التعبير (٧٠٤٦)، ومسلم في الرؤيا (٢٢٦٩)، وأبو داود في الأيمان والنذور (٣٢٦٨)، وفي السنة (٤٦٣٢)، والترمذي في الرؤيا (٢٢٩٣)، وابن ماجه في تعبير الرؤيا (٣٩١٨).

للصواب، فلا ينبغي الاغترار به.

ج- التحذير من اقتناء كتب تفسير الأحلام وقراءتها:

كتب تفسير الأحلام كثير منها غير معروف المصدر، ومبني كثير منها على الظنون الكاذبة، والتخرصات والتخمينات التي لا أصل لها، ولا تستند إلى علم، ولا يخلو كثير منها من الأباطيل والشركيات، والأساطير والخرافات، التي قد تضر من يكثر القراءة فيها، فيقع بسببها في شيء من الشبهات والشكوك في العقيدة، وغير ذلك.

أو تدخله في دوامة من الأوهام والوساوس النفسية، لا يستطيع الخروج منها، وقد قال رحمه الله: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»^(١).

وسئل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله عن مدى صحة كتب تفسير الأحلام مثل كتاب ابن سيرين رحمه الله، فقال:

«الجواب على هذا أني أنصح إخواني المسلمين عن هذه الكتب؛ لأنها ليست وحياً منزلاً، وإنما هي رأي قد يكون صحيحاً، وقد يكون غير صحيح، ثم إن الرؤى قد تتفق في صورتها، وتختلف في حقيقتها، بحسب من رآها، وبحسب الزمن، وبحسب المكان، فإذا رأينا رؤيا على صورة معينة فليس معنى ذلك أننا كلما رأينا رؤيا على هذه الصورة يكون تأويلها كتأويل الرؤيا الأولى، بل تختلف، فإذا كان هذا فإني أنصح إخواني المسلمين عن اقتناء هذه الكتب والمطالعة فيها»^(٢).

وصدق فضيلته رحمه الله، فالسلامة لا يعدلها شيء.

(١) أخرجه النسائي في الأشربة (٥٧١١)، والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٨)، وأحمد ١/ ٢٠٠ (١٧٢٣)، والحاكم (١٣/٢، ٩٩/٤) من حديث الحسن بن علي رحمه الله. قال الترمذي: «حديث صحيح». وصححه الألباني في «الإرواء» (١٢، ٢٠٧٤).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ٢٦ / ٣٦٠-٣٦٢.

وقفه في: احفظ الله يحفظك

قال الله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف»^(١).

وفي رواية زيادة: «وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً»^(٢).

هذه وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنه، وهي وصيته صلى الله عليه وسلم للأمة كلها، وهي وصية الله تعالى في كتابه للأولين والآخرين؛ بتقواه، والتوكل عليه وحده، وسؤاله، والاستعانة به، والإيمان بقضائه وقدره، ووعده صلى الله عليه وسلم على ذلك بالحياة الطيبة، والأجر العظيم، والفوز الكبير.

وقد اشتمل هذا الحديث العظيم على أمر، ووعده:

(١) أخرجه الترمذي في صفة القيامة (٢٥١٦)، وأحمد ١/ ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧، (٢٦٦٩، ٢٧٦٣، ٢٨٠٣)، والحاكم (٥٤١/٣). قال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وقال الحاكم: «هذا حديث كبير عالٍ من حديث عبد الملك بن عمير، عن ابن عباس رضي الله عنه، إلا أن الشيخين رضي الله عنهما لم يخرجوا شهاب بن خراش». وصححه أحمد شاكر في شرحه لـ«المسند» (٢٦٦٩، ٢٧٦٣). وقال ابن تيمية في «التوسل والوسيلة» ص (٥٢): «حديث مشهور». وحسنه ابن حجر في «مواقفة الخبر الخبر» (١/ ٣٢٧)، وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (١/ ٤٥٩): «حسن جيد». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٨٢).

(٢) أخرجه أحمد ١/ ٣٠٧، (٢٨٠٣)، والطبراني في «الكبير» ١١/ ١٢٣ (١١٢٤٣)، والحاكم (٣/ ٥٤٢).

الأول: الأمر بحفظ الله تعالى بالاستقامة على دينه وشرعه، وسؤاله وحده، والاستعانة به وحده، وبيان أن الخلق كلهم ليس بأيديهم شيء من النفع أو الضرر، إلا ما كتبه الله تعالى وقدره، وأن النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً.

الثاني: الوعد بحفظ الله تعالى لمن حفظه في دينه وديناه وأخراه، وأنه ﷺ مع من حفظه وقریب منه.

وهذا يضع الجميع - أخي الكريم وأختي الكريمة - أمام خيارين لا ثالث لهما: **الخيار الأول:** وهو أفضل الخيارين وأكيسهما، وهو الذي يحبه الله ﷻ ويرضاه، ويحب من اختاره ويتولاه.

وهو: أن تحفظ الله؛ أي: تحفظ الله ﷻ بتقواه، وحفظ حدوده، وحقوقه، بفعل أوامره، واجتناب نواهيه، والاستقامة على طاعته، والبعد عن معصيته، والمساورة والمسابقة إلى مغفرته وجنته، وتحفظ الجوارح من السمع، والبصر، والفؤاد، واللسان، والبطن، والفرج، وسائر الجوارح باستعمالها في طاعة الله تعالى، والاستعانة بها على مرضاته، وحفظها عما حرم الله تعالى.

فيحفظك الله ويوفقك في دينك وديناك وأخراك، كما قال تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

يحفظك أولاً: في دينك الذي هو رأس مالك، وسبب سعادتك في دنيك وأخراك، فيحفظك من الشرك، والشك، والنفاق، وسيئ الأخلاق، ومن الشبهات، والشهوات المحرمة، ومن الحيرة، والتذبذب، وغير ذلك.

ويحبب إليك الإيمان، ويزينه في قلبك، ويكره إليك الكفر والفسوق والعصيان، ويجعلك من الراشدين، ويجعل لك نوراً تفرق به بين الحق والباطل، كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

وييسرك لليسر، ويجنبك العسر، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ءَعْطَى وَتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَقَ

بِالْحُسْنِ ﴿٦﴾ فَسَيَسِّرُهُ لِلْيَسْرَى ﴿٦﴾ [الليل ٥-٧].

ويحفظك في دنياك، بنفسك، وأهلك، وأولادك، ومالك، ومن تحب، كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

ويحفظك عند الاحتضار ومفارقة الحياة بالثبات على الإيمان، والسلامة من الخوف والحزن، والبشارة بالجنة وما فيها من النعيم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٢﴾ نَحْنُ أَوْلِيَٰكُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ تَزَلَمُنَّ مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٠﴾ [فصلت ٣٠-٣٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف ١٣-١٤].

ويحفظك في عقبك، وذريتك؛ فإن صلاح الوالدين سبب لصلاح عقبهم وذرياتهم، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢].

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله في عقبه وعقب عقبه» ^(١).

ويحفظك ويسعدك في أخراك، فينجيك من النار، ويدخلك الجنة مع الأبرار؛ والديك وأهلك وذريتك وأحبابك؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَزَلَفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُنْفِقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ هُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣١-٣٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَكَهَيْنَ بِمَاءِ النَّهْمِ رَبُّهُمْ وَوَقَقَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَرَوَّحْنَهُمْ

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان» (٧١)، وانظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبلي (١/٤٦٧).

يُحَوِّرُ عَيْنَ (٣٠) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا لَنَنْهَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿[الطور ١٧-٢١].

وقال تعالى: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٣٢) سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرُوا فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿[الرعد ٢٣، ٢٤].

ويدعو لهم حملة العرش بقولهم: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿[غافر: ٨].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب» (١).

الخيار الثاني: وهو الذي يكرهه الله ويُبغِضُه، ولا يرضاه، ويُعْرِضُ ﷻ عمن اختاره وسلكه ولا يتولاه.

وهو عدم حفظ الله ﷻ، وتضييع أوامره، وعدم امتثالها، وارتكاب نواهيه، فمن اختار هذا الطريق، تخلى الله عنه، ولم يحفظه، ووكله لنفسه، فاستهوته الشياطين، وذهبت به كل مذهب، وضاع في مهب الريح، وخسر دينه وديناه وأخراه، وصار مصيره إلى النار، وبئس القرار.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى (١٣٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَد كُنْتُ بَصِيرًا (١٣٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿[طه ١٢٤-١٢٦].

فالكون كله يسير وفق نظام محكم دقيق، ونواميس وسنن كونية لا تتخلف، فمن حفظ الله حفظه الله، ومن ضيع أمر الله وكَلَّه الله إلى نفسه فهلك.

وكما يدين المرء يدان، كما قال تعالى: ﴿جَزَاءً وَفَاءً ﴿[النبا: ٢٦]، وقال تعالى:

(١) أخرجه البخاري في الأدب (٦١٦٨)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٦٤٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وأخرجه البخاري في الموضوع السابق (٦١٧٠)، ومسلم في الموضوع السابق (٢٦٤١) من حديث أبي موسى رضي الله عنه. وأخرجه أبو داود في النوم (٥١٢٧)، والترمذي في الزهد (٢٣٨٥، ٢٣٨٦) من حديث أنس رضي الله عنه. وأخرجه الترمذي في الموضوع السابق (٣٥٣٥، ٣٥٣٦) من حديث صفوان بن عَسَّال رضي الله عنه.

وَقَفَاتٌ قُرْآنِيَّةٌ وَفَوَائِدُ عِلْمِيَّةٌ تَرْبَوِيَّةٌ

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَى﴾ ٥ ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ ٦ ﴿فَسَيَسِرُّهُ لِيُسْرَى﴾ ٧ ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ ٨ ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ ٩ ﴿فَسَيَسِرُّهُ لِّلْعُسْرَى﴾ [الليل ٥-١٠].

وقال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

والمصيبة أن تصوّر هذه الحقيقة غائب عند كثير من الناس، وهو الذي يجب أن يكون حاضرًا عند كل مسلم ومسلمة، وهو بإذن الله تعالى صمام الأمان، وعنوان السعادة في الدارين، الذي ينبغي أن تُربى عليه الأجيال المسلمة، وأنه بقدر ما تحفظ الله ﷻ يحفظك الله، وبقدر ما تكون مع الله يكون الله معك، هذا خلاصة ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، فانتبه لهذا، ولا تغفل، وتبصر في مسيرتك وخطاك، وكن مع الله يكن الله معك.

تأمل قول الله تعالى لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام: ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، وقول موسى ﷺ: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢].

وتأمل قول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه لأبي بكر ﷺ، وهما في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وتأمل قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ ٢ ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّكِلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

وقوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ إِنِّي لَأَبْ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

وقوله ﷺ في الحديث القدسي: «مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي

عليها، ولئن سألتني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»^(١).
 وقوله ﷺ: «لو أنكم تتوكلون على الله حقَّ توكله، لَرَزَقَكُمْ كما يرزق الطير، تغدو
 خِمْصًا وتَرُوح بِطَانًا»^(٢).

وتأمل كيف حفظ الله ﷺ يوسف وردّه إلى أبيه يعقوب عليهما الصلاة والسلام لما
 حفظا الله ﷺ وتوكلا عليه، ووثقا بحفظ الله تعالى لهما، ورحمته، كما قال يعقوب ﷺ:
 ﴿قَالَ اللَّهُ خَيْرَ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].
 وصدق المصطفى ﷺ: «احفظ الله يحفظك».



(١) أخرجه البخاري في الرقاق (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه الترمذي في الزهد (٢٣٤٤)، وابن ماجه في الزهد (٤١٦٤)، وأحمد ١/ ٣٠ (٢٠٥) من حديث
 عمر بن الخطاب ﷺ. قال الترمذي: «حسن صحيح». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣١٠).

أربع عشرة وقفة في: وجوب شكر نعم الله ﷻ

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]

الوقفة الأولى في: معنى الشكر، وأدواته التي يقع بها

أ- معنى الشكر:

قال ابن منظور: «الشكر: عرفان الإحسان، ونشره، والثناء على المحسن بما أولاه من المعروف، يقال: شكرته، وشكرت له، وباللام أفصح، والشكر هو الشكور، والشكران خلاف الكفران.

والشكر من الله: المجازاة والثناء الجميل.

والشكور معناه: أنه يزكو عنده القليل من أعمال العباد، فيضاعف لهم الجزاء، وشكره لعباده: مغفرته لهم.

وأما الشكور من عباد الله، فهو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته، وأدائه ما وُظف عليه من عبادته»^(١).

ونعم الله ﷻ تشمل جميع نعمه ﷻ التي لا تُحصى؛ من نعمة الخلق، ونعمة الإسلام، ونعمة الرزق، ونعمة الأمن، ونعمة الصحة والفرغ، ونعمة الأزواج والأولاد، وغيرها من النعم الظاهرة والباطنة.

ب- أدوات الشكر التي يقع بها:

جاء في لسان العرب^(٢): «والشكر: مقابلة النعمة بالقول والفعل والنية، فيُثنى على المنعم

(٢) «لسان العرب» مادة «شكر».

(١) «لسان العرب» مادة «شكر».

بلسانه، ويذيب نفسه في طاعته، ويعتقد أنه مؤليها».

فالشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح، كما قال الشاعر:

وما كان سُكري وافيًا بنوالكم ولكنني حاولتُ في الجهدِ مذهبًا
أفادتكمُ النعماءُ مني ثلاثةً يدي ولساني والضميرُ المُحجَّبًا^(١)

فالشكر بالقلب بالاعتراف بالنعمة باطنًا، ونسبتها إلى المنعم بها ومُسديها.

والشكر باللسان بالاعتراف بالنعمة ظاهرًا، والتحدث بها باللسان، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]؛ أي: وأما بنعمة ربك عليك بالنبوة فحدث، وبغيرها من النعم.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فِيحَمْدِهِ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فِيحَمْدِهِ عَلَيْهَا»^(٢).

والشكر بالجوارح: استعمالها في طاعة الله تعالى والاستعانة بها على مرضاته، قولاً وعملاً، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال تعالى: ﴿أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣]، وقد قام ﷺ حتى تورمت قدماه، وقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»^(٣).

قال ابن قدامة رحمته الله: «الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح.

أما بالقلب، فهو أن يقصد الخير، ويُضمره للخلق كافة.

وأما باللسان، فهو إظهار الشكر بالتحميد، وإظهار الرضا عن الله تعالى.

وأما بالجوارح، فهو استعمال نعم الله تعالى في طاعته، والتوقى من الاستعانة بها على

(١) البيت في «ربيع الأبرار ونصوص الأخيار» ٥/ ٢٧٧ بلا نسبة، ونسب في «المفضليات» ص ٣٤٤ لبشر.

(٢) أخرجه مسلم في الذكر (٢٧٣٤)، والترمذي في الأطعمة (١٨١٦).

(٣) أخرجه البخاري في التهجد (١١٣٠)، ومسلم في صفة القيامة (٢٨١٩)، والنسائي في قيام الليل وتطوع النهار (١٦٤٤)، والترمذي في الصلاة (٤١٢)، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٤١٩) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه. وأخرجه البخاري في التفسير (٤٨٣٧)، ومسلم في صفة القيامة (٢٨٢٠) من حديث عائشة رضي الله عنها. وأخرجه ابن ماجه في الموضوع السابق (١٤١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

معصيته...»^(١).

قال ابن القيم رحمه الله في «طريق الهجرتين»^(٢): «فإن أصل الشكر الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له، والذل والمحبة، فمن لم يعرف النعمة، بل كان جاهلاً بها، لم يشكرها، ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها، لم يشكرها أيضاً، ومن عرف النعمة والمنعم، لكن جحدتها، كما يجحد المنكر لنعمة المنعم عليه بها، فقد كفرها، ومن عرف النعمة والمنعم بها وأقرَّ بها ولم يجحدتها، ولكن لم يخضع له ويحبه ويرض به وعنه، لم يشكره أيضاً، ومن عرفها وعرف المنعم بها وأقرَّ بها، وخضع للمنعم بها وأحبه ورضي به وعنه، واستعملها في محابته وطاعته، فهذا هو الشاكر لها، فلا بد في الشكر من علم القلب، وعمل يتبع العلم، وهو الميل إلى المنعم، ومحبته والخضوع له».

فانتبه أخي المبارك وأختي المباركة لهذا، وليسخر كل فكره وعقله ولسانه، وجميع جوارحه في ذكر الله تعالى وشكره ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

الوقفه الثانية:

النعم كلها من الله تعالى، ولا يمكن إحصاؤها

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]؛ أي: وما بكم من جميع النعم فمن الله تعالى؛ من نعمة العلم والإيمان والإسلام، ونعمة الخلق، والرزق، والأمن، والصحة، والفراغ، ونعمة الأزواج والأولاد، وغير ذلك من سائر النعم التي لا تُعد ولا تُحصى، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا﴾ [لقمان: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ فَشَكَرُوهَا إِن تَشْكُرُوا يَرْزُقْكُمْ مِنْهُ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْزُقْكُمْ مِنْهُ أُخْرَىٰ وَمَا يُغْنِي عَنْكُمْ كَفَاؤُهُمْ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

و«نعمة» نكرة مضافة إلى لفظ الجلالة «الله»، وهو معرفة، فتعم جميع نعم الله تعالى؛ أي: وإن تعدوا نعم الله تعالى لا تستطيعون إحصاءها ولا حصرها.

ومثل هذا في عموم كل نعمه ﷺ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنِمُّ نِعْمِي عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠]؛ فالمعنى: ولأنتم جميع نعمي عليكم.

وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾؛ فالمعنى: وأتممت عليكم جميع نعمي.

فكل ما يتقلب فيه الخلق، إنسهم وجنهم، ومؤمنهم وكافرهم، ناطقهم وبهيمهم من النعم، هو من الله تعالى، وليس بمقدورهم كلهم إحصاء نعمه ﷺ عليهم، ولا القيام بشكره عليها حق شكره، كما قال ﷺ: «لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»^(١).

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ﷺ: «فالواجب على كل إنسان أن يشكر نعمة الله على ما أعطاه، وأن يحمد الله، وأن يثني عليه، لولا فضل الله لكنت أسوأ من حالك التي أنت عليها، إن كنت فقيراً، لولا فضل الله لكنت أسوأ، وإن كنت قصيراً لولا فضل الله لكنت أسوأ، وإن كنت ذميماً، لولا فضل الله لكنت أسوأ»^(٢).



الوقف الثالث في: وجوب الشكر لله ﷻ

الشكر لله ﷻ من أوجب الواجبات التي أوجبها الله ﷻ على عباده، وأمر ﷻ به جميع أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين.

(١) أخرجه مالك في القرآن (١/ ٢١٤)، ومسلم في الصلاة (٤٨٦)، وأبو داود في الصلاة (٨٧٩)، والنسائي في الطهارة (١٦٩)، وفي التطبيق (١١٠٠)، والترمذي في الدعوات (٣٤٩٣)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٤١) من حديث عائشة ﷺ. وأخرجه أبو داود في الوتر (١٤٢٧)، والنسائي في قيام الليل وتطوع النهار (١٧٤٧)، والترمذي في الدعوات (٣٥٦٦)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها (١١٧٩) من حديث عليّ ﷺ.

(٢) في «تأملات في سورة الحجرات» من موقع الإمام ابن باز.

والشكر لله ﷻ يكون بما يلي:

أولاً: بالإيمان بالله تعالى، وعبادته وتقواه، واستعمال البدن، وجميع الجوارح الظاهرة والباطنة، وجميع النعم فيما خلقت له، وفي عبادة الله تعالى وطاعته، والاستعانة بها على مرضاته، وذكره، وشكره؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤].

فالشكر شرط العبادة وحقيقتها، وهي لب الشكر وثمرته.

وقال إبراهيم الخليل ﷺ: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]؛ أي: لعلهم يشكرونك؛ بإقام الصلاة، وعبادتك.

وقال تعالى مخاطباً آل داود ﷺ: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣]؛ أي: اعملوا في عبادة الله تعالى، وطاعته شكراً لله ﷻ.

وقال تعالى لموسى ﷺ: ﴿يَمْوَسَىٰ إِنِّي أَخِطِفْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَاءً آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤]؛ أي: وكن من الشاكرين لله تعالى بالأخذ بما آتيتك من الرسالة والتوراة عملاً بذلك، وتبليغاً له.

وقال تعالى لنبينا صلوات الله وسلامه عليه: ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦]؛ أي: بل الله وحده فاعبد، وكن من الشاكرين له ﷻ بعبادته وحده.

وقال تعالى ممتناً على النبي ﷺ والمؤمنين: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، فامتناً عليهم بنعمة نصرهم ببدر، وهم أذلة، وأمرهم بتقواه ﷻ؛ ليتحقق شكرهم له سبحانه.

وقال تعالى للمؤمنين: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَلْيُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلْيُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]،

فمن شكره ﷺ ذكره وإكمال عدة الصيام، وتكبيره ﷺ على هدايته إياهم.

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾ [لقمان: ١٤]، فأمر ﷺ بشكره، وجعل منه شكر الوالدين بالقيام بحقوقهما، فحقيقة الشكر وثمرته عبادة الله تعالى وطاعته.

وقال تعالى في الثناء على نبيه نوح ﷺ: ﴿ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]؛ أي: إنه كان عبدًا شكورًا لربه ﷺ، معترفًا بنعمه، مثنيًا بها عليه، مستعملًا لها في مرضاته، حامدًا ربه على كل حال، وفي كل حين.

وكما في حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الناس يوم القيامة...» الحديث، وفيه: «فيأتون نوحًا يقولون: إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبدًا شكورًا؛ اشفع لنا إلى ربك»^(١).

وكل نعمة من نعم الله التي لا تُعد ولا تُحصى تستوجب شكرًا خاصًا؛ كنعمة الخلق، ونعمة الإسلام، ونعمة الرزق والأمن، والصحة، والفراغ، والأزواج، والأولاد، وغيرها من النعم، وسيأتي تفصيل شيء من هذا في الوقفات التالية.

ثانيًا: الاعتدال في النفقة، والمأكل، والمشرب، والملبس، والمسكن، والمركب وغير ذلك:

الاعتدال في النفقة في المأكل والمشرب، والملبس والمسكن والمركب، وفي جميع شؤون الحياة، من أعظم أوجه الشكر، وصفات الشاكرين.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

وقال تعالى في مدح عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ

قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]؛ أي: حسب ما تقوم به الحال، فلا إسراف ولا تقتير، ولهذا قال عمر بن عبد العزيز ﷺ لما سأله عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته فاطمة: ما نفقتك؟ فقال له

(١) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٠)، وفي التفسير (٤٧١٢)، ومسلم في الإيمان (١٩٤)، والترمذي في صفة القيامة (٢٤٣٤)، وأحمد ٤٣٥/٢ (٩٦٢٣).

عمر: «الحسنة بين سيئتين» ثم تلا هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧] (١).

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير محيلة ولا سرف» (٢)، وفي رواية: «كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا ما لم يخالطه إسراف، أو محيلة» (٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً: «كل ما شئت، والبس ما شئت، ما أخطأتك اثنتان: سرف، أو محيلة» (٤).

قال الشاعر:

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد
كلا طرفي قصد الأمور ذميم (٥)

وقال الآخر:

إذا كنت تهوى العيش فاقنع توسطاً
فعد التناهي يقصر المتناول
توقى البدور النقص وهي أهلة
ويدركها النقصان وهي كوامل (٦)

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (٣٣٤)، وانظر: «البيسط» للواحدى (١٦ / ٥٨٤)، و«تفسير السمعاني» (٣١ / ٤).

(٢) أخرجه أحمد ٢ / ١٨١، ١٨٢ (٦٦٩٥، ٦٧٠٨)، والحاكم (٤ / ١٣٥). قال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٣) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم في اللباس، قبل (٥٧٨٣)، والنسائي في الزكاة (٢٥٥٩)، وابن ماجه في اللباس (٣٦٠٥)، وأحمد ٢ / ١٨١ (٦٦٩٥). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣ / ١٤٢): «رواه النسائي وابن ماجه، ورواته إلى عمر ثقات يُحتج بهم في الصحيح». وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٥٠٥)، و«مشكاة المصابيح» (٤٣٨١).

(٤) ذكره البخاري معلقاً بصيغة الجزم في اللباس، قبل (٥٧٨٣). ووصله ابن أبي شيبة في «المصنف» ١٢ / ٥١٦ (٢٥٣٧٥)، ١٣ / ٥٤٥ (٢٧١٣٣). صححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٤٣٨٠).

(٥) البيت لأبي سليمان الخطابي، كما في كتاب «العزلة» له (ص ٩٧)، وفي «قرئ الضيف» لابن أبي الدنيا (٤ / ٣٨٥).

(٦) البيتان لأبي العلاء المعري. انظر: «شرح نهج البلاغة» ٣ / ١٦٣، «حياة الحيوان الكبرى» ٢ / ١٧٣، «زهر الأكم في الأمثال والحكم» ٢ / ٢٠٣.

وقال القحطاني:

كن في أمورك كلها متوسطاً عدلاً بلا نقصٍ ولا رُجحانٍ
ثالثاً: التحدث بنعمة الله تعالى، وذكرها، وظهور أثرها على العبد.

من شكر نعمة الله تعالى على العبد التحدث بها، وذكرها، وظهور أثرها عليه، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]؛ أي: فحدث بنعمة الله تعالى عليك بالنبوة، وبغيرها من نعم الله تعالى عليك.

وقال ﷺ: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»^(١).

وعن أبي الأحوص عن أبيه ﷺ، قال: أتيت النبي ﷺ في ثوبٍ دُونَ، فقال: «ألك مال؟» قلت: نعم. قال: «من أي المال؟» قلت: آتاني الله من الإبل والغنم والخيول والرقيق. قال: «فإذا آتاك الله مالاً فليُرْ أثرُ نعمة الله عليك وكرامته»^(٢).

وَرُوي أنه قرأ سورة الرحمن: ﴿فَإِنِّي آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الآية: ١٣]، فقال: «ما لي أسمع الجن أحسن جواباً لربها منكم!» قالوا: ماذا يا رسول الله؟ قال: «ما أتيتُ على قول الله: ﴿فَإِنِّي آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلا قالتِ الجن: لا بشيءٍ من نعمة ربنا نكذب»^(٣). قال عمر بن عبد العزيز ﷺ: «ذكر النعم شكر»^(٤).

(١) أخرجه الترمذي في الأدب (٢٨١٩)، من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ﷺ. وقال: «حديث حسن». وأخرجه أحمد ٣١١/٢ (٨١٠٧) من حديث أبي هريرة ﷺ. وفي ٤/٤٣٨ (١٩٩٣٤) من حديث عمران بن حصين ﷺ. وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٩٠).

(٢) أخرجه أبو داود في اللباس (٤٠٦٣)، والنسائي (٥٢٢٣، ٥٢٢٤)، والترمذي في البر والصلة (٢٠٠٦)، وأحمد ٤٧٣/٣ (١٥٨٨٨). وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٤٣٥٢)، و«صحيح الجامع» (٢٥٤).

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير (٣٢٩١)، والطبري في «جامع البيان» (١٩٠/٢٢). قال الترمذي: «حديث غريب». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢١٥٠).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٣٣٦/١٦ (٣٦٢٣٤)، وسعيد بن منصور كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٥٤٦/٨)، والبيهقي في «الشعب» ١٠٢/٤ (٤٤٢٠).

وقال الفضيل بن عياض: «وإن من شكر النعمة أن يحدث بها»^(١).
وقال ابن القيم في تعريف الشكر: «الشكر: ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبةً، وعلى جوارحه انقياداً وطاعةً»^(٢).
وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله^(٣): «والله سبحانه إذا أنعم على عبد نعمة يحب أن يرى أثرها عليه؛ في ملابسه، وفي أكله، وفي شربه، فلا يكون في مظهر الفقراء، والله قد أعطاه المال، ووسع عليه، ولا تكون ملابسه ولا مأكله كالفقراء، بل يظهر نعم الله في مأكله، ومشربه، وملبسه، ولكن لا يفهم من هذا الزيادة التي فيها الغلو وفيها الإسراف والتبذير».
وقال أيضاً: «والتحدث بالنعم كأن يقول المسلم: إننا بخير والحمد لله، وعندنا خير كثير، وعندنا نعم كثيرة، نشكر الله على ذلك».

رابعاً: حمد الله تعالى بعد الأكل، والشرب، وعندما يستجد ثوباً، وعندما تجدد النعم.
فقد كان رحمته الله إذا طعم حمد الله تعالى، وإذا استجد ثوباً حمد الله تعالى؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه
قال: دعا رجل من الأنصار من أهل قباء النبي صلى الله عليه وسلم، فانطلقنا معه، فلما طعم وغسل يده - أو قال: يديه - قال: «الحمد لله الذي يطعم ولا يُطعم، من علينا فهدانا، وأطعمنا وسقانا، وكل بلاءٍ حسنٍ أبلانا، الحمد لله غير مودع ربي ولا مكافأً ولا مكفور، ولا مستغنى عنه، الحمد لله الذي أطعم من الطعام، وأسقى من الشراب، وكسا من العري، وهدى من الضلالة، وبصر من العمى، وفضل على كثير ممن خلقه تفضيلاً، الحمد لله رب العالمين»^(٤).
وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الحمد لله الذي أطعم وسقى، وسوغه، وجعل له مخرجاً»^(٥).

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٥٦). (٢) «مدارج السالكين» (٢/٢٤٤).

(٣) في كتابه «التحذير من الإسراف والتبذير» ص (٢٣).

(٤) أخرجه النسائي في «الكبرى» ٨٢/٦ (١٠١٣٣)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٨٥)، وابن حبان ٢٣/١٢ (٥٢١٩)، والحاكم (١/٥٤٦). قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم». ووافقه الذهبي، وحسن الألباني إسناده في «التعليقات الحسان» (٥١٩٦).

(٥) أخرجه أبو داود في الأطعمة (٣٨٥١)، والنسائي في «الكبرى» ٢٠١/٤ (٦٨٩٤)، ٧٩/٦ (١٠١١٧)،

وعن الحسن البصري رضي الله عنه أنه استأجر حمّالاً؛ ليحمل متاعه من السوق إلى البيت، وكان يسمعه طول الطريق يردد كلمتين لا يزيد عليهما: الحمد لله، أستغفر الله، أستغفر الله، الحمد لله، فلما وصل إلى البيت أعطاه أجره، وسأله عن ذلك، فقال الحمّال: أنا حياتي كلها مع الله بين أمرين: نعمة الله تستحق مني الحمد، وتقصير في حق الرب يستحق الاستغفار، فضرب الحسن كفّاً بكفّ، وقال: «حمال أفقه منك يا حسن!».

خامساً: الدعاء بحفظها، وعدم زوالها.

فعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجأة نقمتك، وجميع سخطك»^(١).

سادساً: مساعدة المحتاجين.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمة إلا كثرت مؤنة الناس عليه، فإن لم يتحمل مؤنهم فقد عرّض تلك النعمة لزوالها»^(٢).

سابعاً: سجود الشكر لله ﷻ عند حصول نعمة أو اندفاع نقمة.

فقد سجد كعب بن مالك رضي الله عنه شكراً لله ﷻ، لما جاءته البشارة بتوبة الله تعالى عليه، وعلى صاحبيه^(٣).

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قال له كعب الأخبار: إنا لنجد: ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء. قال عمر: إلا من حاسب نفسه. فقال كعب: إلا من حاسب نفسه. فكبر عمر رضي الله عنه، وخرّ ساجداً^(٤).

وابن حبان ١٢/٢٣ - ٢٤ (٥٢٢٠). وصححه الألباني في «التعليقات الحسان» (٥١٩٧)، و«مشكاة المصابيح» (٤٢٠٧).

(١) أخرجه مسلم في الرقاق (٢٧٣٩)، وأبو داود في الوتر (١٥٤٥).

(٢) أخرجه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٨٩)، و«فضيلة الشكر لله على نعمته» (٥٦).

(٣) أخرجه البخاري في التفسير (٤٦٧٧)، ومسلم في التوبة (٢٧٦٩)، وأبو داود في الجهاد (٢٧٧٣)، والترمذي في تفسير سورة التوبة (٣١٠٢)، وأحمد ٣/٤٥٦ - ٤٥٩ (١٥٧٨٩). وانظر: «فضيلة الشكر» للخرائطي (٦٠).

(٤) أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (٨٩)، والخرائطي في «فضيلة الشكر» (٦٧)،

ورُوي أن الحسن البصري رضي الله عنه كان متوارياً في منزل أبي خليفة العبدي، فجاء رجل فقال: يا أبا سعيد، توفي الحجاج، فخر ساجداً^(١).

الوقفه الرابعة في:

فضل الشكر، وجزائه في الدنيا والآخرة

الشكر من أفضل الأعمال، وأجلها عند الله ﷻ؛ ولهذا سمي ﷻ نفسه الشاكر، والشكور، ووصف نفسه بذلك، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]، وقال أهل الجنة: ﴿إِنَّا رَبَّنَا غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].
وبين ﷻ علمه بالشاكرين، وتكفل ﷻ بجزائهم العظيم، وثوابهم الجزيل، فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

وقال تعالى في إهلاك قوم لوط، وإنجائه وآله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ لَّجْنَا لَهُمْ بِسَحْرِ﴾ [القمر: ٣٤-٣٥].
﴿نِعْمَةٌ مِن عِنْدِنَا كَذَلِكَ يَجْزِي مَن شَكَرَ﴾ [القمر: ٣٥].

فجزاء الشكر في الدنيا توفيق الله تعالى للشاكرين، وحفظ النعمة عليهم، وزيادتهم منها، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

قال علي رضي الله عنه لرجل من همدان: «إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر متعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله ﷻ حتى ينقطع الشكر من العبد»^(٢).

وأبو نعيم في «الحلية» (٨٩/٥)، والبيهقي في «الشعب» ٢٣/٦ (٧٣٩٣).

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٣٤)، والخرائطي في «فضيلة الشكر» (٦٦).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٨).

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «قيدوا النعم بالشكر لله ﷻ» (١).

وقال أبو قلابة: «لا تضركم دنياكم إذا شكرتموها» (٢).

وقال الفضيل بن عياض: «من عرف نعمة الله بقلبه، وحمده بلسانه، لم يستتم ذلك حتى يرى الزيادة» (٣)، وقال أيضًا: «عليكم بالشكر فإنه قلّ قوم كانت عليهم من الله نعمة فزالت عنهم ثم عادت إليهم» (٤)، وقال أيضًا: «خلتان لا أبيع إحداهما بشيء: قول الناس: قد أحسنت لو أعطيت رجلاً ألف دينار، فقال: أحسنت، جزاك الله خيرًا، كان الذي أعطاك خيرًا من الذي أخذ، والأخرى: لا تشتري بشيء قول الناس: قد أسأت» (٥).

وقال بعضهم: «لو لم يكن من فضل الشكر إلا أنه لا يُرى إلا بين نعمة مقصورة عليه، وزيادة منتظرة منه» (٦).

وقد سمي العلماء شكر النعم بـ«الحافظ الجالب»، فهو يحفظ النعم في الدنيا من أسباب زوالها، ويجلب الزيادة منها بإذن الله ﷻ.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (٧):

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْزَعْهَا فَإِنَّ الْمَعَاصِيَ تُزِيلُ النَّعْمَ
وَحَافِظٌ عَلَيْهَا بِشُكْرِ الْإِلَهِ فَإِنَّ الْإِلَهَ سَرِيعُ النَّقْمِ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بَيْنَا رَجُلٌ بِقَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فَلَانٍ. فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابَ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فإِذَا شَرَجَةٌ مِنْ

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٢٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥ / ٣٤٠).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٥٩).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٥٦)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» ١٢٧ / ٤ (٤٥٣٣).

(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» ١٣١ / ٤ (٤٥٥٦).

(٥) أخرجه الخرائطي في «فضيلة الشكر» (٩٩).

(٦) أخرجه الخرائطي في «فضيلة الشكر» (٩٨) كتب محمد بن عبد الملك الزياد كتابًا عن المعتصم بالله إلى عبد الله بن طاهر.

(٧) انظر: «ديوانه» (ص ١٣١).

تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله، ما اسمك؟ قال: فلان - للاسم الذي سمع في السحابة - فقال له: يا عبد الله، لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان. لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا، فإني أنظر إلى ما يخرج منها، فأصدق بثلثه، وأكل أنا وعيالي ثلثاً، وأرد فيها ثلثه»^(١).

فهذا دليل على حفظ النعمة، ودوامها، وزيادتها بشكرها، فحفظ الله ﷻ لهذا الرجل حديقته من الجفاف والتلف بسبب شكره لله تعالى بأداء حق الله تعالى فيها، والاعتدال في توزيع الخارج منها.

كما تكفل ﷻ بجزاء الشكر، وثوابه في الآخرة، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعِيهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا﴾^(١٩) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ رَأَيْتَ نِعْمًا وَمَلَكَاتٍ كَبرًا﴾^(٢٠) عَلَيْهِمْ يَابُّ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعٌ أُسَاورٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رُهُمٌ سَرَابًا طَهُورًا﴾^(٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُرْجَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإنسان: ١٩-٢٢].

ووعد تعالى برفع العذاب عمن شكر وآمن، فقال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧].

قال ابن القيم^(٢): «قرن الله ﷻ الشكر بالإيمان، وأخبر أنه لا غرض له في عذاب خلقه إن شكروا وآمنوا به، فقال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ﴾؛ أي: إن وفيتم ما خلقكم له، وهو الشكر والإيمان، فما أصنع بعذابكم؟!».

(١) أخرجه مسلم في الزهد والرفائق (٢٩٨٤)، وأحمد ٢/٢٦٩ (٧٩٤١).

(٢) في «عدة الصابرين» ص ١١٨.

الوقفه الخامسة في: شكر نعمة الخلق

تُعد نعمة خلق الإنسان أولى نعم الله تعالى على الإنسان، وأعظمها بعد نعمة الإسلام؛ لأنه لو لم يخلق لكان عدماً لا ذكر له، ولم يعد شيئاً، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنْ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١].

وقال تعالى لذكرياً ﷺ: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩].
ولو لم يخلق الله ﷻ الإنسان وبيئته، ويجعله سمياً بصيراً، لم يكن أهلاً لهداية السبيل، والاختيار بين الشكر والكفر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

ولو لم يخلق الله تعالى الإنسان، لما عرف الحياة، وتمتع فيها، وأخذ نصيبه منها.
ولو لم يخلق الله تعالى الإنسان، لما عرف الله تعالى، ولما عرف دينه، بما جعل الله تعالى له من السمع، والبصر، والفؤاد، وبما أنزل من الآيات البيّنات.

ولهذا امتن الله ﷻ في مواضع كثيرة من القرآن الكريم على الإنسان بخلقه، وتسويته، وتعديله، وتحسين صورته، وذكر أصل خلقه، وأطواره؛ فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَفَ بِرَبِّكَ أَكْبَرُ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦-٨]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، وقال تعالى: ﴿وَصُورَهُمْ فَأَحْسَنَ صُورَهُمْ﴾ [التغابن: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكُنُوسًا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَلَأٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾

[الطارق: ٥-٧]، وقال تعالى: ﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ ﴿٢٠﴾﴾ [عبس: ١٧-٢٠].

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّينَ لَكُمْ وَنُقُرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ﴿٥﴾﴾ [الحج: ٥].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكونُوا شِيوعًا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤْتِي مِّن قَبْلٍ وَلَيَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [غافر: ٦٧].

ولعظم منته ﷺ على العباد بخلقهم، وجعل السمع والأبصار، والأفئدة لهم، قرن ذلك في آيات كثيرة في القرآن الكريم بوجوب شكره، وتقواه، وعبادته، والتذكير بالرجوع إليه، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المؤمنون: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الملك: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [السجدة: ٧-٩].

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَّخَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمِينًا أَرْوِجَ بِخَلْقِكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلْمَتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزمر: ٦٠].

وبين ﷺ أن الحكمة من خلق الثقلين هي عبادته، فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿الذاريات: ٥٦-٥٨﴾.

وقال تعالى: ﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (١١١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿[الأعراف: ١٩١، ١٩٢]، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبًا مَثَلًا فَاستَمِعُوا لِلَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ. وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿[الحج: ٧٣].

ولهذا لما سمع جبير بن مطعم ﷺ النبي ﷺ يقرأ في المغرب قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَلْفُونَ﴾ (٣٥) أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ أَمْ هُمْ الْمُصْطَرُّونَ ﴿[الطور: ٣٥-٣٧] قال: «كاد قلبي أن يطير»، فأسلم، وحسن إسلامه ﷺ (١).

ولهذا يجب على الإنسان أن يشكر الله ﷻ الذي خلقه فسواه فعدل خلقه في أحسن تقويم، وصوره فأحسن صورته، وجعل له السمع، والبصر، والفؤاد، باستعمال بدنه، وجوارحه، وحواسه لما خلقت له من عبادة الله تعالى، والاستعانة بها على مرضاة الله ﷻ، وطاعته، وعلى ما يعود عليه بالنفع في أمر دينه، وديناه، وأخراه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿الذاريات: ٥٦-٥٨﴾.

وقال تعالى: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (٣٦) أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةٌ مِنْ مَتْنٍ يَمِينٍ ﴿٣٧) ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨) جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿[القيامة: ٣٦-٣٩].

وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿[المؤمنون: ١١٥].

وقال ﷺ: «كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها» (٢).

(١) أخرجه البخاري في التفسير (٤٨٥٤)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها (٨٣٢).

(٢) أخرجه مسلم في الطهارة (٢٢٣)، والترمذي في الدعوات (٣٥١٧)، وابن ماجه في المقدمة (٢٨٠)،

وأحمد ٥/٣٤٢ (٢٢٩٠٢) من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ.

قال الشاعر:

قد رشحوك لأمرٍ لو فطنتَ له فازبأ بنفسك أن ترعى مع الهمل^(١)

الوقفة السادسة في: شكر نعمة الإسلام

أكبر نعمة أنعم الله بها على العباد، وأعظمها وأجلها، وأفضلها وأعلاها، وأكملها وأتمها، هي نعمة الإسلام الذي هو الدين الحق، كما قال ﷺ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

والإسلام هو دين الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام جميعاً:

قال نوح ﷺ: ﴿وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢].

وقال تعالى عن إبراهيم الخليل ﷺ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣١-١٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ رَفَعَ إِبْرَاهِيمَ الْفَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧، ١٢٨].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل

عمران: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجَّكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ

فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ [آل عمران: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ

وَمَا أُوْتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوْتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿ [البقرة: ١٣٦].

وقال يوسف ﷺ: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال موسى ﷺ: ﴿يَقَوْمُ إِن كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

وقال سليمان ﷺ: ﴿وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنَ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

وقال تعالى لخاتم الرسل نبينا محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، وقال تعالى له ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤]، وقال ﷺ فيما حكى الله تعالى عنه: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١]، وقال: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الزمر: ١٢]، وقال: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٦].

وعن الحارث الأشعري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «ومن ادعى دعوى الجاهلية فإنه من جثا جهنم». فقال رجل: يا رسول الله، وإن صلي وصام؟ قال: «وإن صلي وصام، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله»^(١).

ولهذا امتن الله ﷻ على نبينا محمد ﷺ وعلى أمته بالإيمان، والإسلام، وإنزال القرآن، فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْإِلَهِي

(١) أخرجه الترمذي في الأمثال (٢٨٦٣)، وأحمد ٤/٢٠٢ (١٧٨٠٠)، والنسائي في «الكبرى» ٦/١٢٤ (١١٣٤٩)، وابن حبان ١٤/١٢٤-١٢٦ (٦٢٣٣). قال الترمذي: «حديث حسن صحيح غريب». وصححه الألباني في «التعليقات الحسان» (٦٢٠٠).

اللَّهُ نَصِيرًا الْأَمُورُ ﴿ [الشورى: ٥٢، ٥٣].

وقال تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿ [إبراهيم: ١]، وقال تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَذَّبَ وَأُتَى بِهِ وَلَسْتَ تَرَكَرُّ أَوْلَى الْأَلْبَابِ ﴿ [ص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ عَلَى عَبْدِهِ مَعَهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُفْرِكُمْ لَفِي رَجِيمٍ ﴿ [الحديد: ٩].

وامتن ﷺ على الأمة، فقال: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَادْكُرُوا فِي آذَانِكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴿ [البقرة: ١٥١، ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُمِيزَاتٍ يُخْرِجُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴿ [الطلاق: ١١].

وقال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ [المائدة: ٨٩].

وقال تعالى: ﴿ أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ [الأنعام: ١٢٢].

وقال تعالى ممتنًا عليهم بإكمالهم دينهم، وإتمامه عليهم نعمته، ورضاه لهم الإسلام دينًا: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يُعْظِمُكُمْ بِهِ ﴿ [البقرة: ٢٣١].

وقال تعالى مغربيًا لهم بالإسلام، ومرغبًا لهم فيه: ﴿ أَمَنَ سَرَّحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿ [الزمر: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ [الأنعام: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِءِ كَيْشْكُورٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْيَصْبَاحُ فِي نِجَاجِ الرَّجَاجِ كَأَنهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ [النور: ٣٥].

إلى غير ذلك من الآيات التي فيها الامتنان بهذا الدين العظيم.

قال وهب بن منبه: «رؤوس النعم ثلاث: فأولها: نعمة الإسلام، التي لا تتم النعمة إلا بها، والثانية: نعمة العافية، التي لا تطيب الحياة إلا بها، والثالثة: نعمة الغنى، التي لا يطيب العيش إلا بها»^(١).

فله الحمد والمنة على الهداية لهذا الدين العظيم:

دين الإسلام أعظم الأديان، وأولها وخاتمها، دين الفطرة المستقيمة، والدين الخالص، كما قال تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۗ﴾ [الروم: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ دِينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

دين العلم النافع، والعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣، والفتح: ٢٨، والصف: ٩]؛ أي: بالعلم النافع، والعمل الصالح.

دين العدل والإحسان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠].
دين اليسر والسماحة، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ قَلِيلَةٌ أَيْكُمْ وَكَثِيرٌ أَيْكُمْ ۗ هُوَ سَمْتَكُمْ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال ﷺ: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه»^(٢).

دين العزة والقوة، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ ۚ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].
دين الفضيلة ومكارم الأخلاق، قال ﷺ: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(٣).

دين الأمن والأمان والحفظ، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وقال ﷺ: «احفظ الله يحفظك»^(٤).

- (١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٦٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦٨/٤).
- (٢) أخرجه البخاري في الإيمان (٣٩)، والنسائي في الإيمان وشرائعه (٥٠٣٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.
- (٣) أخرجه أحمد ٣٨١/٢ (٨٩٥٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣)، والحاكم (٦١٣/٢)، والبيهقي (١٠/١٩١، ١٩٢) من حديث أبي هريرة ﷺ. قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٥).
- (٤) أخرجه الترمذي في «صفة القيامة» (٢٥١٦)، وأحمد ٣٠٧، ٢٦٦٩، ٢٧٦٣، ٢٨٠٣،

دين الوسطية، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

دين الكمال والتمام، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ

لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

دين الشمول، كما قال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالى:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

ودين الخلود والبقاء والحفظ، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة

بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس»^(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: «ما

أجلسكم؟» قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومنَّ به علينا. قال: «الله

ما أجلسكم إلا ذاك؟» قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: «أما إني لم أستحلفكم تهمَةً لكم،

ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله ﷻ يباهي بكم الملائكة»^(٢).

ولعظم المنة من الله ﷻ، وتمام النعمة بهذا الدين العظيم، كان لزامًا على كل مسلم

ومسلمة أن يقوم بواجب الشكر، والحمد لله ﷻ على ذلك خير قيام، وأن يلهج بذكر الله ﷻ،

وشكره، وحمده ليلاً ونهارًا، وسرًا وجهارًا على أن هداه الله ﷻ، واصطفاه للإسلام، الذي

حُرِّمه أكثر البشر، وعليه أن يحرص كل الحرص على الاستقامة على الإسلام، وامتنال ما

أمر الله به رسوله ﷺ، واجتناب ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ، ويبدل وسعه وطاقته بتقوى الله

والحاكم (٣/ ٥٤١، ٥٤٢). قال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وقال الحاكم: «هذا حديث كبير

عالٍ من حديث عبد الملك بن عمير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، إلا أن الشيخين رضي الله عنهما لم يخرجوا شهاب بن

خراش». وصححه أحمد شاكر في شرحه لـ «المسند» (٢٦٦٩، ٢٧٦٣). وصححه الألباني في

«الصحيحة» (٢٣٨٢).

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم في الإمارة (١٠٣٧)، وأحمد ٩٧/٤ (١٦٨٨١).

(٢) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٠١)، والنسائي في آداب القضاة (٥٤٢٦)،

والترمذي في الدعوات (٣٣٧٩)، وأحمد ٩٢/٤ (١٦٨٣٥) من حديث أبي سعيد عن معاوية رضي الله عنه.

﴿﴾؛ امثالاً لقول الله تعالى: ﴿فَانفِقُوا لِمَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وأن يجتهد بالدعوة إلى الإسلام، ونشر تعاليمه.

ونسأل الله الثبات عليه حتى الممات، فإنه سبحانه لا يرد دعاء من دعاه، ولا يخيب رجاء

من رجاه.

الوقفه السابعة في: شكر نعمة الرزق والمال

امتن الله ﴿﴾ على عباده بأنه ﴿﴾ خلق لهم ما في الأرض جميعاً، فقال تعالى: ﴿هُوَ
الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩].

كما امتن عليهم بأنه سبحانه سخر لهم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً،
فقال تعالى: ﴿الَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرًا وَبَاطِنًا﴾
[لقمان: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِمَّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣].

وذلك لأن من أعظم نعم الله تعالى على العباد بعد خلقهم وإعدادهم، إمدادهم بما
يكفل وييسر لهم سبل العيش والحياة؛ من الرزق والمال، وغير ذلك، ولهذا امتن الله
عليهم بذلك كله، وقرنه بشكره وعبادته وحده لا شريك له، وبتقواه، وبتذكير الخلق
ببعثهم بعد موتهم، ورجوعهم إليه ﴿﴾ للحساب والجزاء، وغير ذلك، قال تعالى: ﴿اللَّهُ
الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ [الروم: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢]، وقال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ
حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿فَتَأْوِنَكُمْ وَآيُدِكُمْ بِبَصَرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦]،

وقال تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَأَيُّهُمُ الْهُمُّ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٣٣-٣٥].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ ۗ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥].

وقال إبراهيم الخليل ﷺ: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ عَيْرِ ذِي رِزْقٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۗ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلنَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢].

وقال تعالى ممتنًا على أهل الحرم: ﴿أَوَلَمْ نُمْكِن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَدَّرًا فَاَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿١٠﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّمَا طَلَعَ نَضِيدٌ ﴿١١﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مِّثْنًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ٩-١١].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (٢٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَبْتْنَا فِيهَا جَبًّا (٢٧) وَعَبْنَا وَقَضَبًّا (٢٨) وَزَيَّنَّا وَنَخَلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفِكَهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَعَّا لَكُمْ وَلَا نَعْمِيكُمْ ﴿ [عبس: ٢٤-٣٢].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِلَيْنِهِ إِلَّا إِسْقَ الْأَنْفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْحَيْلَ وَالْإِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿ [النحل: ٥-٨].

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْأَسْحَابَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَسْلُمُونَ﴾ [النحل: ٨١].

ومن شكر نعمة الرزق شكر نعمة الله تعالى في إنزال الماء للشرب، وحياة كل شيء، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ (١٨) ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿١٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجْحَامًا فَالِقَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿ [الواقعة: ٦٨-٧٠].

ومن ذلك شكر نعمة الله تعالى في تسخير البحار يستخرجون منها اللحوم الطرية، وحية يلبسونها، وتجري فيها الفلك، ويطلبون فيها الرزق، وغير ذلك من المنافع، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الجمانية: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۗ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلِعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ ﴿ [فاطر: ١٢].

ومن ذلك شكر نعمة الله تعالى في إرسال الرياح للبشارة بالمطر، وإجراء الفلك بأمره ﷻ، وغير ذلك من المنافع، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الروم: ٤٦].

ومن ذلك شكر نعمة الله تعالى في جعل الليل للسكن، والنهار لابتغاء الرزق، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [القصص: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ ﴾ [النحل: ١٢].

إلى غير ذلك من النعم التي لا تُعد ولا تُحصى، كما قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلُكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

وهذا كله يوجب على المسلم أن يشكر الله ﷻ بمراعاة الأمور التالية:

أولاً: باستعمال هذه النعم كلها في عبادة الله تعالى وطاعته، وفيما خلقت له، والاستعانة بها على مرضاة الله ﷻ، وما يقرب إليه سبحانه، ويكون سبباً لحفظ هذه النعم.

ثانياً: الحرص كل الحرص على كسب الرزق والمال من الطرق الحلال، يبارك الله فيه، ويكون عوناً له على أمر دينه، ودينه، وأخراه، وصلاًحاً له في نفسه، وولده وأهله؛ قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال ﷺ: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود ﷺ كان يأكل من عمل يده»^(١).

ثالثاً: الحذر كل الحذر من أن يشغله طلب المال وجمعه عن طاعة الله تعالى،

(١) أخرجه البخاري في البيوع (٢٠٧٢)، وابن ماجه في التجارات (٢١٣٨) من حديث المقدم ﷺ.

والقيام بحقوقه ﷺ، وحقوق العباد من الوالدين والأولاد، والأزواج، والأقارب، والجيران، وحقوق المسلمين، وعن الاستعداد لما أمامه؛ فإن المال فتنة، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن: ١٥]، وقال ﷺ: «والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تُبْسَطَ عليكم الدنيا كما بُسِطت على مَنْ قلبكم، فتَنَافَسُوهَا كما تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكُكُمْ كما أَهْلَكْتَهُمْ»^(١).

رابعاً: أداء الحقوق الواجبة والمستحبة في المال لله ﷻ، أو للعباد؛ من الزكاة، والكفارات، والنفقات، والصدقات، وغير ذلك، مما يكون في أدائه وإخراجه من المال تزكية له، وتطهير، وسبب لنموه وبركته وسلامته من الجوائح والآفات.

خامساً: الاعتدال في الإنفاق في المأكل والمشرب، والملبس والمسكن والمركب، وغير ذلك، كما قال تعالى في وصف عباد الرحمن: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٧].

سادساً: البذل والإنفاق من المال في وجوه الخير والبر كلها، وخاصة ممن وسَّع الله عليه في الرزق والمال؛ في بناء المساجد والمدارس والمستشفيات ودور الرعاية والإغاثة، وافتتاح المشاريع الخيرية في الخدمات العامة للناس؛ فالمال مال الله، وهو دبيعة عند الإنسان استخلفه الله تعالى فيه، ولا بد من رده، قال تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ ﴾ [الحديد: ٧].

وقال ﷺ: «يقول ابن آدم: مالي، مالي. قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيته، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟»^(٢).

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار (٤٠١٥)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٦١)، والترمذي في صفة القيامة (٢٤٦٢)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٩٧)، وأحمد ٤/ ١٣٧ (١٧٢٣٤) من حديث عمرو بن عوف الأنصاري ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٥٨)، والنسائي في الوصايا (٣٦١٣)، والترمذي في الزهد (٢٣٤٢)، وأحمد ٤/ ٢٤ (١٦٣٠٦) من حديث عبد الله بن الشخير ﷺ.

قال لبيد^(١):

وما المأل والأهلون إلا ودائعُ ولا بدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ

وقال الآخر:

المال كالماء إن تُحبسُ سواقيه يأسنُ وإن يجرِ يعذبُ منه سلسالُ
الله أعطاك فابذل من عطيته فالمال عاريةٌ والعمر رحالُ^(٢)

الوقفه الثامنة في:

شكر نعمة الأمن

نعمة الأمن والأمان من أعظم النعم التي أنعم الله بها على العباد، التي يجب شكرها حق الشكر؛ لأنه لا قيام للناس في دينهم ودنياهم، وفي جميع حياتهم إلا بالأمن، كما قال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْغُرَبَاءِ حَرَامًا قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧]؛ أي: جعل الله الكعبة البيت الحرام سبباً لقيام الناس، حيث يأمنون في الحرم فتقوم أمور دينهم ودنياهم، وتستقيم حياتهم.

ولهذا امتن الله ﷻ على العباد في مواضع كثيرة في القرآن الكريم بنعمة الأمن، وربطها بنعمة الرزق؛ لأنهما قرينتان ولا غنى للناس عنهما، كما قال تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَنْخَظَفَكُمْ النَّاسُ فَتَاوَنَكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأفال: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

(١) «ديوانه» ص (٨٨).

(٢) البيت دون نسبة في «موارد الظمان لدروس الزمان» لعبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلطان

(٣/ ٧٤)، «لا تحزن» للشيخ عائض القرني ص (٢٥١).

﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِنْ مَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ لِعِبَادِهِ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ [النحل: ١١٢-

. [١١٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [البقرة: ١٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُحْبِبُونَ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَفَتُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعِمَ اللَّهُ بِكَفْرِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿لِيَلْفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيْلَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [سورة قريش].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ كُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل

عمران: ١٠٣].

وقال ﷺ: «من أصبح منكم آمنًا في سربه، مُعافًى في جسده، عنده قوتٌ يومه، فكأنها حيزت له الدنيا»^(١)، وكان ﷺ إذا رأى الهلال قال: «اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب وترضى، ربنا وربك الله»^(٢).

ولشكر نعمة الأمن والأمان بمعناه الشامل في النفس والمجتمع، يجب الحفاظ على

(١) أخرجه الترمذي في الزهد (٢٣٤٦)، وابن ماجه في الزهد (٤١٤١) من حديث سلمة بن عبيد الله بن محسن الخطمي عن أبيه، وكانت له صحبة. قال الترمذي: «حسن غريب». وحسنه الألباني في «الصحیحة» (٤٣٢٨) لشواهدة عن أبي الدرداء وابن عمر وعلي ﷺ.

(٢) أخرجه الدارمي ٧/٢ (١٦٨٧)، وابن حبان ٣/١٧١ (٨٨٨) من حديث ابن عمر ﷺ. وصححه الألباني في «التعليقات الحسان» (٨٨٥). وأخرجه الدارمي ٧/٢ (١٦٨٨)، والحاكم (٢٨٥/٤) وسكت عنه من حديث طلحة بن عبيد الله ﷺ.

مقومات الأمن والأمان، التي من أهمها ما يلي:

أولاً: الإيمان بالله تعالى، والاستقامة على دينه وعبادته وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ءَالَمْنٌ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]؛ أي: الذين صدّقوا بربوبية الله تعالى، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، وشرعه بقلوبهم وألستهم، وانقادوا له بجوارحهم، فأخلصوا له العبادة والطاعة، واستقاموا على دينه، ولم يخلطوا بإيمانهم بشرك، أولئك لهم خاصة الأمن، وهم مهتدون إلى الحق، وإلى الطريق المستقيم، لهم الأمن النفسي في حال السراء والضراء، والشدة والرخاء.

كما في قوله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه، وهما في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وقوله ﷺ له: «ما ظنك يا أبا بكرِ باثنينِ اللهُ ثالثُهُما»^(١)، فهذا يجسد الأمن في أسمى معانيه، وأعلى مراتبه.

ولهم الطمأنينة والأمن القلبي، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَنَطَمَنُ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

قال ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحدٍ إلا للمؤمن، إن أصابته سراءٌ شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراءٌ صبر، فكان خيراً له»^(٢).
حاله كما قال الشاعر:

سأعيشُ رَغَمَ الداءِ والأعداءِ كالنَّسرِ فوقِ القمَّةِ الشَّمَاءِ
النورُ في جنبي وبينَ جوانحي فعلامٌ أخشى السيرَ في الظلماءِ^(٣)
وصدق القائل:

إذا الإيمانُ ضاع فلا أمان ولا دُنْيَا لمن لم يُحْيِ دِينَا

(١) أخرجه البخاري في المناقب (٣٦٥٣)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٣٨١)، والترمذي في تفسير القرآن

(٢) ٣٠٩٦)، وأحمد ٤/١ (١١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) البيتان لأبي القاسم الشابي. انظر: «ديوانه» ص ١١.

ومن رَضِيَ الحياةَ بغيرِ دينٍ فقد جعلَ الفناءَ له قَرِينًا (١)
ثانيًا: الاعتصام بحبل الله جميعًا، والاجتماع على الحق، والحفاظ على وحدة الأمة، كما قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّوا وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ثالثًا: الأخذ بأسباب القوة المادية، اقتصاديًا وسياسيًا وعسكريًا، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

فلا محل للضعيف بين الأمم اليوم، وقد سادت شريعة الغاب!

قال الشاعر (٢):

فلا مُنعت دارٌ ولا عَزَّ أهلُها
 من الناسِ إلا بالقنَّا والقنابلِ
 وقال زهير (٣):

ومن لم يَدُدْ عن حوضه بسلاحه يُهَدِّمُ، ومن لا يظلم الناسَ يُظلم
رابعًا: التعاون على حفظ الأمن بين ولاة الأمور، وبين أفراد المجتمع كلهم، كل في موقعه؛ لأنهم جميعًا في سفينة واحدة، إذا غرقت غرق الجميع.
 فيجب أن يكون الجميع عيونًا ساهرة؛ لحفظ الأمن في البلاد، وألا نسمح لأي متربصٍ يريد إيجاد الفرقة بيننا، والإخلال في أمن بلادنا بقول أو فعل، ونقف له بالمرصاد، وننبذ الشائعات والأراجيف، نُميتها في مهدها، وتعاون على البر والتقوى، ونتواصى بالحق ونتواصى بالصبر، فالأمن مسؤولية الجميع.

(١) البيتان لمحمد إقبال. انظر: «ديوانه» (ص ١٠٣).

(٢) انظر: «شرح حماسة أبي تمام» للفارسي (١٥٧/٢).

(٣) انظر: «ديوانه» (ص ١١١).

الوقفه التاسعة في: شكر نعمة الصحة والفراغ

نعمة الصحة ونعمة الفراغ من أعظم نعم الله تعالى على الناس، كما قال ﷺ: «نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحة، والفراغ»^(١)، وقال ﷺ: «من أصبح منكم آمناً في سربه، معافاً في جسده، عنده قوتٌ يومه، فكأنما حيزت له الدنيا»^(٢).

فالصحة والعافية نعمة من أكبر النعم على العبد، بها تطيب الحياة والعيش، وبها يستطيع الإنسان العمل لدينه ودنياه، وبدونها لا يستطيع شيئاً.

وقد قيل: «الصحة تاج على رؤوس الأصحاء، لا يراه إلا المرضى».

كما أن الفراغ، وسعة الوقت نعمة عظيمة من أعظم النعم، ولهذا امتن الله على العباد بذلك، فقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]، فالليل والنهار خزائنٌ للأعمال الصالحة، لمن وفقه الله للذكر والشكر.

ولهذا أقسم ﷺ بالعصر، وبالليل والنهار، والضحي، ونحو ذلك؛ تعظيماً لشأن الوقت والزمن، ليعرف المسلم قدره، فلا يُضيِّع بما لا ينفع، أو بما يضر، ولا يعرف قدر قيمة الوقت إلا مَنْ شغل طيلة يومه وليلته بالبحث عن لقمة يسد بها جوع أهله وولده، أو يسد بها رمقه، ونحو ذلك.

فعمر الإنسان في هذه الحياة قصير، وهو ثمين ولا يقدر قدره، وصحته ثمينة؛ لأن عمره هو أيام صحته، لذا يجب على المسلم أن يشكر الله على نعمة الصحة والعافية، وعلى نعمة الفراغ، ويقدر كل منهما قدره، ويغتنمهما بالعمل بما فيه صلاح أمر دينه

(١) أخرجه البخاري في الرقاق (٦٤١٢)، والترمذي في الزهد (٢٣٠٤)، وابن ماجه في الزهد (٤١٧٠)، وأحمد ١/ ٣٤٤ (٣٢٠٧) من حديث ابن عباس ﷺ.

(٢) أخرجه الترمذي في الزهد (٢٣٤٦)، وابن ماجه في الزهد (٤١٤١) من حديث سلمة بن عبيد الله بن محسن الخطمي عن أبيه، وكانت له صحبة. قال الترمذي: «حسن غريب». وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٤٣١٨) لشواهد عن أبي الدرداء وابن عمر وعلي ﷺ.

ودنياه وأخراه، ويحذر كل الحذر أن يضيع عمره سُدىً، وصحته سَبَهلاً، وفي الحديث: «اغتنم خمساً قبل خمسٍ: شبابك قبل هَرَمِك، وصحتك قبل سَقَمِك، و فراغك قبل شُغلك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك»^(١).

الوقفه العاشرة في:

شكر نعمة الأزواج والأولاد

امتن الله ﷻ على العباد بنعمة الأزواج والأولاد في آيات عدة من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]، وقال تعالى في سورة النحل: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [الآية: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [فاطر: ١١]، وقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦].

فنعمة الأزواج من أجل النعم على العباد، بها يأنس كل من الزوجين بالآخر، ويعف نفسه، ويقضي وطره، ويحصل بها الإنجاب وتكوين الأسرة، التي تطيب معها الحياة، والزواج سنة من سنن المرسلين عليهم الصلاة والسلام.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (١١١)، والحاكم (٣٠٦/٤)، والبيهقي في «الشعب» ٢٦٣/٧ (١٠٢٤٨) من حديث ابن عباس ؓ. قال العراقي في «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» (٢٤٨٨/٦): «رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل بإسناد حسن، ورواه ابن المبارك في الزهد من رواية عمرو بن ميمون الأودي مرسلًا». قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي. وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» ٢/١ (٢)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» ٥٨/١٩ (٣٥٤٦٠)، والنسائي في «الكبرى» ٤٠٠/١ (١١٨٣٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٤٨/٤)، والبيهقي في «الشعب» ٢٦٣/٧ (١٠٢٥٠) عن عمرو بن ميمون مرسلًا. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٧٧).

وقد رد ﷺ على المتبتلين تبتلهم، وقال: «وأ تزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(١).

كما أن نعمة الأولاد من أعظم النعم على العباد؛ فهم زينة الحياة الدنيا، كما قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦].

ولا يقدر قدر نعمة الأولاد إلا من ابتلي بالعقم، وحرم الإنجاب. ولهذا يجب على المسلم شكر نعمة الله تعالى بالأزواج والأولاد بطاعته، وحسن العشرة بين الأزواج^(٢)، والقيام على الأولاد وأداء حقوقهم^(٣).

الوقفه الحادية عشرة في:

الأسباب المعينة على شكر الله ﷻ

الأسباب المعينة على شكر نعم الله تعالى كثيرة، ومن أهمها ما يلي:

أولاً: سؤال الله ﷻ، ودعاؤه التوفيق والعون على شكر نعمته، كما قال تعالى عن سليمان ﷻ: ﴿فَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وعن معاوية ﷻ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدعن ذُبُر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»^(٤)، وعن ابن المنكدر قال: كان دعاء

(١) أخرجه البخاري في النكاح (٥٠٦٣)، ومسلم في النكاح (١٤٠١)، والنسائي في النكاح (٣٢١٧)، وأحمد ٣/ ٢٤١ (١٣٥٣٤) من حديث أنس ﷻ.

(٢) سبق الكلام في وجوب حسن العشرة بين الزوجين، بعد نهاية فوائد الآية (٢٢٨) من سورة البقرة.

(٣) سبق الكلام على حقوق الأولاد بعد نهاية فوائد الآيات (٢٧-٢٩) من سورة الأنفال.

(٤) أخرجه أبو داود في الصلاة (١٥٢٢)، والنسائي في الصلاة (١٣٠٣)، وأحمد ٥/ ٢٤٤ (٢٢١١٩)،

رسول الله ﷺ: «اللهم أعني على ذِكْرِكَ وشكرك وحُسن عبادتك»^(١).

ثانيًا: معرفة العبد أن ما كتب الله تعالى له من الرزق وغيره آتية لا محالة؛ فعلية بذل السبب والتوكل على الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

وكما قال ﷺ لابن عباس ﷺ: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف»^(٢).

ثالثًا: القناعة والرضا التام بما قسم الله تعالى للعبد، قليلاً كان أو كثيراً، والاطمئنان والسكون إلى ذلك، قال ﷺ: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه»^(٣)، وفي الحديث: «إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب»^(٤).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كن ورعاً تكن أعبد الناس، وكن قبيحاً تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً، وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب»^(٥)، وقد قال ﷺ: «لو كان

والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٩٠)، وصححه الألباني «الأدب المفرد»، وفي «صحيح أبي داود» (١٣٦٢).

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي في صفة القيامة (٢٥١٦)، وأحمد ١/٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧، ٢٦٦٩، ٢٧٦٣، ٢٨٠٣، والحاكم (٣/٥٤١، ٥٤٢). قال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وقال الحاكم: «هذا حديث كبير عال من حديث عبد الملك بن عمير، عن ابن عباس ﷺ، إلا أن الشيخين ﷺ لم يخرجوا شهاب بن خراش». وصححه أحمد شاکر في شرحه لـ «المسند» (٢٦٦٩، ٢٧٦٣). وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٨٢).

(٣) أخرجه مسلم في الزكاة (١٠٥٤)، والترمذي في الزهد (٢٣٤٨)، وابن ماجه في الزهد (٤١٣٨)، وأحمد ٢/١٦٨ (٦٥٧٢) من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ.

(٤) أخرجه ابن حبان ٢/٤٦٠ - ٤٦١ (٦٨٥)، والحاكم (٣٢٧/٤) من حديث أبي ذر ﷺ. قال الحاكم: على شرط البخاري ولم يخرجاه بهذه السياقة. وصححه الألباني في «التعليقات الحسان» (٦٨٤).

(٥) أخرجه الترمذي في الزهد (٢٣٠٥)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٠١٧)، وأحمد ٢/٣١٠ (٨٠٩٥). قال

لابن آدم واديان من مالٍ لا بتغى ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»^(١).

فمن رضي وقنع بما آتاه الله سعد في حياته، وعاش مسروراً مطمئناً هادي البال، بخلاف غيره.

قال الشاعر^(٢):

ما كل ما فوق البسيطة كافيًا وإذا قنعت فبعض شيءٍ كافي
وقال الآخر^(٣):

خذ القناعة من دنياك وارض بها لو لم يكن لك فيها إلا راحة البدن
ولهذا قيل: «القناعة كنز لا يفنى».

رابعاً: العلم بأن ما يؤتاه الله ﷻ للعبد هو فضل من الله سبحانه لا حول للعبد فيه ولا طول، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

فالإنسان وما يملك ملك لله تعالى، وما عنده من جميع النعم من الله تعالى، وهو مستخلف فيه، وهو وديعة عنده، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣].

خامساً: مقارنة العبد حاله بحال من دونه، حتى يرى فضل الله تعالى عليه، سواء

الترمذي: «غريب». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٥٨٠)، و«الصحيحة» (٩٣٠).
(١) أخرجه البخاري في الرقاق (٦٤٣٦)، ومسلم في الزكاة (١٠٤٩)، وأحمد ١/ ٣٧٠ (٣٥٠١) من حديث ابن عباس ؓ. وأخرجه البخاري في الموضوع السابق (٦٤٣٩)، ومسلم في الموضوع السابق (١٠٤٨)، والترمذي في الزهد (٢٣٣٧) من حديث أنس ؓ. وأخرجه مسلم الموضوع السابق (١٠٥٠) من حديث أبي موسى الأشعري ؓ.

(٢) البيت لأبي فراس الحمداني. انظر: «ديوانه» (ص ٢٢٣).

(٣) البيت من القصيدة المشهورة: «ليس الغريب» واختلفوا في قائلها.

في الصحة أو في الرزق، أو الأهل والولد، أو غير ذلك، قال ﷺ: «انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدرُّ ألا تزدروا نعمة الله عليكم»^(١).

سادساً: شكر صانع المعروف من الناس:

شكر صانع المعروف من الناس شكر لله ﷻ، وهو أيضاً سبب لشكر الله تعالى، ولهذا قال ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»^(٢).

وفي لسان العرب^(٣): «معناه: أن الله لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس، ويكفر معروفهم لاتصال أحد الأمرين بالآخر. وقيل: معناه: أنه من كان طبعه وعادته كفر نعمة الناس، وترك الشكر لهم، كان من عادته كفر نعمة الله، وترك الشكر له.

وقيل: معناه: أن من لا يشكر الناس كمن لا يشكره، وإن شكره، كما تقول: لا يحبني من لا يحبك؛ أي: أن محبتك مقرونة بمحبتني. وهذه الأقوال مبنية على رفع اسم الله تعالى ونصبه».

وقال ﷺ: «ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه، فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»^(٤).

وعن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أعطي عطاءً فوجد فليجز به، فإن لم يجد

(١) أخرجه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٦٣)، والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٦١٥)، وابن ماجه في الزهد (٤١٤٢)، وأحمد ٢/٢٥٤ (٧٤٤٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه أبو داود في الأدب (٤٨١١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٥٤)، وأحمد ٢/٢٥٨ (٧٥٠٤) من حديث أبي هريرة ﷺ. قال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وأخرجه الترمذي (١٩٥٥)، وأحمد ٣/٧٣ (١١٧٠٣) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ. قال الترمذي: «هذا حديث حسن». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤١٦).

(٣) «لسان العرب» مادة «شكر».

(٤) أخرجه أبو داود في الزكاة (١٦٧٢)، والنسائي في الزكاة (٢٥٦٧)، وأحمد ٢/٦٨ (٥٣٦٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١٦) من حديث ابن عمر ﷺ. وصححه الألباني في «الإرواء» (١٦١٧)، و«صحيح أبي داود» (١٤٦٩).

فَلْيُثْنِ بِهِ، فَمَنْ أَثْنَى بِهِ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ»^(١).

وعن أنس رضي الله قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة أتاه المهاجرون فقالوا: يا رسول الله، ما رأينا قومًا أبذل من كثيرٍ ولا أحسن مواساةً من قليل من قوم نزلنا بين أظهرهم، لقد كَفَوْنَا الْمُؤْنَةَ وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَاءِ حَتَّى لَقَدْ خَفْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّهِ. فقال النبي ﷺ: «لَا مَا دَعَوْتُمْ اللَّهَ لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ»^(٢).

الوقفه الثانية عشرة في:

عجز الإنسان عن شكر الله تعالى حقَّ شكره

إذا كانت النعم كلها من الله تعالى، وليس بمقدور الخلائق كلهم أن يعدوها ويحصوها، وإذا كان التوفيق للشكر هو نعمة من الله تعالى تستوجب الشكر، فلا أحد يستطيع أن يشكر الله تعالى حق شكره، وعلى المسلم أن يعترف بذلك ويقول كما قال المصطفى ﷺ: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ»^(٣).

قال محمود الوراق:

إذا كان شكري نعمة الله نعمةً عَلَيَّ لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ

(١) أخرجه أبو داود في الأدب (٤٨١٣)، والترمذي في البر والصلة (٢٠٣٤)، وابن حبان ٢٠٣/٨ - ٢٠٤ (٣٤١٥). وصححه الألباني في «الصحيحة» (٦١٧)، و«التعليقات الحسان» (٣٤٠٦).

(٢) أخرجه أبو داود في الأدب (٤٨١٢)، والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٨٧)، وأحمد ٣/٢٠٠ (١٣٠٧٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١٧). وصححه الألباني في تحقيقه «الأدب المفرد» (٢١٧).

(٣) أخرجه مالك في القرآن (٢١٤/١)، ومسلم في الصلاة (٤٨٦)، وأبو داود في الصلاة (٨٧٩)، والنسائي في الطهارة (١٦٩)، وفي التطبيق (١١٠٠)، والترمذي في الدعوات (٣٤٩٣)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٤١) من حديث عائشة رضي الله عنها. وأخرجه أبو داود في الوتر (١٤٢٧)، والنسائي في قيام الليل وتطوع النهار (١٧٤٧)، والترمذي في الدعوات (٣٥٦٦)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها (١١٧٩) من حديث علي رضي الله عنه.

وكيف بلوغُ الشكرِ إلا بفضلِهِ
 إذا مَسَّ بالسَّراءِ عمَّ سُرورها
 ولا منهما إلا له فيه مِنَّةٌ
 وقال يزيد بن المهلب بن أبي صُفرة:
 وإن طالَتِ الأيامُ واتَّصلَ العَمْرُ
 وإن مَسَّ بالضراءِ أعقبَها الأجرُ
 تَضيقُ بها الأوهامُ والبرُّ والبحرُ^(١)
 وكيف بِشُكرِ ذي نِعَمٍ إذا ما
 شكرتُ له فشُكري منه نعمة^(٢)
 والمؤمن في جميع أحواله بين نعمتين في السراء والضراء، كما قال ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحدٍ إلا للمؤمن، إن أصابته سراءٌ شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراءٌ صَبَرَ، فكان خيراً له»^(٣).

قال محمود الوراق:

عطيتهُ إذا أعطى سرورٌ
 فأبى النعمتين أحقُّ شكراً
 وإن أخذَ الذي أعطى أثاباً
 وأحمدُ عند مُنقَلَبِ إياباً
 أنعمتهُ التي أهدتُ سروراً
 أم الأخرى التي أهدتُ ثواباً؟^(٤)

الوقفه الثالثة عشرة في: الابتلاء والاستدراج بالنعمة

من سنن الله تعالى الكونية ابتلاء العباد بالسراء والضراء، والشدة والرخاء، والنعمة والنقم؛ لتمييز من يشكر ومن يكفر، ومن يصبر ومن يجزع؛ كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾ [الفجر: ١٥، ١٦].

(١) «الشكر لله ﷻ» لابن أبي الدنيا ص ٣٩، و«المستطرف» ١ / ٥٣، و«تاريخ دمشق» ١٩٠ / ٥

(٢) «فضيلة الشكر» للخراطي ص ٤٧. (٣) سبق تخريجه.

(٤) «فضيلة الشكر» للخراطي ص (٣٤).

وقال سليمان ﷺ: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ۖ أَشْكُرْ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

وعن عتبة بن عامر ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا - عَلَى مَعْاصِيهِ - مَا يَجِبُ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ (١).

قال أبو حازم: «كل نعمة لا تقرب إلى الله تعالى فهي بلية» (٢).

وقال أيضاً: «نعمة الله على العبد فيما زوى عنه من الدنيا، أعظم من نعمته فيما أعطاه منها، إني رأيتُه أعطى قومًا فهلكوا» (٣).

وذلك لأن الشكر على النعمة قد يكون أشد من الصبر على البلية؛ لأن كثيراً من الناس لا يقدر النعمة قدرها ويغتر بها، فيطغى ويبطر، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْفَىٰ﴾ (٦) ﴿أَن رَّأَاهُ اسْتَعْجَىٰ﴾ [العلق: ٦، ٧].

والسلامة لا يعدها شيء، والعافية غنيمة؛ لهذا قال ﷺ: «لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية» (٤).

نسأل الله العافية والسلامة.

(١) أخرجه أحمد ٤/ ١٤٥ (١٧٣١١)، وابن جرير في «جامع البيان» (٩/ ٢٤٨، ٢٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٢٩٠ (٧٢٨٨)، والطبراني في «الكبير» ١٧/ ٣٣٠ (٩١٣)، وفي «الأوسط» ٩/ ١١٠ (٩٢٧٢)، والبيهقي في «الشعب» ٤/ ١٢٨ (٤٥٤٠). قال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار» ص (١٤٧٧): «رواه أحمد والطبراني، والبيهقي في الشعب بسند حسن». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤١٣).

(٢) «الشكر لله ﷻ» لابن أبي الدنيا ص ٦٨، و«فضيلة الشكر» للخراطي ص ٦٠.

(٣) «الشكر لله ﷻ» ص ٥٠.

(٤) أخرجه البخاري في «الجهاد والسير» (٢٩٦٥، ٢٩٦٦)، ومسلم في «الجهاد والسير» (١٧٤٢)، وأبو داود في «الجهاد» (٢٦٣١)، وأحمد ٤/ ٣٥٣ (١٩١١٤) من حديث عبد الله بن أبي أوفى ﷺ.

الوقفه الرابعة عشرة في: قلة الشاكرين

مع سعة إفضال الله تعالى على الناس، وترادف إحسانه إليهم، وإسباغه نعمه عليهم ظاهرة وباطنة، فإن أكثرهم له عز جل غير شاكرين، وأكثرهم بنعمه كافرين، كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣، وغافر: ٦١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يونس: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [النمل: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٨].
وقال يوسف عليه السلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْرَهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۗ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨].

ومن الناس من يشكر حال الشدة، ويكفر في الرخاء، كما قال تعالى عن المشركين: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْأَبْرِ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ يَرْبِجَ طَيْبَةً وَيُفْرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُجِيبْنَا مِن هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ فَلَمَّا أَجَبْتَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [يونس: ٢٢، ٢٣]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا رَاكِبُ فِي الْفُلِكِ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

قال الحسن البصري عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦]؛ قال:

«هو الكفور، الذي يُعد المصائب، وينسى نِعَمَ ربه»^(١).

وقلة الشكر لله من ضعف الإيمان، بل هي حقيقة ضعف الإيمان، أو فقدانه، وهو ما عليه أكثر الخلق، كما قال إبليس لعنه الله: ﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦-١٧].

ولهذا حذر عليه السلام من الاغترار بما عليه أكثر الخلق، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿١١٦﴾﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المائدة: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّهُ لَأَ رِيْبٌ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [غافر: ٥٩].

وبين عليه السلام أن بعث النار من كل ألف تسعمئة وتسعة وتسعون، وواحد إلى الجنة^(٢). قال ابن القيم رحمته الله:

يا سلعة الرحمن لست رخيصةً بل أنتِ غاليةٌ على الكسلانِ
يا سلعة الرحمن ليس ينالها في الألف إلا واحدٌ لا اثنان^(٣)
قال بعض السلف: «لا تغترَّ بالباطل لكثرة الهالكين، ولا تستوحش من الحق لقلة السالكين»^(٤).

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (٥٨٥/٢٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» ١٥٣/٤ (٤٦٢٩)، ٢١٧/٧ (١٠٠٦١).

(٢) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٨)، ومسلم في الإيمان (٢٢٢)، وأحمد ٣٢/٣ (١١٢٨٤) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه. وأخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة (٢٩٤٠)، وأحمد ١٦٦/٢ (٦٥٥٥) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه. وأخرجه الترمذي (٣٠١٩)، وأحمد ٤٣٢/٤ (١٩٨٨٤) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٣) في «النونية» ص (١٠٣٧).

(٤) انظر: «مدارج السالكين» (٤٦/١)، وقد ذكر نحو من هذا عن الفضيل بن عياض رحمه الله. انظر: «الأذكار» للنووي ص (١٩٦)، و«الآداب الشرعية» (٢٦٣/١)، وذكر نحوه عن سفيان بن عيينة. انظر: «الزهد الكبير» للبيهقي (٢٣٨-٢٣٩).

وقفات ثلاث في: تحريم كفر نعم الله ﷻ

قال الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]

الوقفة الأولى في: معنى الكفر، وأدواته، ودرجات كفر النعم

أ- معنى الكفر:

قال ابن منظور^(١): «والكفر: كفر النعمة، وهو نقيض الشكر، والكفر: جحود النعمة، وهو ضد الشكر، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَفْرٍ﴾ [القصص: ٤٨]؛ أي: جاحدون، وكفر نعمة الله يكفرها، كُفُورًا، وكُفْرًا، وكفر بها: جحدتها، وسترها».

ب- أدوات الكفر:

كما أن الشكر يكون بالقلب، واللسان، والجوارح، فكذا الكفر يكون بالقلب واللسان بجحود نعم الله تعالى، وإنكارها، والتكذيب بها، وعدم الإقرار والاعتراف بها، ونسبتها إلى غير الله تعالى، ونحو ذلك، ويكون بالجوارح باستعمالها، والاستعانة بها على معصية الله ﷻ، ومخالفة أوامره، وارتكاب نواهيه.

ج- درجات كفر النعم:

كفر النعم درجتان:

❖ كفر أكبر، وهو كفر نعمة الإسلام، ولا يُقبل معه شكر ولا عمل، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

❖ كفر دون ذلك، وهو كفر النعم الدنيوية، من نعمة الرزق والمال، والأمن

(١) «لسان العرب» مادة «كفر».

والصحة، والفراغ، والأزواج والأولاد، وغير ذلك من النعم، وهو من أشد المحرمات، وأعظم الموبقات.

الوقفه الثانية في:

عقوبات كفر نعم الله ﷻ، وآثارها

توعد الله ﷻ على كفر نعمه بأشد العقوبات العاجلة والآجلة، في الدنيا والآخرة، فهو سبب لزوال النعم، وحلول النقم، والعذاب العاجل والآجل، وهلاك الحرث والنسل، وخراب الديار، ومحو الآثار، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِيبُكُمْ لِنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة: ٢١١]، وقال تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

الوقفه الثالثة:

الإسراف، والتبذير من أشد أنواع كفر نعم الله ﷻ

أ- معنى الإسراف والتبذير:

الإسراف في اللغة: مجاوزة الحد، والقصد؛ أي: مجاوزة الحد والقصد في الحلال؛ بما يضر بالبدن، أو بالمال، أو بهما معاً، أو في مجاوزة الحلال إلى الحرام.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «من أنفق درهماً في غير حقه، فهو مسرف»^(١).

وقال سفيان: «ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف، وإن كان قليلاً»^(٢).

ومثله التبذير: فهو تفريق المال، وإنفاقه في السرف^(٣).

وقيل: التبذير خاص في إنفاق المال في المعاصي، وفي غير حقه.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «كنا أصحاب رسول الله ﷺ نتحدث أن التبذير: النفقة في غير حق»^(٤).

والتبذير خاص بالمال، والإسراف يكون بالمال وفي غير ذلك كالقتل والمعاصي، وغير ذلك.

ب- حكم الإسراف والتبذير، والتحذير منهما:

الإسراف والتبذير من كبائر الذنوب، ومن أعظم المحرمات التي نهى الله تعالى عنها، ونفى محبته لأهلها؛ كما قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، وقال تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١].

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٥٦٧).

(٢) انظر: «المفردات في غريب القرآن» ص ٢٣٠، مادة «سرف».

(٣) انظر: «لسان العرب»، مادة «بذر» ومادة «سرف».

(٤) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٤/ ٥٦٧)، والبيهقي (٦/ ٦٣).

وإذا كان ﷺ لا يجب المسرفين فهو يُبغضهم، ومن أبغضه الله عذبه، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [غافر: ٤٣].

وقال تعالى ذاماً لفرعون: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان: ٣١].
وقال تعالى: ﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْدِيرًا ﴿٦١﴾ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

قال ﷺ: «إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»^(١).
وقال ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عُمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»^(٢).
وقال ﷺ: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يُقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»^(٣).
قال معاوية بن أبي سفيان ﷺ: «ما رأيت سرفاً قط إلا وإلى جانبه حقٌ مُضِيعٌ»^(٤).
وقال علي ﷺ: «ما أنفقت على نفسك وأهل بيتك من غير سرفٍ ولا تبذيرٍ وتصدقت لك، وما أنفقت رياءً وسمعةً فذلك حظ الشيطان»^(٥).

(١) أخرجه البخاري في الزكاة (١٤٧٧)، ومسلم في الأفضية (٥٩٣)، وأحمد ٤/٢٤٦ (١٨١٤٧) من حديث المغيرة بن شعبه ﷺ.

(٢) أخرجه الترمذي في صفة القيامة (٢٤١٧) من حديث أبي برزة الأسلمي ﷺ. قال الترمذي: «حسن صحيح». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٤٦).

(٣) أخرجه الترمذي في الزهد (٢٣٨٠)، وابن ماجه في الأُطعمة (٣٣٤٩)، وأحمد ٤/١٣٢ (١٧١٨٦) من حديث المقدم بن معدى كرب ﷺ. وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وصححه الألباني في «الإرواء» (١٩٨٣).

(٤) «عيون الأخبار» ٣/٣٣٢.

(٥) أخرجه معمر بن راشد في «جامعه» ١٠/٤٥٨ (١٩٦٩٥)، والبيهقي في «شعب الإيوان» ٥/٢٥١ (٦٥٤٨).

ج- صور الإسراف والتبذير:

للإسراف والتبذير صور كثيرة يجب التخلي عنها والبعد عنها، من أشدها وأكثرها انتشاراً ما يأتي:

❖ الإسراف، والتبذير، والمبالغة في الإكثار من الأطعمة، والمآكل، والمشارب في المناسبات، والحفلات، والولائم، والضيافات، ونحو ذلك مما يزيد أضعافاً عن حاجة المدعوين والضيوف.

٢. الإسراف والتبذير في الحياة اليومية في البيوت:

في الأطعمة، والمأكولات، والملابس، والأثاث، والريّاش، وغير ذلك مما يزيد كثيراً عن حاجة البيوت وأهلها.

وفي هذا وذاك إهدار للنعم، وصرف للمال في غير موضعه، وقد قال الله ﷻ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُبْذِرْ بَذِيرًا﴾ (١٣) إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

وقال تعالى في مدح المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

وقال ﷻ: «كُلِّ وَالبَسِّ وَتصدقْ من غير سرفٍ ولا تحيلة» (١).

ويزيد الأمر سوءاً أن يعمد البعض إلى تصوير هذه النعم، ونشرها؛ مباهاةً ومفاخرةً مما ينافي شكرها، ويزيد من خطر تعرضها للزوال.

فالفضل كله لله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

وأشد من هذا وأخطر أن تمتهن هذه النعم، ويوضع ما تبقى من الأطعمة وغيرها مع الأذى والقاذورات في أكياس القمامة، وصناديق النفايات، مما قد يوجب مقت الله وسخطه ونقمته، وزوال نعمته، فإن النعم إذا شكرت قرّت، وإذا كُفرت قرّت.

(١) سيأتي تحريجه.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾

[إبراهيم: ٧]

قال علي بن أبي طالب عليه السلام (١):

إذا كنت في نعمةٍ فارعها فإن المعاصي تزيل النعم
وحافظ عليها بشكر الإله فإن الإله سرّيع النقم
وعلى المسلم والمسلمة الانتباه لهذا، والحذر كل الحذر من العقوبة؛ فإن الله يغار أن
تُمتهن نعمته.

وعلينا ألا نضع من الطعام ما يزيد عن حاجة أهل البيت؛ طلباً لرضا الله ﷻ، وخوفاً
من عقابه، وندع العادات.

وعلينا إذا بقي شيء من الطعام أن نلتمس له من يأكله من ذوي الحاجة، فإن لم نجد
فلنضعه للحيوانات والطيور، فإن لم يمكن ذلك فلا أقل من أن يوضع في مكان نظيف
تأكله الدواب والطيور والخشاش.

٣. المباهاة والمفاخرة بالنعم وكثرة المال:

المباهاة والمفاخرة بالنعم وكثرة المال أشد أنواع الإسراف والتبذير حرمة، وأسرعها
وأشدها عقوبة في الدنيا والآخرة.

وذلك لأن المباهي والمفاخر بالنعم وكثرة المال - غالباً - لا غرض له صحيح إلا
المباهاة والمفاخرة، ويشترى الشيء الذي لا تزيد قيمته الحقيقية عن بضعة آلاف بالملايين،
كمن يشتري ناقة بعشرات الملايين، أو يشتري تيساً بمئات الآلاف، ونحو ذلك، فأبي
هدف لهذا في هذه المبالغة في القيمة إلا المباهاة والمفاخرة!

ومتى كانت نعم الله ﷻ محلاً للمباهاة والمفاخرة؟! ولكنه ضعف اليقين، ونسيان
الموت وسكراته، والقبر وظلماته، والقيامة وأهوالها، والنار وعذابها، فنسأل الله الهداية.

وكأنَّ مَنْ يفعل هذا يعتقد أن المال ماله يفعل به ما يشاء، بلا رقيبٍ ولا حسيب، وما علم أن المال مال الله تعالى، وهو عاريةٌ عنده، استخلفه الله تعالى فيه لينظر كيف يتصرف به، وأين ينفقه، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]

وقال ﷺ: «لا تزول قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عن...» وذكر منها: «وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه»^(١).

فلا يجوز التخبُّط في مال الله بما لا يرضي الله تعالى، وعلى المسلم أن يشكر الله تعالى على ما أولاه من نعمة الصحة والمال، ويراقب الله في تصرفاته، ويضبطها بضابط الشرع، ولا يصرف المال في غير محله، والناس في أمس الحاجة إليه.

وعليه أن يخشى من عقوبة عاجلة تصيبه في نفسه أو أهله أو ولده أو ماله، لا يستطيع لها دفعًا، ولا منعًا، ولا رفعًا.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

وليعلم المفاخر والمباهي بالنعم أن الأيام دُول، وأن النعم لا تدوم، وأن السلامة لا تدوم، فما أهون الخلق على الله إذا هم عصوه وكفروا نعمه.

قال الشاعر^(٢):

وهي الليالي وقاك الله صولتها	تصُول حتى على الآسادِ في الأجمِ
كنا ملوكًا لنا في أرضنا دُول	نمنا بها تحت أفنانٍ من النعمِ
فأيقظتنا سهامٌ للردى صيبٌ	يرمى بأفجع حَتْفٍ منْ بهنِّ رُمي

د- مفاسد الإسراف والتبذير:

الإسراف والتبذير من الإفساد في الأرض، وقد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

(١) سبق تخريجه قريبًا.

(٢) الأبيات لأبي عبد الله الغفيلي. انظر: «نفع الطيب» ٤ / ٥٢٩.

ومفاسد الإسراف والتبذير كثيرة جداً، ومن أخطرها ما يلي:

❖ أن الإسراف والتبذير مجاوزة لحدود الله تعالى، وقد الله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧]، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١].

❖ أن الإسراف والتبذير كفر بنعمة الله تعالى، وطغيان في الأرض ومتابعة للشيطان ومؤاخاة له، قال تعالى: ﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبَذِيرًا ۚ إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

❖ أن الإسراف والتبذير تأصيل للأناجية والتعالي على الآخرين، والبعد عن الخير والبدل.

❖ أنهما سبب لنزع البركات، وحلول النقم والآفات.

❖ أن فيهما حرماناً للمستحقين من هذا المال المهدر في سبيل الشيطان.

قال الشاعر^(١):

إذا أنت قد أعطيت بطنك سُؤْلَهُ وَفَرَجَكَ، نالاً مُنتَهَى الذَّمِّ أَجْمَعَا

هـ- عقوبات الإسراف والتبذير:

للإسراف والتبذير عواقب وخيمة، وعقوبات عظيمة في الدنيا والآخرة؛ منها ما يأتي:

❖ حرمان المسرفين من هداية الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ

كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨].

ومن حُرْم هداية الله تعالى خاب وخسر دينه، ودنياه، وأخراه، ونفسه، وأهله، كما

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾

[الزمر: ١٥].

(١) البيت لحاتم الطائي. انظر: «الشعر والشعراء» (١/٢٤٢).

❖ تزيين أعمالهم السيئة لهم، كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ زِينٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[يونس: ١٢].

قال المفسرون: من الانهالك في الشهوات، والإعراض عن العبادات.

❖ المعيشة الضنك في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ (١٣٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَد كُنْتُ بَصِيرًا (١٣٥) قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتْنَا فَنَسِينَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي (١٣٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمَرْ بِتَابِتِ رَبِّهِ وَعَلَدَابِ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٢٤-١٢٧].

❖ تغيير ما هم فيه من حال الأمن والطمأنينة، والعيش الرغيد، إلى الجوع والخوف، كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

❖ إهلاكهم، كما حصل لقارون، قال تعالى: ﴿فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٨١].

وكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنبياء: ٩].

❖ حشرهم عمياً، كما قال تعالى في الآيات السابقة في سورة طه: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [الآية: ١٢٤].

❖ مصيرهم إلى النار، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [غافر: ٤٣].

و- أسباب الإسراف والتبذير:

للإسراف والتبذير أسباب كثيرة، منها ما يلي:

❖ الجهل بشدة حرمة الإسراف والتبذير، والغفلة عما رُتب عليه من الوعيد الشديد، والعقوبات في الدنيا والآخرة.

❖ حب الظهور والشهرة، وحب المدح والثناء، والمباهاة والفخر والحِيلاء والتعالي

على الآخرين.

❖ الكبر، والأشر، والبطر، كما قال قوم شعيب **﴿أَصَلُّوْا تَكُ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِيْ أَمْوَالِنَا مَا نَشْتَوُ أَنْتَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾** [هود: ٨٧].

وقد قال **﴿﴾**: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْر»^(١).

❖ صحبة المسرفين، ومحاسنهم، ومجاراتهم، والتفاخر بينهم.

❖ الاغترار بالمال، والجاه، والسلطان، والصحة، والقوة، والغفلة عن طبيعة الحياة والأيام، وأنها دول، فمن غنى إلى فقر، ومن عز إلى ذل، ومن صحة إلى مرض، ومن حياة إلى موت، كما قال **﴿وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾** [آل عمران: ١٤٠].

❖ ضعف الإيمان واليقين، وغياب مراقبة الله تعالى، والخوف منه سبحانه.

إلى غير ذلك.



(١) أخرجه مسلم في الإيمان (٩١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٩٩)، وأحمد ٤١٦/١ (٣٩٤٧) من حديث

عبدالله بن مسعود **﴿﴾**.

وقفة في: أهل الجنة بين نزع الغل، وإذهاب الحزن

قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]،

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر: ٣٤]

امتن الله ﷻ على أهل الجنة بنزع الغل من صدورهم، فقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

ومعنى قوله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ﴾ أي: قلعناه من أساسه من صدورهم وقلوبهم، فلا يمكن أن يتسلل إليها، وبهذا كانوا إخواناً على سُرُرٍ متقابلين.

أي: إخواناً متحابين في الله ﷻ، جلوساً على سرر، يقابل بعضهم بعضاً، ويتوجه بعضهم إلى بعض بوجهه وقلبه وقلبه، ويصغي له ويستمع إليه بسمعه وقلبه؛ كما قال تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ [الواقعة: ١٥، ١٦]، وقال تعالى: ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الدخان: ٥٣].

فلا يمكن أن يدير أحدهم قفاه لأخيه؛ محبةً وأدباً، وتقديرًا واحترامًا، وإجلالًا وإكرامًا. كما امتن عليهم بإذهاب الحزن، فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

فهم في سرور وحبور دائم، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥]، أي: يسرون.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَنَّهُمْ نُضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١]؛ أي: ومنحهم وأعطاهم في الظاهر نضارة وجمالاً في وجوههم، وفي الباطن سرورًا وحبورًا في قلوبهم.

والنضرة في وجوههم علامة السرور في قلوبهم، والسرور في قلوبهم سبب النضرة

في وجوههم، كما قال تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وُجُوهُ يُؤْمِزُ مُسْفِرَةٌ﴾ (٣٨) صَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿ [عبس: ٣٨-٣٩].

فجمع الله ﷻ لهم بين نزع الغل وإذهاب الحزن فكمّل نعيمهم، سلموا من الغل في صدورهم، الذي السلامة منه في الدنيا أمر بعيد المنال، والذي أفسد ونكد على أهل الدنيا صفو حياتهم، فأشعل نار الكراهية والعداوات بينهم، والخلافات والنزاعات، وجعل بعضهم يظلم بعضاً، ويعتدي بعضهم على بعض في الأنفس والأعراض والأموال.

وسلموا من الحزن الذي لم يدع لذي لب في الدنيا فرحاً، والذي نغص وكدر على الناس صفو عيشهم، كما قال الشاعر:

لَا طَيْبَ لِلعَيْشِ مَا دَامَتْ مَنَعَصَةٌ لَدَاتُهُ بِأَدْكَارِ المَوْتِ وَالمَهِرَمِ (١)

وقال الآخر:

طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا صَفُوءًا مِنَ الأَقْدَاءِ والأَكْدَارِ (٢)

فحُق لدارٍ مُلئت بالغل والأحقاد والأحزان أن يُزهد فيها، ولا يُعتر بها، وحُق لدار الصفاء والسرور والحبور أن يسارع ويسابق إليها، ويتنافس فيها، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿سَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

قال ابن القيم ﷻ:

فحِيَّ عَلَى جَنَاتِ عَدْنٍ فَإِنهَا مَنَازِلُكَ الأُولَى وَفِيهَا المَخِيمِ (٣)

نسأل الله تعالى الكريم من فضله.

(١) البيت مجهول القائل. انظر: «أوضح المسالك» (١/٢٤٢).

(٢) البيت لأبي الحسن التهامي. انظر: «ديوانه» (ص ٤٨).

(٣) انظر: «حادي الأرواح» ص (٧، ١٩٦)، و«طريق المهجرتين» ص (٩٢)، و«مدارج السالكين» (١/١٢٣)، ٣/٢٠٠.

وقفة في: فضل التواضع

قال الله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]

التواضع: هو التذلل، وخفض الجناح، ولين الجانب^(١)، وهو قसान:
القسم الأول: التذلل والخضوع لله ﷻ بعبادته وحده، وصرف جميع أنواع العبادة له وحده لا شريك له.

والقسم الثاني: التذلل، وخفض الجناح، ولين الجانب في التعامل مع عباد الله، وهو من أفضل مظاهر حسن الخلق، ومن أعظم الخصال، وأنبأ الصفات، به أمر الله ﷻ رسوله ﷺ، فقال تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

ولنا به أسوة صلوات الله وسلامه عليه، حيث وصفه ﷻ بقوله: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

كما وصفه ﷻ بقوله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رِءُوفٌ رَجِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].
 وعن عياض بن حمار المجاشعي ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم خطيباً، فقال: «وإن الله أوحى إلي أن تواضعوا؛ حتى لا يفخر أحد على أحد»^(٢).
 وهو سبب للرفعة، ونيل الدرجات في الدنيا والآخرة، كما قال ﷻ: «وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»^(٣).

قال الشاعر:

(١) انظر: «لسان العرب» مادة «وضع».

(٢) أخرجه مسلم في الجنة (٢٨٦٥)، وأبو داود في الأدب (٤٨٩٥)، وابن ماجه في الزهد (٤١٧٩).

(٣) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٨)، والترمذي في البر والصلة (٢٠٢٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

تواضع إذا ما نلت في الناس رفعةً
وقال الآخر:
فإن رفيع القوم من يتواضع (١)

تواضع تكن كالنجم لاح لناظرٍ
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه
على صفحات الماء وهو رفيعٌ
على طبقات الجو وهو وضيع (٢)
وقال الآخر:

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعاً
وإن كنت في عزٍّ وحرزٍ ونعمةٍ
فكم تحتها قومٌ همُّ منك أرفعُ!
فكم مات من قوم همُّ منك أضعُ! (٣)
ضد التواضع: الكبر والإعجاب والغرور، وهي من أعظم أمراض القلوب، ومن أكبر الذنوب، وأكدها جرماً، وأسوأها عاقبة، وأشدّها عقوبة.

نهى الله ﷻ عنها، وتوعد عليها، وحذر منها رسوله ﷺ، وذمها.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧].

أي: لا تمش في الأرض بطراً، مختالاً، متبخترًا، متعالياً، متكبراً، متعاطماً، معجباً بنفسك.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾

[لقمان: ١٨].

أي: ولا تميل خدك للناس إذا كلمتهم أو كلموك استكباراً، أو تعاطماً عليهم، واحتقاراً لهم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا

يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣].

أي: لا يحب كل مختال في مشيته، متكبراً على الناس بفعله وهيئته، فخوراً، متعاطماً

(١) البيت بلا نسبة في «جواهر الأدب» ٢ / ٤٨٠.

(٢) البيتان لموسى بن علي بن موسى الزرذاري. انظر: «أعيان العصر وأعوان النصر» ٥ / ٤٧٩.

(٣) البيت للكريزي. انظر: «روضة العقلاء» ص ٦١.

عليهم بقوله.

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَزُكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢].

أي: بمدحها بما ليس فيها.

وقال ﷺ: «الكِبَرُ: بَطْرُ الْحَقِّ، وَعَمَطُ النَّاسِ»^(١)؛ أي: رد الحق، واحتقار الناس.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما رجل يمشي في حُلة، تُعجبه نفسه، مرَّ جُلُّ جُمَّتِهِ، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة»^(٢).

وعن عبد الله بن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ حَيْلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

وقال ﷺ: «إِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ؛ فَإِنَّهُ مِنَ الْمَخِيلَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْمَخِيلَةَ»^(٤).

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذَّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ»^(٥).

ويكفي في تحريم الكبر وذمه أنه صفة إبليس اللعين، وبسببه أُخرج من الجنة، وأبأس من رحمة الله تعالى؛ لامتناعه من السجود لآدم ﷺ؛ تكبراً، وغروراً منه، وإعجاباً بنفسه، قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

ولهذا قال مكابراً: ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١]، وقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في اللباس (٥٧٨٩)، ومسلم في اللباس (٢٠٨٨)، وأحمد ٢/٢٦٧ (٧٦٣٠).

(٣) أخرجه مالك في اللباس (٤١٩/٢)، والبخاري في اللباس (٥٧٨٣، ٥٧٨٤)، ومسلم في اللباس (٢٠٨٥)، والترمذي في اللباس (١٧٣٠).

(٤) أخرجه أبو داود في اللباس (٤٠٨٤)، والترمذي في الاستئذان والأدب (٢٧٢١)، وأحمد ٥/٦٣ (٢٠٦٣٢)، وابن حبان ٢/٢٧٩، ٢٨١ (٥٢١، ٥٢٢) من حديث جابر بن سليم ﷺ. وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧٧٠، ١١٠٩).

(٥) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٥٧)، والترمذي في صفة القيامة (٢٤٩٢)، وأحمد ٢/١٧٩ (٦٦٧٧). وصححه الألباني في تحقيقه على «الأدب المفرد».

وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿ [الأعراف: ١٢].

فَأُخْرِجَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَبْلَسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا مَذْمُورًا لَمَّا

تَبِعَكَ مِنْهُمْ لِأَمْلَانِ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ [الأعراف: ١٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ فَأَخْرَجْنَا مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ

عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿ [ص: ٧٧، ٧٨].



وقفة في: مَكْمَنُ السَّعَادَةِ، وَالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]

يسعى كل إنسان في هذه الحياة لينال السعادة، وينعم بالحياة الطيبة، وقليل من يُوفِّق إلى ذلك؛ لأن أكثر الناس يطلب ذلك في غير مكانه، وبدون طرق أسبابه، فيظن كثير منهم أن ذلك بكثرة المال، أو بكثرة الأزواج، والأولاد، أو بالمنصب، والرياسات، أو بتنوع المآكل والمشرب، أو بزخرفة المساكن، أو رفاهية العيش والمراكب، والأثاث والرياش، أو بالأسفار والتنزه هنا وهناك، في الأجواء الباردة والمعتدلة، وغير ذلك.

وهذا كله لا يجلب السعادة، ولا الحياة الطيبة، بل قد يكون سبباً لسلب ذلك؛ لأن الله ﷻ أبى أن تكون السعادة إلا تحت مظلة: ﴿يَاكَ تَعْبُدُ وَيَاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

وأبى أن يكون انشراح الصدر والنور والهدى إلا بالإسلام، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]، وقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وقوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ مِثْلُ نُوْرٍ مِّثْلُ نُوْرٍ ۗ كَمِشْكُوْتٍ فِيْهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥]، إلى قوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّوْرٍ﴾ [٤٠].

وأبى أن تكون الحياة الطيبة إلا بالإيمان والعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۗ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وأبى أن يكون الربح إلا بالإيمان وعمل الصالحات، والتواصي بالحق والتواصي

بالصبر، كما قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرَ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

وأبى أن تكون العزة إلا له ﷺ ولرسوله وللمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْعِزَّةُ لِرَسُولِهِ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

فالسعادة والحياة الطيبة، وانسراح الصدر، ونور القلب، والريح والعزة والكرامة، كل ذلك مرهون بعبادة الله تعالى، والاستعانة به، والتوكل عليه، مرهون بالإيمان والعمل الصالح، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، مرهون بالقناعة فهي كنز لا يفنى. قال ﷺ: «من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا»^(١).

وقال ﷺ: «قد عوفي من رُزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه»^(٢).

وقال ﷺ: «لو كان لابن آدم واديان من مالٍ لابتغى ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»^(٣).

قال الشاعر:

خُذِ الْقِنَاعَةَ مِنْ دِنْيَاكَ وَارْضَ بِهَا لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ فِيهَا إِلَّا رَاحَةُ الْبَدَنِ^(٤)
وقال الآخر:

إِذَا كُنْتَ تَهْوَى الْعَيْشَ فَاقْنَعْ تَوْسُطًا فعند التناهي يَقْصُرُ الْمُتَطَاوُلُ
تَوَقَّى الْبُدُورُ النِّقْصَ وَهِيَ أَهْلَةٌ وَيُدْرِكُهَا النِّقْصَانُ وَهِيَ كَوَامِلٌ^(٥)

السعادة والحياة الطيبة مرهونة بتصوير الإنسان الهدف الذي خلق من أجله، وربط تصرفاته كلها بما يعود عليه بالنفع في دينه ودنياه وأخراه، وبسلامته من الخواء الروحي،

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) البيت لزين العابدين علي بن الحسين ﷺ، انظر: «الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة» لأمين بن عبد الله الشقاوي (١/ ١٦١)، «مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار» لعبد العزيز بن محمد السلطان (١/ ٢١٧).

(٥) سبق تخريجها.

الذي يفسد عليه حياته، ويجعل عمره كله يضيع في مَهَبِّ الريح، بالأسفار، والتنزهات، والخلوات، والفلوات بعيداً عن مسجده، وعن والديه، وعن زوجته وأولاده وأقاربه وجيرانه، بعيداً عن محيطه ومجتمعه.

قال بعض السلف: «مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا ألدَّ ما فيها»، قيل: وما ألدَّ ما فيها؟ قال: «معرفة الله والأنس به»^(١).

وقال الحسن: «تفقدوا حلاوة الإيمان في ثلاث: في الصلاة، وذكر الله، وقراءة القرآن، فإن لم تجدوها فاعلموا أن الباب مغلق»^(٢).

نعم، والله، هنا اللذة، هنا الحلاوة، هنا الحياة الطيبة، هنا السعادة؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «مَنْ أَرَادَ السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ، فَلْيَلْزَمْ عَتَبَةَ الْعِبَادِيَّةِ»^(٣).

وقال رحمته الله: «إِنْ فِي الدُّنْيَا جَنَّةٌ، مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَا يَدْخُلُ جَنَّةَ الْآخِرَةِ»^(٤).

فقل لمن يسابق في زيادة رصيده في البنك: قد سبقك الفقير الذي يسارع في زيادة رصيده عند الله تعالى من الأعمال الصالحة!

وقل لمن يسابق ليكون أعلى الناس مرتبةً وجاهاً في الدنيا: قد سبقك من هو أشعث أغبر ذو طمرين، لو أقسم الله لأبره!

وقل لمن يسابق ليطأ بقدمه كثيراً من بلاد العالم، والمنتزهات والمصائف: قد سبقك من يسابق إلى المساجد، وإلى الحرمين الشريفين!

قال الشاعر:

ولست أرى السعادة جمع مالٍ ولكنَّ التقيَّ هو السعيدُ
وتقوى الله خيرُ الزادِ فخراً وعند الله لِالتقيِّ مزيدٌ^(٥)

(١) أخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٦٧/٨) نحوه عن ابن المبارك، وانظر «الداء والدواء» (١/١٨٦)، «إغاثة اللفهان» (١/١١٩) لابن القيم.

(٢) انظر: «مدارج السالكين» (٢/٣٩٦). (٣) انظر: «مدارج السالكين» (١/٤٢٩).

(٤) انظر: «الوابل الصيب من الكلم الطيب» ص (٦٩). (٥) البيتان للحطيئة. انظر: «ديوانه» ص (٣٢١).

وأخيراً أقوال لمن يطلب السعادة، والحياة الطيبة حقاً:

❖ تصور واستحضر الهدف الذي خلقت من أجله، وهو عبادة الله تعالى، واعمل لذلك.

❖ توكل على الله تعالى، وثق به يكفك كل شيء.

❖ كن مخلصاً، واستحضر النية الصالحة في جميع أقوالك وأفعالك وأحوالك.

❖ تأمل في عظمة الله تعالى، ونعمه التامة عليك، وتأمل ضعفك وفقرك إليه.

❖ كن صادقاً مع الله، تفز برضاه، وكن صادقاً في طلب النجاة لنفسك وإعتاقها.

❖ تأمل عظمة الآخرة، وحقارة الدنيا.

❖ سارع إلى مغفرة الله تعالى وجنته.

❖ سابق لأداء حقوق الله تعالى، وحقوق الخلق؛ لأداء الواجبات، والبعد عن

المنهيات.

❖ لا يسبقك أحد إلى المسجد، فإن عجزت لا تقام الصلاة إلا وأنت في المسجد.

❖ لا يسبقك أحد في برك لوالديك.

❖ كن من أحسن الناس خلقاً.

❖ كن ناصحاً لله تعالى ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فالدين

النصيحة.

❖ سلم لقضاء الله تعالى وقدره، وارضَ به.

❖ اترك ما لا يعينك، ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك.

❖ كن تقياً، ورِعاً، زاهداً، عابداً.

❖ تذوق حلاوة الإيمان؛ بمحبة الله تعالى، ومحبة رسوله ﷺ، والمحبة في الله،

وطاعته.

❖ تمتع بالجلوس مع القرآن طويلاً؛ تلاوةً له، وتفهماً، وتدبراً.

- ١٤٨ احرص على إفشاء السلام، والمصافحة، وكن مبتسماً بشوشاً.
- ١٤٩ أحب الخير للناس كما تحبه لنفسك، تكن مؤمناً.
- ١٥٠ كن عفواً متسامحاً، حليماً صبوراً.
- ١٥١ كن سليم القلب، نقي السريرة، تعش قرير العين.
- ١٥٢ كن متواضعاً، منصفاً من نفسك.
- ١٥٣ كن جواداً منفقاً متصدقاً، مسابقاً إلى الخيرات.
- ١٥٤ كن خدوماً لأصحابك ورفاقك ولغيرهم.
- ١٥٥ كن حسن الظن بالآخرين.
- ١٥٦ كن وافياً بوعدك وعهدك، صدوقاً بقولك.
- ١٥٧ أحسن لغيرك بقولك، وفعلك، وبدلِكَ، ما استطعت.
- ١٥٨ كن قدوةً صالحةً في أخلاقك وأقوالك وأفعالك.
- ١٥٩ كن الرجل الراحلة، الذي يسد مكانه، ويملاً فراغه.
- ١٦٠ كن حازماً في أمور دينك ودنياك، عصامياً، عزيز النفس.
- ١٦١ وطن نفسك على لزوم الحق، والتمسك به، واسأل الله الثبات عليه.
- ١٦٢ لا تستوحش من قلة المعين على الحق، والرفيق في الطريق، ولا تغترّ بما عليه أكثر الخلق.

- ١٦٣ استحضر دائماً مراقبة الله تعالى، وحاسب نفسك، وانظر في العواقب.
- ١٦٤ نظم عملك في اليوم والليلة.
- ١٦٥ كن قنوعاً بما يسر الله لك من الدنيا، ونافس في الآخرة من نافسك في الدنيا.
- ١٦٦ اختر الجلساء الصالحين، واحذر من جلساء السوء، ومجالس السوء.
- ١٦٧ احترم الآخرين، وأنزل الناس منازلهم؛ كولاة الأمر، والمعلمين، والوالدين،

والعلماء، وكبار السن، والأقارب، والجيران، والمسؤولين، وغيرهم.

٤٧٨ احترز من آفات اللسان والقلم والبنان.

٤٧٩ التزم التأصيل والتوازن في الطرح عند المناقشة.

٤٨٠ احذر من أدياء علم الغيب، من أهل الشعوذة والدجل، من السحرة والكهان، ومن تشبه بهم في ذلك من بعض القراء، ومفسي الأَحلام، ونحوهم.

٤٨١ شاور عند الحاجة من تثق بدينه وعقله وورعه.

٤٨٢ احذر من أمراض القلوب كلها؛ من الحسد والحقد والغل والعداوة، ومن الظلم والمعاصي كلها، فهي سبب كل بليَّة، وجالبة كل رزية.

٤٨٣ كن متفائلاً دائماً حتى في أحلك الظروف؛ كما كان المصطفى ﷺ.

٤٨٤ تحمّل المسؤولية، وأدِّ الأمانة.

٤٨٥ اعلم أن النفس وديعة عندك، فزكّها، واحملها على ما فيه نجاتها.

٤٨٦ اتبع القول بالعمل، واعمل بما علمت.

٤٨٧ كن ذا قلب حي واعٍ، متدبراً لما تقرأ وتسمع وتشاهد.

٤٨٨ كن مقتصدًا ولا تسرف.

٤٨٩ احترز واحذر من الأثر السلبي لوسائل التواصل والإعلام.

٥٠ وأخيراً: تدارك ما فات من عمرك بما بقي منه، ولا تغفل.



وقفات ثلاث في: وجوب بر الوالدين، وتحريم عقوقهما

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

الوقفه الأولى في: وجوب بر الوالدين

تقدم في الكلام على الآيات السابقة: ذكر الأدلة من الكتاب والسنة على عظم مكانة بر الوالدين في الإسلام، وفي الأديان كلها، وأنه من أوجب الواجبات، وأعظم فرائض الدين، ومن أركى الأعمال وأفضلها، وأجلها، وهو مقدم على الجهاد في سبيل الله تعالى؛ وذلك لما للوالدين من الفضل والإفضال على الأولاد، فهما - بعد الله تعالى - السبب الظاهر في وجود الأولاد في هذه الحياة، وقد عانيا من المشقة في سبيل الولد ما لا يعلمه إلا الله ﷻ.

فالأم حملته في حشاها تسعة أشهر، وعانت من وحم الحمل، وآلامه، وثقله، ومن آلام الوضع، والولادة، وكُرب الطلق، مما يكاد يطير معه قلبها، وتشرف بسببه على الموت، كما عانت ما لا يخفى من التعب والسهر في رعايته، والعناية به بعد ولادته، في إرضاعه، وتربيته، وحضانه، ونظافته، وغير ذلك.

ومن أراد أن يعرف معاناة الأم، فليتأمل في قصة أم موسى ﷻ في سورة القصص. كما أن الأب يظل يكدح طوال يومه؛ بحثًا عن لقمة العيش للأولاد ولأهمهم، ويتفانى في تعليمهم، وتربيتهم، وتوجيههم، وحفظهم، والذب عنهم، ويذل - في سبيلهم وما يصلحهم - الغالي والنفيس، حتى يكبروا، ويعتمدوا - بعد الله تعالى - على أنفسهم.

ومن أراد أن يعرف معاناة الأب، فليتأمل في قصة يعقوب ﷻ مع أولاده ﷻ، في

سورة يوسف ﷻ.

وفيما يلي ذكر أهم الأسباب المعينة على بر الوالدين، وأهم وجوه البر بهما، وبيان التفاوت بين حق الوالدين في البر، واستمرار البر بهما بعد موتهما، وثمار البر، وآثاره:

أ- الأسباب المعينة على البر بالوالدين، والإحسان إليهما:

وهي كثيرة، من أهمها ما يأتي:

- ❖ توفيق الله ﷻ الولد، واصطفائه إياه لهذا العمل الجليل، وإرادته به الخير.
- ❖ تقوى الله ﷻ؛ فهي سبب توفيق الله للعبد لكل عمل رشيد في دينه ودنياه.
- ❖ التدبر والتأمل بما جاء في الكتاب والسنة من تأكيد الأمر ببر الوالدين، والإحسان إليهما، والترغيب في ذلك.

❖ سؤال الولد ربه ﷻ أن يوفقه لبر والديه، ويعينه على ذلك.

❖ الصدق في طرق أبواب الخير، وفي طلب النجاة من النار، ودخول الجنة، فالبر بالوالدين من أوسع أبواب التوفيق للخير، في الدين والدنيا والآخرة، والنجاة من النار، ودخول الجنة.

❖ تذكر الولد دائماً ما قدمه له والداه من الجميل، وما أسدياه له من الإحسان في صغره وهو أحوج ما كان إلى ذلك، وما عانتته أمه من شدائد وآلام بسببه، حملاً ووحماً، وثقلاً طيلة تسعة أشهر، ثم كرباً وولادة، ثم إرضاعاً وتربية ورعاية ونظافة، وتعباً وسهراً، إلى غير ذلك، مما تنوء بحمله الجبال، وما عاناه أبوه من أجل إسعاده من السعي والكد والتعب وراء لقمة عيشه، والنفقة عليه وعلى أمه، وفي تربيته وتعليمه، وتوجيهه وتأديبه، وغير ذلك؛ ليكون ولده أسعد الناس.

❖ تيقن الولد أن ما يقدمه من البر بوالديه لن يضيع، وسيجد ثوابه مضاعفاً عند الله تعالى، ويجد أثره عاجلاً في سعادته، وفي بر أولاده به في الحياة، قال ابن تيمية: «وفي الحديث: «بَرُّوا آبَاءَكُمْ تَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ»^(١).

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٣٢/١٢١). والحديث أخرجه الحاكم (٤/١٥٤) من حديث أبي

❖ حرص الوالدين على تربية الأولاد، وتنشئتهم نشأة الصالحة، وعدم التقصير في ذلك، وفي أداء حقوقهم.

❖ توفيق الله للابن أو للبنت بزواج صالح يكون عوناً له على البر بوالديه، ويشجعه عليه.

❖ العناية في مناهج التعليم، وفي الخطب والمحاضرات بغرس البر بالوالدين مبكراً في نفوس الأجيال والناشئة، وحرص المعلمين والمربين والموجهين على ذلك.

ب- وجوه البر بالوالدين:

وجوه البر بالوالدين كثيرة جداً، منها ما يأتي:

❖ الإحسان إليهما بكل ما تحمله كلمة الإحسان من معنى؛ بالقول الكريم اللين اللطيف، وبالفعل الطيب الحسن الجميل، وأداء حقوقها الواجبة والمستحبة؛ امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿يَا أَوْلَادِينَ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣، والنساء: ٣٦، والأنعام: ١٥١، والإسراء: ٢٣].

❖ توقيرهما واحترامهما، وخفض الجناح لهما، والتواضع لهما بكل ما تحمله كلمة التواضع، وعدم التقدم بينهما في الكلام والمشي، وخفض الصوت عندهما، واستعمال اللفظ العبارات عند الحديث معهما، قال تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ﴾ [الإسراء: ٢٤].

❖ رحمتها، والشفقة عليهما، والعطف عليهما، والتحبب والتودد لهما؛ لقوله تعالى: ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]؛ أي: من الرحمة بهما، أي: رحمة بهما؛ لرحمتها للولد التي لا يكاد يبلغ كنه عظمتها؛ فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امرأة من السبي قد فُرقَ بينها وبين ولدها، فجعلت كلما وجدت صبيّاً من السبي أخذته فألصقته بصدرها،

هريرة رضي الله عنه، وصححه. وقال السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٢٦٩): «وضعفه الذهبي». وأخرجه أيضاً الحاكم (٤/١٥٤) من حديث جابر رضي الله عنه. وفي سننه علي بن قتيبة الرفاعي، قال ابن عدي: «حدث عن مالك بأحاديث باطلة» ثم ذكر هذا الحديث. انظر «الكامل» لابن عدي (٥/٢٠٧)، و«تهذيب التهذيب» (٤/٢٤٥)، وقد ضعفه الألباني في «الضعيفة» (٢٠٣٩، ٢٠٤٣).

والحديث معناه صحيح؛ لأن الجزء من جنس العمل، وكما يدين المرء يدان.

وهي تدور على ولدها، فلما وجدته ضمته إليها، وألقمته ثديها، فقال رسول الله ﷺ: «أترُونَ هذه طارحةً ولدها في النار، وهي تقدر على ألا تطرحه؟» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «فوالله، لله أرحم بعباده من هذه بولدها»^(١).

❖ الدعاء لهما في حياتهما وبعد مماتهما؛ جزاءً تربيتها له صغيراً، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

❖ شكرهما، والاعتراف بالقلب واللسان بفضلهما، وإفضالهما، وذكر معروفهما وجميلها السابق - كما ربياه صغيراً، ومكافأة الجميل بمثله.

❖ المبادرة إلى قضاء حوائجها دون انتظار طلب منها؛ فهذا ألد لهما، ولأنهما قد لا يُبديان حاجتهما؛ شفقة على الولد ورحمة له، ورفقاً به وتخفيفاً عليه، ولأن الولد إذا لم يبادر قد لا يسلم من التبرم، واستئثار طلبهما، وقد يخشى أن يرد طلبهما، وهذا أشد وأخطر.

❖ طاعتها بالمعروف في أمرهما ونهيها، وتقديم طاعتها على طاعة من سواهما من الخلق، في طاعة الله ورسوله، ومعرفة الأولاد أن ما يقدمه والداهما لهم من تعليقات وتوجيهات مع أنها مصلحة صرفة لهم، فهي أيضاً تعليم لهم كيف يربون أولادهم، ويعلمونهم، ويوجهونهم.

❖ مشاركتها في بعض الوجبات الغذائية مما يُدخل السرور عليهما، والحذر من التشاجر أمامهما؛ فإن ذلك يؤذيها.

❖ الإنفاق عليها إذا احتاجا؛ فالولد من كسب أبيه، وهو وماله لأبيه.

❖ الزيادة في البر بهما، والإحسان إليهما بعد كبرهما؛ لتأكد حاجتهما إلى ذلك في حال الكبر.

❖ صلة رحمهما في حياتهما وبعد مماتهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وإكرام صديقيهما.

❖ مصاحبتهما بالمعروف، والدعاء لهما، والحرص على هدايتهما، ولو كانا كافرين.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا

(١) أخرجه البخاري في الأدب (٥٩٩٩)، ومسلم في التوبة (٢٧٥٤).

مَعْرُوفًا ﴿ [لقمان: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿ [مريم: ٤١-٤٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يدعو أمه إلى الإسلام فتأبى، وأسمعته في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يكره، وجاء يبكي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وسأله أن يدعو الله أن يهدي أم أبي هريرة، فدعا لها، فأسلمت (١).

ج- تفاوت حق الوالدين في البر:

لا خلاف في وجوب البر بكل من الوالدين؛ الأب والأم، وإعطاء كل منهما ما يستحقه من البر، لكن حق الأم أعظم وأعظم وأعظم؛ لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أمك». قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أمك». وفي رواية قال: «من أحق الناس بحسن الصحبة؟ قال: «أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أمك» (٢).

ولهذا فصل صلى الله عليه وسلم في وصيته بالوالدين في حق الأم، فقال تعالى في سورة لقمان: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَلَّهُ فِي عَمَامِينَ ﴿١﴾، ثم قال: ﴿إِنْ أَسْكُرْ لِي وُلُودَيْكَ ﴿ [لقمان: ١٤]، وقال تعالى في سورة الأحقاف: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصَلَّهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴿ [الآية: ١٥].

(١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٩١)، وأحمد ٢/٣١٩ (٨٢٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب (٥٩٧١)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٤٨)، وابن ماجه في الأدب (٣٦٥٨).

(٣) جاء هذا في رواية مسلم صلى الله عليه وسلم.

وإنما عظمَ الشرع حق الأم لما عانته من آلام الحمل والولادة، ومن التعب والسهر على العناية بالولد وحضائته، وإزالة الأذى عنه، وإرضاعه وتربيته.

ومع عظم حق الأم في البر والإحسان، فلا ينبغي أن يكون ذلك على حساب حق الأب في البر، فالبر بالأب من أعظم الواجبات، وحقه من أعظم الحقوق.

فعلية الحمل الأكبر في الإنفاق على الأم، وعلى ولده، وتربيته، وتوجيهه، وتعليمه وتأديبه، فهو يبذل الغالي والنفيس في سبيل تنمية عقول أولاده، وأرواحهم، وأبدانهم، وصلاح أمر دينهم ودنياهم.

ويخطئ أشد الخطأ من ينظرون للناس، ويقارنون بين البر بالأب والبر بالأب، بزعم أن البر بالأب يكون على حساب البر بالأب، أو العكس، فيغمطون الأم حقها الذي أعطاه الشرع لها، أو يغمطون الأب، وهؤلاء يفتقدون العلم، كما يفتقدون الحكمة، وليتهم يسكتون!

وكما يختلف ويتفاوت البر بالوالدين بين الأم والأب، فكذلك يختلف الأولاد في الواجب عليهم من البر، فيجب على القوي والغني والقادر ما لا يجب على الضعيف والفقير والعاجز، ويجب على الابن من حيث العموم ما لا يجب على البنت؛ لأنه أقدر منها؛ لأن البنت وخاصة إذا كانت متزوجة مهيمضة الجناح، كالأسيرة عند زوجها. ومع ذلك تجد البنات غالباً أعظم برّاً من الأبناء بوالديهم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

د- استمرار البر بالوالدين بعد موتهما:

وذلك بالدعاء والاستغفار لهما، والصدقة والحج والعمرة عنهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقيهما، وصلة الرحم التي لا تُوصَل إلا بهما، وغير ذلك.

قال نوح عليه السلام: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [نوح: ٢٨]،

وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: أن سعد بن عبادة رضي الله عنه استفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن أُمي ماتت وعليها نذر؟ فقال: «اقضيه عنها»^(١). وفي رواية: فقال: يا رسول الله، إن أُمي توفيت، وأنا غائب عنها، فهل ينفعها إن تصدقتُ بشيءٍ عنها؟ قال: «نعم» قال: فإني أشهدك أن حائطي المخراف ^(٢) صدقة عليها ^(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن أُمي افتلتت نفسها، ولم توص، وأظنها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجر إن تصدقتُ عنها، ولي أجر؟ قال: «نعم، فتصدق عنها»^(٤).

وعن بُريدة رضي الله عنه، أن امرأة قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: إن أُمي ماتت وكان عليها صوم شهر، أفأصوم عنها؟ قال: «صومي عنها» قالت: إنها لم تحجّ قطُّ، أفأحج عنها؟ قال: «حُجّي عنها»^(٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن أبي مات وترك مالا، ولم يوص، فهل يكفر عنه أن أتصدق عنه؟ قال: «نعم»^(٦).

وعنه رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الرجل لُتُرفِع درجته في الجنة، فيقول: أنى لي

(١) أخرجه مالك في النذور والأيمان (٢/٤٧٢)، والبخاري في الوصايا (٢٧٦١)، ومسلم في النذر (١٦٣٨)، وأبو داود في الأيمان والنذور (٣٣٠٧)، والنسائي في الوصايا (٣٦٥٦، ٣٦٦٣)، وأحمد ٧/٦ (٢٣٨٤٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) «المخراف»؛ أي: المتمر.

(٣) أخرجه البخاري في الوصايا (٢٧٥٦، ٢٧٦٢)، وأحمد ١/٣٣٣ (٣٠٨٠).

(٤) أخرجه مالك في الأفضية (٢/٧٦٠)، والبخاري في الجنائز (١٣٨٨)، ومسلم في الزكاة (١٠٠٤)، وأبو داود في الوصايا (٢٨٨١)، والنسائي في الوصايا (٣٦٤٩)، وابن ماجه في الوصايا (٢٧١٧)، وأحمد ٥١/٦ (٢٤٢٥١).

(٥) أخرجه مسلم في الصيام (١١٤٩)، وأبو داود في الوصايا (٢٨٧٧)، والترمذي في الزكاة (٦٦٧)، وابن ماجه في الصيام (١٧٥٩)، وأحمد ٥/٣٤٩ (٢٢٩٥٦).

(٦) أخرجه مسلم في الوصية (١٦٣٠)، والنسائي في الوصايا (٣٦٥٢)، وابن ماجه في الوصايا (٢٧١٦)، وأحمد ٢/٣٧١ (٨٨٤١).

هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا مات ابنُ آدم انقطع عمله إلا من ثلاث؛ صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(٢).

وعن أبي بُردة قال: قدمت المدينة، فأتاني عبد الله بن عمر فقال: أتدري لم أتيتك؟ قال: قلت: لا. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من أحب أن يصلَ أباه في قبره، فليصل إخوان أبيه بعده»، وإنه كان بين أبي عمر وبين أبيك إخاء وود، فأحببتُ أن أصل ذلك^(٣).

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من البر أن تصل صديق أبيك»^(٤).

ومن حقوق الوالدين بعد موتهما: إنفاذ عهدهما من بعدهما، وتنفيذ وصيتهما، والعمل على إصلاحها وتنميتها؛ ليجري عليهم نفعها وأجر ريعها؛ وذلك واجبٌ على الوصيِّ، فإن لم يقم بذلك، ولم يتبرع للقيام بذلك أحد من الورثة بأجر أو بغير أجر، استؤجر من يقوم عليها من ريعها، ولا تترك فتضيع؛ كما هو حال كثير من الوصايا والأوقاف.

هـ- ثمار البر بالوالدين، وآثار الإحسان إليهما:

يتبين من الآيات والأحاديث الدالة على وجوب الإحسان إلى الوالدين وفضل البر بهما أن بر الوالدين من أوسع أبواب التوفيق للخير والسعادة في الدنيا والآخرة، وثماره عظيمة، وآثاره ومنافعه كثيرة ظاهرة عاجلاً وآجلاً، ومن ذلك ما يأتي:

❖ أنه سبب لإجابة الدعاء وحصول الرحمة.

(١) أخرجه ابن ماجه في الأدب (٣٦٦٠)، وأحمد ٥٠٩/٢ (١٠٦١٠). وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٩٨).

(٢) سبق تحريجه.

(٣) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» ٣٧/١٠ (٥٦٦٩)، وابن حبان ١٧٥/٢ (٤٣٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٤٣٢).

(٤) أخرجه الطبراني في «الأوسط» ٢١٣/٧ (٧٣٠٣). قال الهيثمي في «المجمع» (١٤٧/٨): «رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه عنبة بن عبد الرحمن القرشي وهو متروك». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٠٣).

- ❖ أنه وسيلة للتقرب إلى الله ﷻ لطلب رضاه ودخول جنته، وتفريج الكروب، ودفع الخطوب، والنجاة من المصائب، والخروج من المضائق.
- ❖ أنه سبب للتوفيق والسعادة، وانفتاح أبواب الخير.
- ❖ أنه سبب لنيل أعظم الأجر والثواب.
- ❖ أنه سبب لدخول الجنة، والنجاة من النار.
- ❖ أنه سبب للبركة في العمر والرزق.
- ❖ أنه سبب لبر الأولاد، والذكر الحسن؛ لأن الجزء من جنس العمل.



الوقفه الثانية في: تحريم عقوق الوالدين

أ- عقوق الوالدين من أكبر الكبائر:

عقوق الوالدين محرم، بل من أشد المحرمات، وأكبر الكبائر وأعظم الموبقات، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَدِيهِ أَلَيْسَ لَكُمْ أَنْ تُعَدَّانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَكْبِرَانِ اللَّهُ وَبِكَ ءَامِنُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأحقاف: ١٧، ١٨].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَلَيْسَ لَنَا نَهْرُهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وعن أبي بكره نافع بن الحارث رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين» وجلس وكان متكئاً فقال: «ألا وقول الزور». قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت (١).

(١) سيأتي تحريجه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: ذكرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر، فقال: «الشرك بالله، وعُقوق الوالدين»^(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة منَّان، ولا عاق، ولا مدمن خمر»^(٢).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أكبر الكبائر: شتم الرجل والديه». قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «نعم، يسبُّ الرجل أبا الرجل، فيسبُّ أباه ويسبُّ أمه، فيسبُّ أمه».

وفي رواية: «إن من الكبائر أن يلعن الرجل والديه». قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يسبُّ الرجل أبا الرجل، فيسبُّ أباه ويسبُّ أمه، فيسبُّ أمه»^(٣).

وعن علي رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثه بأربع كلمات: «لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من غيَّر المنار»^(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث دعواتٍ مُستجابات، لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده»^(٥).

ب- الأسباب المؤدية إلى عقوق الوالدين:

وهي كثيرة، منها ما يلي:

(١) أخرجه البخاري في الأدب (٥٩٧٧)، ومسلم في الإيمان (٨٨)، والنسائي في تحريم الدم (٤٠١٠)، والترمذي في البيوع (١٢٠٧)، وأحمد ١٣١/٣ (١٢٣٣٦).

(٢) أخرجه النسائي في الأشربة (٥٦٧٢)، والدارمي ١٥٣/٢ (٢٠٩٣). وصححه الألباني في «الصحيحة» (٦٧٣).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب (٥٩٧٣)، ومسلم في الإيمان (٩٠)، وأبو داود في الأدب (٥١٤١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٠٢)، وأحمد ٢١٦/٢ (٧٠٢٩).

(٤) أخرجه مسلم في الأضاحي (١٩٧٨)، وأحمد ١٠٨/١ (٨٥٥).

(٥) أخرجه أبو داود في الوتر (١٥٣٦)، والترمذي في البر والصلة (١٩٠٥)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٦٢)، وأحمد ٢٥٨/٢ (٧٥١٠). قال الترمذي: «هذا حديث حسن». وحسنه الألباني أيضاً في «صحيح أبي داود» (١٣٧٤).

- ❖ خذلان الله ﷻ للولد، ذكراً كان أو أنثى، وعدم توفيقه له.
- ❖ ضعف الوازع الديني عند الولد، وضعف خوفه من الله تعالى.
- ❖ نكران الجميل الذي أسداه إليه والداه، والمعروف الذي قدّماه له، وأنها سبب وجوده بعد الله في هذه الحياة، وما لاقيا بسببه من المتاعب والمشاق.
- ❖ عدم تدبر الولد ما جاء في القرآن والسنة من عظيم حق الوالدين، وما رتب الله على برهما من الأجر، وما توعد به أهل العقوق.
- ❖ غرور الولد، وسفهه، وجهله في عواقب الأمور، وأن الجزاء من جنس العمل، وكما يدين المرء يدان.

وقد قيل:

- يُقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن^(١)
- ❖ حيلولة أحد الزوجين بين الزوج الآخر وبر والديه، وحمله على عقوقها.
 - ❖ اقتران الولد بصحبة سيئة لا تعينه على البر بوالده، بل تزهد في ذلك.
 - ❖ تقصير الوالدين في تربية أولادهما، وإهمالهما لهم صغاراً، فعقوها كباراً.
 - ❖ كما أن من الأسباب أن يكون الوالد عاقاً لوالديه، وهو من أعظم الأسباب، وأصدقها وقوعاً؛ لأن الجزاء من جنس العمل، وكما يدين المرء يدان، قال ابن الجوزي: «وكان بعض العاقين ضرب أباه وسحبه إلى مكان، فقال له الأب: حسبك، إلى هاهنا سحبتُ أبي!»^(٢).

- ❖ شتم الوالدين بأولاد غيرهما، فيبتليهما الله بعقوق أولادهما جزاءً وفاقاً. وفي الأثر: «لا تُظهر الشماتة لأخيك، فيعافيه الله، أو في ﷻ، ويبتليك»^(٣).

(١) البيت ينسب للأمير يحيى بن علي باشا الإحسائي. انظر: «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» (٤) /

٤٧٥، ٤٧٦). وانظر: «أبيات سارت بها الركبان» ص (٤).

(٢) «صيد الخاطر» ص (٧٣٤).

(٣) أخرجه الترمذي في صفة القيامة (٢٥٠٦). والطبراني في «المعجم الكبير» ٢٢ / ٥٣ (١٢٧)، والبيهقي

❖ وأخيرًا فإن من أعظم الأسباب ما يُنشر عبر وسائل الإعلام والاتصال على اختلافها وتنوعها من التزهيد في حق الوالدين، وإضعاف مكانتهما، ووضعها أحيانًا في قفص الاتهام.

ج- صور من عقوق الوالدين وأشكاله :

صور عقوق الوالدين وأشكاله كثيرة، وهو ضد البر بهما والإحسان إليهما. وكل ما نقص من البر بهما، والإحسان إليهما فهو من العقوق، ومن ذلك ما يأتي:

- ❖ عدم الإحسان إليهما بالقول والفعل والبدل.
- ❖ الإساءة إليهما والأذية لهما بقول أو فعل.
- ❖ التأفف منهما.
- ❖ نهرهما وزجرهما.
- ❖ الجفاء والغلظة معهما، والتكبر عليهما، وعدم توقيرهما واحترامهما وتقديرهما.
- ❖ رفع الصوت عليهما.
- ❖ عدم الرحمة لهما، والعطف عليهما.
- ❖ عدم طاعتها في أمرهما ونهيها بالمعروف.
- ❖ نكران حقهما، ونسيان جميلهما، وعدم الاعتراف بفضلهما وإفضالهما.
- ❖ قطيعتهما وعدم صلتها بالزيارة والسلام والمساعدة، ونحو ذلك في حياتهما، ونسيانها، وعدم تنفيذ عهدهما بعد موتها، وعدم صلة رحمهما.
- ❖ التسبب في لعنهما وشتمهما.

❖ ومن عقوق الوالدين بعد موتها: عدم تنفيذ وصيتها، أو إهمالها، وعدم القيام عليها وإصلاحها وتنميتها والحفاظ عليها، فكم من وصايا وأوقاف من عقارات وغيرها

في «شعب الإيمان» ٥ / ٣١٥ (٦٧٧٧) من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه. قال الترمذي: «حسن غريب». وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٥٤٢٦).

اندثرت وضاعت بسبب إهمال ورثة الميت لها.

د- عقوبات عقوق الوالدين وآثاره:

عقوق الوالدين أمره خطير، وضرره كبير، وعقوباته عظيمة، وآثاره سيئة، وعواقبه وخيمة، عاجلاً وآجلاً، في الدنيا والآخرة، منها ما يأتي:

❖ الوعيد بعدم دخول الجنة، كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة عاق»^(١).

وكما في حديث أبي هريرة وأنس رضي الله عنهما: «رغم أنف امرئ، ثم رغم أنف امرئ، ثم رغم أنف امرئ، أدرك أبويه، أحدهما أو كلاهما، فلم يدخل الجنة»^(٢).

❖ التهديد بدخول النار، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أدرك أبويه، أو أحدهما، فلم يبرهما، فمات، فدخل النار، فأبعده الله. قل: آمين». فقلت: آمين^(٣).

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أدرك أحد أبويه فمات فدخل النار فأبعده الله. قل: آمين». فقلت: آمين^(٤).

❖ أن عقوق الوالدين سبب لعدم التوفيق، وانغلاق أبواب الخير، وفقدان السعادة في الحياة.

❖ أنه سبب لعدم البركة في العمر والرزق.

❖ أنه سبب مؤكّد لعقوق الأولاد؛ لأنّ الجزء من جنس العمل؛ كما قال تعالى:

﴿جَزَاءُ وَفَاءٌ﴾ [النبا: ٢٦].

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٥١).

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٤٦)، وأبو يعلى في «مسنده» ٣٢٨/١٠ (٥٩٢٢)، وابن حبان ١٨٨/٣ (٩٠٧)، والطبراني في «الأوسط» ١١٣/٨ (٨١٣١). وصححه الألباني في تحقيقه على «الأدب المفرد»، و«التعليقات الحسان» (٩٠٤).

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» ٢/٢٤٣ (٢٠٢٢). وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٥).

وهذا أمر معلوم يشهد له الواقع، فكم كان البر سبباً للنجاة والسعادة والتوفيق! وكم كان العقوق سبباً للهلكة والشقاء، وعدم التوفيق!
ومن هنا يُعلم أن إهمال تربية الأولاد، وعدم النصح لهم وتوجيههم عقوق لهم، ينتج عنه لا محالة ويترتب عليه عقوقهم لو لديهم.



الوقفه الثالثة في:

وصيتي للوالدين

جبل الله ﷺ الوالدين على محبة الأولاد، والعطف والشفقة عليهم، والرحمة بهم، وجعلهما ينظران إلى أولادهما أشد من نظر الزارع إلى زرعه، ينتظر استواءه ليقطف ثمرته.
حكمة بالغة؛ ليكثر النسل، ويعمُر الكون، وهو ﷺ العليم الحكيم.
ولكن في كثير من الحالات سرعان ما تتبدد آمال الوالدين، وتضمحل أحلامهما، فلا يجدان من أولادهما ما أملاه فيهم من البر، بل قد يحصل لهما عكس ذلك، ويتمنيان السلامة، فتصير الآمال آلاماً، ويتحول ما أملاه من السعادة بأولادهما، وقرة العين بهم إلى شقاء، وارتفاع في ضغط الدم، وزيادة السكري.
فُتْظَم الدنيا في أعين الوالدين، وتتكدر حياتهما، ويتنكد عيشهما، ويتذكران قول آدم ﷺ - فيما قيل - حينما قتل أحد أولاده أخاه:

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا وَوَجْهُ الْأَرْضِ مُغْبَرٌّ قَبِيحٌ
والإنسان عندما يأتيه المصاب من الآخرين فقد يجد سبباً للانفكاك عنه، والتخلص منهم، وقد يهون عليه ذلك. لكن عندما يأتي المصاب من الولد الذي هو قطعة من والده لا ينفك عنه، فإنه مهمل حاول الوالد أن يتعد عنه ويتناسى فإن الشعور بذلك يبقى يؤرقه، ويكدر عليه عيشه، وينكد عليه حياته، كالعلة في البطن.

وكم من أبٍ وأمٍّ عانى كل منهما الأمرين، وفقدوا لذة الحياة وطعمها بسبب ذلك!
ولهذا أوصيك أيها الوالد؛ أبا كنت أو أمًا بما يأتي:

أولاً: اعلم أيها الوالد أنت وغيرك، أن إلى الله وحده المشتكى، لا إلى غيره، فتعلق به
وحدَه يَكْفِيكَ كل شيء، فيده ﷻ النفع والضرر دون غيره؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ
وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]، وقال تعالى: ﴿لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ﴾ [المتحنة: ٣].

ثانياً: توسّط في توقع البر من الأولاد، ولا ترفع سقف التوقعات، وتأمل في أحوال
الناس من حولك؛ لكي تقنع بما تيسر وتطمئن وترتاح، ولا تذهب نفسك **حسرات**.
ثالثاً: تذكر ما قد يكون سبباً في ضعف البر من الأولاد في نفسك أو لآ، من تقصير
منك في تربيتهم، أو عقوق منك لوالديك؛ فالجزاء من جنس العمل، واسأل الله العفو
والعافية.

رابعاً: تذكر أيضاً ما يمر به الأولاد من طفولة، ثم مراهقة قد تطول أحياناً عند
البعض، يكون فيها الشباب أحياناً كالسكران، أو فاقد العقل.
وتذكر أيضاً: ما ابتلي به الناس من أمور وبلبات قصرها بسببها حتى في حق خالقهم
ومالكهم ومدبرهم ومربيهم بسائر النعم، يهن عليك الأمر.

خامساً: اعلم قلة الشاكرين حتى لربهم، كما قال ﷻ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾
[سبأ: ١٣]، كما أن المؤمن منهم قليل، والضال كثير، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]،
وقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَطْعَمَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَبْغُوكَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّهُمْ إِلَّا
بِغْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

سادساً: ينبغي أن يعلم الوالد: أن الولد لا يحمل من المشاعر، والأحاسيس، والمحبة،
والعطف، والشفقة تجاه والده مثل ما يحمله الوالد تجاهه، وشتان بين الثرى والثرياً! وكما
يقال: «قلبي على ولدي أنفطر، وقلبي ولدي عليّ حَجَر»!

فمن تأمل في هذه الأمور الستة وغيرها، هان عليه الأمر، وقنع بما تيسر من البر، وصبر على ضد ذلك، والعاقبة للمتقين.

وأخيراً: همسة للولد:

تذكر أيها الولد- بارك الله فيك ووفقك الله وهداك- أن الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان، كما قال تعالى: ﴿جَزَاءُ وِفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

واعلم أن ما فعلت سيفعل معك برًّا أو عقوفاً، وأن برك بوالديك دين يسدّد عاجله أولادك لك في حياتك، كما في الأثر: «بَرُّوا آبَاءَكُمْ تَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ»^(١).

مع ما رتب الله ﷻ لك على ذلك من التوفيق، وعظيم الأجر والثواب في الدنيا والآخرة.



وقفة في: وجوب حفظ السمع والبصر والفؤاد

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ

مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]

هذه الجوارح الثلاث من أعظم ما امتن الله به على العباد كما أوضح ذلك في كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾

[الملك: ٢٣].

وإنما خص الله ﷻ هذه الجوارح الثلاث؛ لفضلها وعظيم أثرها؛ نفعاً أو ضرراً. فالسمع والبصر طريقاً وصول العلم والمعرفة والحق إلى القلوب، والقلوب هي محل الإدراك والفهم والعقل، ومناطق التكليف، وعليها مدار صلاح الأعمال وفسادها، كما جاء في الحديث (١).

وقد أكد ﷻ وجوب حفظ هذه الجوارح الثلاث، ونهى الإنسان عن اتباع ما ليس له به علم، وأكد مسؤوليتها ومسؤولية الإنسان عنها؛ فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ

عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقدم ﷻ في الآيات ذكر السمع والبصر على ذكر الفؤاد؛ لأن السمع والبصر - كما تقدم - هما طريقاً وصول العلم والمعرفة إلى القلب، وإلا فإن القلب هو سيد الأعضاء

(١) وهو قوله ﷻ: «(ألا إن في الجسد مضغة)، وسيأتي تخرجه قريباً.

ورئيسها والحاكم عليها ومدبرها، وبه صلاحها أو فسادها، وصلاح البدن كله أو فسادها، كما جاء في الحديث.

كما قدّم ﷺ السمع على البصر؛ لأن السمع أوسع وأعم من البصر. وحفظ هذه الجوارح كل بحسبه.

فالسمع يُحفظ من الاستماع إلى ما حرم الله تعالى: من الكلام الباطل والكفر.

ومن الاستهزاء بالله تعالى ورسوله ﷺ وآياته وبالحق وأهله، ونحو ذلك. ومن استماع الغيبة، والنميمة، والكذب، والزور.

ومن استماع حديث قوم وهم له كارهون، قال ﷺ: «من استمع إلى حديث قوم يكرهونه صُبَّ في أذنيه الأنك يوم القيامة»^(١)؛ وهو الرصاص المذاب.

ومن استماع الغناء والمزامير ونحو ذلك.

والبصر يُحفظ من النظر إلى المحرم، وما لا يجوز النظر إليه، فيحفظ الرجال أبصارهم عن النظر إلى النساء الأجنبية، وتحفظ النساء أبصارهن عن النظر إلى الرجال الأجانب، ويحفظ الجميع أبصارهم عن كل ما يُعرض على الشاشات من الفحش، والعُري، والفجور، ونحو ذلك، وعن كل ما يثير الفتنة، من النظر إلى المُردان، ومن النظر إلى المرأة بشهوة، ونحو ذلك.

كما يحفظ الجميع أبصارهم عن النظر إلى ما لا فائدة في النظر إليه من أحوال الناس الخاصة، وأموالهم، وممتلكاتهم، ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَحَفْظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾^(٢) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿٣١﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

وغض البصر: خفضه إلى الأرض، أو صرفه يمينا وشمالاً، وكفه عن النظر إلى

(١) أخرجه البخاري في التعبير (٧٠٤٢)، وأبو داود في الأدب (٥٠٢٤)، والترمذي في اللباس (١٧٥١)، وأحمد ١/٣٥٩ (٣٣٨٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

المحرمات، وما لا ينبغي النظر إليه.

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ حَايَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفُجاءة، فأمرني أن أصرف بصري ^(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والجلوس في الطرقات» قالوا: يا رسول الله، ما لنا بُدُّ من مجالسنا نتحدث فيها. قال: «إذا أبيتُم إلا المجالس، فأعطوا الطريق حقها». قالوا: وما حق الطريق؟ قال: «غصُّ البصر، وكفُّ الأذى، وردُّ السلام، وأمرٌ بالمعروف، ونهيٌ عن المنكر» ^(٢).

وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله أن حفظ البصر عن الصور التي تُهي عن النظر إليها؛ كالمرأة، والأمرد الحسن، يُورث ثلاث فوائد جليلة: «حلاوة الإيمان، التي هي أحلى وأطيب مما تركه الله، فإن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، وثانيها: نور القلب وفراسته، وثالثها: قوة القلب وثباته وشجاعته» ^(٣).

قال الشاعر:

كُلُّ الحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النِّظَرِ	وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرِّ
كَمْ نَظْرَةٌ فَتَكَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا	فَتَكَتِ السَّهَامُ بِلا قَوْسٍ وَلَا وَتَرٍ
والمَرْءُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يَقْلِبُهَا	فِي أَعْيُنِ الغَيْدِ مَوْقُوفٌ عَلَى الخَطَرِ
يُسِرُّ مُقْلَتَهُ مَا ضَرَّ مُهْجَتَهُ	لَا مَرْحَبًا بِسُرُورٍ عَادَ بِالضَّرِّ ^(٤)

والفؤاد- وهو القلب- يُحفظ من أمراض القلوب كلها، ومن الفساد، الذي به فساد الجسد كله، كما قال رضي الله عنه: «ألا إن في الجسد مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا

(١) أخرجه مسلم في الآداب (٢١٥٩)، وأبو داود في النكاح (٢١٤٨)، والترمذي في الأدب (٢٧٧٦)، وأحمد (١٩١٦٠) ٣٥٨/٤.

(٢) أخرجه البخاري في المظالم (٢٤٦٥)، ومسلم في اللباس (٢١٢١)، وأبو داود في الأدب (٤٨١٥).

(٣) انظر: «دقائق التفسير» ٤/٤٦٦-٤٦٩ (٤) انظر: «التفسير القيم» ص (٦٢٤-٦٢٩).

فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»^(١).

فيحفظ القلب من مرض الشبهة، والشك، والكفر، والنفاق، ونحو ذلك.

ويحفظ من مرض الشهوة بأنواعه الثلاثة: شهوة البطن، وشهوة الفرج، وشهوة اتباع الهوى، قال تعالى منكرًا ومحذرًا: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].

ويحفظ من الكبر، والإعجاب، والغل والحقد والحسد، والعداوة والبغضاء والشحناء والغش، وسوء الظن ونحو ذلك.

ويتمثل ذلك كله في صدق الإيمان بالله ﷻ، والإخلاص له، والاستقامة على دينه وشرعه، وخوفه ورجائه، وملازمة العبد دعاء ربه، وسؤاله انشراح صدره، وثبات قلبه، وصلاحه وسلامته، وفي تعاهد قلبه ومراقبته، والحرص على سلامته، وفي إفشاء السلام، والنصح للمسلمين، ومحبة الخير لهم، وحسن الظن بهم، والتماس الأعذار، وإقالة العثرات، والتغافل عن الزلات، والحرص على إصلاح ذات البين بين المسلمين، مع قوة الرجاء فيما وعد الله به سليم القلب من الأجر العظيم، والثواب الجزيل، والحياة السعيدة، والتوفيق في الدين والدنيا والآخرة.

وفي «عون الرحمن» في تفسير قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ آمَنَ أَنَّى اللَّهُ يَقْلِبُ سُلَيْمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩] - بسط الكلام في أسباب سلامة القلب، وانشراح الصدر، وفضيلة ذلك.



(١) أخرجه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، وأبو داود في البيوع (٣٣٢٩)، والنسائي في البيوع (٤٤٥٣)، والترمذي في البيوع (١٢٠٥)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٨٤) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

وقفات ثلاث في: الرقية الشرعية

قال الله تعالى: ﴿ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]

الوقفة الأولى:

حكم الرقية الشرعية وصفتها

أ- حكم الرقية الشرعية:

الرقية الشرعية مستحبة بدلالة القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة.

قال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ

لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ

إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا بِهِ هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ [فصلت: ٤٤].

فبين ﷺ أن القرآن الكريم شفاء لما في الصدور، وشفاء للمؤمنين، فهو شفاء لأمراض القلوب والأبدان المعنوية والحسية والنفسية، وفي هذا دلالة على مشروعية الاستشفاء به من كل داء.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه: أن جبريل رضي الله عنه رقى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفسٍ، أو عين حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك»^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنتُ أقرأ عليه، وأمسح عنه بيده، رجاءً بركتها^(٢).

(١) أخرجه مسلم في السلام (٢١٨٦)، والترمذي في الجنائز (٩٧٢)، وابن ماجه في الطب (٣٥٢٣)، وأحمد

٢٨/٣ (١١٢٢٥).

(٢) أخرجه البخاري في فضائل القرآن (٥٠١٦)، ومسلم في السلام (٢١٩٢)، وأحمد ١١٤/٦ (٢٤٨٣١).

وعنها عليه السلام قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا آوى إلى فراشه كل ليلة، جمع كفيه ثم نفث فيهما، فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات (١).

وعنها عليه السلام قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات، فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه، وأمسحه بيد نفسه؛ لأنها أعظم بركة من يدي (٢).

وعنها عليه السلام قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى مريضاً يدعو له، قال: «أذهبِ الباس، ربَّ الناس، واشفِ أنتَ الشافي، لا شفاءَ إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقماً» (٣).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لدغْتُ رجلاً منا عقرب، ونحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رجل: يا رسول الله، أرقني؟ قال: «مَنْ استطاع أن ينفَعَ أخاه فليفعل» (٤).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا في مسير لنا فنزلنا، فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحي سليم (٥)، وإن نفرنا غيب، فهل منكم راقٍ؟ فقام معها رجل ما كنا نأبئه (٦) برقية، فرقاه، فبرأ، فأمر لنا بثلاثين شاةً، وسقانا لبناً، فلما رجع قلنا له: أكنت تُحسن رقية، أو كنت ترقي؟ قال: لا، ما رقيت إلا بأم الكتاب. فقلنا: لا تحدثوا شيئاً حتى نأتي أو نسأل النبي صلى الله عليه وسلم. فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال صلى الله عليه وسلم: «وما يدرية أنها رقية؟»

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن (٥٠١٧)، وأبو داود في النوم (٥٠٥٦)، والترمذي في الدعوات (٣٤٠٢)، وأحمد ١١٦/٦ (٢٤٨٥٣).

(٢) أخرجه البخاري في المرضى (٥٦٧٥)، ومسلم في السلام (٢١٩١)، وابن ماجه في الجناز (١٦١٩).

(٣) أخرجه مسلم في السلام (٢١٩٢).

(٤) أخرجه مسلم في السلام (٢١٩٩)، وأحمد ٣/٣٠٢ (١٤٢٣١).

(٥) سليم؛ أي: لديغ، وكان العرب يسمون اللديغ سليماً؛ تفاؤلاً بسلامته، وهو في الغالب هليك.

(٦) نأبئه؛ أي: نعلم أنه يرقي فنعيه بذلك، «النهاية» مادة «أب».

اقسموا، واضربوا لي بسهم»^(١).

ومن هذا الحديث أخذ أهل العلم جواز أخذ الأجرة على الرقية.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء»^(٢).

وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لكل داءٍ دواء، فإذا أصيب دواءُ الداءِ برأ بإذن الله تعالى»^(٣).

فهذه النصوص كلها تدل على مشروعية طلب الشفاء واستجابته، والتداوي بالرقية الشرعية، وبمراجعة الأطباء المختصين، وغير ذلك من الأسباب المباحة.

ب- صفة الرقية الشرعية:

الرقية الشرعية هي ما كان بالآيات القرآنية، والأدعية النبوية الصحيحة كما في الأحاديث السابقة، وغيرها.

وذلك بقراءة الفاتحة وتكرارها سبع مرات، وقراءة آية الكرسي، وما تيسر من القرآن، وقراءة سورة الإخلاص، والمعوذتين، وتكرارها ثلاثاً، وينفث على المريض على محل المرض، ويمسح عليه بيده.

ويدعو بقوله: «باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفسٍ أو عينٍ حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك».

ويقوله: «أذهب الباس، ربَّ الناس، واشفِ أنتَ الشافي، لا شفاءَ إلا شفاؤك، شفاءً لا يُغادر سقماً».

وإن دعا ببعض الأدعية المأثورة عن السلف، وغيرها مما لا محذور فيه، فلا بأس بذلك.

(١) أخرجه البخاري في الإجارة (٢٢٧٦)، وفي فضائل القرآن (٥٠٠٧)، ومسلم في السلام (٢٢٠١)، وأبو داود في البيوع (٣٤١٨، ٣٤١٩)، والترمذي في الطب (٢٠٦٣، ٢٠٦٤)، وابن ماجه في الإجازات (٢١٥٦).

(٢) أخرجه البخاري في الطب (٥١٧٨)، وابن ماجه في الطب (٣٤٣٩).

(٣) أخرجه مسلم في السلام (٢٢٠٤)، وأحمد ٣/٣٣٥ (١٤٥٩٧).

سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته عن الأدعية التي تُقرأ على المريض، فأجاب رحمته بقوله:

«ينفث على المريض على محل المرض، ويدعو له، ينفث عليه من ريقه، ويقرأ الفاتحة، ويكررها سبع مرات، ويقرأ آية الكرسي، ويقرأ ما تيسر من القرآن، ويقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، والمعوذتين، يكررها ثلاثاً.

هذه هي الرقية، وينفث معها ويدعو: «اللهم أذهبِ البأس، ربَّ الناس، واشفِ أنتَ الشافي، لا شفاءَ إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقماً»؛ كما فعله النبي ﷺ، ويقول: «باسمِ الله أريقك، من كل شرٍّ يؤذيك، من شرِّ كلِّ نفس، أو عين حاسد، الله يشفيك، باسمِ الله أريقك». هكذا رَفَى جبرائيلُ النبي ﷺ كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

فكل هذا حسن، وإذا قال: «اللهم اشفِه، اللهم عافِه، اللهم يسِّر له العافية». والدعوات المناسبة، لا بأس^(١).

الوقفه الثانية:

ما ينبغي للمريض

ينبغي للمريض الأمور التالية:

أولاً: ينبغي للمريض أن يكون أول باب يطرقه لطلب الشفاء باب المهيمن ﷻ، الذي لا يرد من دعاه، ولا يخيب من رجاءه، ولا يضام ولا يضار من توكل عليه ولاذ بحماه، الذي قال وقوله الحق: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾

(١) «فتاوى نور على الدرب»، عناية الشويعر ١ / ٣٢٩ - ٣٣٠، و«العلاج والرقى الشرعية والشركية

[البقرة: ١٨٦]، وقال تعالى: ﴿أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنْ أَلَيْتُمْ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

فله ﷺ الخلق والأمر، وهو الشافي، وهو الكافي، وهو المعافي، كما قال خليل الرحمن ﷺ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

وهو ﷺ الحافظ الواقعي، كما قال يعقوب ﷺ: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

فلا يليق أن يُطَرَّقَ باب قبل بابه ﷺ لطلب الشفاء أو غيره.

ثانياً: أن يعلم المريض وغيره أن القرآن الكريم شفاء من كل داء، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي بِنَافْسِهِ يَنْفَخُ النَّفْسَ فِي الْحَيَاةِ وَجَعَلَ لَكُم مِّن دُونِهَا آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

فيكثر من قراءة القرآن، ويرقي نفسه بالرقية الشرعية، فيقرأ حسب قدرته، وينفث على نفسه، ويدعو الله ﷻ، ويسأله أن يشفيه ويعافيه.

وقراءة الإنسان على نفسه أولى وأفضل من قراءة غيره عليه، وأحرى وأقرب للشفاء بإذن الله تعالى مع الإخلاص، وصدق اللجوء إلى الله تعالى، والانطراح بين يديه.

وقد سُئِلَ سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ﷺ: ماذا يقول الإنسان إذا أراد أن يرقى نفسه؟

فأجاب ﷺ بقوله: «يقول ما أرشد إليه النبي ﷺ بقول: «رَبِّ النَّاسِ، أَذْهَبِ الْبَاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِي نَفْسِي مِنْ كُلِّ شَرٍ يُؤْذِينِي، وَمِنْ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِينِي»». ويتعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»^(١).

ثالثاً: لا بأس أن يبحث المريض عن من يرقيه من أهل الصلاح والتقى والورع والخوف من الله ﷻ، الذين يلتزمون بضوابط القراءة الشرعية، والذين تنفع قراءتهم وتؤثر بإذن الله ﷻ.

(١) انظر: «العلاج والرقى الشرعية والشركية والبدعية» ص ٦١، ٦٢.

رابعاً: يحسن بالمريض أن يجمع بين العلاج بالقرآن والرقية الشرعية، وبين مراجعة الأطباء المختصين بالأمراض البدنية والنفسية، فقد قال ﷺ: «ما أنزل الله داءً إلا وأنزل له شفاءً»، وقال ﷺ: «لكل داءٍ دواء، فإذا أُصِيبَ دواءُ الداءِ برأ بإذن الله تعالى»^(١).
فيجتمع العلاجان الشرعي والطبي، فيحصل الشفاء بإذن الله ﷻ.

الوقفه الثالثة: ما ينبغي للراقي

ينبغي للراقي مراعاة عدة أمور، من أهمها ما يأتي:
أولاً: ينبغي للراقي أن يكون على درجة من الصلاح، والتقوى، والورع، والخوف من الله ﷻ، ومحاسبة النفس، والإخلاص، وحسن النية، والحرص على نفع من يتردد إليه من المرضى، والصدق في الدعاء لهم بالشفاء.
ثانياً: ينبغي للراقي الالتزام بضوابط الرقية الشرعية بكونها بالقرآن الكريم، والأدعية الثابتة بالأحاديث الصحيحة، والآثار الواردة عن السلف، أو غيرها مما لا محذور فيه، فهذا أسلم له، وأنفع للمريض، وأقرب للشفاء بإذن الله ﷻ.
ثالثاً: يحسن بالراقي أن يطلب الأجر من الله تعالى، ويقصد بعمله نفع إخوانه، كما قال ﷺ: «من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل»^(٢).

وهذا أولى وأفضل وأحرى بحصول الشفاء، وما عند الله خير وأبقى.
وللراقي أخذ الأجرة على الرقية؛ لقوله ﷺ للصحابه ﷺ لما استأذنه في أخذ القطيع من الغنم الذي جعل لهم جعلاً، مقابل قراءتهم على اللديغ، قال ﷺ: «وما يدرية أنها رقية؟ اقسِموا، واضربوا لي بسهم»^(٣).

(٢) سبق تخريجه.

(١) سبق تخريجها.

(٣) سبق تخريجه.

رابعاً: على الراقي أن يحرص على توجيه المريض إلى التعلق بالله ﷻ، وأن يعظم رجاءه بربه، ويستبشر خيراً بأن الله ﷻ سيسفيه، ويعافيه، فهذا بإذن الله تعالى يخفف عليه المرض، ويعينه بتوفيق الله تعالى على تحمله، ومقاومته، ومن ثم بإذن الله زواله وشفاءه، وهو بهذا التوجيه مأجور بإذن الله ﷻ.

خامساً: على الراقي الاحتياط كل الاحتياط لسلامة دينه وعقيدته، والحذر كل الحذر مما يقع فيه بعض الرقاة - هداهم الله - من إيها المريض بأن فيه سحراً أو عيناً أو مساً، وربما تدرج الأمر ببعضهم بزعم أن الذي عمل لك السحر أو الذي أصابك بالعين فلان أو فلانة، وهذا أمر محرّم لا يجوز؛ لما فيه من المحاذير والمفاسد العظيمة، ومن ذلك ما يلي:

الأول: أنه رجم بالغيب، وهو كبيرة من كبائر الذنوب، بل يُخشى على قائله ما هو أشد من ذلك؛ لأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال تعالى عن خدمة سليمان ﷺ من الجن: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤].

الثاني: أن في هذا ظلمًا لمن اتهم بهذا العمل، بغير بينة، ولا دليل صحيح، وإنما لمجرد تخمينات وتخرصات وتوقعات وهمية، والظلم ظلمات يوم القيامة.

الثالث: أن في هذا إفسادًا للعلاقات الاجتماعية بين الأقارب والجيران والإخوان والأصدقاء والمعارف، وإيغار صدور بعضهم على بعض، مما يصعب جبره كما قيل:

إن القلوب إذا تنافر وُدُّها شبه الزجاج كسرُها لا يُجبر^(١)

وقد قال ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا»^(٢).

(١) البيت لصالح بن عبد القدوس، أو لعلي ﷺ. انظر: «اللطائف والظرائف» لأبي منصور الثعالبي (ص ١٩٦)، و«السحر الحلال في الحكم والأمثال» لأحمد بن إبراهيم الهاشمي ص (٦٨).

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان (٥٤)، وأبو داود في الأدب (٥١٩٣)، والترمذي في الاستئذان والآداب (٢٦٨٨)، وابن ماجه في المقدمة (٦٨) من حديث أبي هريرة ﷺ. وأخرجه الترمذي في صفة الجنة والقيامة والورع (٢٥١٠) من حديث الزبير بن العوام ﷺ.

وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(١).

رابعاً: أن في هذا الأمر إدخالاً للمريض المسكين في دوامة لا يعلمها إلا الله تعالى، قد لا يخرج منها طول حياته؛ من الوسوس والأوهام، والشكوك بمن حوله، نسأل الله الهداية والعافية والسلامة.



وقفات أربع في: الصديق والأصدقاء

قال الله تعالى: ﴿أَوْصِدِّيقَكُمْ﴾ [النور: ٦١]

الوقفه الأولى في: مكانة الصديق في الإسلام، وقيمته

الدين الإسلامي دين المثل العليا، والمبادئ السامية، دين الوفاء والصفاء، واحترام العهود والعقود، وإعطاء كل ذي حق حقه؛ ولهذا رفع مكانة الصديق، وعظّمها، وجعل حقه من أكد الحقوق وأهمها، ولا أدل على هذا من إباحة الإسلام للإنسان أن يأكل من بيت صديقه، كما يأكل من بيته، وبيت أبيه، وبيت أمه، وبيوت أقاربه، قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُم مَّفَاحِلُهُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ [النور: ٦١].

وأمر ﷺ بالإحسان إلى الصاحب بالجنب في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ [النساء: ٣٦]، وقد ذهب غير واحد من المفسرين إلى أن المراد به: الصديق، أو الصاحب في السفر.

وحدث صلوات الله وسلامه على الجليس الصالح كما سيأتي، قال جعفر بن محمد رضي الله عنه: «صحبة عشرين يوماً قرابة»^(١).

وتقول العرب: «الصديق إحدى القربتين»^(٢)، وقال أعرابي: «الصدّاقه قرابة

(١) انظر: «الصدّاقه والصديق» ص ٣٩.

(٢) المصدر السابق ص ١٢٨.

مستفادة»^(١). وقال شبيب بن شيبية: «إخوان الصدق خير مكاسب الدنيا، هم زينة في الرخاء، وُعْدَةٌ في البلاء»^(٢).

وقال بلال بن سعد: «أخ لك كلما لقيك ذكرك برؤيته برّبك، خير لك من أخ لك كلما لقيك وضع في كفك دينارًا»^(٣).

وسئل حكيم عن الصديق، فقال: «إنسان هو أنت، إلا أنه بالشخص غيرك»^(٤).
فإذا وجد الإنسان أصدقاء ذوي ثقة، وجد بهم عيونًا وأذانًا وقلوبًا كلها له.



الوقف الثانية في: حاجة الإنسان إلى الصديق

الصديق مَنْ تَصَدَّقَ فِي مَوَدَّتِكَ لَهُ، وَيَصَدِّقُكَ فِي مَوَدَّتِهِ لَكَ، وَالصَّدَاقَةُ أَمْرٌ جَبَلِيٌّ بَيْنَ الْبَشَرِ، بَلْ إِنَّهَا مَوْجُودَةٌ بَيْنَ الْحَيَوَانَاتِ.

والإنسان مدني بالطبع، لا يعيش وحده؛ ولهذا لا بد من صديقٍ أو أكثر؛ يأنس به، ويقضي معه بعض أوقات فراغه وراحته، ويشاركه في آماله وآلامه، ويعينه على أمر دينه ودنياه وآخره، ولا طعم للحياة ولا لذة لها بدون صديق، كما قال الشافعي رحمه الله^(٥):

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَكُنْ بِهَا صَدِيقٌ صَدُوقٌ صَادِقٌ الْوَعْدِ مُنْصِفًا

لأن تقلب الحياة بين السراء والضراء، والشدة والرخاء، يجعل الإنسان بأمس الحاجة إلى صديق يبثه أشجانه وتطلعاته، ويستشير، ويفضي إليه بسره، ويشاركه في سروره وأفراحه، ويخفف عنه آلامه؛ بقوله الطيب، الذي يدخل السرور على قلبه، ويشرح صدره، ويهون عليه مُصَابَهُ، وبفعله الحقيقي الذي يواسيه ويمدده به.

(٢) المصدر السابق ص ٥٦.

(٤) المصدر السابق ص ٦٩.

(١) المصدر السابق ص ٢٦٣.

(٣) المصدر السابق ص ٩٩.

(٥) انظر: «ديوانه» ص ٨٥.

كما قال أكتثم بن صيفي: «العيش في سبعة أشياء: «الولد البار، والزوجة الصالحة، والأخ المساعد، والخادم العاقل، والعافية السابغة، والقوت الكافي، والأمن الشامل»^(١).
وقال أعرابي: «الغريب مَنْ ليس له حبيب»^(٢).
وقال الخليل: «الرجل بلا صديق، كاليمين بلا شهاد»^(٣).
وقال الشاعر^(٤):

لَعَمْرُكَ مَا مَالِ الْفَتَى بِذَخِيرَةٍ وَلَكِنْ إِخْوَانِ الثَّقَاتِ الذَّخَائِرِ
وقال المتنبي^(٥):

شَرَّ الْبِلَادِ مَكَانٌ لَا صَدِيقَ بِهِ وَشَرُّ مَا يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ مَا يَصِمُّ
وحاجات الإنسان إلى صديقه كثيرة، قد تفوق حاجاته إلى غيره، من أقرب الأقربين إليه، ومن أهمها ما يلي:

❖ عونه له على تقوى الله تعالى، وتشجيعه له على المسارعة إلى الخير، والمسابقة إليه، والمنافسة فيه.

❖ أنسه به، وقضاؤه معه أوقات فراغه وراحته، ومشاركته له في أفراحه ومسراته.
❖ عونه له على أمور دنياه، وعلى ظروف الحياة ومتاعها، ومشاركته له تطلعاته وآماله، وتخفيف آلامه ومصابه.

❖ إرشاده له وتعليمه ما أشكل عليه، ونصحه، وتنبئيه إلى ما خفي عليه، كما ثبت في الحديث أن سلمان الفارسي زار أخاه أبا الدرداء رضي الله عنه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد آخى بينهما. فوجد سلمان رضي الله عنه أم الدرداء رضي الله عنها متبدلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا، فقال: كُلْ. قال: فإنني صائم.

(١) انظر: «الصدقة والصديق» ص (٢٦٧).

(٢) المصدر السابق ص (٣٩).

(٣) المصدر السابق ص (٤٥).

(٤) البيت بلا نسبة في: «المحاسن والأضداد» (ص ٧٣)، و«ربيع الأبرار» (١ / ٣٨٩).

(٥) انظر: «ديوانه» (ص ٣٣٣).

قال: ما أنا بأكلٍ حتى تأكل. قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم. فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم. فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن. فصلياً. فقال له سلمان: «إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه». فأتى النبي ﷺ فذكر له، فقال النبي ﷺ: «صَدَقَ سلمانُ»^(١).

وذكر أحد الثقات أن أحد الإخوة تنكرت له أم أولاده بعد عشرة طيبة طويلة، فشق ذلك عليه، واستشار أحد إخوانه من ذوي العقل والمعرفة، فقال له: كيف حالك معها في أمر النساء؟ فقال: لقد ركبني ديون وهموم حتى أصبحت لا أهنأ بنوم، فكيف بأمر النساء، أي: ليس لي فيه عهد منذ زمن طويل، فقال أخوه: هذا هو السبب فيما حصل من زوجتك، فعاد الزوج معها في هذا الأمر بما تيسر له من أسباب، فعادت العشرة الطيبة بينهما. والأمثلة على هذا كثيرة جداً.

الوقفه الثالثة في:

اختيار الصديق

اختيار الصديق واستخلافه ليس بالأمر السهل، ولا البسيط؛ لأن من يظهر الصداقة في الناس كثير، لكن الصديق الوفي منهم قليل، ولهذا نجد القرآن الكريم أفرد الصديق في قوله تعالى: ﴿أَوْصِيكُمْ﴾، في حين أن ما قبله في الآية جاء على صيغة الجمع.

كما أفرد الصديق في قول أهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾^(١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ [الشعراء ١٠٠]، [١٠١]، قال المفسرون: وفي هذا إشارة إلى قلة الصديق المخلص.

قال أعرابي: «الصاحب كالرقعة في الثوب، فلينظر الرجل بم يرقعه»^(٢). وقال إبراهيم بن أدهم: «أنا منذ عشرين سنة في طلب أخ إذا غضب لم يقل إلا الحق،

(١) أخرجه البخاري في الصوم (١٩٦٨)، والترمذي في الزهد (٢٤١٣) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «الصداقة والصديق» ص ٣٥٢.

فما أجده»^(١).

وقيل لحكيم: من أطول الناس سفرًا؟ قال: «من سافر في طلب صديق»^(٢).

وقال الشاعر:

إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ فِي الزَّمَانِ مُهَذَّبًا فَنِيَّ الزَّمَانِ وَأَنْتَ فِي الطَّلِبَاتِ!^(٣)

وقال الآخر:

وَإِذَا صَفَا لَكَ مِنْ زَمَانِكَ وَاحِدٌ فَهُوَ الْمَرَادُ وَعِشْ بِذَلِكَ الْوَاحِدِ^(٤)

وقال اليزيدي:

أَلَا إِنَّ إِخْوَانَ الصَّفَاءِ قَلِيلٌ فَهَلْ لِي إِلَى ذَاكَ الْقَلِيلِ سَبِيلٌ؟
قِسِ النَّاسَ تَعْرِفْ غَثَّهُمْ وَسَمِينَهُمْ فَكُلٌّ عَلَيْهِ شَاهِدٌ وَدَلِيلٌ^(٥)

وقال الآخر:

الْأَخْلَاءُ فِي الرِّخَاءِ كَثِيرٌ فَإِذَا مَا بَلَوْتَ كَانُوا قَلِيلًا
وَإِذَا مَا أَصَبْتَ خَلَا حَفِيفًا رَاعِيًا لِلْإِخَاءِ بَرًّا وَصَوْلًا
فَتَمَسَّكَ بِحَبْلِهِ أَبَدَ الدَّهْرِ رَ وَأَكْرَمَ بِهِ أَخًا وَخَلِيلًا^(٦)

وقال الآخر:

وَمَا بَقِيَتْ مِنَ اللَّذَاتِ إِلَّا مُحَادَثَةُ الرِّجَالِ ذَوِي الْعُقُولِ
وَقَدْ كَانُوا إِذَا عُودُوا قَلِيلًا فَقَدْ صَارُوا أَقْلَ مِنَ الْقَلِيلِ^(٧)

ولهذا يجب أن يُعنى المرء كل العناية بمن يختاره صديقًا، ويصطفيه، ويستخلصه، من ذوي الخلق النبيل، والأدب الرفيع، والصفات الكريمة، والخصال الحميدة، والتقى والصلاح، وأن تُبنى الصداقة على أساس متين من المحبة في الله تعالى، والتعاون على

(١) المصدر السابق ص ٤٧.

(٢) المصدر السابق ص ٦٨.

(٣) المصدر السابق ص ٢٦١.

(٤) المصدر السابق ص ١٣٥.

(٥) المصدر السابق ص ١٣٠.

(٦) المصدر السابق ص ٢٦٩.

(٧) المصدر السابق ص ٩٥.

البر، والتقوى، والصدق، والإخلاص، بعيداً عن الأهداف المادية، التي تنقطع الصداقة بزوالها، وربما انقلبت عداوة.

قال تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، قال ابن كثير^(١): «أي: كل صداقة وصحابة لغير الله، فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة، إلا ما كان لله ﷻ، فإنه دائم بدوامه».

وقال ﷺ: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء؛ كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يُحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبةً، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثةً»^(٢).

وقال ﷺ: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل»^(٣).

وقال ﷺ: «لا تصحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي»^(٤).

وذكر ﷺ من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه»^(٥).

قال الشاعر:

(١) في «تفسيره» ٧/ ٢٢٤.

(٢) أخرجه البخاري في الذبائح والصيد (٥٥٣٤)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٦٢٨)، وأحمد ٤/ ٤٠٤ (١٩٦٢٤) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ. وأخرجه أبو داود في الأدب (٤٨٢٩) من حديث أنس ﷺ.

(٣) أخرجه أبو داود في الأدب (٤٨٣٣)، والترمذي في الزهد (٢٣٧٨)، وأحمد ٢/ ٣٠٣، ٣٣٤ (٨٠٢٨)، ٨٤١٧ من حديث أبي هريرة ﷺ. قال الترمذي: «حسن غريب». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٢٧).

(٤) أخرجه أبو داود في الأدب (٤٨٣٢)، والترمذي في الزهد (٢٣٩٥)، والدارمي ٢/ ١٤٠ (٢٠٥٧)، وأحمد ٣/ ٣٨ (١١٣٣٧)، وابن حبان ٢/ ٣١٥ (٥٥٥) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ. وحسنه الألباني في «التعليقات الحسان» (٥٥٦)، و«صحيح الجامع» (٧٣٤٠).

(٥) أخرجه مالك في الشعر (٩٥٢/٢)، والبخاري في الأذان (٦٦٠)، ومسلم في الزكاة (١٠٣١)، والنسائي في آداب القضاة (٥٣٨٠)، والترمذي في الزهد (٢٣٩١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

كن ما استطعت عن الأنام بمَعزِلٍ إن الكثير من الورى لا يُصحبُ
واجعلْ جَلِيسَكَ سِيدًا تحظى به حَبْرٌ لَبِيبٌ عاقلٌ متأدّبٌ (١)

وقال الآخر:

اختر صديقك واصطفيه تفاعُحًا إنَّ القَرينَ إلى المُقارنِ يُنسبُ
فعلى العاقل اللبيب أن يختار من الأصحاب والأصدقاء من كان عونًا له على
تقوى الله، وعلى جميع أمور دينه ودنياه وأخراه، كما قال الشاعر:

أخ كان لي نعمَ المعين على التُّقى به تنجلي عني الهمومُ وتذهبُ
فطورًا بأخبارِ الرسولِ وصحبه وطورًا بأدابِ تليدٍ وتعذبُ
على ذا مضي عُمرِي كذاك وعمره صَفِيَّينِ لا نجفو ولا نتعبُ (٢)

وقال ابن عائشة: «مجالسة أهل الديانة تجلو عن القلوب صدأ الذنوب، ومجالسة أهل المروءات تدل على مكارم الأخلاق، ومجالسة العلماء تزكي النفوس» (٣).

وليحذر المرء كلَّ الحذر من صحبة الأشرار؛ فإنها خطر على الإنسان في دينه، ودنياه، وأخراه، ومألها إلى الزوال والانقطاع، والعداوة والندامة، كما قال تعالى: ﴿الْأَحْيَاءُ يَوْمَئِذٍ بِعَضُّهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (٢٧) ﴿يَوْمَ لَيْتَنِي لَوْلَا أُتِّخِذْتُ لَنَا خَلِيلًا﴾ (٢٨) ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُوْلًا﴾ [الفرقان ٢٧-٢٩].

وقال ﷺ: «ومثل الجليس السوء كنافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة» (٤).

قال الشاعر:

(١) انظر: «السحر الحلال» (ص ١١).

(٢) الأبيات للشاعر محمد بن عثيمين انظر: «موسوعة الشعر الإسلامي» ١ / ١٤٨، «ديوان الشعر العربي على مر العصور» ٨ / ٩١.

(٣) «الصدقة والصديق» ص ٢٩٣. (٤) سبق تخريجه قريًا.

- ما عاتب المرء الكريم كنفه
وقال عدي بن يزيد^(٢):
- إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم
وقال طرفة بن العبد^(٣):
- عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
وقال الآخر:
- وابل الرجال إذا أردت إخوانهم
فإذا ظفرت بذي الديانة والتقى
ومتى يزل ولا محالة زلة
وقال أسامة بن منقذ:
- واحذر مصاحبة السفية فشر ما
والناس كالأشجار هذي يجتنى
وقال أبو بكر الخوارزمي^(٥):
- لا تصحب الكسلان في حالاته
عدوى البليد إلى الجليد سريعة
وقال بعضهم: «صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخبار»^(٦).
- وقال لقمان: «من يصحب صاحب الصلاح يسلم، ومن يصحب صاحب السوء لا يسلم»^(٧).

وفي قصة أبي طالب عم النبي ﷺ لما حضرته الوفاة، وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي

(١) «الصدقة والصديق» ص ٤٨.
(٢) انظر: «ديوانه» (ص ١٠٧).
(٣) انظر: «ديوانه» (ص ٤١).
(٤) انظر: «الصدقة والصديق» ص ٢٧٠.
(٥) انظر: «بهجة المجالس» ص ١٥١.
(٦) انظر: «الصدقة والصديق» ص ٢٦٢.
(٧) انظر: «الصدقة والصديق» ص ٦٧.

أمية، فقال له النبي ﷺ: «أي عمّ، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاجُّ لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟! فأعاد النبي ﷺ له القول، فأعادها، فكان آخر ما قال: بل على ملة عبد المطلب. وأبى أن يقول: لا إله إلا الله^(١).
فهذه أبلغ صورة لصحبة الأشرار!

الوقفه الرابعة في:

حقوق الصديق، وكيفية التعامل بين الأصدقاء

حقوق الصداقة كثيرة وعظيمة، من أهمها ما يلي:

❖ أن يصدق كل من الصديقين مع صديقه في المودة، ويخلص في الصداقة، ويكون كل منهما صريحاً صادقاً مع صديقه، ناصحاً له كل النصح، إذا لقيه سر وفرح بلقيه، وأنس به، وإذا غاب عنه اشتاق له، وسأل عنه، يحب له ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكرهه لنفسه.

قال ﷺ: «خير الأصدقاء خيرهم لصاحبه، وخير الجيران خيرهم لجاره»^(٢).

وقال ابن عمر ﷺ لصديق له: «إني لأغيب عنك بتوقٍ، وألقاك بشوق»، فسمعه أعرابيٌّ فقال: لو كان كلاماً يؤتدّم، لكان هذا^(٣).

وقال رجل لعمر بن الخطاب ﷺ: والله إني لأحبك، قال: «لو كنت تحبني لأهديت إليّ عيوي»^(٤).

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨٨٤)، وفي تفسير سورة التوبة (٤٧٧٢)، ومسلم في الإيمان (٢٤)، والنسائي في الجنائز (٢٠٣٥) من حديث ابن المسيب عن أبيه ﷺ.

(٢) أخرجه الترمذي في البر والصلة (١٩٤٤)، وأحمد ١٦٧/٣ (٦٥٦٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١١٥)، والدارمي ٢٨٤/٢ (٢٤٣٧)، والحاكم (٤٤٣/١، ١٠١/٢، ١٦٤/٤) من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ. قال الترمذي: «حديث حسن غريب». وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه». وصححه الألباني في تحقيقه «الأدب المفرد».

(٣) ذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (١٠/٢)، عن عقاب بن شبة لأبي عبيد الله كاتب المهدي.

(٤) انظر: «الصداقة والصديق» ص (٢٤٣)، وأخرج الدارمي (٦٥/١) عن عمر ﷺ قال: «رحم الله من

وكان رضي الله عنه يسأل سلمان الفارسي رضي الله عنه عن عيوبه، فلما قدم عليه سلمان رضي الله عنه قال له: «يا أخي، أبلغك عني شيء تكرهه لما أخبرني به؟» (١).

وقال ميمون بن مهران لجعفر بن بُرقان: «قل لي في ما أكره؛ فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره» (٢). وقد قيل: «المؤمن مرآة أخيه» (٣).
قال أعرابي: «السؤال عن الصديق أحد اللقاءين» (٤).

وقال عمر بن الطاب رضي الله عنه: «إن مما يصفي لك ود أخيك ثلاثاً: تبدوّه بالسلام إذا لقيته، وتدعوه بأحب أسمائه إليه، وتوسع له في المجلس» (٥).

وقال علي بن الهيثم: «يجب للصديق ثلاث خصال: كتمان حديث الخلوّة، والمواساة عند الشدة، وإقالة العثرة» (٦).

❖ أن يكون كل منهما وفيّاً مع الآخر غاية الوفاء، يشاركه آماله وآلامه، ويقف معه في السراء والضراء، والشدة والرخاء.

قال الشاعر:

إن الكريم الذي تبقى مودته ويحفظ السرّ إن صافى وإن صرماً
ليس الكريم الذي إن ذلّ صاحبه بثّ الذي كان من أسراره علماً (٧)
وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لأن أمشي في حاجة أخي أحبّ إليّ من

أهدى إليّ عيوبي».

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» ٣٧٨/٧ (١٠٦٥٣).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨٦/٤، ٨/٣٥٤).

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٣٨، ٢٣٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وحسن الألباني إسناده. وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» ٢٢٢/١ (٦٦٢) عن الحسن، ٤٨٥/١ (١٣٧٨) عن بلال بن سعد.

(٤) انظر: «الصدّاقة والصديق» ص (٢٤٣).

(٥) أخرجه ابن وهب في «جامعه» (٢٢٢)، وابن المبارك في «الزهد» ١١٩/١ (٣٥٢)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٣١٦).

(٦) انظر: «الصدّاقة والصديق» ص (٦٤).
(٧) انظر: «الصدّاقة والصديق» ص (٢٧٧).

أن أعتكِفَ في هذا المسجد شهراً^(١)؛ يعني مسجد المدينة.

وذكر أن طاوساً رضي الله عنه كان له صديق فمرض وطال به المرض، حتى جاء الحج، وكان طاوس يبحج كل سنة، فترك الحج، وجلس على تمريض صديقه، ومواساته^(٢).
قال الشاعر:

ما ودني أحدٌ إلا بذلتُ له صَفْوَ المودَةِ مِنِّي آخِرَ الأبدِ
ولا قَلَانِي وَإِن كُنْتُ المَحِبَّ لَهُ إِلا دَعَوْتُ لَهُ الرَّحْمَنَ بِالرَّشِدِ
ولا أَتَمَّنْتُ عَلَى سِرِّ فُبُحْتُ بِهِ ولا مَدَدْتُ إِلَى غَيْرِ الجَمِيلِ يَدِي^(٣)

وكثير من الأصدقاء يكون مع صديقه في وقت الرخاء والسراء، فإذا حصل لصديقه شدة وضراء تخلى عنه؛ ولهذا لما سئل أحدهم: بم يُعرف الصديق؟ قال: «بالشدائد؛ لأن كل أحد في الرخاء صديق»^(٤).

قال الشاعر:

جَزَى اللهُ الشَّدَائِدَ كُلَّ خَيْرٍ عَرَفْتُ بِهَا عَدُوِّي مِن صَدِيقِي
وقال الآخر:

كَم مِن صَدِيقٍ لَنَا أَيَّامَ دَوْلَتِنَا قَد كَانَ يَمْدَحُنَا فَصَارَ يَهْجُونَا^(٥)
وقال الآخر:

فَأَنْتَ أَخِي مَا لَمْ تَكُنْ لِي حَاجَةً فَإِن وُجِدْتُ أَيَقِنْتُ أَنَّ لَأَخَا لِيَا^(٦)
وقال الآخر:

صَدِيقُكَ حِينَ تَسْتَغْنِي كَثِيرٌ وَمَا لَكَ عِنْدَ فِقْرِكَ مِن صَدِيقٍ

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» ١٢/٤٥٣ (١٣٦٤٦)، وفي «الأوسط» ٦/١٣٩ (٦٠٢٦)، وفي «الصغير»

٢/١٠٦ (٨٦١)، و صححه الألباني في «الصحيحة» (٩٠٦)، و «صحيح الجامع» (١٧٦).

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» ٧/٨٧ (٩٥٧٣).

(٣) «الصدقة والصديق» ص ١٠٨. (٤) المصدر السابق ص ٧١.

(٥) انظر: المصدر السابق ص ٢٥٣. (٦) المصدر السابق ص ١٣٧.

فلا تغضبْ على أحدٍ إذا ما طَوَى عنك الزيارةَ عند ضيقٍ^(١)
وهذا في الحقيقة لا يُعد صديقًا، ولا خير في صحبته، بل هو إلى العداوة أقرب، كما
قال الشافعي رحمته الله:^(٢)

صديق ليس ينفع يوم بُؤسٍ قريبٌ من عدوٍّ في القياس
وقال أيضًا:

ولا خيرَ في خلٍّ يُحُونُ خَلِيلَهُ وَيَلْقَاهُ مِنْ بَعْدِ الْمُوَدَّةِ بِالْجَفَا^(٣)
بل إن من الأصدقاء من لا يعرف صديقه إلا وقت الحاجة، فلا يزوره، ولا يدعوه،
ولا يتصل به، ولا يسأل عنه، بل ينقطع عنه الأسابيع والشهور، وربما الأعوام، فإذا بداله
حاجةٌ سارع إلى الاتصال به، وهذا أسوأ حالًا من الأول.
❖ أن يتوسط ويتوازن كل منهما مع الآخر، في الزيارات والاتصال، والمتطلبات،
ونحو ذلك.

فإن كثرة الزيارات، وإطالة الجلوس، وكثرة الاتصال، وكثرة المتطلبات والإلحاح
تحدث مَلَلًا، حتى إن بعض الأصدقاء يود أنه لم يعرف صديقه بسبب ذلك.
والعرب تقول: «زُرُّ غَيْبًا، تَزْدَدُ حُبًّا»^(٤).
وروي في هذا حديث من رواية أبي هريرة رضي الله عنه^(٥)، وغيره.

(١) المصدر السابق ص ٢٧٣. (٢) انظر: «ديوانه» (ص ٦٨).

(٣) سيأتي. (٤) انظر: «الصدقة والصديق» ص ١٢٠.

(٥) أخرجه أبو داود الطيالسي ٢٦٨/٤ (٢٦٥٨)، والحاثر بن أبي أسامة كما في «بغية الباحث» ٨٦٢/٢ (٩٢٠)، والبخاري ١٩١/١٦ (٩٣١٥)، والخرائطي في «اعتلال القلوب» ٢/٢٩٥ (٥٨٥)، وابن الأعرابي في «معجمه» ٧٥٢/٢ (١٥٢٦)، والطبراني في «الأوسط» ٢/٢١٠ (١٧٥٤)، ٩/٦ (٥٦٤١). وأخرجه البزار ٣٨٠/٩ (٣٩٦٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه. وأخرجه الطبراني في «الكبير» ٢١/٤ (٣٥٣٥)، والحاكم (٣/٣٤٧) من حديث حبيب بن مسلمة. وأخرجه الطبراني في «الكبير» ١٣/٧٠ (١٧٣) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه. قال الهيثمي في «المجمع» (٨/٣٢١): «رواه الطبراني وإسناده جيد». وقد روي عن علي وجابر ومعاوية بن حيدة مرفوعًا، وعن عائشة موقوفًا. قال البزار: «ليس في «زر غيبًا تزدد»

قال الشاعر:

إذا شئت أن تُقلَى فزُرُ متتابعًا وإن شئت أن تزدادَ حُبًّا فزُرُ غيبًا^(١)
وقال الآخر:

أقلل زيارتك الصديق تق يراك كالثوب استجدّه
إن الصديق يُملُّه ألا يزال يراك عنده^(٢)

❖ أن يحذر كل منهما من كثرة المزاح، مع أن المزاح أمر مطلوب، ولا بد منه بين المتعاشرين من الأصدقاء وغيرهم؛ لإزالة الوحشة بينهم، ولإدخال السرور والأنس، وإيجاد الثقة بينهم، فإن من لا يتحمل المزاح من صديقه في حدود المعقول والوسط، فليس بصديق، ولن يجد له صديقًا.

لكن ينبغي عدم الإكثار من المزاح والهزل؛ لأنه قد يحدث شرخًا في الصداقة والمودة.
قال الشاعر^(٣):

مازح صديقك ما أراد مزاحًا فإذا أباه فلا تزدده جاحًا
فلربما مزح الصديق بمزحة كانت لبدء عداوة مفتاحًا
ويعزز هذا أن هناك من الأصدقاء من يمزح مع صديقه، ولكنه لا يتحمل المزح من صديقه.

❖ ينبغي أن يعلم الأصدقاء أن الصداقة مع طول المدة لا بد أن يشوبها شيء من الكدر، وهذه طبيعة البشر، بل هي هذه طبيعة الحياة كلها، كما قال الشاعر:

طُبعتْ على كدرٍ وأنت تُريدها صَفوا من الأقداء والأقذار
ومكلفُ الأيام ضدَّ طباعِها متلمسٌ في الماءِ جَنوة نَارٍ^(٤)

حُبًّا» عن النبي ﷺ حديث صحيح».

(١) انظر: «الصداقة والصديق» ص ١٢١. (٢) انظر: المصدر السابق ص ١٢٠.

(٣) انظر: «فصل المقال» (ص ١١١)، و«نهاية الأرب» (٤/ ٧٤).

(٤) البيتان لأبي الحسن التهامي. انظر: «ديوانه» (ص ٤٨).

ولهذا لا بد بين الأصدقاء من التغافل والتغاضي عن بعض الأخطاء، والتسامح عن الزلات، والبعد عن سوء الظن، والحساسية المفرطة.

قال أبو قلابة: «إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له العذر جهداً، فإن لم تجد له عذراً فقل في نفسك: لعل لأخي عذراً لا أعلمه»^(١).

وقال الشاعر:

وإذا ما أتت من صاحبٍ لك زلةً فكن أنتَ مُحْتالاً لزلته عُذراً^(٢)
قال الآخر^(٣):

ومن لا يُغمض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمُت وهو عائبُ
ومن يتتبع جاهداً كل عثرةٍ يجدها ولا يسلم له الدهرَ صاحبُ
وقال الآخر:

أُعَاتِبُ إِخْوَانِي وَأُبْقِي عَلَيْهِمْ ولستُ بمُسْتَبِقٍ أَخَا لَا أَعَاتِبُهُ^(٤)
وقال أبو زيد الطائي:

وَأُغْمِضُ لِلصَّدِيقِ عَنِ الْمَسَاوِي مخافة أن أعيش بلا صديقٍ^(٥)
وقال الآخر^(٦):

وَمَنْ يَبِغِ الصَّدِيقَ بِغَيْرِ عَيْبٍ سيبقى الدهرَ ليس له صديقُ
وقال النابغة:

وَلَسْتُ بِمُسْتَبِقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ على شعثٍ أيُّ الرجالِ المهذبِ^(٧)
وقال الآخر:

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «مدارة الناس» (٤٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/٢٨٥).

(٢) انظر: «الصداقة والصديق» ص ٥٨. (٣) سيأتي.

(٤) انظر: «الصداقة والصديق» ص ٢٣٩. (٥) المصدر السابق ص ٤٢.

(٦) انظر: «السحر الحلال» (ص ٨٣).

(٧) انظر: «جهرة أشعار العرب» (ص ٦٨)، و«الصداقة والصديق» ص ٢٠٨.

أَتَطْلُبُ صَاحِبًا لَا عَيْبَ فِيهِ وَأَيُّ النَّاسِ لَيْسَ لَهُ عَيْبٌ؟ (١)
وقال بشار بن بُرد (٢):

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مَعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقِ الَّذِي لَا تَعَاتِبُهُ
فِعْشٌ وَاحِدًا أَوْ صِلَ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفٌ ذَنْبٍ تَارَةً وَجُنَابُهُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ؟
وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا كَفَى الْمَرْءَ نُبَلًّا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ
وقال الآخر (٣):

إِذَا ذَهَبَ الْعِتَابُ فَلَيْسَ وُدٌّ وَيَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْعِتَابُ
وهذا لا يتنافى مع ما قبله، فإن العتاب اللطيف بين الأصدقاء، والصراحة بينهم أحيانًا في بعض الأمور قد تكون أولى من المجاملة التي قد تنفجر يومًا؛ فتؤدي إلى قطع الصداقة بالكلية.

❖ ينبغي عدم التكلف في طلب الأصدقاء، فمن أقبل منهم وصفاء، فعلى العين والرأس، ومن أدبر منهم وجفا، فلا يحسن التكلف في لحاقه، والركض وراءه، فلا خير في ذلك، وقد قال العامة: «المغصوبة ما فيها لبن».

قال الشاعر (٤):

لَا أَبْتَغِي وَصَلَ مَنْ يَبْغِي مُفَارِقَتِي وَلَا أَلَيْنُ لِمَنْ لَا يَبْتَغِي لِيْنِي
وَاللَّهِ لَوْ كَرِهَتْ كَفِي مُصَاحِبَتِي يَوْمًا لَقُلْتُ لَهَا عَنْ سَاعِدِي بِيْنِي
ثُمَّ التَفْتُ إِلَى الْأُخْرَى وَقُلْتُ لَهَا إِنْ تَسْعِدِينِي وَإِلَّا مِثْلَهَا كُونِي
وقال الآخر:

وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ امْرِئٍ مِتَكَارِهِ عَلَيْكَ وَلَا فِي صَاحِبٍ لَا تُوَافِقُهُ (٥)

(١) انظر: «الصداقة والصديق» ص ١٤٣. (٢) انظر: «ديوانه» ص ٣٢٦.

(٣) انظر: «العقد الفريد» (٢/١٦٣).

(٤) الأبيات لعروة بن أذينة. انظر: «المستجد من فعلات الأجواد» ص ٢٧.

(٥) انظر: «ديوان المعاني» لأبي هلال العسكري (ص ١٦٠).

وقال الآخر:

ألا إن خير الودِّ ود تطوعتُ له النفس لا وُدُّ أتى وهو مُتَعَبٌ (١)
وقال الشافعي رحمه الله (٢):

إذا المرءُ لم يردك إلا تكلفاً وفي الناسِ أبدالٌ وفي التركِ راحةٌ
فما كلُّ مَنْ تهواه يهواك قلبه إذا لم يكن صفوُ الودادِ طبيعةً
ولا خيرَ في خلٍّ يُحُونُ خليله ويُنكرُ عيشاً قد تقادمَ عهدُه
سلامٌ على الدنيا إذا لم يكن بها صدوقٌ صادقٌ الوعدِ مُنصفاً
فدعهُ ولا تُكثِرْ عليه التأسفاً وفي القلبِ صبرٌ للحبيبِ ولو جفاً
ولا كلُّ من صافيته لك قد صفاً فلا خيرَ في وُدٍّ يجيء تكلفاً
ويلقاه من بعدِ المودةِ بالجفاً ويُظهرُ سرّاً كان بالأمسِ قد خفاً
صديقٌ صدوقٌ صادقٌ الوعدِ مُنصفاً

❖ نظراً لقلة الصديق الوفي، ولكون الصداقة إنما هي للحاجة، فالأولى عدم الإكثار من الأصدقاء، والاكتفاء بما خلص منهم وصدفاً، وبقدر الحاجة؛ لأن كثرتهم سبب لكثرة الدخيل فيهم، وعدم الموثوق، ولأن في كثرتهم ثقل ومشغلة للإنسان، وتضييع لكثير من حياته، وقد قال رحمه الله: «إن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك عليك حقاً» (٣).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «الإخوان بمنزلة النار، قليلها متاع، وكثيرها بوار» (٤).
وقال ابن الرومي (٥):

عدوك من صديقك مُستفاد فلا تستكثرنَّ من الصحابِ

(١) انظر: «الصداقة والصديق» ص ١١٦. (٢) انظر: «ديوانه» ص ٨١.

(٣) أخرجه البخاري في الصوم (١٩٧٤، ١٩٧٥)، وفي الأدب (٦١٣٤)، ومسلم في الصيام (١١٥٩)، والنسائي في الصيام (٢٣٩١)، وأحمد ٣/ ١٩٨ (٦٨٦٧) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٤) انظر: «الصداقة والصديق» ص (٤٩).

(٥) انظر: «بهجة المجالس» ص (١٤٩).

فإن الداء أكثر ما تراه
إذا انقلب الصديق غداً عدواً
ولو أن الكثير يطيبُ كانت
وما اللُّججُ المِلاحُ بمُرُويَاتٍ
يُحول من الطعامِ أو الشرابِ
مُبيناً، والأُمُورُ إلى انقلابِ
مصاحبةُ الكثيرِ من الصوابِ
وتلقَى الرِّيِّ في النُّطفِ العذابِ
همسة :

إذا لم يجد الإنسان من الأصدقاء إلا من تضره صحبته وصداقته، فالوحدة خير من جليس السوء، والسلامة لا يعدها شيء، فعلى المرء أن يجعل جليسه كتاب الله تعالى، ففيه غنية عن كل جليس، ويجالس رسول الله ﷺ في النظر في سنته وسيرته وشأنه، ويجالس أهل العلم والأدب في كتبهم، قال الشاعر:

اجعل جليساك مجموعاً تُطالعه
واترك مجالس أقوام تجالسهم
وقال الآخر:

أعزُّ مكانٍ في الدُّنا سَرَجُ سابحٍ
وقال الشافعي رحمه الله (١):

إذا لم أجد خِلاً تقيّاً فوحدتني
وأجلسُ وِحدِي للعبادةِ آمناً
وقال عبيد الله بن عبد الله:

وَحَدَّةُ الْإِنْسَانِ خَيْرٌ
وَجَلِيسُ الصَّدِيقِ خَيْرٌ
من جليسِ السَّوءِ عِنْدَهُ
من جلوسِ المرءِ وَحَدَهُ (٢)

(١) انظر: «ديوانه» ص (٧).

(٢) «الصدقة والصديق» ص (٣٠٩).

وقفات ست في: أهمية الوقت، ووجوب المحافظة عليه، وتنظيمه

قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لِّيَأْسُوا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾ [الفرقان: ٤٧]

الوقفة الأولى في: أهمية الوقت، ووجوب المحافظة عليه

الوقت: هو عمر الإنسان في هذه الحياة، وهو رأس ماله الذي يجب أن يحافظ عليه محافظةً تامةً؛ ولهذا أقسم الله ﷻ به في القرآن الكريم، في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾ [سورة العصر].

وقال تعالى: ﴿ وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ ﴾ [الفجر: ١-٤]، وقال تعالى: ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ۝٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾ [الشمس: ١-٤]، وقال تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ۝٢ ﴾ [الضحى: ١، ٢]، وقال تعالى: ﴿ وَالضُّحَى ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾ [الضحى: ١، ٢].

وقال ﷺ: « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن: عُمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»^(١).
وقال ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»^(٢).

(١) أخرجه الترمذي في صفة القيامة (٢٤١٧) من حديث أبي بزة الأسلمي ﷺ. قال الترمذي: «حسن صحيح». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٤٦).

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق (٦٤١٢)، والترمذي في الزهد (٢٣٠٤)، وابن ماجه في الزهد (٤١٧٠)،

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اغتنم خمسا قبل خمس: ... وفراغك قبل شغلِكَ، وحياتك قبل موتك»^(١).

وبه أعذر الله ﷻ إلى الخلق، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَآ تَدَّكَّرْ فِيهِ مِنْ تَذَكَّرْ﴾ [فاطر: ٣٧].
وقال ﷺ: «أعذر الله إلى امرئٍ أخر أجله، حتى بلغه ستين سنة»^(٢).

قال ابن الجوزي رحمته الله: «ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قُربة، ويقدم فيه الأفضل فالأفضل من القول والعمل، ولتكن نيته في الخير قائمة، من غير فتور، بما لا يعجز عنه البدء من العمل»^(٣).

وقال ابن القيم رحمته الله: «وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة المعيشة الضنك في العذاب الأليم، وهو يمر مر السحاب، فمن كان وقته لله وبالله، فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس محسوباً من حياته، فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو، والأمانى الباطلة، وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة، فموت هذا خير له من حياته»^(٤).

قال الحسن البصري رحمته الله: «يا ابن آدم، إنما أنت أيام، كلما ذهب يوم ذهب بعضك»^(٥).
قال الشاعر:

يسر المرء ما ذهب الليالي وكان ذهابن له ذهاباً^(٦)

وأحمد ١/ ٣٤٤ (٣٢٠٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(١) أخرجه الحاكم (٣٠٦/٤)، والبيهقي في «الشعب» ٧/ ٢٦٣ (١٠٢٤٨). قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٠٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق (٦٤١٩)، وأحمد ٢/ ٢٧٥ (٧٧١٣) من أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) «صيد الخاطر» ص (٢٢).

(٤) «الجواب الكافي» ص (١٠٩).

(٥) أخرجه أحمد في «الزهد» (١٦٠٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٤٨/٢).

(٦) البيت مجهول القائل، انظر: «المفصل في صنعة الإعراب» ص (٤٢٩)، و«شرح تسهيل الفوائد» لابن مالك (٢٢٥/١)، «المعجم المفصل في شواهد العربية» (١٠٥/١)، و«شرح الشواهد الشعرية في أمثات الكتب

وقال الآخر:

إِنَّا لَنَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ نَقَطَعُهَا وكل يومٍ مَضَى جزءٌ من العُمُرِ^(١)

وقال الآخر:

المرءُ يَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ يَقَطَعُهَا وكل يومٍ يَدْنِيهِ مِنَ الْأَجَلِ^(٢)



الوقفه الثانية في:

التحذير من التفريط في العمر، وإضاعة الوقت

عمر الإنسان في هذه الحياة أيام معدودة، وساعاته فيها محدودة، وأنفاسه فيها محسوبة، وكل وقت يمر عليه فيها بلا عمل يقربه إلى الله تعالى، فهو خسارة، كما قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

وقال ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس؛ الصحة والفراغ»^(٣).

وقال ﷺ: «كل الناس يغدو، فبائعٌ نفسه فمعتقُها أو موبقُها»^(٤).

وشتان شتان بين مُعتق نفسه باستغلال عمره ووقته بالأعمال الصالحة، وبما ينفعه، وبين موبقها بالتفريط في عمره، وإضاعة وقته باللهو واللعب والغفلة، أو بما يضره.

قال يحيى بن معاذ: «إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأن إضاعة الوقت انقطاع عن

النَّحْوِيَّةُ (١٠٢/١).

(١) البيت مجهول القائل، انظر: «الدر الفريد وبيت القصيد» (٤/٤٦٣، ٩/٤٦٠)، و«روض الأختيار، المنتخب من ربيع الأبرار» ص (٣٥٢).

(٢) البيت مجهول القائل، انظر: «البصائر والذخائر» (٥/١٠٢)، و«زهر الآداب» (١/٣٦٧).

(٣) سبق تخريجه قريباً.

(٤) أخرجه مسلم في الطهارة (٢٢٣)، والترمذي في الدعوات (٣٥١٧)، وابن ماجه في المقدمة (٢٨٠)،

وأحمد ٥/٣٤٢ (٢٢٩٠٢) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

الحق، والموت انقطاع عن الخلق»^(١).

وقد قيل: «الأيام ثلاثة: أمس قد مضى بما فيه، وغداً لعلك لا تُدرِكه، وإنما هو يومك هذا، فاجتهد فيه»^(٢).

قال الشافعي رحمه الله^(٣):

إذا مرَّ بي يومٌ ولم أستفدْ هُدىً ولم أكتسبْ علماً فما ذاك من عمري

قال ابناً إلى آخرها لا تساوي غمَّ ساعة، فكيف بغم العمر؟!!

محبوبُ اليومِ يعقُبه المكروه غداً، ومكروه اليوم يعقبه المحبوب غداً.

أعظم الربح في الدنيا أن تشغل نفسك كل وقت بما هو أولى بها وأنفع لها في معادها.

كيف يكون عاقلاً من باع الجنة بما فيها لشهوة ساعة؟!»^(٤).

ولقد كان من أعظم أسباب تأخر العرب والمسلمين في الوقت الحاضر، وتخلّفهم عن

ركب الحضارة التفرّيط في الوقت، وإضاعته، وقتله، وعدم الاهتمام به.



الوقفه الثالثة في:

أعظم أسباب التفرّيط في العمر: الخواء الروحي، وعدم التصور التام للهدف الذي خلق الإنسان من أجله

إن من نعمة الله ﷻ على المؤمن أن رسم ﷻ له أعظم هدف للحياة، وهو عبادة الله

(١) انظر: «الفوائد» لابن القيم ص (٣٣)، و«موارد الظمآن لدروس الزمان» لعبد العزيز بن محمد السلّماني (٤/٤٦٨ - ٤٦٩).

(٢) أورد ابن الجوزي في «صفوة الصفوة» (٢/٢٣٥) عن سفيان بن عيينة قال: «كان يقال: الأيام ثلاثة: فأمس حكيم مؤدب ترك حكمته وأبقاها عليك، واليوم صديق مودع كان عنك طويل الغيبة حتى أتاك ولم تأته، وهو عنك سريع الظعن، وغداً لا تدري أتكون من أهله أو لا تكون».

(٣) انظر: «غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب» للسفّاريني (٢/٤٤٤).

(٤) انظر: «الفوائد» لابن القيم ص (٣١).

تعالى وحده، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]

هدف تقصّر دونه جميع الأهداف الدنيوية والمالية، على كثرتها واختلافها، وتنوعها وتعددتها؛ اقتصادية، وسياسية، أو غيرها من اعتلاء المناصب، وتحقيق الرغبات النفسية، وغير ذلك.

هدف يرفق بصاحبه إلى الثريا، وإلى قمة السعادة في الدنيا والآخرة، ويجمع له بين خيري الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَأَيُّوعٌ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقال ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له»^(١).

هدف به يسعد الإنسان في الدنيا، وبه في الآخرة يُزحزح عن النار، ويدخل الجنة، دار القرار، ويفوز برؤية العزيز الجبار.

فانتبه لهذا بارك الله فيك، واعلم أن العمر غالٍ ونفيس، فاعمره بما يقربك إلى الله تعالى، وما ينفعك غداً، ولا يكن همك تزجية الأوقات، وتقطيع أيام العمر في اللهو والغفلات، والأسفار والتنزهات، أو في جمع الأموال، تندم غداً ولات ساعة مندم، وتأمل قوله ﷺ: «كل الناس يغدو، فبائعٌ نفسه فمعتقها أو موبقها»؛ أي: كل الناس يسير ويقطع هذه الحياة، فمن سائرٍ في طريق الخير، فمعتق نفسه من النار، ومن سائرٍ في طريق الشر، فموبقها في النار.

قال الشاعر:

(١) سبق تخرجه.

- قد رشحوك لأمرٍ لو فطنت له
وقال الآخر:
- فأزبأ بنفسك أن ترعى مع الهمل^(١)
فأعمل لنفسك صالحاً يا صاح^(٢)
وقال الآخر:
- سوف ترى إذا انجلى الغبارُ
رأى بعض السلف أخوا له مجتهداً في العبادة، فقال له: «أتعبت نفسك!»، فأجابه
بقوله: «راحتها أريد»^(٤).
- وقال علي بن أبي طالب عليه السلام^(٥):
وما المرء إلا حيث يجعل نفسه
وقال لبيد^(٦):
- وما الناس إلا عاملان فعاملٌ
وقال ابن هانئ^(٧):
- فلم أجد الإنسان إلا ابن سعيه
ولم يتأخر من يريد تقدماً
وقال الآخر:
- إذا غامرت في شرفٍ مَرُومٍ
فلا تقنع بما دون النجوم^(٨)

(١) البيت للطغرائي، انظر: «لامية العجم» ص (١٢٤).

(٢) البيت لنشوان الحميري، انظر: «ملوك حمير وأقيال اليمن» ص (١).

(٣) انظر: «الدر الفريد وبيت القصيد» (٦/٤٥٧)، و«الاستعداد للموت وسؤال القبر» ص (٦٦)، و«زهر الأكم في الأمثال والحكم» (٣/٧٧).

(٤) أخرجه أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٤/٤٧ (١٢٠٤) عن الربيع بن خثيم والثوري.

(٥) «ديوانه» ص (١٥).

(٦) «ديوانه» ص (١٤٠).

(٨) البيت للمتنبّي، وهو في «ديوانه» ص (٢٣٢)، «شرح ديوان المتنبّي» للعكبري (١/١٦٦).

وقال الآخر:

وَمَنْ تَكُنِ الْعِلْيَاءُ هَمَّةَ نَفْسِهِ فكل الذي يلقاه فيها مُحِبُّ^(١)

وقال الآخر:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرِفْ لِنَفْسِكَ حَقَّهَا هواناً بها كانت على الناسِ أهوناً^(٢)

وقال الآخر:

مَنْ يَهْنُ يَسْهَلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ ما لُجْرِحَ بِمَيِّتٍ إِيْلَامُ^(٣)

وقال الآخر:

وَمَنْ يَتَهَيَّبُ صَعُودَ الْجِبَالِ يَبْتُ أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الْحُفَرِ^(٤)

الوقفه الرابعة في: أن الوقت يمضي سريعاً

الوقت يمضي سريعاً كسرعة البرق الخاطف، فلا يمكن الإمساك بعقارب الساعة.

وقد قيل: «الوقت كالسيف، إن لم تقطعه قطعك»^(٥).

وقال الشاعر:

دَقَاتُ قَلْبِ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ إِنْ الْحَيَاةَ دَقَائِقٌ وَثَوَانِي

(١) البيت لمحمود سامي البارودي، انظر: «جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب» (٢/٢٧٧)، «صيد

الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال» للقاضي حسين بن محمد المهدي (٢/٣٢٩).

(٢) البيت مجهول النسب. انظر: «الدر الفريد» (٢/٣٦٧)، و«أدب الدنيا والدين» ص (٣٢٠).

(٣) البيت للمتنبى، انظر: «ديوانه» ص (١٦٤).

(٤) البيت لأبي القاسم الشابي، انظر: «ديوانه» ص (٧٠).

(٥) انظر: «مرقاة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح» للملا علي القاري (٤/١٥٨١)، و«صيد الأفكار في الأدب

والأخلاق والحكم والأمثال» للقاضي حسين بن محمد المهدي (٢/٣٤١).

فأرفعُ لنفسِك بعد موتِك ذِكْرَهَا فَالذِّكْرُ لِلإِنْسَانِ عُمُرٌ ثَانِي (١)
وهذا يوجب على المسلم الحزم في تنظيم الوقت، واستغلاله قبل أن يندم على التفریط،
وضياع عمره.

قال بعض السلف: «ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت عليّ فيه شمسُه، نَقَصَ
فيه عمري، ولم يزد عملي». وقال الشاعر:

فِي أَلِيَتِ الشَّبَابِ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرُهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ
بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ بِدَمْعِ عَيْنِي فَلَمْ يُفِدِ الْبَكَاءُ وَلَا النَّحِيبُ (٢)

الوقفه الخامسة في:

تنظيم الوقت

اهتم الإسلام بتنظيم الوقت، وهو ما يسميه أهل العلم ﷺ: «عمل اليوم والليلة»،
ويظهر هذا الاهتمام من جانبين:

الجانب الأول: من خلال عناية القرآن الكريم، والسنة النبوية؛ ببيان أهمية الوقت،
وأهمية عمر الإنسان في هذه الحياة، كما سبق بيانه.

الجانب الثاني: من خلال تحديد أوقات العبادات البدنية؛ الفعلية والقولية؛ كالصلاة،
والصيام، والحج، والذكر، والاستغفار، وتحديد أوقات العبادات المالية، ومن خلال
جعل الأيام والليالي خزائن للأعمال الصالحة.

قال تعالى في الصلاة: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، وقال
تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقال: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ﴾

(١) البيتان لأمير الشعراء أحمد شوقي، انظر: «الشوقيات» (٣/ ١٥٨).

(٢) البيتان لأبي العتاهية. انظر: «ديوانه» ص (٢٣).

السَّمْسِ إِلَى عَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنْ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَتْ مَشْهُودًا ﴿ [الإسراء: ٧٨].

وفي هذا تنظيم أوقات الصلوات الخمس كلها، وقيام الليل، ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ﴾ [هود: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ [الإنسان: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [الشرح: ٧-٨].

وقال ﷺ: «من صلى البردَيْنِ دخل الجنة»^(١)؛ يعني: صلاة الفجر، وصلاة العصر. وقال ﷺ: «فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها، فافعلوا»^(٢).

وعن جُنْدَب بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى الصبح فهو في ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيءٍ، فإنه من يطلبه من ذمته بشيءٍ يُدرِكه ثم يكبه على وجهه في نار جهنم»^(٣).

وقال ﷺ: «من صلى صلاة الصبح كان في جوار الله حتى يُمسي، ومن صلى العصر كان في جوار الله حتى يصبح»^(٤).

وقال تعالى في الصيام: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وقال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال تعالى في الحج: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ [البقرة: ٢٠٣].

وقال تعالى في الذكر: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ

(١) أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة (٥٧٤)، ومسلم في الموضع السابق (٦٣٥) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في المواقيت (٥٥٤)، ومسلم في المساجد (٦٣٣)، وأبو داود في السنة (٤٧٢٩)، والترمذي في صفة الجنة (٢٥٥١)، وابن ماجه في المقدمة (١٧٧) من حديث جرير بن عبد الله ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم في المساجد (٦٥٧)، والترمذي في الصلاة (٢٢٢)، وأحمد ٤/٣١٢ (١٨٨٠٣).

(٤) أخرجه نعيم بن حماد في «الفتن» ١/١٧٦ (٤٦٨) عن زيد بن أسلم عن حدثه عن النبي ﷺ.

كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿ [الجمعة: ١٠].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴿

[البقرة: ١٩٨].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مِنْ سَكَكِكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ

ذِكْرًا ﴿ [البقرة: ٢٠٠].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ ﴿ [الأففال: ٤٥].

وقال تعالى في التسييح، وهو محمول على معناه، وعلى الصلاة في أكثر الآيات:

﴿وَسِيحَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿ [آل عمران: ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَسِيحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ

غُرُوبِهَا وَمِنْ آتَائِ السَّيْلِ فَسِيحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿ [طه: ١٣٠]، وقال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

لَا يَفْتُرُونَ ﴿ [الأنبياء: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿ [النور: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ

نُصْبِتُ وَحِينَ نُنْصِتُ ﴿ [الروم: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْهُ بَكْرًا وَأَصِيلًا ﴿ [الأحزاب: ٤٢]، وقال

تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿ [غافر: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ

يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْرَاقِ ﴿ [ص: ١٨]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ

وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿ [فصلت: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿ [الفتح: ٩].

وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿ ٣١ ﴿ وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ

السُّجُودِ ﴿ [ق: ٣٩-٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿ ٤٨ ﴿ وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ﴿

[الطور: ٤٨-٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ، وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿ [الإنسان: ٢٦].

وقال تعالى في الاستغفار: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿

[البقرة: ١٩٩]، وقال تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿ [آل عمران: ١٧].

ومن مجموع هذه الآيات في تحديد أوقات العبادات من الصلاة وغيرها، يؤخذ أهمية

تنظيم الوقت، فوقت للعبادة، ووقت للعمل، ووقت للأكل، ووقت للراحة، ووقت

للنوم، وهكذا.

كما يؤخذ منها أن الهيكل الرئيس لتنظيم الوقت وعمل اليوم واللييلة هي أوقات الصلاة الخمس، فإن المسلم - والله الحمد والمنة - يجد بعد كل صلاة حيوية ونشاطاً - بفضل الله ﷻ - وبركة الصلاة، وحسن مبادئ هذا الدين الحنيف، وكأن المسلم بعد الصلاة يستقبل يوماً جديداً، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، اللهم لك الحمد.

نموذج لتنظيم الوقت وعمل اليوم واللييلة :

❖ يبدأ المسلم يومه بعد القيام من الليل بالوتر، ثم بعد طلوع الفجر، يصلي راتبة الفجر، ثم يصلي الفجر، ثم يأتي بالأذكار بعدها، ثم أورد الصباح.

❖ الوقت بعد صلاة الفجر وقت مبارك؛ لقوله ﷺ: «بورك لأمتي في بكورها»^(١)، فيحسن أن يستغله المسلم في الجلوس في مصلاه، في الذكر، وقراءة القرآن، ومذاكرة الدروس، ونحو ذلك، ومن ثم صلاة الضحى بعد ارتفاع الشمس قدر رُمح فأكثر، ومن ثم تناول الإفطار.

❖ الوقت بعد ذلك يُستغل في الدراسة والعمل حتى دخول وقت الظهر.

❖ صلاة الظهر والرواتب قبلها وبعدها، والأذكار بعدها.

❖ تناول الغداء، والراحة بعد ذلك.

❖ صلاة العصر، والأذكار بعدها، والأوراد المسائية.

❖ ما بعد ذلك يُستغل في العمل، أو في القراءة، أو المذاكرة، وأخذ قسط من الرياضة.

❖ صلاة المغرب، والأذكار بعدها، والراتبة، والأوراد إن لم يكن أتى بها بعد العصر.

❖ بعد المغرب الجلوس مع الأهل، وزيارة الأقارب، أو الأصدقاء، أو المرضى.

❖ صلاة العشاء، والأذكار بعدها، وراتبتها، والوتر لمن يشق عليه القيام من الليل.

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد (٢٦٠٦)، والترمذي في البيوع (١٢١٢)، وابن ماجه في التجارات (٢٢٣٦)، وأحمد ٤١٧/٣ (١٥٥٥٧) من حديث صخر الغامدي ﷺ. قال الترمذي: «حديث حسن». وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٢٣٤٥).

❖ بعد ذلك تناول العشاء، ومن ثم القراءة في كتب العلم والمذاكرة، دون إطالة، ثم الاسترخاء للراحة والنوم؛ قال ﷺ: «يُكْرَهُ النَّوْمُ قَبْلَهَا، وَالْحَدِيثُ بَعْدَهَا» (١).

وهذا الترتيب والتنظيم من حيث العموم، والناس تختلف ظروفهم وأحوالهم وحاجاتهم، وأعمالهم، وقدراتهم، وغير ذلك، فما يناسب هذا قد لا يناسب هذا، وما يستطيعه هذا، قد لا يستطيعه غيره، وهكذا.

لكن على المسلم أن يحرص على تنظيم وقته بما يناسبه، ويجذر كل الحذر أن تنصرم أيام عمره وتضيع في اللهو والغفلات، واتباع هوى النفس والشهوات.

قال الوزير الصالح يحيى بن زهير:

وَالْوَقْتُ أَنْفُسٌ مَا عُنِيَتْ بِحِفْظِهِ وَأَرَاهُ أَسْهَلَ مَا عَلَيْكَ يَضِيعُ (٢)

الوقفه السادسة في:

أعظم أسباب ضياع الوقت وعدم القدرة على تنظيمه

من أعظم أسباب ضياع الوقت، وعدم القدرة على تنظيمه: قلب الفطرة بالسهر ليلاً، والنوم نهاراً.

فقد فطر الله ﷻ الخلائق؛ الإنس والجن والحيوانات، وسائر المخلوقات على الفطرة السوية، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]؛ أي: خلق كل شيء وسواه، ثم هدى كل مخلوق لما خلق له.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: ٣]؛ أي: قدر ﷻ مقادير الخلائق، وهدى كل مخلوق لما قدر له.

(١) أخرجه البخاري في المواقيت (٥٤٧)، ومسلم في المساجد (٦٤٧)، وأبو داود في الصلاة (٣٩٨)، والنسائي في المواقيت (٤٩٥)، وابن ماجه في الصلاة (٧٠١) من حديث أبي برزة الأسلمي ﷺ.

(٢) انظر: «الآداب الشرعية» (٢/٦٤٦)، و«ذيل طبقات الحنابلة» (٢/١٦٧).

وجعل سبحانه الليل لباساً، وسكناً، ووقتاً للراحة والنوم، وجعل النهار مبصراً ومضيئاً، ونشوراً ومعاشاً؛ لا ابتغاء الفضل والرزق من الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [يونس: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الإسراء: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٦].

وقال تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَر النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۗ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١٠-١١].

هكذا فطر الله الخلاق، وأنعم عليهم بالليل، وجعله مظلاً ليسكنوا، ويستريحوا فيه، وأنعم عليهم بالنهار، وجعله مبصراً مضيئاً؛ لينتشروا فيه؛ لطلب الرزق والمعاش، فاهتدى لذلك أكثر الخلاق، بما في ذلك العجماوات من الحيوانات، والطيور، وغيرها. فكانت تغدو في الصباح الباكر لطلب المعاش خِماصَ البطون، وتروح في المساء إلى مراحها وأوكارها مليئة البطون.

وخالف هذه الفطرة السوية من انتكست فطرتهم من بني آدم، بالسهر ليلاً، والنوم نهاراً، فاضطربت حياتهم، وضاعت أوقاتهم، واختل كثير من أمر دينهم ودنياهم، وكان لذلك أثره في صحتهم؛ في أبدانهم، وعقولهم، ونفسياتهم، وفقدوا بسبب ذلك كثيراً من لذة الحياة وسعادتها التي ظفروا بها غيرهم، حتى العجماوات.

وقفتان في: سلامة القلب

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]

الوقفة الأولى في:

فضيلة سلامة القلب، وانسراح الصدر

سلامة القلب، وانسراح الصدر من أفضل الصفات، وأجل الصفات، وأزكى الخلال، وأعظم أسباب السعادة والتوفيق في الدين والدنيا والآخرة، وذلك لما يأتي:

❖ أن سلامة القلب، وانسراح الصدر من أعظم أسباب الهداية والتوفيق من الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر: ٢٢].

❖ أن ذلك من أعظم أسباب التوفيق بإذن الله تعالى، للإخلاص لله، واجتناب الشرك والمعاصي، ومن أعظم أسباب شكر الله تعالى، امتدح الله ﷻ به خليله إبراهيم ﷺ، وجعله قدوة في الخير، قانتاً لله تعالى، مستقيماً على التوحيد، مائلاً عن الشرك، محتنباً له، شاكراً لأنعم الله ﷻ، اجتنابه، وهداه إلى صراط مستقيم، وآتاه في الدنيا حسنة، وجعله في الآخرة من الصالحين، قال تعالى: ﴿وَإِن مِنْ شَيْعَةٍ لِإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾ [الصافات: ٨٣، ٨٤].

وقال تعالى: ﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَتْ أُمَّةً فَاِنْتَا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ شاكراً لأنعمه

أَجْتَبَهُ وَهَدَنَهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦١﴾ وَءَايَتُهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٦٢﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٢].

❖ أن ذلك من أخص صفات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأهم مطالبهم، وأعظم ما امتن الله ﷻ به عليهم، وصف الله ﷻ به إبراهيم عليه السلام، فقال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْعَةٍ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ [الصافات: ٨٣، ٨٤].

وسأل موسى عليه السلام ربه ذلك، فقال: ﴿رَبِّ أَسْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: ٢٥].

وامتن الله ﷻ به على نبينا محمد ﷺ، فقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١].

❖ أن الله ﷻ امتدح به أصحاب النبي ﷺ من الأنصار عليه السلام، فقال: ﴿وَالَّذِينَ بَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

❖ أن الله ﷻ امتدح به من جاء بعد الصحابة من المؤمنين، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

❖ أنه سبب لسلامة القلب على جميع المسلمين، حكامًا ومحكومين، ومحبتهم، والدعاء لهم، والنصيحة، ولزوم جماعتهم، كما قال ﷺ: «ثلاث لا يُغْلُّ عليهم قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن الدعوة تحيط من ورائهم»^(١).

❖ صاحب القلب السليم قدوة صالحة عظيمة، في الدعوة إلى الخير والإصلاح، في تعامله وأخلاقه؛ لأن التربية بالفعل أقوى تأثيرًا من التربية بالقول.

❖ أن من منحه الله سلامة الصدر وانسراح القلب من أقوى الناس - بعون الله تعالى

(١) أخرجه الترمذي في العلم (٢٦٥٨)، من حديث عبد الله بن مسعود عليه السلام. وأخرجه ابن ماجه في المقدمة (٢٣٠)، وأحمد ٤/١٨٣ (٢١٥٩٠) من حديث زيد بن ثابت عليه السلام. وأخرجه ابن ماجه في المناسك (٣٠٥٦)، وأحمد ٤/٨٠ (١٦٧٣٨) من حديث جبير بن مطعم عليه السلام. وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٠٤).

وتوفيقه - على الصبر، والعمو، والصفح، وكظم الغيظ، وترك الغضب، والدفع بالتي هي أحسن، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ تَمُوتُ وِجْهَةً ۗ ﴿٢٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [فصلت: ٣٥، ٣٦].

❖ أن ذلك سبب للسلامة من العداوة، والبغضاء، والشحناء، والحقد، والحسد، وسوء الظن، وغير ذلك من أمراض القلوب.

قال ابن رجب (١): «أفضل الأعمال: سلامة الصدر من أنواع الشحناء كلها، وأفضلها: السلامة من شحناء الأهواء والبدع، التي تقتضي الطعن على سلف الأمة، وبغضهم والحقد عليهم، واعتقاد تكفيرهم، أو تبديعهم وتضليلهم، ثم يلي ذلك سلامة القلب من الشحناء لعموم المسلمين، وإرادة الخير لهم، ونصيحتهم، وأن يجب لهم ما يجب لنفسه».

❖ أنه سبب للسلامة من الغيبة، والنميمة، فلا رواج لهما عند سليم القلب، منشرح الصدر، لا تحدثا بهما، ولا نقلا لهما، ولا استماعا إليهما.

❖ أن ذلك من علامات ودلائل حسن الدين، والاستمسك بالعروة الوثقى، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان: ٢٢].

عن سفيان بن دينار، قال: قلت لأبي بشر: أخبرني عن أعمال من كان قبلنا؟ قال: «كانوا يعملون يسيراً، ويؤجرون كثيراً». قال سفيان: ولم ذاك؟ قال أبو بشر: «لسلامة صدورهم» (٢).

❖ أنه لا ينفع يوم القيامة سوى سلامة القلب، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

❖ أنه سبب لدخول الجنة، والأجر، والسلامة من الخوف والحزن، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرًا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ

(٢) «الزهد» لهناد بن السري ٦/٢٠٠٠.

(١) في «لطائف المعارف» ص (١٣٩).

كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿البقرة: ١١١-١١٢﴾.

وقال ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا...» الحديث (١).
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على آثارهم كأحسن كوكب دري في السماء إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد، لا تباغض بينهم ولا تحاسد» (٢).

١٤ أنه من أعظم نعيم الجنة، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مِّنْفَسِيلٍ﴾ [الحجر: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ يَّجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

١٥ أن من كان سليم القلب، منشرح الصدر، يعيش في جنة وسعادة ونعيم في الدنيا قبل الآخرة، مع ما عند الله تعالى له في الآخرة.
قال ابن القيم (٣): «القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا، وفي جنة في البرزخ، وفي جنة يوم المعاد».

وهذا لا يدركه إلا من منحه الله تعالى سلامة القلب، وانشرح الصدر.
قال الشاعر:

من سالم الناس يسلم من غوائلهم وعاش وهو قير العين جدلان (٤)

(١) سبق تحريجه.

(٢) أخرجه البخاري في بدء الخلق (٣٢٤٥، ٣٢٥٤)، وفي أحاديث الأنبياء (٣٣٢٧)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٣٤)، والترمذي في صفة الجنة (٢٥٣٧).

(٣) انظر: «بدائع التفسير» ٣/٣٢٧.

(٤) البيت لأبي الفتح البستي. انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (٣٢/٩)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٢٩٥/٥)، «حياة الحيوان الكبرى» للدميري (١/٢٥١).

الوقفه الثانية: أسباب سلامة القلب، وانسراح الصدر

أسباب سلامة القلب، وانسراح الصدر كثيرة جداً، لمن وفقه الله تعالى للأخذ بها، من أهمها ما يلي:

أولاً: صدق الإيمان بالله تعالى، والإخلاص له وحده لا شريك له، والاستقامة على دينه، وشرعه، وخوفه، ورجائه.

ثانياً: ملازمة العبد دعاء ربه ﷻ، وسؤاله الهداية، وانسراح صدره، وثبات قلبه وصلاحه، وسلامته من الشك، والكفر، والنفاق، ومن الحقد، والحسد، والغل، والزَّيغ، وغير ذلك من أمراض القلوب، كما قال موسى ﷺ: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: ٢٥] وكما كان نبينا ﷺ يقول: «يا مقلبَ القلوب، ثبَّتْ قلبي على دينك»^(١)، ويقول ﷺ: «يا مصرِّفَ القلوبِ صرِّفْ قلوبنا على طاعتك»^(٢).

وكما امتدح ﷺ الراسخين في العلم بقولهم: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]. وامتدح ﷺ المؤمنين بقولهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وهكذا كان دأب الصالحين ملازمة الدعاء بصلاح القلب؛ معرفتهم التامة أن في صلاح القلب صلاح الجسد كله، وبذلك صلاح أمر دينهم ودنياهم وأخراهم، وهكذا كان شأن سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ﷻ، كان لا يفتر في مجالسه، وفي تنقلاته، وتقلباته، وسائر أحواله من قوله: «اللهم أصلح لي قلبي»، عرّف هذا عنه القريب والبعيد، والقاصي والداني، رحمه الله رحمة واسعة، وجمعنا وإياه وجميع المسلمين، في دار كرامته ﷻ.

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم في القدر (٢٦٥٤)، وأحمد ١٦٨/٢ (٦٥٦٩) من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ.

ثالثاً: تعاهد القلب ومراقبته، والحرص على سلامته، التي بها النجاة يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]؛ أي: سليم: أولاً: من الشبهة، والشك، والشرك، والكفر، والنفاق، والرياء، والكبر، ونحو ذلك، مخلص العبادة لله تعالى وحده؛ لأن العمل لا يقبل إلا إذا كان خالصاً لله تعالى، موافقاً لشرعه، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]؛ أي: أخلص العمل لله تعالى، وهو متبع شرع الله.

وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]؛ أي: أخلصه وأصوبه. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صُورِكُمْ وأموالِكُمْ، ولكن ينظر إلى قلوبِكُمْ وأعمالِكُمْ»^(١).

وسليم ثانياً: من الحسد، والحقد، والغل على عباد الله، نقي السريرة، سليم القلب والصدر على إخوانه المسلمين، لا يحمل على أحد منهم لا غلاً، ولا حقدًا، ولا حسدًا، ولا عداوةً، ولا بغضاءً، ولا شحناءً، كما قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً؛ المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا» ويشير إلى صدره ثلاث مرات «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه، وماله، وعرضه»^(٣).

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٦٤)، وابن ماجه في الزهد، القناعة (٤١٤٣)، وأحمد ٢/ ٢٨٤ (٢٨٢٧).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٦)، وأحمد ٤/ ٢٧٠ (١٨٣٧٣) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٦٤)، وأحمد ٢/ ٢٧٧ (٧٧٢٧).

قال الشاعر:

لا يحملُ الحقدَ من تعلقو به الرتبُ ولا ينال الرضا من طَبَعُهُ الغضبُ^(١)

رابعاً: إفشاء السلام، فهو من أعظم أسباب سلامة القلوب وصفائها؛ قال ﷺ: «ألا أدلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم»^(٢).

خامساً: النصح للمسلمين، وعدم الغش لأحدٍ منهم، كما قال جرير بن عبد الله ﷺ: «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»^(٣).

وعن تميم الداري ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «الدين النصيحة» قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»^(٤).

سادساً: محبة الخير للمسلمين جميعاً؛ قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٥).

سابعاً: حسن الظن بإخوانه المسلمين، وحمل ما يصدر منهم على المحمل الحسن ما أمكن ذلك، والحذر من سوء الظن، فإن سوء الظن يُوغر الصدور، ويغرس في القلوب الحقد والغل والكرهية، على لا شيء؛ لهذا نهى الله ﷻ عنه وحرمه، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتِنُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَانفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال ﷺ: «إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث»^(٦).

(١) البيت لعنترة بن شداد. انظر: «ديوانه» ص (١٠).

(٢) سبق تخريجه (٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه مسلم في الإيمان (٥٥)، وأبو داود في الأدب (٤٩٤٤)، والنسائي في البيعة (٤١٩٧). وأخرجه النسائي في الموضوع السابق (٤١٩٩)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٥) في «تفسيره» ٣٥٧/٧.

(٦) أخرجه مالك في حسن الخلق (٩٠٧/٢)، والبخاري في النكاح (٥١٤٣)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٦٣)، وأبو داود في الأدب (٤٩١٧)، والترمذي في البر والصلة (١٩٨٨).

قال ابن كثير رحمه الله (١): «ورؤينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المسلم إلا خيراً، وأنت تجد لها في الخير محملاً» (٢).

ومن سلامة القلب، والنصح للمسلمين، ومحبة الخير لهم، وحسن الظن بهم: أن يكون المرء واضحاً مع إخوانه المسلمين، فلا يُضمر لهم خلاف ما يُظهر، ويجذر من صفة ذي الوجهين الذي إذا قابل أخاه أبدى له احتراماً وتقديراً، فإذا غاب عنه بخل بالرد عليه على الهاتف، وما أكثر هؤلاء!

ويجذر أيضاً من أن يتقمص الشخصية الغامضة مع إخوانه، معتقداً أن ذلك من الحِذق، والمهارة، والذكاء، والدهاء، والعقل، وما علم أن هذا من الجهل، وعدم التوفيق، وسوء الحظ والغباء.

وصدق القائل:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محببيه بقول عاداته وأصبح في ليل من الشك مظلم (٣)

ثامناً: التماس الأعذار، وإقالة العثرات، والتغاضي عن الزلات. قال ابن سيرين: «إذا بلغك عن أخيك شيء فالتمس له عذراً، فإن لم تجد له عذراً فقل: لعل له عذراً لا أعرفه» (٤). قال الشاعر:

تأنّ ولا تعجل بلومك صاحباً لعلّ له عُذراً وأنت تلوم (٥)

(١) «تفسيره» (٣٥٢/٧).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «مدارة الناس» (٤٥)، والمحاملي في «أماليه» (٤٦٠)، والسخاوي في «البلدانيات» ص (٢٥١).

(٣) البيتان للمتنبّي. انظر: «أبو الطيب المتنبّي وما له وما عليه» للثعالبي ص (١٣٠)، «التذكرة الحمدونية» (٦٦/٥).

(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» ٦/٣٢٣ (٨٣٤٢). وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/٢٨٥) عن أبي قلابة.

(٥) البيت لدعبل. انظر: «المنصف للسارق والمسروق منه» لابن وكيع ص (١٥٠).

تاسعاً: الحرص على صلاح ذات البين بين المسلمين؛ فإن فساد ذات البين كما قال ﷺ: «هي الخالقة»^(١)؛ أي: هي التي تُؤغِر الصدور، وتُفسد القلوب. كما رُوي عنه ﷺ: «لا أقول: تحلّق الشعر، ولكن تحلّق الدين»^(٢). قال الشاعر:

إن القلوب إذا تنافرت وُدّها شبه الزجاجة كسرّها لا يُجبر^(٣)

عاشراً: قوة الرجاء فيما وعد الله به سليم القلب من الأجر العظيم، والثواب الجزيل، والسعادة، والتوفيق في الدين والدنيا والآخرة، ودخول الجنة.



(١) أخرجه أبو داود في الأدب (٤٩١٩)، والترمذي في صفة القيامة (٢٥٠٩)، وأحمد ٦/٤٤٤ (٢٧٥٠٨) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وصححه الألباني في «غاية المرام» (٤١٤).

(٢) ذكرها الترمذي في الموضوع السابق بقوله: «ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: «هي الخالقة، لا أقول: تحلّق الشعر، ولكن تحلّق الدين». وأخرجها (٢٥١٠)، وأحمد ١/١٦٧ (١٤٣٠) من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه. وقال الألباني في «الإرواء» (٢٣٨/٣): «رجاله ثقات غير مولى الزبير فلم أعرفه، وأشار ابن أبي حاتم إلى إعلاله به، نقلاً عن أبي زرعة».

(٣) البيت لصالح بن عبد القدوس، أو لعلي رضي الله عنه. انظر: «اللطائف والطرائف» ص (١٩٦).

وقفات ثلاث في: اللغة العربية بين عقوق أبنائها وجهلهم، وعجز علمائها

قال الله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]

الوقفة الأولى في: أهمية اللغة عند الأمم

إن من أعظم ما تعتز به الأمم وتفتخر به من تراثها: لغتها، وهي من أهم مرتكزات نهضتها، ولا يمكن أن تُفْلِحَ أمة أضاعت لغتها، وتاريخها، وحضارتها؛ فإضاعة اللسان واللغة تعني إضاعة الذات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون»^(١).

وقال مصطفى صادق الرافعي رحمته الله^(٢): «ما ذلت لغة شعب إلا ذلَّ، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار».



الوقفة الثانية في: مكانة اللغة العربية بين اللغات، والاعتزاز بها، وأهميتها وأهمية تعلمها

أ- امتياز مكانة اللغة العربية بين سائر اللغات:

تحتل اللغة العربية المكانة الأولى بين اللغات؛ لأنها لغة القرآن الكريم أعظم الكتب

(١) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٥١٩). (٢) في كتابه «وحي القلم» (٣/ ٢٧).

السمائية، وأفضلها، والمهيمن عليها.

ولغة أفضل الرسل وخاتمهم، وأفصحهم لساناً، وأقواهم بياناً نبينا محمد ﷺ، ولسان خير أمة أخرجت للناس، فهي وعاء القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وحاوية جميع العلوم الإسلامية.

قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ لِنُنزِلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١١٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١١٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١١٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْبَعْثِ لَأَرْبَبَ فِيهِ ﴾ [الشورى: ٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ [طه: ١١٣]، وقال تعالى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿كَتَبْنَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ، قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [فصلت: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حَكَمًا عَرَبِيًّا ﴾ [الرعد: ٣٧].

ولأنها أبقى اللغات، وأخلدها، باقية ما بقي القرآن الكريم الذي تكفل الله ﷻ بحفظه؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

وهي أفصح اللغات وأظهرها بلاغة وبياناً، وأجملها، وأكملها. سُميت لغة الضاد لانفرادها بالضاد دون غيرها من اللغات.

امتدت على طول القرون منذ العصر الجاهلي وعصر الإسلام إلى يومنا هذا، وكانت من أغنى اللغات، وأوسعها؛ من حيث مفرداتها، وألفاظها، وصيغها، وأبنياتها، وتراكيبها، وخصائصها، ومصطلحاتها، وأساليبها.

وسَّعت كتاب الله ﷻ في إعجازه، وبلاغته، وفصاحته، ودقة أسلوبه، وجماله، وروعته.

قال مصطفى صادق الرفاعي ﷻ^(١): «وإن هذه العربية بنيت على أصل يجعل شبابها

(١) في كتابه «تحت راية القرآن» (ص ٢٦).

خالدًا عليها، فلا تهرَم ولا تموت».

قال المستشرق الألماني يوهان فك: «إن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها أساسياً لهذه الحقيقة الثابتة، وهي أنها قد قامت في جميع البلدان العربية والإسلامية رمزاً لغوياً لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية، الفصحى لغة القرآن».

وقال جوستاف: «وما من لغة تستطيع أن تطاول اللغة العربية في شرفها».

وقال الألماني فريتاغ: «اللغة العربية أغنى لغات العالم».

وقال المستشرق بارتلمي هربلو: «اللغة العربية أعظم اللغات أدباً، وأسماها بلاغة وفصاحة، وهي لغة الضاد».

وقال المستشرق جاك بيرك: «اللغة العربية لغة المستقبل، ولا شك يموت غيرها، وتبقى خالدة»^(١). «والحق ما شهدت به الأعداء».

ب- الاعتراز باللغة العربية، وأهميتها:

يحق لكل مسلم ومسلمة أن يعتز ويفخر ويفاخر، ويرفع رأسه عالياً باللغة العربية؛ لأنها لغة القرآن الكريم، ولسان النبي الكريم محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، ولغة الإسلام، أفصح اللغات، وأبلغها، وأوسعها، وأبقاها، وأخلدها.

تستمد جميع مقوماتها من كتاب الله الكريم الذي هو كلامه ﷺ أنزله على أفصح الخلق نبينا محمد ﷺ، وعلى قومه قريش أفصح الناس، وأبلغهم لساناً.

قال الشافعي رحمه الله^(٢): «ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً، والعلم باللغة عند العرب، كالعلم بالسنة عند أهل الفقه».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله^(٣): «فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله»^(٣).

وقال الأستاذ الأديب عبد الله بن حمد الحقييل^(٤): «واللغة العربية من أهم مقومات

(١) انظر: «اللغة العربية هوية وانتماء» (ص ١٠٣). (٢) في «الرسالة» ص (٣٤).

(٣) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٥١٩). (٤) في كتابه: «اللغة العربية هوية وانتماء» (ص ٩).

الأمة، نزل بها كتاب سماوي خالد، وقد جمعت العرب ووحدتهم، والحفاظ على الفصحى عمل عظيم، والالتزام بقواعدها في جميع الاستعمالات يحمل الاهتمام بلغة القرآن الكريم، التي تمتاز بدقة في الألفاظ، وسعة في المعاني، وفصاحة في التراكيب، واللغة العربية هي عنوان الهويّة العربية، شرفها ومجدها، عمودها وعمادها، وأساسها الراسخ المتين، فهي تجسيد للهوية العربية، والشخصية الحضارية العربية التي شرفها الله، وأنزل بها قرآنه الكريم، ووسيلة حفظه وانتشاره بين الناس، فهي اللغة الخالدة على وجه البسيطة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها».

وقال أيضًا^(١): «إن اللغة العربية يحتاجها المسلمون في كل مكان لفهم دينهم، وتتجدد الرغبة إليها، والاهتمام بها، مع رغبة النفوس وتطلعها إلى الإسلام، والدخول فيه، وهي الوسيلة الفعالة، والمصدر القوي لفهم رسالة الإسلام، ومعرفة القرآن الكريم ومعانيه».

وصدق حافظ إبراهيم رحمه الله في قوله على لسان اللغة العربية^(٢):

أنا البحرُ في أحشائه الدرُّ كامنٌ فهل ساءلوا الغوّاص عن صدّقاتي؟!
وسعتُ كتابَ الله لفظاً وغايةً وما ضقتُ عن آيٍ به وعظاتي؟!
فكيف أضيّقُ اليومَ عن وصفِ آلهِ وتنسيقِ أسماءٍ لمخترعاتِ؟!!

ج- أهمية تعلم اللغة العربية لكل مسلم:

تعلم اللغة العربية هو الطريق الوحيد لفهم القرآن والسنة، والعمل بهما، لذا كان لزاماً على كل مسلم أن يتعلم من اللغة العربية ما به يفهم من الكتاب والسنة ما يقيم به أمر دينه، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تفقهوا في الدين... وتعلموا العربية»^(٣).

(١) المصدر السابق ص ١٩.

(٢) ذكرت هذه القصيدة كاملة في بيان معنى الحروف المقطعة أوائل السور في مطلع سورة البقرة من «عون الرحمن في تفسير القرآن».

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» ٣٢٣/٤ (٧٩٤٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٤٣٤/١٥ (٣٠٥٤٢)، وسعيد بن منصور في التفسير من «سننه» ٣١٤/٢ (٨٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» ٥٤٧/٢ (٢٦٧٨).

وقال الشافعي رحمته الله (١): «فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ويتلو به القرآن... وما ازداد من العلم باللسان الذي جعله الله لسان من ختم به نبوته».

وقال أيضاً: «اللسان الذي اختاره الله ﷻ لسان العرب فأنزل به كتابه العزيز، وجعله لسان خاتم أنبيائه محمد ﷺ، ولهذا نقول: ينبغي لكل أحد يقدر على تعلم العربية أن يتعلمها؛ لأنها اللسان الأولى».

وقال مالك رحمته الله: «لا أوتى برجلٍ غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا» (٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «ومعلوم أن تعلم العربية، وتعليم العربية فرض على الكفاية، وكان السلف يؤدبون أولادهم على اللحن، ونحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي ونصلح الألسن المائلة عنه، فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة، والافتداء بالعرب في خطابها، فلو ترك الناس على لحنهم كان نقصاً وعيباً» (٣).

وقال أيضاً: «فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون» (٤).

وقال أيضاً: «وما زال السلف يكرهون تغيير شعائر العرب حتى في المعاملات، وهو التكلم بغير العربية إلا لحاجة، كما نص على ذلك مالك، والشافعي، وأحمد، بل قال مالك: «من تكلم في مسجدنا بغير العربية أخرج منه»، مع أن سائر الألسن يجوز النطق بها لأصحابها، ولكن سوغوها للحاجة، وكرهوها لغير الحاجة، ولحفظ شعائر الإسلام، فإن الله أنزل كتابه باللسان العربي، وبعث به نبيه العربي، وجعل الأمة العربية خير الأمم، فصار حفظ شعارها من تمام حفظ الإسلام».

وقال أيضاً: «واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل، والخلق، والدين تأثيراً قوياً بيناً، ويؤثر

(٢) انظر: «الإتقان» (٢/ ٢٢٩).

(١) في «الرسالة» (ص ٤٩).

(٤) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٥١٩).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣٢/ ٢٥٢).

أيضاً في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل، والدين، والخلق، وأيضاً فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب^(١).
وقال ابن القيم رحمته: «إنما يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب، فعرف علم اللغة، وعلم العربية، وعلم البيان، ونظر في أشعار العرب وخطبها»^(٢).



الوقف الثالث في:

الواجب على الأمة تجاه اللغة العربية لغة القرآن والسنة ولغة الإسلام

يجب على الأمة الإسلامية قاطبة، ممثلة بحكوماتها، وجامعاتها، وكليات اللغة العربية، ووزارات التعليم في جميع البلاد العربية، والإسلامية، وممثلة برجال التعليم، وخصوصاً معلمي اللغة العربية، وبجميع المربين، والموجهين، والوالدين، وبجميع أفراد الأمة ذكورهم وإناثهم: النهوض باللغة العربية، لغة القرآن والإسلام، والحفاظ عليها، والاعتزاز والفخر بها.

فهي أمانة في أعناقنا، والحفاظ عليها، ونشرها مسؤولية كل فرد من أفراد الأمة بقدر ما يستطيع.

فيجب غرس محبة اللغة العربية واحترامها في نفوس الأجيال الناشئة وتشويقهم إليها، من خلال تطوير مناهجها، وتيسيرها، ومن خلال الوسائل التعليمية، والثقافية، ومن خلال رفع شأنها، والاعتزاز بها، وتطبيقها في المدارس والجامعات والأندية، والاجتماعات، وفي وسائل الإعلام والاتصال، والقنوات وشبكة المعلومات، والدوائر والمؤسسات، وغير ذلك، ومن خلال جعلها لغة الحديث، والتخاطب والتعليم، وتدریس العلوم والتقنيات، والبحوث والدراسات، وفي الحياة اليومية في المتاجر والمصانع، وفي

(١) انظر: المصدر السابق (١ / ٥٢٧١).

(٢) انظر: «الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، وعلم البيان» (ص ٧).

جميع المرافق ومختلف المجالات.

ومن خلال العمل على نشرها؛ لأن في ذلك نشرًا للقيم والمثل العربية والإسلامية، ودعوة إلى الإسلام بين الأمم، يعكس أصالة الحضارة العربية والإسلامية. إن الحفاظ على اللغة العربية لغة القرآن الكريم، ونشرها واجب عظيم، والدفاع عنها دفاع عن القرآن الكريم، والدين القويم، وهي أمانة في أعناق العرب والمسلمين. قال الأستاذ الأديب عبد الله بن حمد الحقييل^(١): «وعلى الاهتمام باللغة العربية أمام سيل التهديد من شتى المقوّضات؛ كالعُجْمَة والعامية، وتفشي الانصراف عن تعلم العربية، بل يجب أن تكون الأولى في كل مجال في الاستعمال اليومي، وفي الخطاب الثقافي، وفي مجال الاستعمالات الحاسوبية والشبكية».

وقال أيضًا^(٢): «لغتنا العربية في عواصمنا العربية يجب أن تُفتح أمامها النوافذ المغلقة، والأبواب الموصدة، لتستطيع في هذا المناخ أن تبسط ظلها الوارفة، ورسالتها السامية، وتسخر بعطائها الوفير في جامعاتنا، ومدارسنا، وإعلامنا، وأن نحترمها حق الاحترام، وأن نوقف المد الأجنبي على العربية، وأن نعززها في نفوس أبنائها، وفي التعليم، والتعاملات التجارية».

ففي كثير من العواصم العربية والخليجية جامعات لا تعلم بغير الإنجليزية، ونلاحظ شركات وفنادق وندوات ومؤتمرات لا نجد للعربية فيها أثرًا ولا ذكرًا، حيث أصبح العربي في دياره غريب الوجه واليد واللسان، بفعل تقاعس أبنائها من العناية بها، والمحافظة على مكانتها، والوقوف في موقف المتفرج أمام موجات العولمة والتغريب».

إن مصيبة لغتنا العربية- لغة القرآن الكريم الكبرى مع تسلط أعداء الإسلام وكيدهم للقضاء عليها من الخارج- هي عقوق أبنائها وجهلهم وعجز علمائها، وهدمها من الداخل على أيدي أبنائها: ﴿يُخْرِجُونَ بِيُوتِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الحشر: ٢].

(١) في مقدمة كتابه: «اللغة العربية هوية وانتباء» (ص ١٠).

(٢) في المصدر السابق (ص ١٣).

وهو أشد مضاضة وأنكى، كما قال الشاعر:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضةً على النفس من وقع الحسام المهند (١)

وإن مما يؤسف له ويندى له جبين كل مسلم غيور على لغته ودينه أن يتبحر ويفتخر الكثيرون باستيراد مصطلحات ومسميات أجنبية لا تمت إلى لغتنا ولا إلى ديننا بصلة، فتجد كثيرًا من اللوحات واللافتات الإعلانية على المحلات التجارية، وعلى قاعات الأفراح والاستراحات، وغير ذلك بأسماء غريبة أو شرقية، وهذا من علامات الذل والانزمام، والتبعية لأولئك الأقوام، ومن أكبر معاول هدم اللغة العربية لغة القرآن الكريم، فكان اللغة العربية قد عَظمت ولا يوجد فيها متسع بدل هذه المسميات، وكأن من يعمل هذا فقد الانتماء للغته، ودينه، وأمته، وكأنه لم يعلم أنه لو استعاض عن ذلك بأسماء عربية إسلامية لكان في ذلك تشجيع للغته ودينه وأمته، يُوجَر عليه بإذن الله تعالى، مع حسن النية، وأنه في استيراد تلك المسميات الأجنبية على خطر أن يؤزر، وأن بحثه عن اسم غريب أو شاذ لا يبرر له ذلك؛ لما في ذلك من التبعية لغير المسلمين على حساب لغته ودينه والولاء لأمته.

علينا أن نعمل جميعًا على إعادة الثقة بأنفسنا، وبلغتنا، وديننا، وألا نكون أذلاء تابعين لغيرنا، بل يجب علينا أن نكون أحرارًا ننظر من علو وبعين العزة والقوة، والفخر بلغتنا؛ لأنها لغة القرآن، والإسلام أعظم اللغات، وأفصحها وأوسعها وأبقاها، وأخلدها. علينا أن نعلم أن إضاعة اللغة تعني إضاعة الذات والهوية والانتماء، والطريق إلى عدم فهم القرآن وإضاعة الدين.

علينا أن نختار الأسماء العربية الجميلة الموشاة بنور القرآن وبهدي سنة خير الأنام، وبتراث آبائنا وأجدادنا وسلفنا المجيد التراث الخالد التليد.

علينا أن يحاسب كل فرد منا نفسه ماذا قدم للغة القرآن والإسلام، كل في مجاله، وقدر

إمكانه.

(١) البيت لطرفة بن العبد، انظر: «ديوانه» ص ٢٧.

وعلينا جميعًا الحذر كل الحذر من أن نكون معاول هدم للغتنا، لغة القرآن الكريم، بإبراز غيرها في الحوار، والمكاتبات، والكتابات، وفيما نختاره من المسميات وغير ذلك.

وأخيرًا أقول: للنهوض باللغة العربية لغة القرآن الكريم، ولغة الإسلام، وتعليمها، ونشرها: يجب أن تتضافر الجهود.

فعلى الحكومات العربية والإسلامية دعم ذلك مادياً ومعنوياً، وألا تدخر في سبيل ذلك وسعاً، فهو واجبها.

وعلى رجال التعليم في الجامعات، وفي وزارات التعليم بذل الجهد في ذلك، وتحمل مسؤوليتهم أمام الله تعالى، والقيام بواجبهم.

وعلى الوالدين غرس حب اللغة العربية في نفوس أولادهم، والاعتزاز بها، وتعليمها إياهم منذ الصغر، وعلى كل فرد من أفراد الأمة أن يستشعر دوره في ذلك، وأن يساهم بما يستطيع في رفع مكانة اللغة العربية لغة القرآن، والنهوض بها، والدفاع عنها، ليكسب الأجر في ذلك من الله تعالى.

على كل فرد من أفراد الأمة أن يحرص على الكتابة باللغة العربية قدر استطاعته بدلاً من العامية أو الإنجليزية، ويربي أولاده على ذلك.

عليه أن يتكلم باللغة العربية قدر استطاعته بدلاً من العامية أو الإنجليزية، ويربي أولاده على ذلك.

عليه أن تكون تعاملاته ورسائله وما يكتبه من إعلانات ولوحات، وغير ذلك بأسماء عربية، وباللغة العربية، وهذا بمقدور كل أحد، فلا يحقر أحد أن يساهم برفع شأن لغته، ولو بلوحة يكتبها بها، فهذا يسير.

وعلى كل مسلم غيور على كتاب الله ﷺ ولغته وعلى دينه: الحذر كل الحذر أن يكون له يد في إضعاف دور اللغة العربية لغة القرآن الكريم، وذلك من خلال ما يأتي:

تعمد الكتابة باللغة الإنجليزية دون حاجة.

تعمد التكلم والمحاورة باللغة الإنجليزية من غير حاجة.

تعتمد كتابة الإعلانات واللوحات الخاصة بأسماء غير عربية، أو باللغة الإنجليزية، أو غيرها من اللغات.

فإن في ذلك كله إضعافاً لدور اللغة العربية لغة القرآن الكريم، ولغة الإسلام، وتقليلاً من شأنها، وإعزازاً وتقديماً لغيرها عليها.

اللهم هل بلغت، اللهم اشهد!



وقفة في: الأخذ بالعزم والحزم في الأمور كلها

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]

العزم معناه: الجِدُّ وقوة الإرادة والعزيمة؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ الْأُمُورَ فَكُنْ صَادِقًا لِلَّهِ لَكَانَ خَيْرًا لَكَ﴾ [محمد: ٢١]؛ أي: إذا جد الأمر ولزم وحضر القتال.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]؛ أي: فإذا صممت على أمر من الأمور، مما ظهر لك أنه عين الصواب، فاعتمد على الله، وامض فيه.

وقال تعالى ليحيى بن زكريا عليه السلام: ﴿يَسْحَبِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢].

وكتب عليه السلام لموسى عليه السلام التوراة بالألواح، وقال له: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

وقال تعالى لبني إسرائيل: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:

٦٣، والأعراف: ١٧١].

والحزم معناه: ضبط الأمر، والحذر من فواته. وفي الحديث في الوتر: «قيل لأبي بكر عليه السلام: أخذت بالحزم، وقيل لعمر عليه السلام: أخذت بالقوة»؛ لأن أبا بكر عليه السلام يوتر أول الليل؛ خوفاً ألا يقوم آخر الليل، وعمر عليه السلام يوتر آخر الليل؛ ثقة أنه سيقوم آخر الليل^(١).

والعزم لا ينفع إلا بالحزم، قال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز: ما العزيمة على الرشد؟ قال: «إصداره إذا ورد بالحزم»^(٢).

(١) أخرجه أبو داود في الوتر (١٤٣٤) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه. وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٢٨٨). وأخرجه ابن ماجه في إقامة الصلاة، والسنة فيها (١٢٠٢)، وأحمد ٣/٣٠٩، ٣٣٠ (١٤٣٢٣)،

(١٤٥٣٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه. وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٥٩٦).

(٢) «محاضرات الأدباء» ١/٣٤.

وقال ابن منظور^(١): «ولا خير في عزم بغير حزم؛ فإن القوة إذا لم يكن معها حذر أورطت صاحبها».

وقد امتدح الله ﷻ المتصفين بالعزم من الرسل وغيرهم، وأثنى عليهم، وحث على العزم، ورغب فيه، فقال تعالى مخاطباً نبينا محمداً ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا وَأُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقال تعالى مخاطباً المؤمنين: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ نَصَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَدَرَ وَعَفَّرَ لِنَ ذَلِكَ لِمَنْ عَزَمَ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

وقال لقمان لابنه فيما ذكر الله تعالى عنه: ﴿يَبْنِي أَقِيمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصِرْ عَلَىٰ مَا آصَابَكَ مِنْ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وقال ﷻ: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد»^(٢).

وقال ﷻ لابن عباس ﷺ: «أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز»^(٣).
وقد قيل:

إذا كنتَ ذا رأيٍ فكنْ ذا عزيمةٍ فإن فسادَ الرأيِ أن تتردداً^(٤)
فتأمل - أخي الكريم، وفقك الله وبارك فيك - هذه النصوص جيداً، واعلم أن الحياة جدُّ لا هزل فيها، وأنها أشبه بالبحر المتلاطم، من نزل فيه وهو لا يجيد السباحة

(١) «لسان العرب» مادة «عزم»، وانظر: مادة «حزم».

(٢) أخرجه النسائي في السهو (١٣٠٤)، والترمذي في الدعوات (٣٤٠٧)، وأحمد ١٢٣/٤ (١٧١١٤) من حديث شداد بن أوس ﷺ. وصححه الألباني في «الصحيح» (٣٢٢٨).

(٣) أخرجه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وابن ماجه في المقدمة (٧٩)، وفي الزهد (٤١٦٨)، وأحمد ٣٦٦/٢ (٨٧٩١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) نسب لأبي جعفر المنصور، انظر: «الحماسة البصرية» لأبي الحسن البصري (٥٧/٢)، و«زهر الآداب، وثمر الألباب» للحصري القيرواني (٢٥٧/١)، و«التذكرة الحمدونية» لأبي المعالي البغدادي (٤١٩/١).

غرق، وأشبه بالمعركة، من دخل فيها من غير سلاح ولا تدرب هزم وهلك.
فشمّر أخي المبارك عن ساعد الجدد، وخذ بمعالي الأمور، واصدق في طلب
النجاة، والوقاية لنفسك وأهلك، واحذر من العجز والتسوية والكسل، واعلم
أن أيامك معدودة، وأنفاسك محدودة.

فخذ نفسك وأهلك بالعزم والحزم؛ بامثال أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه،
وأداء حقوق الله ﷻ على الوجه الشرعي، وحقوق الخلق.
وسارع إلى الخيرات، وسابق إليها، ونافس فيها، فالغبن غداً كبير، وليس
باليسير، بل لا يكاد يوصف، ولا أحد يرضى لنفسه الغبن.

واعلم أن المرء حيث يجعل نفسه، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقْنَاهَا ۝١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ
دَسَّهَا ﴿ [الشمس: ٩، ١٠].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَرَى ۝٥ وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى ۝٦ فَسَنِيَرَهُ لِلْغُسْرَى ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ
وَأَسْتَفْتَى ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝٩ فَسَنِيَرَهُ لِلْعُسْرَى ۝١٠﴾ [الليل: ٥، ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝﴾ [سورة العصر].

وقال ﷺ: «كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»^(١).

قال لبيد^(٢):

وما الناس إلا عاملان فعاملٌ يُتبرُّ ما يبني وآخرٌ رافعٌ

وقال الآخر^(٣):

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه فكن طالباً في الناس أعلى المراتب

(١) أخرجه مسلم في الطهارة (٢٢٣)، والترمذي في الدعوات (٣٥١٧)، وابن ماجه في المقدمة (٢٨٠)،

وأحمد ٣٢٢/٥ (٢٢٩٠٢) من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ.

(٢) انظر: «ديوان لبيد» ص (٥٦) اعتنى به: حمدو طماس، دار المعرفة، ط: ١، ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤ م.

(٣) البيت لعل بن أبي طالب ﷺ. انظر: «ديوانه» ص (١٥).

وقال الآخر (١):

لأستسهلنَّ الصعبَ أو أدركَ المنى فما انقادتِ الآمالُ إلا لصابرٍ

وقال الآخر (٢):

وَمَنْ يتهَيَّبُ صعودَ الجبالِ يعيشُ أبداً الدهرَ بين الحُفَرِ

وقال الآخر (٣):

إذا أنت لم تعرفَ لنفسِكِ حقَّها هواناً بها كانت على الناسِ أهواناً

فنفسكُ أكرمها وإن ضاق مسكنُ عليك بها دورٌ لنفسِكِ مسكناً

وإياك والسكنى بدار مذلَّةٍ تُعدُّ مُسيئاً بعدما كنتَ مُحسناً

وقال الآخر (٤):

مَنْ يُهِنُ يسهلِ الهوانُ عليه ما لجرحٍ بميتٍ إيلامُ

وقال الآخر (٥):

الأمر جدٌّ وهو غير مزاح فاعمَلْ لنفسِكِ صالحاً يا صاح

وقال الآخر (٦):

سوف ترى إذا انجلى الغبارُ أفرسٌ تحتك أم حمارٌ؟

وقال الآخر (٧):

(١) انظر: «أوضح المسالك» لابن هشام (٤/١٧٢)، و«اللمحة، في شرح الملحّة» لابن الصائغ (٢/٨٣٩)،

و«المقاصد النَّحْوِيَّة في شرح شواهد شروح الألفية» للعيني (٤/١٨٦٥).

(٢) البيت لأبي القاسم الشابي. انظر: «ديوانه» (ص ٧٠).

(٣) انظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي ص (٣٢٠)، و«الدر الفريد» للمستعصمي (٢/٣٦٧).

(٤) البيت للمتنبّي. انظر: «ديوانه» ص (١٦٤).

(٥) البيت لنشوان الحميري، في «معجم الأدياء» لياقوت (٦/٢٧٤٥)، و«ملوك حمير وأقيال اليمن» ص (١).

(٦) انظر: «التمثيل والمحاضرة» للثعالبي ص (٣٤٥)، و«مجمع الأمثال» للميداني (١/٣٤٤)، و«الدر الفريد»

للمستعصمي (٦/٤٥٧).

(٧) البيتان للشافعي، انظر: «ديوانه» ص (٩٧).

ومن طلب العلامن غير كدُّ
 تروم العزَّ ثم تنام ليلاً
 وقال الآخر (١):
 ومن زرع الحبوب وما سقاها
 أضاع العمرَ في طلب المُحالِ
 يغوص البحرَ من طلبِ اللَّالي
 تأوَّه نادماً يوم الحصادِ



(١) انظر: «لطائف المعارف» لابن رجب (ص ١٤٨).

وقفتان في: أمانة المسؤولية في أعمال الأمة

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا

الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ [الأحزاب: ٧٢]

الوقفة الأولى في:

الاحتساب في أعمال الأمة

مما يؤسف له أن نظر كثير من العاملين في الأمة من المعلمين والموظفين وغيرهم إلى العمل من جانب مادي فقط، حتى في الوظائف الدينية؛ كالقضاء، والأذان والإمامة، ونحو ذلك، مع غياب الهدف الأسمى وهو الاحتساب الذي هو أعظم دافع معنوي للقوة والنشاط في العمل، وللفخر والاعتزاز.

وفي هذا- إضافة إلى تسببه في ضعف نتائجهم- خسارة عظيمة لا تشبهها خسارة، يظل الشخص يعمل طيلة عمره- أربعين سنة أو ثلاثين أو أقل أو أكثر- مدرساً، أو قاضياً، أو موظفاً، أو غير ذلك، ولم يحتسب عند الله شيئاً من ذلك، إلا أنه يعمل ليحصل على الرزق من ذلك؛ ليعف نفسه وأهله وولده، وهذا شيء طيب يؤجر عليه بإذن الله تعالى، لكنه خسر الكثير والكثير لما لم يستحضر مع ذلك ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، والنصح للأمة، ورفع شأنها؛ لأن العمل في الأمة جهاد يؤجر عليه المرء إذا استحضر النية.

قال تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا

أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ﴿٧٧﴾ [القصص: ٧٧].

وقال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله

ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»^(١).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «احتسبوا أعمالكم؛ فإن من احتسب عمله كتب له أجر عمله وأجر احتسابه»^(٢).

وقال معاذ رضي الله عنه: «فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي»^(٣).

والمصيبة أن كثيراً من ذوي المسؤوليات في الأمة كبيرها وصغيرها من المدرسين والقضاة والموظفين وأئمة المساجد والمؤذنين، بل كثير من الآباء والأمهات، وغيرهم يخسرون أعمارهم، وما يقومون به من جهد في مسؤولياتهم بسبب غياب جانب الاحتساب لله تعالى في ذلك العمل.

فاحرص أخي المبارك، وأختي المباركة على استحضار الاحتساب لله تعالى في أي عمل تقوم به دينياً أو دنيوياً، واحتسب ذلك على الله تعالى، تصيد عصفورين أو ثلاثة بحجر واحد: أجر الاحتساب من الله، وقيامك بالواجب، وأجر من بيت المال، مع عون الله وتوفيقه لك.

الوقف الثانية في:

أمانة المسؤولية في أعمال الأمة

من أعظم الأمانات أمانة المسؤولية في أعمال الأمة، التي يتساهل فيها الكثيرون، ولا يحسبون لها حساباً، فيخرجون منها بتبعات عظيمة تنوء بحملها الجبال.

(١) أخرجه البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)، وأبو داود في الطلاق (٢٢٠١)، والنسائي في الطهارة (٧٥)، والترمذي في فضائل الجهاد (١٦٤٧)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٢٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» مادة «حسب».

(٣) أخرجه البخاري في المغازي (٤٣٤١، ٤٣٤٤) من حديث أبي بردة حفيد أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وذلك لأنه اجتمع فيها ثلاثة حقوق عظيمة:

الأول: حق الله ﷻ، والثاني: حق ولي الأمر، والثالث: حقوق المسلمين. وهذا كله مما يعظم شأن المسؤولية وخطرها، ويوجب الصدق والنزاهة فيها، والقيام بها خير قيام وعلى أكمل وجه وأتمه.

ولهذا قال ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة ﷺ: «يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها»^(١).

وقال ﷺ لأبي ذر ﷺ: «يا أبا ذر، إني أراك ضعيفًا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرنَّ على اثنين، ولا تولين على مال يتيم»^(٢).

وعن معقل بن يسار ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبدٍ يسترعيه الله رعيةً يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»^(٣).

وعدم القيام بما أنيط بالمسؤول من عملٍ من أعظم الغش للرعية وللأمة؛ لما فيه من تضييع حقوق الناس، ومصالحهم، وأشد منه غشًا وجرمًا وعقوبةً من جمع بين هذا وبين جعل المنصب طريقًا للتعالي والتعاضم على الناس، ومطيةً للنهب والتكسب من بيت المال، أو من جيوب الناس بالمحاباة والرشوة، وغير ذلك.

فعلى من تولى أمرًا من أمور المسلمين الحرص كل الحرص على القيام به حق القيام، وإتقانه، قال ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه»^(٤).

(١) أخرجه البخاري في الأيمان والنذور (٦٦٢٢)، وفي كفارات الأيمان (٦٧٢٢) ومسلم في الإمارة (١٦٥٢)، وأبو داود في الخراج (٢٩٢٩)، والنسائي في آداب القضاة (٥٣٨٤)، والترمذي في النذور (١٥٢٩) من حديث عبد الرحمن بن سمرة ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم في الإمارة (١٨٢٦)، وأبو داود في الوصايا (٢٨٦٨)، والنسائي في الوصايا (٣٦٦٧)، وأحمد ٥/ ١٨٠ (٢١٥٦٣) من حديث أبي ذر ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري في الأحكام (٧١٥٠، ٧١٥١)، ومسلم في الإيمان (١٤٢)، والدارمي في الرقاق ٢/ ١٧٤ (٢٧٩٦)، وأحمد ٥/ ٢٥ (٢٠٢٩١).

(٤) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» ١/ ٢٧٥ (٨٩٧)، وأبو يعلى الموصلي في «مسنده» ٧/ ٣٤٩

وقال ﷺ: «كلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته»^(١).

وليحذر كل الحذر من التفريط فيه، فإن المسؤولية عظيمة، والعاقبة وخيمة؛ قال

تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشَأُكُمْ بِمَا كُنتُمْ

تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].



(٤٣٨٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» ٢٣٢/٧ (٤٩٢٩) من حديث عائشة ﷺ. قال الهيثمي في «المجمع» (٩٨ / ٤): «رواه أبو يعلى، وفيه مصعب بن ثابت وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة». وصححه الألباني في «الصحيحة» (١١١٣).

(١) أخرجه البخاري في الجمعة (٨٩٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، وأبو داود في الخراج والإمارة (٢٩٢٨)، والترمذي في الجهاد (١٧٠٥)، وأحمد ٥ / ٢، ٥٤، ٥٤٩٥، ٥١٦٧ من حديث ابن عمر ﷺ.

وقفات خمس في: تدبر القرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]

الوقفة الأولى في:

وجوب تدبر القرآن الكريم، وتحريم هجره وأنواع تدبره

أ- وجوب تدبر القرآن الكريم، وتحريم هجره:

قال الله تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩].

فبين ﷺ أنه سبحانه أنزل القرآن الكريم لأجل أن يتدبر الناس آياته، ويكون تذكرة لأصحاب العقول الذين ينتفعون بعقولهم، قال الطبري رحمه الله (١): «يعني: ليتدبر هذا القرآن من أرسلناك إليه من قومك يا محمد».

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]،

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤].

فأنكر ﷺ على من لم يتدبر القرآن، وهذا يدل على وجوب تدبر القرآن.

قال القرطبي رحمه الله (٢): «ودل قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ [النساء: ٨٢] على وجوب

التدبر في القرآن؛ ليعرف معناه، وفيه دليل على الأمر بالنظر والاستنباط».

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨]؛ أي: أفلم يدبروا القرآن، وهذا أيضاً

إنكار عليهم.

وشكى ﷺ هجر قومه للقرآن، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا

(٢) في الجامع لأحكام القرآن «٥ / ٢٩٠».

(١) في جامع البيان «٢٠ / ٧٩».

الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿ [الفرقان: ٣٠].

وفي هذا دلالة على تحريم هجر القرآن، والإعراض عنه، وعدم تدبره والإيمان به، وتأکید لوجوب تدبره.

وهجر القرآن أنواع:

هجر تلاوته، وسماعه، والإصغاء إليه.

وهجر تدبره وتفهمه.

وهجر العمل به وتحكيمه، وغير ذلك^(١).

ب- أنواع تدبر القرآن الكريم:

تدبر القرآن أنواع ثلاثة:

النوع الأول: تدبر ألفاظ القرآن الكريم:

أ- معنى تدبر ألفاظ القرآن الكريم:

هو تلاوته تلاوة صحيحة، وقراءته قراءة سليمة، والإنصات عند سماعه وترتيبه بإقامة حروفه وكلماته وجمله وآياته، وسلامته من اللحن جلياً وخفيه، وحسن النطق به، وتزيين الصوت والتغني به، وحفظه أو ما تيسر منه.

قال تعالى في الأمر بتلاوة القرآن: ﴿ **أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ** ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، أي: اقرأ واتبع ما أوحى إليك من القرآن.

وفي الآية الثانية: ﴿ **وَأَنْ أتلُوا الْقُرْآنَ** ﴾ [النمل: ٩٢] أي: وأمرت أن أتلو القرآن؛ أي: أتبعه، وأقرأه على الناس.

والأمر للوجوب، وهو أمر له ﷺ ولأمته، كما قال تعالى: ﴿ **فَأَقْرءُوا مَا نَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ** ﴾

[المزمل: ٢٠].

(١) انظر: «بدائع التفسير» ٣/ ٢٩٢-٢٩٣.

وقال تعالى في الأمر بالتأني في قراءته والتمهل وترتيبه وتحسين الصوت به: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكَّةٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً﴾ [الإسراء: ١٠٦]، أي: لتقرأه على الناس على مهل وتؤدة.

وقال تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤]، وهذا أمر له ﷺ ولأتمته؛ أي: واقرأ القرآن بتمهل وترسل وتدبر لألفاظه ومعانيه وأحكامه. وهكذا كان يقرأ ﷺ ويأمر أمته بذلك.

عن أنس ﷺ قال: كانت قراءة النبي ﷺ مدًا، ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يمد «باسم الله»، ويمد بـ «الرحمن»، ويمد بـ «الرحيم»^(١).

وعن أم سلمة ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته آية آية:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٢).

وعن البراء بن عازب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ قرأ بـ «التين والزيتون»، فما سمعت أحدًا أحسن صوتًا منه^(٣).

وعنه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «زَيَّنُوا الْقُرْءَانَ بِأَصْوَاتِكُمْ»^(٤).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْءَانِ يَجْهَرُ بِهِ»^(٥). أي: من لم يحسن صوته بالقرآن يجهر به.

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن (٥٤٠٦).

(٢) أخرجه أبو داود في الحروف (٤٠٠١)، والترمذي في القراءات (٢٩٢٧)، وأحمد ٦/٣٠٢ (٢٦٥٨٣)، والدارقطني في الصلاة (٣١٢/١). قال الترمذي: «غريب». وقال الدارقطني: «إسناده صحيح وكلهم ثقات». وصححه الألباني في «الإرواء» (٣٤٣).

(٣) أخرجه البخاري في الأذان (٧٦٩)، ومسلم في الصلاة (٤٦٤)، وأحمد ٤/٣٠٢ (١٨٦٨١).

(٤) أخرجه أبو داود في الوتر (١٤٦٨)، والنسائي في الافتتاح (١٠١٥، ١٠١٦)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٤٢)، ٤/٢٨٣ (١٨٤٩٤)، وصححه الألباني في «الصحيحه» (٧٧١).

(٥) أخرجه البخاري في التوحيد (٧٥٢٧).

واستمع ﷺ لقراءة أبي موسى الأشعري ﷺ، فقال له: «لقد أُوتيتَ مِزْمَارًا من مزامير آل دواد»^(١). فقال أبو موسى ﷺ: لو كنتُ عَلِمْتُ أنك تسمع لحبْرته لك تحبيرًا^(٢).

ب- فضل تلاوة القرآن الكريم وحفظه:

قال تعالى في الثناء على أهل تلاوة القرآن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾^(٣) لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]، وقال تعالى: ﴿مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢].
وقال تعالى في امتداح القرآن والترغيب في حفظه، والثناء على حفظته: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَّبَيِّنَاتٌ فِي صُورٍ اللَّيِّنَاتِ أَوْ تَوَالِيمٍ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قرأ حرفًا من كتاب الله تعالى فله حسنة، والحسنةُ بعشرِ أمثالها، لا أقولُ: ﴿الم﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»^(٣).

وعن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُكم مَنْ تعلم القرآن وعلمه»^(٤).

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٤٨)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٩٣)، والترمذي في المناقب (٣٨٥٥). وأخرجه ابن ماجه في إقامة الصلاة (١٣٤١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «مستخرجه على مسلم» ٢ / ٣٨٤ (١٨٠٣)، وأبو طاهر السلفي في «الطيوريات» ٣ / ٨٢٣ (٧٣٥) من حديث أبي موسى. وأخرجه الكلاباذي في «بحر الفوائد» المشهور بـ«معاني الأخبار» ص (٢١٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» ١ / ٢١٦ (٦٧٩)، والترمذي في فضائل القرآن (٢٩١٠). قال الترمذي: «حسن صحيح غريب». وصححه الألباني في «الصحيحه» (٣٣٢٧).

(٤) أخرجه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٢٧)، وأبو داود في الصلاة (١٤٥٢)، والترمذي في فضائل القرآن (٢٩٠٧)، وابن ماجه في المقدمة (٢١١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «لا حسد إلا على اثنتين: رجل آتاه الله الكتاب، وقام به آناء الليل، ورجل أعطاه الله مالاً، فهو يتصدق به آناء الليل والنهار»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وعَشِيَّتَهُم الرحمة، وحَفَّتَهُم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»^(٢).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «اقروا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»^(٣).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين»^(٤).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتنق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا؛ فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها»^(٥).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَّةِ، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاقٌّ، له أجران»^(٦).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأثُرْجَةِ، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة، لا ريح

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٢٥)، ومسلم في صلاة المسافرين (٨١٥).

(٢) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٩)، وأبو داود في الصلاة (١٤٥٥)، والترمذي في القراءات (٢٩٤٥)، وابن ماجه في المقدمة (٢٢٥).

(٣) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٨٠٤).

(٤) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين (٨١٧).

(٥) أخرجه أبو داود في الوتر (١٤٦٤)، والترمذي في فضائل القرآن (٢٩١٤). قال الترمذي: «حسن صحيح». وصححه الألباني في «الصحيحه» (٢٢٤٠). وفي «صحيح أبي داود» (١٣١٧).

(٦) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٧٩٨)، وابن ماجه في الأدب (٣٧٧٩)، وأحمد ٦/٩٨ (٢٤٦٦٧).

لها وطعمها حُلُو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مُر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كممثل الحنظلة، ليس لها ريح وطعمها مر»^(١).

قال النووي رحمته: «اعلم أن التلاوة أفضل الأذكار، والمطلوب القراءة بتدبر».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما مثل صاحب القرآن كممثل الإبل المَعْقَلَة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهب»^(٢).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده هو أشد تفلتاً من قلوب الرجال من الإبل في عُقْلها»^(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بها فيه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة»^(٤).

وفي تلاوة القرآن وتدبره الشفاء لأمراض القلوب والأبدان كلها، كما قال تعالى:

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ما أصاب أحداً قط همٌّ ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حُكْمِك، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك: أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرجاً».

قال: قيل: يا رسول الله، ألا نتعلمها؟ فقال: «بلى، ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها»^(٥).

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٢٠)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٩٧).

(٢) في الأذكار ص (٨٥).

(٣) أخرجه مالك في القرآن (٢٠٢/١)، والبخاري في فضائل القرآن (٥٠٣١)، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٧٨٩)، والنسائي في الافتتاح (٩٤٢).

(٤) أخرجه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٣٣)، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٧٩١).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٤٤٦/١٥ (٣٠٥٧٦)، ٢٤٣/١٩ (٣٥٩٢٦)، والطبري في «جامع البيان» (١٦/١٩١)، وابن أبي شيبة في «تفسيره» ٢٤٣٨/٧ (١٣٥٦١).

(٦) أخرجه أحمد ٣٩١/١ (٣٧١٢)، وأبو يعلى ١٩٨/٩ (٥٢٩٧)، والطبراني في «الكبير» ١٦٩/١٠.

النوع الثاني: تدبر معاني القرآن الكريم:

أ- معنى تدبر معاني القرآن الكريم:

هو تفهم معاني ألفاظ القرآن، وجمله، وآياته، والتفكر والتذكر فيما دلت عليه، ومعرفة المراد بها.

وهو مبني على تدبر ألفاظ القرآن وحسن تلاوته.

ومن أهم ذلك الوقوف على مواضع الوقف الواجبة، والمستحسنة، والجائزة، والوصل فيما لا يجوز أو لا يحسن الوقف عليه؛ لأن هذا يعين على فهم الجمل والآيات، ولهذا لما أمر ﷺ النبي ﷺ بترتيل القرآن في قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤] قال بعده: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ [المزمل: ٦].

وتدبر معاني القرآن الكريم هو المقصود الأول والأهم من النصوص الموجبة لتدبر القرآن التي سبق ذكرها، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢، ومحمد ٢٤]، كما دل على ذلك كلام السلف ﷺ.

قال علي بن أبي طالب ﷺ: «لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا في علم لا فقه فيه، ولا قراءة لا تدبر فيها»^(١).

وقال الطبري: «إني لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله كيف يلتذ بقراءته»^(٢). وقال الحكيم الترمذي عن حرمة القرآن: «ومن حُرِّمته: أن يستعمل فيه ذهنه وفهمه حتى يعقل ما يخاطب به، ومن حُرِّمته: أن يقف على آية الوعد فيرغب إلى الله ويسأله من

(١٠٣٥٢)، وفي «الدعاء» (١٠٣٥)، وابن حبان في «صحيحه» ٣/ ٢٥٣ (٩٧٢)، والحاكم (١/ ٥٠٩-٥١٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٨٦-١٨٧): «رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري، ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح، غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان». وصححه الألباني في «الصحيح» (١٩٩).

(١) أخرجه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (٦٩)، وأبو القاسم بن بشير في «أماليه» كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٢٣٩). وانظر: «الجامع لأحكام القرآن» (١٤/ ٣٤٤).

(٢) انظر: «معجم الأدباء» ١٨/ ٦٨.

فضله، وأن يقف على آية الوعيد فيستجير بالله منه»^(١).

وقال ابن قدامة^(٢): «وليعلم أن ما يقرؤه ليس كلام بشر، وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه، ويتدبر كلامه؛ فإن التدبر هو المقصود من القراءة، وإن لم يحصل التدبر إلا بترديد الآية، ردّها».

وقال النووي^(٣): «ينبغي للقارئ أن يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع، فهذا هو المقصود المطلوب، وبه تشرح الصدور، وتستنير القلوب، ودلائله أكثر من أن تُحصر، وأشهر من أن تُذكر».

وقال ابن تيمية: «المطلوب من القرآن هو فهم معانيه والعمل به، فإن لم تكن هذه هي همة حافظه، لم يكن من أهل العلم والدين»^(٤).

وقال في قوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢]: «وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، وعقل الكلام متضمّن لفهمه، ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك»^(٥).

وقال الزركشي^(٦): «القرآن كله لم ينزله مُنزله تعالى إلا ليفهمه، ويُعلم ويُفهم، ولذلك خاطب به أولي الألباب الذين يعقلون، والذين يعلمون، والذين يفهمون، والذين يتذكرون ﴿لِيَذَكَّرُوا بِآيَاتِهِ وَيَتَذَكَّرُوا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾».

وقال أيضًا: «من لم يكن له علم وفهم وتقوى وتدبر لم يدرك من لذة القرآن شيئًا»^(٧).

ب- فضل تدبر معاني القرآن الكريم وأهميته:

كل النصوص الدالة على وجوب تدبر القرآن وعلى فضل تلاوته هي دالة على فضل (١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١ / ٢٧.

(٢) «مختصر منهاج القاصدين» ص ٦٨.

(٣) في «الأذكار» ص ٩٠، وانظر: ص ٨٥، وانظر: «البيان، في آداب حملة القرآن» ص ٦٠.

(٤) انظر: المصدر السابق ١٣ / ٣٣٢.

(٥) انظر: «مجموع الفتاوى» ٣ / ٥٤.

(٦) المصدر السابق ٢ / ١٧١.

(٧) في «البرهان» ٢ / ١٦٠.

تدبر معانيه، بل والعمل به؛ لأن المقصود الأهم من التدبر هو تدبر المعاني والعمل، والمقصود من التلاوة: التلاوة بتدبر.

قال ابن الجوزي^(١): «لما كان القرآن العزيز أشرف العلوم، كان الفهم لمعانيه أوفى الفهوم؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم».

وقال السُّعدي في مقدمة «تفسيره»^(٢): «وكان الذي ينبغي في ذلك أن يجعل المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة إليه».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٣): «من أصغى إلى كلام الله وكلام رسوله ﷺ بعقله، وتدبره بقلبه، وجد فيه من الفهم والحلاوة، والهدى، وشفاء القلوب، والبركة والمنفعة ما لا يجده في شيء من الكلام، لا في منظومه ولا مثوره».

وقال أيضًا: «دخل في قوله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، تعلم حروفه ومعانيه جميعًا، بل تعلم معانيه هو المقصود الأول من تعلم حروفه، وذلك الذي يزيد الإيمان، كما قال جُنْدُب بن عبد الله: «تعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانًا»^(٤)؛ ولهذا كانوا يبقون مدةً في حفظ السورة»^(٥).

وقال ابن القيم^(٦): «التذكر والتفكير منزلتان يثمران أنواع المعارف، وحقائق الإيمان والإحسان، والعارف لا يزال يعود بتذكره على تفكره، حتى يفتح قلبه بإذن الفتاح العليم. واعلم أن الرجل قد يكون له قلب وقاد مليء باستخراج العبر، واستنباط الحكم، فهذا قلبه يوقعه على التذكر والاعتبار، فإذا سمع الآيات كانت له نورًا على نور، وهؤلاء أكمل خلق الله وأعظمهم إيمانًا وبصيرة».

وقال أيضًا^(٧): «سماع القرآن بالاعتبارات الثلاثة: إدراكًا، وفهلاً وتدبرًا، وإجابةً...

(١) في «زاد المسير» ٣/١.

(٢) «مقدمة تيسير الكريم الرحمن».

(٣) في «اقتضاء الصراط المستقيم» ص (٣٨٤).

(٤) أخرجه ابن ماجه في المقدمة (٦١)، والبيهقي (٣/١٢٠).

(٥) انظر: «مجموع الفتاوى» ١٣/٣٠٤. (٦) في «مدارج السالكين» ١/٤٤١-٤٤٣.

(٧) المصدر السابق ١/٤٨٤.

فلن تعدم من هذا السماع إرشادًا لحجة، وتبصرةً لعبرة، وتذكرةً لمعرفة، وفكرةً في آية، ودلالةً على رشد،... وحياة لقلب، وغذاء ودواء وشفاء، وعصمة ونجاة، وكشف شبهة». وقال أيضًا^(١): «إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه وألق سمعك وأحضر حضور من يخاطبه ربه، من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله».

وقال أيضًا^(٢): «فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكير، فإنه جامع لجميع منازل السائرين، وأحوال العاملين، ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة والشوق، والخوف والرجاء، والإنابة والتوكل، والرضا والتفويض، والشكر والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكمالها».

وكذلك يزرع عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه. فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكير، حتى إذا مر بآية، وهو محتاج إليها في شفاء قلبه، كررها ولو مئة مرة، ولو ليلة... فقراءة القرآن بالتفكير هي أصل صلاح القلب».

وقال أيضًا^(٣): «فليس أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر... وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيّد بنيانه، وتوطد أركانه... وتعطيه قوة في قلبه وحياة وسعة وانسراحًا وبهجة وسرورًا، فيصير في شأن والناس في شأن آخر... فلا تزال معانيه تنهض بالعبد الى ربه... وتثبت قلبه عن الزيغ والميل عن الحق... وتناديه كلما فترت عزماته، وونى في سيره: تقدم الركب، وفاتك الدليل... وفي تأمل القرآن وتدبره أضعاف أضعاف ما ذكرنا من الحكم والفوائد».

وقال في النونية^(٤):

(١) في «الفوائد» ص ١.

(٢) في «مفتاح دار السعادة» ص ٢٢١.

(٣) في «مدارج السالكين» ١ / ٤٥١ - ٤٥٣.

(٤) انظر: «النونية مع الميمية» ص ٣٦.

فتدبر القرآنَ إن رُمِتَ الهدى فالعلمُ تحت تدبُّرِ القرآنِ

وقال السُّعدي (١) في كلامه على الآية: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]: «يأمر تعالى بتدبر كتابه، وهو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولو ازم ذلك، فإن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يُستتج كل خير، وتُستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب، وترسخ شجرته؛ فإنه يعرّف بالربِّ المعبود، وما له من صفات الكمال، وما ينزه عنه من سمات النقص، ويعرّف الطريق الموصلة إليه، وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه... وكلما ازداد العبد تأملاً فيه، ازداد علماً وعملاً وبصيرة، ولذلك أمر الله بذلك وحث عليه وأخبر أنه هو المقصود بإنزال القرآن، كما قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَنِ قُلُوبِ أَفْئَالِهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

ومن فوائد التدبر لكتاب الله:

أنه يصل بذلك العبد الى درجة اليقين، والعلم بأنه كلام الله؛ لأنه يراه يصدق بعضه بعضاً، ويوافق بعضه بعضاً.

فترى الحكمة والقصة، والأخبار تعاد في القرآن، في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضاً.

فبذلك يُعلم كمال القرآن، وأنه من عند من أحاط علمه بجميع الأمور، فلذلك قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، أي: فلما كان من عند الله لم يكن فيه اختلاف أصلاً.

وقال الشنقيطي (٢): «إذا علمت - أيها المسلم - أن هذا القرآن العظيم هو النور الذي أنزله الله ليستضاء به ويُستهدى بهداه في أرضه، فكيف ترضى لبصيرتك أن تعمى عن النور؟! ... يجب عليك الجد والاجتهاد في تعلم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بالوسائل

(١) في «تيسير الكريم الرحمن» ٢ / ١١٢ - ١١٣. (٢) في «أضواء البيان» ٧ / ٤٣٧.

النافعة المنتجة، والعمل بكل ما علمك الله منها علماً صحيحاً.

ج- درجات تدبر معاني القرآن:

تدبر معاني القرآن درجات ثلاث:

الدرجة الأولى: درجة التفكير والتذكر والنظر والاعتبار:

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يبينُ اللهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، وقال تعالى: ﴿وَيبينُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَذَكِّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩، وآل عمران: ٧].

والتفكير هو الذي يحمل صاحبه على عمل الخير، ويصده عن عمل الشر؛ لأن فيه النظر إلى عواقب الأمور، ولهذا أمر الله ﷻ بالتفكير في آياته الشرعية والنظر والاعتبار في آياته الكونية.

وقد قيل: تفكر ساعة خير من عبادة سنة، والتفكر: عمل القلب، والعبادة عمل الجوارح.

الدرجة الثانية: درجة التأثر والخشوع:

قال تعالى: ﴿اللهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَدِّهَا مَثَانِي نَقَّشِعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْآذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

وفي هذا ثناء على أهل العلم كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهُ مِنَ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ عليّ». قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال رسول الله ﷺ: «فإني أحب أن أسمع من غيري». قال: فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، قال لي: «أمسك». فإذا عيناه تذر فان (١).

(١) أخرجه البخاري في التفسير (٤٥٨٣)، وفي فضائل القرآن (٥٠٥٠)، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها

وعن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر رضي الله عنه ابنتى مسجداً بفناء داره، وكان يصلي فيه، ويقرأ القرآن، فينقذ فيه عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه، وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً، لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، فأفزع ذلك قريش ^(١).

قال ابن أبي مليكة: «سافرت مع ابن عباس من مكة إلى المدينة، فكان يقوم نصف الليل فيقرأ القرآن حرفاً حرفاً، ثم يبكي حتى تسمع له نسيجاً» ^(٢).

الدرجة الثالثة: درجة الخضوع والانقياد والعمل.

وهي النوع الثالث من أنواع التدبر الآتي بعد.

د- مما يعين على تدبر القرآن الكريم وفهمه والخشوع فيه والخضوع له:

❖ تيسير الله تعالى لذلك، قال تعالى: ﴿فَاتِمَّا بَسْرَتُهُ لِيَلْسَانِكْ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمم: ١٧].

❖ الإخلاص لله تعالى، وصدق الطلب، والإقبال على ما في القرآن من الهدى، قال ابن تيمية: «ومن تدبر القرآن طالباً الهدى منه تبين له طريق الحق» ^(٣).

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّالِينَ﴾ [يوسف: ٧]؛ أي: لكل من سأل بلسان الحال أو المقال صادقاً.

❖ إحضار القلب، وإلقاء السمع، والتأمل بما في الآيات من الوعد والوعيد، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ، وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨].

(٨٠٠)، وأبو داود في العلم (٣٦٦٨)، والترمذي في التفسير (٣٠٢٥).

(١) أخرجه البخاري في الصلاة (٤٧٦)، وفي مناقب الأنصار (٣٩٠٥).

(٢) أخرجه أبو داود في «الزهد» (٣٢٨)، ومحمد بن نصر المروزي في «مختصر قيام الليل» ص (١٣١).

(٣) انظر: «العقيدة الواسطية» شرح هراس ص ١٠٣.

قال مالك بن دينار رحمته الله: «ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب»^(١).

❖ الوقوف على مواضع الوقف في الآيات، ليتبين ويظهر معناها.

❖ تكرار الآية وترديدها، كما هي عادة السلف رحمته الله؛ ليحصل التأثير بها والخشوع

عندها.

❖ تدارس القرآن: فقد كان جبريل رحمته الله كل ليلة من رمضان يدارس النبي رحمته الله

القرآن^(٢).

وقال رحمته الله: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»^(٣).

النوع الثالث: تدبر أحكام القرآن الكريم والعمل به وأهميته:

أ- معنى تدبر أحكام القرآن الكريم والعمل به:

هو معرفة أحكام القرآن الكريم وحدوده، وأوامره ونواهيه، واتباعه، والعمل به، فعلاً للمأمورات، وتركاً للمنهييات.

ب- أهمية تدبر أحكام القرآن الكريم والعمل به:

تدبر أحكام القرآن والعمل به هو الغاية من إنزال القرآن، وهو المقصود الأول والأعظم والأهم من التدبر بأنواعه الثلاثة، فتدبر ألفاظ القرآن وضبط تلاوته وقراءته وسيلة إلى تدبر معانيه وفهمه والتأثر به، وتدبر معانيه وفهمه والتأثر به سبب لتدبر أحكامه والعمل به، وتدبر أحكامه والعمل به هو ثمرة تدبر ألفاظه ومعانيه، قال الله تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]؛ أي: لأجل أن يتدبروا آيات هذا الكتاب المبارك العظيم، بتدبر ألفاظها وتلاوتها، وفهم معانيها، والعمل بأحكامها.

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» ٥٣٦/١ (١٨٩٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٧٨/٦).

(٢) أخرجه البخاري في بدء الوحي (٦)، والنسائي في الصيام (٢٠٩٥)، وأحمد ٢٨٨/١ (٢٦١٦) من حديث

ابن عباس رحمته الله.

(٣) سبق تخريجه قريباً.

وقال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]؛ أي:

اتبعوه في العمل بما يأمركم به، وترك ما ينهاكم عنه.

وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣]؛ أي: بالعمل به.

وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧]؛ أي: لعلهم

يتقون الله بالعمل بآياته بفعل أو امره وترك نواهيه.

وقال تعالى في الثناء على المتدبرين لأحكامه العاملين به: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ

حَقًّا تِلَاوَةً وَأُولَئِكَ يُمُؤِنُونَ بِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]؛ أي: يتلونه حق تلاوته، بتدبر ألفاظه حق التدبر،

بقراءته قراءة صحيحة، وتدبر معانيه حق التدبر بفهم معانيه، وتدبر أحكامه حق التدبر

بالعمل به.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا

الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨]؛ أي: فيتبعون أحسنه بالعمل به، بفعل ما يأمرهم به، وترك ما ينهاهم

عنه.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا

وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ

دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ نُنزِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتِ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان: ٧٣]؛

أي: بل يسمعونها ويبصرونها ويخرون سُجَّدًا وبُكِيًّا.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ نَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ

رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣]؛ أي: صدقنا وانقذنا ظاهرًا وباطنًا.

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ وَأَهْلُهُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدِمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ». و ضرب رسول الله

ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد؛ قال: «كأنهما غماتان أو ظلتان سوداوان بينهما شَرْقٌ، أو كأنهما حِرْزَانِ من طيرِ صَوَافٍ، مُحَاجَانِ عن صاحبهما»^(١).

وفي حديث ابن عباس ﷺ: «أن عيينة بن حصن دخل على عمر بن الخطاب ﷺ فقال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم فينا بالعدل. فغضب عمر ﷺ، حتى همَّ أن يوقع به، فقال له الحرُّ بن قيس: يا أمير المؤمنين، إن الله يقول لنبيه ﷺ: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وإن هذا من الجاهلين. قال الراوي: «والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله»^(٢).

قال سفيان: «ليس في كتاب الله آية أشد علي من قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنَ رَّبِّكُمْ ﴾ [المائدة: ٦٨]، وإقامتها: فهمها والعمل بها»^(٣).

قال ابن باز ﷺ^(٤): «التدبر للقرآن مشروع كما بينه الله ﷻ، وهو المقصود من التلاوة، التدبر، والتعقل، والفهم، ثم العمل؛ قال الله ﷻ: ﴿ كَتَبْنَا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩].

فهو أنزل للتدبر، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤]. فالمشروع للمؤمن عند التلاوة، وهكذا المؤمنة: التدبر، والتعقل، والتفهم، يعني: تدبر المعنى، ما هو المعنى، يتفهم حتى يعمل، حتى يوصي الناس به».

وقال ابن عثيمين ﷺ^(٥): «ينبغي للإنسان أن يتفكر في آيات الله الشرعية في القرآن والسنة، فيتدبر الآيات ليتبين له من أحكامها ما شاء الله، ثم يتدبر مرة أخرى في الحكم

(١) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٨٠٥)، والترمذي في فضائل القرآن (٢٨٨٣)، وأحمد (١٧٦٣٧) ١٨٣/٤.

(٢) أخرجه البخاري في تفسير سورة الأعراف (٤٦٤٢)، وفي الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٦).

(٣) انظر: «كتاب البدع والحوادث» ص ١٠١. (٤) «مجموع فتاوى ابن باز» ٢/ ٣٠١-٣٠٢.

(٥) في «أحكام القرآن» ٢/ ١٣٨.

المرتبة على هذه الأحكام؛ لأن الإنسان إذا فتح الله عليه معرفة الحكم، والأحكام الشرعية ازداد إيماناً و يقيناً، وعرفَ بذلك سمو الشريعة الإسلامية، وأنها لا تأمر إلا بخير ولا تنهى إلا عن شر.

وتدبر القرآن بالعمل به لا يُعذر بتركه أحد؛ لأنه هو المقصود بالأمر بالتدبر، ومن تدبر ألفاظ القرآن ومعانيه دون تدبر أحكامه والعمل به، لم ينفعه ذلك، بل كان ذلك حجة عليه، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه: ... ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأُتي به فعرفه نِعَمَه فعرّفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمتُ العلمَ وعلمتُهُ وقرأتُ فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار»^(١).

قال الشاعر:

وعالم بعلمه لم يَعْمَلَنَّ مُعَذَّبٌ من قبلِ عُبَادِ الوَثَنِ^(٢)

وقد اعتنى بعض طلبة العلم بالحث على تدبر ألفاظ القرآن ومعانيه أكثر من العناية والحث على ثمره التدبر وغايته، وهو تدبر أحكامه والعمل به، مما جعل البعض يظن أن التدبر ثقافة قرآنية فقط.

وفي هذا خلل عظيم؛ فإن من تدبر ألفاظ القرآن ومعانيه دون تدبر أحكامه والعمل به لا يُعد متدبراً، ولا ينفعه ذلك، وكان حجةً عليه، كما سبق بيان ذلك.

قال الحسن البصري رضي الله عنه: «نزل القرآن ليُتدبر ويُعمل به، فاتخذوا تلاوته عملاً»^(٣).

وقال أيضاً: «إن أولى الناس بالقرآن من اتبعه، وإن لم يكن يقرؤه»^(٤).

(١) أخرجه مسلم في الإمامة (١٩٠٥)، والنسائي في الجهاد (٣١٣٧)، والترمذي في الزهد (٢٣٨٢)، وأحمد (١٢٧٧) / ٣٢١ / ٢.

(٢) البيت لابن رسلان الشافعي. انظر: «غاية البيان، في شرح زيد ابن رسلان» ص (٤)، و«صيد الأفكار، في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال» (١ / ٣٤).

(٣) «مدارج السالكين» (١ / ٤٥١). (٤) «المرشد الوجيز» لأبي شامة (ص ١٤٦).

أما من تدبر أحكام القرآن وعمل به، ولم يتمكن من تدبر ألفاظه ومعانيه كما ينبغي، فإن ذلك لا يضيره، كما قال تعالى: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لرجل: «ما تقول في الصلاة؟» قال: أتشهد، ثم أسأل الله الجنة، وأعوذ به من النار، أما والله ما أحسبُ دُنْدَنْتَكَ، ولا دندنة معاذ. فقال: «حوها نُدْنِدِن»^(١).

هـ - حكم ترك العمل بالقرآن الكريم:

ترك العمل بالقرآن الكريم لا يجوز، وهو من أعظم الهجر له، بل هو الهجر الحقيقي له، وهو كفر، ولهذا ذم الله تعالى المتولِّين عن سماع القرآن المستكبرين، وتوعَّدهم، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَوَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بِعَذَابِ الْيَمِّ﴾ [لقمان: ٧].

وحال بينهم وبين فهم القرآن كما قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْرًا عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدَكْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَنتَ كَذَلِكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۗ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٧].

وقال ﷺ: «القرآن حجة لك أو عليك»^(٢)؛ أي: حجة لك إن عملت به، وحجة عليك إن أعرضت عنه، ولم تعمل به.

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة (٧٩٢)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها (٩١٠)، وأحمد ٣/ ٤٧٤ (١٥٨٩٨)، وعند أبي داود وأحمد: عن بعض أصحاب النبي ﷺ. وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٧٥٧).

(٢) أخرجه مسلم في الطهارة (٢٢٣)، والنسائي في الزكاة (٢٤٣٧)، والترمذي في الدعوات (٣٥١٧)، وابن ماجه في الطهارة (٢٨٠)، وأحمد ٥/ ٣٤٣ (٢٢٩٠٢) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

وقال ابن القيم في ذكر أنواع هجر القرآن: «والثاني هجر العمل به، والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به، والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه»^(١).

الوقف الثانية:

في مدة ختم القرآن الكريم

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألم أخبر أنك تصوم الدهر، وتقرأ القرآن كل ليلة؟» فقلت: بلى يا نبي الله، ولم أورد بذلك إلا الخير. قال: «فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام...» إلى أن قال: «واقراً القرآن في كل شهر». قال: قلت: يا نبي الله، إني أطيق أفضل من ذلك، قال: «فاقرأه في كل عشرين». قال: قلت: يا نبي الله، إني أطيق أفضل من ذلك. قال: «فاقرأه في عشر». قال: قلت: يا نبي الله، إني أطيق أفضل من ذلك. قال: «فاقرأه في سبع، ولا تزد على ذلك، فإن لزوجك عليك حقاً، ولزورك عليك حقاً، ولجسدك عليك حقاً». فقال: فشددت فشد علي. قال: وقال لي النبي ﷺ: «إنك لا تدري لعلك يطول بك عُمر». قال: فصرت إلى الذي قال لي النبي ﷺ، فلما كبرت وددت أني قبلت رخصة نبي الله ﷺ^(٢).

وفي رواية أن النبي ﷺ قال له: «اقراً القرآن في كل شهر». قال: إني أطيق أكثر، فما زال حتى قال: «في ثلاث»^(٣).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث»^(٤).

(١) انظر: «بدائع التفسير» ٣/ ٢٩٢-٢٩٣.

(٢) أخرجه البخاري في الصوم (١٩٧٧)، ومسلم في الصيام (١١٥٩)، والنسائي في الصيام (٢٣٩٧)، (٢٤٠١)، وأحمد ٢/ ١٩٨ (٦٨٦٧).

(٣) أخرجه البخاري في الصوم (١٩٧٨)، وأحمد ٢/ ١٨٨ (٦٨٦٤).

(٤) أخرجه أبو داود في قراءة القرآن وتخزيبه وترتيبه (١٣٩٠، ١٣٩٤)، والترمذي في القراءات (٢٩٤٩)،

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «لا أعلم نبي الله قرأ القرآن كله في ليلة»^(١).

وسئل زيد بن ثابت رضي الله عنه: كيف ترى قراءة القرآن في سبع؟ قال: حسن، ولأن أقرأه في نصف شهر أو عشر أحب إلي، وسلني لم ذلك؟ قال: فإني أسألك؟ قال زيد: لكي أتدبره وأقف عليه^(٢).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «اقرأوا القرآن في سبع، ولا تقرؤوه في أقل من ثلاث»^(٣).
وعن أبي حمزة قال: قلت لابن عباس رضي الله عنه: إني سريع القراءة، وإني أقرأ القرآن في ثلاث. فقال عبد الله: «لأن أقرأ البقرة في ليلة فاتدبرها وأرتلها أحب إلي من أن أقرأ كما تقول»^(٤).

وقال ابن عباس رضي الله عنه: «لأن أقرأ البقرة وآل عمران، وأرتلها وأتدبرهما، أحب إلي من أن أقرأ القرآن هذرمة»^(٥).

وعن مسلم بن خرقاق قال: قلت لعائشة: يا أم المؤمنين، إن ناساً يقرأ أحدهم القرآن في ليلة مرتين أو ثلاثاً، فقالت: «قرؤوا ولم يقرؤوا، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم الليلة التمام فيقرأ بسورة البقرة، وسورة آل عمران، وسورة النساء، ثم لا يمر بأية فيها استبشار إلا دعا الله صلى الله عليه وسلم ورغب، ولا يمر بأية فيها تخويف إلا دعا الله صلى الله عليه وسلم واستعاذ»^(٦).

وابن ماجه في إقامة الصلاة، والسنة فيها (١٣٤٧)، وأحمد ٢/ ١٩٥ (٦٨٤١). قال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٢٦٠).

(١) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٧٤٦)، والنسائي في الصيام (٢٣٤٨)، وابن ماجه في إقامة الصلاة، والسنة فيها (١٣٤٨)، وأحمد ٦/ ٥٣ (٢٤٢٦٩).

(٢) أخرجه مالك في القرآن (٢٠٠/١)، وعبد الرزاق في «المصنف» ٣/ ٣٥٤ (٥٩٥١).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» ٣/ ٣٥٣ (٥٩٤٨)، وسعيد بن منصور في التفسير من «سننه» ٢/ ٤٤٢ (١٤٦)، والبيهقي (٣٩٦/٢). وصحح الحافظ في «فتح الباري» (٧٨/٩) إسناد سعيد بن منصور.

(٤) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (١٥٧)، والآجري في «أخلاق حملة القرآن» (٩٠)، والبيهقي (٣٩٦/٢)، ومحمد بن نصر المروزي في «مختصر قيام الليل» ص (١٤٨).

(٥) انظر: «مختصر منهاج القاصدين» لابن قدامة المقدسي ص (٥٢).

(٦) أخرجه أحمد ٦/ ١١٩ (٢٤٨٧٥).

فالأولى أن يقرأ القرآن في سبع، أو في ثلاث، ولا يزيد على ذلك، وهذا ما عليه أكثر أهل العلم من السلف وغيرهم، وقد كره بعضهم أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث؛ منهم: معاذ بن جبل رضي الله عنه، وأبو عبيد، وإسحاق ^(١).

قال النووي ^(٢): «أكثر السلف يختمه في سبع»، وقال السيوطي ^(٣): «وهذا أوسط الأمور وأحسنها، وهو فعل الأكثر من الصحابة وغيرهم».

وقال الآجري ^(٤): «القليل من الدرس للقرآن مع التفكير فيه وتدبره أحب إليّ من قراءة الكثير من القرآن بغير تدبر ولا تفكير فيه، وظاهر القرآن يدل على ذلك، والسنة وقول أئمة المسلمين».

وقال ابن تيمية: «قراءة القرآن على الوجه المأمور به تُورث القلب الإيمان العظيم، وتزيده يقيناً وطمانينة وشفاء» ^(٥).

وقال ابن القيم ^(٦): «فقراءة آية بتفكير خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب، وأدعى إلى حصول الإيمان، وذوق حلاوة القرآن».

وقال ابن الجزري ^(٧): «الصحيح - بل الصواب - ما عليه معظم السلف، وهو أن الترتيل والتدبر مع قلة القراءة أفضل من السرعة مع كثرتها».

وبناءً على ما سبق: فمن قرأ القرآن في سبع أو في ثلاث اجتمع له أمران:

الأول: الأخذ بالسنة، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن عمرو رضي الله عنه: «فاقرأه في سبع ولا تزُدْ»، وفي رواية: فما زال حتى قال: «في ثلاث»، وفي الحديث الآخر قال صلى الله عليه وسلم: «لا يفقه من

(١) انظر: «مصنف عبد الرزاق» ٣/ ٣٥٤ (٥٩٥٠)، و«فضائل القرآن» لأبي عبيد ص (١٨٠)، و«مصنف ابن أبي شيبة» ٥/ ٥١٠ (٨٦٦٦)، و«مختصر قيام الليل» لمحمد بن نصر المروزي ص (١٥٥)، و«فضائل القرآن» لابن كثير ص (٢٥٤).

(٢) في «الأذكار» ص ٨٥، وفي «التبيان» ص ٤٥. (٣) في «الإتقان» ١/ ١٣٧.

(٤) في «آداب حملة القرآن» ص ٨٢. (٥) «مجموع الفتاوى» ٧/ ٢٨٣.

(٦) في «مفتاح دار السعادة» ص ٢٢١. (٧) في «النشر» ١/ ٢٩٧.

قرأ القرآن في أقل من ثلاث».

وقد جاء أنه ﷺ كان لا يختم القرآن في أقل من ثلاث^(١).

الأمر الثاني: التمكن من التدبر، وهو المقصود الأول والأعظم والأهم من إنزال القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِيَذَبَّ الْأَعْيُنُ عَنْ رَبِّهِمْ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

إضافة إلى هذا أن من يقرأ القرآن في أقل من ثلاث سواء في ليلة أو ليلتين، قد لا يسلم من التقصير في هذه المدة في حقوق أخرى، لله أو لنفسه، أو لوالديه، أو لأهله، أو لأولاده، أو لغيرهم، ولهذا قال ﷺ لعبد الله بن عمرو ﷺ: «فإن لزوجك عليك حقًا، ولزورك عليك حقًا، ولجسدهك عليك حقًا».

وهذا والله أعلم من الحكمة في النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث، إضافة إلى عدم التمكن من التدبر، كما قال ﷺ: «لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث».

قال ابن باز ﷺ^(٢): «وبعض السلف قال: يُستثنى من ذلك أوقات الفضائل، وأنه لا بأس أن يختم في كل ليلة، أو في كل يوم^(٣)، كما ذكروا ذلك عن الشافعي وغيره.

لكن ظاهر السنة أنه لا فرق بين رمضان وغيره، وأنه ينبغي له أن لا يتعجل، وأن يطمئن في قراءته، وأن يرتل كما أمر النبي ﷺ عبد الله بن عمرو فقال: «اقرأه في سبع»، وهذا آخر ما أمره به، وقال: «لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث»، ولم يقل: إلا في رمضان، فحَمَلْ بعض السلف هذا على غير رمضان محل نظر.

والأقرب - والله أعلم - أن المشروع للمؤمن أن يُعنى بالقرآن، ويجتهد في إحسان قراءته، وتدبر القرآن، والعناية بالمعنى، ولا يعجل، والأفضل ألا يختم في أقل من ثلاث، هذا هو الذي ينبغي حسب ما جاءت به السنة ولو في رمضان».

(١) أخرجه ابن سعد (١/٣٧٦)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» ص ٢٨١.

(٢) في «الجواب الصحيح، في أحكام صلاة الليل والتراويح» ص ٢٧.

(٣) انظر: «لطائف المعارف» لابن رجب ص ٢٠٢.

وقال أيضًا ﷺ عن قراءة القرآن في صلاة التراويح^(١): «ليس المهم أن يختم، وإنما المهم أن ينتفع الناس في صلاته، وفي خشوعه، وفي قراءته، حتى يستفيدوا ويطمئنوا؛ لأن عنايته بالناس وحرصه على خشوعهم وعلى إفادتهم أهم من كونه يختم. وليس هذا موجباً لأن يستعجل، ولا يتأني في قراءته، ولا يتحرى الخشوع والطمأنينة، بل يتحرى هذه الأمور أولى من مراعاة الختمة».



الوقفة الثالثة في:

الصوارف عن قراءة القرآن الكريم وتدبره

الصوارف والحجب عن قراءة القرآن الكريم وتدبره كثيرة جداً، كما هي الصوارف عن الإيمان، ومنها ما يأتي:

❖ الكبر والكفر بالآيات، وتنكُّب طريق الرشد، وسلوك طريق الغيِّ، قال تعالى:

﴿ سَاءَ صِرْفٌ عَنَّا إِنِّي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كَلَّآئِي لَآ يُؤْمِنُونَ بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَآ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَكْرُوا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَآ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

❖ ارتكاب بعض البدع.

❖ اتباع الهوى.

❖ ضعف الإيمان واليقين.

❖ الإصرار على الذنوب والمعاصي.

❖ الافتتان بحب الدنيا وجمعها، وزينتها وزخرفها.

قال ابن قدامة^(٢): «وليتخلَّ التالي من موانع الفهم، ومن ذلك أن يكون مصرّاً على ذنب، أو متصفاً بكبر، أو مبتلياً بهوى مطاع، فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه».

(١) انظر: «الجواب الصحيح، في أحكام صلاة الليل والتراويح» ص ١٢، ١٤.

(٢) انظر: «مختصر منهاج القاصدين» ص ٦٧ - ٦٨.

وقال الزركشي في «البرهان»^(١): «واعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي، ولا تظهر له أسرارها، وفي قلبه بدعة، أو كبر، أو هوى، أو حب دنيا، أو هو مصر على ذنب، أو غير متحقق بالإيمان، أو ضعيف التحقيق».

❖ الافتتان بحب الغناء والمعازف والمزامير.

قال ابن القيم^(٢):

حُبُّ الْكِتَابِ وَحُبُّ أَلْحَانِ الْغِنَاءِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

❖ انشغال القلب بشيء مما ذكر، أو بغير ذلك، وشروده، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

قال ابن القيم^(٣): «الناس ثلاثة: رجل قلبه ميت، الثاني: رجل له قلب حي، لكنه مشغول ليس حاضرًا، فهذا أيضًا لا تحصل له الذكرى، الثالث: رجل حي القلب مستعد تليت عليه الآيات فأصغى بسمعه وألقى السمع، وأحضر القلب، لم يشغله بغير فهم ما يسمع، فهو شاهد القلب، فهذا القسم هو الذي ينتفع بالآيات».

❖ قصر المهمة على كثرة القراءة، وكون همه ختم السورة، وهذا حُجب به كثير من

الناس عن تدبر القرآن والتأثر به والخشوع، وعن محاسبة النفس عن العمل به، قال الحسن البصري: «كيف يرق قلبك وإنما همتك في آخر السورة»^(٤).

❖ قصر المهمة على تحقيق القراءة وحسن التلاوة والتجويد، وقوة الاستحضار،

وهذا حجب كثيرًا من أهل القرآن عن تدبر معانيه وفهمه، والتأثر به والخشوع، وعن محاسبة النفس عن العمل به.

قال ابن قدامة^(٥): «وليتخلَّ التالي عن موانع الفهم، مثل: أن يخيل له الشيطان أنه ما

(١) ١/ ١٩٧. (٢) انظر: «القصيدة النونية مع الميمية» ص ٢٢٤.

(٣) في «مدارج السالكين» ١/ ٤٤٢.

(٤) أخرجه أحمد في «الزهد» ١/ ٤٤٢ (١٤٦٩)، وانظر: «مختصر قيام الليل» للمروزي ص (١٤٨)، و«التذكار»، في أفضل الأذكار» للقرطبي ص (١٥١).

(٥) في «مختصر منهاج القاصدين» ص ٦٧ - ٦٨.

حقق تلاوة الحرف، ولا أخرجه من مخرجه، فيصرف همته عن فهم المعنى». وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولا يجعل همته فيما حُجب به أكثر الناس من العلوم عن حقائق القرآن، إما بالوسوسة في خروج حروفه، وترقيقها، وتفخيمها، وإمالتها، والنطق بالمد الطويل، والقصير، والمتوسط، وغير ذلك، فإن هذا حائل للقلوب، قاطع لها عن فهم مراد الرب من كلامه»^(١).

❖ الانشغال عن تدبر القرآن بالمبهات من الأعيان، والأماكن، والأعداد، وتفصيل بعض الوقائع، والأحداث التي أجملها القرآن، ولا طائل تحتها، ولا فائدة تعود على المكلفين من ذكرها، كالبعض الذي ضُرب به القتيل من البقرة، وأسماء أصحاب الكهف، وغير ذلك.

وقريب من هذا ما يورده من يرون التدبر ثقافة قرآنية من أسئلة: لماذا زاد حرفاً هنا؟ ولماذا نقص حرفاً هنا؟

الوقف الرابع في:

حرص السلف رضي الله عنهم على تلاوة كتاب الله تعالى، وتعلمه، وتدبره، وفهم معانيه، والعمل به

ضرب السلف الصالح رضي الله عنهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أروع الأمثلة في العناية بكتاب الله تعالى، تدبراً لألفاظه ومعانيه، وعملاً به، وتعلماً له وتعليماً. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمتُ فيما نزلت، وأين نزلت، وعلى من نزلت»^(٢).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله

(١) انظر: «دقائق التفسير» ٦/٥.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢/٢٥٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٤٢/٣٩٧، ٣٩٨.

إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»^(١).

وعن مجاهد رضي الله عنه قال: «عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها»^(٢).

وجاء أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلم سورة البقرة في اثنتي عشرة سنة^(٣).

وعن أنس رضي الله عنه قال: «مكث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في سورة البقرة ثمانين سنين يتعلمها»^(٤).

قال خالد بن الوليد: «لقد منعني كثيراً من القراءة الجهاد في سبيل الله»^(٥).

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: «حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا القرآن، عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً»^(٦).

وكان من عادة السلف رضي الله عنهم تكرار الآيات وترديدها لتدبرها وفهمها والتأثر والخشوع عندها؛ كما جاء ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم.

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم بآية حتى أصبح يرددتها: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٠٢)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٦٣).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» ٥٥٨/٣ (٣٠٩١٧، ٣٠٩١٨)، والطبري في «جامع البيان» (٨٥/١)،

٣/٧٥٥، والحاكم (٢/٢٧٩)، وسكت عنه، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/٢٧٩).

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في «أسماء من روى عن مالك» كما في «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي

(٤٠/١)، و«الدر المنثور» للسيوطي (١/١١٥)، وأخرجه البيهقي في «الشعب» (٣/٣٤٦) (١٨٠٥)،

وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/٢٨٦).

(٤) أخرجه مالك في القرآن (١/٢٠٥) بلاغاً عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٥) في «مسند أبي يعلى الموصلي» (١٣/١٤٣)

(٦) أخرجه أحمد ٥/٤١٠ (٢٣٤٨٢)، وابن وضاح في «البدع» ٢/١٧٠ (٢٥٥)، والطبري في «جامع البيان»

(١/٧٤)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤/٨٤) (١٤٥٢).

تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿المائدة: ١١٨﴾ (١).

وعن عباد بن حمزة قال: «دخلت على أسماء وهي تقرأ: ﴿فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ [الطور: ٢٧]، فوقفْتُ عندها، فجعلتُ تستعِذ وتَدعو، فطال عليّ ذلك، فذهبت إلى السوق ففَضِيت حاجتي، ثم رجعت، وهي فيها بعدُ تستعِذ وتَدعو» (٢).

وردد ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] (٣).

وردد سعيد بن جبير رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦] بضْعًا وعشرين مرّةً (٤).

وردد رضي الله عنه أيضًا: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَعْلَى فِي أَعْتَقِهِمْ﴾ [غافر: ٧٠-٧١]، وردد أيضًا: ﴿مَا عَرَكَ بِرَبِّكَ الْكِرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦].

وكان الضحّاك إذا تلا قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مَن فَوْقَهُمْ يُظِلُّونَ مِنَ النَّارِ وَمَن تَحْتَهُمْ يُظِلُّونَ﴾ [الزمر: ١٦] يرددها إلى السحر (٥).

وردد الحسن البصري رضي الله عنه ليلة قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ حتى أصبح فقيل له في ذلك، فقال: «إن فيها مُعْتَبَرًا، ما نرفع طرفًا ولا نرده إلا وقع على نعمة، وما لا نعلمه من نعم الله أكثر» (٦).

وعن عامر بن قيس أنه قرأ ليلة سورة المؤمن، فلما انتهى إلى قوله: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينٍ﴾ [غافر: ١٨]، فلم يزل يرددها حتى أصبح.

(١) أخرجه النسائي في الافتتاح باب: ترديد الآية (١٧٧/٢)، وابن ماجه في إقامة الصلاة، والسنة فيها (١٣٥٠)، والحاكم (٢٤١/١)، والبيهقي (١٤/٣). قال الحاكم: «صحيح، ولم يخرجاه».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» ٣٠٤/٤ (٦٠٩٢).

(٣) انظر: «التبيان، في آداب حملة القرآن» (٨٥).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» ٤٠٧/١٩ (٣٦٤٩٩)، وأحمد في «الزهد» ١/٦١٤ (٢٢٠٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٧٢/٤).

(٥) انظر: «التبيان، في آداب حملة القرآن» (٨٥).

(٦) انظر: «مختصر قيام الليل» للمروزي ص (١٤٨)، و«التذكار، في أفضل الأذكار» للقرطبي ص (١٥١).

وردد قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦] (١).
 وكان الفضيل بن عياض إذا مرَّ بآية فيها ذكر الجنة يردد فيها ويسأل (٢).
 وقال محمد بن كعب القرظي: «لأن أقرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ و﴿الْقَارِعَةُ﴾
 أرددهما وأنفكر فيهما أحب إليَّ من أن أبيت أهدُّ القرآن» (٣).
 وقال النووي (٤): «وقد بات جماعة من السلف يتلو الواحد منهم الآية ليلة كاملة أو
 معظمها، ويتدبرها عند القراءة».
 وقال ابن القيم (٥): «هذه كانت عادة السلف، يردد أحدهم الآية إلى الصبح».

الوقفه الخامسة في:

آداب تلاوة القرآن الكريم وحملته

القرآن الكريم كلام الله ﷻ يجب تعظيمه وتكريمه واحترامه، والتأدب معه بأحسن
 الآداب، والتخلق معه بأجمل الأخلاق، ومن ذلك مراعاة الأمور التالية:
الأول: الإخلاص لله تعالى؛ بأن يكون القارئ مخلصاً لله تعالى في نيته، يقصد بقراءته
 وجه الله تعالى ومرضاته، ويتنغي بذلك الأجر والثواب من الله تعالى، متجرداً من كل
 غرض دنيوي؛ من مال أو رياسة، أو جاه أو ارتفاع على أقرانه، أو ثناء الناس عليه، أو
 صرف وجوه الناس إليه، أو رياء وسمعة، أو إعجاب بالنفس أو غير ذلك.
 قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ فَاذْبَحْ لِلَّهِ فَاعْبُدْ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلِلَّهِ الَّذِينَ خَالِصُوا﴾
 [الزمر: ٢-٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

(١) انظر: «التبيان، في آداب حملة القرآن» للنووي ص (٨٦).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨٦/٨). وانظر: «نزهة الفضلاء، في تهذيب سير أعلام النبلاء» (٦٦٢/٢).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» ٥٣/٦ (٨٨٢٤). وانظر: «مختصر قيام الليل» ص (١٤٨)، و«الزهد»

لابن المبارك ص (٩٧).

(٥) في «مفتاح دار السعادة» (١/٢٢٢).

(٤) في «الأذكار» ص (٩٠).

وقراءة القرآن الكريم عبادة من أجل العبادات.

وقال عليه السلام في الحديث القدسي: «من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»^(١).

وقال عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله

تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من أعراس الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»^(٣).

قال النووي رحمته الله في «التيبان، في آداب حملة القرآن»^(٤): «وليحذر كل الحذر من قصده

التكبر بكثرة المشتغلين عليه، والمختلفين إليه، وليحذر من كراهة قراءة أصحابه على غيره

من ينتفع به، وهذه مصيبة يبتلى بها بعض المعلمين الجاهلين، وهي دلالة بينة من صاحبها

على سوء نيته، وفساد طويته، بل هي حجة قاطعة على عدم إرادته بتعليمه وجه الله الكريم».

الثاني: الطهارة: فيجب على من أراد تلاوة القرآن الكريم من المصحف الطهارة التامة

من الحدث الأكبر والأصغر؛ لأنه لا يجوز مس المصحف إلا على طهارة، قال تعالى: ﴿لَا

يَمَسُّهُ إِلَّا الْأَمْطَهُرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩].

وقال عليه السلام في حديث عمرو بن حزم: «وَأَلَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ»^(٥).

ويجوز لمن كان عليه الحدث الأصغر قراءة القرآن حفظاً، ولكن الأولى والأفضل أن

يكون على طهارة تامة.

(١) أخرجه مسلم في الزهد والرفائق (٢٩٨٥)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود في العلم (٣٦٦٤)، وابن ماجه في المقدمة ٢٥٢، وأحمد ١ / ٣٣٨، وصححه ابن حبان

برقم (٨٩)، والحاكم ١ / ٨٥ ووافقه الذهبي.

(٤) ص ٣٢، وانظر ص ٢٧ - ٢٨.

(٥) أخرجه مالك (١ / ١٩٩)، وعبد الرزاق في «تفسيره» ٣ / ٢٨٢ (٣١٤٩)، وأبو داود في «مراسيله» (٩٢ -

٩٤)، والدارمي ٢ / ٢١٤ (٢٢٦٦)، وابن حبان ١٤ / ٥٠١ - ٤٠٤ (٦٥٥٩)، والحاكم (١ / ٣٩٥ -

٣٩٧)، والبيهقي (١ / ٨٧، ٣٠٩). صححه الحاكم، ووافقه الذهبي. قال الإمام أحمد: «أرجو أن يكون

صحيحاً» وقال: «لا أشك أن النبي - ﷺ - كتبه». انظر: «تلخيص الحبير» (١ / ١٤١)، «بدائع التفسير»

(٤ / ٣٦٥ - ٣٦٦)، وصححه الألباني في «الإرواء» (١٢٢).

ولا يجوز لمن كان جنباً قراءة القرآن لا تلاوة ولا حفظاً؛ لأن النبي ﷺ ما كان يمنعه شيء من قراءة القرآن إلا الجنابة (١).

واختلف في قراءة الحائض والنفساء للقرآن:

فمن أهل العلم من منع ذلك، ومنهم من أجازها، والأظهر: أن لها قراءة القرآن عند الحاجة، لكن إن كان من المصحف فيكون من وراء حائل.

الثالث: السواك، ونظافة الفم والبدن واللباس والطيب، وحسن الرائحة والهيئة، واستحضار القارئ أنه يناجي ربه ﷻ، ويقراً كلامه ﷻ كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإن الله تعالى يراه، وهو أشبه بمن يناجي الله تعالى في الصلاة، ينبغي أن يكون على أحسن حال.

الرابع: استقبال القبلة ما أمكن، فذلك أفضل كما شرع استقبالها في الصلاة، وفي الدعاء، وعند النوم، وفي الذبح، وغير ذلك.

الخامس: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

السادس: البسملة مع كل سورة، عدا سورة التوبة؛ لأن البسملة آية مستقلة تنزل مع كل سورة، سوى سورة براءة فلم تنزل معها البسملة، وهي بعض آية من سورة النمل في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النحل: ٣٠].

السابع: الاعتدال في الجلسة تعظيماً لله ﷻ ولكلامه وتهيئة الجوارح والحواس كلها للانتفاع بالقرآن الكريم، وهذا أولى وأفضل، ولو قرأ على أي حال جاز ذلك، لقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣].

وعن عبد الله بن مغفل ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ يقرأ وهو على راحلته سورة الفتح (١).

وعن عائشة ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ يتكئ في حَجْرِي وأنا حائض فيقرأ القرآن (٢).

(١) أخرجه البخاري (٥٠٣٤)، ومسلم (٧٩٤). (٢) أخرجه البخاري (٢٩٧)، ومسلم (٣٠١).

الثامن: أن تكون القراءة في مكان محترم نظيف هادئ مهياً للقراءة، بعيداً عن أماكن اللغو والأصوات والمشوشات من آلات اللهو وغير ذلك، كالمساجد والمدارس ونحوها.

التاسع: تدبر ألفاظ القرآن ومعانيه وأحكامه، قال تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ بِإِذْنِكَ مُبَرِّكًا لِيَتَدَبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ [النساء: ٨٢، ومحمد: ٢٤].

قال الحسن البصري رضي الله عنه: «إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار»^(١).

العاشر: الخشوع والخضوع والخوف والوجل والبكاء عند قراءة القرآن، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعَدَ رَبُّنَا لِمَفْعُولٍ ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

وصلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجماعة الصبح فقرأ سورة يوسف فبكى حتى سالت دموعه على ترقوته. وفي رواية: «فبكى حتى سمعوا بكاءه من وراء الصفوف». وعن أبي رجاء قال: «رأيت ابن عباس وتحت عينيه مثل الشراك البالي من الدموع». وعن أبي صالح قال: «قدم ناس من أهل اليمن على أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فجعلوا يقرؤون القرآن ويبكون، فقال أبو بكر رضي الله عنه: هكذا كنا»^(٢).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليته إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكاؤه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون»^(٣).

الحادي عشر: أن يحرص على ترتيل القرآن، وتحسين الصوت به، والتغني به، قال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: ٤].

(١) انظر: «التبيان، في آداب حملة القرآن» (ص ٥١).

(٢) انظر: «التبيان» (ص ٥٤).

(٣) انظر: «التبيان» (ص ٨٦).

وقال عليه السلام: «زينوا القرآن بأصواتكم»، وقال عليه السلام: «ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن يجهر به»^(١).
وقد أجمع العلماء على استحباب ترتيل القرآن، وتزيين الصوت به، والتغني به.
قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لأنَّ أقرأ سورة أرتلها أحب إليَّ من أن أقرأ القرآن كله»^(٢).
وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً قال له: إني أقرأ المفصل في ركعة واحدة، فقال
عبد الله بن مسعود: «هدأ كهذا الشعر، إن أقواماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن
إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع»^(٣).

الثاني عشر: التأثر بالقرآن والتفاعل معه واستحضار معانيه، بحيث إذا مر القارئ
بآية رحمة سأل الله تعالى من فضله، وإذا مر بآية عذاب استعاذ بالله من ذلك، وإذا مر بآية
تسبيح سبح الله تعالى، وهكذا.

لما جاء في حديث حذيفة رضي الله عنه قال: «صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فافتتح البقرة...»
الحديث، وفيه قال حذيفة: «فإذا مرَّ بآية تسبيح سبح، وإذا مرَّ بآية سؤال سأل، وإذا مرَّ
بتعوذ تعوذ»^(٤).

الثالث عشر: الوقوف عند المواضع التي يُشعر الوقوف عندها استحباباً؛ كرؤوس
الآي، وغيرها، وعند المواضع التي يجب الوقوف عندها.
عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته آية آية».
وعن أنس رضي الله عنه قال: «كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم مدًّا، ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾،
يمد بـ «الرَّحْمَنِ»، ويمد بـ «الرَّحِيمِ»^(٥).

الرابع عشر: الإمساك عن القراءة عند غلبة النعاس عليه، وعند كثرة المشوشات
حولها، بحيث لا يدري ما يقرأ؛ إجلالاً وتعظيماً لكلام الله صلى الله عليه وسلم.

الخامس عشر: السجود عند قراءة الآيات التي فيها سجود التلاوة.

(١) سبق تخريجها.

(٢) انظر: «التبيان» للنووي (ص ٨٩).

(٣) أخرجه البخاري في الأذان (٧٧٥)، ومسلم في صلاة المسافرين (٨٢٢).

(٤) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين (٧٧٢). (٥) سبق تخريجها.

السادس عشر: تعاهد القرآن واستذكاره بالمواظبة على مراجعة حفظه، قال ﷺ: «تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده هو أشد تفلتاً من الإبل في عُقْلِهَا»^(١). وقال ﷺ: «إنما مثلُ صاحبِ القرآنِ كمثلِ الإبلِ المعقَّلةِ، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت»^(٢).

وينبغي أن يحترز مَنْ وفَّقه الله تعالى إلى حفظ القرآن الكريم من التساهل في تعاهده ومراجعتة؛ لئلا ينساه، فإن حصل له شيء من النسيان فليتداركه، ولا يقول: «نَسِيتُ آيةَ كذا»؛ لنهيهِ ﷺ عن ذلك، بل يقول: «نُسِيتُ»^(٣)؛ لأن نَسِيتُ يدل على التساهل والغفلة. **السابع عشر:** الإكثار من تلاوة القرآن، وعدم هجره، فيقرؤه على الأقل في كل شهر، أو في أقل من ذلك كعشرين يوماً، أو عشرة أيام أو سبعة أو ثلاثة، ولا يزد على ذلك.

الثامن عشر: تعظيم المصحف وتكريمه واحترامه، بأن يتناوله بيمينه ويحمله ويقلب صفحاته بيمينه، ويناوله بيمينه، ويضعه في مكانه اللائق به بيمينه، على محلٍّ مرتفع، ولا يضعه على الأرض إلا لحاجة، كالأجد ما يضعه عليه سوى ذلك، ويصلح ما عرض له من أسباب التلف، وإذا استغنى عنه بغيره أعطاه لمن يستفيد منه، وإذا يَلِيَّ دَفَنه في مكان طاهر من الأرض؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «أما المصحف العتيق والذي تحرق وصار بحيث لا يُنتفع به بالقراءة فيه فإنه يُدفن في مكان يُصان فيه»^(٤).

وليس من تعظيم المصحف وتكريمه واحترامه: تقبيله؛ لأنه لم ترد به سنة، وقد روي عن عكرمة ﷺ، والأولى تركه.

التاسع عشر: الاحتراز عن كل ما فيه إهانة للمصحف أو استخفاف به؛ من تناوله ومناولته باليسار، أو وضعها على الآيات المكتوبة، وهذا أشد، فينبغي الاحتراز منه، ومن الدخول به لمكان قضاء الحاجة، أو الاتكاء عليه وتوسده، والنوم عليه، أو وضع الكتب

(١) أخرجه مسلم (٧٩١).

(٢) أخرجه مسلم (٧٨٩).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٣٩).

(٤) انظر: «مجموع الفتاوى» (١٢ / ٥٩٩).

أو بعض الأشياء عليه، أو السفر به إلى أرض العدو، أو تركه منشورًا مفتوحًا بعد الفراغ من القراءة، أو تصغير كتابته بحيث تصعب قراءته، أو تصغير اسمه بمُصيحف؛ كتابةً أو نطقًا، أو تلويثه بالريق أو غير ذلك، أو تعريضه للتلف بالرطوبة بالماء أو للحرارة بالشمس، ونحو ذلك.

العشرون: وهو الأهم: العمل بالقرآن بامثال أوامره واجتناب نواهيه، وتحليل حاله وتحريم حرامه، وتصديق أخباره، وإقامة حدوده مع حروفه. وهذا ليس أدبًا فقط بل هو أوجب الواجبات.

قال بعض السلف: «رَبَّ تَالٍ لِّلْقُرْآنِ وَالْقُرْآنَ يَلْعَنُهُ»^(١).

يقرأ قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، وقوله: ﴿لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَى

الْكٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١] وهو ظالم كاذب!

قال ميمون بن مهران رضي الله عنه: «إِنَّ الرَّجُلَ لِيَصْلِي وَيَلْعَنُ نَفْسَهُ فِي قِرَاءَتِهِ فَيَقُولُ: ﴿أَلَا

لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، وإنه لظالم»^(٢).



(١) نسب هذا في «إحياء علوم الدين» ١ / ٢٧٤ لأنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ٦ / ٦٠١٧ (١٠٧٨١).

وقفات ثلاث في: إنزال الناس منازلهم

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]

الوقفه الأولى في:

معنى إنزال الناس منازلهم وأهميته، وحكمة الله تعالى في التفاضل بين البشر

أ- معنى: إنزال الناس منازلهم:

المنازل: جمع مَنْزِلَة، وهي: الرتبة والمكانة، يقال: فلان رفيع المنزلة؛ أي: رفيع الرتبة، ويقال: له منزلة عند الأمير؛ أي: مكانة.

فمعنى إنزال الناس منازلهم: التعامل مع كل إنسان بما يليق به، والقيام بحقوقه المعروفة شرعاً وعرفاً، دونما إفراط أو تفريط.

ب- حكمة الله تعالى في وجود التفاضل بين البشر:

اقتضت حكمة الله تعالى وجود التفاضل والاختلاف بين البشر، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) **﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾** [هود: ١١٨]، فأفضل البشر هم الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهم يتفاضلون، كما قال تعالى: **﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾** [البقرة: ٢٥٣]، وقال تعالى: **﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾** [الإسراء: ٥٥]، وقال تعالى: **﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾** [الأنعام: ٨٣].

والناس كلهم يتفاوتون في منازلهم الأخروية، وأفضلهم عند الله أنقاهم، كما قال

تعالى: ﴿هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

كما يتفاوتون في منازلهم الدنيوية، قال تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

أي: ليلوكم فيما آتاكم من الدرجات المتفاوتة؛ ليظهر الشاكر من غيره على السراء، والصابر من غيره على الضراء، وليحصل التنافس والتسابق إلى معالي الأمور، وإلى الخيرات، كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨، والمائدة: ٤٨].

ولهذا نجد القرآن الكريم في آيات كثيرة يعري هذا التنافس والتسابق، بنفي التساوي بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وبين المجاهدين والقاعدين، وبين الخبيث والطيب، وبين الأعمى والبصير، والأصم والسميع، والأحياء والأموات، وأصحاب الجنة وأصحاب النار، وغير ذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَائِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٩٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَنْفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْبَرَ وَالْبَصِيرُ وَالسَّمِيعُ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ يَسْتَوِي الظَّالِمُ وَالنُّورُ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ [فاطر: ١٩، غافر: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الحشر: ٢٠].

فكل هذه الآيات وما في معناها لاستنهاض الهمم، وللتشجيع إلى معالي الأمور، والمنافسة والمسابقة في الخيرات.

ج- أهمية إنزال الناس منازلهم:

في الآيات السابقة الدالة على التفاضل والاختلاف بين البشر، ونفي التساوي بينهم إشارة إلى أنه ينبغي إنزال الناس منازلهم، كما قال ﷺ: «أنزلوا الناس منازلهم»^(١).

قال المناوي في «فيض القدير»^(٢): «أي: احفظوا حرمة كل واحد على قدره، وعاملوه بما يلائم حاله في عمر، ودين، وعلم، وشرف، فلا تسووا بين الخادم والمخدوم، والرئيس والمرؤوس؛ فإنه يورث عداوةً، وحقداً في النفوس».

وقال ابن باز ﷺ^(٣): «المؤمن ينزل الناس منازلهم، لا يجعلهم على حدٍّ سواء، في إكرامهم وتقديرهم، بل على حسب مراتبهم في الدين، ومراتبهم في كبر السن، ومراتبهم في وظائفهم الشرعية، فالقاضي له حقه، والعالم له حقه، والسلطان له حقه، والأمير له حقه، والشيخ كبير السن له حقه، والوالد له حقه، والأخ الكبير له حقه، والجار له حقه، وهكذا فكل إنسان يعطى حقه المناسب له بحسب ما جاءت به الشريعة».

وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموا»^(٤).
وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس من أمتي من لم يُجِلَّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه»^(٥).

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٤٢) من حديث ميمون بن أبي شبيب عن عائشة ﷺ. قال أبو داود: «ميمون لم يدرك عائشة». ورواه مسلم في المقدمة معلقاً (٥/١)، وانظر: «شرح النووي على مسلم» (١٩/١)، وصححه ابن الصلاح، ونقل تصحيح الحاكم له في كتابه «معرفة الحديث». انظر: «صيانة صحيح مسلم» لابن الصلاح ص (٨٤)، وقد عدده السعدي رحمه الله من جوامع الأخبار، وشرحه مع أحاديث أخرى في كتابه: «بهجة قلوب الأبرار» ص (٣٥-٣٦).

(٢) (٥٧/٣).

(٣) في شرح رياض الصالحين ص ١٢٩، حديث: «إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشبهة المسلم».
(٤) أخرجه ابن ماجه في الأدب (٣٧١٢)، والبيهقي (١٦٨/٨). وصححه الألباني في «الصحيحه» (١٢٠٥).
(٥) أخرجه أحمد ٣٢٣/٥ (٢٢٧٥٥)، والطبراني في «مكارم الأخلاق» (١٤٧)، والحاكم (١/١٢٢). قال الحاكم: «ومالك بن خير الزيادي مصري ثقة، وأبو قبيل تابعي كبير». وقال الهيثمي في: «مجمع الزوائد» (١/٣٣٨): «إسناده حسن». وحسن الألباني إسناده في «الصحيحه» (٥/٢٣١)، و«صحيح الجامع» (٥٤٤٣).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يرحم صغيرنا، ويعرف قدر كبيرنا، فليس منا»^(١).

وقد ضُعبف في الأمة إنزالُ الناس منازلهم ضعفاً كبيراً عند كثير من الناس على اختلاف طبقاتهم، وبخاصة الشباب، وقد تدرج الأمر ببعضهم اغتراراً منهم إلى اتخاذ بعض ذوي المكانة في الأمة غرضاً للسخرية والاستهزاء في وسائل التواصل، وبعض المواقع، وغير ذلك!

رأى شاب شيخاً كبيراً وهو يمشي ببطءٍ، فقال يسخر منه: كأنك مقيدٌ. فقال الشيخ الكبير على الفور: الذي فتل قيدي الآن يفتل قيذك.

يضع بعضهم المصاحف على طاولات منخفضة، ويكتبون عليها: لا تمدن قدميك نحو المصاحف. وما علموا حاجة الكبير إلى ذلك. وكان الأولى رفع المصاحف. حالهم كما قيل:

ألقاه في اليمِّ مكتوفاً وقال له: إياك إياك أن تبتلَّ بالماء!

الوقففة الثانية في:

أولى الناس بالإكرام، والتوقير، والاحترام

تختلف منازل الناس لاعتباراتٍ مختلفةٍ كثيرة؛ دينية، وعلمية، واجتماعية، وسياسية، وغير ذلك.

ومن أولى الناس بالإكرام والطاعة، والتوقير والاحترام:

❖ ولاة الأمر:

ولاة الأمر هم صمام الأمان بتوفيق الله تعالى للأمة، تجب طاعتهم بالمعروف، والانقياد لهم في غير معصية الله تعالى، أكد الله ﷻ وجوب طاعتهم، وقرنها بطاعته ﷻ،

(١) أخرجه أبو داود في الأدب (٤٩٤٣)، وأحمد ٢/٢٢٢ (٧٠٧٣). وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢١٩١).

وطاعة رسوله ﷺ، مما يُوجِبُ إكرامهم، وإنزالهم منزلتهم بمراعاة ما يلي:

- طاعتهم بالمعروف، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال ﷺ: «من أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني»^(١).

- النصيحة لهم، كما قال ﷺ: «الدين النصيحة». قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «الله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»^(٢).

- الدعاء لهم، قال الفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل ﷺ: «لو كان لنا دعوة مستجابة، لدعونا بها للسلطان»^(٣).

وعلى هذا درج سلف هذه الأمة من الصحابة، والتابعين، وتابعيهم إلى يومنا هذا:

- الاعتراف بفضلهم وجهودهم.

- تقديرهم، واحترامهم، وتوقيرهم.

- التعاون معهم على حفظ الأمن، والقيام بمسؤولياتهم.

- إقالة عثراتهم تقديراً لهم؛ لقوله ﷺ: «أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم»^(٤).

- الصبر على بعض ما قد يحصل منهم، مع الدعاء والنصح لهم؛ حفاظاً على وحدة الأمة.

❖ الوالدان:

عظم الله ﷻ حق الوالدين في القرآن الكريم، وقرنه بحقه في آيات كثيرة؛ للدلالة على عِظَمِ منزلتهما، وعلو مكانتهما، وأنها أحق الناس بالبر والإحسان^(٥).

(١) أخرجه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٥٧)، وفي الأحكام (٧١٣٧)، ومسلم في الإمارة (١٨٣٥)، والنسائي

في البيعة (٤١٩٣)، وابن ماجه في المقدمة (٣)، وفي الجهاد (٢٨٥٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية ٢٨ / ٣٩٠، ٣٩١.

(٤) أخرجه أبو داود في الحدود (٤٣٧٥)، وأحمد ١٨١ / ٦ (٢٥٤٧٤) من حديث عائشة ﷺ. وصححه

الألباني في «الصحيحه» (٦٣٨).

(٥) يراجع الكلام على هذا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ

وهذا يوجب على الأولاد إكرامهما، وإنزالهما منزلتهما اللاتقة بهما، وذلك من خلال ما يأتي:

- الإحسان إليهما، والبر بهما، وخدمتهما، ومساعدتهما؛ لقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَإِلَىٰ يَدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

- الحذر من التأفف منها، ونهرهما؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لِمَا آفَىٰ وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣].

- مخاطبتهما بالقول الكريم الطيب اللين؛ لقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

- التواضع لهما، وتوقيرهما، واحترامهما، والتأدب معها؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ﴾ [الإسراء: ٢٤].

- الرحمة لهما، والشفقة عليهما؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤].

- الدعاء لهما بالرحمة؛ لقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٤].

- الاعتراف بفضلها؛ لقوله تعالى: ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿إِن شَكَرْتُ لِي وَلَوْلَا ذِيكَ﴾ [لقمان: ١٤].

- تقديمها في الأكل والشرب، والدخول والخروج والمشي، ونحو ذلك.

- الجلوس معها، ومؤانستها.

- إكرامها بأنواع الإكرام كلها.

❖ العلماء الربانيون الناصحون:

رفع الله ﷻ شأن العلماء، وعظّم قدرهم، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، وقال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لِمَا آفَىٰ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، والآيات بعدها.

دَرَجَتٍ ﴿ [المجادلة: ١١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال ﷺ: «وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء»^(١).

وعن جابرٍ رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد - يعني في القبر - يقول: «أيهما أكثر أخذًا للقرآن؟» فإذا أُشير إلى أحدهما قدّمه في اللحد^(٢)، وقال ﷺ: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين»^(٣).

قال ابن القيم^(٤): «العلماء بمنزلة النجوم في السماء، يهتدي بهم الحيران في الظلماء». ولما للعلماء من عظيم المنزلة عند الله تعالى، يجب إكرامهم وإنزالهم منزلتهم اللاتقة بهم، وذلك من خلال ما يأتي:

- الاعتراف بفضلهم.

- توقيرهم، واحترامهم، والتأدب معهم، ومخاطبتهم بما يليق بهم.

- تقديمهم في إمامة الصلاة؛ لقوله ﷺ: «يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَبُ وَهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ»^(٥).

- الإفصاح لهم، وتقديمهم في المجالس.

- تقديمهم في الكلام، والاستماع والإنصات لهم.

(١) أخرجه أبو داود في العلم (٣٦٤١)، والترمذي في العلم (٢٦٨٢)، وابن ماجه في المقدمة (٢٢٣) من

حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. وحسنه الألباني في «التعليقات الحسان» (٨٨).

(٢) أخرجه البخاري في الجناز (١٣٤٣)، وأبو داود في الجناز (٣١٣٨)، والنسائي في الجناز (١٩٥٥)،

والترمذي في الجناز (١٠٣٦)، وابن ماجه في الجناز (١٥١٤).

(٣) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٨١٧)، وابن ماجه في المقدمة (٢١٨)، وأحمد ١/٣٥ (٢٣٢)،

والدارمي ٢/٥٣٦ (٣٣٦٥) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٤) في: «إعلام الموقعين» (٩/١).

(٥) أخرجه مسلم في المساجد (٦٧٣/٢٩١)، وأبو داود في الصلاة (٥٨٢-٥٨٤)، والنسائي في الإمامة

(٧٨٠)، والترمذي في الصلاة (٢٣٥)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها (٩٨٠)، وأحمد ٤/١١٨

(١٧٠٦٣) من حديث أبي مسعود البدي رضي الله عنه.

- تقديمهم عند الطعام والشراب، والدخول والخروج والمشي، ونحو ذلك.
- إقالة عثراتهم.
- إلى غير ذلك من وجوه الإكرام.

❖ المعلمون المخلصون الناصحون:

للمعلمين المخلصين الناصحين فضل كبير على طلابهم، فيجب عليهم إكرامهم، وإنزالهم منزلةً لهم اللاتفة بهم، وذلك من خلال ما يأتي:

- احترامهم، وتقديرهم، قال أحمد شوقي^(١):

قُمْ للمعلم وفه التبجيلاً كاد المعلم أن يكون رسولاً
أرأيت أشرفَ أو أجَلَّ من الذي يبني ويُنشئ أنفساً وعُقولاً
- طاعتهم، والتجاوب معهم، والصبر على قسوتهم أحياناً.

قال موسى ﷺ للخضر لما أراد أن يتخذه معلماً: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩].

وقال الإمام الشافعي ﷺ^(٢):

اصبرْ على مُرِّ الجفَا من معلمٍ فإنَّ رسوبَ العلمِ في نفراتِهِ
- الاعتراف بفضلهم، وجهودهم، وشكرهم.

- إكرامهم، فهو أدعى لنصحهم وإخلاصهم، قال الشاعر:

إن المعلم والطبيب كليهما لا ينصحان إذا هما لم يُكرَما^(٣)

- الدعاء لهم، وذكرهم بالخير، والذكر الحسن.

إلى غير ذلك من وجوه الإكرام.

❖ كبار السن:

اقتضت حكمة الله ﷻ بدء خلق الإنسان من ضعف، وانتهاءه إلى ضعف وشيبة، كما

(١) في: «ديوانه» (ص ١٨٨).

(٢) في: «ديوانه» (ص ٣٧).

(٣) انظر: «أدب الدنيا والدين» ص (٦٨)، «العقد التليد في اختصار الدر النضيد» ص (١٤٦).

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج: ٥]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا﴾ [غافر: ٦٧].

ومن عرف هذه الحقيقة وتأملها، عرف أن الشاب القوي اليوم هو الشيخ الكبير الضعيف غداً، وقد قيل:

فما أقرب الآتي وأبعد ما مضى^(١)

فلا يغتر شاب بشبابه وفتوته، ولا يغتر قوي بقوته.

علينا جميعاً أن نعرف تمام المعرفة مكانة جيل صاعد، سبقونا إلى الإسلام، وتقبلوا في العبودية عقوداً من الزمن، وتمرسوا بالتجارب في ميدان الحياة، وبذلوا الغالي والنفيس في سبيل تربيتنا، وخدمتنا، وإسعادنا.

فيهم الدين والحكمة، والصبر والعقل، والرزانة والتجارب، والخير والبركة أينما حلوا؛ ولهذا كان إكرامهم وتقديرهم تعظيماً لله ﷻ.

عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشبهة المسلم»^(٢)؛ أي: إن من تعظيم الله ﷻ إكرام ذي الشبهة المسلم؛ أي: إكرام الشيخ الكبير الذي شاب رأسه، وابيض شعره في الإسلام وتوقيره واحترامه، وإنزاله منزلته التي تليق به، وذلك لعظم مكانته عند الله ﷻ.

ومن أوجه الإكرام لكبار السن، وإنزالهم منزلتهم ما يلي:

- ابتدأؤهم بالسلام؛ لقوله ﷺ: «لِئْسَلَّمَ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ»^(٣).

(١) هذا صدر بيت للشاعر ابن عثيمين، سبق ذكره، وعجزه: وهذا غراب البين بالبين ينبعُ
(٢) أخرجه أبو داود في الأدب (٤٨٤٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٥٧) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ. وحسنه الألباني في تحقيقه «الأدب المفرد».
(٣) أخرجه البخاري في الاستئذان (٦٢٣١)، ومسلم في السلام (٢١٦٠)، وأبو داود في الأدب (٥١٩٨)،

- تقديمهم في الإمامة؛ لقوله ﷺ: «يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَبُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سَلَامًا»^(١). وفي رواية: «فأكبرهم سنًا»^(٢).

وفي حديث مالك بن الحويرث ﷺ: «إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم»^(٣).

- تقديمهم خلف الإمام في الصلاة؛ لقوله ﷺ: «لِيلِيَّتِي مِنْكُمْ أَوْلُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهْي»^(٤). قال النووي: هم العقلاء البالغون. وقال أيضًا: «في هذا الحديث تقديم الأفضل فالأفضل إلى الأمام؛ لأنه أولى بالإكرام، ولا يختص هذا التقديم بالصلاة، بل السنة أن يُقدّم أهل الفضل في كل مجمّع إلى الأمام، وكبير المجالس، كمجالس العلم والقضاء، والذكر، والمشاورة، ومواقف القتال، وإمامة الصلاة والإفتاء، وإسماع الحديث، ونحوها، ويكون الناس فيها على مراتبهم في العلم، والدين، والعقل، والشرف، والسن، والكفاءة في ذلك الباب، والأحاديث الصحيحة متعاضدة»^(٥).

- الإفساح لهم، وتقديمهم في المجالس؛ لقوله ﷺ: «لا يقيم الرجل الرجل من

والترمذي في الاستئذان (٢٧٠٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(١) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٧٣/٢٩٠).

(٢) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٧٣/٢٩١)، وأبو داود في الصلاة (٥٨٢)، والترمذي في الصلاة (٢٣٥)، وابن ماجه في إقامة الصلاة، والسنة فيها (٩٨٠)، وأحمد ٤/١١٨ (١٧٠٦٣) من حديث أبي مسعود ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري في الأذان (٦٢٨)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٦٧٤)، وأبو داود في الصلاة (٥٨٩)، والنسائي في الأذان (٦٣٥)، والترمذي في الصلاة (٢٠٥)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها (٩٧٩)، وأحمد ٥/٥٣ (٢٠٥٢٩).

(٤) أخرجه مسلم في الصلاة (٤٣٢)، وأبو داود في الصنف (٦٧٤)، والنسائي في الإمامة (٨٠٧)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها (٩٧٦)، وأحمد ٤/١٢٢ (١٧١٠٢) من حديث أبي مسعود الأنصاري ﷺ. ووقع في بعض روايات مسلم، وعند الترمذي في الصلاة (٢٢٨)، وأحمد ١/٤٥٧ (٤٣٧٣) من

حديث ابن مسعود ﷺ.

(٥) «شرح صحيح مسلم» (٣٩٩/٤).

مقعده، ولكن تفسّحوا وتوسعوا»^(١). وكبار السن أولى بالتفسيح لهم.

- توقييرهم، واحترامهم، وإشعارهم بأن لهم منزلة في النفوس، ومكانة في القلوب، والاعتراف بفضلهم، وتقبييل أيديهم ورؤوسهم.

- تقديمهم في الكلام، والإنصات، والإصغاء لهم إذا تكلموا، كما جاء في قصة حُيصة وأخيه حُويصة، أن حُيصة ذهب يتكلم قبل أخيه حُويصة، وكان حُويصة أكبر منه، فقال النبي ﷺ: «كَبُرَ كَبْرُهُ»^(٢)؛ أي: ليتكلم الأكبر.

- تكريمهم في البداء بهم في العطاء، ومناولة الأشياء؛ لحديث ابن عمر ﷺ: «أن رسول الله ﷺ رأى في المنام أنه يتسوك بسواك، فجاءه رجلان أحدهما أكبر من الآخر، فناول السواك الأصغر، فقبل له: كَبُرَ. فدفَع السواك للأكبر»^(٣).

- تقديمهم عند الطعام والشراب، وفي الدخول والخروج، والمشي، وغير ذلك.
- رحمتهم، والشفقة عليهم، والتودد إليهم، والرفق بهم، والجلوس معهم، ومؤانستهم، ونحو ذلك.

- تكليمهم بالطف العبارات، وأحسنها، وبأطيب الكلام.
- تقديم الخدمة لهم، ومساعدتهم، في مراجعتهم للدوائر الحكومية، وفي اجتياز الطرق، ونحو ذلك.

- تقديمهم في وجوه الإكرام كلها.

❖ الأقباب:

من أعظم الحقوق على المسلم حقوق أقاربه، فيجب عليه أن ينزلهم منازلهم، ويكرمهم

(١) أخرجه البخاري في الاستئذان (٦٢٦٩)، ومسلم في السلام (٢١٧٧)، وأحمد ١٦/٢ (٤٦٥٩)، من حديث ابن عمر ﷺ.

(٢) أخرجه مالك في القسامة (٨٧٧/٢)، والبخاري في الجزية (٣١٧٣)، ومسلم في القسامة (١٦٦٩)، وأبو داود في الديات (٤٥٢٠)، والنسائي في القسامة (٤٧١٠)، والترمذي في الديات (١٤٢٢)، وابن ماجه في الديات (٢٦٧٧) من حديث سهل بن أبي حثمة ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري في الوضوء (٢٤٦)، ومسلم في الرؤيا (٢٢٧١)، وفي الزهد والرفائق (٣٠٠٣).

وَقَفَاتٌ قُرْآنِيَّةٌ وَفَوَائِدُ عِلْمِيَّةٌ تَرْبَوِيَّةٌ

أكثر من غيرهم، وذلك بالأمر التالية:

- النصح والدعاء لهم.
- صلتهم، وزيارتهم، والسلام عليهم.
- احترامهم، وتقديرهم، ومخاطبتهم بما يليق بهم.
- مساعدتهم، ومد يد العون للمحتاج منهم.
- التعاون معهم على إصلاح أحوالهم، وحل مشكلاتهم.
- محبتهم، والتودد إليهم، والحذر من معاداتهم.
- إلى غير ذلك من وجوه الإكرام.

❖ الجيران:

عظم الإسلام حق الجيران، قال تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْغُيُوبِ﴾ [النساء:

٣٦]، وقال ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»^(١).

وهذا مما يؤكد حق الجيران في إنزالهم منازلهم، وذلك بمراعاة ما يلي:

- الإحسان إليهم.
- تقديرهم واحترامهم.
- زيارتهم، والسلام عليهم.
- التناصح، وتبادل المصالح والهدايا بينهم.
- تحمل وستر ما قد يبدو منهم، مما قد لا يسلم منه الجيران.
- الاحتراز من أذيتهم.
- إلى غير ذلك من أنواع الإكرام.

(١) أخرجه البخاري في الأدب (٦٠١٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٢٤)، وأبو داود في الأدب (٥١٥١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٤٢)، وابن ماجه في الأدب (٣٦٧٣) من حديث عائشة ؓ. وأخرجه البخاري في الموضوع السابق (٦٠١٥)، ومسلم في الموضوع السابق (٢٦٢٥)، من حديث ابن عمر ؓ. وأخرجه أبو داود في الموضوع السابق (٥١٥٢)، والترمذي في الموضوع السابق (١٩٣٤) من حديث عبد الله بن عمرو ؓ.

الوقفه الثالثة في: التحذير من هضم حقوق ذوي المكانة في الأمة

إن أول بداية لسقوط الأمم والحضارات تبدأ بهضم حقوق ذوي المكانة فيها؛ الدينية، والعلمية، والسياسية، والاجتماعية، وإسقاط القدوات، والقيادات الصالحة الناصحة، وتشكيك العامة فيها، وفي ثوابت الأمة، وذلك بأن يوضع في قفص الاتهام ولي الأمر أمام رعيته، والوالد أمام أولاده، والمعلم أمام طلابه، والعالم أمام الجهال، والكبير أمام الصغار، وهكذا؛ فتختلط الأمور، وتختل الموازين والمعايير، وتتكلم الرؤيصة، ويخرج الكثيرون عن طاعة ولي الأمر، ويتمرد الولد ذكراً كان أو أنثى على والده ويعصيه، ويهين الطالب معلمه، ويقاطعه ويؤذيه، ويجترئ الجاهل على العالم، ويسخر بفتاويه، ويتعالى الصغير على الكبير، ويحتقره، ويتندر فيه.

وكل هذا وذاك نتاج، وحصاد إسقاط حقوق القدوات، والقيادات في الأمة، والذي يسعى إليه من يريدون طمس هوية الأمة الإسلامية، وطمس معالم الإسلام، وقيمه الرفيعة، والتشكيك في مبادئه الثابتة، ومثله العليا، والذي يروج له أعداء الإسلام وأشياعهم من دعاة الانحراف، والفساد، والتغريب، والتمرد على ثوابت الدين، الذين وصفهم الرسول ﷺ بقوله ﷺ لحذيفة ﷺ: «دعاة على أبواب جهنم من أجاهم إليها قذفوه فيها». قال حذيفة ﷺ: فقلتُ: يا رسول الله، صفهم لنا. قال: «نعم، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا»^(١).

وهو ما تعجُّ به كثير من وسائل الإعلام، ووسائل الاتصال على تنوعها، وتعددتها، واختلافها ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

وهذا مما يوجب على المسلمين الحذر كل الحذر، والتصدي لهذا الأمر، والتأكيد على

(١) أخرجه البخاري في الفتن (٧٠٨٤)، ومسلم في الإمارة (١٨٤٧)، وأبو داود في الفتن والملاحم (٤٢٤٤)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٩).

وجوب الحفاظ على مبادئ الإسلام، ومُثله العليا، وقيمه الرفيعة، وعلى ثوابت الأمة، وعلى إنزال ذوي المكانة في الإسلام مَنَازِلَهُمْ، من وُلاة الأمر، والوالدين، والعلماء، والمعلمين، وكبار السن، والأقارب، والجيران، وغيرهم، حتى لا يختلط الأمر على الأجيال الناشئة؛ فتتفرق بهم السبل، فيضلوا عن المنهج السوي، وعن الصراط المستقيم.



وقفة في: شهادة الجوارح على العبد يوم القيامة، ووجوب الاحتراز منها

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ [فصلت: ٢٠]

تحقيقاً لكمال العدل الرباني يُنطقُ اللهُ ﷻ يوم القيامة جوارح الإنسان، فتشهد عليه بما عمل، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَنْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِمَ جُودُهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت ٢٠-٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، أي: يُسأل الإنسان عنها كلها، كما تسأل هي أيضاً عنه، وعمّا عمل بها.

ويؤخذ من هذا عدة أمور، من أهمها ما يلي:

أولاً: إثبات كمال عدل الله ﷻ، وتفرده بذلك، وانتفاء الظلم عنه، ومجازاته الخلائق كلاً بما عمل، وإجارتهم من الظلم، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة ٧، ٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكَ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنْفَىٰ بِنَا

حَسِيَّينَ ﴿[الأنبياء: ٤٧]﴾، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧].
 وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنفُسَهُمْ بِاللَّهِ يُزَكِّيٰ مِنْ شَيْءٍ لَا يُظْلَمُونَ فَبَيِّنًا﴾ [النساء: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ وَالسَّيِّئَةَ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا بِمِثْلِهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوزِلْنَا مَالٌ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَنَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَمُوفُونَ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ [هود: ١٠٩].

وعن أنس رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه، فقال: «أتدرون مم أضحك؟»، قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «من مجادلة العبد ربه يوم القيامة، يقول: يا رب، ألم تجرني من الظلم؟ فيقول: بلى، فيقول: لا أجيز عليّ شاهداً إلا من نفسي، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين عليك شهوداً، فيختم على فيه، ويقال لأركانه: انطقي، فتنطق بعمله، ثم يخلى بينه وبين الكلام، فيقول: بُعداً لكُنَّ وسُحْقاً، فعنكُنَّ كنت أناضل»^(١).

قال السَّعْدِيُّ رضي الله عنه^(٢): «ولقد عدل في العباد من جعل شهودهم من أنفسهم» وصدق ﷺ، فأبي عدالة فوق هذه العدالة!

ثانياً: حكمة الله تعالى البالغة، وقدرته التامة؛ حيث جعل من هذه الجوارح التي كانت تدافع عن الإنسان في الدنيا شهوداً عليه يوم القيامة، وأنطق منها ما لم يكن ناطقاً، وختم على ما كان منها ناطقاً، وهو اللسان في بعض الأحوال، وأنطقه وأشهده في بعضها.

(١) أخرجه مسلم في الزهد والرفائق (٢٩٦٩). (٢) في تيسير الكريم الرحمن (٥/٤٠٤).

ثالثاً: وجوب الحذر والاحتراز من شهادة الجوارح على الإنسان يوم القيامة، ومراقبة الله تعالى، وتقواه بفعل أو امره، واجتناب نواهيهِ، وحفظ هذه الجوارح، واستعمالها في طاعة الله تعالى، والاستعانة بها على ذلك، والحذر كل الحذر من استخدامها في معصية الله تعالى، أو الاستعانة بها على ذلك.

وقد قال عليه السلام: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدّق ذلك كله ويكذبه»^(١).
فالحذر الحذر من شهادة الجوارح، والفضيحة يوم القيامة، والندم حيث لا ينفع الندم!



(١) أخرجه البخاري في الاستئذان (٦٢٤٣)، ومسلم في القدر (٢٦٥٧)، وأبو داود في النكاح (٢١٥٢)، وأحمد ٢/٢٧٦ (٧٧٠٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقفات ست في: صلة الأرحام

قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٢٣) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٣، ٢٤]

الوقفة الأولى في: وجوب صلة الأرحام

الصلة ضد القطيعة؛ أي: التواصل مع الأرحام، وعدم مقاطعتهم. والأرحام: القرابة، من الآباء، والأمهات، والأجداد، والجندات وإن علوا، والأولاد وأولادهم وإن نزلوا، والإخوة والأخوات وأولادهم، والأعمام والعمات وأولادهم، والأخوال والحالات وأولادهم، وغيرهم. وصلة الأرحام وإيتاء ذوي القربى حقوقهم من أعظم الواجبات وأكدها، وكل من كان منهم أقرب فصلته وحقه أوجب.

قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ [الإسراء: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿فَقَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ [الروم: ٣٨].

وبين ﷺ أنه من البر، فقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٧٧]. وأخذ ﷺ على بني إسرائيل الميثاق بذلك، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ [البقرة: ٨٣].

وبيّن النبي ﷺ أن ذلك من مقتضيات الإيمان، فقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكْرِمْ ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليَصِلْ رَحِمَهُ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(١).

ويؤكد وجوب صلة الأرحام: أن الله ﷻ ذمّ مَنْ قطعوها، ووصفهم بالتولي، والإفساد في الأرض، ولعنهم فأصمهم، وأعمى أبصارهم، وحكم بقطعهم، وتوعدوا بعدم دخول الجنة، وبتعجيل العذاب وعدم قبول أعمالهم.

الوقفه الثانية في: فضيلة صلة الأرحام

صلة الأرحام من أفضل الأعمال، وأجلّها، وأعظمها جزاءً. امتدح الله ﷻ بها المؤمنين أولي الألباب، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١].

ووعده ﷻ في الحديث القدسي بوصول من وصلها، فقال للرحم: «أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مِنْ وَصْلِكَ، وَأَنْ أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ؟ قالت: بلى. قال: فذالك لك»^(٢). وقال في الحديث الآخر: «مَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ»^(٣).

وهي من أسباب دخول الجنة، كما في حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: «أخبرني بعمل يدخلني الجنة». فقال النبي ﷺ: «تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم»^(٤).

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير (٤٨٣٠)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٥٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه أبو داود في الزكاة (١٦٩٤)، والترمذي في البر والصلة (١٩٠٧)، وأحمد ١ / ١٩٤ (١٦٨٦). قال

الترمذي: «حديث صحيح». وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٤٧٨)، «الصحيحة» (٥٢٠)

من حديث عبد الرحمن بن عوف ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري في الزكاة (١٣٩٦)، ومسلم في الإيمان (١٣)، والنسائي في الصلاة (٤٦٨)، وأحمد

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس، أفسحوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»^(١). وهي من أسباب بسط الرزق والبركة في العمر، كما جاء في حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يُيسر له في رزقه، ويُيسر له في أثره، فليصل رحمه»^(٢). وهي من أسباب السعادة بين الأقارب، والمحبة، والألفة، والتناصح والتشاور، والتعاون على البر والتقوى، وعلى أمور الحياة، وغير ذلك.

الوقفه الثالثة في: أبواب صلة الأرحام

أبواب صلة الأرحام كثيرة جداً، كأبواب الإحسان؛ لأن صلة الأرحام تعني الإحسان بكل معانيه إلى الأقربين، وإيصال ما أمكن من الخير إليهم، ودفع ما أمكن من الشر عنهم، سواء كان ذلك بقولٍ أو فعلٍ أو بذل، ظاهراً كان ذلك أو باطناً، ومن أهم ذلك:

❖ محبتهم، وتوقير كبيرهم، والعطف على صغيرهم، ورحمة ضعيفهم، وإنزالهم منزلتهم.

❖ صلتهم بالزيارة والسلام عليهم بين فترةٍ وأخرى، كما هو معروف.

❖ صلتهم بالاتصال عليهم، والاطمئنان على أحوالهم، بين وقت وآخر.

❖ النصح لهم، وإرشادهم إلى ما فيه خير دينهم، وديانهم، وأخراهم، والدعاء لهم.

❖ الأخذ بيد من وقع في الزلل والخطأ منهم، ونصحه وتوجيهه، وهذا من أعظم

حقوقهم.

- ❖ تفقد أحوالهم المعيشية وحاجاتهم، ومساعدتهم إن احتاجوا؛ فالصدقة عليهم صدقة وصلة؛ كما جاء في الحديث (١).
- ❖ مشاركتهم أفراحهم، وتهنئتهم، والدعاء لهم بالبركة.
- ❖ استضافتهم وإكرامهم، وإجابة دعوتهم.
- ❖ إصلاح ذات بينهم، والتأليف بينهم.
- ❖ مساعدتهم في دفع ورفع الظلم عنهم.
- ❖ زيارة مرضاهم، والدعاء لهم بالشفاء.
- ❖ اتباع جنازتهم، وتعزيتهم، والدعاء والاستغفار لموتاهم، وسؤال الله لهم الثبوت.

الوقفه الرابعة في: الأسباب المعينة على صلة الأرحام

- ❖ الأسباب المعينة على صلة الأرحام، وأداء حقوق ذوي القربى كثيرة، منها ما يلي:
- ❖ قوة الإيمان بالله، ورجاء ثوابه، والخوف من عقابه.
- ❖ معرفة المسلم أن صلة الأرحام من أعظم الواجبات وأكدها، رتب الله عليها الجزاء العظيم، والأجر الكبير في الدنيا والآخرة، ودخول الجنة.
- ❖ معرفة المسلم أن قطيعة الأرحام من أكبر الكبائر، توعد الله تعالى عليها بأشد الوعيد.
- ❖ التواضع، ولين الجانب مع الأقارب، وإظهار المحبة لهم، والتقدير والاحترام.
- ❖ تبادل الزيارات بين الأقارب، واستضافة بعضهم بعضاً، دون انقطاع.

(١) أخرجه النسائي في الزكاة (٢٥٨٢)، والترمذي في الزكاة (٦٥٨)، وابن ماجه في الزكاة (١٨٤٤)، والدارمي في الزكاة ١ / ٤٨٨ (١٦٨٠، ١٦٨١). حسنه الترمذي، والألباني في «الإرواء» (٨٨٣) من حديث سلمان بن عامر رضي الله عنه.

❖ الإحسان إليهم بالقول والفعل والبدل، بلا منٍّ، ولا مطالبة بالمثل.

❖ التغاضي والتغافل، وقبول الاعتذار منهم، وترك العتاب لهم.

قال تعالى عن نبينا محمد ﷺ: ﴿لَمَّا نَبَأَتْ بِهِ، وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾

[التحریم: ٣].

وقال تعالى عن يوسف ﷺ: ﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ، وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ [يوسف: ٧٧].

قال الإمام أحمد ﷺ: «العافية عشرة أجزاء، كلها في التغافل»^(١).

وقال الشاعر:

ليس الغبِّيُّ بسيدٍ في قومِهِ لكن سيد قومِهِ المتغابي

❖ مقابلة الإساءة منهم بالإحسان، وتحمل العتاب منهم.

❖ رفع الكلفة بين الأقارب، فلا يتكلف بعضهم لبعض، بل يرضى كل منهم من

الآخر باليسير، ويشكره على القليل.

❖ دعوتهم في المناسبات، وتحاشي نسيانهم؛ قطعاً للطريق على الشيطان.

❖ عدم ربط الإنسان صلته لأقاربه بصلتهم له، فإن هذا لا يُعد واصلًا، وإنما

مكافئًا فقط، كما قال ﷺ: «ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رِجْمُهُ

وصلها»^(٢).

❖ الحرص على سلامة القلوب، والصفاء، والوضوح، والبعد عن سوء الظن

والحسد ونحو ذلك.

❖ تحاشي الغيبة والنميمة بين الأقارب، وعدم إثارة الضغائن بينهم، والحذر ممن

يسعون في إيقاع العداوة والبغضاء بينهم من بعض الأقارب أو من غيرهم من شياطين

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٠٢٨).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب (٥٩٩١)، وأبو داود في الزكاة (١٦٩٧)، والترمذي في البر والصلة (١٩٠٨)،

وأحمد ١٦٣/٢ (٦٥٢٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ.

الإنس والجن بوساوسهم الشيطانية.

❖ تعجيل قسمة الموارث، وعدم تأخيرها.

الوقفه الخامسة في: حكم قطيعة الرحم

قطيعة الأرحام ضد صلتها، تكون بقطع الصلة بين الأرحام والأقارب، وعدم أداء حقوقهم، وترك الإحسان إليهم، وربما زادت بالإساءة إليهم وظلمهم، وذلك أشد. قال الشاعر:

وظلمُ ذوي القربِ أشدُّ مَضاضَةً على النفسِ من وقعِ الحُسامِ المهتدِ (١)
وقطيعة الأرحام من أكبر الكبائر، توعد الله تعالى عليها بقوله: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ❖ [محمد ٢٣، ٢٤]، فوصف أهلها بالتولي والإفساد في الأرض، ولعنهم فأصمهم، وأعمى أبصارهم، وهذا وعيد ترجف له القلوب!

وحكم ﷺ بقطع من قطعها، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، حيث قال رضي الله عنه في الحديث القدسي للرحم: «أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَنْ أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟» قالت: بلى. قال: فذاك لك». وجاء نحو من هذا في حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه (٢).

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا يدخُلُ الجَنَّةَ قاطِعٌ» (٣)؛ يعني: قاطع رحم.

(٢) سبق تخريجها.

(١) سبق.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب (٥٩٨٤)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٥٦)، وأبو داود في الزكاة (١٦٩٦)، والترمذي في البر والصلة (١٩٠٩)، وأحمد ٨٠/٤ (١٦٧٣٢).

وعن أبي بكره رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنبٍ أجدر أن يعجّل الله لصاحبه العقوبةَ في الدنيا، مع ما يدخره له في الآخرة، من البغيِ وقطيعةِ الرحم» (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أعمالَ بني آدم تُعرض كل خميسٍ ليلة الجمعة، فلا يُقبل عملٌ قاطعٍ رَحِمٍ» (٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إن لي قرابةً أصلهم ويقطعونني، وأُحسِن إليهم ويسئون إليّ، وأحلم عنهم، ويجهلون عليّ. قال: «لئن كنت كما قلت، فكأنما تُسْفهُمُ المَلَّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمتَ على ذلك» (٣).

وقد ذم الله ﷻ بقطيعة ما أمر بوصله الكفار، الضالين، الفاسقين، الناقضين لعهدهم، المفسدين في الأرض، وتوعدهم بالخسران واللعنة، وسوء الدار، فقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: ٢٦، ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٣٨﴾﴾ [الرعد: ٢٥].

وكفى بقاطع الرحم ذمًا مشابته للكافرين والضالين والفاسقين.

(١) أخرجه أبو داود في الأدب (٤٩٠٢)، والترمذي في صفة القيامة والرفائق والورع (٢٥١١)، وابن ماجه في

الزهد (٤٢١١)، وأحمد ٣٨/٥ (٢٠٣٩٨). وصححه الألباني في «الصحيحه» (٩١٨).

(٢) أخرجه أحمد ٤٨٣/٢ (١٠٢٧٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦١). قال الهيثمي في «المجمع»

(١٥١/٨): «رواه أحمد، ورجاله ثقات». وضعف الألباني إسناده في تحقيقه «الأدب المفرد»، و«الإرواء»

(١٠٥/٤).

(٣) أخرجه مسلم في البر والصلة (٢٥٥٨)، وأحمد ٣٠٠/٢ (٧٩٩٢).

الوقفة السادسة في: أسباب قطيعة الأرحام

أسباب قطيعة الأرحام كثيرة جداً، يعمل عليها شياطين الجن والإنس، والنفس الأمارة بالسوء، والهوى، وعبودية الدنيا، وغير ذلك.

وهي ضد الأسباب المعينة على صلة الأرحام المذكورة قبل هذا، ومن أهمها ما يلي:

❖ ضعف الإيمان بالله تعالى، وضعف الخوف منه، ورجائه.

❖ الغيبة والنميمة، والتحريش فيما بين الأقارب، منهم، أو من غيرهم.

قال الأعشى^(١):

وَمَنْ يُطْعِ الوَاشِينَ لَا يَتْرُكُوا لَهُ صَدِيقًا وَلَوْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُقْرَبًا!
❖ الكبر والاحتقار، فبعض الأقارب لا يرى لأقاربه وزناً؛ إما لكونه أغنى منهم، أو لغير ذلك.

❖ البخل والشح والتكتم على ما أعطاه الله من خير، فيبتعد عن أقاربه مخافة أن يطلبوا منه المساعدة، أو يعلموا بإنعام الله عليه.

قال زهير^(٢):

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَحْلُ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَعْنَى عَنْهُ وَيُذَمَّمُ
وقال البارودي^(٣):

فَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَالَ يَنْفَعُ رَبَّهُ إِذَا هُوَ لَمْ تَحْمَدْ قِرَاهُ الْعِشَائِرُ
وقال الآخر:

وَمَنْ ذَا الَّذِي تَرَجُّو الْأَبَاعِدُ نَفْعَهُ إِذَا كَانَ لَمْ يَصْلِحْ عَلَيْهِ الْأَقَارِبُ^(٤)

(١) انظر: «ديوانه» ص (٩).

(٢) انظر: «ديوانه» ص ٣١.

(٣) انظر: «ديوانه» ص ٩٧/٢.

(٤) انظر: «بر الوالدين» للطرطوشي ص ١٧١.

❖ العتاب الشديد؛ فهذا يولد النفرة والبُغض والعداوة.
❖ التكلف عند الزيارة، مما يضيق به الزائر والمزور معًا.
❖ البرود وعدم الاهتمام بالقریب إذا جاء زائرًا، وعدم الفرح به وتقديره، وشكره على الزيارة.

❖ الانقطاع الطويل؛ فإن هذا يولد الجفاء والوحشة، كما قال الشاعر:
وما أدري أغيرهم تناءً وطولُ العهد أم مألُ أصابوا؟! (١)
❖ العداوة لسببٍ ما من حسد أو غير ذلك، أو لغير سبب، وهي كثيرة بين الأقارب، يعمل عليها شياطين الإنس والجن مع النفس الأمانة بالسوء، وقد تدوم.
قال ابن الجوزي (٢): «عداوة الأقارب صعبة، وربما دامت؛ كحرب بكر وتغلب ابني وائل، وعبس وذبيان ابني بغيض، والأوس والخزرج ابني قبيلة، والسبب في هذا أن كل واحد من الأقارب يكره أن يفوقه قريبه، فيقع التحاسد».
وقد قيل: «العداوة للأقارب، والحسد للجيران».

❖ سوء الظن المبني على «لا شيء»، فيسيء القريب الظن بقريبه، ويجعل من ذلك حقيقة، يبني عليها بعده عن قريبه، وعداوته له، كما قال الشاعر:
إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم
وعاد محبب به بقول عُداته وأصبح في ليلٍ من الشك مُظلم (٣)
❖ الانشغال بالدنيا، أو بما هو أقل؛ من تضييع الأوقات في الأسفار، وبين المنتزهات والفلوات، وغير ذلك، أو بما هو أسوأ من ذلك.

❖ وقد يكون من أسباب القطيعة أحيانًا القرب الشديد في المنازل بين الأقارب؛ مما قد يؤدي إلى بعض المشكلات والخلافات بسبب الأولاد أو النساء، وغير ذلك؛

(١) أنشده الأصمعي في «تعليق من أمالي ابن دريد» (ص: ٨٢).

(٢) في: «صيد الخاطر» ص ٧٣٩. (٣) البيتان للمتنبى. انظر: «ديوانه» (٤٥٩-٤٦٠).

ولهذا رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «مُرُوا ذَوِي الْقَرَابَاتِ أَنْ يَتَزَاوَرُوا، وَلَا يَتَجَاوَرُوا»^(١).

لكن هذا ليس على إطلاق، فكم من الأقارب من عاشوا متجاورين بل في قصر واحد، بل في بيت واحد، ولم يحصل بينهم قطيعة، بل صار ذلك سبباً لقوة تواصلهم وتوادهم وتآلفهم.

وما روي عن عمر رضي الله عنه - إن صح عنه - فهو محمول على مخافة أن يحصل بينهم ما يكون سبباً للعداوة والقطيعة

❦ وأخيراً: فإن من أعظم أسباب وقوع العداوة بين الأقارب، والقطيعة بينهم: تأخير قسمة الميراث؛ فينبغي الانتباه لهذا الأمر، وعدم التساهل في تأخير قسمة الميراث؛ لطمع من بعض الورثة في تنميته، من غير تقدير للعواقب، مما يجر على الأقارب أموراً لا تُحمد عقباهها، ويصعب الخروج منها، ويحرم كثيراً من الورثة حقوقهم التي جعلها الله تعالى لهم.



(١) انظر: «بر الوالدين» للطرطوشي ص ١٧١، و«عيون الأخبار» ٣/ ٨٨، و«إحياء علوم الدين» ٢/ ٢١٦.

وقفة في: حقوق المسلمين بعضهم على بعض

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا يَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

تقدم في وقفه سابقة ذكر وجوب حسن التعامل مع الناس كلهم، وأداء حقوقهم، وبيان أن الدين المعاملة؛ المعاملة أولاً: مع الخالق ﷻ بتقواه، وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له، ثم المعاملة مع الخلق كلهم بأداء حقوقهم؛ من دعوتهم إلى الإسلام والتي هي أحسن، والإحسان إليهم، والعدل معهم، والإصلاح بينهم، وكف الأذى عنهم، من غير اعتبار لأجناسهم وألوانهم، وأعراقهم وأديانهم، كما قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وحسن التعامل مع المسلمين وأداء هذه الحقوق كلها لهم، أوجب وأكد من باب الأولى؛ لأن الإسلام كما أوجب على المسلمين حسن التعامل مع غيرهم من الناس، وأداء حقوقهم، أوجب عليهم حسن التعامل فيما بينهم، وأداء هذه الحقوق فيما بينهم. كما أوجب الإسلام على المسلمين حقوقاً خاصة فيما بينهم تقتضيها الأخوة الإسلامية، قال ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه»^(١).

وقوله ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست»؛ أي: من الحقوق التي ينبغي للمسلم أدائها لأخيه المسلم ست.

(١) أخرجه البخاري في الجناز (١٢٤٠)، ومسلم في السلام (٢١٦٢)، وابن ماجه في الجناز (١٤٣٥)، وأحمد (١٢٧١) ٣٢١ / ٢ من حديث أبي هريرة ﷺ.

وقوله ﷺ: «إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ»؛ أي: ابدأه بالسلام. قال ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث ليالٍ، يلتقيان، فيُعْرَضُ هذا، ويُعْرَضُ هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»^(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ: أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «أَنْ تُطْعِمَ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأَ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»^(٢).
والمصيبة أن كثيراً من المسلمين لا يسلم إلا على من يعرف، بمصداق قوله ﷺ: «إِنْ مِنْ أَسْرَاطِ السَّاعَةِ إِذَا كَانَتْ التَّحِيَّةُ عَلَى الْمَعْرِفَةِ»^(٣).

بل إن من الناس من يبخل بالسلام. وقد قال ﷺ: «أَبْخَلَ النَّاسِ الَّذِي يَبْخُلُ بِالسَّلَامِ»^(٤).

(١) أخرجه مالك في حسن الخلق (٢/ ٩٠٦)، والبخاري في الأدب (٦٠٧٧)، وفي الاستئذان (٦٢٣٧)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٦٠)، وأبو داود في الأدب (٤٩١١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٣٢) من حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان (١٢)، ومسلم في الإيمان (٣٩)، وأبو داود في الأدب (٥١٩٤)، والنسائي في الإيمان وشرائعه (٥٠٠٠)، وابن ماجه في الأطعمة (٣٢٥٣)، والدارمي ١٤٨/٢ (٢٠٨١)، وأحمد (٦٥٨١) ١٦٩/٢.

(٣) أخرجه أحمد ٣٨٧/١ (٣٦٦٤)، وابن أبي شيبة في «مسنده» ١٥٢/١ (٢١٠)، والطبراني في «الكبير» ٢٩٧/٩ (٩٤٩١). وصححه الألباني في «الصحيحة» (٦٤٨).

(٤) أخرجه الطبراني في «الأوسط» ٥/ ٣٧١ (٥٥٩١)، وفي «الدعاء» (٦٠)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٤٢٩) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً. وأخرجه الطبراني في «الدعاء» (٦١)، وفي «الأوسط» (٣/ ٣٥٥) (٣٣٩٢) مرفوعاً من حديث عبد الله بن مغفل ﷺ. قال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ١٢٠): «رواه الطبراني في الثلاثة، ورجاله ثقات». وأخرجه أحمد ٣/ ٣٢٨ (١٤٥١٧)، وعبد بن حميد في المنتخب (١٠٣٥)، والحاكم (٢/ ٢٠)، والبيهقي (٦/ ١٥٧) من حديث جابر ﷺ. وأورده الألباني في «الصحيحة» (٣٣٨٣). وأخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» ١٩/ ٤٧٣ (٣٦٧٤٨) موقوفاً على عمر ﷺ. وأخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» ١٣/ ١٩٧ (٢٦٢٦١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٠١٥، ١٠٤٢)، وابن الجعد في «مسنده» (٢٦٦٣)، وأبو يعلى في «مسنده» ١٢/ ٥٢٧ (٦٦٤٩)، وابن حبان ١٠/ ٣٤٩ - ٣٥٠ (٤٤٩٨) موقوفاً على أبي هريرة ﷺ. وصحح سند الموقوف ابن حجر في «الفتح» (٩/ ٥٦٥)، وحسن سنده مرفوعاً الألباني، كما في «السلسلة الصحيحة» (٦٠١).

كما أن من الناس من يمنعه الكبر والتعاضم على الآخرين، والتعالي عليهم من البداية بالسلام.

«وإذا دعاك فأجبه»؛ أي: وإذا دعاك أخوك المسلم للطعام ونحو ذلك فأجبه؛ لأن هذا مما يوجد الألفة والمحبة، ويقوي الأخوة بين المسلمين.

«وإذا استنصحك فانصحه»؛ أي: إذا طلب منك النصيحة والمشورة في أمر ديني، أو دنيوي، فأعطه محض النصيحة والمشورة، ولا تبخل بذلك، ولا تغشه.

والنصيحة للمسلمين واجبة مطلقاً، كما قال ﷺ: «الدين النصيحة». قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(١).

لكن يتأكد وجوب النصيحة للمسلم إذا استنصحك.

والمصيبة أن كثيراً من المسلمين يعيش لنفسه فقط، ولا يعنيه أمر النصيحة لله، وكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم في شيء، قد جعل من الأنانية له شعاراً وداراً حتى في أعظم الواجبات عليه، لسان حاله ومقاله مقالة بعض الجاهلين: «خلّ النصائح تخليك الفضائح».

قوله ﷺ: «وإذا عطس فحمد الله فشمته»؛ أي: وإذا عطس، وقال: «الحمد لله» فشمته بقولك: «يرحمك الله». ويقول هو: «يهديكم الله ويصليح بالكم»^(٢).

أما إذا لم يحمد الله فإنه لا يشمته، كما فعل ﷺ مع من عطس ولم يحمد الله^(٣).

(١) أخرجه مسلم في الإيمان (٥٥)، وأبو داود في الأدب (٤٩٤٤)، والنسائي في البيعة (٤١٩٧-٤١٩٨) من حديث تميم الداري ﷺ. وأخرجه النسائي في الموضوع السابق (٤١٩٩، ٤٢٠٠)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب (٦٢٢٤)، وأبو داود في الأدب (٥٠٣٣)، وأحمد ٣٥٣/٢ (٨٦٣١) من حديث أبي هريرة ﷺ. وأخرجه الترمذي في الأدب (٢٧٤١) من حديث أبي أيوب ﷺ. وأخرجه ابن ماجه في الأدب (٣٧١٥) من حديث علي ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب (٦٢٢٥)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٩١)، والترمذي في الأدب (٢٧٤٢) من حديث أنس ﷺ.

«وإذا مرض فعده»؛ أي: فزره في مرضه؛ للتخفيف عليه، والدعاء له بالشفاء والعافية.

«وإذا مات فاتبعه»؛ أي: فاتبع جنازته، وشيَّعه؛ للصلاة عليه، ودفنه، والدعاء له بالمغفرة والثبات.

وهذه الحقوق الست من أهم حقوق المسلم على المسلم، وهناك حقوق كثيرة في الإسلام على المسلم تجاه إخوانه المسلمين، دل عليها القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، من أهمها ما يلي:

أولاً: أن يعمل كل مسلم على تحقيق الأخوة الإسلامية فيما بينه وبين إخوانه المسلمين، كما أراد الله ﷻ؛ محبة، ومودة، وولاء، وإيثاراً، بحيث يشعر كل منهم بأنه جزء من كيان واحد، وأن أخوة الإسلام فوق كل أخوة، بما في ذلك أخوة النسب، والقرابة، والعائلة، والقبيلة، وغير ذلك.

قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال ﷻ: «وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم»^(١).

وقال ﷻ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرَ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى»^(٢).

وقال ﷻ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وشبك أصابعه^(٣)، وقال

ﷻ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(٤).

(١) سبق تحريجه.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٦)، وأحمد ٤/٢٧٠ (١٨٣٧٣) من حديث النعمان بن بشير ﷻ.

(٣) أخرجه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر (٢٥٨٥)، والنسائي في الزكاة (٢٥٦٠)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٨)، وأحمد ٤/٤٠٤ (١٩٦٢٤) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري في الإيثار (١٣)، ومسلم في الإيثار (٤٥)، والنسائي في الإيثار وشرائعه (٥٠١٦)، والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٥)، وابن ماجه في المقدمة (٦٦)، وأحمد

ثانياً: تبادل الاحترام والتقدير فيما بينهم، والبشاشة والابتسام مع السلام عند لقاء بعضهم بعضاً، فقد قال ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ» (١).

وعن جرير بن عبد الله ﷺ، قال: «مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مِنْذُ أَسْلَمْتُ وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِ» (٢).

ولنا به صلوات الله وسلامه عليه أسوة وقدوة، فمع شغله الشاغل صلوات الله وسلامه عليه في تدبر شؤون الأمة كلها قد وجد وقتاً للتبسم في وجوه أصحابه ﷺ، وصدق الله العظيم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

والمصيبة أنك تجد كثيراً من المسلمين لا يعرف البشاشة ولا الابتسام، ولا مكان لهما عنده، بل يظهر ضد ذلك عندما يلتقي بإخوانه المسلمين، اللهم إلا مع أهل معرفته خاصة. ولا شك أن في هذا نقصاً عظيماً، وبعداً عن أخلاق المصطفى ﷺ، وأخلاق المؤمنين، وأخلاق أهل الجنة.

وقد يقول قائل: إن هذا طبع! وقد قيل: «حَدَّرَ جِبَلًا، وَلَا تَحَدَّرُ طَبَعًا». وهذا ليس بصحيح؛ فإن العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، والخلق بالتخلق، ولو كان الإنسان لا يستطيع أن يغير من أخلاقه وسلوكه، وكما يقال: «أَيُّ كَذَا خُلِقْتَ...»، ما كان هناك تكليف، ولا جنة ولا نار!

فلأهل الجنة أخلاقهم، ولأهل النار أخلاقهم، كما قال ﷺ: «أَلَا أَخْبَرَكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟! كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرِهِ، أَلَا أَخْبَرَكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ، كُلُّ عُتْلٍ جَوَاطِظٍ مُتَكَبِّرٍ» (٣).

٣/٢٠٦ (١٣١٤٦) من حديث أنس ﷺ.

(١) أخرجه الترمذي في البر والصلة (١٩٥٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٩١) من حديث أبي ذر ﷺ. قال الترمذي: «حسن غريب». وصححه الألباني في «الصحيح» (٥٧٢).

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٣٥)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٧٥)، والترمذي في المناقب (٣٨٢١)، وابن ماجه في المقدمة (١٥٩)، وأحمد ٤/٣٥٩ (١٩١٧٩).

(٣) أخرجه البخاري في التفسير (٤٩١٨)، ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار (٢٨٥٣)، والترمذي في صفة

والبشاشة والابتسامة من أول مظاهر حسن الخلق، وأعظمها، وأفضلها، وقد قال ﷺ: «ما من شيء أثقل في الميزان من حُسن الخلق»^(١)، فخذ من هذا الخلق العظيم أكبر نصيب، تسعد في دينك، ودينك، وأخراك.

ثالثاً: تعاونهم أفراداً وجماعاتٍ على البر والتقوى، وعلى التواصي بالحق، والدعوة إلى الخير، والاعتصام بحبل الله جميعاً، وعدم التفرق؛ قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِنْتِهَادِ وَالتَّوَدُّعِ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فيجب على المسلمين جميعاً الاجتماع على الحق، والعمل على تحقيق عبودية الله تعالى في الأرض وطاعته، وعلى كل ما من شأنه رفع راية الإسلام، ونشره، والدفاع عنه، ونصرة المسلمين، وقوتهم، ووحدتهم؛ فالاختلاف والتفرق داء وبيل، وشر مستطير، يهدم كيان الأمة، ويذهب ريجها؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنْزِعُوا عَنْهُمْ لِيَنْصَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُهُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقال ﷺ: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»^(٢).

فلا يجوز لمسلم - يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله - أن يشذ عن هذا، ويتخلى عن إخوانه المسلمين، ويغرد خارج السرب؛ كما يقولون، «يد الله مع الجماعة».

جهنم (٢٦٠٥)، وأحمد ٤/ ٣٠٦ (١٨٧٢٨) من حديث حارثة بن وهب الخزاعي ﷺ.

(١) أخرجه أبو داود في الأدب (٤٧٩٩)، والترمذي في البر والصلة (٢٠٠٣) من حديث أبي الدرداء ﷺ. قال الترمذي: «غريب من هذا الوجه». وصححه الألباني في «الصحيحه» (٨٧٦).

(٢) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٩)، وأبو داود في الأدب (٤٩٤٦)، والترمذي في الحدود (١٤٢٥)، وابن ماجه في المقدمة (٢٢٥)، وأحمد ٢/ ٢٥٢ (٧٤٢٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

ومن شدَّ شدًّا في النار، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية).

والمصيبة أن فريقتا من الناس زيادة على تركه التعاون مع إخوانه في الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، تجده يثبط القائمين بذلك، فبدلاً من كونه يقوم بذلك، أو يعين من قام به، ويشجعه، تجده يثبط القائمين بذلك، وهذا بلا شك دلالة على الخذلان، وعدم التوفيق، وقد قال الله تعالى: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١]، وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت»^(١).

قال الأوزاعي: «ليعلم كل منكم أنه على نعرٍ من نغور الإسلام، فالله الله أن يؤتَى الإسلام من قبله»^(٢).

وقال الشاعر:

تأبى الرِّمَاحُ إذا اجتمعنَ تكسراً وإذا افترقنَ تكسرت أحادا^(٣)

رابعاً: إصلاح ذات بينهم، كما قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]، وقال تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨].

والأمر في قوله: ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾، وفي قوله: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ للوجوب، فلا يجوز أن يقف المسلمون تجاه الفئات المتقاتلة أو المتنازعة من إخوانهم المسلمين موقف المتفرج، كما هو حال كثير من المسلمين اليوم، وربما عمد بعضهم وعمل على إشعال نار الفتنة، وزيادتها؛ نسأل الله تعالى العافية والهداية.

وقد قال ﷺ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ

(١) أخرجه البخاري في الأدب (٦٠١٨)، ومسلم في الإيمان (٤٧)، وأبو داود في الأدب (٥١٥٤)، والترمذي في صفة القيامة (٢٥٠٠)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٧١) من حديث أبي هريرة ﷺ. وأخرجه مالك في صفة النبي ﷺ (٩٢٩/٢)، والبخاري في الأدب (٦٠١٩)، ومسلم في الإيمان (٤٨) من حديث أبي شريح الكعبي ﷺ.

(٢) أخرجه محمد بن نصر المروزي في «السنة» (٢٩).

(٣) انظر: «الأغاني» ٤/ ١١٢، «مجمع الزوائد» ٨/ ١٢٦، «كنز العمال» ١٣/ ٦٠٠ (٣٧٥٥٢).

النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ [النساء: ١١٤].

كما حذر ﷺ من فساد ذات البين بين المسلمين، وقال: «هي الحالقة، لا أقول: تحلِق الشعر، ولكن تحلق الدين»^(١).

وقد جعل الإسلام سهماً من الزكاة للغارمين في سبيل إصلاح ذات البين من المسلمين؛ تشجيعاً لهم على هذا العمل النبيل الجليل.

فاحرص أخي المسلم على إصلاح ذات البين بين المسلمين ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، واحمل همَّ إخوانك المسلمين، كما تحمل هم نفسك، وأبشر بالخير إن شاء الله تعالى. واحذرْ كلَّ الحذر أن تكون ممن لا يعنيه شأن إخوانه المسلمين، لا في قليل ولا كثير.

خامساً: أن يحرص كل مسلم ويجتهد ما استطاع على سلامة قلبه على إخوانه المسلمين، ويتعد كل البعد عن الاعتداء على أحدٍ من إخوانه بدم، أو مال، أو عرض، ويحذر كل الحذر مما يعكر صفو الأخوة بينه وبين إخوانه المسلمين؛ من السخرية، واللمز، والتنازع بالألقاب، وسوء الظن، والتجسس، والتحاسد، والتباغض، والتدابر، والتهاجر، والاحتقار، ونحو ذلك.

قال الله ﷻ: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا يَأْتِكُمْ أَعْدَابُ مَا كُنْتُمْ آتِيهِمْ يَوْمَ أَنْ كَفَرْتُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٢﴾﴾ [الحجرات: ١١، ١٢].

وقال ﷺ في خطبته في حجة الوداع: «إن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت، ألا هل بلغت، ألا هل بلغت».

(١) سبق تخرجه.

ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم فاشهد^(١).

وقال ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»^(٢).

وقال ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»^(٣).

وقال ﷺ: «لا تحاسدوا، ولا تناجسوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا- ويشير إلى صدره ثلاثًا- بحسبِ امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه»^(٤).

وقال ﷺ: «إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا»^(٥).

قال عمر بن الخطاب ﷺ: «لا تظنَّ بكلمةٍ خرجت من أخيك المسلم إلا خيرًا، وأنت تجد لها في الخير محملاً»^(٦).

وعن أبي بَرزَةَ الأسلمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولما يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من اتبع عورة أخيه

(١) أخرجه البخاري في العلم (٦٧)، ومسلم في القسامة (١٦٧٩)، وابن ماجه في المقدمة (٢٣٣)، وأحمد ٥/٣٧ (٢٠٣٨٦) من حديث أبي بكرة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، والنسائي في تحريم الدم (٤١٢٧، ٤١٣١، ٤١٣٢)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٤٢)، والدارمي في المناسك ٢/ ٥١ (١٩٢١). من حديث جرير بن عبد الله ﷺ. وأخرجه البخاري في الحج (١٧٣٩)، والترمذي في الفتن (٢١٩٣) من حديث ابن عباس ﷺ. وأخرجه البخاري في الحج (١٧٤١) من حديث أبي بكرة ﷺ. وأخرجه البخاري في المغازي (٤٤٠٣)، ومسلم في الإيمان (٦٦)، وأبو داود في السنة (٤٦٨٦)، والنسائي في تحريم الدم (٤١٢٥)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٤٣) من حديث ابن عمر ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري في الإيمان (٤٨)، ومسلم في الإيمان (٦٤)، والنسائي في تحريم الدم (٤١٠٥)، والترمذي في البر والصلة (١٩٨٣)، وابن ماجه في المقدمة (٦٩) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٥) سبق تخريجه.

(٤) سيأتي تخريجه.

(٦) سبق تخريجه.

المسلم، يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضّحه، ولو في جوف بيته»^(١).
سادساً: أن يسعى كل مسلم في الدفاع عن إخوانه المسلمين في دينهم، وفي دمائهم،
 وأموالهم، وأعراضهم.
 ويحذر كل الحذر من خذلان أحد من إخوانه المسلمين في موقف يستطيع فيه نصرته،
 والذب عنه.

قال عليه السلام: «انصُرْ أخاك ظالماً أو مظلوماً». فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلوماً،
 أفرايت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: «تججزه، أو تمنعه من الظلم؛ فإن ذلك نصره»^(٢).
 وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من رد عن عرض أخيه المسلم،
 رد الله عن وجهه النار يوم القيامة»^(٣).

وعن جابر بن عبد الله وأبي طلحة الأنصاري رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من
 امرئ يخذل امرأً مسلماً في موضعٍ تُنتهك فيه حرمة، ويُنتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في
 موضعٍ يجب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر امرأً مسلماً في موضعٍ يُنتقص فيه من عرضه،
 ويُنتهك فيه من حرمة، إلا نصره الله في مواطنٍ يجب نصرته فيها»^(٤).
 وهذا يجسد قوله صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحيمهم، وتعاطفهم كمثل الجسد
 الواحد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالحُمى والسهر»^(٥).

- (١) أخرجه أبو داود في الأدب (٤٨٨٠)، وأحمد ٤ / ٤٢٠ (١٩٧٧٦). وصححه الألباني في «صحيح الجامع»
 (٧٩٨٤) من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه.
 (٢) أخرجه البخاري في المظالم (٢٤٤٤)، وفي الإكراه (٦٩٥٢)، والترمذي في الفتن (٢٢٥٥)، وأحمد ٣ / ٩٩
 (١١٩٤٩) من حديث أنس رضي الله عنه. وأخرجه مسلم في البر والصلة (٢٥٨٤) من حديث جابر رضي الله عنه.
 (٣) أخرجه الترمذي في البر والصلة (١٩٣١)، وأحمد ٦ / ٤٤٩ (٢٧٥٣٦) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. قال
 الترمذي: «حديث حسن». وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٥٨٠).
 (٤) أخرجه أبو داود في الأدب (٤٨٨٤). وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٦٨٧١).
 (٥) سبق تخريجه.

وقفات تسع في: تحريم العصبية القبلية، وذمها

قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

الوقفة الأولى معنى العصبية القبلية

العصبية: هي الدعوة إلى نصره العصبه، والتألب معهم على من يناوئهم؛ ظالمين كانوا أو مظلومين^(١).

والقبليّة: نسبة إلى «القبيلة» وهم الجماعة بنو أب واحد، والقبيلة دون الشعب، ويتفرع منها الفصائل، والعشائر، والعمائر، والبطون، والأفخاذ، وغير ذلك^(٢).

فالعصبية القبليّة: هي العصبه القوميّة المقيّته؛ من الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والفخر بالأرض والتراب، والعرق، واللون، والجنس، والبلد، وهي حمية الجاهلية المذمومة.

قال ابن تيمية رحمته الله: «وكل ما خرج عن دعوة الإسلام والقرآن؛ من نسب، أو بلد، أو جنس، أو مذهب، أو طريقة، فهو عزاء الجاهلية»^(٣).



(٢) انظر: «لسان العرب» مادة «قبل».

(١) انظر: «لسان العرب» مادة «عصب».

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية ٢٨ / ٣٢٨.

الوقفه الثانية

حال الأمة قبل بعثة النبي ﷺ

كان العرب قبل بعثة النبي ﷺ، وقبل نزول القرآن الكريم، وبزوغ شمس الإسلام، أمة متنافرة، متناحرة، تسودها العداوات، والبغضاء، والأحقاد، والشحناء، القوي يأكل الضعيف، والغني يستعبد الفقير، كانوا يتقاتلون على موارد الشاء والإبل، وتقوم بينهم الحروب لأتفه الأسباب، بسبب قتل كلب، أو نحو ذلك، وتدوم سنين طويلة، كما في حرب داحس والغبراء، والحروب بين الأوس والخزرج، وغير ذلك.

فجاء الإسلام فألّف بينهم، وجمّع كلمتهم، ووحد صفهم فأصبحوا بنعمة الله إخواناً، قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَصَمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

الوقفه الثالثة

تحريم العصبية القبلية، وذمها

حرّم الإسلام العصبية القبلية، وحذّر منها، وذمّها في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية المطهرة؛ قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ﴾ [الفتح: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿يَتَأَيَّبُ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقال ﷺ: «اثنان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت»^(١).

(١) أخرجه مسلم في الإيمان (٦٧)، والترمذي في الجناز (١٠٠١)، وأحمد ٤٩٦/٢ (١٠٤٣٤) من حديث أبي هريرة ﷺ. ومعنى «الطعن في الأنساب»: نفيها، أو إلحاق العيب والنقص فيها.

وقال عليه السلام: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»^(١).

ولما سمع عليه السلام أحد الأنصار ينادي: يا للأنصار! وأحد المهاجرين ينادي: يا للمهاجرين، قال: «ما بال دعوى الجاهلية؟» قالوا: يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار. فقال: «دعوها فإنها مُتَبِتَةٌ»^(٢).

ولما عير أبو ذر رضي الله عنه بلأبى رضي الله عنه بأمه، قال عليه السلام لأبي ذر رضي الله عنه: «أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية»^(٣).

وقال عليه السلام: «إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد»^(٤).

وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قُتل تحت راية عِمِّيَّة، يدعو عصبية، أو ينصر عصبيةً، فقتله جاهلية»^(٥).

وقال عليه السلام: «من قاتل تحت راية عِمِّيَّة، يغضب لعصبية، أو يدعو إلى عصبية، أو ينصر عصبية، فقتل، فقتله جاهلية»^(٦).

-
- (١) أخرجه مسلم في الجنائز (٩٣٤)، وأحمد ٥/٣٤٢ (٢٢٩٠٣) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري في المناقب (٣٥١٩)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٤)، والترمذي في التفسير (٣٣١٥)، وأحمد ٣/٣٢٣ (١٤٤٦٧) من حديث جابر رضي الله عنه.
(٣) أخرجه البخاري في الإيذان (٣٠)، ومسلم في الإيذان (١٦٦١)، وأبو داود في الأدب (٥١٥٨، ٥١٥٧)، والترمذي في البر والصلة (١٩٤٥)، وابن ماجه في الأدب (٣٦٩٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.
(٤) أخرجه مسلم في الجنة (٢٨٦٥)، وأبو داود في الأدب (٤٨٩٥)، وابن ماجه في الزهد (٤١٧٩).
(٥) أخرجه مسلم في الإمارة (١٨٥٠)، والنسائي في تحريم الدم (٤١١٥). و«العمية»: الأمر الأعمى، لا يستبين وجهه، كما في قول الشاعر:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت، وإن ترشد غزية أرشد

«قتله جاهلية»؛ أي: قتله وميته على ضلال، كما يموت أهل الجاهلية.

- (٦) أخرجه مسلم في الإمارة (١٨٤٨)، والنسائي في تحريم الدم (٤١١٤)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٤٨)، وأحمد ٢/٢٩٦ (٧٩٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ويكفي أن أول المتعصيين لأصله إبليس لعنه الله تعالى، حيث قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

فالحذرَ الحذرَ من هذا المسلك الجاهلي المشين.

الوقفه الرابعة

الكرم، والعزة، والفخر بالإيمان والإسلام والتقوى

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يحقره، ولا يظلمه....»^(١).

وقال ﷺ: «لا فضل لعربيٍّ على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى»^(٢).

فدين الإسلام جمع بين ضهيب الرومي، وبلال الحبشي، وسلمان الفارسي، وأبي بكر الصديق القرشي العربي ﷺ تحت أعظم راية، وأقوى رابطة؛ راية ورابطة الإسلام والإيمان والتقوى.

قال الشاعر:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيسٍ أو تميم

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد ٤١١ / ٥ (٢٣٤٨٩) من حديث أبي نضرة: حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق. قال الهيثمي في «المجمع» (٢/٣): «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح». وأخرجه الطبراني في «الأوسط» ٨٦ / ٥ (٤٧٤٩) من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد ﷺ. قال الهيثمي في «المجمع» (٨/٨): «رواه الطبراني في «الأوسط» والبخاري بنحوه... ورجال البزار رجال الصحيح». وأخرجه البيهقي في «الشعب» ٢٨٩ / ٤ (٥١٣٧) من حديث أبي نضرة عن جابر بن عبد الله ﷺ. وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٠٠).

ولا يدعو بها غير الأثيم
فيلحقه بذى النسب الصميم
ولكن التقى هو الكريم^(١)

بدعوى الجاهلية لم أجبهم
دعي القوم ينصر مدعيه
وما كرم ولو شرفت جدود
وقال الآخر:

فلا تترك التقوى اتكالا على النسب
وقد وضع الشرك الشريف أباهب^(٢)

لعمرك ما الإنسان إلا بدينه
فقد رفع الإسلام سلمان فارس
وقال الآخر:

وعقيدتي نور الحياة وسؤددي
من ذرة أقوى وألف مهندي^(٣)

أنا مسلم وأقولها ملء الورى
إن العقيدة في قلوب رجالها
وقال الآخر:

وحبك للدنيا هو الذل والعدم
لئلا يحللكم الحجة^(٤)

ألا إنما التقوى هي العز والكرم
وليس على عبد تقى نقيصة

ولو كان النسب ينفع لاستطاع الأنبياء ﷺ - وهم خيرة خلق الله - أن ينفعوا أبناءهم وأبائهم وأقاربهم، فلم ينفع نوح ﷺ ابنه، قال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾^(٤٥) قَالَ يَنْوَحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّخِذْ لِيَ مَالِيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّيْ أَعْظَمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ^(٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود: ٤٥-٤٧].

ولم ينفع إبراهيم ﷺ خليل الرحمن أباه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَفْقَارًا لِبَرِّهِمْ وَلَا يُبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِتَاءَهُ فَمَا نَبَّيْنُ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأ مِنَّا إِنَّا بَرِّهِمْ وَأَوْهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

وما نفع محمد ﷺ سيد البشرية كلها قرابته، قال تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ

(١) انظر: «الشعر والشعراء» (١/ ٥٢٨).

(٢) البيتان للإمام علي ﷺ. انظر: «ديوانه» (١١).

(٣) بلا نسبة في «دليل الواعظ، إلى أدلة المواظ» (ص ١٨٦).

(٤) البيتان لأبي العتاهية، انظر: «ديوانه» ص (٣٩٤).

ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنََّّهُمْ أُصْحَابُ
الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ [التوبة: ١١٣].

فما نفع عمه أبا لهب، قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصِلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

[سورة المسد].

وما نفع عمه أبا طالب الذي كفله، وأحاطه بعنايته ورعايته، ومنع المشركين من الوصول إليه وأذيته؛ فقد جاء ﷺ إلى عمه أبي طالب لما حضرته الوفاة، وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية، فقال: «يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاجُّ لك بها عند الله»، وأبو جهل وعبد الله بن أبي أمية يقولان له: قل: بل على ملة عبد المطلب. فقال: بل على ملة عبد المطلب. وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فحزن النبي ﷺ على ذلك^(١)، فأنزل الله تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ حين أنزل الله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] قال: «يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشترُوا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمّة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد، سليمان ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً»^(٢).

فلا نسب ولا حسب ينفع عند الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [المتحنة: ٣]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الدخان: ٤١].

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في الوصايا (٢٧٥٣)، وفي التفسير (٤٧٧١)، ومسلم في الإبان (٢٠٦)، والنسائي في الوصايا (٣٦٤٦، ٣٦٤٧).

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَلْ حِمِيمًا حِمِيمًا﴾ ١٠ ﴿يُبْصِرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾ ١١
 وَصَحْبَتِهِ، وَأَخِيهِ ١٢ ﴿وَفَصَّلَتْهُ أَلَّتِي تَتُوبُهُ﴾ ١٣ ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ ١٤ ﴿كَلَّا﴾ [المعارج ١٠-١٥]،
 وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ ٣٤ ﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ ٣٥ ﴿وَصَحْبِهِ وَبَنِيهِ﴾ ٣٦ ﴿لِكُلِّ أُمَّرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ بَعِيذٌ﴾
 [عبس ٣٤-٣٧].



الوقفه الخامسة

أسباب العصبية القبلية

أسباب العصبية القبلية كثيرة، منها ما يلي:

- ❖ ضعف الإيمان، واليقين.
- ❖ الجهل، وهو داء قاتل، قال الشاعر:
 وفي الجهل قبل الموت موت لأهله
 فأجسامهم قبل القبور قبور
- ❖ خواء الروح، وخلوها من التعلق بالله تعالى، وعبادته، وذكره، والعناية بما خلق
 العباد له، مما يوُلِّد فراغاً عند الإنسان فيملؤه بما يضره، كما قيل:
 أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى
 فصادف قلباً خالياً فتمكناً
 والنفس إذا ما شغلها الإنسان بالخير، شغلته بالباطل!
- ❖ عمل بعض البيوت، والأسر، والقبائل على إذكائها بشتى الوسائل، وترسيخ
 مفهومها.

❖ وجود كثير من القنوات الفضائية اليوم، والمواقع الإلكترونية، ووسائل التواصل
 التي تتبنى الدعوة لها بما تبثه من الأشعار، والقصائد التي تربي الناس على التعصب
 المذموم، والمنافسات، والمسابقات في ذلك.

❖ الاجتماعات، والمناسبات القبلية التي يكون التركيز فيها غالباً على تمجيد القبيلة،
 وذكر مفاخرها، بدلاً من التركيز على الإحسان، وصلة الرحم، والتكافل الاجتماعي،

والدعوة إلى الخير.

❖ استغلال أعداء الإسلام لها؛ للتفريق بين المسلمين، وضرب بعضهم ببعض؛ ليكون لهم موطئ قدم في بلاد المسلمين، يمتصون من خلاله خيرات بلاد المسلمين، ويشككونهم في دينهم.

الوقفه السادسة

مفاسد العصبية القبلية، وأضرارها على الفرد والمجتمع

مفاسد العصبية القبلية وأضرارها كثيرة جداً، من أخطر ما يلي:

❖ أنها من أعظم أسباب ضلال كثير من الخلق، وتكذيب الرسل، ورد ما جاؤوا به من الحق، كما قال الملائ الذين كفروا من قوم نوح ﷺ: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ﴾ [المؤمنون: ٢٤].

وقال المكذبون من قوم نوح، وعاد، وثمود، ومن بعدهم لرسولهم: ﴿إِن أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَنْ مَا كَانَتِ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [إبراهيم: ١٠].
وقال قوم صالح ﷺ له: ﴿أَنْهَيْتَنَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [هود: ٦٢].

وقال قوم شعيب ﷺ: ﴿أَصَلُّوْا تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [هود: ٨٧].
وقال تعالى عن إبراهيم ﷺ وقومه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٢﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنبياء: ٥٢-٥٤]، وفي سورة الشعراء: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٧٤].

وقال فرعون وملؤه: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٧٨]، وقالوا: ﴿مَا هَذَا إِلَّا إِسْحَرْتُمْ قَرَّتْ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ﴾ [القصص: ٣٦].

وقال تعالى عن مشركي هذه الأمة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَيَقْبِلُونَ سَيِّئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَيَعْلَمُونَ سَيِّئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١]، وقال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَأْتِرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَأْتِرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢، ٢٣].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا أَلَمْ نَجْعَلْ لِنَعْبُدِ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا فَأِنَّا بِمَا نَعْبُدُنَا إِن كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: ٧٠]، وقالوا: ﴿مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُكُمْ﴾ [سبأ: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَفْوَاءٌ ءَابَاءَهُمْ صَالِحِينَ ﴿٦١﴾ فَهُمْ عَلَىٰ ءَأْتِرِهِمْ بِهَرَعُونَ﴾ [الصافات: ٦٩، ٧٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا﴾ [الأعراف: ٢٨].

ولقد كانت العصبية القبلية سبباً لموت أبي طالب عم النبي ﷺ على الكفر، والذي كانت له الأيدي البيضاء في كفالة الرسول ﷺ، والدفاع عنه، ومنع المشركين من الوصول إليه، وأذيته في حياته، فهو يقول:

ولقد علمتُ بأن دين محمدٍ
لولا الملامةُ أو حذارِ مَسَبَّةٍ
من خيرِ أديانِ الرِّيَّةِ دِينَا
لوجدتني سمحاً بذاك مُبيناً^(١)
ويقول:

لقد علموا أن ابننا لا مكذبٌ
فوالله لولا أن أجيء بسببةٍ
لدينا ولا يُعنى بقول الأباطلِ
لكننا اتبعناه على كل حالةٍ
تجرُّ على أشياخنا في المحافلِ
من الدهرِ جدًّا غير قول التهازلِ^(٢)

(١) انظر: «شرح الطحاوية» ٢ / ٤٦١، «ديوان أبي طالب» ص ١٠٨.

(٢) انظر: «ديوان أبي طالب» ص ١٢٨، «السيرة النبوية» لابن هشام ١ / ٢٩٩، «الحجاسة المغربية» ١ / ١٠٤.

❖ ضعف الإيمان، وضعف الولاء لله ولرسوله، وللمؤمنين؛ لانشغال القلب عن ذلك بالعصبية، وبما لا يغني.

❖ الوقوع في الظلم؛ لأن التعصب غالباً يدفع صاحبه إلى استباحة حقوق الآخرين وظلمهم.

❖ ازدراء الآخرين، واحتقارهم، وتنقصهم، والحط من قدرهم، وقد قال ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يحقره، ولا يظلمه»^(١)، وقال ﷺ: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه»^(٢).

❖ إيجاد العداوة، والبغضاء، والأحقاد بين المسلمين، ولأجلها رُفعت شعارات الشيطان، ومصدق قوله ﷺ: «إن الشيطان قد يئس أن يعبدَه المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم»^(٣)، وقد قال ﷺ: «لا تبغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عبادَ الله إخواناً»^(٤).

❖ تفرق كلمة المسلمين، وتأخرهم، وتخلفهم عن ركب الحضارة والتقدم، بسبب نشوء النعرات العرقية، والقبلية، والقومية، والجغرافية، والحزبية، والمذهبية، والطائفية، والسياسية، وغيرها.

❖ نشوب الحروب والفتن بين المسلمين، وتعطيل مصالح الأمة الكبرى؛ الدينية، والدينية.

❖ ضعف الأمة، وذهاب ريجها، وتسلب الأعداء عليها، مع الجهل، والفقر، والمرض.

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وأبو داود في الأدب (٤٨٨٢)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٧)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٣٣)، وفي الزهد (٤٢١٣)، وأحمد ٢٧٧/٢ (٧٧٢٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم في صفة القيامة (٢٨١٢)، والترمذي في البر والصلة (١٩٣٧)، وأحمد ٣١٣/٣ (١٤٣٦٦) من حديث جابر ﷺ.

(٤) سبق تخريجه.

الوقففة السابعة

العصبية للوطن؛ من بلد أو منطقة، أو مدينة، أو محافظة، أو قرية، أو هجرة، أو غير ذلك

كُلُّ يِجب موطنه الذي وُلِدَ وعاش فيه، أو عاش فيه أجداده، وهذا أمرٌ جِبِلِّيٌّ طَبِيعِيٌّ فِطْرِيٌّ، حتى عند الحيوانات.

وقد أحب النبي ﷺ بلده مكة، كما أحب المدينة، وقد قيل: «حب الوطن من الإيمان». وقال الشاعر:

بِلاَدِي وَإِنْ جَارَتْ عَلَيَّ عَزِيزَةٌ وَأَهْلِي وَإِنْ ضُنُّوا عَلَيَّ كِرَامٌ
وكون الإنسان يِجب بلده، ويدافع عنه بحق، ويعمل على جلب الخير له، وتطويره بما لا يشغله عن أمر دينه، وبما ليس فيه مباحة ولا مفاخرة، ولا مكاثرة بالتراب والطين، ولا اعتداء على حقوق الآخرين، أو أذية لهم، فهذا كله لا بأس به.

لكن الذي لا يجوز أن يتحول الولاء للبلد ومحبتة إلى عصبية تترتب عليها الموالاة والمعادة، أو المباحة والمفاخرة والمكاثرة بالتراب والطين، أو التعالي على الآخرين، من أهل البلدان الأخرى، من الجيران، وغيرهم، أو أذيتهم، أو الاعتداء على حقوقهم، أو احتقارهم وانتقاصهم، أو تعييرهم بالألقاب، التي يكتبها سفهاء القوم على الجدران، وطاولات المدارس، وعلى اللوحات في الطرقات العامة، والشوارع، وطمس اللوحات الإرشادية التي تضعها الجهات المختصة، ونحو ذلك.

وكل هذا مما يولد العداوة، والبغضاء، والأحقاد بين المسلمين، ولا يعود على صاحبه إلا بالخبية والخسران، مع التفريط في حق الله تعالى، حيث تضع كثير من أعمار من ابتلوا بهذا التعصب، ركضًا وراء ذلك، فلا دنيا حصلوا ولا دينًا حفظوا.



الوقفه الثامنة

الأولاد أمانة عظيمة، يجب النأي بهم عن مزالق العصبية كلها

الأولاد ذكورهم وإناثهم أمانة عظيمة في رقاب والديهم، يجب تربيتهم على مبادئ الإسلام الكريمة، ومثله العليا، وخصاله الحميدة، وآدابه الفاضلة، وأخلاقه النبيلة الجميلة. يجب تربيتهم على تعظيم ربهم، وطاعته، وطاعة رسوله ﷺ، وسلوك صراطه المستقيم المضي بهم إلى جنات النعيم، مع الذين أنعم الله عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

يجب تعليمهم أن العزة بالإسلام، وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْعِزَّةُ لِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

يجب تعليمهم أن العز والفخر، والكرم والشرف، والسؤدد والعظمة، والسعادة في الدنيا والآخرة بتقوى الله تعالى، وطاعته، وطلب مرضاته، ووجته. كما يجب النأي بهم عن مزالق العصبية القبلية وغيرها، وعن كل ما يبعدهم عن سلوك الصراط المستقيم، ويعرضهم لسلوك سبل الضالين والجاهلين، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأأنعام: ١٥٣].

وليعلم الآباء أن الأمر خطير جد خطير، قال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه»^(١).

فإن ضلال كثير من الأولاد بسبب آبائهم، الذين ربوهم على غير الفطرة من العصبية، أو غير ذلك، أو أهملوهم^(٢).

(١) سبق تحريجه.

(٢) انظر: «تحفة الودود، بأحكام المولود» لابن القيم ص ٢٢٩.

الوقفة التاسعة

ليس من العصبية

❖ التمسك، والاعتزاز بشيم وعادات القبيلة الطيبة الحسنة؛ من الجُود والكرم والشجاعة، والشهامة وحسن الجوار، ونصرة المظلوم، وإكرام الضيف، وغير ذلك. فقد جاء الإسلام وهذه الشيم والعادات موجودة عند العرب، فشجع عليها، وحافظ عليها؛ ولهذا قالت خديجة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم لما جاء فرجاً، بعد نزول جبريل عليه السلام عليه بالوحي، وهو في الغار، يقول: «زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي، دَثِّرُونِي... لقد خشيت على نفسي» قالت رضي الله عنها: «كلا، أبشر، والله لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتقرّي الضيف، وتحمل الكَلَّ، وتُعين على نوائب الحق»^(١).

❖ الاعتناء بالأنساب، والمحافظة عليها، قال صلى الله عليه وسلم: «تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم»^(٢).

❖ طلب الكفاءة في النكاح.

❖ الخِيَلَاءُ والفخر بال عشيرة والبلد في مواطن قتال الكفار، ونُصرة الدين؛ ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يقول: «أنا النبي لا كَذِب، أنا ابن عبدِ المَطْلَبِ»^(٣).

❖ محبة الإنسان لعشيرته، وقبيلته، وبلده محبةً معتدلةً، لا تحمله على ظلم الآخرين، ولا احتقارهم، ولا توقعه في التفريط في حق الله تعالى، ولا يترتب عليها مفسدة ظاهرة، من العداة للقبائل، أو البلدان الأخرى، أو هضم حقوقها، أو التعدي عليها، أو محبة الشر لها، ونحو ذلك، فقد كان صلى الله عليه وسلم يحب قومه وعشيرته وبلده، وهو أسوتنا وقدوتنا صلى الله عليه وسلم.

(١) أخرجه البخاري في بدء الوحي (٣)، وفي التفسير (٤٩٥٣)، ومسلم في الإيمان (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه الترمذي في البر (١٩٧٩)، وأحمد ٢/ ٣٧٤ (٨٨٦٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الترمذي:

«حديث غريب». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٦، ٢٧٧).

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٦٤، ٢٩٣٠)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٧٦)، والترمذي في

الجهاد (١٦٨٨)، وأحمد ٤/ ٢٨٠ (١٨٤٦٨) من حديث البراء رضي الله عنه.

وقفات خمس في: فضيلة اللسان، وخطورته، ووجوب حفظه

قال الله تعالى: ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْ رَقِيبٍ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨]

الوقفة الأولى في: فضيلة اللسان، وشرفه

اللسان من أعظم الجوارح التي منحها الله تعالى للإنسان وأفضلها وأشرفها؛ فقد امتن الله على الإنسان بها، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾ [البلد: ٨-٩]. وهو نعمة عظيمة من الله تعالى لمن وفقه الله ﷻ، به يُدخِل الإنسان في الإسلام، وينطق بأعظم كلمة؛ كلمة التوحيد؛ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

به يلهج المسلم بذكر ربه، وشكره، ويرتل آياته، ويدعوه، ويسبحه، ويهلله، ويكبره، ويحمده، ويشني عليه.

به يقول الحق، ويدعو إليه، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويرغب في الخير، ويحذر من الشر.

وبه يستعين على جميع أمور دينه، ودنياه، وأخراه.

وبه يختم المؤمن الموفق حياته بقوله: لا إله إلا الله.

وبه يجيب الملكين في قبره بقوله: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ.

وبه يلهج أهل الجنة بذكر الله، وشكره، وتسبيحه، وتحميده، وتهليله، وتكبيره.

وكم هو الفرق الشاسع، والبون الواسع في مقدار النعمة، وعظيم المنة، بين من منحه الله تعالى في هذه الحياة لساناً ناطقاً فصيحاً، وبين من ابتلي بالبكم، وعدم النطق، لكن كما قيل: «الصححة تاج على رؤوس الأصحاء، لا يراه إلا المرضى»، ولا يعرف قدر النعمة إلا من فقدوها!

الوقفه الثانية:

اللسان بين النفع والضرر

اللسان ذو حدين؛ فهو - كما سبق - نعمة عظيمة لمن وفقه الله تعالى لاستعماله بالقول الحسن والسديد، وفيما يُرضي الله ﷻ، كما قال تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الإسراء: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۗ ﴾ [يوسف: ٧٠] يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

وقال ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يُلقى لها بالاً، يرفعه الله بها درجات»^(١).

وعن بلال المزني ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، ما كان يظن أن تبلى ما بلغت، يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه»^(٢).

قال الشاعر:

(١) أخرجه مالك في الكلام (٢/٩٨٥)، والبخاري في الرقاق (٦٤٧٨)، ومسلم في الزهد (٢٩٨٨)، والترمذي في الزهد (٢٣١٤)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٠)، وأحمد ٢/٣٣٤ (٨٤١١)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه مالك في الكلام (٢/٩٨٥)، والترمذي في الزهد (٢٣١٩)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٦٩)، وأحمد ٣/٤٦٩ (١٥٨٥٢). قال الترمذي: «حسن صحيح». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٨٨).

عَوَّدَ لِسَانَكَ قَوْلَ الصَّدِيقِ تَحْظُ بِهِ إِنَّ اللِّسَانَ لَمَّا عَوَدَتْ مُعْتَادٌ^(١)
وهو نقمة عظيمة لمن خذله الله تعالى، يكفر بسببه بقوله كلمة الكفر، كما قال تعالى
عن المنافقين: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]،
وذلك باستهزائهم بالله، وآياته، ورسوله ﷺ.

وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾
[إبراهيم: ٢٦].

وبسببه يقع الكثيرون في الموبقات، والكبائر، وغيرها من المعاصي؛ من قول الزور،
وشهادة الزور، والغيبة، والنميمة، واللعن، والسب، والشتم، وغير ذلك.

ولهذا حذر النبي ﷺ من خطر اللسان وعثراته، فقال لمعاذ ﷺ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»
قال معاذ: فقلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «تُكَلِّمُكَ أُمُّكَ يَا مَعَاذُ،
وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِمْ - أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»^(٢).
وفي حديث أبي هريرة ﷺ المتقدم، قال: «وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سَخَطِ الله، لا
يُلْقِي لَهَا بِالْأَلَى، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»^(٣).

وفي حديث بلال ﷺ السابق قال: «وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سَخَطِ الله، ما
يُظَنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ»^(٤).

وقال ﷺ: «من يضمن لي ما بين حَيِّئِهِ وما بين رِجْلَيْهِ أَضْمَنَ لَهُ الْجَنَّةَ»^(٥).

(١) بلا نسبة في «روضة العقلاء، ونزهة الفضلاء» (ص ٥١)، و«أدب الدنيا والدين» (ص ٢٦٣).

(٢) أخرجه الترمذي في الإبان (٢٦١٦)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٣)، وأحمد ٥/ ٢٣١ (٢٢٠١٦) من
حديث معاذ بن جبل ﷺ. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وصححه الألباني في «الصحيحة»
(٣٢٨٤)، وفي «الإرواء» (٤١٣).

(٣) سبق تخريجه قريباً.

(٤) أخرجه مالك في الكلام (٢/ ٩٥٨)، والترمذي في الزهد (٢٣١٩)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٦٩)، أحمد
٣/ ٤٦٩ (١٥٨٥٢). قال الترمذي: «حسن صحيح». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٨٨).

(٥) أخرجه البخاري في الرقاق (٦٤٧٤) من حديث سهل بن سعد ﷺ.

وعن عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: «املكَ عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»^(١).

وفي الحديث «أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان. فقال الله ﷻ: من الذي يتألى عليّ ألا أغفر لفلان؟! فإني قد غفرتُ لفلان، وأحببتُ عمَلَك»^(٢).

وفي رواية: قال ﷺ: «فوالذي نفسُ أبي القاسمِ بيده لتكلمَ بكلمةٍ أوبقتُ دُنياهُ وأخرتَه»^(٣).

فما أشدَّ خطر اللسان وضرره، فكم خرج أناس من الإيَّان بسبب اللسان، وكم من أرواح أزهقت، وحروب أشعلت فأكلت الرطبَ واليابس؛ بسبب اللسان. قال نصر بن سيَّار^(٤):

وإن النار بالعودين تُذكى وإن الحربَ أولها كلامٌ
وكم زوجات طُلقت، وأسرُ شُرِّدت، وأطفال يئمت؛ بسبب اللسان!
وكم من عداوات وإحنٍ وبغضاء وقعت بين الإخوان، والأقارب، والجيران،
والأفراد، والجماعات؛ بسبب اللسان!
قال الشاعر:

جِراحاتُ السِّنَّانِ لها التِّئامُ ولا يَلْتامُ ما جَرَحَ اللِّسانُ^(٥)
وقال الشافعي:

(١) أخرجه الترمذي في الزهد (٢٤٠٦)، وأحمد ٤/١٤٨ (١٧٣٣٤). قال الترمذي: «حديث حسن». وصححه الألباني في «الصحيحه» (٨٩٠).

(٢) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٦٢١) من حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه.
(٣) أخرجه أحمد ٢/٣٢٣ (٨٢٩٢)، وابن حبان ١٣/٢١ (٥٧١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. مرفوعاً. وأخرجه أبو داود في الأدب (٤٩٠١) من قول أبي هريرة رضي الله عنه. وصححه الألباني في التعليقات الحسان (٥٦٨٢).

(٤) انظر: «عمدة الكتاب» للنحاس ١/٣٩، و«التذكرة الحمدونية» ١/٤٣٢.
(٥) البيت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه. انظر: «فيض القدير» للمناوي ٦/١٣٩، و«روح البيان» لأبي الفداء ٩/٥٠٦. وهو في: «فصل المقال» ص ٢٤ بلا نسبة.

احذُرْ لِسَانَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ لَا يَلْدَغَنَّكَ إِنَّهُ تُعْبَانُ
 كَمْ فِي الْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلٍ لِسَانِهِ كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الشَّجْعَانُ! (١)
 وقال صالح بن عبد القدوس:
 احذُرْ لِسَانَكَ أَنْ تَقُولَ فُتْبَتَلِي إِنْ الْبَلَاءُ مَوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ (٢)
 وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: (٣)
 يموت الفتى من عشرةِ بلسانه وليس يموتُ المرءُ من عشرةِ الرِّجْلِ
 فعشرته بالقولِ تُودي برأسه وعشرته بالرِّجْلِ تبرا على مهلٍ
 وقد قيل: «اللسان، عدو الإنسان».

الوقفه الثالثة في:

وجوب مراقبة اللسان وحفظه

يجب على المسلم أن يراقب لسانه، ويجذر منه أشد الحذر، ويحترز منه أشد الاحتراز، ويحفظه عن كل ما يئس فيه؛ لأن كل ما يتلفظ به الإنسان، وما يصدر منه من قول أو فعل مسجل مكتوب عليه، كما قال تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عِنْدٌ﴾ [ق: ١٨]؛ أي: حاضر لا يمكن أن يغيب، ولا يفوته شيء، مستعد متهيئ لكتابة ما يصدر من الإنسان، من قول أو فعل.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢]،

وقال تعالى: ﴿وَكَأَلَّ إِنْسَانٌ أَلْمَنَهُ طَعِيرُهُ فِي عُنُقِهِ وَخُجِرَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ﴾

[الإسراء: ١٣، ١٤].

وقد ذكر عن الإمام أحمد عليه السلام: أنه كان يئن في مرضه، فبلغه عن طاوس أنه قال:

(١) انظر: «ديوانه» ص ١١٦.

(٢) انظر: «ديوانه» ص ٧٦.

(٣) انظر: «ديوانه» ص ١٦٠.

«يكتب الملك كل شيء حتى الأنين»، فلم يثنَّ ﷺ حتى مات (١).

الوقفه الرابعة في:

ما يجب حفظ اللسان منه

يجب الحذر كل الحذر من آفات اللسان وعثراته وسقطاته، وحفظه عن كل ما يشين المرء ويضره في دينه، ودنياه، وأخراه، ومن أهم ذلك وأعظمه ما يلي:

❖ حفظه من التكلم بكلمة الكفر؛ من الاستهزاء بالله، وآياته، ودينه، ورسوله، وبالمؤمنين، قال تعالى منكرًا على المنافقين: ﴿قُلْ أَيْدِيهِمْ وَرِئَاسَتُهُمْ كَسْتُهُمْ سَتَرُهُمْ لَا يَعْتَدِرُوا قُدْرَتَهُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦]؛ والمراد: كلمة الكفر.

❖ حفظه من قول الزور، وشهادة الزور، والخوض بالباطل والكذب، ونحو ذلك، قال ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر»، ثلاثًا، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين»، وجلس وكان متكئًا فقال: «ألا وقول الزور»، قال: فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت! (٢).

❖ حفظه من السخرية، واللمز، والهمز، والتنابز بالألقاب؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمٍ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ يَسُّ الْأَسْمَاءُ الْمُسْوَقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَاكِ مَهِينٍ﴾ (١٠) هَذَا مَشَاءٌ

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» ٧/ ٣٧٧.

(٢) أخرجه البخاري في الشهادات (٢٦٥٤)، ومسلم في الإيمان (٨٧)، والترمذي في البر والصلة (١٩٠١) من حديث أبي بكره ﷺ.

بَنِيمٍ ﴿ القلم: ١٠، ١١]

٤. حفظه من الغيبة والنميمة، والطعن واللعن، والفحش والبذاءة، والسب والشتيم، ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا يَنْتَبِ بِعَضُّكُمْ بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال ﷺ يوماً لأصحابه: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذِكْرُكَ إِخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبتَه، وإن لم يكن فيه فقد بهتَه»^(١).

وقال ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء»^(٢).

✿ حفظه من شكوى الحال إلى غير الله تعالى عند أي مصاب، ومن كثرة التشكي عند تقلب الأحوال من حر وبرد وغير ذلك، كما هو ديدن الكثيرين اليوم، وهذا - مع ما يوحى به من عدم تذكر نعم الله تعالى التي لا تعد ولا تحصى - أمر لا ينبغي، ويخشى أن يكون من سب الدهر؛ قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤، النحل: ١٨]، وكان ﷺ إذا رأى ما يحبُّ قال: «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات»، وإذا رأى ما يكره قال: «الحمد لله على كلِّ حالٍ»^(٣).

وقال ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن؛ إنَّ أمره كله له خيرٌ، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن: إن أصابته سراءٌ شكر؛ فكان خيراً له، وإن أصابته ضراءٌ صبر؛ فكان خيراً له»^(٤).

✿ حفظه من القيل والقال، ونقل الشائعات والأخبار، والخوض بما لا فائدة فيه من الكلام والمغالطات، ومجاعة السفهاء، سواء في المجالس والمنتديات، أو في وسائل

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٩)، وأبو داود في الأدب (٤٨٧٤)، والترمذي في البر والصلة (١٩٣٤)، وأحمد ٢٣٠/٢ (٧١٤٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه الترمذي في البر والصلة (١٩٧٧)، وأحمد ٤٠٥/١ (٣٨٣٩) من حديث ابن مسعود ﷺ. قال الترمذي: «حسن غريب». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٢٠).

(٣) أخرجه ابن ماجه في الأدب (٣٨٠٣) من حديث عائشة ﷺ.

(٤) سبق تخريجه.

الإعلام والاتصال، وغير ذلك؛ قال رحمته الله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(١).

وقال رحمته الله: «إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»^(٢).

وقال رحمته الله: «من حُسنِ إسلامِ المرءٍ تركهُ ما لا يعنيه»^(٣).

وقال رحمته الله: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»^(٤).

وقد قيل: «لو كان الكلام من فضة، لكان السكوت من ذهب».

وقال الشاعر:

ولئن ندمت على سكوتك مرةً فلتندمن على الكلامِ مراراً^(٥)

(١) أخرجه البخاري في الأدب (٦٠١٨)، ومسلم في الإيمان (٤٧)، وأبو داود في الأدب (٥١٥٤)، والترمذي في صفة القيامة (٢٥٠٠)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه مالك في صفة النبي ﷺ (٩٢٩/٢)، والبخاري في الأدب (٦٠١٩)، ومسلم في الإيمان (٤٨) من حديث أبي شريح الكعبي رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في الزكاة (١٤٧٧)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٩٣)، وأحمد ٤/٢٤٦ (١٨١٤٧) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مالك في حسن الخلق (٢/٩٠٣)، والترمذي في الزهد (٢٣١٨) مرسلًا من حديث علي بن الحسين رضي الله عنه. وأخرجه أحمد ١/٢٠١ (١٧٣٧)، والطبراني في «الأوسط» ٨/٢٠٢ (٨٤٠٢)، وفي «الكبير» ٣/١٢٨ (٢٨٨٦)، وفي «الصغير» ٢/٢٣١ (١٠٨٠) من طريق علي بن الحسين عن أبيه رضي الله عنه. وأخرجه الترمذي أيضًا (٢٣١٧)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٦)، من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال الترمذي عن حديث أبي هريرة: «غريب». وقال عن حديث علي بن الحسين: «وهذا أصح عندنا من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة». وقد ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤٠/٨) عن الطبراني في المعجم الثلاثة، وقال: «رجال أحمد و«الكبير» ثقات». وقال أحمد شاکر في تحريج «المسند» (١٧٣٧): «إسناد صحيح». وانظر: «جامع العلوم والحكم» ص (٧٩-٨٤). وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩١١).

(٤) أخرجه النسائي في الأشربة (٥٧١١)، والترمذي في صفة لقيامة (٢٥١٨)، وأحمد ١/٢٠٠ (١٧٢٣)، والحاكم (١٣/٢، ٩٩/٤) من حديث الحسن بن علي رضي الله عنه. قال الترمذي: «حديث صحيح». وقال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وصححه الألباني في «الإرواء» (١٢، ٢٠٧٤).

(٥) في «روضة العقلاء» (ص ٤٣).

وقال الآخر:

إذا نطق السفية فلا تُجِبْهُ فخيرٌ من إجابته السكوتُ^(١)

وقال الآخر:

فاتركُ محاورةَ السفيةِ فإنها ندمٌ وغِبٌّ بعد ذاك وخيمٌ^(٢)

وقال الآخر:

يكلمني السفيةُ بكلِّ قُبْح وأكرهُ أن أكونَ له مُجِيبًا

يزيدُ حماقةً فأزيدُ حِلْمًا كعودٍ زادَهُ الإحراقُ طيبًا^(٣)

الوقفه الخامسة:

بين اللسان ووسائل الإعلام

تقدم الكلام في الوقفات السابقة عن اللسان، وبيان أنه ذو حدين؛ نافع وضار، وذكر أهم منافعه، وبعض مضارّه، وبيان وجوب مراقبته وحفظه عما فيه ضررٌ على المسلم في دينه، ودنياه، وأخراه، وذكر أهم ما ينبغي حفظُ اللسانِ منه.

ووسائل الإعلام كلها بما فيها القنوات، وشبكة المعلومات، ووسائل الاتصال والنشر، وغيرها، كلها ذات حدين، كاللسان، منها النافع والضار، سواء في ذلك المرئي منها، والمسموع، والمقروء.

ولهذا يجب على المسلم أن يتعامل مع هذه الوسائل كلها بحذر شديد، فيستفيد مما فيها من خير، وينأى عما تحويه، وما تنقله وتبثه من السموم والشور، ويستعملها في الدعوة إلى الله ﷻ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإرشاد لما فيه صلاح المجتمع في دينه،

(١) البيت للشافعي. انظر: «ديوانه» (ص ٣٤).

(٢) البيت لأبي الأسود الدؤلي. انظر: «خزانة الأدب» (٨/ ٥٦٧).

(٣) البيت للشافعي. انظر: «ديوانه» (ص ٢١).

ودنياه، وأخراه.

ويحذر كل الحذر أن يكتب من التغريدات والرسائل، أو يصور من المقاطع ما لا يليق، أو ينقل ذلك، أو يرسله، مما سيسأل عنه يوم القيامة، ويُتقدّم على الله تعالى خفيف الظهر من الأوزار والآثام، وليتذكر قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَثِيرِينَ ۝١١ يَحْفَظُونَ مَا لَكُمْ مِنْكُمْ لَعَلَّكُمْ أَتَقُونَ﴾ [الأنفطار: ١٠-١٢]، وقوله ﷺ: ﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهذا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

ومن أهم ما أوصي به إخواني وأخواتي في التعامل مع هذه الوسائل ما يلي:

❖ البُعد عن الدخول في مجال السياسة، وتحليل الأخبار مما لا مصداقية له، ولا يعود على الإنسان إلا بالضرر، وضياع العمر، وقلق الضمير، وقد قال ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»^(١).

❖ البعد كل البعد عن تلقي الشائعات مطلقاً، وعن نقلها وإرسالها، قال ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»^(٢).

❖ عدم الحرص على تلقي الأخبار ونقلها، ولو صحت، فلا فائدة في ذلك، وبدل أن تقول كما يقولون: خذ الأخبار طازجة، كن آخر من يصل إليه الخبر؛ ليرتاح ضميرك، ويطمئن قلبك، ولن يفوتك إلا الشر غالباً.

❖ تجنب نقل الرسائل، والمقاطع التي تؤذي مشاعر المسلمين مما فيه فُحش، من صور الحوادث، والجرائم، فهذا مضر، ولا مصلحة فيه.

❖ احذر من نقل الفيديوهات والصور والمقاطع التي تتعلق بخصوصيات الآخرين أحياءً وأمواتاً، ولا تصور ما لم يُؤذَن لك بتصويره، ولا تكتب عنه؛ فإنك مسؤول غداً عن ذلك أمام الله ﷻ، فخذ الحيطة لنفسك.

(٢) سبق تخريجه قريباً.

(١) سبق تخريجه قريباً.

❖ لا تكتب ولا تنقل وترسل من الكلام إلا ما كان مفيدًا صحيحًا، حديثًا، أو أثرًا، أو قولًا، أو غير ذلك.

إلى غير ذلك مما ينبغي البعد عنه، والحذر من مَغْبَتِهِ، فالسلامة لا يَعِدُهَا شيءٌ، والعافية غنيمة.



وقفات ثلاث في: الكرم

قال الله تعالى: ﴿هَلْ أُنثِقُ حَدِيثُ صَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِ﴾ ﴿٢٤﴾ [الذاريات: ٢٤].

الوقفة الأولى في:

فضيلة الكرم

الكرم: سعة الفضل والإنعام، وكثرة الخير والجود والعطاء، وعلو الصفات وكمالها، قال بعضهم: «الكرم اسم واقع على كل نوع من أنواع الفضل، ولفظ جامع لمعاني الساحة والبذل»^(١). وهو من أجل الصفات وأفضلها وأعظمها.

وقد وصف الله ﷺ به نفسه في كتابه الكريم، فقال تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ

وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿نَبِّذْكَ أَسْمَ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨].

كما سمي ﷺ نفسه بـ«الكريم»، فقال تعالى: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ

الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦].

فهو ﷺ «الكريم» الكرم المطلق من جميع الوجوه، كريم الذات والصفات، عظيم الفضل، كثير العطاء، جزيل الهبات، أكرم الأكرمين، وأجود الأجودين، ذو الصفات العليا، والمثل الأعلى في السموات والأرض.

وقد وصف ﷺ بذلك القرآن، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧]، أي: كثير

الخير، فيه الدعوة إلى كل خير، والنهي عن كل شر، وبيان كل شيء، والهدى والرحمة

والبشرى، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾

[النحل: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

(١) انظر: «عين الأدب والسياسة» لأبي الحسن بن هذيل (ص ١٠٥).

ووصف به خليله إبراهيم عليه السلام، فقال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ صَفِّ إِبراهيمَ الْمُكْرِمِينَ﴾ (٢٤) **تَأْكُلُونَ** ﴿الذاريات: ٢٤-٢٧﴾. **إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَّمَ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ** ﴿٢٥﴾ **فَرَأَى إِلَيْكَ أَهْلَهُ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ** ﴿٢٦﴾ **فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ** ﴿الذاريات: ٢٤-٢٧﴾.

كما وصف عليه السلام به كلمه موسى عليه السلام، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الدخان: ١٧].

ووصف به نبينا محمداً عليه السلام، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠].

ووصف به جبريل عليه السلام، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩].

ووصف به ملائكته، فقال تعالى: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٦]، وقال تعالى: ﴿كِرَامًا كَنِينٍ﴾ [الانفطار: ١١].

ورسل الله تعالى وملائكته كلهم كرام؛ لما هم عليه من كمال القيام بأمره، والانقياد له، وطاعته، وعبادته، أو لما حباهم الله من جليل الصفات، وحميد الخصال، ومحاسن الأخلاق وفضائل الأعمال.

كما وصف به عليه السلام مدخل أهل الجنة، ورزقهم، وأجرهم؛ لما فيه من كثرة الخير، وأنواع النعيم، وما أخفي لهم من قرة الأعين مما لا يعلمه إلا الله، قال تعالى: ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤]، وقال تعالى: ﴿يَجْتَنِبُهُمْ يَوْمَ يُلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤].

وكان نبينا عليه السلام أكرم الناس وأجودهم، وكان أجود من الريح المرسله، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيُدارسه القرآن ^(١).

عن أنس رضي الله عنه قال: «ما سُئِلَ رسول الله عليه السلام على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، فجاء رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم، أسلموا؛ فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة» ^(٢).

(١) أخرجه البخاري في بدء الوحي (٦)، ومسلم في الفضائل (٢٣٠٨)، والنسائي في الصيام (٢٠٩٥)، وأحمد

٢٨٨/١ (٢٦١٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في الفضائل (٢٣١٢)، وأحمد ١٧٥/٣ (١٢٧٩٠).

وسأله ﷺ أناس من الأنصار فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى إذا نفذ ما عنده قال: «ما يكون عندي من خيرٍ فلن أدخره عنكم.....» الحديث (١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كان لي مثلُ أُحُدٍ ذَهَبًا ما يسُرني ألا يمرَّ عليّ ثلاثٌ وعندي منه شيء إلا شيء أُرصدُه لدين» (٢).

وعن جُبَيْر بن مُطْعِمٍ ﷺ قال: عَلِقْتُ رَسولَ الله ﷺ الأعرابُ يسألونه حتى اضطروه إلى سَمرة، فَخَطَفْتُ رِداءه، فوقف رسول الله ﷺ فقال: «أعْطوني رِداي، فلو كان عدد هذه العِضاءِ نَعْمًا لَقَسَمْتُه بينكم، ثم لا تجِدوني بِخَيْلًا، ولا كَذوبًا، ولا جَبانًا» (٣).

وقد كان الكرم سَجِيَّةً في أصحابه رضوان الله عليهم، فقد حث ﷺ يومًا على الصدقة، فجاء أبو بكر ﷺ بجميع ماله، وجاء عمر ﷺ بنصف ماله (٤)، وجهاز عثمان ﷺ جيش العُسرة ثلاثمئة بَعِيرٍ بأحلاسها وأقتابها، حتى قال ﷺ: «ما ضَرَّ عثمانَ ما عَمِلَ بعدَ اليوم» (٥). وهكذا كان عبد الرحمن بن عوف ﷺ، وغيرهم من الصحابة ﷺ.

وكان لسماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز ﷺ في هذا العصر النصيب الأوفر، والقِدْحُ المُعلَى في بذل العلم، والمال، والخير، والدعوة، والنصيحة، والمعروف، والإصلاح بين الناس، والخير، والجود، والعطاء، ﷺ: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الحديد: ٢١، والجمعة: ٤].

(١) أخرجه البخاري في الرقاق (٦٤٧٠)، ومسلم في الزكاة (١٠٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في الاستقراض (٢٣٨٩)، ومسلم في الزكاة (٩٩١)، وأحمد ٢/٣٤٩ (٨٥٩٥).

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٢١)، وأحمد ٤/٨٢ (١٦٧٥٦).

(٤) أخرجه أبو داود في الزكاة (١٦٧٨)، والترمذي في المناقب (٣٦٧٥)، والدارمي ١/٤٨٠ (١٦٦٠) من حديث عمر بن الخطاب. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وقال الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢٤٩/٣): «صححه الترمذي والحاكم، وقواه البزار، وضعفه ابن حزم بهشام بن سعد، وهو صدوق». وحسنه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٤٧٣).

(٥) أخرجه الترمذي في المناقب (٣٧٠١)، وأحمد ٥/٦٣ (٢٠٦٣٠) من حديث عبد الرحمن بن سمرة ﷺ. قال الترمذي: «حديث حسن غريب». وحسنه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٦٠٧٣).

وقد رفع الكرم شأن أناسٍ كانوا على غير الإسلام؛ كحاتمِ الطائيِّ وغيره. ويكفي الكرمَ مَنزِلَةً وشرَفًا أنه من أجلِّ صفات الخالق ﷻ، ومن صفات أنبيائه، ورسله، وملائكته ﷺ، حث عليه الإسلام ورعَّب فيه، وهو من كمال الإيمان، ومن محاسن الإسلام، ومن دلائل حُسن الظن بالله ﷻ، والثقة بما عنده من الفضل أكثر من ثقة الإنسان بما في يده، ومن أسباب البركة في الرزق والعمُر، وتزكية النفس وتطهيرها من رذيلة الشح والبخل.

وَرُوِيَ أَن: «الكرم حارس الأعراض»^(١)، أي: أن صاحب الكرم يسلم من الذم، بل يُثنى عليه ويمدح ويدافع عنه.

وسئل الحسن البصري رحمه عن حسن الخلق، فقال: «الكرم والبذل والاحتمال»^(٢). ويكفي أن صاحب الكرم محبوبٌ عند الله وعند الناس، قريبٌ من الله، قريب من الناس. قال الشاعر:

وَأَمْرٌ بِالْبَخْلِ قَلْتُ لَهَا أَقْصِي
أَرَى النَّاسَ خِلَانَ الْكَرِيمِ وَلَا أَرَى
فَلَيْسَ إِلَى مَا تَأْمُرِينَ سَبِيلُ
بِخِيلاً لَهُ فِي الْعَالَمِينَ خَلِيلُ^(٣)
وقال الآخر:

الْجُودُ مَكْرُمَةٌ وَالْبَخْلُ مَنْقَصَةٌ
لَا يَسْتَوِي الْبَخْلُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْجُودُ^(٤)

(١) انظر: «ربيع الأبرار» (٣٧٥/٤).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الإخوان» (١٧٢)، وفي «التواضع والخمول» (١٨٦)، وفي «مدارة الناس» (٩٠)، والبرجلاني في «الكرم والجود وسخاء النفوس» (٦٤)، ومن طريقه ابن عبد الهادي في «مراقي الجنان بالسخاء وقضاء حوائج الإخوان» ص (١٣٢).

(٣) البيتان لأبي محمد إسحاق الموصلي. انظر: «العقد الفريد» (٢١٧/١).

(٤) البيت للمنتصر بن بلال. انظر: «روضة العقلاء» (ص ٢٣٥).

الوقفه الثانية في: حكم إكرام الضيف، وفضله

الضيف: هو من ينزل بأهل القرى والأمصار من غير أهلها، قال تعالى: ﴿فَانطَلَقًا حَتَّىٰ إِذَا أَنِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا فَبِأَبْوَابٍ مُّضَيَّفُوهُمَا﴾ [الكهف: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿هَلْ أُنذِرُكَ حَدِيثَ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَمٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٤، ٢٥].

وقد يطلق على كل من يُدعى للطعام، ولو كان من أهل البلد. وإكرام الضيف واجب، وهو من الإيثار؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفه» (١). وهو من أفضل القُرْبَات، قال رضي الله عنه: «كان أول من ضيَّف الضيف إبراهيم» (٢)؛ ولهذا كان يقال له: «أبو الضيفان».

وفضل إكرام الضيف من فضل الكرم الذي هو من أجل صفات الله ﷻ، والذي وصف الله به أنبياءه ورسله وملائكته، وامتدحهم به، والذي كان من أبرز صفات نبينا محمد ﷺ وأصحابه والمؤمنين.

قال رضي الله عنه: «يا أيها الناس أفضوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام» (٣).

وإطعام الضيف لا ينقص من طعام أهل البيت، بل يكون سبباً لبركته، قال رضي الله عنه:

(١) أخرجه البخاري في الموضوع السابق (٦٠١٨)، ومسلم في الموضوع السابق (٤٧)، وأبو داود في النوم (٥١٥٤)، والترمذي في صفة القيامة والرفائق والورع (٢٥٠٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قرى الضيف» (٥) مرفوعاً، وابن عساکر في «تاريخ دمشق» (١٩٩/٦) موقوفاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصححه الألباني في «الصحيح» (٧٢٥).

(٣) أخرجه الترمذي في صفة القيامة والرفائق والورع (٢٤٨٥)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٣٤)، وفي الأطعمة (٣٢٥١)، وأحمد ٥/٤٥١ (٢٣٧٨٤) من حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه. قال الترمذي: «هذا حديث صحيح». وصححه الألباني إسناده في «الإرواء» (٧٧٧).

«طعام الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة»^(١).

قال شَقِيقُ الْبَلْخِيِّ: «ليس شيءٌ أحبُّ إليَّ من الضيف؛ لأن رِزْقَهُ ومُؤْنَتَهُ على الله، وأجره على الله»^(٢).

ومدة الضيافة ثلاثة أيام؛ قال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، جائزته يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحل له أن يتوي عنه حتى يُجْرَجَه»^(٣).



الوقفة الثالثة في: آداب الضيافة

الضيافة: هي استقبال الضيوف، وإضافتهم، ولها آداب كثيرة، منها ما يتعلق بالمضيف، ومنها ما يتعلق بالضيف.

أ- آداب المضيف:

المضيف: هو صاحب المنزل الذي نزل به الضيف، والآداب التي ينبغي أن يظهر بها أمام ضيفه هي كل ما يجعل الضيف يُسَّرُ ويفرح، ويُحَسُّ بأنه بين أهله وجيرانه.

ومن أهمها ما يلي:

❖ حسن النية، فينوي طلب الأجر في استضافة إخوانه، وإطعامهم، وخدمتهم، والافتداء بالنبي ﷺ، وخليل الرحمن إبراهيم والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(١) أخرجه مالك في صفة النبي (٢/٩٢٨)، والبخاري في الأطعمة (٥٣٩٢)، ومسلم في الأشربة (٢٠٥٨)، والترمذي في الأطعمة (١٨٢٠)، وأحمد ٢/٢٤٤ (٧٣٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧١/٢).

(٣) أخرجه مالك في اللباس (٢/٩٢٩)، والبخاري في الأدب (٦١٣٥)، ومسلم في الإيمان (٤٨)، وأبو داود في الأطعمة (٣٧٤٨)، والترمذي في البر والصلة (١٩٦٧)، وابن ماجه في الأدب (٣٦٧٥) من حديث أبي شريح العدوي رضي الله عنه. والثواء بالتخفيف والمد: الإقامة.

❖ الترحيب بالضيف، وإظهار البشاشة، والفرح بقُدومه، ومحدثه عند قدومه، والترويح عنه ومؤانسته، فهذا أهم عند الضيف من الطعام والشراب، وأدل على كرم المضيف، قال ﷺ لوفد عبد القيس: «مرحبًا بالوفد الذين جاؤوا غير خزايا ولا ندامى»^(١)، وقال: «مرحبًا بأم هانئ»^(٢).

قال الشاعر:

أُضاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ وَيُخْصِبُ عِنْدِي وَالْمَحَلُّ جَدِيدُ
وَمَا لَخَصْبُ لِلْأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ الْقَرَى وَلَكِنَّمَا وَجْهُ الْكَرِيمِ خَصِيبُ^(٣)

❖ الإسراع في تقديم الطعام له، فخير البرِّ عاجله، قال تعالى عن خليله إبراهيم ﷺ، أول من أكرم الضيفان: ﴿فَرَأَى إِلَهَ آهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات: ٢٦]؛ أي: أنسلَّ وذهب مُسرِّعًا خُفِيَّةً، وقال تعالى في سورة هود ﷺ: ﴿فَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ﴾ [هود: ٦٩].

قال حاتم الأصم: «العجلة من الشيطان إلا في خمسة؛ فإنها من السنة: إطعام الضيف، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب»^(٤).

❖ أن يخدم ضيفه بنفسه، ويقدم له أحسن ما لديه من أطيب الطعام، وأفضلها، وألدها، مما تيسر، ولا يتكلف ما لا يطيق، فعن أنس ﷺ قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ: «نُهينا عن التكلف»^(٥).

❖ ألا يستشير ضيفه في الإتيان له بالطعام؛ لأن هذا من البخل، ولأن الضيف قد

(١) أخرجه البخاري في الإبان (٥٣)، وأحمد ١/ ٢٢٨ (٢٠٢٠) من حديث ابن عباس ﷺ.

(٢) أخرجه مالك في قصر الصلاة في السفر (١/ ١٥٢)، والبخاري في الصلاة (٣٥٧)، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٣٣٦)، والترمذي في الاستئذان (٢٧٣٤)، وأحمد ٦/ ٤٢٥ (٢٧٣٨٨) من حديث أم هانئ ﷺ.

(٣) البيتان للخريمي. انظر: «الشعر والشعراء» (٢/ ٨٤٥).

(٤) «روضة العقلاء» لابن حبان ص ١١٧.

(٥) أخرجه البخاري في الاعتصام (٧٢٩٣).

يستحي فيستعف وهو بحاجة إلى الطعام. قال سفيان الثوري: «إذا زارك أخوك فلا تقل له: أتأكل؟ أو أفدّم إليك، ولكن قدّم، فإن أكل وإلا فارفع» (١).

❖ أن يؤثر ضيفه على نفسه، وينتقي له من أطيب ما قدم له من الطعام، وإن كان الطعام قليلاً لا يكفي له ولضيفه، قلّل الأكل؛ ليأكل ضيفه أكبر قدر منه، لكن لا يرفع يده؛ ليشعر ضيفه أنه يأكل، لينال نصيباً من قوله تعالى: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شَحَنَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

والإيثار أعلى وأكمل درجات الكرم، وهو أن يقدم الإنسان غيره على نفسه بمحabb النفس من المال، والطعام، والشراب، والمتاع، ونحو ذلك، مع حاجته إلى ذلك أو ضرورته إليه، وهو ضد الأثرة والجشع والطمع، والشح والأنانية.

❖ أن يحذر كل الحذر من احتقار النعمة وازدائها بقوله للضيوف عندما يقدم لهم الطعام: «هذا ما هو حقكم!»، ونحو ذلك من العبارات التي يقوها بعض الناس بزعمه أن هذا من تقدير الضيف، وهذا في الحقيقة من احتقار النعمة وازدائها، وهو محرّم لا يجوز!

❖ أن يشيّع ضيفه عند عزمه على الذهاب، فيخرج معه إلى خارج البيت، ويودعه بسلام.

ب- آداب الضيف:

من الآداب التي ينبغي للضيف مراعاتها ما يلي:

❖ ألا يلتبس الضيف ويتحرّى وقت نضج الطعام، فيدخل، وإذا دُعي إلى الطعام فلا يطيل الجلوس بعد أن يطعم، ولا يستأنس للحديث، قال الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَبِظِينَ إِنَّهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِنِينَ لِحَدِيثٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (١٢/٢).

وهذا الأدب وإن كان عند دخول بيوت النبي ﷺ، وهو فيها أكد وأوجب، لكن ينبغي مراعاته عند دخول غيرها من البيوت.

١٦ ينبغي أن يقنع الضيف بما يتيسر مما يُقدم له من الطعام والخدمة ويرضى بذلك، ويحمد الله تعالى ويشكره، ويدعو للمضيف بقوله: «أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلّت عليكم الملائكة»^(١) وكان ﷺ يقول: «اللهم أطعم من أطعمني، واسق من سقاني»^(٢).

١٧ ينبغي للضيف ألا يسأل عما لا يعنيه من أحوال أهل البيت، وغير ذلك.

١٨ ينبغي ألا يخرج المضيف بطول الإقامة عنده، قال ﷺ: «لا يجل لرجل مسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثّمه»؛ أي: يُجرّجه. قالوا: يا رسول الله، وكيف يؤثّمه؟ قال: «يقيم عنده ولا شيء له يقربه به»^(٣).

١٩ أن يشكر لمضيفه، ويدعوه بالأجر العظيم، والبركة في الرزق، والمغفرة والرحمة، بقوله: «اللهم بارك لهم فيما رزقتهم، واغفر لهم وارحمهم»^(٤)، وغير ذلك.

ج- آداب حفلات الأفراح:

للمناسبات والأفراح آداب مهمة ينبغي مراعاتها، من أهمها ما يلي:

٢٠ ينبغي للمسلم إذا دعاه أخوه إجابة دعوته، وذلك من حق المسلم، قال ﷺ: «وإذا دعاك فأجبه»^(٥)، وقال ﷺ: «إذا دعا أحدكم أخاه فليُجِبْ؛ عُرْسًا كان أو نحوه»^(٦).

(١) أخرجه أبو داود في الأُطعمة (٣٨٥٤)، وأحمد ٣/ ١٣٨ (١٢٤٠٦) من حديث أنس ﷺ. وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٤٢٤٩). وأخرجه ابن ماجه في الصيام (١٧٤٧)، وابن حبان ١٢/ ١٠٧ (٥٢٩٦) من حديث عبد الله بن الزبير ﷺ. وصححه الألباني في «التعليقات الحسان» (٥٢٧٢).

(٢) أخرجه مسلم في الأشربة (٢٠٥٥)، وأحمد ٦/ ٣ (٢٣٨١٢) من حديث المقداد بن الأسود ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم في اللقطة (٤٨)، وأحمد ٤/ ٣١ (١٦٣٧١) من حديث أبي شريح الخزازي ﷺ.

(٤) أخرجه مسلم في الأشربة (٢٠٤٢)، وأبو داود في الأشربة (٣٧٢٩)، والترمذي في الدعوات (٣٥٧٦)، وأحمد ٤/ ١٨٧ (١٧٦٧٣) من حديث عبد الله بن بسر ﷺ.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) أخرجه البخاري في النكاح (٥١٧٣)، ومسلم في النكاح (١٤٢٩)، وأبو داود في الأُطعمة (٣٧٣٨)،

اللهم إلا إذا كان يحصل في هذه الأفراح ما لا يرضاه من الغناء والمعازف وغير ذلك، فهو معذور في عدم الإجابة وترك الحضور.

❖ لا ينبغي تخصيص الأغنياء وذوي الجاه والسلطان ونحوهم بالدعوة، دون الفقراء والضعفاء، حتى من الأقارب والجيران والمعارف وغيرهم، كما يفعله بعض أرباب المصالح، وأهل المباهاة والمفاخرة، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «شر الطعام طعام الوليمة، يُدعى له الأغنياء دون الفقراء»^(١).

ومع أن هذا الأمر - والله الحمد - ليس كثيرًا، لكن ينبغي أن يحرص المسلم على دعوة من لهم حق عليه، ومن يؤجر بدعوته إياهم، أيًا كان حالهم؛ من الأقارب والجيران والمعارف؛ لتكون دعوته لهم من باب أداء حقهم وصلتهم، وأجرًا وغنيمة.

❖ تفادي المشقة على المدعوين باختيار مكان للدعوة يشق عليهم الوصول إليه بسبب بعده، وعدم معرفتهم موقعه، ونحو ذلك - كما يفعله بعض من لم يقدر لهذا الأمر قدره - وذلك لأن من أعظم الإكرام للمدعوين اختيار المكان القريب المناسب لهم، والتيسير عليهم، ورفع المشقة والكلفة عنهم، وإلا صار الإكرام إهانة.

وكثير من الناس لا يعطي هذا الجانب أي اعتبار، فيستأجر لاعتبارات لا قيمة لها قاعة للأفراح في غرب البلد، والزوجان والمدعوون كلهم في شرق البلد، أو العكس، ونحو ذلك، والناس عندما يجيبون الدعوة لا يأتون من أجل الأكل، وإنما أداءً لحق الداعي، وإكرامًا له، فالواجب عليه التيسير عليهم، وتفادي المشقة عليهم، فهذا غاية الإكرام لهم.

❖ تفادي المشقة على المدعوين بتأخير تقديم الطعام لهم، واضطرارهم إلى طول الجلوس والانتظار، فللناس ظروفهم الخاصة، وحاجاتهم، ومشاكلهم.

والترمذي في النكاح (١٠٩٨)، وابن ماجه في النكاح (١٩١٤)، وأحمد ١٤٦/٢ (٦٣٣٧) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(١) أخرجه مالك في النكاح (٥٤٦/٢)، والبخاري في النكاح (٥١٧٧)، ومسلم في النكاح (١٤٣٢)، وأبو داود في الأئمة (٣٧٤٢)، وابن ماجه في النكاح (١٩١٣)، وأحمد ٢٤٠/٢ (٧٢٧٩).

❖ ينبغي أن يحرص المضيف على خدمة ضيوفه بتقديم القهوة والطعام والشراب لهم؛ إكرامًا لهم، ولا يكلفهم خدمة أنفسهم، كما يقال: «أخدم نفسك بنفسك»؛ لمنافاة هذا لمبادئ الكرم والضيافة والعادات العربية والإسلامية الأصيلة، كما ذكر ﷺ عن إبراهيم الخليل ﷺ مع ضيوفه من الملائكة، قال تعالى: ﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلَمًا قَالِ سَلَمٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ❖ [الذاريات: ٢٤-٢٧].

قال ابن القيم ﷺ: «فقد جمعت هذه الآية آداب الضيافة، التي هي أشرف الآداب، وما عداها من التكاليف التي هي تخلف وتكلف إنما هي من أوضاع الناس، وعوائدهم، وكفى بهذه الآداب شرفًا وفخرًا» (١).

وقال ابن كثير في «تفسيره» (٢): «وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة، فإنه جاء بطعامه من حيث لا يشعرون بسرعة، ولم يمتن عليهم أو لا فقال: نأتيكم بطعام، بل جاء به بسرعة وخفاء، وأتى بأفضل ما وجد من ماله، وهو عجل فتي سمين مشوي، فقربه إليهم، لم يضعه وقال: «اقتربوا، بل وضعه بين أيديهم، ولم يأمرهم أمرًا يشق على سامعه بصيغة الجزم، بل قال: «ألا تأكلون» على سبيل العرض والتلطف».

فله ما أجمل مبادئ الإسلام، وأعظمها، وأكملها! فإن خدمة الضيف هي غاية الإكرام والجود والتقدير، بخلاف تركه يخدم نفسه فليس من الإكرام في شيء.

❖ تفادي الإسراف، فقد قال ﷺ: ﴿وَكُلُّوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، وقال ﷺ: «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير إسرافٍ ولا تحيلة» (٣). فإن زاد شيء من الطعام أعطي لمن يأكله من المحتاجين؛ تقديرًا للنعمة وحفظًا لها.

❖ كثر امتهان التصوير في حفلات الأفراح مؤخرًا، وبرزت بسبب ذلك بعض (١) انظر: «بدائع التفسير» (٤/ ٢٣٩). (٢) (٧/ ٣٩٧).

(٣) أخرجه البخاري في اللباس معلقًا قبل (٥٧٨٣)، وأخرجه ابن ماجه في اللباس (٣٦٠٥)، وأحمد ١٨١ / ٢ (٦٦٩٥) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ﷺ.

السلبيات التي لا تتوافق مع الأخلاق الإسلامية، والآداب الشرعية، بل لا تتوافق مع القيم الإنسانية الرفيعة، منها ما يلي:

أ- قيام مجموعات من الشباب بالتصوير مع «العريس»، مولين ظهورهم كبار المدعويين من آبائهم وأعمامهم وأخوانهم وأقاربهم، وغيرهم، وهذا سوء أدب معهم، وفيه غاية الإهانة لهم.

ب- يعمد بعض من لا مسؤولية لديه إلى تصوير كثير ممن لا يرغبون في التصوير، بغير إذنهم، وهذا بلا شك تدخل في خصوصيات الآخرين، وهو أمر لا يجوز.

ج- يحصل بسبب ذلك فقدان الهدوء والطمأنينة والراحة في قاعات الأفراح، وكثرة الضوضاء، وارتفاع الأصوات والفوضى.

ولهذا- إن كان ولا بد من التصوير- فينبغي أن يكون منضبطاً في حدود المسؤولية، ولا يكون سبباً للفوضى والإزعاج، وأذية الآخرين.

❖ ينبغي للمدعويين والضيوف شكر صاحب الضيافة والدعاء له، بعد الحمد لله ﷻ وشكره؛ ف«من لا يشكر الناس لا يشكر الله»^(١).



(١) أخرجه أبو داود في الأدب (٤٨١١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٥٤)، وأحمد ٢/٢٥٨ (٧٥٠٤) من حديث أبي هريرة ؓ. قال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وأخرجه الترمذي في الموضوع السابق (١٩٥٥)، وأحمد ٣/٧٣ (١١٧٠٣) من حديث أبي سعيد الخدري ؓ. قال الترمذي: «هذا حديث حسن». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤١٦).

وقفة في: أهمية خطبة الجمعة، وعظم مسؤلية الخطيب

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ [الجمعة: ٩]

الجمعة هي عيد الأسبوع، وخطبتها أهم موعظة تلقى على الناس خلال كل أسبوع، فهي بمثابة النافذة التي يُشع منها النور على الناس في كل أسبوع؛ لتوعيتهم وتعليمهم، وتوجيههم وإرشادهم إلى ما فيه صلاح أمر دينهم ودنياهم وأخراهم؛ في عباداتهم، ومعاملاتهم، وفي علاقاتهم فيما بينهم، وحقوق بعضهم على بعض، وغير ذلك، فهي الركيزة الأولى لإصلاح المجتمع بجميع أطرافه.

وهذا مما يُعظم المسؤلية على الخطيب، ويضاعفها، ويوجب عليه أن يقدرها قدرها، ويأخذها بقوة، ويعطيها كل ما يستطيعه من العناية والاهتمام؛ باختيار موضوع الخطبة، وانتقائه بامتياز، وعليه أن يكون ذا بصيرة ثاقبة بأدواء المجتمع ودوائها، حصيفاً، مجدداً لا مقلداً، ومن ثم إعداد الخطبة إعداداً جيداً قوياً، وإلقاؤها إلقاءً مؤثراً، يأخذ بمجامع قلوب المستمعين، فينتفعون منها ويستفيدون، مع الحرص على قصرها، والبعد عن السجع المتكلف، والإطالة المملة، مما يجعل الخطبة يضيع آخرها أولها، ولا يستطيع المستمع جمع أطرافها، وقد قال ﷺ: «إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته مئنة من فقهه»^(١).

وقد سبق^(٢) ذكر أهم الأمور التي ينبغي مراعاتها في الخطبة من حيث الإطار

(١) أخرجه مسلم في الجمعة (٨٦٩)، وأحمد ٤/٢٦٣ (١٨٣١٧)، والدارمي ١/٤٤٠ (١٥٥٦) من حديث

عمار بن ياسر رضي الله عنه.

(٢) في الوقفة الثالثة من الوقفات في صلاة الجماعة. انظر: فهرس الوقفات.

العام؛ من الإخلاص لله تعالى، وحسن النية، والنصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وقصر الخطبة، وأخذها من المصادر الأصلية؛ الكتاب والسنة، وكتب التفسير، وشرح السنة، وكتب المحققين من أهل العلم، ووفائها بالمقصود، مع اعتدال المنهج، والحرص على جمع الكلمة، وتأليف القلوب، والعناية بالجانب التربوي عناية تامة.

كما سبق ذكر أهم ما ينبغي مراعاته في موضوعات الخطب من حيث الإجمال؛ من ترسيخ العقيدة الصحيحة، وبيان كل ما يجب على المسلم من حقوق الله تعالى، وحقوق الخلق، وتعاهد القلوب، والحرص على سلامتها، وبيان كل ما يحرم على المسلم، والعناية ببيان الأحكام التي يجهلها كثير من الناس، وتفسير بعض قصار السور، وبعض الآيات، وإبراز الصور المشرقة في سيرة المصطفى ﷺ، وسير خلفائه، وأصحابه، وسلف علماء الأمة وأعلامها، والحث على المسارعة إلى مغفرة الله تعالى وجنته، والمسابقة إلى الخيرات، والأعمال الصالحة، وغير ذلك.

هذا أهم ما ينبغي مراعاته في الخطب من حيث الإطار العام، ومن حيث الإجمال.

وفما يلي جملة من الموضوعات التي يمكن أن يختار منها الخطيب موضوع خطبته، وهي قسمان:

القسم الأول: موضوعات خاصة حسب المناسبات.

القسم الثاني: موضوعات عامة.

القسم الأول: الموضوعات الخاصة حسب المناسبات:

المناسبات تنقسم إلى قسمين:

أ- مناسبات دورية سنوية تتكرر كل سنة، تبدأ من غرة شهر الله المحرم، وتنتهي بنهاية شهر ذي الحجة.

ب- مناسبات وقتية آنية تحدث بين وقت وآخر لها أسبابها.

أ- موضوعات المناسبات الدورية السنوية :

من أهم موضوعات المناسبات الدورية السنوية ما يلي :

❖ بيان فضل الأشهر الحُرْم، ووجوب تعظيمها واحترامها، وتحريم الظلم والقتال فيها.

❖ فضل شهر الله المحرم من بينها، واستحباب صيام ما تيسر منه، وبخاصة يوم عاشوراء، ويوم قبله أو بعده.

❖ الرد على بدعة المولد النبوي الذي أحدث بتاريخ مولده ﷺ، وبيان أن أعياد المسلمين هي: عيد الفطر، وعيد الأضحى، وهما عيدان فقط في السنة، وعيد الجمعة، وهو عيد الأسبوع.

❖ الرد على بدع الرجبية التي أحدثت في شهر رجب.

❖ فضل صيام شهر شعبان أو بعضه.

❖ الرد على البدع التي قيلت في فضل ليلة النصف من شعبان ويومه.

❖ التذكير بإخراج الزكاة، وبيان أحكامها قبيل رمضان.

❖ التبشير بقدوم شهر رمضان المبارك، والحض على الاجتهاد فيه، وحفظ صيامه وقيامه، وبيان أحكام الصيام ومفطراته، وما ينبغي أن يكون عليه الصائم.

❖ بيان أن رمضان هو شهر القرآن، والحث على التفرغ فيه لقراءة القرآن، ودراسته، وتدبر ألفاظه ومعانيه وأحكامه ومواعظه.

❖ التذكير بفضل العمرة في شهر رمضان المبارك.

❖ الاجتهاد في العشر الأواخر من رمضان، وإحياء لياليها، والاعتكاف فيها.

❖ بيان وجوب زكاة الفطر وفضلها، وبيان أحكامها ووقت إخراجها.

❖ الحث على التكبير ليلة العيد ويومه، وبيان صيغته وفضله.

❖ الحث على شهود صلاة العيد، وبيان أحكامها وفضلها.

- ١٥ الترغيب في صيام ست من شوال، وبيان فضلها.
 - ١٦ بيان فضل العمرة في شهر ذي القعدة.
 - ١٧ بيان فضل عشر ذي الحجة، وفضل العمل الصالح فيها، وبيان أن شعارها التكبير، والتهليل، والتحميد.
 - ١٨ بيان أحكام الحج وفضله، وبيان وجوب المبادرة إليه لمن لم يؤد حجة الإسلام.
 - ١٩ الترغيب في صوم يوم عرفة، وبيان فضله.
 - ٢٠ الحث على شهود صلاة العيد، وبيان تأكدها وفضلها.
 - ٢١ الحث على الأضحية، وبيان فضلها، وأن الأولى عدم تركها لمن قدر عليها.
- هذه أهم موضوعات المناسبات الدورية السنوية، التي كان يتناولها الخطباء من سلف الأمة وعلمائها إلى يومنا هذا.

ب- موضوعات المناسبات الوقتية الآنية التي تحدث بين وقت وآخر:

- جرت سنة الله تعالى الكونية وحكمته، بتغير الأحوال وتبدلها من حال إلى حال، وحصول بعض الأحداث والوقائع، ونحو ذلك، مما يستدعي أن يكون خطيب الجمعة مسائراً في خطبته تلك التغيرات والأحداث والوقائع، يبين للناس المشروع في حق المسلم تجاهها، ومن موضوعات المناسبات الوقتية:
- ١ بيان الحكمة في كسوف الشمس، وخسوف القمر، وما ينبغي للمسلمين عند حدوث ذلك.
 - ٢ شكر الله تعالى عند نزول المطر، وترادف نعم الله والخيرات، واخضرار الأرض.
 - ٣ الحث على طلب العلم والتحصيل عند بداية العام الدراسي الجديد.
 - ٤ الحث على استغلال الإجازة الصيفية، والاستفادة منها بما يعود بالنفع على المرء في دينه ودنياه وأخراه.

❖ حث الناس على التوبة والرجوع إلى الله والدعاء والاستغفار عند وقوع الجذب والقحط، وغلاء الأسعار، وحصول الكوارث من الزلازل والبراكين والفيضانات، والأعاصير الشديدة والرياح العاتية، والبرد الشديد، والحر الشديد، وانتشار الأوبئة والأمراض، وحصول الخوف، ونقص الأموال والأنفس والثمرات، ونحو ذلك.

❖ التحذير من الفتن، وبيان وجوب البعد عنها عند وقوعها، والاعتصام بالكتاب والسنة، ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم، وسؤال الله العافية، والثبات على ذلك حتى الممات.

القسم الثاني: الموضوعات العامة:

الموضوعات العامة التي يمكن أن يختار منها الخطيب موضوعاً لخطبته كثيرة لا يمكن حصرها، من أهمها ما يلي:

- ❖ بيان أن المقصود من خلق الثقلين هو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له.
- ❖ بيان أركان الإيمان الستة؛ معناها، ووجوب الإيمان بها، وتحقيق مقتضاها.
- ❖ بيان أركان الإسلام الخمسة؛ معناها، ووجوب إقامتها، والعمل بها.
- ❖ بيان معنى الإحسان في عبادة الله تعالى، ووجوب تحقيق مقتضاه.
- ❖ شرح معاني أسماء الله تعالى الحسنى، وصفاته العليا، وتعظيمه وتقديره حق قدره.
- ❖ وجوب الجمع بين الإيمان والعمل الصالح الخالص لله تعالى الموافق لشرعه.
- ❖ وجوب الجمع بين عبادة الله تعالى والتوكل عليه، والاستعانة به وحده.
- ❖ وجوب الجمع بين الخوف والرجاء، وعدم الأمن من مكر الله، أو القنوط من رحمته.
- ❖ وجوب صرف جميع أنواع العبادة لله تعالى من المحبة، والتعظيم، والخوف، والرجاء، والتوكل، والاستغاثة، والاستعانة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة.
- ❖ الإيمان بالقضاء والقدر؛ حكمه وثماره.
- ❖ وجوب محبة الله تعالى ورسوله ﷺ، وتقديمها على محبة أي محبوب.

- ❖ كمال غنى الله ﷻ عن الخلق، وشدة فقرهم وحاجتهم إليه.
- ❖ الحث على التفكير في عظمة الله تعالى، وعظيم آياته وخلقه، وفي ضعف الإنسان، وفي عظمة الآخرة، وحقارة الدنيا.
- ❖ الجمع بين الإحسان في عبادة الله تعالى، والإحسان إلى عباد الله، بالقول والفعل والبذل.
- ❖ الاعتصام بالكتاب والسنة، ولزوم منهج سلف الأمة، والحذر من الإفراط والتفريط، ومن التعرض للفتن.
- ❖ حسن الظن بالله تعالى، وأن رحمته تسبق غضبه، وتقديم الوعد على الوعيد، والترغيب على الترهيب.
- ❖ التحذير من القول على الله بغير علم، وبيان أنه من أعظم المحرمات.
- ❖ بيان أن العز كل العز في طاعة الله تعالى، وأن الذل كل الذل بمعصية الله تعالى.
- ❖ بيان أن السعادة وانسراح الصدر بالإسلام والإيمان والعمل الصالح تحت مظلة:
- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].
- ❖ احفظ الله يحفظك.
- ❖ التحذير من الشرك بأنواعه: الأكبر والأصغر، الجلي والخفي، ومن الرياء والسمعة.
- ❖ التحذير من النفاق بقسميه الاعتقادي والعملي، ومن صفات المنافقين، كما جاءت في القرآن والسنة.
- ❖ الحث على تقوى الله تعالى؛ بفعل أو امره، وترك نواهيه، وبيان فضلها وثمارها في الدنيا والآخرة.
- ❖ الحث على إقام الصلاة، والمحافظة عليها بشروطها، وأركانها، وواجباتها، وسننها، وبيان فضلها وعظيم أثرها.

- ١٤٥ الحث على إيتاء الزكاة، وإعطائها لمستحقيها، وبيان فضلها ومنافعها.
- ١٤٦ الحث على حفظ صيام رمضان وقيامه، والإكثار فيه من الذكر، وقراءة القرآن، والقربات، وأعمال البر والخير.
- ١٤٧ بيان وجوب الحج والعمرة على الفور على القادر، وفضل تكرارهما والاستزادة منهما لمن قدر على ذلك.
- ١٤٨ تأكيد وجوب صلاة الجمعة، وخطر تركها، واستحباب التبكير إليها.
- ١٤٩ بيان وجوب الصلاة جماعة في المساجد على الرجال، وآدابها، وعظيم فضلها وفوائدها.
- ١٥٠ بيان عظم حق الوالدين، ووجوب برهما، وفضله، والتحذير من العقوق وعواقبه الوخيمة.
- ١٥١ بيان وجوب صلة الأرحام، وفضلها، ومنافعها، والتحذير من قطيعتها، وآثار ذلك.
- ١٥٢ بيان أن الدين النصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم، والتحذير من السلبية، وترك النصيحة.
- ١٥٣ الترغيب في الدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإصلاح، والدعوة إلى الخير.
- ١٥٤ تذوق طعم الإيمان، وحلاوته، والأنس بالله تعالى بالصلاة، والمداومة على الطاعات، وملازمة الذكر، وقراءة القرآن، والتسييح والتحميد والتهليل والتكبير والاستغفار.
- ١٥٥ تدبر القرآن بألفاظه، ومعانيه، والعمل بأحكامه، والعناية أولاً بضبط تلاوته؛ لأنها هي التي تبقى، ثم حفظه.
- ١٥٦ العناية باللغة العربية، لغة القرآن، وعاء الدين، والاعتزاز بها، وتعلمها،

وتعليمها، ونشرها، والحفاظ عليها، والدفاع عنها.

١٧ الترغيب في المسارعة والمسابقة في الأعمال الصالحة والطاعات، والمنافسة في ذلك، وفي فعل الخيرات.

١٨ بيان محاسن الإسلام، وفضائله، وأنه النعمة الكبرى، والمنة العظمى من الله ﷻ على العباد.

١٩ كمال الدين، وشموله، وخلوده، وصلاحيته لكل زمان ولكل مكان ولكل أمة، وكونه الحل لجميع مشكلات الناس اليوم.

٢٠ حماية الإسلام وصيائمه للضرورات الخمس: الدين، والعقل، والنفس، والعرض، والمال.

٢١ الترغيب في الصدقة، والإنفاق في وجوه البر والإحسان كلها.

٢٢ مشروعية طلب الرزق، وفضله.

٢٣ حث الأغنياء وأصحاب الأموال على وضع المبرات الخيرية، وتنظيمها في حياتهم وقبل مماتهم.

٢٤ التحذير من الشيطان والنفس والهوى، ومن الاغترار بالدنيا وزينتها وزخرفها.

٢٥ وجوب كتابة الوصية لمن كان عليه أو له حقوق، واستجبابها فيما عدا ذلك، وبيان أن الأولى كونها بالخمسة.

٢٦ التحذير من الاغترار بما عليه أكثر الخلق، فأكثرهم على ضلال، وليسوا على شيء.

٢٧ الاستعداد للقاء الله تعالى، وللدار الآخرة، والإكثار من ذكر الموت، والاستعداد له.

٢٨ الترغيب في الجنة، بذكر نعيمها، والترهيب من النار، بذكر جحيمها.

٢٩ سيرة النبي ﷺ، وأخلاقه، وشمائله، قبل البعثة، وبعد البعثة.

٣٠ دعوته ﷺ.

٣١ هجرته ﷺ.

٥٢ غزواته ﷺ .

٥٣ الإسراء به ﷺ ، ومعراجه إلى السماء .

٥٤ أزواجه ﷺ ، وذريته .

٥٥ سير خلفائه ﷺ ، وأصحابه، رضي الله عنهم جميعاً .

٥٦ المبشرون بالجنة، ﷺ .

٥٧ قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومنهجهم في الدعوة إلى الله، وما لاقوا من الأذى من أقوامهم في سبيل دعوتهم، كقصة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، وقصص هود وصالح ولوط وشعيب ويونس، وغيرهم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم .

٥٨ قصص القرآن، كقصة البقرة، وقصة إبراهيم ﷺ والطيور الأربعة، وقصة صاحب القرية الخاوية على عروشها، وقصة الذي آتاه الله الآيات فانسلخ منها، وقصة طالوت وجالوت، وقصة أصحاب السبت، وقصة الثلاثة الذين خلفوا، وقصة أصحاب الكهف، وقصة موسى والخضر، وقصة ذي القرنين، وقصة موسى ﷺ لما ورد ماء مدين، وقصة قارون، وقصة أصحاب الجنة، وأصحاب الفيل، وغير ذلك من قصص القرآن الكريم .

٥٩ ضرب الأمثال في القرآن، والحكمة في ذلك .

٦٠ جمع القرآن بين الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد .

٦١ التأمل في أحوال الأمم السابقة، وما آل إليه أمرها من نجاة الرسل ﷺ وأتباعهم، وهلاك المكذابين .

٦٢ انقياد جميع المخلوقات وسجودها لله تعالى، وطاعتها له، عدا كثير من الناس .

٦٣ نعمة الأمن والإيمان، ووجوب شكرها بالمحافظة على الأمن والإيمان، وعلى وحدة الأمة، والتحذير من الفرقة .

٦٤ العناية بالشباب، وتشجيعهم، وتوجيههم، وتحذيرهم من عثرات الشباب،

وبيان أنهم أمل الأمة بعد الله ﷻ.

- ٦٤ إن التجارب للشيوخ وإنما أمل البلاد يكون في شبانها
- ٦٥ سير العلماء والمصلحين، ومن لهم قدم راسخ في الإسلام من التابعين ومن بعدهم، الأئمة الأربعة، وابن تيمية، وابن القيم، ومحمد بن عبد الوهاب، وابن باز، وغيرهم، ﷻ.
- ٦٦ تكريم الإسلام للإنسان.
- ٦٧ تكريم الإسلام للمرأة.
- ٦٨ اختصاص الله ﷻ وحده بعلم الغيب، وكذب السحرة والكهان ونحوهم.
- ٦٩ تحريم الإتيان إلى السحرة والكهان والمشعوذين والدجالين والتحذير من الأثر السيئ لبعض مفسري الأحلام وبعض القراء في عقائد المسلمين وعلاقاتهم.
- ٧٠ التحذير من الربا، وأكل أموال الناس بالباطل.
- ٧١ التحذير من التشبه بالكفار في أعيادهم وعاداتهم.
- ٧٢ التحذير من التعصب بشتى أنواعه، وبيان أن أكرم الخلق عند الله أتقاهم.
- ٧٣ التحذير من الاختلاط بين الجنسين، وخطورته عليهما، وبخاصة على النساء.
- ٧٤ الترغيب في الزواج، وبيان فضله، وأنه سنة من سنن المرسلين، والتحذير من التبتل والعزوف عن الزواج.
- ٧٥ بيان عظم حقوق كل من الزوجين على الآخر، وأن من أعظم ذلك حرص كل منهما على تحصيل الآخر وإعفافه، بظهور كل منهما أمام الآخر بأفضل مظهر في تعامله، وفي هيئته، في قوله وفعله وبذله، فهذا هو السبب الأول لديمومة العشرة والألفة والمحبة والمودة بين الزوجين، وترابط الأسرة، والسلامة من الطلاق والتفكك.
- ٧٦ بيان عظم حقوق الأولاد على والديهم، ووجوب العناية بتربيتهم وتعليمهم؛ فهم من أعظم الأمانات.
- ٧٧ بيان أهمية الجلوس مع الوالدين والأهل والأولاد، والأنس بهم، وآثار ذلك.

٧٨ وجوب طاعة ولاة الأمر بالمعروف، والنصح لهم، والتعاون معهم على حفظ الأمن والقيام بمسؤولياتهم، والدعاء لهم.

٧٩ بيان حقوق المسلمين بعضهم على بعض، والتأكيد على أهمية القيام بها، وأدائها.

٨٠ بيان عظم حق الجار، ووجوب إكرامه، واحترامه، وأداء حقوقه.

٨١ بيان حقوق غير المسلمين من المعاهدين والمستأمنين وأهل الذمة، من العمال وغيرهم، ودعوتهم إلى الإسلام.

٨٢ وجوب حفظ الأمانة، والوفاء بالوعد، وحفظ العهد، والتحذير من الخيانة، والغدر، والفجور في الخصومة، وغير ذلك.

٨٣ التأكيد على وجوب الحفاظ على ثوابت الأمة، والحذر من التهاون بها، وذوبان الشخصية الإسلامية، وتقليد الكفار.

٨٤ بيان وجوب إكرام الضيف، وبيان أحكام الضيافة، وآدابها، وآداب الأفراح والمناسبات، وما يجب مراعاته فيها.

٨٥ التأكيد على وجوب استشعار ذوي المسؤوليات في الأمة عظم المسؤولية أمام الله تعالى؛ من الأئمة والمؤذنين والعاملين في بيوت الله تعالى، والقضاة، والمعلمين، والموظفين، وغيرهم، فكل منهم على ثغر من ثغور الإسلام، فليحذر أن يؤتى الإسلام من قبله.

٨٦ المعلمون، والمربون، وغيرهم، من العاملين في الأمة بين التكليف والتشريف، وبين الإحباط والفخر والاعتزاز.

٨٧ أهمية استحضار العاملين في الأمة حسن النية، والفخر والاعتزاز بذلك؛ ليحصل لهم الأجر الأخرى مع الأجر الدنيوي.

٨٨ الحث على إنزال الناس منازلهم؛ من إجلال الكبير ذي الشبهة، والعالم والمعلم، وصاحب المسؤولية في الأمة، وغيرهم.

٨٩ الترغيب في السعي في إصلاح ذات البين بين المسلمين، وجمع كلمتهم.

٩٠ الحث على رعاية اليتامى والمساكين والأرامل والمحتاجين، ونحوهم، والعناية

بهم مادياً ومعنوياً.

٩١ بيان وجوب الالتزام بالأنظمة التي توضع للحفاظ على الأرواح والممتلكات، وللمصلحة العامة؛ كنظام المرور، وتنظيم الحج، وغير ذلك.

٩٢ التحذير من نكران المعروف والجميل.

٩٣ التحذير من البغي، والظلم، وأذية العباد؛ في دمائهم وأمواهم وأعراضهم، ومن أذية البهائم والعجماءات.

٩٤ التحذير من الفواحش ما ظهر منها وما بطن؛ كالزنا، واللواط، واتخاذ الأخدان، وغير ذلك.

٩٥ التحذير من الاستسلام للوساوس، ووجوب اطراحها وعدم الالتفات إليها.

٩٦ التحذير مما ابتدعه الناس في الجنائز من البدع والمخالفات.

٩٧ الحث على تعجيل قسمة الميراث، والتحذير من تأخيرها؛ لأن ذلك من أعظم أسباب العداوة بين الأقارب.

٩٨ الحث على تنفيذ وصايا من مات من الوالدين وغيرهما، والقيام عليها وعلى أوقافهم والاهتمام بها وتنميتها ليجري عليهم أجر ريعها.

٩٩ التحذير من الجهر بالسوء، ونشر الشائعات.

١٠٠ الحث على طلب العلم، والعمل به، وتعليمه، والجمع بين العلم النافع والعمل الصالح، فرأس مال المسلم في هذه الحياة شيئان: علم نافع، وعمل صالح، كما قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣، والفتح: ٢٨، والصف: ٩]؛ أي: بالعلم

النافع والعمل الصالح.

١٠١ الترغيب في حسن الخلق، وبيان فضله، وعظيم أثره، وثقله في الميزان، وذهابه بخير الدنيا والآخرة.

١٠٢ الترغيب في التواضع لله تعالى، وخفض الجناح للمؤمنين، والتحذير من الكبر

والغرور، وأخلاق المتكبرين.

❖ الحث على إفشاء السلام، ونشره، والبداءة به، وبيان فضله وثماره.

❖ الترغيب في الرحمة واللين، والعطف والشفقة، والتحذير من الفظاظة والغلظة والجبروت، والجفاء وقساوة القلب.

❖ الترغيب في العفو والصفح والتسامح، وبيان فضل ذلك.

❖ الترغيب في الهدية، وبيان فوائدها.

❖ الترغيب في الحلم والأناة، والتؤدة، والتدبر في الأمور، وترك العجلة.

❖ الترغيب في الكرم والمروءة والإيثار، والتحذير من الأنانية، واللؤم، والشح.

❖ الحث على التيمن في الأكل والشرب، واللبس، والطهور، والتنعل... وفي شأن المسلم كله.

❖ الحث على حفظ الوقت، وتنظيم عمل اليوم واللييلة، والتحذير من تصرم أيام العمر بلا فائدة، وراء الشهوات والملذات وهوى النفس في المتنزهات والأسفار، وغير ذلك.

❖ الحث على اختيار المجلس الصالح، والتحذير من جلساء السوء.

❖ التحذير من التطفيف في الكيل والوزن.

❖ الحث على الإنصاف من النفس، والتحذير من تزكيتها.

❖ بيان أن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، وترك ما يريبه إلى ما لا يريبه.

❖ الحث على سلامة القلب، ومحبة الخير للمسلمين، والتحذير من أمراض القلوب، من الحسد، والحقد، والغل، والعداوة والبغضاء، وبيان أن الحسد يكثر بين الأقران والجيران، والعداوة تكثر بين الأقارب، فيجب الحذر من ذلك.

❖ المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير.

❖ محاسبة النفس.

❖ التوبة وشرطها.

- ❖ الحث على الاستقامة.
- ❖ الحث على التحلي بالصبر؛ بأقسامه الثلاثة.
- ❖ الحث على الإكثار من ذكر الله تعالى، وملازمة الاستغفار والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، وأوراد الصباح والمساء.
- ❖ الترغيب في ملازمة الدعاء، وبيان ضرورة العبد الى سؤال ربه؛ بتيسير أمر دينه ودنياه وأخراه، وبيان أوقات الإجابة؛ آخر الليل، وحال السجود، وبين الأذان والإقامة، وبعد التشهد، وساعة الاستجابة يوم الجمعة، وعند الفطر، وفي السفر، وغير ذلك.
- ❖ الحث على الصبر عند المصيبة، وبيان فضله.
- ❖ الحث على التحلي بالحكمة والعقل والرشد، والبعد عن الجهل والسفه.
- ❖ الحث على الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ، وبخاصة يوم الجمعة، وبيان فضلها.
- ❖ الحث على لزوم الصدق؛ فهو منجاة لصاحبه، والتحذير من الكذب.
- ❖ تفسير سورة الفاتحة.
- ❖ تفسير بعض الآيات؛ كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] إلى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَزُكُّ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٨].
- ❖ تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨] إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: ٧١] وغير ذلك من الآيات.
- ❖ تفسير قصار المفصل؛ من سورة الضحى إلى سورة الناس، وغير ذلك من السور والآيات.
- ❖ بيان معاني الحروف المقطعة في أوائل بعض السور القرآنية.
- ❖ الأخذ بصفات أولي الأبواب كما جاءت في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ الآيات [١٩٠-١٩٥].

- ١٣٣ الأخذ بصفات عباد الرحمن، كما جاءت في سورة الفرقان الآيات [٦٣-٧٧].
- ١٣٤ شرح حديث النزول الإلهي في ثلث الليل الآخر.
- ١٣٥ شرح حديث: «إنما الأعمال بالنيات».
- ١٣٦ شرح حديث الثلاثة الذين أُطبقت عليهم الصخرة.
- ١٣٧ شرح الحديث في قصة جريج العابد.
- ١٣٨ شرح حديث النفر الثلاثة: الأبرص والأقرع والأعمى.
- ١٣٩ شرح حديث النبي ﷺ عندما صعد المنبر فقال: (أمين، أمين، أمين) وغير ذلك من الأحاديث.
- ١٤٠ الحث على التصور التام للهدف الذي خُلق له الإنسان، والسلامة من الخواء الروحي الذي هو سبب تزجية الأوقات، وضياع الأعمار.
- ١٤١ طيب الكسب، والبعد كل البعد عن الحرام والمتشابه.
- ١٤٢ التحذير من الإسراف والتبذير.
- ١٤٣ الحث على الاعتراف بالنعم وشكرها؛ من نعمة المال، والصحة، والخيرات كلها، والتحذير من كفرها؛ فهو سبب زوالها، والتحذير من المباهاة؛ بتصوير بعض المأكولات ونشرها، والمفاخرة بها، فالفضل لله ﷻ، وليس ذلك من شكرها.
- ١٤٤ قلة الشاكرين من العباد، وكثرة الكافرين منهم.
- ١٤٥ الأخذ بالحزم والعزم وبمعالي الأمور، والصدق مع النفس في تزكيتها وإعتاقها، والحذر من العجز والكسل، ومن دسها وإيقاقها.
- ١٤٦ حفظ اللسان والقلم والبنان عما لا يجوز من الغيبة والنميمة والزور والباطل، وما يضر ولا ينفع.
- ١٤٧ التفاؤل دائماً في جميع الأحوال؛ سرائها وضرائها، وبيان فضله وعظيم أثره.
- ١٤٨ التعامل مع النت، وشبكة المعلومات، ووسائل التواصل الاجتماعي بحكمة،

- وعقل، وتمييز، وحذر، وإيجابية تبني ولا تهدم.
- ١٤٩ حفظ الفرج، وغض البصر، ولزوم الحياء.
- ١٥٠ التحذير من المسكرات، ومن التدخين، وبيان مضارها.
- ١٥١ التحذير من الانغماس في الغناء، واستماع آلات اللهو، ونحو ذلك مما يشغل القلب عن ذكر الله تعالى، وعن القرآن الكريم.
- ١٥٢ التحذير من السهر وآثاره السيئة على الصحة، والدين، والحياة الاجتماعية.
- ١٥٣ الترغيب في قيام الليل، وبيان فضله، وسنة الرسول ﷺ في ذلك.
- ١٥٤ الترغيب في صوم النفل كالاثنين والخميس، وأيام البيض، وغير ذلك.
- ١٥٥ بيان فضل (لا حول ولا قوة إلا بالله) وأنها من كنوز الجنة.
- ١٥٦ بيان فضل الجلوس في المسجد بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس، وقراءة الورد من القرآن، ومن ثم صلاة الضحى.
- ١٥٧ بيان وجوب متابعة الإمام في الصلاة، والتحذير من مسابقتها أو مخالفتها.
- ١٥٨ الحرص على تشجيع الصغار بعد التمييز على الصلاة، وعلى الصلاة في المسجد.
- ١٥٩ رعاية حقوق العمال من الخدم، والسائقين، وغيرهم، وتعليمهم أمور دينهم.
- ١٦٠ التنبيه على آداب المساجد من عدم رفع الصوت بالقراءة والدعاء، ومن إزعاج المصلين بنغمات الجوال، ومن التمخط في المسجد، ومن الروائح الكريهة كالبصل والثوم والدُّخَان، وروائح البهائم.
- ١٦١ التعاون بين الإمام والمؤذن وجماعة المسجد على نصح من يتخلف عن صلاة الجماعة، ووعظه، وتوجيهه، فذاك مسؤولية الجميع.
- ١٦٢ وجوب العناية بنظافة بيوت الله المساجد، وتطيبها وتبخيرها، وفرشها، وتكليفها، وتهيتها للمصلين، والقضاء على ما قد يحصل من أسباب النزاع حول ذلك.
- ١٦٣ التنبيه على الحفاظ على المرافق العامة؛ كالحدايق، ودورات مياه المساجد،

والطرق العامة، وعلى المنتزهات في البر وعلى الطرق السريعة، وغيرها.
إلى غير ذلك من الموضوعات الكثيرة التي لا يمكن حصرها، التي قد يكون بعضها
أهم مما ذكر، فالمقصود التمثيل، لا الاستقصاء، وذكرها بهذا التسلسل ليس مراداً به
ترتيبها حسب أهميتها.

تنبيه:

جملة من هذه الموضوعات جاء الكلام فيها في هذه الوقفات في هذا الكتاب.



وقفات ست في: التفاؤل

قال الله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]

الوقفة الأولى معنى التفاؤل

التفاؤل: مأخوذ من الفأل، وهو الكلمة الطيبة، كما قال ﷺ: «الفأل الكلمة الطيبة»^(١). وهو التيمن والاستبشار، ضد التشاؤم والتطير.

قال ابن الأثير^(٢): «التفاؤل: مثل أن يكون رجل مريضاً، فيتفاءل بما يسمع من كلام، فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه، ويجد ضالته».

والفرق بين التفاؤل والتشاؤم: أن التفاؤل مبني على حسن الظن بالله ﷻ، وهو أمر محمود، والتشاؤم والتطير مبني على سوء الظن، وهو أمر مكروه.

والتفاؤل من الله، وهو وليد الإيمان بالله تعالى، والتشاؤم من الشيطان، وهو وليد الكفر، قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة: ٢٦٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ ذَوْجِ اللَّهِ إِلَّا الْفَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦] فوعد ﷻ أن مع العسر يسراً، ولم يقل: إن بعد العسر يسراً؛ لبيان شدة قرب اليسر من العسر؛ ليزداد ﷻ والمؤمنون تفاؤلاً وطمأنينة.

(١) أخرجه مسلم في السلام (٢٢٢٤)، والترمذي في السير (١٦١٥)، وأحمد ٣/ ٢٥١ (١٣٦٣٣) من حديث

أنس ﷺ.

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» مادة «فأل».

وقال تعالى في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء»^(١).
 والمراد بالتفاؤل: التفاؤل النافع، الذي يقترن بالجد والعمل، والسعي، والمثابرة، وإلا
 كان مجرد أمانٍ كاذبة، وأحلام، وضرب من الأوهام؛ لأن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضةً.
 قال الشاعر:

ومن طلب العلامن غير كدٍّ أضاع العمر في طلب المحال^(٢)
 وقال الآخر:

ومن طلب العلوم بغير كد سيُدركها متى شاب الغراب^(٣)
 وقال الآخر:

ومن زرع الحبوب وما سقاها تأوه نادماً يوم الحصاد^(٤)

الوقفه الثانية

مبنى التفاؤل، وأساسه

التفاؤل يقوم على ركنين عظيمين، ودعامتين قويتين، وأساسين متينين:

الأول: حسن الظن بالله ﷻ.

والثاني: التوكل على الله تعالى، كما قال ﷺ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

(١) أخرجه أحمد ٤٩١/٣ (١٦٠١٦)، والدارمي ٣٩٥/٢ (٢٧٣١)، والحاكم (٢٤٠/٤) من حديث
 واثلة بن الأسقع ﷺ. قال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وصححه الألباني في «الصحيحة»
 (١٦٦٣).

(٢) البيت للشافعي رحمه الله، انظر: «ديوانه» ص (٩٧).

(٣) انظر: «السحر الحلال، في الحكم والأمثال» ص (١٨)، و«المنهاج الواضح للبلاغة» (٣٨/٢).

(٤) انظر: «لطائف المعارف» لابن رجب ص (١٤٨).

الوقفه الثالثة

حكم التفاؤل، وفضله

التفاؤل أمر محمود، ومندوب إليه، وهو من أفضل الأعمال.

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يعجبني الفأل الصالح؛ الكلمة الحسنة»^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يتفاءل، ولا يتطير، ويعجبه الاسم الحسن»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يعجبه الفأل الحسن، ويكره الطيرة^(٣).
ولما جاء «حزن» جد سعيد بن المسيب رسول الله ﷺ، قال له: «ما اسمك؟» قال:
اسمي حزن. قال: «أنت سهل»^(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ سمع كلمة فأعجبته، فقال: «أخذنا فالك من فيك»^(٥).

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يعجبه إذا خرج لحاجته أن يسمع: يا راشد، يا نجيح^(٦).

(١) أخرجه البخاري في الطب (٥٧٥٦)، ومسلم في السلام (٢٢٢٤)، وأبو داود في الطب (٣٩١٦)،
والترمذي في السير (١٦١٥)، وابن ماجه في الطب (٣٥٣٧).

(٢) أخرجه أحمد ١/٢٥٧ (٢٣٢٨)، وأبو داود الطيالسي ٤/٤٠٨ (٢٨١٣)، وابن حبان ١٣/١٣٩-١٤٠ (٥٨٢٥)، قال الهيثمي في «المجمع» (٤٧/٨): «رواه أحمد والطبراني، وفيه ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف بغير كذب». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧٧٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه في الطب (٣٥٣٦)، وابن حبان ١٣/٤٩٠ (٦١٢١). وصححه الألباني في «التعليقات الحسان» (٦٠٨٨).

(٤) أخرجه البخاري في الأدب (٦١٩٠، ٦١٩٣)، وأبو داود في الأدب (٤٩٥٦)، وأحمد ٥/٤٣٣ (٢٣٦٧٣) من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه رضي الله عنه.

(٥) أخرجه أبو داود في الطب (٣٩١٧)، وأحمد ٢/٣٨٨ (٩٠٤٠). وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧٢٦).

(٦) أخرجه الترمذي في السير (١٦١٦)، والطبراني في «الأوسط» ٤/٢٧٤ (٤١٨١)، وفي «الصغير» ١/٣٣١ (٥٤٩). قال الترمذي: «حسن صحيح غريب». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٩٧٨).

وإنما كان التفاؤل من أفضل الأعمال؛ لأنه يقوم على حسن الظن بالله، والتوكل عليه، والثقة بما عنده ﷺ أوثق مما في يد الإنسان نفسه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إن الله ﷻ يقول: أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن خيرًا فله، وإن ظن شرًا فله» (١).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﷻ» (٢).



الوقفه الرابعة

نماذج من تعليم الله تعالى لعباده التفاؤل

من ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

ومن ذلك أنه ﷻ عاتب المؤمنين بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

ثم فتح ﷻ لهم باب الرجاء والتفاؤل في الآية بعدها، فقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٧]، أي: اعلموا أن الله القادر على إحياء الأرض بعد موتها، قادر على تليين قلوبكم وجعلها تخشع لذكر الله وما نزل من الحق، فأبشروا وأملوا خيرًا.

ومن ذلك أنه ﷻ نهى المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء في قوله تعالى: ﴿يَتَّخِذُوا

(١) أخرجه أحمد ٢/ ٣٩١ (٩٠٧٦)، وابن حبان ٢/ ٤٠٥ (٦٣٩). وصححه الألباني في «التعليقات الحسان» (٦٣٨)، وفي «الصحيحة» (١٦٦٣).

(٢) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٧٧)، وأبو داود في الجنائز (٣١١٣)، وابن ماجه في الزهد (٤١٦٧)، وأحمد ٣/ ٣٢٥ (١٤٤٨١).

الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ [المتحنة: ١].

ولا شك أن معاداة الأقربين من الوالدين والأولاد والإخوة والأزواج وغيرهم من ذوي القرابة من أشق الأشياء وأصعبها على النفوس؛ ولهذا قال ﷺ بعد ذلك: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المتحنة: ٧]، ففتح ﷺ للمؤمنين في هذه الآية باب الرجاء والتفاؤل بجعل المودة بينهم وبين الذين عادوا من أقاربهم بسبب كفرهم، وذلك بأن يؤمن هؤلاء الأقارب فتعود المودة بينهم، وهذا وعد منه ﷺ، وهو كالبلسم على القلوب والنفوس، وهكذا وقع؛ فقد آمن كثير منهم، وعادت المودة والأخوة بينهم بفضل الله ﷺ كما وعدهم سبحانه.

الوقفه الخامسة

نماذج من تفاؤل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

التفاؤل من أخص صفات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، حتى في أشد الظروف، وأضيق الأحوال، وأقساها.

❖ فهذا نبي الله موسى ﷺ والمؤمنون معه، لما لحق بهم فرعون وجنوده، وتراءى الجمعان، وصار البحر أمامهم، والعدو خلفهم، وقال له أصحابه بنو إسرائيل: إنا لمدركون، قال ﷺ مقالة المتفائل الواثق بربه، المتوكل عليه تمام التوكل: ﴿قَالَ كَلَّا إِنْ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢].

❖ ويعقوب ﷺ بعد ما جرى ليوسف وأخيه ﷺ على يدي إخوتها، وبعد مرور السنين والأعوام الطويلة، قال لأبنائه: ﴿يَبْنَئِ أَدْهُبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ

رَوْحَ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ [يوسف: ٨٧].

١٦ ونبينا محمد ﷺ كان سيد المتفائلين، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلنتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله ﷻ قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. قال: فناداني ملك الجبال، وسلم عليّ، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، قد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين»^(١)، فقال النبي ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»^(٢).

وعن تميم الداري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدبر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو ذل ذليل، عزاً يُعز الله به الإسلام، وذلًا يذل الله به الكفر»^(٣).

وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه وفد على النبي ﷺ، فقال له: «أتعرف الحيرة؟» قال: لم أعرفها، لكن قد سمعت بها. قال: «فوالذي نفسي بيده لبيتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الطعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد، ولتفتحن كنوز كسرى بن هُرْمَز». قلت: كسرى بن هُرْمَز؟ قال: «نعم، كسرى بن هُرْمَز، وليذلن المال حتى لا يقبله أحد». قال عدي بن حاتم: فهذه الطعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت في غير جوار

(١) الأخشبان: جبلان بمكة.

(٢) أخرجه البخاري في بدء الخلق (٣٢٣١)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٩٥).

(٣) أخرجه أحمد ٤/١٠٣ (١٦٩٥٧)، والطبراني في «الكبير» ٥٨/٢ (١٢٨٠)، وفي «مسند الشاميين» ٧٩/٢ (٩٥١)، والحاكم (٤/٤٧٧). قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» (٦/١٤): «رواه أحمد، والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح».

أحد، ولقد كنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة؛ لأن رسول الله ﷺ قد قالها^(١).

وقد حصل هذا في عهد عمر بن عبد العزيز ﷺ.

وعن أبي بن كعب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «بشّر الأمة بالسَّناء، والرفعة، والدين، والنصر، والتمكين في الأرض»^(٢).

وعن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقتها ومغارها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها»^(٣).

وعن حَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «والله لِيُيَمِّنَنَّ اللهُ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»^(٤).

وفي حديث الهجرة قوله ﷺ لأبي بكر ﷺ وهما في الغار، لما وقف المشركون على باب الغار، وقال له أبو بكر ﷺ: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال ﷺ: ﴿لَا تَحْزَنَنَّ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]. وقال ﷺ: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما»^(٥).

(١) أخرجه هذه السياقة: أحمد ٤/ ٢٥٧ (١٨٢٦٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» ٢٠/ ٢٦٧ (٣٧٧٦١)، وابن حبان ٦/ ٢٤ (٤٨١٤)، والحاكم ٤/ (٥٦٤). قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي، وضعفه الألباني في «التعليقات الحسان» (٦٦٤٤)، وفي «الضعيفة» (٦٤٨٨). والقصة مختصرة بغير هذه السياقة في: البخاري في المناقب وعلامات النبوة في الإسلام (٣٥٩٥).

(٢) أخرجه أحمد وابنه ٥/ ١٣٤ (٢١٢٢٠، ٢١٢٢٢)، وابن حبان ٢/ ١٣٢ (٤٠٥)، والحاكم ٤/ (٣١١). قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي، وأقره المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣١/ ١). وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٢٠): «رواه أحمد وابنه من طرق، ورجال أحمد رجال الصحيح». قال الألباني في «أحكام الجنائز» ص (٥٢): «إسناد عبد الله صحيح على شرط البخاري».

(٣) أخرجه مسلم في الفتن (٢٨٨٩)، وأبو داود في الفتن (٤٢٥٢)، والترمذي في الفتن (٢١٧٦)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٥٢).

(٤) أخرجه البخاري في المناقب (٣٦١٢)، وأبو داود في الجهاد (٢٦٤٩)، وأحمد ٥/ ١٠٩ (٢١٠٥٧).

(٥) أخرجه البخاري في المناقب (٣٦٦٣)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٣٨١)، والترمذي في تفسير القرآن

وعن سُرَاقَةَ بن مالك رضي الله عنه، أنه لما لحق بالنبي صلى الله عليه وسلم وبصاحبه أبي بكر رضي الله عنه في طريق هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة؛ ليأخذ جائزة قريش التي جعلتها لمن يأتي بمحمد صلى الله عليه وسلم، فلما اقترب من النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه ساخت يدا فرسه في الأرض، فلم تستطع أن تتحرك ^(١). فقال له صلى الله عليه وسلم وهو في تلك الحال الشديدة متفائلاً: «كأني بك قد لبست سِوَارِي كِسْرَى» ^(٢).

وهكذا حصل بفضل الله تعالى.

ويوم الأحزاب حين أحاطت الأحزاب بالمدينة، كما قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب: ١٠].

واجتمع على المسلمين في ذلك اليوم من الشدائد ما تنوّء بحمله الجبال؛ من الخوف، والتعب، والجوع، والبرد، نزل صلى الله عليه وسلم حين استعصى على الصحابة رضي الله عنهم حجر كبير، وهم يحفرون الخندق، فأخذ المعول فقال: «باسم الله». فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر وقال: «الله أكبر، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا». ثم قال: «باسم الله». وضرب أخرى فكسر ثلث الحجر، فقال: «الله أكبر، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارَسِ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ الْمَدَائِنَ وَأُبْصِرُ قَصْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا». ثم قال: «باسم الله». وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر، فقال: «الله أكبر، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا» ^(٣).

ولما كان صلى الله عليه وسلم يفاوض قريشاً في صلح الحُدَيْبِيَّةِ، وقدم سهيل بن عمرو، قال صلى الله عليه وسلم

(٣٠٩٦)، وأحمد ٤/١ (١١).

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار (٣٩٠٦)، وأحمد ٤/١٧٥ (١٧٥٩١). وأخرجه البخاري في الموضوع السابق (٣٩٠٨)، ومسلم في الأشربة (٢٠٠٩)، وأحمد ٢/١ (٣) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣٥٧/٦).

(٣) أخرجه أحمد ٤/٣٠٣ (١٨٦٩٤)، وابن أبي شيبه في «مصنفه» ٢٠/٣٧٦ (٣٧٩٧٥)، وأبو يعلى «مسنده»

٣/٢٤٤ (١٦٨٥)، والرويان في «مسنده» ١/٢٧٦ (٤١٠) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه. قال الهيثمي

في «المجمع» (٦/١٣١): «رواه أحمد، وفيه ميمون أبو عبد الله، وثقة ابن حبان، وضعفه جماعة، وبقية

رجاله ثقات». وحسن الحافظ ابن حجر إسناده في «فتح الباري» (٧/٣٩٧).

لأصحابه: «لقد سهَّل لكم من أمركم»^(١).

❖ ومن التفاؤل ما حصل من أم إسماعيل هاجر عندما تركها إبراهيم ﷺ في مكة مع ابنها ﷺ، وليس بمكة داع ولا مجيب، ولا شجر ولا ماء، ووضع عندها جراباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم مضى إبراهيم منطلقاً، فتبعته أم إسماعيل، فقالت: إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا جن؟! فقالت ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها. فقالت: «الله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيِّعنا»^(٢).

❖ ومن ذلك قول خديجة ﷺ، لما نزل الوحي على النبي ﷺ، ورجع إليها خائفاً يقول: «زملوني زملوني، لقد خشيتُ على نفسي». فقالت ﷺ: كلا، والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق»^(٣).

الوقفه السادسة

فوائد التفاؤل، وآثاره

للتفاؤل فوائد جمة، وآثار عظيمة، منها ما يلي:

❖ أنه يدفع صاحبه إلى العمل، وإلى المضي قدماً إلى الأمام، وإلى استشراق المستقبل المشرق، والثقة بالله ﷻ، بتحويل الشدة إلى الرخاء، والضراء إلى سراء، والعسر إلى يسر، كما قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦].

(١) أخرجه البخاري في الشروط (٢٧٣١، ٢٧٣٢) من حديث مزوان بن الحكم والمسنون بن مخزومة ﷺ.
 (٢) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٦٤) من حديث ابن عباس ﷺ.
 (٣) أخرجه البخاري في بدء الوحي (٣)، ومسلم في الإيمان (١٦٠)، وأحمد ٦/ ٢٣٢ (٢٥٩٥٩) من حديث عائشة ﷺ.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لن يغلب عسر يسرين»^(١)؛ أي: أن كل عسر معه يسران من الله ﷻ.

وكان رضي الله عنه إذا زار مريضاً قال: «لا بأس طهور إن شاء الله»^(٢).
قال علي رضي الله عنه:^(٣)

وكل الحادثات إذا تناهت فموصولٌ بها الفرجُ القريبُ
وقال الآخر:

ولرب نازلةٍ يضيقُ بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرجُ
ضاقَتْ فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنُّها لا تُفرجُ^(٤)
وقال الآخر:

اصبر لكل مصيبةٍ وتجلد واعلم بأن المرء غيرُ مُجلدٍ
واصبر كما صبر الكرام فإنها نُوبٌ تُنوبُ الآن تُفرجُ من غدٍ^(٥)
وقال الآخر:

وكم لله من لطفٍ خفيٍّ يدقُّ خفاه عن فهم الذكيِّ
وكم يسرٍ أتى من بعد عُسْرٍ وفرج لوعة القلب الشجيِّ
وكم همُّ نساءً به صباحاً فتعقبه المسرة في العشيِّ
إذا ضاقت بك الأحوال يوماً فثق بالواحد الأحد العليِّ^(٦)
وقال الآخر:

(١) أخرجه مالك في الجهاد (٢/٤٤٦)، ومن طريقه الطبري في «جامع البيان» (٦/٣٣٤)، وابن أبي شيبة في

«مصنفه» ١٠/٣٣٠، (١٩٨٣٤)، ١٨/٣١٨، (٣٤٥٣٢)، والحاكم (٢/٣٠٠).

(٢) أخرجه البخاري في المناقب (٣٦١٦)، والبيهقي (٣/٣٨٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) انظر: «ديوانه» ص (١٢).

(٤) البيتان لإبراهيم بن العباس الصولي. انظر: «الفرج بعد الشدة» للتنوخي (٥/١٥).

(٥) البيتان لأبي العتاهية. انظر: «ديوانه» ص (١١٠).

(٦) الأبيات لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، انظر: «ديوانه» ص (١٦٠).

أَعْلَلُ النَّفْسَ بِالْأَمَالِ أَرْقُبُهَا مَا أَضِيقُ الْعَيْشَ لَوْلَا فُسْحَةُ الْأَمَلِ^(١)
 أنه سبب لانسراح الصدر، وطمأنينة القلب، والسرور، وذهاب الهم والحزن،
 والسلامة بإذن الله تعالى من أمراض القلب الحسية، والأمراض النفسية والبدنية، تغمر
 صاحبها السعادة في حال السراء والضراء، كما قال عليه السلام: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله
 له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاءٌ شكّر، فكان خيراً له، وإن أصابته
 ضراءٌ صبر، فكان خيراً له»^(٢).

والمفتائل تُرْفرف نفسه بين السماء والأرض، كما ترُفرف الطيور بأجنحتها، رجاءه
 في الله وأمله، وثقته به عليه السلام، لا ترحزها شمّ الجبال، لو اندكت عليه.

لسان حاله ومقاله، كما قال الشاعر:

سَأَعِيشُ رَغْمَ الدَّاءِ والأَعْدَاءِ كَالنَّسْرِ فَوْقَ القِمَةِ الشَّمَاءِ
 النُّورُ فِي جَنبِي وَبَيْنَ جَوَانِحِي فَعَلَامٌ أَحْشَى السَّيْرَ فِي الظُّلَمَاءِ؟!^(٣)
 ولهذا يجب الحذر كل الحذر من مصاحبة المتشائمين، المرجفين، المثبطين، المخذلين،
 ممن يقولون: «هلك الناس».

قال عليه السلام: «من قال: هلك الناس فهو أهلكهم»^(٤).

وقال الشاعر:

احْفَظْ لِسَانَكَ أَنْ تَقُولَ فَتُبْتَلَى إِنْ البَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ^(٥)
 وقد قيل: «تفاءلوا بالخير تجدوه».

(١) البيت للوزير مؤيد الدين الطغرثي، انظر: «شرح لامية العجم» للدميري ص (٤، ١٠١)، و«خزانة
 الأدب وغاية الأرب» لابن حجة الحموي (١/١٨٧)، و«معاهد التنصيص على شواهد التلخيص» لأبي
 الفتح العباسي (٢/١٤٢).

(٢) سبق تحريجه. (٣) البيتان لأبي القاسم الشابي. انظر: «ديوانه» ص (١١).

(٤) أخرجه مالك في الكلام (٢/٩٨٤)، ومسلم في البر والصلاة والآداب (٢٦٣٣)، وأبو داود في الأدب
 (٤٩٨٣)، وأحمد ٢/٢٧٢ (٧٦٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) البيت ينسب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه. انظر: «العقد الفريد» (٣/١٦)، وينسب أيضاً لصالح عبد القدوس.
 انظر: «ديوانه» (ص ١٤٧).

وقفات خمس في: حسن الخلق

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]

الوقفة الأولى في:

معنى حسن الخلق، ومصادره

أ- معنى حسن الخلق:

حُسن الشيء: زينته، وجماله، وفضله، ونحو ذلك، وهو ضد القُبْح، ونقيضه^(١). و«الخلق»: الدين والطبع، والسَّجِيَّة والعادة^(٢). وجمعه: أخلاق. وهو نوعان: خلق محمود، حسن جميل، وخلق مذموم، سيئ قبيح. قال الحسن البصري، وعبد الله بن المبارك: «حسن الخلق: بسط الوجه، وبذل الندى، والاحتمال، وكف الأذى»^(٣).

وَرُوي عن علي عليه السلام: «حسن الخلق في ثلاث خصال: اجتناب المحارم، وطلب الحلال، والتوسعة على العيال»^(٤).

لكن حسن الخلق أعم من هذا كله وأوسع، فهو التخلق بالقرآن. ويقال: الخلق: صورة الإنسان الباطنة؛ لأن الإنسان له صورتان: صورة باطنة، وصورة ظاهرة.

فالصورة الظاهرة: هي شكل خلقته التي جعل الله البدن عليها، كما قال تعالى:

(١) انظر: «لسان العرب» مادة «قيح».

(٢) انظر: «لسان العرب» مادة «خلق».

(٣) انظر: «جامع العلوم والحكم» ص ١٦٠، و«إحياء علوم الدين» ٣/٥٧، أو ٧٥.

(٤) انظر: «إحياء علوم الدين» ٣/٥٧، أو ٧٥.

﴿وَصُورَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤، والتغابن: ٣].

والصورة الباطنة: خُلِقَ الذي طُبِعَ عليه، أو اعتاده.
والقول بأن الخلق صورة الإنسان الباطنة لا يعني أن آثار الأخلاق لا تظهر على الجوارح، بل إنها لو لم تظهر آثارها على الجوارح ما سُميت خلقًا.

ب- مصادر حسن الخلق «الأخلاق الحسنة»:

مصادر الأخلاق الحسنة مأخوذة من مصدر التشريع: الكتاب والسنة، فهما مصدر الأَخلاق الإسلامية كلها، بما يؤخذ منها من أحكام، وأخلاق، وآداب، وغير ذلك.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

ولهذا لما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم قالت: «كان خلقه القرآن»^(١).
وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ نَنْزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَنْهَكُمُ عَنْهَا فَأَنْهَوْا﴾ [الحشر: ٧].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إنما بُعثت لأتمم صالح الأعمال»^(٢).

قال إبراهيم الحربي: «ينبغي لمن سمع شيئاً من آداب النبي صلى الله عليه وسلم أن يتمسك به»^(٣).

(١) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٧٤٦)، وأبو داود في الصلاة (١٣٤٢)، والنسائي في قيام الليل (١٦٠١)، وأحمد ٩١ / ٦ (٢٤٦٠١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: «الجامع لأخلاق الراوي والسامع» ١ / ١٤٢.

فالأخلاق الحسنة هي الأخلاق الإسلامية التي أمر الله بها في القرآن الكريم، أو أثنى على الاتصاف بها، أو وعد من اتصف بها بالجزاء والأجر في الدنيا والآخرة، ودخول الجنة، والنجاة من النار، أو توعد من خالفها بضد ذلك، ونحو ذلك. وكذا ما أمر به الرسول ﷺ في السنة النبوية، أو أثنى على من اتصف بها، أو وعده بالجزاء من الله تعالى، أو توعد من خالفه بالعقوبة من الله تعالى.

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في: «الأخلاق الإسلامية»^(١): «الأخلاق الإسلامية بيّنها الله في كتابه العظيم، وبيّنها الرسول ﷺ، أساسها: توحيد الله، والإخلاص له، هذا هو أصل الأخلاق الكريمة وأساسها، وأعظمها، وأوجبها، وهو توحيد الله، والإخلاص له، وترك الإشراك به، ثم يلي ذلك: الصلوات الخمس، فهي أعظم الأخلاق، وأهمها، بعد التوحيد، وترك الإشراك بالله ﷻ، ومن تدبر القرآن الكريم، واعتنى به، وأكثر من تلاوته يريد فهم هذه الأخلاق، ويريد العلم بها وجد ذلك».



الوقف الثانية في: حقيقة حسن الخلق، ومقوماته، وأركانه

حقيقة حسن الخلق: الاستقامة على دين الله ﷻ، وتقواه، بفعل ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى الله عنه ورسوله، وله مقومات وأركان أربعة يقوم عليها.

أ- الأركان الأساسية لحسن الخلق:

قال ابن القيم: «الدين كله خُلُق، فمن زاد عليك في الخُلُق زاد عليك في الدين. وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان، لا يُتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل.

(١) في ص ٧ طبع ونشر دار الوطن عام ١٤١٩ هـ. وانظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» لسماحة الشيخ

فالعصب: يحمّله على الاحتمال، وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم والأناة، والرفق، وعدم الطيش، والعجلة.

والعفة: تحمّله على اجتناب الرذائل والقبائح؛ من القول والفعل، وتحمّله على الحياء، وهو رأس كل خير، وتمنعه من الفحشاء، والبخل، والكذب، والغيبة والنميمة.

والشجاعة: تحمّله على عزة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشيم، وعلى البذل والندى الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب، ومفارقتها، وتحمّله على كظم الغيظ، والحلم.

والعدل: يحمّله على اعتدال أخلاقه، وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط، فيحمّله على خلق الجود والسخاء، الذي هو توسط بين التبذير والبخل، وعلى خلق الشجاعة الذي هو توسط بين الجبن والتهور، وعلى خلق الحلم الذي هو توسط بين الغضب والمهانة، وسقوط النفس.

ومنشأ جميع الأخلاق الفاضلة هذه الأربعة.

ومنشأ جميع الأخلاق السافلة وبنائها على أربعة أركان: الجهل، والظلم، والشهوة، والغضب.

فالجهل: يريه الحسن في صورة القبيح، والقبيح في صورة الحسن، والكمال نقصاً، والنقص كمالاً.

والظلم: يحمّله على وضع الشيء في غير موضعه، فيغضب في موضع الرضا، ويرضى في موضع الغضب، ويجهل في موضع الأناة، ويبخل في موضع البذل، ويبدل في موضع البخل، ويُجحم في موضع الإقدام، ويقدم في موضع الإحجام، ويلين في موضع الشدة، ويشتد في موضع اللين، ويتواضع في موضع العزة، ويتكبر في موضع التواضع.

والشهوة: تحمّله على الحرص، والشح، والبخل، وعدم العفة، والنهمة، والجشع، والذل، والدناءات كلها.

والغضب: يحمله على الكبر، والحقد، والحسد، والعداوات، والسفه»^(١).

ب- مراتب حسن الخلق:

يمكن تقسيم مراتب حسن الخلق إلى مرتبتين:

المرتبة الأولى: وهي المرتبة الكبرى والعظمى، وهي: حسن الخلق في معاملة الخالق ﷺ، وذلك بتصديق أخباره، وتلقي أحكامه بالقبول والتسليم، وتلقي أقداره بالصبر والرضا، بالإيمان به ﷺ، وتوحيده بإثبات ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، وصرف جميع أنواع العبادة له ﷺ وحده، والإخلاص له، وخوفه وخشيته، ورجاؤه، وتعظيمه، ومحبته، والإيمان بأركان الإيمان الستة، وبكل ما أوجب ﷺ الإيمان به، والإسلام والانقياد له، وطاعته، واتباع شرعه، والرضا بقدره، والتسليم لأمره، وغير ذلك.

المرتبة الثانية: حسن الخلق في التعامل مع الخلق، بمعاملتهم بالمعروف، وأداء حقوقهم الواجبة والمستحبة؛ من كف الأذى، وبذل الندى، وطلاقة الوجه، والإحسان، والعفو، وغير ذلك، وهذه المرتبة داخلة في المرتبة الأولى؛ لأن من حق الله تعالى: أداء حقوق عباده. والناس في هذا على أقسام: منهم من يوفِّق للقيام بحقوق الله تعالى، وحقوق عباده، وهذا هو الموفِّق حقًّا، وهو في المرتبة الأولى، ومنهم من يقوم بحقوق الله تعالى، ويفرط في حقوق عباده، أو يفرط في حقوق الله تعالى، ويقوم بحقوق عباده، وهذا مُفرط حقًّا، وأشد منه من يفرط في حقوق الله تعالى، وحقوق عباده.

الوقفه الثالثة في:

فضل حسن الخلق

يعد حسن الخلق من أنبل الصفات، وأعظمها، وأفضلها، وأشرفها، ويكفي في ذلك وصف الله ﷻ نبينا محمدًا ﷺ بذلك، وامتداحه به في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

(١) انظر: «مدارج السالكين» ٢/٣٤٨-٣٥٠ باختصار قليل.

[القلم: ٤]، فهو غاية الفضل، وأعلى الخصال، وأكمل الشمائل؛ لأن حقيقته الاستقامة التامة على دين الله ﷻ، وتقواه، وامتناله أمره للنبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقد رغب ﷺ في حسن الخلق في أحاديث كثيرة، تدل على فضل حسن الخلق، وعلو مكانته، سبق ذكر كثير منها.

وعن النّوّاس بن سَمْعَانَ ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم؟ فقال: «البر: حسن خلق، والإثم: ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطع عليه الناس»^(١).
وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل المؤمنين إيماناً: أحسنهم خلقاً، وإن حسن الخلق ليبليج درجة الصوم والصلاة»^(٢).

وعن أسامة بن شريك ﷺ، أن رسول الله ﷺ سئل: من أحب عباد الله إلى الله؟ قال: «أحسنهم خلقاً»^(٣).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: «تقوى الله وحسن الخلق»^(٤).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مر رجل بغصن شجرة على طريق، فقال: والله لأنحين هذا عن المسلمين؛ لا يؤذيهم. فأدخل الجنة»^(٥).

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٥٣)، والترمذي في الزهد (٢٣٨٩)، وأحمد ٤/١٨٢ (١٧٦٣١).

(٢) أخرجه البزار ٣١/١٤ (٧٤٤٥)، وأبو يعلى ١٨٤/٧ (٤١٦٦)، والدولابي في «الكنى والأسماء» (٩٧٨/٣)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» ٩٩٣/٥ (١٦٦٦). قال الهيثمي في «المجمع» (٥٨/١): «رواه البزار، ورجاله ثقات». وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٩٠).

(٣) أخرجه ابن حبان ٢٣٦/٢ (٤٨٦)، والطبراني في «الكبير» ١٨١/١ (٤٧١). وصححه الألباني في «التعليقات الحسان» (٤٨٦).

(٤) أخرجه الترمذي في البر والصلة (٢٠٠٤)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٤٦)، وأحمد ٢/٤٤٢ (٩٦٩٦). وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٩٧).

(٥) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب (١٩١٤).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله كريم، يحب الكرم، ومعالي الأخلاق، ويُبغض سَنَسَافَهَا»^(١).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ»^(٢).

وعنه رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «تَسْمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ»^(٣).

وقال رضي الله عنه لأشجَّ عبد القيس: «إِنْ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ»^(٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن عُبَيْنَةَ بْنَ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ دَخَلَ عَلَى عُمَرَ رضي الله عنه، فَقَالَ: هِيَ يَا ابْنَ الْخَطَابِ، فَوَاللَّهِ مَا تَعْطِينَا الْجُرْلَ، وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ. فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ بْنُ قَيْسِ بْنِ أَخِي عُبَيْنَةَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وَإِنْ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ. فَوَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ^(٥).

وكما رَغِبَ الْإِسْلَامُ فِي حَسَنِ الْخَلْقِ، وَحَثَّ عَلَيْهِ، وَبَيَّنَّ فَضْلَهُ، فَقَدْ حَذَرَ مِنْ ضَدِّهِ، وَهُوَ سُوءُ الْخَلْقِ، بِجَمِيعِ مَظَاهِرِهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفُسُوقِ، وَالْعَصْيَانِ، وَالْكَذْبِ، وَالْفُجُورِ، وَقِسْوَةِ الْقُلُوبِ، وَجَمِيعِ الشُّرُورِ.

قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَتْ

(١) أخرجه الحاكم (٤٨/١) بإسنادين، والبيهقي (١٠/١٩١). قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسنادين جميعاً، ولم يخرجاه». وصححه الألباني في «الصحيححة» (١٣٧٨).

(٢) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٦٢٦)، وأحمد ١٧٣/٥ (٢١٥١٩).

(٣) أخرجه الترمذي (١٩٥٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٩١)، والبخاري ٤٥٧/٩ (٤٠٧٠)، وابن حبان ٢٢١/٢ (٤٧٤). قال الترمذي: «حسن غريب». وصححه الألباني في «الصحيححة» (٥٧٢).

(٤) أخرجه مسلم في الإيمان (١٧)، والترمذي في البر والصلة (٢٠١١)، وابن ماجه في الزهد (٤١٨٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنه. وأخرجه مسلم في الموضوع السابق (١٨)، وأحمد ٢٢/٣ (١١١٧٥) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري في تفسير سورة الأعراف (٤٦٤٢)، وفي الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٦).

لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿ [الإسراء: ٥٣].

وقال تعالى محدِّراً المؤمنين من أن يطول عليهم الأمر فتقسو قلوبهم كأهل الكتاب: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء»^(١).

قال حافظ إبراهيم^(٢):

فإذا رُزِقَتْ خليقةً محمودَةً فقد اصطفاك مقسِّمُ الأرزاقِ
فالناس هذا حظُّه مال، وذا علم، وذاك مكارم الأخلاقِ
وقال الآخر:

أحبُّ مكارم الأخلاقِ جهدي وأكرهه أن أعيبَ وأن أعابا
وأعرضُ عن سبابِ الناسِ جهدي وشرُّ الناس من يهوى السبابا^(٣)

الوقفه الرابعة في:

الأسباب المعينة على حسن الخلق

الأسباب المعينة على التحلي بحسن الخلق كثيرة جداً، من أهمها ما يلي:

❖ التوفيق من الله تعالى للعبد، واصطفاءه لهذا الخلق العظيم.

❖ الإخلاص لله تعالى، واتباع شرعه، والصدق في طلب النجاة.

(١) أخرجه الترمذي في البر والصلة (١٩٧٧)، وأحمد ١/٤٠٤، ٤١٦ (٣٨٣٩، ٣٩٤٨). قال الترمذي:

«حسن غريب». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٢٠).

(٢) انظر: «ديوانه» ص (٢٨٠).

(٣) البيتان للحسين بن عبد الرحمن. انظر: «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا ص (٣٠).

❖ تدبر القرآن الكريم، وما جاء فيه من الترغيب والحث على حسن الخلق، وامتداح أهله، والثناء عليهم، وما فيه من الوعد والبخشارة لهم في الدنيا والآخرة.

❖ التأمل في سيرة نبينا محمد ﷺ، والافتداء به، فلنا به أسوة صلوات الله وسلامه عليه، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

❖ التأمل في سنته ﷺ، وما جاء فيها من الترغيب في حسن الخلق، وبيان فضله، وما أعد لأهله من الخير في الدنيا والآخرة.

❖ التأمل في سيرة السلف الصالح رضوان الله عليهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم، ومن بعدهم من أهل العلم والفضل، وما هم عليه من عظيم الأخلاق، وجميل الصفات.
قال الشاعر:

فَتَشَبَّهُوا إِنْ لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ إِنْ التَّشْبَهَ بِالْكَرَامِ فَالْفَاحُ^(١)

❖ صحبة الأخيار، ومجالسة الصالحين، فالمرء من جلسه، والصاحب صاحب، قال ﷺ: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل»^(٢)، وقال ﷺ: «مثل المجلس الصالح والمجلس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير...» الحديث^(٣).

وقد قال الله ﷻ: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ بَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا﴾^(٤) يَوْمَئِذٍ لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَا تَأْخِلِيلاً^(٥) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا

(١) انظر: «نفع الأزهار» ص (٩)، و«صيد الأفكار» (٤١).

(٢) أخرجه أبو داود في الأدب (٤٨٣٣)، والترمذي في الزهد (٢٣٧٨)، وأحمد ٢/ ٣٣٤ (٨٤١٧) من حديث أبي هريرة ﷺ. قال الترمذي: «حسن غريب». وصححه الألباني في «الصحيفة» (٩٢٧).

(٣) أخرجه البخاري في الذبائح والصيد (٥٥٣٤)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٦٢٨) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ. وأخرجه أبو داود في الأدب (٤٨٢٩) من حديث أنس ﷺ.

[الفرقان ٢٧-٢٩].

قال الشاعر:

إذا ما صحبت القومَ فاصحب خيارهم
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي
فكلُّ قرينٍ بالمقارنِ يقتدي^(١)

وقال الآخر:

عدوى البليد إلى الجليد سريعة

والجمرُ يوضعُ في الرمادِ فيخمدُ^(٢)

وقال الآخر:

اخترَ صديقك واصطفيه تفاخرًا
إن القرينَ إلى المقارنِ يُنسبُ^(٣)

❁ دعاء الله ﷻ، والتضرع إليه بطلب الهداية إلى هذا الخلق العظيم.

قال ﷻ: «اهدني لأحسن الأخلاق؛ لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها؛

لا يصرف سيئها إلا أنت»^(٤).

وقال ﷻ: «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق، والأعمال، والأهواء»^(٥).

وعن زيد بن أرقم ﷺ، أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها

أنت خيرٌ من زكاها، أنت وليها ومولاها»^(٦).

❁ سلامة القلب من الحقد، والحسد، والغل على عباد الله تعالى، ومن الشح،

والشحناء، والعداوة، والبغضاء.

(١) البيتان لعدي بن زيد. انظر: «بهجة المجالس» ص (١٥١).

(٢) البيت لأبي بكر الخوارزمي. انظر: «روض الأخيار، المنتخب من ربيع الأبرار» ص (٣٨٨).

(٣) البيت لعلي بن أبي طالب ﷺ، انظر: «ديوانه» ص (٤٩)، و«حياة الحيوان الكبرى» (١/٥١).

(٤) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٧٧١)، وأبو داود في استفتاح الصلاة (٧٦٠)، والنسائي في الافتتاح

(٨٩٧)، والترمذي في الدعوات (٣٤٢١)، وأحمد ١/٩٤ (٧٢٩) من حديث علي بن أبي طالب ﷺ.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٥٩١) من حديث زياد بن علاقة عن عمه قطبة بن مالك ﷺ. قال الترمذي: «حسن

غريب». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٩٨).

(٦) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٢)، والنسائي في الاستعاذة (٥٤٥٨)، وأحمد ٤/٣٧١ (١٩٣٠٨).

قال الشاعر:

مَنْ سَأَلَ النَّاسَ يَسَلِمَ مِنْ غَوَائِلِهِمْ وَعَاشَ وَهُوَ قَرِينُ الْعَيْنِ جَدْلَانُ^(١)
وقال الآخر:

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ^(٢)
وقال الآخر:

لَا يَحْمِلُ الْحِقْدَ مَنْ تَعَلَّوْا بِهِ الرَّتْبُ وَلَا يَنَالُ الرِّضَا مَنْ طَبَعَهُ الْغَضَبُ^(٣)

✽ مجاهدة النفس بالأخذ بمقومات حسن الخلق، وهي: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل، فهذه أربعة هي أركان حسن الخلق، كما قال ابن القيم رحمته^(٤)، وهي التي بها مجاهدة النفس ومحاسبتها، حتى يكون حسن الخلق لها منهجاً وسلوكاً، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وينبغي أن يعلم أن العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، والخلق بالتحلُّق، كما قال رحمته:
«من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما العلم بالتعلم»^(٥).

وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه: «العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، ومن يتحرَّ الخير

(١) البيت لأبي الفتح البستي، انظر: «تاريخ الإسلام» (٣٢/٩)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٢٩٥/٥).

(٢) البيت للشافعي. انظر: «ديوانه» ص (٢٨)، و«الأدب الشرعية» (٥٣/١)، و«روض الأخيار، المنتخب من ربيع الأبرار» ص (١٧٧).

(٣) البيت لعنترة، انظر: «ديوانه» ص (٩).

(٤) كما سبق ذكره في حقيقة حسن الخلق، ومقوماته، وأركانه.

(٥) أخرجه البخاري معلقاً في العلم، باب العلم قبل القول والعمل، قبل (٦٨)، وانظر: «فتح الباري» (١٥٩/١). وأخرجه الطبراني في «الكبير» ٣٩٥/١٩ (٩٢٩)، وفي «مسند الشاميين» ٤٣١/١ (٧٥٨) من حديث معاوية رضي الله عنه مرفوعاً: «يا أيها الناس، إنما العلم بالتعلم، والفقهاء بالتفقه، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما يخشى الله من عباده العلماء». قال الهيثمي في «المجمع» (١/١٢٨): «رواه الطبراني في «الكبير»، وفيه رجل لم يسم، وعتبة بن أبي حكيم وثقه أبو حاتم، وأبو زرعة، وابن حبان، وضعفه جماعة». وحسن الحافظ ابن حجر إسناده في «فتح الباري» (١/١٦١).

يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقَهُ» (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» (٢).

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: ذلّني على عملٍ يُدخِلني الجنة. قال: «لا تغضب» فردد مرارًا، قال: «لا تغضب» (٣).

قال الشاعر:

بعلمٍ وحلمٍ سادَ في قومهِ الفتى وكونك إياه عليك يسيرٌ (٤)
وقال الآخر:

ولم أجد الأخلاق إلا تخلقًا ولم أجد الأفضال إلا تفضلاً (٥)
وقال الآخر:

وما المرء إلا حيثُ يجعلُ نفسه فكن طالبًا في الناسِ أعلى المراتبِ (٦)
وقال الآخر:

وما المرءُ إلا حيثُ يجعلُ نفسه ففي صالحِ الأعمالِ نفسك فاجعلِ (٧)

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الحلم» ص (٢٠)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/١٨٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/٤٤٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٣٤٢).

(٢) أخرجه مالك في حسن الخلق (٢/٩٠٦)، والبخاري في الأدب (٦١١٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٠٩)، وأحمد ٢/٢٣٦ (٧٢١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب (٦١١٦)، والترمذي في البر والصلة (٢٠٢٠)، وأحمد ٢/٤٦٦ (١٠٠١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) انظر: «شرح الشواهد الشعرية» ١/٤٠٤.

(٥) البيت لأبي تمام حبيب بن أوس. انظر: «موسوعة الأخلاق» للخراز ص (٤٩)، و«صيد الأفكار» في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال» للقاضي: حسين بن محمد المهدي (١/٦٩٠).

(٦) البيت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه. انظر: «ديوانه» ص (١٥).

(٧) البيت لأبي الحارث جَمِين. انظر: «البغال» للجاحظ ص (٣٤). أو لأبي الميالح العبدى. انظر: الحماسة البصرية (٢/٢٣).

وقال المتنبي^(١):

على قَدْرِ أَهْلِ الْعِزْمِ تَأْتِي الْعِزَامُ وتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
وتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صَغَارُهَا وتصَغُرُ فِي عَيْنِ الْكَبِيرِ الْعِظَائِمُ

وقال أيضًا^(٢):

وإذا كانتِ النفوسُ كبارًا تعبتُ في مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ
وقال الآخر:

عوذُ لسانِكَ قولَ الصِّدْقِ تَحْظُ بِهِ إنَّ اللِّسانَ لما عودتَ يَعْتادُ^(٣)

الوقفه الخامسة في:

آثار حسن الخلق، ومنافعه، وثماره

رتب الدين الإسلامي والشرع الحنيف على حسن الخلق آثارًا جلييلة، ومنافع عظيمة،

وثمارًا كثيرة، من أهمها ما يلي:

❖ محبة الله تعالى لمن اتصف بحسن الخلق، وتوفيقه له، وثنائه على المتصفين بذلك، وامتداحه لهم، وبشارته لهم، ووعدهم بالقبول.

❖ محبة الرسول ﷺ لأهل الخلق الحسن، وامتداحه لهم بكمال الإيمان والتقوى، والخيرية، والبر، وبشارته لهم بقربهم منه مجلسًا يوم القيامة.

❖ محبة المؤمنين لهم، وثنائهم عليهم، ودعائهم لهم.

❖ سعادتهم في دنياهم، ومحبة الناس واحترامهم لهم وتقديرهم؛ لأن الأنفس جُبلت على حب من أحسن إليها، وحب من أحسن التعامل معها، ولو بكف شره وأذاه.

❖ كونهم دعاة إلى الإسلام بأخلاقهم، وتواضعهم، وأقوالهم، وأفعالهم، دون بذل

(١) انظر: «ديوانه» ص (٣٨٥).

(٢) انظر: «ديوانه» ص (٢٦١).

(٣) البيت مجهول القائل. انظر: «موارد الظمان، لدروس الزمان» (١/٣٧٢).

مال، أو غير ذلك، وقد قال الله ﷻ للنبي ﷺ: ﴿فِيمَا رَحِمَةً مِنَ اللَّهِ لَنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وهكذا فتح الصحابة رضوان الله عليهم قلوب الناس للإسلام؛ بأخلاقهم، وتواضعهم، وأقوالهم، وأفعالهم الحسنة الحميدة.

❖ السلامة من نزغ الشيطان، وإفساده على المرء دينه، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

قال عمر بن الخطاب ﷺ لقبیصة بن جابر: «إن الشاب يكون عنده عشرة أخلاق، تسعة منها حسنة، وخلق واحد سيء، يفسد تلك التسعة، فإياك وعثرات الشباب!»^(١).

❖ ثقل الموازين، والأجر العظيم، والظفر بخيري الدنيا والآخرة.

❖ دخول الجنة - نسال الله من فضله - فقد سئل ﷺ: ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: «تقوى الله، وحسن الخلق»^(٢).

❖ صلاح أمر العبد في دينه ودنياه وأخراه، وهذا مضمون ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وقد أحسن القائل:

صَلَحُ أَمْرِكَ لِلْأَخْلَاقِ مَرَجِعُهُ فِقْوَمُ النَّفْسِ بِالْأَخْلَاقِ تَسْتَقِمُ^(٣)
وقال الآخر:

كُنْ ابْنَ مَنْ شِئْتَ وَاکْتَسِبْ أَدَبًا يَغْنِيكَ مَحْمُودُهُ عَنِ النَّسَبِ
إِنَّ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ: هَأَنْذَا لَيْسَ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ: كَانَ أَبِي^(٤)

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» ٤/٤٠٦، ٢٠٧ (٨٢٣٩، ٨٢٤٠)، والطبري في «جامع البيان» (٨/٦٩١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ٤/١٢٠٦ (٦٨٠٤)، والحاكم (٣/٣١٠)، والبيهقي (٥/١٨١). قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه».

(٢) سبق تخريجه.

(٣) البيت لأحمد شوقي. انظر: «الشوقيات» ص (٢٦١).

(٤) البيتان لأبي العتاهية. انظر: «جمهرة الأمثال» (٢/٣١٢).

وقال الآخر:

وهل ينفع الفتیانَ حسنٌ وُجُوهُهُم إِذَا كَانَتِ الْأَخْلَاقُ غَيْرَ حَسَانٍ (١)
 ❁ به رقي الأمم والشعوب، وتقدمها، قال أحمد شوقي:

وإنما الأممُ الأخلاقُ ما بَقِيَتْ فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا (٢)
 وقال الآخر:

وليس بعامرٍ بُنيانٌ قومٍ إِذَا أَخْلَاقُهُمْ كَانَتِ خَرَابًا (٣)
 ❁ وأخيرًا فإن حسن الخلق غنيمة باردة لمن وفقه الله لذلك؛ قال ❁: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طلق» (٤)، وقال ❁: «تبسّمك في وجه أخيك صدقة» (٥).

وفي حديث أبي هريرة ❁ قال: قال رسول الله ❁: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ» (٦)، وفي رواية قال: «أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟ قال ❁: «تَكُفُّ شَرَكُكَ عَنِ النَّاسِ؛ فَإِنهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ» (٧).



(١) انظر: «نفع الأزهار» ص (٦٠)، و«السحر الحلال» ص (١٠٦).

(٢) انظر: «شعر شوقي في ميزان النقد» ص (٨٥).

(٣) البيت لأحمد شوقي. انظر: «الشوقيات» ص (٦٥).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه الترمذي في البر والصلة (١٩٥٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٩١) من حديث أبي ذر ❁.

قال الترمذي: «حسن غريب». وصححه الألباني في تحقيقه «الأدب المفرد» (٦٨٨)، «الصحيححة» (٥٧٢).

(٦) سبق تخريجه.

(٧) أخرجه مسلم في الإيمان (٨٤) من حديث أبي ذر ❁.

وقفتان في: مشروعية الوقف

قال الله تعالى: ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠]

الوقفة الأولى

معنى الوقف، وحكمه، وحكمته، وأقسامه

أ- معنى الوقف:

الوقف في اللغة: الحبس والمنع^(١).

وفي الشرع: تحبيس الأصل، وتسبيل الثمرة^(٢).

يقال: الوقف، والمراد به الموقوف.

ب- حكم الوقف:

الوقف مستحبٌ ومندوب إليه، وهو نوع من الصدقة التي تواترت الأدلة من الكتاب والسنة على الحث عليها والترغيب فيها، وسيأتي ذكر بعضها.

ج- الحكمة من مشروعية الوقف:

الحكمة من مشروعية الوقف تتمثل في أمرين:

الأول: حصول الواقف على الأجر العظيم في حياته، الذي يبقى ويستمر بعد وفاته، ولهذا فإن من شرط صحة الوقف الشرعي: أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى، وأن يكون في سبيل البر والخير، وفيما يجوز، لا فيما يحرم.

الثاني: تأمين مصدر اقتصادي لدعم جهات الخير والبر والإحسان في الأمة الإسلامية

(٢) انظر: «نهاية المطلب، في دراية المذهب» (٨/ ٣٤٠).

(١) انظر: «لسان العرب» مادة (وقف).

من مساعدة الفقراء، والمساكين، والمحتاجين، وبناء المساجد والمدارس، ودور الرعاية، والمستشفيات، وحفر الآبار، وإجراء الأنهار، وفتح الطرق وتعبيدها، وغير ذلك.

د- أقسام الوقف:

ينقسم الوقف إلى أقسام ثلاثة:

القسم الأول: الوقف الخاص، وهو الوقف على أناس معينين؛ كالذرية والأهل والأقارب، أو على الفقراء خاصة، أو على أي جهة؛ كبناء المساجد، أو غير ذلك، وهذا يجب فيه الأخذ بنص الواقف وشرطه، وصرفه فيما خصص له.

القسم الثاني: الوقف العام على جهات الخير والبر والإحسان؛ من مساعدة الفقراء، والمساكين، والمحتاجين، وبناء المساجد، والمدارس، والمستشفيات، ودور الرعاية، وحفر الآبار، وإجراء الأنهار، وغير ذلك.

القسم الثالث: الوقف المشترك وهو الذي يجمع فيه الواقف بين الوقف الخاص على أناس معينين؛ كالذرية ونحوهم، أو على جهات معينة؛ كالفقراء، أو بناء المساجد، أو غير ذلك، وبين الوقف العام على جهات الخير والبر والإحسان، وهذا أفضل.

وينبغي أن يحرص الواقف على الجمع بين الحسنين، فيجعل من الوقف نصيباً خاصاً على ذريته، وأقاربه، وخاصة المحتاجين منهم، ويجعل منه نصيباً عاماً على جهات الخير والبر والإحسان.

وينبغي أن يجعل للناظر الحق في صرفه على ما يراه أولى من هذه الجهات.



الوقف الثانية

فضل الوقف وأهميته، ومصارفه

أ- فضل الوقف وأهميته:

الوقف من أفضل أعمال الخير والبر والإحسان، وهو صدقة جارية، وقد توافرت

الأدلة من الكتاب والسنة على الأمر بفعل الخير والمساابقة إليه، وبيان فضل الصدقة، وعظيم أجرها، وجزيل ثوابها.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَسَجْدُوا وَعِبَدُوا رَبِّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، وقال تعالى: ﴿فَأَسْتَفِئُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨، والمائدة: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّهِ وَاللَّذِينَ وَأَلْقَابِهِنَّ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥].

وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَصْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ أُتْبِعَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَتَّبِعَاتًا مِنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ حَبَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أَكْثَلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، وقال تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ أُتْبِعَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧]، وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١١]، وقال تعالى:

﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهِمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَبَنِينَ وَأَسِيرًا﴾ (٨) ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان: ٨، ٩].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: أصاب عمر أرضاً بخير، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله، إني أصبت أرضاً بخير لم أصب مالا قط هو أنفس عندي منه، فما تأمرني به؟ قال: «إن شئت حبست أصلها، وتصدقت بها». قال: فتصدق بها عمر، أنه لا يباع أصلها، ولا يبتاع، ولا يورث، ولا يوهب، قال: فتصدق عمر في الفقراء، وفي القربى، وفي الرقاب، وفي سبيل الله، وابن السبيل، والضيف، ولا جناح على من وليها أن يأكل بالمعروف، أو يطعم صديقاً غير متمول فيه» (١).

وجاء في رواية: «حبس أصلها، وسبب ثمرتها» (٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» (٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل» (٤).

(١) أخرجه البخاري في الشروط (٢٧٣٧)، ومسلم في الوصية (١٦٣٢)، وأبو داود في الوصايا (٢٨٧٨)، والنسائي في الأحباس (٣٥٩٩، ٣٦٠٠)، والترمذي في الأحكام (١٣٧٥)، وابن ماجه في الأحكام (٢٣٩٦)، وأحمد ١٢/٢ (٤٦٠٨).

(٢) أخرجه النسائي في الموضع السابق (٣٦٠٤، ٣٦٠٥)، وابن ماجه في الأحكام (٢٣٩٧). وانظر: «نيل الأوطار» (٢١/٦).

(٣) أخرجه مسلم في الوصية (١٦٣١)، وأبو داود في الوصايا (٢٨٨٠)، والنسائي في الوصايا (٣٦٥١)، والترمذي في الأحكام (١٣٧٦).

(٤) أخرجه البخاري في الزكاة (١٤١٠)، ومسلم في الزكاة (١٠١٤)، والنسائي في الزكاة (٢٥٢٥)،

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا ابن آدم، أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ» (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مَوْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كَرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مَعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» (٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ» (٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غَنَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ» (٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنْ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمَصْحَفًا وَرَثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ» (٥).

قال السيوطي:

إذا مات ابنُ آدمَ ليسَ يجري
عليه من فعال غير عشرٍ
علوم بثَّها ودعاء نَجَلٍ
وغرس النخلِ والصدقات تجرِي

والترمذي في الزكاة (٦٦١)، وابن ماجه في الزكاة (١٨٤٢).

(١) أخرجه البخاري في التفسير (٤٦٨٤)، ومسلم في الزكاة (٩٩٣)، وابن ماجه في الكفارات (٢١٢٣)، وأحمد ٢/٢٤٢ (٧٢٩٨).

(٢) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٩)، وأبو داود في الأدب (٤٩٤٦)، والترمذي في الحدود (١٤٢٥)، وابن ماجه في المقدمة (٢٢٥).

(٣) أخرجه مالك في اللباس (٩٢٩/٢)، والبخاري في المساقاة (٢٣٦٣)، وفي المظالم والغصب (٢٤٦٦)، ومسلم في السلام (٢٢٤٤)، وأبو داود في الجهاد (٢٥٥٠)، وأحمد ٢/٣٧٥ (٨٨٧٤).

(٤) أخرجه البخاري في الزكاة (١٤٢٦)، وأبو داود في الزكاة (١٦٧٦)، والنسائي في الزكاة (٢٥٣٤)، والترمذي في الزكاة (٦٨٠).

(٥) أخرجه ابن ماجه في المقدمة (٢٤٢). وحسن الألباني إسناده في «أحكام الجنائز» (١/١٧٧).

وراثة مُصَحَّفٍ وَرِبَاطٌ تُغْرٍ وحفر البئر أو إجراء نهر
وبيت للغريب بناه يَأُوي إليه أو بناء محلِّ ذِكْرٍ^(١)
عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «لم يكن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو قُدرة إلا وقف»^(٢).

وقد ذُكر أن رجلاً جاء إلى العلامة عبد الرحمن بن ناصر السَّعدي رضي الله عنه، فسأله: أيهما أفضل: الصدقة حال الحياة أو الوصية؟ فقال له: أيهما أفضل: أن يكون أمامك سراج واحد، أو أن يكون خلفك سراجان؟ فقال الرجل: بل الأفضل أن يكون أمامي سراج واحد، فقال: إذن فتصدَّقْ وأنت حيٌّ. أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

وذكر أيضًا أن رجلاً جاء إلى سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رضي الله عنه فسأله: أيهما أفضل: الوقف والصدقة، أو الوصية؟ فقال له رضي الله عنه: أيهما أفضل إذا أردت أن تسافر: أن تحمل زادك معك، أو تقول لأولادك: اتبعوني بالزاد؟ قال: بل الأفضل أن أحمله معي، فقال: إذن فالوقف والصدقة في الحياة أفضل، أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

ب- مصارف الوقف:

مصارف الوقف الخاص هي ما نص عليه الواقف:

أما مصارف الوقف العام المطلق في وجوه الخير والبر والإحسان كلها فيجب على الناظر على الوقف أن يجتهد في النظر في الأولى والأحوج من وجوه البر في كل وقت وحال؛ من مساعدة الفقراء، والمساكين، أو تعليم القرآن والسنة، والإنفاق على طلاب العلم، أو بناء المساجد والمدارس، والمستشفيات، أو دور الرعاية، أو كفالة الأيتام،

(١) «الديباج، على صحيح مسلم بن الحجاج» (٢٢٨/٤). وانظر: «حاشية الشبرمليسي بهامش نهاية المحتاج» (٣٥٨/٥).

(٢) أخرجه أبو بكر الخصاص في «أحكام الأوقاف» (١٥) كما في «التحجيل» لعبد العزيز الطريفي (٢٥١). وسكت عنه الألباني في «الإرواء» (١٥٨١). وانظر: «المغني» بهامش «الشرح الكبير» (١٨٥/٦)، و«البحر الزخار» (١٤٨/٤).

والأرامل، أو حفر الآبار، أو إجراء الأنهار، أو فتح الطرق، أو غير ذلك.

ولا مانع أن يصرف غلة الوقف في مصرف واحد عند اشتداد الحاجة، كما إذا حل بالناس مجاعة وقحط وجذب فيجعله كله في إطعام المحتاجين، وإنقاذهم من الموت. ومثله إذا احتاج الناس لبناء مسجد، أو حفر بئر، أو غير ذلك، كما أنه لا مانع أن يجعله هذه السنّة في مصرف، والتي بعدها في مصرف آخر، وهكذا، لكن عليه الاجتهاد في صرفه فيما هو أولى وأحق وأحوج حسب طاقته وقدرته.

ج- وصيتي لأصحاب الأموال:

أوصي أصحاب الأموال من رجال الأعمال وغيرهم بأمرين:

الأمر الأول: أن يتأمل كل منهم قول الله ﷻ: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧]، وقوله ﷻ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ، وَهُوَ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١١]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُضْذِفِينَ وَالْمُضْذِفَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١٨].

وقوله ﷻ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(١).

الأمر الثاني: أن يبادر كل منهم إلى تخصيص قسط من ماله، وجعله وقفًا ومبرة خيرية يديرها بنفسه، ويضع أسسها وينظم عملها في حياته، ويطمئن إلى بقائها واستمرارها بعد وفاته، وحبذا كونها في بلده؛ ليستفيد منها أقاربه وجيرانه، وأهل الحاجة في بلده، فالأقربون أولى بالمعروف.

والملاحظ أن كثيرًا من الأوقاف تتعثر بعد وفاة الواقف لأسباب عدة، لكن إذا أسسها الإنسان بنفسه في حياته، ونظمها بدءًا بأصولها، وانتهاء بثمرتها، ومخرجاتها، ومصارفها، فهذا بإذن الله تعالى من أسباب ضمان استمرارها وبقائها.

(١) سبق تخريجه قريبًا.

قال ﷺ: «وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَنْفَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ»^(١). وفي رواية: «وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ»^(٢).



(١) أخرجه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٥٨)، والنسائي في الوصايا (٣٦١٣)، والترمذي في الزهد (٢٣٤٢)، وأحمد ٤/ ٢٤ (١٦٣٠٦) من حديث عبد الله بن الشيخير ﷺ.

(٢) أخرجها مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٥٩)، وأحمد ٢/ ٣٦٨ (٨٨١٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وقفة في: العدل والإنصاف من النفس

قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾﴾

﴿وَلِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزِنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾ [المطففين: ١-٣]

العدل هو: الحكم بالحق، وقول الحق، ضد الجور والظلم، والكذب، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢]، أي: بالعدل، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢]

والإنصاف: قول الإنسان الحق، والحكم به على نفسه، أي: إعطاء الآخرين من نفسه كالذي يستحقه لنفسه، أي: العدل بأخذ الحق، وإعطاء الحق (١).

وأكثر ما يُستعمل الإنصاف في الإنصاف من النفس، فهو أخص من العدل، كما يُستعمل بمعنى العدل بمعناه العام.

أما العدل فهو عام في العدل في الأمور كلها، مع النفس، ومع جميع الخلق، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] وهو عام في أداء جميع حقوق الله تعالى، وحقوق الخلق.

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

(١) انظر: «لسان العرب» مادة «نصف».

وقال ﷺ: «إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولزوجك عليك حقًا، ولزورك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه»^(١).

وأساس العدل التوحيد، وهو عام في أداء جميع حقوق الله تعالى، وحقوق الخلق. والأدلة الدالة على وجوب العدل، والنهي عن ضده، من الجور والظلم دالة على وجوب الإنصاف من النفس من باب أولى؛ لأن أعدل العدل الإنصاف من النفس، وقول الحق على النفس ولو كان مرًا. والإنصاف من النفس مركب صعب، لا يستطيعه، ولا يلقاه إلا ذو حظ عظيم، اختاره الله تعالى، واصطفاه ووقفه.

فكم من إنسانٍ يستطيع قيام الليل، وصيام النهار، وإنفاق الأموال في أعمال البر، والقيام بكثير من الطاعات، لكنه يقف عاجزًا عن الإنصاف من نفسه، وإن ادعى ذلك، فهو كما قيل^(٢):
 وَكُلُّ يَدَّعِيٍّ وَصَلًّا بَلِيلِي وَلَيْلِي لَا تُقِرُّ لَهُمْ بِذَاكَ
 وَصَدَقَ الْقَائِلُ^(٣):

ومن قلة الإنصاف أنك تبغى الـ مَهْدَبَ فِي الدُّنْيَا وَلَسْتَ الْمَهْدَبَا
 عن المعرور بن سويد ﷺ قال: لقيت أبا ذر بالربذة، وعليه حلة، وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال: إني ساببت رجلاً فغيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ: «يا أبا ذر، أغيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم حوْلُكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم من الأعمال ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»^(٤).

(١) أخرجه البخاري في الصوم (١٩٦٨)، وفي الأدب (٦١٣٩)، والترمذي في الزهد (٢٤١٣) من حديث أبي جحيفة ﷺ.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية ٤ / ٧١.

(٣) البيت لابن الرومي. انظر: «الخصائص الواضحة» ص ٥٤٦، «زهر الأكم» ١ / ٣٠١.

(٤) أخرجه البخاري في الإيمان (٣٠)، ومسلم في الإيمان (١٦٦١)، وأبو داود في الأدب (٥١٥٧، ٥١٥٨)، والترمذي في البر والصلة (١٩٤٥)، وابن ماجه في الأدب (٣٦٩٠).

وفي هذا أروع الأمثلة في الإنصاف، فرضي الله عنك يا أبا ذرٍّ وأرضاك.
وقد أعجبني موقف لأحد أعمامي عليه السلام جاء يخطب لابنه ابنة خالٍ له عليه السلام، فقال له خاله: يا
أبا محمد، هل تشير بولدك؟ يعني: هل تنصحنى أن أزوجه؟ فقال عليه السلام: لا والله يا خال، ما أشير
به. يعني: لا أنصحك بتزويجه. وكان عليه السلام لاحظ على ابنه أمرًا يسيرًا لا يمنع من تزويجه - اللهم
اغفر له وارحمه - . جاء يخطب لولده، وأشار على والد البنت ألا يزوجه لما استشاره!
ما أصعبَ هذا وأشدَّه على النفوس!
اللهم وفقنا للإنصاف من أنفسنا، وقول الحق وقبوله، وإن كان علينا، اللهم آمين، يا رب
العالمين.



وقفة في: فضل عشر ذي الحجة، وفضل الأعمال الصالحة فيها، والأعمال التي تتأكد مشروعيتها فيها

قال الله تعالى: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١]

أ- فضل عشر ذي الحجة، وفضل الأعمال الصالحة فيها:

عشر ذي الحجة من أفضل الليالي والأيام، أقسم الله ﷻ بها، فقال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ١
وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١، ٢]، وقال تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ
مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٧].

وهي أيام العشر، وأيام التشريق.

والعمل الصالح في هذه الأيام العشر من أحب الأعمال إلى الله تعالى، وأفضلها، فعن
ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله
من هذه الأيام العشر». قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا
رجل خرج بنفسه وماله، ولم يرجع من ذلك بشيء»^(١).

والعمل الصالح يشمل الواجب والمندوب.

وأحب الأعمال إلى الله تعالى، وأفضلها في هذه الأيام العشر - كما هو في غيرها -
المحافظة على الفرائض؛ على الصلاة في وقتها، وعلى صلاة الجماعة، وأداء حقوق الله
تعالى، وحقوق الخلق، كما قال تعالى في الحديث القدسي: «وما تقرب إلي عبدي بشيء

(١) أخرجه أبو داود في الصوم (٢٤٣٨)، والترمذي في الصوم (٧٥٧)، وابن ماجه في الصيام (١٧٢٧)،
وأحمد ١/٣٤٦ (٣٢٢٨)، والدارمي ٢/٤١ (١٧٧٣، ١٧٧٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنه. وصححه
الألباني في «صحيح أبي داود» (٢١٠٧).

أحب إليّ مما افترضته عليه»^(١).

كما يُستحب الإكثار فيها من نوافل العبادات من الصلاة، والصدقة، والصيام، والذكر، وقراءة القرآن، والدعوة إلى الخير، وغير ذلك من الأعمال الصالحة، مع الكف عن المحرمات، وما لا ينبغي.

ب- الأعمال التي تتأكد مشروعيتها في عشر ذي الحجة:

كل الأعمال الصالحة مشروعة في هذه الأيام العشر، كما دل على ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنه وغيره.

لكن هناك أعمال خمسة تتأكد مشروعيتها أكثر من غيرها، وهي كما يلي:

أولاً: التكبير، وهو شعار هذه الأيام العشر، ومن أفضل الأعمال فيها؛ عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل، والتكبير، والتحميد»^(٢).

وقد ثبت عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما كانا يخرجان إلى السوق فيكبران، فيكبر الناس بتكبيرهما^(٣).

فينبغي أن يعجب الناس بالتكبير في مساجدهم، وبيوتهم، ومحلات عملهم، وأسواقهم: «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، والله أكبر، والله الحمد» وبغير ذلك من صيغ التكبير الثابتة.

وينبغي إحياء سنة التكبير في مجامع الناس تعليماً لهم، ودعوة، وتذكيراً؛ فإن من

(١) أخرجه البخاري في الرقاق (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٢/٧٥، ١٣١ (٥٤٤٦، ٦١٥٤)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٨٠٥)، وأبو عوانة في «مستخرجه على مسلم» ٢/٢٤٦ (٣٠٢٤)، والبيهقي (٣/٣٥٤). وأخرجه الطبراني في «الكبير» ١١/٨٢ (١١١١٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «المجمع» (١٧/٤): «هو في الصحيح باختصار التسييح، وغيره. رواه الطبراني في «الكبير»، ورجاله رجال الصحيح».

(٣) أخرجه البخاري معلقاً في كتاب العيدين، فضل العمل في أيام التشريق قبل (٩٦٩)، ووصله الفاكهي في «أخبار مكة» ٢/٣٧٢ (١٧٠٤). وصححه الألباني في «الإرواء» (٦٥١).

احتسب وخرج يكبر في مجامع الناس، في الأسواق، وأماكن العمل، والأماكن العامة، وغير ذلك، فإن له أجور من اقتدوا به، وقد يفوق بعمله هذا عمل من يقوم الليل، ويصوم النهار؛ لأن عمله هذا من الأعمال المتعدية، التي يتعدى نفعها إلى المسلمين، ومن الدعوة إلى الله، ونشر الخير.

وقد كان هذا هو دأب السلف رضي الله عنهم إلى عهد قريب.

والتكبير منه: التكبير المطلق الذي يبدأ بدخول شهر ذي الحجة، ويستمر إلى عصر آخر أيام التشريق، ويكون في جميع الأوقات.

ومنه التكبير المقيد بأدبار الصلوات الخمس، الذي يبدأ من فجر يوم عرفة، إلى عصر آخر أيام التشريق.

وقيته: بعد أن يسلم من الصلاة، يستغفر الله ثلاثاً، ثم يقول: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام»، ثم يشرع في التكبير ^(١).

فيقول: «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، والله الحمد» أو غير ذلك من صيغ التكبير الثابتة، ويستحب أن يكرر التكبير ثلاثاً، ثم يكمل بقية الأذكار الواردة بعد الصلاة.

جاء في: «مجموع فتاوى ابن باز» رضي الله عنه ^(٢):

«سائل يسأل عن التكبير المطلق والمقيد في عيد الأضحى؟»

الجواب: الحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما التكبير في الأضحى فم شروع من أول الشهر إلى نهاية اليوم الثالث عشر من شهر

(١) انظر: «فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم رضي الله عنه» ٣/١٢٨، و«الشرح الممتع» لابن عثيمين رضي الله عنه ٥/١٦٣.

(٢) في ١٣/١٧.

ذي الحجة؛ لقول الله سبحانه: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ﴾ الآية، وهي أيام العشر، وقوله ﷺ: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ الآية، وهي أيام التشريق؛ ولقول النبي ﷺ: «أيام التشريق أيام أكلٍ وشربٍ وذكر الله ﷻ»؛ رواه مسلم في «صحيحه»^(١)، وذكر البخاري في «صحيحه» تعليقا عن ابن عمر وأبي هريرة ﷺ أنها كانا يخرجان إلى السوق أيام العشر فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما^(٢).

وكان عمر بن الخطاب وابنه عبد الله ﷺ يكبران في أيام منى في المسجد وفي الخيمة ويرفعان أصواتهما بذلك حتى ترتج منى تكبيرا^(٣).

وروي عن النبي ﷺ وعن جماعة من الصحابة ﷺ التكبير في أدبار الصلوات الخمس من صلاة الفجر يوم عرفة إلى صلاة العصر من يوم الثالث عشر من ذي الحجة^(٤)، وهذا في حق غير الحاج، أما الحاج فيشتغل في حال إحرامه بالتلبية حتى يرمي جمره العقبة يوم النحر، وبعد ذلك يشتغل بالتكبير، ويبدأ التكبير عند أول حصاة من رمي الجمره المذكورة، وإن كبر مع التلبية فلا بأس؛ لقول أنس ﷺ: «كان يلبي الملبي يوم عرفة فلا ينكر عليه، ويكبر المكبر فلا ينكر عليه»، ولكن الأفضل في حق المحرم هو التلبية، وفي حق الحلال هو التكبير في الأيام المذكورة.

(١) في «صحيح مسلم» في الصيام (١١٤١)، وأخرجه أحمد ٥/٧٥ (٢٠٧٢٢) من حديث نبیسة الهذلي ﷺ.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري معلقا في العيدين، باب التكبير أيام منى، وإذا غدا إلى عرفة، قبل (٩٧٠). ووصله البيهقي (٣/٣١٢).

(٤) أخرجه الدارقطني في «سننه» (٢/٤٩ - ٥٠) من حديث علي وعمار وجابر مرفوعا. وأخرجه الحاكم (٢٩٩/١) من حديث عمار مرفوعا، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولا أعلم في رواته منسوبا إلى الجرح، وقد روي في الباب عن جابر بن عبد الله وغيره، فأما من فعل عمر وعلي وعبد الله بن عباس وعبد الله بن سعيد فصحيح عنهم التكبير من غداة عرفة إلى آخر أيام التشريق». وقال الألباني عن المرفوع في «الضعيفة» (٥٥٧٨): «موضوع». وانظر ما روي موقوفا في: «الآثار» لأبي يوسف ص (٦٠)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٤/١٩٥ - ١٩٩)، و«الأوسط» لابن المنذر (٤/٣٤٥ - ٣٤٩).

وبهذا تعلم أن التكبير المطلق والمقيد **يجتمعان** في أصح أقوال العلماء في خمسة أيام، وهي: يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق الثلاثة. وأما اليوم الثامن وما قبله إلى أول الشهر فالتكبير فيه مطلق لا مقيد؛ لما تقدم من الآية والآثار، وفي المسند عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، أنه قال: «ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد»، أو كما قال ﷺ.

ثانياً: الحج: مما تتأكد مشروعيته في هذه الأيام الحج، لمن تيسر له ذلك، ويجب على من لم يحج فرضه؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقال ﷺ: «إن الله كتب عليكم الحج، فحجوا»^(١).

وقال ﷺ: «من حج ولم يرفث، ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه»^(٢).

وقال ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»^(٣).

وعلى المسلم ألا يجعل الحج لزاماً كل عام، ويرتكب من أجل ذلك كثيراً من المخالفات؛ من مخالفة أنظمة الحج، والدخول حيلة، وبدون إحرام، وأذية رجال الأمن والقائمين على تنظيم الحج، وليعلم أن ما عند الله لا يُنال بهذه الوسائل الملتوية. وبإمكان من يريد أن يكتب له ثواب الحج: أن يبحث عن من لم يحج ممن لا يستطيعون ذلك مالياً، فيدفع له تكلفة الحج، ويفعل ذلك كل سنة، فمن جهز غازياً فقد غزا، وبإمكانه أن يتصدق بذلك على أهل الفقر والحاجة، فذلك أولى من ارتكاب المخالفات.

(١) أخرجه البخاري في النكاح (٥٠٦٣)، ومسلم في النكاح (١٤٠١)، والنسائي في النكاح (٣٢١٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في الحج (١٥٢١)، ومسلم في الحج (١٣٥٠)، والنسائي في مناسك الحج (٢٦٢٧)، وابن ماجه في المناسك (٢٨٨٩)، وأخرجه الترمذي في الحج، بنحوه (٨١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مالك في الحج (٣٤٦/١)، والبخاري في الحج (١٧٧٣)، ومسلم في الحج (١٣٤٩)، والنسائي في مناسك الحج (٢٦٢٩)، والترمذي في الحج (٩٣٣)، وابن ماجه في المناسك (٢٨٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ثالثاً: صيام يوم عرفة، فعن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «صيام يوم عرفة، أحسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده»^(١).

ويوم عرفة من أفضل الأيام، فينبغي الإكثار فيه من الدعاء؛ لأنه يوم تنزل فيه الرحمة، ويتجاوز الله فيه عن الذنوب العظام، كما في حديث طلحة بن عبيد الله بن كريب^(٢).

رابعاً: صلاة العيد: أجمع العلماء على أن صلاة العيدين مشروعة؛ لقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]؛ أي: فصلِّ صلاة العيد، وانحر أضحتك، وهذه الآية في صلاة عيد الأضحى بدلالة قوله: ﴿وَأَنْحَرْ﴾.

ومن أهل العلم من قال: هذه الآية عامة، وليست خاصة بصلاة العيد، ونحر الأضحية؛ أي: أفرد ربك بالصلاة والذبح، فهي كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [الأعام: ١٦٢، ١٦٣].

فلا دلالة في الآية على مشروعية صلاة العيد، ولا على وجوبها.

وعن أم عطية رضي الله عنها قالت: أمرنا رسول الله أن نخرجهن في الفطر، والأضحى: العواتق^(٣) والحِيص، وذوات الخدور^(٤). فأما الحِيص فيعتزلن الصلاة، ويشهدن الخير، ودعوة المسلمين. قلت: يا رسول الله، إحدانا لا يكون لها جلباب؟ قال: «لَتُلْبَسَهَا أُخْتَهَا

(١) أخرجه مسلم في الصيام (١١٦٢)، وأبو داود في الصوم (٢٤٢٥)، والترمذي في الصوم (٧٤٩)، وابن ماجه في الصيام (١٧٣٠)، وأحمد ٣٠٨/٥ (٢٢٦٢١).

(٢) أخرجه مالك في الحج (٤٢٢/١)، وعنه عبد الرزاق في «مصنفه» ٣٧٨/٤ (٨١٢٥)، ١٧/٥ (٨٨٣٢)، والطبري في «جامع البيان» (٢٢٤/١١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» ٤٩٨/٥ (٣٧٧٥) من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريب مرسلًا: «ما رثي الشيطان يومًا هو فيه أصغر ولا أدر ولا أحقر ولا أعيط، منه في يوم عرفة، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة، وتجاوز الله عن الذنوب العظام، إلا ما أرى يوم بدر». قال ابن كثير في «تفسيره» (٦٦/٤): «وهذا مرسل من هذا الوجه». وقد رواه البيهقي في «شعب الإيمان» ٤٩٨/٥ (٣٧٧٦) موصولًا عن طلحة بن عبيد الله عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٣) العواتق: جمع عاتق، وهي من بلغت أو قاربت بلوغ الحلم، واستحقت التزويج.

(٤) ذوات الخدور: الأبقار.

من جلبابها»^(١).

وقد اختلف أهل العلم في حكم صلاة العيدين - بعد إجماعهم على مشروعيتها - على

أقوال ثلاثة:

القول الأول: أنها سنة مؤكدة، وبهذا قال الإمام مالك^(٢)، والإمام الشافعي^(٣) رحمهما، وهو رواية عن أبي حنيفة^(٤)، وأحمد^(٥) رحمهما، وهو قول أكثر أهل العلم من السلف والخلف^(٦).

واستدلوا على كونها سنة مؤكدةً بحديث أم عطية رضي الله عنها.

وأجابوا عن الآية: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] بأن المراد بها: إفراد الله تعالى بالصلاة والذبح عموماً، وليست خاصة بصلاة العيد ونحر الأضحية، كما سبق ذكره.

كما استدلوا على عدم وجوب صلاة العيدين بحديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، وقوله رضي الله عنه فيه للأعرابي، لما سأله عن الإسلام، قال: «خمس صلوات في اليوم والليلة». فقال الأعرابي: هل عليّ غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تطوع»^(٧).

واستدلوا بحديث الإسراء، أن الله ﷻ فرض عليه، وعلى أمته خمس صلوات، وقال: «هي خمسٌ وهي خمسون»^(٨)، فلو كان هناك صلاة واجبة غيرهن لذكرها.

(١) أخرجه البخاري في الحيض (٣٢٤)، ومسلم في العيدين (٨٩٠)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٠٧)، وأحمد ٥/٨٤ (٢٠٧٩٣)، والدارمي ١/٤٥٨ (١٦٠٩).

(٢) انظر: «الكافي» لابن عبد البر ١/٢٦٣، ٣٢٤.

(٣) انظر: «المجموع» ٥/٢، و«مغني المحتاج» ١/٣١٠.

(٤) انظر: «مجمع الزوائد» ١/١٧٢. (٥) انظر: «الإنصاف» ٢/٢٩٤.

(٦) انظر: «المجموع» ٥/٣.

(٧) أخرجه مالك في قصر الصلاة في السفر (١/١٧٥)، والبخاري في الإيمان (٤٦)، ومسلم في الإيمان (١١)، وأبو داود في الصلاة (٣٩١، ٣٩٢)، والنسائي في الصلاة (٤٥٨) من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه.

(٨) أخرجه البخاري في الصلاة (٣٤٩)، ومسلم في الإيمان (١٦٣)، والنسائي في الصلاة (٤٤٩)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٩٩) من حديث أنس رضي الله عنه عن أبي ذر رضي الله عنه.

كما استدلووا بحديث ابن عباس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذًا إلى اليمن، فقال: «ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة»^(١)، ولو كان هناك صلاة واجبة غيرهن لذكرها.

القول الثاني: أنها فرض كفاية، وبهذا قال الإمام أحمد رضي الله عنه^(٢)، وبعض الحنفية^(٣)، والمالكية^(٤)، والشافعية^(٥).

واستدلوا بأدلة القول الأول، وأنها تدل على فرض الكفاية.

القول الثالث: أنها واجبة على الأعيان، ومن تركها من غير عذر فهو آثم، وبهذا قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه^(٦)، وقال به ابن حبيب من المالكية^(٧)، وهو رواية عن الإمام أحمد رضي الله عنه^(٨).

واستدلوا على هذا بالآية: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، وبحديث أم عطية رضي الله عنها، وبمواظبة النبي صلى الله عليه وسلم عليها.

واختار هذا جمع من المحققين، منهم: ابن تيمية^(٩)، وابن القيم^(١٠)، والصنعاني^(١١)، والشوكاني^(١٢)، وابن باز^(١٣)، وابن عثيمين رضي الله عنه^(١٤).

(١) أخرجه البخاري في الزكاة (١٣٩٥)، ومسلم في الإيمان (١٩)، والترمذي في الزكاة (٦٢٥)، وابن ماجه في الزكاة (١٧٨٣) من ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) انظر: «المغني» لابن قدامة ٣/٢٥٣، و«الإنصاف» ٥/٣١٦.

(٣) انظر: «البنية» للعيني ٣/٩٥. (٤) انظر: «حاشية الدسوقي» ١/٣٩٦.

(٥) انظر: «تحفة المحتاج» ٣/٣٩. (٦) انظر: «حاشية ابن عابدين» ٢/١٦٦، ٧/٣٣٧.

(٧) انظر: «مواهب الجليل» ٢/٥٦٨.

(٨) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية ٢٣/١٦١، و«الإنصاف» للمرادي ٢/٢٩٤.

(٩) انظر: «الاختيارات الفقهية» ص ٨٢، و«المجموع الفتاوى» ٢٣/١٦٢، ١٦١.

(١٠) انظر: «الصلاة وأحكام تاركها» ص ٣٩-٤٠.

(١١) انظر: «سبل السلام» ٢/٦٦-٦٧. (١٢) انظر: «السييل الجرار» ص ١٩٢.

(١٣) قال ابن باز رضي الله عنه عن القول بأنها فرض عين: «وهذا القول أظهر في الأدلة، وأقرب للصواب». «مجموع الفتاوى» لابن باز رضي الله عنه ٧/١٣.

(١٤) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن عثيمين رضي الله عنه ١٦/٢٢٣.

خامساً: الأضحية، وهي مشروعة بإجماع أهل العلم؛ لما ثبت أن النبي ﷺ ضحى بكبشين أملحين أقرنين^(١).

وعن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخلتِ العشر، وأراد أحدكم أن يضحى، فلا يمسَّ من شعره وبشره شيئاً»^(٢).

واختلف العلماء في حكم الأضحية على قولين:

القول الأول: أنها سنة مؤكدة، وليست بواجبة.

وبهذا قال الشافعي^(٣)، وأحمد^(٤) رضي الله عنهما، وهو المشهور عند المالكية^(٥)، وهو قول للحنفية^(٦)، وبه قال أكثر أهل العلم، قال ابن قدامة^(٧): «أكثر أهل العلم يرون الأضحية سنة مؤكدة، غير واجبة، روي ذلك عن أبي بكر، وعمر، وبلال، وأبي مسعود البديري رضي الله عنهم، وبه قال سويد بن غفلة، وسعيد بن المسيب، وعلقمة، والأسود، وعطاء، والشافعي، وإسحاق، وأبو ثور، وابن المنذر».

واستدلوا على أنها سنة مؤكدة بكونه ﷺ كان يضحى؛ كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة.

كما استدلوا بفعل الصحابة رضي الله عنهم، فقد كانوا يضحون في حياته ﷺ، وبعد وفاته.

كما استدلوا على عدم وجوبها بقوله ﷺ في حديث أم سلمة رضي الله عنها: «وأراد أن يضحى» فتفويض الأمر إلى الإرادة دليل على عدم الوجوب، وهذا ظاهر.

(١) أخرجه البخاري في الحج (١٧١٢)، ومسلم في الأضاحي (١٩٦٦)، وأبو داود في الأضاحي (٢٧٩٣)، والنسائي في الضحايا (٤٣٨٧)، والترمذي في الأضاحي (١٤٩٤)، وابن ماجه في الأضاحي (٣١٢٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في الأضاحي (١٩٧٧)، وأبو داود في الضحايا (٢٧٩١)، والنسائي في الضحايا (٤٣٦١)، والترمذي في الأضاحي (١٥٢٣)، وابن ماجه في الأضاحي (٣١٤٩)، وأحمد ٣١١/٦ (٢٦٦٥٤).

(٣) انظر: «المجموع» ٣٨٢/٨. (٤) انظر: «كشاف القناع» ٣/٤، ٣٦/١٨.

(٥) انظر: «الكافي» لابن عبد البر ٤١٨/١، و«مواهب الجليل» ٣٦٢/٤.

(٦) انظر: «فتح القدير» لابن الهمام ٥٠٦/٩. (٧) في: «المغني» ٣٦٠/١٣.

واستدلوا أيضًا على عدم الوجوب بأن أبا بكر، وعمر رضي الله عنهما لا يضحيان؛ كراهية أن يُقتدى بهما^(١).

قال ابن باز رحمته الله: «حكم الأضحية سنة مع اليسار، وليست بواجبة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يضحى بكبشين أملحين، وكان الصحابة يضحون في حياته صلى الله عليه وسلم، وبعد وفاته، وهكذا كان المسلمون بعدهم، ولم يرد في الأدلة الشرعية ما يدل على وجوبها، والقول بالوجوب قول ضعيف»^(٢).

القول الثاني: أنها واجبة.

وبهذا قال أبو حنيفة^(٣)، ومالك^(٤) رضي الله عنهما، وهو رواية عن أحمد رضي الله عنه^(٥)، وهو قول ربيعة، والليث، والنووي، والأوزاعي^(٦) رضي الله عنهم.

ومن أظهر ما استدلوا به قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢].

قالوا: المراد بالآية صلاة العيد، ونحر الأضحية.

وقد تقدم بيان أن أكثر أهل العلم على أن الآية عامة في الصلاة، وفي الذبح، وليس المراد بها صلاة العيد، ونحر الأضحية.

كما استدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث: «من ذبح قبل الصلاة فليذبح شاةً مكانها، ومن لم يكن ذبح فليذبح على اسم الله»^(٧).

قالوا: لو لم تكن الأضحية واجبة؛ لما أمر من ذبح قبل الصلاة بذبح شاة مكانها.

(١) انظر: «معرفة السنن» للبيهقي ١٤/١٦، و«السنن الكبرى» ٩/٤٤٤، و«المجموع» للنووي ٨/٣٨٣، و«مجمع الزوائد» ٤/١٨.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن باز رحمته الله ١٨/٣٦.

(٣) انظر: «بدائع الصنائع» ٥/٦٢، و«تبيين الحقائق» ٦/٢.

(٤) انظر: «الكافي في فقه أهل المدينة» ١/٤١٨. (٥) انظر: «المبدع في شرح المقنع» ٣/٢٧٠.

(٦) انظر: «المغني» ١٣/٣٦٠.

(٧) أخرجه البخاري في العيدين (٩٨٥)، ومسلم في الأضاحي (١٩٦٠)، والنسائي في الضحايا (٤٣٦٨)، وأحمد ٤/٣١٢ (١٨٧٩٨) من حديث جندب بن سفيان رضي الله عنه.

وقد اختار هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية^(١)، والشيخ محمد بن صالح العثيمين^(٢) رحمهما الله.
وبناءً على هذا الاختلاف في حكم الأضحية، فالأولى: عدم تركها لمن كان ذا سعة،
أما من لم يكن ذا سعة، فلا ينبغي أن يشق على نفسه، فقد ضحى النبي ﷺ عمن لم يضحَّ
من أمتة صلوات الله تعالى وسلامه عليه.

هذه الأعمال الخمسة: التكبير، والحج، وصيام عرفة، وصلاة العيد، والأضحية تتأكد
مشروعيتها في هذه الأيام العشر.

وينبغي للمسلم فيها- بعد المحافظة على الفرائض والواجبات، وترك المنهيات-
الإكثار من الأعمال الصالحة؛ من النوافل، من الصلاة والصدقة، وبر الوالدين، وصلة
الأرحام، والصيام، والذكر، وقراءة القرآن، والدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف،
والنهي عن المنكر، والإصلاح بين الناس، وغير ذلك من أعمال البر والخير.

وأفضل الأعمال بعد الأعمال الخمسة التي تتأكد في هذه الأيام العشر: ما كان
متعدياً نفعه إلى الآخرين؛ كالدعوة إلى الله تعالى، وتعليم القرآن الكريم والعلم، والأمر
بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبر الوالدين، والصدقة، وصلة الأرحام، والإصلاح
بين الناس، وغير ذلك من الأعمال التي يتعدى نفعها إلى المسلمين، التي هي أفضل من
الأعمال التي لا يتعدى نفعها؛ مثل: الصيام والقيام ونحو ذلك.

والمَوْفَّقُ من جمع بين هذا وهذا.

وإذا كان الإنسان إذا صام لا يستطيع القيام بهذه الأعمال بسبب النوم أو غير ذلك،
فالأولى ألا يصوم ويتفرغ لهذه الأعمال؛ فهي أفضل وأجل وأعظم.

ومثل هذا يقال للمرأة التي تصوم وتقتصر في خدمة زوجها وأولاده، بسبب النوم أو
غير ذلك، فقيامها بخدمة زوجها وأولاده أولى لها، وأفضل من الصوم، بل أحق وأوجب.

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية ١٦٢/٢٣. (٢) انظر: «الشرح الممتع» ٤٧٩/٧.

وقد كانت عائشة رضي الله عنها يكون عليها الصوم من رمضان فلا تقضي إلا في شعبان؛
مراعاة للنبي صلى الله عليه وسلم، كما قالت رضي الله عنها (١).



(١) أخرجه البخاري في الصوم (١٩٥٠)، ومسلم في الصيام (١١٤٦)، وأبو داود في الصوم (٢٣٩٩)،
والنسائي في الصيام (٢٣١٩)، والترمذي في الصوم (٧٨٣)، وابن ماجه (١٦٦٩)، وأحمد ١٢٤/٦
(٢٤٩٢٨).

وقفة في: التيمن

قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [البلد: ١٨]

أ- معنى التيمن:

قال ابن منظور^(١): «التيمن: الابتداء في الأفعال باليد اليمنى، والرجل اليمنى، والجانب الأيمن».

وعلى هذا فالتيمن والتيامن: الابتداء بعمل الأشياء كلها ومباشرتها باليمين.

ب- فضل اليمين، ومشروعية التيمن وفضله:

قدم الله ﷺ في القرآن الكريم ذكر اليمين على الشمال، وأثنى على أصحاب اليمين وامتدحهم، وبين عظم ما أعد لهم من الثواب، والأجر العظيم، فقال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ [٧٧] في سِدْرِ مَخْضُودٍ ﴿الواقعة: ٢٧-٤٠﴾.

وقال تعالى: ﴿مُجْتَمِعْنَهُمْ أَبْكَارًا﴾ [٣١] عُرْبًا أَرْبَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿الواقعة: ٣٦-٣٨﴾، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [٣٨] إِلَّا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿المدرثر: ٣٨-٤٢﴾.

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ، بِيَمِينِهِ، فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ، بِيَمِينِهِ، فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَوْفَىٰ وَأَكْتَبِيَّةٌ﴾ [١١] إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ ﴿الحاقة: ١٩، ٢٠﴾، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ، بِيَمِينِهِ، ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [٨] وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿[الانشقاق: ٧-٩]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصِّدْقِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [١٧] أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُتَابَعُونَ أُولَئِكَ الْمَشْجُمَةُ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾

(١) في «اللسان» مادة «يمن».

[البلد: ١٧ - ٢٠].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي صلى الله عليه وآله يعجبه التيمن في تَعْلُهُ، وترجُّله، وطهوره، وفي شأنه كله»^(١).

وعنها رضي الله عنها قالت: «كانت يد رسول الله صلى الله عليه وآله اليمنى لطهوره وطعامه، وكانت يده اليسرى لخلائه، وما كان من أذى»^(٢).

وفي رواية: أنه صلى الله عليه وآله يحب التيمن ما استطاع^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين، وإذا نزع فليبدأ بالشمال، لتكن اليمين أولهما تُنعل، وآخرهما تُنزع»^(٤).

وعن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال: كنت في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانت يدي تطيش في الصحيفة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا غلام، سمّ الله، وكلّ بيمينك، وكلّ مما يليك» فما زالت تلك طعمتي بعد^(٥).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا اغتسل بدأ بيمينه، فصب عليها الماء فغسلها، ثم صب الماء على الأذى الذي به بيمينه، وغسل عنه بشماله، حتى إذا فرغ من ذلك، صب على رأسه»^(٦).

وعنها رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا اغتسل من الجنابة بدأ بشق رأسه

(١) أخرجه البخاري في الوضوء (١٦٨)، ومسلم في الطهارة (٢٦٨)، وأبو داود في اللباس (٤١٤٠)،

والنسائي في الغسل والتميم (٤٢١)، والترمذي في الطهارة (٦٠٨)، وابن ماجه في الطهارة (٤٠١).

(٢) أخرجه أبو داود في الطهارة (٣٣). وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٢٦).

(٣) أخرجه البخاري في الصلاة (٤٢٦)، وأبو داود في اللباس (٤١٤٠)، والنسائي في الغسل والتميم (٤٢١).

(٤) أخرجه مالك في اللباس (٩١٦/٢)، والبخاري في اللباس (٥٥١٧)، وأبو داود في اللباس (٤١٣٩)،

والترمذي في اللباس (١٧٧٩).

(٥) أخرجه البخاري في الأطعمة (٥٣٧٦)، ومسلم في الأشربة (٢٠٢٢)، وأبو داود في الأطعمة (٣٧٧٧)،

والترمذي في الأطعمة (١٨٥٧)، وابن ماجه في الأطعمة (٣٢٦٧).

(٦) أخرجه مسلم في الحيض (٣٢١)، والنسائي في الطهارة (٢٤٣).

الأيمن»^(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه؛ فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله»^(٢).

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال له: «كل بيمينك»، قال: لا أستطيع، قال: «لا استطعت» ما منعه إلا الكبر، قال: فما رفعها إلى فيه^(٣).

وعن أم عطية رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لهن في تغسيل ابنته زينب رضي الله عنها: «ابدأن بميامنها ومواضع الوضوء منها»^(٤).

وفي حديث أنس رضي الله عنه في حجة الوداع أن رسول الله ﷺ قال للحلاق: «خذ» وأشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر^(٥).

وفي حديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ أتى بقَدَحٍ، فشرب منه، وعن يمينه غلام أصغر القوم، والأشياخ عن يساره، فقال: «يا غلام، أتأذن لي أن أعطيه الأشياخ؟» قال: ما كنت لأؤثرَ بفضلِي منك أحد يا رسول الله، فأعطاه إياه^(٦).

وعن أنس رضي الله عنه: أنه ﷺ أتى بلبن، وعن يمينه أعرابي، وعن يساره أبو بكر الصديق، فشرب ثم أعطى الأعرابي، وقال: «الأيمنَ فالأيمنَ»^(٧).

(١) أخرجه البخاري في الغسل (٢٥٨)، ومسلم في الحيض (٣١٨)، وأبو داود في الطهارة (٢٤٠)، والنسائي في الغسل والتميم (٢٢٤).

(٢) أخرجه مالك في صفة النبي ﷺ (٩٢٢/٢)، ومسلم في الأشربة (٢٠٢٠)، وأبو داود في الأطعمة (٣٧٧٦)، والترمذي في الأطعمة (١٨٠٠).

(٣) أخرجه مسلم في الأشربة (٢٠٢١)، وأحمد ٤٥/٤ (١٦٤٩٣).

(٤) أخرجه البخاري في الوضوء (١٦٧)، ومسلم في الجنائز (٩٣٩)، وأبو داود في الجنائز (٣١٤٥)، والنسائي في الجنائز (١٨٨٤)، والترمذي في الجنائز (٩٩٠)، وابن ماجه في الجنائز (١٤٥٩).

(٥) أخرجه مسلم في الحج (١٣٠٥)، والبيهقي (١٠٣/٥).

(٦) أخرجه البخاري في المساقاة (٢٣٥١)، ومسلم في الأشربة (٢٠٣٠).

(٧) أخرجه مالك في صفة النبي ﷺ (٩٢٦/٢)، والبخاري في المساقاة (٢٣٥٢)، ومسلم في الأشربة (٢٠٢٩)،

وفي حديث عائشة: «إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف»^(١).
 وفي حديث السبعة الذين يُظِلُّهم الله في ظله: «ورجل تصدق بصدقة، فأخفاها حتى لا تعلم شأله ما تُنْفِقُ يمينه»^(٢).
 وشرع للمؤذن الالتفات في الحيعلتين؛ الأولى إلى اليمين^(٣).
 وكل هذه النصوص من الكتاب والسنة تدل على فضل اليمين على الشمال، كما تدل على مشروعية التيمن وفضله في شأن المسلم كله.

ج- حكم التيمن:

ذهب أكثر أهل العلم إلى أن التيمن سنة مؤكدة، فيكره تركه، وقيل: إنه واجب. والصحيح أن التيمن من حيث العموم سنة مؤكدة، يُكره تركه؛ لما في ذلك من تفويت السنة، وفوات الأجر.

لكن يُخص من ذلك الأكل والشرب، فالتيمن فيها واجب؛ لما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله»^(٤).

وفي حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: «أن رجلاً أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله. فقال له: «كل بيمينك». قال: لا أستطيع، قال: «لا استطعت» ما منعه إلا الكبر، قال: فما

- وأبو داود في الأشربة (٣٧٢٦)، والترمذي في الأشربة (١٨٩٣)، وابن ماجه في الأشربة (٣٤٢٥).
- (١) أخرجه أبو داود في الصلاة (٦٧٦)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها (١٠٠٥) من حديث عائشة رضي الله عنها. وحسن الألباني إسناده في «صحيح أبي داود» (٦٨٠).
- (٢) أخرجه مالك في الشعر (٢/٩٥٢)، والبخاري في الأذان (٦٦٠)، ومسلم في الزكاة (١٠٣١)، والنسائي في آداب القضاة (٥٣٨٠)، والترمذي في الزهد (٢٣٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
- (٣) أخرج البخاري في الأذان (٦٣٤)، ومسلم في الصلاة (٥٠٣)، والنسائي في الزينة (٥٣٧٨)، والترمذي في الصلاة (١٩٧) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه: قال: «أذن بلال، فجعلت أتبع فاه هاهنا وهاهنا، يقول يميناً وشمالاً، يقول: حي على الصلاة حي على الفلاح».
- (٤) سبق تخريجه قريباً.

رفعها إلى فيه^(١).

فالأمر في قوله: «فليأكل بيمينه» وفي قوله: «فليشرب بيمينه» للوجوب، ويؤكد ذلك قوله بعده: «فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله»؛ لأن كل ما كان من عمل الشيطان يجب اجتنابه.

والأمر في حديث سلمة رضي الله عنه بقوله رضي الله عنه: «كل بيمينك» أيضاً للوجوب، ويؤكد على هذا ويؤيده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليه بقوله: «لا استطعت»، فلو كان الأكل باليمين مستحباً غير واجب، لما دعا عليه بقوله: «لا استطعت».

وفي حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه أنه رضي الله عنه قال له: «وكل بيمينك»^(٢).

أقول: ليت قومي يعلمون، ولت كثيراً من المسلمين الذين يتهاونون في الأكل والشرب بالشمال، فيقعون في المحذور، ويفوت عليهم كثير من الأجور، ليتهم يتأملون هذا ويعرفونه جيداً!

د- المواضع التي يُشعر فيها التيمن:

أولاً: ما يجب فيه التيمن، وهو الأكل والشرب:

يجب التيمن في الأكل والشرب، كما سبق بيانه؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالتيمن فيهما، والأمر في الأصل للوجوب، ولأنه صلى الله عليه وسلم بين أن الشيطان يأكل ويشرب بشماله، فالواجب مخالفة الشيطان، ولأنه صلى الله عليه وسلم دعا على الذي أبى أن يأكل بيمينه تكبراً، وقال: «لا أستطيع». فقال صلى الله عليه وسلم: «لا استطعت»، فشلت يدهُ فما رفعها إلى فيه. ولو كان الأكل باليمين غير واجب لما دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم.

فمن أكل أو شرب بشماله فقد ترك أمراً واجباً، وخالف سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وتشبه بالشيطان، واتبعه بفعله، وهذا أمر محرّم لا يجوز.

وشتان بين من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم واتبع سنته، وبين من آثر الهوى، واتبع

(١) سبق تخريجه قريباً.

(٢) سبق تخريجه قريباً.

الشیطان، وعمل عمله، فمن أكل وشرب بيمينه اجتمع له طاعة الرسول ﷺ، وحصول الأجر، والسلامة من التشبه بالشیطان وحصول الوزر، ومن أكل وشرب بشماله اجتمع فيه معصية الرسول ﷺ، وفوات الأجر، والتشبه بالشیطان، وحصول الوزر.

ومن المؤسف أن ترى كثيراً من المسلمين، وخاصة الشباب، يشرب أكثرهم بشماله، وهذا مما يوجب على الوالدين والمعلمين والمرين وخطباء الجمعة، وغيرهم من أهل العلم توجيه الناس، وإرشادهم في هذا؛ لأنه إذا كان هناك من يفعل ذلك تكبراً - وذلك أشد تحريماً - فإن أكثر الناس يجهل خطورة الأمر، فيقع في المحذور من حيث لا يدري، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

ثانياً: ما يستحب فيه التيمن:

يستحب للمسلم التيمن في شأنه كله، من باب التشريف والتكريم، ومن ذلك: **1** الوضوء؛ لقول عائشة ؓ: «كان رسول الله ﷺ يعجبه التيمن في تنعله، وترجله، وفي طهوره، وفي شأنه كله»، فيقدم في الوضوء غسل اليد اليمنى على اليد اليسرى، وغسل الرجل اليمنى على الرجل اليسرى.

2 الغُسل، فيقدم الشق الأيمن من البدن على الشق الأيسر.

3 عند لبس النعلين، فيقدم في لبس النعل الرجل اليمنى على الرجل اليسرى.

4 في ترجيل شعر الرأس، والوجه، وتسريحه ودهنه، فيقدم الشق الأيمن من الرأس والوجه على الشق الأيسر.

5 في تناول المصحف، وحمله، ومباشرته، وتقليب صفحاته.

6 عند دخول المسجد، فيقدم فيه الرجل اليمنى. قال أنس بن مالك ؓ: «من السنة إذا دخلت المسجد أن تبدأ برجلك اليمنى، وإذا خرجت أن تبدأ برجلك اليسرى»^(١).

(١) أخرجه الحاكم (٢١٨/١)، والبيهقي (٤٤٢/٢). قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم». ووافقه

- ١٤٦ في صلاة الجماعة، فالأفضل أن يكون عن يمين الإمام.
- ١٤٧ في المصافحة.
- ١٤٨ في استلام الحجر الأسود، والركن اليماني.
- ١٤٩ عند دخول المنزل، فيقدم فيه الرجل اليماني.
- ١٥٠ في الالتفات في الحيعلتين، يلتفت المؤذن أولاً إلى اليمين.
- ١٥١ في لبس الثياب والسر اويل.
- ١٥٢ عند الاكتحال يبدأ بالعين اليماني.
- ١٥٣ في حلق الرأس، وقص الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، يبدأ باليمين منها.
- ١٥٤ عند أخذ الأشياء ومناولتها، يأخذها باليمين، ويناولها باليمين.
- ١٥٥ عند النوم، ينام على شقه الأيمن، كما جاء في الحديث أنه ﷺ كان ينام على شقه الأيمن^(١).
- ١٥٦ أن يعطي الإنسان الإناء عند شربه من يجلس عن يمينه، ولو كان الجالس عن يساره أعلى وأكبر منزلة.
- ١٥٧ عند الخروج من الخلاء، ودورات المياه، ونحو ذلك.
- إلى غير ذلك من المواضع التي يُستحب فيها تقديم اليمين على الشمال تكريماً وتشريفاً.

هـ - المواضع التي يُستحب فيها التياسر:

كل ما كان من المواضع والأشياء غير المستحسنة، فالأولى تقديم اليسار فيها.

الذهبي. وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٤٧٨).

(١) أخرجه مالك في صلاة الليل (١/ ١٢٠)، والبخاري في الأذان (٦٢٦)، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٧٣٦)، وأبو داود في قيام الليل (١٣٣٥)، والنسائي في قيام الليل وتطوع النهار (١٦٩٦)، والترمذي في الصلاة (٤٤٠) من حديث عائشة ؓ.

قال النووي في «شرح مسلم»^(١): «قاعدة الشرع المستمرة أن ما كان من باب التكريم والتزيين، استُحب فيه التيمن، وما كان بضدها استُحب فيها التياسر».

ومما يستحب فيه التياسر ما يلي:

- ❖ خلع النعلين ونحوهما، قال ﷺ: «وإذا نزع فليبدأ بالشمال»^(٢).
 - ❖ دخول الخلاء، ودورات المياه، فيقدم الرجل اليسرى.
 - ❖ الخروج من المسجد أو من المنزل.
 - ❖ الاستنجاء، عن أبي قتادة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يمسكن أحدكم ذكره بيمينه وهو يبول، ولا يتمسح من الخلاء بيمينه»^(٣).
 - وفي حديث عائشة ﷺ: «وكانت يده ﷺ اليسرى لخلائه، وما كان من أذى»^(٤).
 - ❖ الامتخاط، وتنظيف الأنف، والاستنثار؛ فعن علي ﷺ أنه كان إذا استنشق نثر بيده اليسرى. وقال: «هذا طهور نبي الله ﷺ»^(٥).
 - ❖ خلع الثياب والسر اويل ونحو ذلك.
- إلى غير ذلك من المواضع التي يُستحب فيها تقديم اليسار تنزيهاً لليمين عنها.

(١) ١٦٠/٣، وانظر: «شرح العمدة» لابن تيمية ١/١٣٩.

(٢) سبق تخريجه قريباً.

(٣) أخرجه البخاري في الوضوء (١٥٣، ١٥٤)، ومسلم في الطهارة (٢٦٧)، وأبو داود في الطهارة (٣١)، والنسائي في الطهارة (٢٤، ٢٥، ٤٧، ٤٨)، والترمذي في الطهارة (١٥)، وابن ماجه في الطهارة وسننها (٣١٠).

(٤) سبق تخريجه قريباً.

(٥) أخرجه النسائي في الطهارة (٩١)، وأحمد ١/١٣٥ (١١٣٣)، وابن حبان ٣/٣٦٠ ٣٦١ (١٠٧٩). وصححه الألباني في «التعليقات الحسان» (١٠٧٦).

وقفة تأمل في: معاني سورة العصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

أخي المسلم: قف عند كل آية من آيات هذه السورة العظيمة بل عند كل كلمة منها، بل عند كل حرف وتأمل فيها.

تأمل وتفكر، لماذا أقسم المولى ﷺ بالعصر؟ وماهية العصر؟ وما حقيقة الخسارة؟ وما حقيقة الربح؟

واعلم أن الله ﷻ أقسم بالعصر تنبيهاً وتذكيراً وإشارة ودلالة على أهمية العصر وعظيم قيمته ووجوب حفظه، والعصر هو الزمن، وهو عمر الإنسان، الذي لا يقدر بثمان عند من عرف أن الأمر جد، ليس بالهزل، كما قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]، وكما قيل:

قد رشحوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل (١)
وقال الآخر:

الأمر جد وهو غير مزاح فاعمل لنفسك صالحاً يا صاح (٢)
وعند من عرف قدر الحياة، وأنها ميدان التنافس والتسابق والمسارعة للأعمال الصالحة التي فيها السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة، كما قال ﷻ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ

(١) البيت للطغرائي، انظر: «شرح لامية العجم» ص ١٢٤.

(٢) البيت لنشوان الحميري، انظر: «ملوك حمير وأقبال اليمن» ص ١.

مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا عَرْضُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. [الحديد: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمَقْرُبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠، ١١]، وقال تعالى: ﴿وَفِي

ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسْ الْمُتَنَفِّسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

ونعمت المسابقة والمسارعة والمنافسة والله المستعان. وقد أحسن القائل:

ولم أجد الإنسان إلا ابن سعيه فمن كان أسعى كان بالمجد أجدراً

فلم يتأخر من أراد تقدماً ولم يتقدم من أراد تأخراً^(١)

أخي في الله لا يغرك ما عليه كثير من الناس من المنافسة على أمور الدنيا الفانية، والزهد فيما دعاهم الله إليه من المنافسة والمسارعة والمسابقة فيما فيه سعادة الدارين من الأعمال الصالحة، وتأمل قول الله ﷻ: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:

١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَطَعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقوله

تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤].

قال بعض السلف: «لا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين، ولا تستوحش من الحق لقلّة

السالكين»^(٢).

فخذ أخي في الله نفسك بالجد والمنافسة والمسابقة والمسارعة في الخير، ولا تنس نصيبك من الدنيا، واعلم أن الغبطة حقاً في العمل الصالح، الذي هو صمام الأمان وسر السعادة في الدنيا والآخرة، فاجعل منافستك في ذلك.

قال بعض السلف: «إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا، فنافسه في الآخرة»^(٣).

(١) هذان البيتان لابن هانئ، انظر: «ديوانه» ص ١٤٠.

(٢) انظر: «مدارج السالكين» (١/٤٦)، وقد ذكر نحو من هذا عن الفضيل بن عياض رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. انظر: «الأذكار» للنووي ص (١٩٦)، و«الأداب الشرعية» (١/٢٦٣)، وذكر نحوه عن سفيان بن عيينة. انظر: «الزهد الكبير» للبيهقي ص ١٣١ (٢٣٨ - ٢٣٩).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبه في «المصنف» ١٩/٣٦٩ (٣٦٣٥١)، وأحمد في «الزهد» (١٢٢٤)، وابن أبي الدنيا في «الزهد» (٥٥٣)، وفي «ذم الدنيا» (٤٦٥) عن الحسن.

كن سباقاً إلى المساجد، وإلى أداء الواجبات؛ من حقوق الله وحقوق الخلق، كن ورعاً مبتعداً عن محارم الله. وإذا رأيت من ينافسك في الدنيا فنافس في الآخرة. واعلم وفقك الله أن الغبن في هذا ليس باليسير، بل لا يكاد يوصف، وفرق ما بين الثرى والثريا، وكما قيل:

سوف ترى إذا انجلى الغبار أفرسٌ تحتك أم حمارٌ^(١)
واعلم أن الخسارة في هذا لا تشبهها خسارة، فالخسارة الكبرى والمصيبة العظمى، والكسر الذي لا يمكن جبره أن يصاب الإنسان في دينه فيخسر دنياه وآخرفته ونفسه وأهله وولده وماله وكل شيء، كما قال ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَيْرِينَ الَّذِينَ خَيْرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

واعلم أن الربح في هذا لا يقدر ولا يجد، بل هو سعادة الدنيا والآخرة، نسأل الله تعالى من فضله التوفيق للإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر. فهذا غاية الربح، وهذا تمام النعمة الذي عناه الله ﷻ بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّيْمْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠]، وبقوله تعالى: ﴿وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣].

وهو طريق الذين أنعم الله عليهم النعمة الحقيقية، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩، ٧٠].

وهو الهداية المنشودة لعباد الله بقولهم: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٢) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿[الفاتحة: ٦، ٧].

فقف أخي - بارك الله فيك - على مفترق هذين الطريقتين وتأمل ببصيرة وحضور قلب، وقارن وقلِّب الفكر والنظر عسى أن يظهر لك ويتبين البون الشاسع والفرق الواسع فتجتنب طريق أهل الخسران، وتلزم طريق أهل الربح والسعادة والإنعام وما أراك تعدل به طريقاً. وفقك الله.

(١) انظر: «الأمثال المولدة» ص ٣٢٤، و«مجمع الأمثال» ١/ ٣٤٤.

واعلم - أخي الكريم - أن الربح والسعادة مطلب لكل أحد، فكل يسعى بحثاً عن ذلك، لكن المؤسف حقاً: كم هم الذين عرفوا طريق السعادة حقاً؟ سؤال يطرح نفسه، وجوابه باختصار:

أن السواد الأعظم من الناس جهلوا طريق السعادة، بل طلبوها في غير مظاهرها فصدق فيهم قول الشاعر:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس^(١)
ففتام من الناس حسبوا الربح والسعادة بالسعي لتحقيق شهوات النفس، وإرخاء العنان لها في ذلك، ولو كان بما حرم الله، كالفجور وشرب الخمر والغناء والمجون ونحو ذلك، وأين لهؤلاء الربح والسعادة، وقد طلبوهما بما يحقق الخسران والشقاوة؟! وفتام من الناس حسبوا الربح والسعادة في الانهماك بالمباحات فهم يلهثون وراء جمع المال، وتنويع المآكل والمشرب، واختيار الملابس الأنيقة، والفرش الوثيرة، والمسكن المزخرفة، والمراكب الفاخرة والموضات والموديلات والمخترعات والأسفار والتنقلات بين الدول والبلدان بحثاً عن الأجواء اللطيفة المعتدلة، والحدائق الغناء والمناظر الجميلة والآثار القديمة والملاعب والملاهي، وهؤلاء أيضاً أخطؤوا طريق السعادة وحرموا منها، فلم يذوقوا لها طعماً.

وأقول لأولئك وهؤلاء ولنفسي ولكل من يطلب الربح والسعادة حقاً: أبى الله أن يكون الربح والسعادة إلا بالإيمان والعمل الصالح تحت مظلة: ﴿إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُ وَإِنَّا كُنَّا نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٤].

قال بعض السلف: «مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا ألد ما فيها!»، قيل: وما ألد ما فيها؟ قال: معرفة الله والأنس به^(٢).

(١) البيت لأبي العتاهية وهو في ديوانه ص ١٩٤.

(٢) أخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٦٧/٨) نحوه عن ابن المبارك، وانظر: «الداء والدواء» (١/١٨٦)، و«إغاثة اللهفان» (١/١١٩) لابن القيم.

نعم والله إننا مساكين، فما أكثر الذين خرجوا ويخرجون من الدنيا وما ذاقوا هذه اللذة!

وقال الحسن رضي الله عنه: «تفقدوا حلاوة الإيمان في ثلاث: في الصلاة، وذكر الله، وقراءة القرآن، فإن لم تجدوها فاعلموا أن الباب مغلق»^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه^(٢): «إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة».

فليت شعري من ذاق منا تلك اللذة، لذة الإيمان، ومن دخل منا تلك الجنة جنة التنعم بتلقي أوامر الديان وخدمته، والتلذذ بمناجاته وعبادته، والتوكل عليه، فهذا غاية الربح ومنتهى السعادة، نسأل الله الكريم من فضله.

فَتَذَوِّقْ أَخِي لَذَّةَ الْإِيمَانِ، وَتَنَعَّمْ بِجَنَّةِ الدُّنْيَا بِالْإِنْقِيَادِ لِلْمَلِكِ الدِّيَانِ وَأَسْلَمِ وَجْهَكَ لَهُ، وَسَلِّمْ أَمْرَكَ إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ رضي الله عنه: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، فَإِنْ أَخَذْتَ بِهَذَا، فَأَبَشِرْ فَأَنْتَ وَلَدْتَ الْآنَ!

هنا تجد في نفسك محبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ومحبة الخير وأهله، ومحبة المسارعة لأداء الواجبات من حقوق الله وحقوق الخلق، وأعمال البر كلها، والورع عن المحرمات. هنا تجد في الله تعالى عوضاً عن كل ما فاتك من الدنيا، ولا تأس على شيء منها، وإنما تحزن على فوات نصيبك من ربك.

هنا تجد قلبك معلقاً بالمساجد، تجد أحلى صوت تسمعه: الله أكبر.

هنا تجد أسعد اللحظات في عمرك وقوفك مصلياً تناجي ملك الملوك، أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، المولى العزيز الرحيم.

هنا تجد القناعة في نفسك، تجدك لا تشعر بالفراغ النفسي لامتلاء قلبك بحب الله وما

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/١٤٦)، و«شعب الإيمان» ٩/٣٨٥ (٦٨٣٤)، و«الرسالة القشيرية» ٢/٣٧٨، و«مدارج السالكين» (٢/٣٦٩).

(٢) انظر: «الوابل الصيب» ١/٦٩.

يقربك إليه.

إن طلب الناس السعادة في المساكن والمراكب والمنتزهات وأنواع الشهوات والملذات، فاطلبها أنت في مناجاة الله، وتدبر كلامه والقيام بطاعته وأمره، وهذا قمة السعادة.

هنا تجد الأمن، تجد الطمأنينة، تجد الرضا بما قسم الله لك، تجد البركة في العمر ولو كان قصيراً، تجد البركة في الرزق وإن كان مضيئاً، تجد تيسير الله لأمرتك، وتسخير الخلق لك، بلا درهم منك لهم ولا دينار، وصدق الله العظيم حيث قال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۚ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من أراد السعادة الأبدية، فليزم عتبة العبودية»^(١).
وختاماً: فإن من لم يجد السعادة بتلقي أوامر الله وتنفيذها، والحذر من نواهيها والبعد عنها وإسلام الوجه لله، وتسليم الأمر له والتوكل عليه فلن يجد للسعادة طعمًا ولو حيزت له الدنيا بحذافيرها.



(١) انظر: «مدارج السالكين» ١/ ٤٢٩.

وقفة في: الاستعداد للقاء الله تعالى

الاستعداد للقاء الله ﷻ يكون بأمر عدة؛ من أهمها ما يأتي:

الأمر الأول: تقوى الله ﷻ؛ بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛

وهي رأس الأمر كله، ومن أعظم ما يعين على ذلك ما يأتي:

أولاً: التفكير في عظمة الله ﷻ، وما له من صفات الكمال والجلال، مما جاء في الكتاب والسنة، ودلت عليه الآيات الكونية، قال ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

ثانياً: التفكير في نعم الله ﷻ على العباد، التي لا تحصى، وثمره شكرها وآثار كفرها، كما قال ﷻ: ﴿وَلَا تَعْبُدُوا اللَّهَ لِأَن تَحْصُواهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤، والنحل: ١٨]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وقال ﷻ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

ثالثاً: التفكير في حقارة الدنيا، ودنو منزلتها، وكيف وصفها الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ، ثُمَّ يَهَيِجُ فَتَرَبُّهُ مُمْصِغًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ [الحديد: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمْتَعٌ مُنْتَمِعٌ﴾ [آل عمران: ١٨٥، والحديد: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

وقال ﷺ: «لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء»^(١).

(١) أخرجه الترمذي في الزهد (٢٣٢٠)، وابن ماجه في الزهد (٤١١٠). وقال الترمذي: «حديث صحيح غريب». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٦٨٦، ٩٤٣).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير، فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا يا رسول الله، لو اتخذنا لك وطاءً، فقال: «ما لي وما للدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»^(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنه، قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبتي، فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، وكان ابن عمر يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»^(٢).
ويا لله! ما مدى بركة عمر من وفقه الله لهذا التصور، ثم أعطاه من العمر ما أعطاه!
ويا لله! ما أقل بركة عمر معمر غاب عنه هذا التصور، وعاش غافلاً لا هيئاً حتى فاجأه الأجل!
ولقد أحسن القائل^(٣):

فما نحن في دار المنى غير أننا شغفنا بدنيا تضمحل وتذهب
فحثوا مطايا الارتحال وشمروا إلى الله والدار التي ليس تخرب
رابعاً: التفكير في عظمة الآخرة وعلو مكانتها ورفعة منزلتها، وأنها دار القرار ودار الحياة الحقيقية، إما نعيم أبدي، نسأل الله من فضله، أو عذاب سرمدي، نسأل الله السلامة، كما قال صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].
خامساً: أن يتفكر الإنسان في ضعفه، فهو من أضعف المخلوقات، إن لم يكن أضعفها، وعمره بالنسبة لأعمار من سبق من الأمم لا يساوي شيئاً. قال صلى الله عليه وسلم: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك»^(٤).

(١) أخرجه الترمذي في الزهد (٢٣٧٧)، وابن ماجه في الزهد- مثل الدنيا (٤١٠٩)- وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق (٦٤١٦)، والترمذي في الزهد (٢٣٣٣).

(٣) البيتان للشاعر ابن عثيمين. انظر: «ديوانه» ص ٤٩٨.

(٤) أخرجه الترمذي في الدعوات (٣٥٥٠)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٣٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الترمذي: «حسن غريب». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧٥٧).

فيستمد قوته من القوي المتين سبحانه، ويستمد بركة العمر من الحي القيوم الذي لا يموت.

سادسًا: أن يكون فراق هذه الدنيا والرحيل منها دائمًا منه على بال، وأن يكثر من ذكر هاذم اللذات «الموت»؛ كما قال ﷺ: «أكثرُوا من ذكر هاذم اللذات»^(١).

فمن وفقه الله ﷻ للتفكير في هذه الأشياء كان ذلك - بإذن الله ﷻ - من أكبر العون له على تقوى الله.

فمن عظم الله ﷻ وقدره دعاه ذلك إلى الفرار إليه واللجوء إليه ومحبته وخوفه ورجائه، ومن تفكر في نعمه ﷻ على العباد دعاه ذلك إلى شكره، ومن تفكر في حقارة الدنيا دعاه ذلك إلى عدم الاغترار بها، ومن تفكر في عظمة الآخرة دعاه ذلك إلى الإقبال عليها والتزود لها، ومن تفكر في ضعفه دعاه ذلك إلى استمداد القوة من القوي المتين، ومن تفكر في قصر عمره دعاه ذلك إلى الحرص على استغلاله بالخير والعمل الصالح، ومن تذكر الموت والرحيل من هذه الدار دعاه ذلك إلى المبادرة بالعمل الصالح أيام الحياة، والاستعداد للدار الآخرة.

الأمر الثاني: مما يستعد به للقاء الله والدار الآخرة:

أداء ما عليه من حقوق لله تعالى، أو للخلق، والخروج منها كلها وبخاصة حقوق الخلق؛ من الدماء والأعراض والأموال وغير ذلك، فإن حقوق الخلق مبنية على المشاحة، فأملك وأبوك وولدك كل منهم سيطالك بحقه إن كان له حق عندك: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾^(٣٤) و﴿أُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾^(٣٥) و﴿صَجِينِهِ وَبَنِيهِ﴾^(٣٦) لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

بل إن العاقل اللبيب ليحرص كل الحرص على عدم تحمل أي حق للخلق من

(١) أخرجه النسائي في الجنائز (١٨٢٤)، والترمذي في الزهد (٢٣٠٧)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٥٨) من حديث أبي هريرة ﷺ. وقال الترمذي: «حديث حسن غريب». وأخرجه الترمذي أيضًا في صفة القيامة والرفائق والورع (٢٤٦٠) من حديث أبي سعيد ﷺ. وقال: «حديث حسن غريب». وصححه الألباني في «الإرواء» (٦٨٢).

الديون وغيرها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً؛ لأن الإنسان لا يدري متى يباغته الأجل، ونفس المؤمن معلقة بدينه حتى يُقضى عنه، كما جاء في الحديث (١).

ومن صدق الثقة بموعد الله ﷻ وجزيل ثوابه أن يعفو الإنسان عما له من حقوق عند الآخرين، من دم أو عرض أو مال ونحو ذلك ما أمكنه ذلك، قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].

فاحرص أخي المسلم بارك الله فيك على أن تقدم على ربك وليس لأحد من الخلق عليك حق ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وتأمل خطورة الأمر، وتذكر قول الناصح الأمين ﷺ لأصحابه: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا. فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فئت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه، ثم طرح في النار» (٢).

واحرص أخي المسلم على مسامحة إخوانك المسلمين والعفو عن هفواتهم، واعلم أنك كما تدين تدان، فإن كنت تحب أن يعفو الله عن ذنوبك وهفواتك فاعف عن الآخرين، وكن من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿ [آل عمران: ١٣٣، ١٤٣]. نسأل الله الكريم من فضله.

واحذر أن يكون في نفسك حقد أو عداوة أو ضغينة أو حسد لأحد من المسلمين،

(١) أخرجه الترمذي في الجنائز (١٠٧٨، ١٠٧٩)، وابن ماجه في الأحكام (٢٤١٣)، وأحمد ٥٠٨/٢ (١٠٥٩٩) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه. وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» (٢٩١٥)، «صحيح الجامع» (٦٧٧٩).

(٢) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨١)، والترمذي في صفة القيامة (٢٤١٨)، وأحمد ٣٠٣/٢ (٨٠٢٩) من حديث أبي هريرة رضى الله عنه.

حتى وإن أساء إليك، واعلم أنه قل من يسلم من ذلك، واعلم أن هذا مركب صعب وعقبة
كؤود، وصدق الله العظيم: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ
عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ مَوْلَا حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

واعلم أخي المسلم أنك لن تهتداً، ولن تنام قرير العين ولن تذوق طعم السعادة حتى
تجعل العفو والتسامح ديدنك، وما إخالك ترضى بالدون، وأنت تجد ما هو أعظم وأوفى
منه، فإن من كان شعاره العفو والتسامح فأجره على العفو الكريم، بلا حد ولا عد: ﴿فَمَنْ
عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

فعالج قلبك، والعاقبة للمتقين ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾
[الشعراء: ٨٨، ٨٩]، عسى أن تلقى الله وقد تخلصت مما عليك من الحقوق فلا أحد يطالبك
بشيء، وعفوت عما لك من الحقوق فيكافئك عن ذلك صاحب العفو والفضل والإحسان
بكرمه وجوده، وما أراك تعدل بهذا شيئاً.

وتأمل وفقك الله مدى الفرق الشاسع والبون الواسع بين من يأتي غداً يطلب حقوقه
عند الآخرين من أقاربه وجيرانه وإخوانه وغيرهم فيقتطع له من أعمالهم بقدر حقه ولو
كان مثقال ذرة، وبين من يقال له بلسان الحال أو المقال: أنت سمحت أصحاب الحقوق
التي لك، والله ﷻ أولى منك بالمساحة، فخذ ما شئت من الأجر والفضل بلا حد ولا عد،
شتان بين هذا وهذا، وبين الثرى والثريا!

الأمر الثالث: مما ينبغي أن يستعد به للقاء الله تعالى:

كتابة وصيته، وما عليه من حقوق، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ
الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠].
وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه
بيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده»^(١).

(١) أخرجه البخاري في الوصايا (٢٧٣٨)، ومسلم في الوصية (١٦٢٧)، وأبو داود في الوصايا (٢٨٦٢)،
والنسائي في الوصايا (٣٦١٥-٣٦١٩)، والترمذي في الجناز (٩٧٤)، وابن ماجه في الوصايا (٢٦٩٩)،

والوصية واجبة بالاتفاق إذا كان الإنسان عليه أو له حقوق يجب بيانها وكتابتها، كأن يكون عليه دين لله؛ من زكاة أو كفارة أو نذر أو غير ذلك، أو عليه ديون للناس، أو له عليهم ديون؛ ليؤدَّى ما عليه من حقوق من تركته، ولأن الحقوق التي له على الناس تعد من تركته.

وجمهور العلماء على أنها مستحبة إذا لم يكن عليه حقوق يجب بيانها فيستحب أن يوصي بشيء من ماله.

وذهب بعض أهل العلم: إلى أنها واجبة.

ومما ينبغي أن يعلم من أحكام الوصية أمران، وهما من الأهمية بمكان:

الأول: مقدارها:

اعلم أخي المسلم - بارك الله فيك - أن الوصية جائزة في الثلث وما دونه؛ لقوله ﷺ لسعد بن أبي وقاص ﷺ: «الثلث»^(١).

ويستحب أن تكون الوصية دون الثلث، لقوله ﷺ لسعد: «والثلث كثير».

والأفضل أن تكون بالخمس؛ كما اختار ذلك جمع من السلف؛ منهم: أبو بكر وعلي وابن عباس ﷺ، وغيرهم.

الأمر الثاني: مصرفها:

اعلم أخي - بارك الله فيك - أن الوصية ينبغي أن توجه للأفضل من أعمال البر، وأن تكون مطلقة في وجوه البر كلها يُقدَّم الأهم فالأهم؛ كبناء المساجد، وتعليم القرآن الكريم والسنة المطهرة، ومساعدة الفقراء والمساكين، وحفر الآبار، وفتح الطرق، وبناء المستشفيات والمراكز لغسيل الكلى وعلاج الأورام وغيرها، ودور الرعاية الاجتماعية،

(٢٧٠٢)، وأحمد ١٠/٢ (٤٥٧٨).

(١) أخرجه مالك في الأمر بالوصية (٧٦٣/٢)، والبخاري في المغازي (٤٤٠٩)، ومسلم في الوصية (١٦٢٨)، وأبو داود في الوصايا (٢٨٦٤)، والنسائي في الوصايا (٣٦٢٦)، والترمذي في الوصايا (٢١١٦)، وأحمد ١/١٦٨ (١٤٤٠) من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ.

وغير ذلك من جهات البر مما يحتاجه المسلمون في مصالحهم العامة والخاصة.
وأن يجعل للموصي والناظر عليها تقديم الأولى والأحوج منها حسب الظروف والأحوال.

كما أن مما يستحب أن يوصي أهله ومن خلفه: بتقوى الله ﷻ، والصلاة، وحقوق من تحت أيديهم، فعن علي ﷺ قال: كان آخر كلام رسول الله ﷺ: «الصلاة الصلاة، واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم»^(١).

وعن أنس ﷺ قال: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضرته الوفاة وهو يغرغر بنفسه: «الصلاة، وما ملكت أيمانكم»^(٢).

وفي حديث أم سلمة ﷺ: «فما زال يقولها حتى ما يفيض بها لسانه»^(٣).
وعن عائشة ﷺ: أنه ﷺ أخذ يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات»^(٤)، وعنهما ﷺ: أنه كان يقول: «اللهم اغفر لي وارحمني وألحني بالرفيق الأعلى»^(٥).

هذا، وقد استحب بعض أهل العلم أن يكتب في صدر الوصية ما رواه محمد بن سيرين عن أنس بن مالك قال: «كانوا يكتبون في صدور وصاياهم: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به فلان، إنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً

(١) أخرجه أبو داود في الأدب (٥١٥٦)، وابن ماجه في الوصايا (٢٦٩٨)، وأحمد ١/٧٨ (٥٨٥). وصححه الألباني في «الصحيحه» (٨٦٨)، و«الإرواء» (٢٣٨/٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه أيضاً (٢٦٩٧)، وأحمد ٣/١١٧ (١٢١٦٩).

(٣) أخرجه ابن ماجه في الجنائز (١٦٢٥)، وأحمد ٦/٢٩٠، ٣١١ (٢٦٤٨٣، ٢٦٦٥٧)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحه» (٨٦٨)، و«الإرواء» (٢٣٨/٧).

(٤) أخرجه البخاري في المغازي (٤٤٤٩)، وفي الرقاق (٦٥١٠)، وأحمد ٦/٦٤ (٢٤٣٥٦).

(٥) أخرجه مالك في الجنائز (٢٣٨/١)، والبخاري في المغازي (٤٤٤٠)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٤)، والترمذي في الدعوات (٣٤٩٦)، وابن ماجه في الجنائز (١٦١٩)، وأحمد ٦/٢٣١ (٢٥٩٤٧).

عبده ورسوله ﷺ، وأن الجنة حق، وأن النار حق ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّارْتَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧]، وأوصى من تركه من أهله أن يتقوا الله، ويصلحوا ذات بينهم، ويطيعوا الله ورسوله إن كانوا مؤمنين، وأوصاهم بما أوصى إبراهيم بنيه ويعقوب: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] (١).

وأخيراً، وعوداً على بدء أقول: إن من الاستعداد للقاء الله والدار الآخرة- مع ما سبق ذكره- أن يكون الإنسان كلما تقدم به العمر أكثر تنظيمًا لأحواله وتفرغًا لعبادة ربه، فإن الله ﷻ في هذه السورة العظيمة سورة النصر آذن رسوله ﷺ بقرب وفاته، وبانتهاء مهمته في هذه الحياة، وأمره بالتوجه إلى الله والتفرغ لتسبيح الله وحمده واستغفاره، كما قال تعالى في سورة الانشراح: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الانشراح: ٧، ٨].

ولن يتيسر ذلك للإنسان إلا إذا اكتفى من التعلق بالدنيا بما تدعو الحاجة إليه، وهو نصيبه من الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧].

وأنت- أخي المسلم- أحد رجلين: إما منعم موسع عليه في رزقه، وإما مبتلى مضيق عليه في ذلك، كما ذكر الله ﷻ (٢).

فإن كنت ممن ابتلى بضيق الحال، وقلة ذات اليد، وتحتاج إلى الكد والعمل الساعات الطويلة للسعي في طلب الرزق، لإعفاف نفسك وأهل بيتك، مما لا تستطيع معه التفرغ للعبادة، فالزم أداء الفرائض واجتناب النواهي مع القيام بما قدرت عليه من النوافل، وأبشر بالخير فإنك مثاب مأجور على طلب الرزق لإعفاف نفسك بإذن الله ﷻ؛ فإن السعي لطلب الرزق من طاعة الله تعالى وعبادته. فإن الإنسان يؤجر حتى على ما يجعل

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» ٥٣/٩ (١٦٣١٩)، وسعيد بن منصور في «سننه» ١/١٢٦ (٣٢٦)،

والدارقطني في «سننه» (٤/١٥٤)، والبيهقي (٦/٢٨٧). وصححه الألباني في «الإرواء» (١٦٤٧).

(٢) في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رُبُّهُ أَكْرَمَنِي ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾ [الفجر: ١٥-١٦].

في في امرأته^(١).

وإن كنت ممن نعمة الله ووسع له في رزقه، فاحذر أن تبترك النعمة وتلهيك الدنيا عن طاعة الله ﷻ، وفرغ نفسك بعض الوقت لعبادة ربك والاستزادة من نوافل العبادة، واحرص على ذلك كلما تقدم بك العمر، وخذ أكبر نصيب من ربك، واحفظ دينك، وقدم مالك وقاية لدينك، فإن كان لك أموال تشغلك إدارتها؛ من تجارة، أو زراعة، أو صناعة، أو غير ذلك فشجع أولادك على مساعدتك، بل وعلى النيابة عنك لتتفرغ لما هو أهم وهو عبادة ربك، ولا تبخل على أولادك في هذا ولو شاطرهم بعض مالك، فالمال إن بخلت به عنهم شغلك عن طاعة الله حتى آخر لحظة من عمرك، ثم تركته وانتقل بعدك إليهم، بل لا تبخل بمالك على من تقيمه يدير أعمالك وإن لم يكن من أولادك ما دام أنه يكفيك إدارة تلك الأموال؛ لتتفرغ لعبادة ربك بقلب حاضر خاشع منيب.

واعلم أن الدنيا بما فيها لا قيمة لها إذا أضعت نصيبك من ربك.

وختامًا أقول: أخي المسلم، تذكر أن المفازة بعيدة، وأن السفر طويل، وأن العقبة كؤود، فأعدّ للأمر عدته.

بكى أبو هريرة رضي الله عنه لما حضرته الوفاة، ثم قال رضي الله عنه: «والله ما أبكي على دنياكم هذه، وإنما أبكي على طول سفري وقلة زادي»^(٢).

وبكى بعض السلف عند وفاته، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: «أبكي إذا صلي المصلون ولست فيهم، وإذا صام الصائمون ولست فيهم، وإذا ذكر الذاكرون ولست فيهم»^(٣).

(١) كما في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «وإنك لن تنفق نفقه تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى ما تجعل في في امرأتك» وقد سبق تخريجه عند الحديث عن مقدار الوصية.
(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٨/٢)، وأحمد في «الزهد» ٢٨٤/١ (٨٣٥)، وابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (١٧٥، ٢٧٨) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٨٣/١).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (١٩٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» ٤١٤/٣ (٣٩٣٥) عن عبيد الله بن محمد التيمي قال: حدثني بعض أشياخنا: أن رجلا من علية هذه الأمة حضرته الوفاة ...

وإن مما يثير العجب: أن الواحد منا إذا أراد سفرًا من الأسفار؛ كالسفر للحج أو العمرة أو غير ذلك، فإنه يعد للأمر عدته ويتجهز لذلك بإعداد الزاد والمزاد والراحلة واختيار الرفقة، ويتفقد السيارة ومحركاتها وعجلاتها ونحو ذلك.

بل إن بعض الناس إذا هم بسفر من الأسفار ظل طول ليله يدخل ويخرج، يرقب الصباح، ولم تذق عينه غمضًا اهتمامًا وتحفزًا لهذا السفر، فأين هذا السفر من السفر للقاء الله والدار الآخرة؟!

اللهم ألهمنا رشدنا ووقفنا للاستعداد لما أمامنا، ووقفنا للإخلاص والسداد في القول والعمل، ولا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين ولا أقل من ذلك.



وقفتان في: الحسد

الوقفة الأولى في: أسباب تحريم الحسد

حرم الله تعالى الحسد، ونهى عنه، وأمر بالاستعاذة من شر الحاسد لأسباب عدة، منها ما يأتي:

أولاً: أن الحسد فيه اعتراض على قضاء الله وقدره وحكمته في تقسيمه الأرزاق بين عباده.

ثانياً: أنه سبب لرد الحق، وعدم قبوله، كما ذكر الله ﷻ عن أهل الكتاب، قال ﷺ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنَّا بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

قال أبو حاتم: «على العاقل مجانبة الحسد على الأحوال كلها، فإن أهون خصال الحسد ترك الرضا بالقضاء، وإرادة ضد ما حكم الله جل وعلا لعباده، ثم انطواء الضمير على إرادة زوال النعم عن المسلم، والحاسد لا تهدأ روحه ولا يستريح بدنه إلا عند رؤية زوال النعمة عن أخيه»^(١).

ثالثاً: أنه من نواقض عرى الإيمان الموجبة لمحبة الخير لأخيه المسلم، وقد قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٢).

رابعاً: أن فيه اعتداءً على المحسود بغير جرم منه، إلا أن الله أعطاه من فضله، وقد

(١) انظر: «روضة العقلاء» ص ١٣٣.

(٢) أخرجه البخاري في الإيمان (١٣)، ومسلم في الإيمان (٤٥)، والنسائي في الإيمان وشرائعه (٥٠١٦)، والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٥)، وابن ماجه في المقدمة (٦٦)، وأحمد ٢٠٦/٣ (١٣١٤٦) من حديث أنس رضي الله عنه.

قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبْنَا فَكَدِّحْنَا لَهُمُ جَزَاءً مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

خامساً: أنه لا يعود على الحاسد إلا بالهم والكمد والأسى، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لله در الحسد ما أعدله! بدأ بصاحبه فقتله»^(١).

وقال أبو الليث السمرقندي: «يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده إلى المحسود: أولها: غم لا ينقطع، الثانية: مصيبة لا يؤجر عليها، الثالثة: مذمة لا يحمد عليها، الرابعة: سخط الرب، الخامسة: يغلغ عنه باب التوفيق»^(٢).
وقال الشاعر:

دع الحسود وما يلقاه من كمدِه يكفيك منه لهب النار في كبدِه^(٣)
سادساً: أن الحاسد مبغض ممقوت عند الله وعند الناس؛ لأنه عدو نعمة الله، وعدو عباد الله.

قال ابن القيم^(٤): «الحاسد عدو نعمة الله وعدو عباده، وممقوت عند الله وعند الناس، ولا يسود أبداً، ولا يواسى، فإن الناس لا يسودون عليهم إلا من يريد الإحسان إليهم، فأما عدو نعمة الله عليهم فلا يسودونه باختيارهم أبداً، إلا قهراً يعدونه من البلاء والمصائب التي ابتلاهم الله بها فهم يبغضونه وهو يبغضهم».

سابعاً: أن الحاسد بدل أن يسعى ويعمل ينشغل بمتابعة ما عند الآخرين، وما أعطاهم الله من فضله، والواجب عليه أن يبذل السبب في السعي والعمل، ويسأل الله من فضله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَسَأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢].

ثامناً: أن الحسد سبب لإيقاع العداوة والبغضاء بين الناس؛ لأنه يحمل الحاسد على

(١) انظر: «شرح نهج البلاغة» ٣١٦/١.

(٢) انظر: «المستطرف» ص ٢٢١.

(٣) انظر: «غذاء الألباب» ٢/٢٨٥، و«جواهر الأدب» ٢/٤٨٦.

(٤) انظر: «التفسير القيم» ص ٥٨٤.

الاعتداء على المحسود، ومنع حقه، وجحد فضله، مما يوغر الصدور، ويشعل نار العداوة بين الناس.

قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: «كل الناس أستطيع أن أرضيه إلا حاسد نعمة، فإنه لا يرضيه إلا زوالها»^(١).

تاسعاً: أنه كبيرة من كبائر الذنوب، ومن صفات إبليس لعنه الله، فهو الذي حسد آدم لشرفه، وأبى أن يسجد له حسداً وكبراً، وهو من صفات اليهود المغضوب عليهم.

عاشرًا: أنه مرض قلبي، من أخطر أمراض القلوب، ومحبط للأعمال، قال رضي الله عنه: «دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء، وهي الخالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»^(٢)، وفي الحديث: «إياكم والحسد؛ فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»، أو قال: «العشب»^(٣).

الوقف الثانية في:

الأسباب التي بها يندفع شر الحاسد بإذن الله رضي الله عنه

يندفع شر الحاسد عن المحسود بعشرة أسباب؛ ذكرها ابن القيم رضي الله عنه^(٤): أخصها فيما يأتي:

أحدها: التعوذ بالله من شره، والتحصن به رضي الله عنه واللجوء إليه، وهو المقصود من سورة الفلق.

السبب الثاني: تقوى الله وحفظه عند أمره ونهيه، فمن اتقى الله تولى الله حفظه ولم يكله إلى غيره، قال تعالى: ﴿وَلِإِنْ نُسَبِّحُكُمْ سَبِّحَةً يَفْرَحُونَ بِهَا وَإِنْ نَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ

(١) أخرجه أبو بكر الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» ٥٠/٣ (٦٥٧).

(٢) أخرجه الترمذي في صفة القيامة ٢٥١٠ - من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو داود في الأدب ٤٩٠٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) انظر: «التفسير القيم» ص ٥٨٥ - ٥٩٤.

شَيْئًا» [آل عمران: ١٢٠].

وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنه: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك»^(١). فمن حفظ الله حفظه ووجده أمامه أينما توجهه، ومن كان الله حافظه وأمامه فممن يخاف؟ وممن يجذر؟

السبب الثالث: الصبر على عدوه، وألا يقاتله، ولا يشكوه، ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً، فما نصر على حاسده وعدوه بمثل الصبر عليه، والتوكل على الله، ولا يستطل تأخيرهِ وبغيهِ، فإنه كلما بغى عليه كان بغيه جنداً وقوة للمبغى عليه المحسود، يقاتل به الباغي نفسه، وهو لا يشعر، فبغيه سهام يرميها من نفسه إلى نفسه، ولو رأى المبغى عليه ذلك لسره بغيه عليه، ولكن لضعف بصيرته لا يرى إلا صورة البغي، دون آخره ومآله، وقد قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصَرِنَهُ اللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].

السبب الرابع: التوكل على الله، فمن يتوكل على الله فهو حسبه، والتوكل على الله من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، وهو من أقوى الأسباب في ذلك، فإن الله حسبه، أي: كافيهِ، ومن كان الله كافيهِ وواقيه فلا مطمع لعدوه، فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن لجعل له ربه مخرجاً من ذلك وكفاه ونصره.

السبب الخامس: فراغ القلب من الاشتغال به والفكر فيه، وأن يقصد أن يحويه من باله كلما خطر له، فلا يلتفت إليه، ولا يخافه، ولا يملأ قلبه بالفكر فيه، وهذا من أنفع الأدوية، ومن أقوى الأسباب المعينة على اندفاع شره، فإن هذا بمنزلة من يطلبه عدوه ليمسكه ويؤذيه، فإذا لم يتعرض له، ولا تماسك هو وإياه، بل انعزل عنه، لم يقدر عليه، فإذا تماسكا وتعلق كل منهما بصاحبه حصل الشر، هكذا الأرواح سواء.

(١) أخرجه الترمذي في صفة القيامة ٢٥١٦، وقال «حسن صحيح» وأحمد ٤/٢٨٦، ٢٨٨.

السبب السادس: الإقبال على الله، والإخلاص له، وجعل محبته ورضاه والإجابة إليه

محل خواطر نفسه وأمانيتها، قال تعالى حكاية عن إبليس: ﴿فِعْرَنَكَ لَأَعُوذَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ ﴿ [ص: ٨٢، ٨٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٩١) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿ [النحل: ٩٩، ١٠٠].

وقال عن يوسف الصديق ﷺ: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

السبب السابع: تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّنِي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

فما سلط على العبد من يؤذيه إلا بذنب يعلمه أو لا يعلمه، وما لا يعلمه العبد من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها، وما ينسأه مما عمله أضعاف ما يذكره، وفي الدعاء: قوله ﷺ: «قولوا: اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلم» (١).
فما يحتاج العبد إلى الاستغفار منه مما لا يعلمه أضعاف أضعاف ما يعلمه، فما سلط عليه مؤذ إلا بذنب.

ولقي بعض السلف رجل فأغلظ له، ونال منه، فقال له: قف حتى أدخل البيت، ثم أخرج إليك، فدخل فسجد لله وتضرع إليه وتاب، وأتاب إلى ربه، ثم خرج إليه، فقال له: ما صنعت؟ فقال: تبت إلى الله من الذنب الذي سلطك به عليّ.

وليس في الوجود شر إلا الذنوب وموجباتها، فإذا عوفي العبد من الذنوب عوفي من موجباتها.

فليس للعبد إذا بُغي عليه، وأوذى، وتسلط عليه خصومه شيء أنفع من التوبة النصوح.

وعلامة سعادته: أن يعكس فكره ونظره على نفسه وذنوبه وعيوبه، فيشتغل بها، وبإصلاحها، وبالتوبة منها، فلا يبقى فيه فراغ لتدبر ما نزل به، بل يتولى هو التوبة، وإصلاح عيوبه، والله يتولى نصرته وحفظه والدفع عنه ولا بد، فما أسعده من عبد! وما أبركها من نازلة نزلت به! وما أحسن أثرها عليه! ولكن التوفيق والرشد بيد الله، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، فما كل أحد يوفق لهذا، لا معرفة به، ولا إرادة له، ولا قدرة عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

السبب الثامن: الصدقة والإحسان ما أمكنه، فإن لذلك تأثيرًا عجيبيًا في دفع البلاء، ودفع العين، ودفع الحسد، ولو لم يكن في هذا إلا تجارب الأمم قديمًا وحديثًا لكفى به، فما تكاد العين والحسد والأذى يتسلط على محسن متصدق، وإن أصابه شيء من ذلك كان معاملًا فيه باللطف والمعونة والتأييد، وكانت له فيه العاقبة الحميدة، فالمحسن المتصدق في خفارة إحسانه وصدقته، عليه من الله جنة واقية، وحصن حصين.

وبالجملية: فالشكر حارس النعمة من كل ما يكون سببًا لزوالها، فما حرس العبد نعمة الله عليه بمثل شكرها، ولا عرضها للزوال بمثل العمل فيها بمعاصي الله، وهو كفران النعمة، وهو باب إلى كفر المنعم.

فالمحسن المتصدق يستخدم جنده وعسكرًا يقاتلون عنه وهو نائم على فراشه.

السبب التاسع: وهو من أصعب الأسباب على النفس وأشقها عليها، ولا يوفق له إلا من عظم حظه من الله، وهو إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، فكلمًا ازداد أذى وشرًا وبغيًا وحسدًا ازدادت له إحسانًا، وله نصيحة، وعليه شفقة، وما أظنك تصدق بأن هذا يكون، فضلًا عن أن تتعاطاه، فاسمع الآن قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٢٤﴾ وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾

[فصلت: ٣٤-٣٦].

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٦﴾

[القصص: ٥٤].

وكان ﷺ يسלט الدم عنه، ويقول: «رب اغفر لقومي؛ فإنهم لا يعلمون»^(١). فجمع في هذه الكلمات الأربع مقامات من الإحسان، قابل بها إساءتهم العظيمة إليه، أحدها: عفوه عنهم، والثاني: استغفاره لهم، والثالث: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون، والرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه فقال: «رب اغفر لقومي». وكما تحب أن يعفو الله عن تقصيرك وإساءتك فاعف أنت عن قَصْرٍ في حقك، وأذاك، وأساء إليك، فكما تدين تدان، وكما تفعل مع عباد الله يفعل الله معك.

وفي هذا نزل في شأن الصديق ﷺ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

وفي الحديث: «وليات للناس الذي يحب أن يؤتى إليه»^(٢). فمن تصور هذا وشغل به فكره هان عليه الإحسان لمن أساء إليه، مع ما يحصل له من نصر الله ومعيته الخاصة، كما قال ﷺ للذي شكاه إليه قرايته، وأنه يحسن إليهم وهم يسيئون إليه، قال: «لا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»^(٣).

هذا مع ما يتعجله من ثناء الناس عليه، ويصيرون كلهم معه على خصمه، فإن كل من سمع أنه محسن إلى ذلك الغير وهو مسيء إليه وجد قلبه ودعاءه وهمته مع المحسن على المسيء، وذلك أمر فطري، فطر الله عليه عباده، فهو بهذا الإحسان قد استخدم عسكرياً لا يعرفهم ولا يعرفونه، ولا يريدون منه إقطاعاً، ولا خبزاً.

(١) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٧)، وفي استنابة المرتدين (٦٩٢٩)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٩٢)، وابن ماجه في الفتن (٤٠٢٥)، وأحمد ١/٣٨٠ (٣٦١١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه من حديث طويل مسلم في الإمارة (١٨٤٤)، والنسائي في البيعة (٤١٩١)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٥٦)، وأحمد ٢/١٩١، ١٩٢ (٦٨٠٧، ٦٧٩٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم في البر والصلة (٢٥٥٨)، وأحمد ٢/٣٠٠ (٧٩٩٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

هذا مع أنه لا بد له من عدوه وحاسده من إحدى حالتين:

إما أن يملكه بإحسانه فيستعبده وينقاد إليه ويذل له ... وإما أن يفتت كبده، ويقطع دابره إن أقام على إساءته إليه، فإنه يذيقه بإحسانه أضعاف ما ينال منه بانتقامه، ومن جرب هذا عرفه حق المعرفة.

السبب العاشر: وهو الجامع لذلك كله، وعليه مدار هذه الأسباب، وهو تجريد التوحيد، والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَضْرِبْكَ فَلَإِنَّ لَكَ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يُرِيدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [الأنعام: ١٠٧].

وقال النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنه: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»^(١).

فإذا جرد العبد التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ما سواه، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه مع الله، وتجرد لله محبة وخشية وإنابة وتوكلاً واشتغالاً به عن غيره والله يتولى حفظه والدفع عنه، فإن الله يدافع عن الذين آمنوا، وبحسب إيمان العبد يكون دفع الله عنه، فإن كمل إيمانه دفع الله عنه أتم دفع، وإن مزج مزج له، وإن كان مرة ومرة فالله له مرة ومرة.

كما قال بعض السلف: «من أقبل على الله بكلية أقبل الله عليه جملة، ومن أعرض عن الله بكلية أعرض الله عنه جملة، ومن كان مرة ومرة فالله له مرة ومرة». فالتوحيد حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الأمنين.

قال بعض السلف: «من خاف الله خافه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه كل شيء». قال ابن القيم رحمه الله (٢) بعد أن ذكر هذه الأسباب: «هذه عشرة أسباب يندفع بها شر الحاسد والعائن والساحر، وليس له أنفع من التوجه إلى الله، وإقباله عليه وتوكله عليه وثقته به، وألا يخاف معه غيره، بل يكون خوفه منه وحده، ولا يرجو سواه، بل يرجوه

(٢) انظر: «التفسير القيم» ص ٥٩٤.

(١) سبق تخريجه.

وحده، فلا يعلق قلبه بغيره، ولا يستغيث بسواه، ولا يرجو إلا إياه، ومتى علق قلبه بغيره ورجاه وخافه وكل إليه، وخذل من جهته، فمن خاف شيئاً غير الله سُلِّطَ عليه، ومن رجا شيئاً سوى الله خذل من جهته، وحرّم خيره، هذه سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً».



وقفه في: وسوسة الشيطان للإنسان على أنواع ومراتب

أ- أنواع وسوسة الشيطان للإنسان:

وسوسة الشيطان للإنسان أنواع كثيرة، منها ما يأتي:

تزيين الكفر والشرك؛ قال الله تعالى: ﴿لَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيْطَانَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوْزُهُمْ أَرْأُ﴾ [مريم: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفُتَاتَانَ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

ومنها: تزيين المعاصي؛ قال تعالى عن الأبوين عليهما السلام: ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَنَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلَّهُمَا بِهِنَّ فَعَلَمَا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٠-٢٢]، وقال تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَتَاكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠].

وقد جعل الله للشيطان سلطاناً على قلوب أهل الكفر والنفاق، كما جعل له نفوذاً على أهل الغفلة والمعاصي، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

وقال ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» (١).

(١) أخرجه البخاري في الاعتكاف ٢٠٣٨، وفي الأدب ٦٢١٩، ومسلم في السلام ٢١٧٥، وأبوداود في الصوم ٢٤٧٠، وابن ماجه في الصيام ١٧٧٩، من حديث صفية رضي الله عنها.

ومنها: ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يأتي الشيطان أحدكم، فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته»^(١).

وفي رواية: أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله، إن أحدنا ليجد في نفسه ما أن يكون حممة أحب إليه من أن يتكلم به. قال: «الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة»^(٢).

ومنها: أن يشغل القلب بحديثه ووساوسه فيوقعه في نسيان ما أراد فعله أو قوله من أمر ديني أو دنيوي، كما قال تعالى حكاية عن صاحب موسى عليه السلام أنه قال: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا أَنْسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: ٦٣]، وتقدم في الحديث: «أنه يخطر بين المصلي وبين قلبه، فيقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر، حتى لا يدري أثلاثاً صلى أم أربعاً»^(٣).

ومنها: أنه يوهم الإنسان ويخوفه من الأمور المستقبلية، ويحمله على التشاؤم دائماً، ويجعل الحياة مظلمة في عينيه فتنتابه المخاوف على المستقبل، والمخاوف من الأعداء، ومن العين، ومن المرض، ومن الموت، ونحو ذلك، وكل ذلك من الشيطان أخزاه الله.

وعلاج ذلك قوة الإيمان بالله والتوكل عليه واطراح هذه الوسوس، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

ومنها: أن يوحى إلى أعوانه من شياطين الإنس بأن يقول أحدهم أو يفعل ما فيه

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق (٣٢٧٦)، ومسلم في الإيمان (١٣٤)، وأبو داود في السنة (٤٧٢١)، وأحمد ٣٣١/٢ (٨٣٧٦).

(٢) أخرجه أبو داود في الأدب (٥١١٢)، وأحمد ٢٣٥/١ (٢٠٩٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنه. وصححه الألباني في تحقيقه «الإيمان» لابن أبي شيبه ص (١٠٣).

(٣) أخرجه البخاري في الأذان ٦٠٨، ومسلم في الصلاة ٣٨٩، وأبو داود في الصلاة ٥١٦، والنسائي في الأذان ٦٧٠، والترمذي في الصلاة ٣٩٧، وابن ماجه في إقامة الصلاة ١٢١٦.

ضرر على العبد المسلم، فكم دبر الشيطان من مكيدة للمؤمنين على أيدي أعوانه من شياطين الإنس بسفك دم، أو انتهاك عرض، أو شتم وسب، أو مقالة سوء، أو نجوى، يريد بها الشيطان إلحاق الضرر والأذى والحزن بالمؤمنين ونحو ذلك، كما قال ﷺ: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٠].

وخلاصة القول: أن وسوسة الشيطان على أنواع لا تكاد تحصى كثرة، وهي سبب لكل بلية ولكل معصية تقع في الأرض؛ من ترك للواجبات أو انتهاك للمحرمات وهي على مراتب^(١):

ب- مراتب وسوسة الشيطان للإنسان:

يأتي الشيطان أولاً إلى الإنسان فيدعوه إلى الكفر والشرك ومعاداة الله ورسوله؛ ليكون من جنده ومن أعوانه على الشر.

فإن أيس منه، وكان ممن سبق له الإسلام في بطن أمه دعاه إلى المرتبة الثانية من الشر، والتي هي باب من الكفر والشرك، وهي البدعة، وحببها إليه لعظم ضررها في الدين، وكون ضررها متعدداً، وشدة تمسك صاحبها بها لا يكاد يتوب عنها، كما دلت على ذلك الآثار، وكما هو حال أهل البدع.

فإن عجز عن إيقاعه في هذه المرتبة، وكان ممن وفق إلى السنة ومعاداة أهل البدع والضلال، دعاه إلى المرتبة الثالثة من الشر؛ وهي: الوقوع في الكبائر على اختلاف أنواعها. فإن عجز عنه دعاه إلى المرتبة الرابعة؛ وهي: الوقوع في الصغائر والاستهانة بها، وهي إذا اجتمعت أهلكت صاحبها، وفي الحديث: «إياكم ومحقرات الذنوب؛ فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه»^(٢).

وقال ﷺ: «يا عائشة، إياك ومحقرات الذنوب؛ فإن لها من الله طالباً»^(٣).

(١) انظر: «التفسير القيم» ص ٦٤.

(٢) أخرجه أحمد ١/٤٠٢، من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٣) أخرجه ابن ماجه في الزهد ٤٢٤٣، من حديث عائشة ﷺ. وقال في الزوائد: «إسناده صحيح، ورجاله ثقات».

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: «لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار»^(١). فإن عجز عن إيقاعه في هذه المرتبة دعاه إلى المرتبة الخامسة؛ وهي: الانشغال بالمباحات؛ من المآكل والمشرب وتزجية الأوقات بالنزه في المصايف والاستراحات والسياحة هنا وهناك إيثاراً للشهوات ورغبات النفس، وبهذا ضاعت كثير من أعمار الخلق. بل أدى ذلك بالكثيرين إلى التقصير في الواجبات، والتفريط في حق الله وحقوق الخلق؛ كالوالدين والأزواج والأولاد والأقارب والجيران، وحقوق الأمة؛ بل أدى إلى التفريط في حق النفس، وعدم أخذها بالحزم في أداء الواجبات، والبعد عن المنهيات، والنظر في كتاب الله، وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم الذي هو الغذاء الروحي للنفس، والذي لا حياة للقلوب إلا به.

ولعمر الله! لقد خرج الناس بهذه المباحات عن الحد حتى ضاعت أعمار وأعمال وأموال، ونسي كثير من الناس أن الدنيا مزرعة للآخرة، وأن الحياة ميدان مسارعة، ومسابقة ومنافسة للفوز بتلك الدار، وأن الأيام والليالي خزائن للأعمال.

فكم من حقوق لله صلى الله عليه وسلم ضيعت وفرطت فيها؛ كالصلاة وغيرها؛ بسبب الركض وراء هذه المباحات!

وكم من حقوق للخلق وللأمة أهدرت بسبب ذلك!

فكم من والد مقعد على أحر من الجمر يتمنى أن يرى أولاده معه على مائدة طعام، أو أن يكون بجانبه أحد أولاده لتهيئة القهوة له أو لضيوفه ولكن هيهات! فالأولاد كلهم مشغولون بلا شغل في الفلوات والخلوات والاستراحات والذهاب يميناً وشمالاً وهنا وهناك، والمحصلة صفر. والله المستعان.

وكم من زوجة تنتظر زوجها بفارغ الصبر إلى ساعة متأخرة من الليل ولو حرك الهواء أحد الأبواب أو مرّ بها قط وهي غافلة طار عقلها خوفاً وفرعاً وزوجها مشغول

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (٦/٦٥١)، وابن المنذر في «تفسيره» (٦/٦٧١ (١٦٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/٩٣٤ (٥٢١٧).

خارج البيت بلا شغل، ولو جاء وهي نائمة لأوسعها سبباً وشتماً، إن لم يضربها أو يهددها بالضرب والطلاق!

وكم من أولاد- هم فلذات الأكباد- ليس لهم نصيب من جلوس والدهم بينهم وتربيته لهم وحنانه عليهم، بل ربما ليس لهم نصيب من رؤيته إلا النزر القليل يأتي إلى البيت وهم نائمون ويخرج في الصباح إلى العمل، وإذا جاء من العمل تناول غداءه على وجه السرعة ثم انطلق خارج البيت إلى هَوِيٍّ من الليل وهكذا!

وكم من أقارب وجيران وأخوات وإخوان أضحت حقوقهم في خضم النسيان بسبب ما ذكر!

وكم من مسؤوليات عامة أو خاصة ضُيعت وفرط فيها بسبب هذه الأحوال!

وكم من شخص صار قلبه خواء مظلماً خرباً لخلوه من الغذاء الروحي؛ من الذكر وقراءة القرآن والسنة وتدبر ما فيها من المعاني والأحكام بسبب انغماسه في هذه الأحوال وانشغاله بها!

وصدق الله العظيم: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

فإن عجز الشيطان عن شغل العبد بالمباحات دعاه إلى المرتبة السادسة؛ وهي: الاشتغال بالمفضول عما هو أفضل منه؛ ليفوت عليه ثواب العمل الفاضل، ويزيح عنه الفضيلة ويقلل من فضله وثوابه، فيظن أن هذا الداعي من الله لا اعتقاده أن هذا خير، وأن الشيطان لا يأمر بخير، فيقول: هذا الداعي من الله.

قال ابن القيم^(١): «ولم يصل علمه إلى أن الشيطان يأمر بسبعين باباً من أبواب الخير، إما ليتوصل إلى باب واحد من الشر، وإما ليفوت بها خيراً أعظم من تلك السبعين باباً وأجل وأفضل...».

(١) انظر: «التفسير القيم» ص ٦١٢-٦١٣.

وقفة في: ما يعتصم به الإنسان من الشيطان

ذكر ابن القيم رحمته (١) قاعدة نافعة فيما يعتصم به العبد من الشيطان ويستدفع به شره ويحترز به منه، وذلك عشرة أسباب، أخصها فيما يأتي:

❖ **الحرز الأول:** الاستعاذة بالله من الشيطان، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ

نَزَعٌ فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

وعن سليمان بن صرد رحمته قال: «استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمر وجهه، فقال النبي ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول النبي ﷺ، فقال: «إني لست بمجنون» (٢).

❖ **الحرز الثاني:** قراءة المعوذتين؛ فقد كان النبي ﷺ يتعوذ بهما في كل ليلة، وقال ﷺ:

«ما تعوذ متعوذ بمثلهما» (٣)، وأمر عقبة بن عامر أن يقرأ بهما دبر كل صلاة (٤).

وقال ﷺ لعبد الله بن خبيب رحمته: «قل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين حين تسمي، وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء» (٥).

وقد تقدم ذكر كلام ابن القيم في أن حاجة الإنسان إلى التعوذ بهاتين السورتين أشد

(١) انظر: «التفسير القيم» ص ٦٢٠ - ٦٣١، و«بدائع التفسير» ٥ / ٤٦٤ - وما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب (٦١١٥)، ومسلم في البر (٢٦١٠)، وأبو داود في الأدب (٤٧٨١)، وأحمد ٦ / ٣٩٤ (٢٧٢٠٥).

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة (١٤٦٣) من حديث عقبة بن عامر رحمته. وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٣١٦).

(٤) أخرجه أبو داود في الصلاة ١٥٢٣، والنسائي في السهو ١٣٣٦، والترمذي في فضائل القرآن ٢٩٠٣، وأحمد ٤ / ١٥٥، وقال الترمذي «حديث غريب».

(٥) أخرجه أبو داود في الأدب، باب ما يقول إذا أصبح ٥٠٨٢، والنسائي في الاستعاذة ٥٤٢٨، ٥٤٢٩، والترمذي في الدعوات ٣٥٧٥، وأحمد ٥ / ٣١٢.

من حاجته إلى الطعام والشراب والنفس واللباس فتأمل هذا.

❖ **الحرز الثالث:** قراءة آية الكرسي، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان، فأتى آت، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر الحديث إلى أن قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح»^(١).

❖ **الحرز الرابع:** قراءة سورة البقرة، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، وإن البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان»^(٢).

❖ **الحرز الخامس:** قراءة خاتمة سورة البقرة، كما في حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»^(٣).

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام، أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، فلا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان»^(٤).

❖ **الحرز السادس:** قراءة أول سورة: «حم المؤمن» إلى قوله: «إليه المصير» مع آية الكرسي؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ: حم المؤمن إلى: «إليه المصير»، وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي، ومن قرأهما حين يمسي حفظ

(١) أخرجه البخاري في البخاري في الوكالة (٢٣١١) وفي بدء الخلق (٣٢٧٥)، وفي فضائل القرآن (٥٠١٠) ولم يصرح فيه بالتحديث.

(٢) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين (٧٨٠)، أبو داود في المناسك (٢٠٤٢)، والترمذي في فضائل القرآن (٢٨٧٧)، وأحمد ٢/٣٦٧ (٨٨٠٤).

(٣) أخرجه البخاري في المغازي ٤٠٠٨، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها ٨٠٧، ٨٠٨.

(٤) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن (٢٨٨٢)، وأحمد ٤/٢٧٤ (١٨٤١٤)، والدارمي ٢/٥٤٢ (٣٣٨٧)، والنسائي في «الكبرى» ٦/٢٤٠ (١٠٨٠٣)، والحاكم (١/٥٦٢). قال الترمذي: «حديث غريب». وقال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٩٩).

بهما حتى يصبح»^(١).

❖ **الحرز السابع:** قول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»، مائة مرة؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي. ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من ذلك»^(٢).

❖ **الحرز الثامن:** كثرة ذكر الله ﷻ، وهو من أنفع الحروز وبه طمأنينة القلب، كما قال ﷺ: ﴿أَلَا يَذَكِّرُ اللَّهُ تَطْمِينِ الْقُلُوبِ﴾ [الرعد: ٢٨].

❖ **الحرز التاسع:** الوضوء والصلاة، قال ابن القيم: «وهذا من أعظم ما يُتحرز به، ولا سيما عند توارد قوة الغضب والشهوة، فإنها نار تغلي في قلب ابن آدم... والوضوء يطفئها، والصلاة إذا وقعت بخشوعها والإقبال فيها على الله أذهبت أثر ذلك كله. وهذا أمر تجربته تغني عن إقامة الدليل عليه»^(٣).

❖ **الحرز العاشر:** الإمساك عن فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الأنام، فإن الشيطان إنما يتسلط على ابن آدم وينال منه غرضه من هذه الأبواب الأربعة. ويا صعوبة التخلص منها إلا على من وفقه الله. فإن فضول النظر يدعو إلى الاستحسان ووقوع صورة المنظور إليه في القلب، والاشتغال به، والفكرة في الظفر به.

وفي الأثر: «إن النظرة سهم من سهام إبليس مسموم، من تركها مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه»^(٤).

(١) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن (٢٨٧٩)، والدارمي ٥٤١/٢ (٣٣٨٦). قال الترمذي: «حديث غريب». وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٧٦٩).

(٢) أخرجه مالك في القرآن (٢٠٩/١)، والبخاري في بدء الخلق (٣٢٩٣)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩١)، والترمذي في الدعوات (٣٤٦٨)، وابن ماجه في الأدب (٣٧٩٨)، وأحمد ٣٠٢/٢ (٨٠٠٨).

(٣) انظر: «التفسير القيم» ص ٦٢٤.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» ١٧٣/١٠ (١٠٣٦٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً. وأخرجه الحاكم (٣١٣/٤) من حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً. وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وقال الألباني في

وقد قيل:

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فتك السهام بلا قوس ولا وتر^(١)
والإمساك عن فضول الطعام:

فإن تتبع أطايب المأكولات وأنواعها سبب للغفلة عن ذكر الله وكون الإنسان بهيمياً
همه بطنه، كما أن الإكثار من الأكل سبب للتخمة والكسل وثقل الجسم عن العمل.
وفي الحديث: «ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيات يقمن
صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»^(٢).

والإمساك عن فضول الكلام:

فإن الإكثار من الكلام فيما لا يعني سبب للوقوع فيما لا ينبغي، ولهذا أمر الإسلام
بحفظ اللسان، قال تعالى: ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، أنه قال: فقلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بها نتكلم به
أو فيما نقول بألستنا؟ قال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم
أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»^(٣).

والإمساك عن فضول مخالطة الأنام:

فإن فضول مخالطة الأنام من أعظم أسباب الشرور والآثام، فيجب أن تكون مخالطة
العبد للناس على قدر الحاجة.

«الضعيفة» (١٠٦٥): «ضعيف جداً».

(١) انظر: «الجواب الكافي» ص ١٣٤، و«روضة المحبين» ص ١٠٧.

(٢) أخرجه الترمذي في الزهد ٢٣٨٠، وابن ماجه في الأطةمة ٣٣٤٩، من حديث المقدم بن معديكرب
رضي الله عنه. وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٣) أخرجه الترمذي في الإيمان (٢٦١٦)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٣)، وأحمد ٢٣١/٥ (٢٢٠١٦).
قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٢٨٤)، وفي «الإرواء»
(٤١٣).

والناس في هذا أربعة أقسام:

القسم الأول: مَنْ مخالطته كالغذاء لا يُستغنى عنه في اليوم والليلة، وهم العلماء بالله وأمره، الناصحون لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

القسم الثاني: من مخالطته كالدواء يحتاج إليه عند المرض، فما دام الشخص صحيحاً فلا حاجة له في مخالطتهم، وهم من لا يستغنى عن مخالطتهم في مصلحة المعاش، فتكون مخالطتهم بقدر الحاجة.

القسم الثالث: من مخالطتهم كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه، وقوته وضعفه، فمنهم من تكون مخالطته ضرراً عليك في دينك ودنياك فهم كمرض الموت المخوف، ومنهم من تكون مخالطته كوجع الضرس يشتد فإذا فارقك سكن الألم، ومنهم من تكون مخالطته حمى الروح، وهو الثقل البغيض، الذي لا تستفيد منه ولا يستفيد منك، لا يحسن أن يتكلم فيفيدك، ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك، ولا يعرف نفسه فيضعها منزلتها، فمخالطة هذا النوع - وهم كل مخالف - حمى الروح، ومن نكد الدنيا على العبد أن يتبلى بواحد من هذا الضرب، وليس له بد من معاشرته ومخالطته فليعاشره بالمعروف، حتى يجعل الله له من أمره فرجاً ومخرجاً.

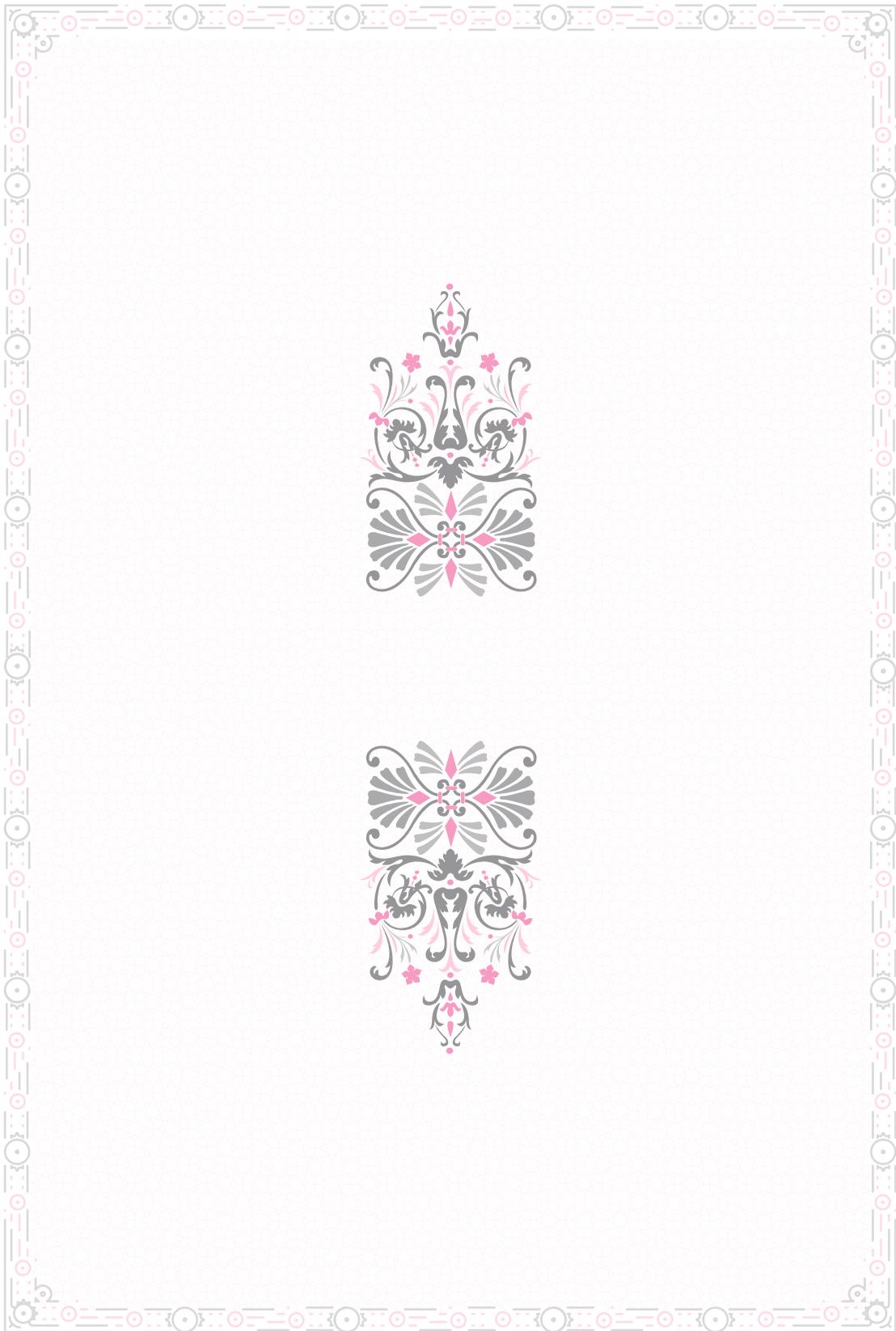
القسم الرابع: من مخالطته الهلك كله بمنزلة أكل السم، كأهل البدع والضلال، الصادين عن سنة رسول الله ﷺ.

فالحزم كل الحزم البعد عنهم، والحذر منهم، والتماس مرضاة الله تعالى ورسوله بإغضابهم.

وكما قيل:

لقد زادني حباً لنفسي أنسي بغيض إلى كل امرئ غير طائل^(١)

(١) البيت للطرماح وهو في «ديوانه» ص ٣٤٦، تحقيق عزة حسن، دمشق ١٩٦٨ م.



مسك الختام في:

وصايا وفوائد وفرائد وحكم ومعانٍ شعريّة

أولاً: وصايا مهمة:

هذه مئة وصية اخترتها لتكون نبراساً لكل مسلم ومسلمة، في طريقه إلى الله تعالى، ومنهج حياته، مستخلصة من الكتاب والسنة؛ وبعضها خلاصة للوقفات السابقة.

الوصية الأولى

بتقوى الله تعالى؛ فهي وصية الله ﷻ للأولين والآخرين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].
وتصوّر الهدف الذي خلقنا الله ﷻ من أجله وهو عبادته، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فإن مصيبة كثير من المسلمين اليوم ضعف التصور لهذا الهدف والتأمل فيه، وما ينبغي له، بل غياب هذا الهدف تماماً عند كثير منهم، مما يولّد لدى الكثيرين الخواء الروحي الذي يكون سبباً في ضياع العمر، في اللهو والغفلات، وتزجية الأوقات في الأسفار والتنزهات، وعدم معرفة قيمة الوقت، وخسارة العمر والحياة، وقد قال الله ﷻ:

﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُورٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر: ١-٢].

[سورة العصر: ١-٢].

الوصية الثانية

بالإخلاص لله تعالى في العبادة والعمل؛ قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

قال الفضيل بن عياض رحمته: «أي: أخلصه وأصوبه»^(١).
فالإخلاص لله تعالى أمر عظيم، ومطلب عزيز، قال بعض السلف: «ما جاهدتُ نفسي على شيءٍ ما جاهدتها على الإخلاص»^(٢).
فكم من عبادات وطاعات حِطَّت بسبب الرياء والسمعة وفقدان الإخلاص!
وكم من أعمال وأعمار ضاعت بسبب عدم استحضار النية والإخلاص في التعليم والقضاء، وفي الإمامة والأذان، وفي الإنفاق، وفي الأعمال الوظيفية، وغير ذلك!
ينظر كثيرون إلى الجانب المادي فقط، ولم يخطر لهم ببال الاحتساب في ذلك، وطلب ما عند الله تعالى.

وهذه مصيبة أكثر العاملين في الأمة إلا من رحم الله تعالى.
وأشد من ذلك من ينظر فقط إلى كثرة أتباعه، وثناء الناس عليه، وامتداحهم له.
وقد قال الله ﷻ: ﴿وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧].

وقال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»^(٣).

(١) انظر: «الإخلاص والنية» لابن أبي الدنيا (ص ٥٠)، «حلية الأولياء» (٨ / ٩٥).

(٢) انظر: «القول المفيد على كتاب التوحيد» لابن عثيمين (١ / ٦٦).

(٣) سبق تخريجه.

الوصية الثالثة

بالتوكل على الله تعالى وتمام الثقة به؛ فمن توكل على الله تعالى كفاه، وحفظه ووقاه، قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

ولن يجد الإنسان السعادة والطمأنينة وراحة البال، حتى يتوكل على الله تعالى ويسلم أمره لله ﷻ.

قال الشاعر^(١):

سَاعِيشُ رَغَمِ الدَّاءِ والأَدْوَاءِ كَالنَّسْرِ فَوْقَ القِمَةِ الشَّمَاءِ
النُّورُ فِي جَنبِي وَبَيْنَ جَوَانِحِي فَعَلَامَ أَخْشَى السَّيْرِ فِي الظُّلْمَاءِ!؟

الوصية الرابعة

بالمسارعة والمسابقة والمنافسة في طلب مغفرة الله تعالى وجنته، وما يقرب إليه؛ قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقال تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ

(١) سبق تخريجه.

ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿الحديد: ٢١﴾، وقال تعالى:
﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿الواقعة: ١٠، ١١﴾.

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴿البقرة: ١٤٨، والمائدة: ٤٨﴾.

وقال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسْ الْمُتَنَفِّسُونَ ﴿المطففين: ٢٦﴾.

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّهَا ﴿الشمس: ٩، ١٠﴾.

وقال ﷺ: «كل الناس يغدو، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها» (١).

فسارع وسابق ونافس في تعظيم الله ﷻ، والتقرب إليه بأداء حقوقه وحقوق خلقه،
وإلى أعمال البر والخير والإحسان قولاً وفعلاً وبذلاً، واشغَل وقتك بذلك.

قال الشاعر:

وما المرءُ إلا حيثُ يجعلُ نفسه فكن طالباً في الناسِ أعلى المراتبِ (٢)
وقال الآخر:

إذا غامرتَ في شرفٍ مَرُومٍ فلا تَقنَعْ بما دونَ النُّجومِ (٣)
وقال الآخر:

الجدُّ بالجدِّ والحِرمانُ بالكسلِ فانصَبْ نُصبَ عن قريبٍ غايةَ الأملِ (٤)
وقال الآخر:

وَمَن يَتَهَيَّبَ صعودَ الجبالِ يَعِشُ أبدَ الدهرِ بينَ الحُفَرِ (٥)



(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق.

(٣) سبق.

(٤) البيت لصلاح الدين الصفدي من لاميته. انظر: «نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن» (ص ١٥).

(٥) سبق.

الوصية الخامسة

بالحرص كل الحرص على سلامة القلب من الغل والحسد والعداوة والحقد على أحد من المسلمين، ومعالجة القلب ومحاسبته ومراقبته على الدوام، وتأمّل قول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، أي: سليم بالإخلاص لله تعالى، وسليم من الغل والحسد والحقد على عباد الله.

الوصية السادسة

اعلم أن أعظم أسباب التوفيق والقبول، وأوسع أبواب الجنة: الصلاة، وبر الوالدين، وحسن الخلق.

فاقدر لهذا الأمر قدره، وذلك من خلال ما يلي:

أولاً: التفرغ التام للصلاة عند دخول وقتها، وانتظار الصلاة بعد الصلاة؛ لأن من اختل أمر صلاته اختلت أمور دينه ودنياه وأخراه، وقد كان المصطفى ﷺ يردد وهو يجُودُ بنفسه: «الصلاة، الصلاة، الصلاة، وما ملكت أيمانكم»^(١).

واعلم - أخي المسلم - أن قبول الله ﷻ لصلواتك وأجرها بقدر عنايتك بها، بدءاً من متابعة المؤذن، والدعاء بعد الأذان، ثم الوضوء التام، وأخذ الزينة بأجمل اللباس وأتمه، والطيب والسواك، والأذكار أثناء الوضوء، وبعده، وفي الطريق إلى المسجد، وعند دخوله، وتقديم الرجل اليمنى، والقرب من الإمام، وأداء السنة قبلها، والخشوع في الصلاة، وأداء الأذكار والسنة بعدها، ثم تقديم الرجل اليسرى عند الخروج من المسجد، والذكر عند ذلك، وغير ذلك.

(١) سبق تخريجه.

فاستحضر هذه الأمور عند دخول وقت الصلاة، واجتهد فيها، واحذر من أحوال الذين لا يقيمون وزناً لهذه المعاني، فيأتون إلى الصلاة مجرد عادة على أي هيئة كانوا، وبأي لباس ولو كان بقميص النوم، ولو ذهب أحدهم لأدنى مناسبة لتهيأ لذلك بأجمل لباس وأحسن هيئة، وأي مناسبة تفوق الوقوف أمام الله تعالى؟!!

مع عدم مراعاة القرب من الإمام ونقص في السنن، وضعف في الخشوع، وغير ذلك. وليس الكلام هنا في صحة الصلاة، وإنما الكلام في فوات الكثير من الأجر؛ مصداق قوله ﷺ: «إن الرجل ليصلي، ثم ينصرف ما كتب له إلا نصفها، ثلثها... عشرها»^(١).

ثانياً: الحرص كل الحرص على بر الوالدين، وألا يسبقك أحد في ذلك، تجد أثر ذلك توفيقاً لك في أمور دينك ودنياك وأخراك، وصلاًحاً في أهلك وأولادك، وحياة طيبة، وأجرًا عظيمًا عند الله تعالى.

أحسن إليهما غاية الإحسان، واشكرهما، واجلس معهما يومياً إن استطعت، وتفقد أحوالهما، وتلطف معهما، فحققهما كبير، وأجر برهما عظيم، وعقوقهما خطير، وعقابه وخيم.

ثالثاً: اعلم أن أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة حسن الخلق^(٢)، وأنه كاد أن يذهب بخيري الدنيا والآخرة^(٣)، وأن أهله أقرب الناس من النبي ﷺ مجلساً يوم القيامة^(٤)، فخذ

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» ١٩٧/٣ (١٦٢٨) من حديث عمار بن ياسر ﷺ به. وأخرجه أبو داود في الصلاة (٧٩٦)، وأحمد ٤/٣٢١ (١٨٨٩٤)، وابن حبان ٥/٢١٠ - ٢١١ (١٨٨٩) بلفظ: «إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلواته، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها». وحسن إسناده الألباني في «صحيح أبي داود» (٧٦١).

(٢) أخرجه أبو داود في الأدب (٤٧٩٩)، الترمذي في البر والصلة (٢٠٠٢)، وأحمد ٦/٤٥١ (٢٧٥٥٥) والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٦٤)، وابن حبان ١٢/٥٠٦ (٥٦٩٣). قال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وصححه الألباني في تحقيقه «الأدب المفرد»، وفي «التعليقات الحسان» (٥٦٦٤).

(٣) أخرج الطبري في «جامع البيان» (١٩/٥٣٩)، والطبراني في «الكبير» ٢٣/٣٦٧ (٨٧٠)، وفي «الأوسط» ٣/٢٧٨ (٣١٤١). قال الهيثمي في «المجمع» (٧/٢٥٥، ١٠/٧٧٢): «رواه الطبراني وفيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي».

(٤) سبق تخريجه.

من ذلك بأكبر نصيب، واعلم أنه ليس الشديد بالصَّرَعَة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب^(١).

الوصية السابعة

كن محسنًا:

أولاً: في عبادة الله تعالى، بالإخلاص لله تعالى، ومتابعة الرسول ﷺ .
وثانيًا: إلى عبادة الله تعالى بأداء حقوقهم الواجبة والمستحبة من الأقارب والجيران وعامة الناس، وحتى البهائم.
 واعلم أن خلاصة المطلوب منك في القرآن والسنة إحسانان: إحسان في عبادة الله تعالى، وإحسان إلى عباد الله تعالى.

الوصية الثامنة

اعلم أن آية محبة الله تعالى وتعظيمه هي العمل بكتابه ﷻ، واتباع سنة رسوله ﷺ :
 وأن محبة الرسول ﷺ ومناصرته وتوقيره تكون في اتباع سنته ﷺ، والذب عنه وعن سنته، والإكثار من الصلاة والسلام عليه، وليست بالاحتفال بمولده أو الدعاء عند قبره، أو طلب الحاجات وتفريج الكربات منه، ولا بإحياء ليلة السابع والعشرين من رجب بزعم أنها ليلة الإسراء، ولا بإحياء ليلة النصف من شعبان بزعم أنها تُقَدَّر فيها المقادير والأعمال، فهذا كله من البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان، ومن الشرك، فحذارٍ حذارٍ من ذلك.

(١) سبق تخريجه.

الوصية التاسعة

احرص على إتباع القول بالعمل:

فقد أنكر الله ﷻ على الذين يقولون ولا يفعلون، فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

ولنعلم أن العمل لنصرة الإسلام إنما يكون بالتمسك به قولاً وعملاً والدعوة إليه، والدفاع عنه، وليس بالحماس الأجوف الذي ابتلي به كثير من المسلمين اليوم، وهو الاكتفاء بالتباكي على واقع الأمة دون العمل في إصلاح نفسه وأهل بيته وأقاربه وجيرانه وأهل مسجده وأهل حيه، ومن حوله، ونحوهم.

فالتباكي على واقع الأمة لا يجدي شيئاً، ولا تبرأ به الذمة أمام الله تعالى، بل هو انهزام وتخذيل للأمة يصب في مصلحة أعدائها، وما أكثر المتباكين، وما أقل العاملين!

ليس العمل للإصلاح بكثرة القيل والقال في المجالس العامة والخاصة، وفي المنتديات، والمواقع ووسائل التواصل ونقل الأخبار والشائعات وكثرة التحليلات، فهذا ليس فيه إلا مساعدة أهل الباطل في ترويح باطلهم، وقد قال ﷺ: «إذا قال الرجل: هلك الناس فهو أهلكهم»^(١).

ولهذا روي عن عمر ﷻ أنه قال: «إن لله عبداً يُمِيتُونَ الباطلَ بهجره، ويُحيُونَ الحقَ بذكره»^(٢).

وليعلم الجميع أن طريق الإصلاح والإصلاح والربح والفوز والفلاح قد رسمه الله ﷻ بقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا

(١) أخرجه مالك في الكلام (٢/٩٨٤)، ومسلم في البر والصلاة والآداب (٢٦٢٣)، وأبو داود في الأدب (٤٩٨٣)، وأحمد ٢/٢٧٢ (٧٦٨٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» ١/٥٥.

بِالْحَقِّ وَتَوَاصُوا بِالصَّبْرِ ﴿ [سورة العصر]

فالزم هذا الطريق ولا تَحِدْ عنه، وأبشر بالخير.

الوصية العاشرة

أحرص على ملازمة الأوراد اليومية في الصباح والمساء، وعلى قراءة جزء أو حزب من القرآن الكريم أو أكثر:

لأن حاجة الإنسان إلى ذلك أشد من حاجته إلى الطعام والشراب والنفس. والإكثار من الأذكار؛ فإن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأرضها قيعان، وغراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر (١).

والإكثار من الاستغفار والتوبة، قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

وقال ﷺ للمؤمنين: ﴿تَوُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وقال ﷺ: «إني لأستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة» (٢)، وفي رواية: «مئة مرة» (٣).

(١) أخرجه الترمذي في الدعوات (٣٤٦٢)، والطبراني في «الكبير» ١٧٣/١٠ (١٠٣٦٣)، وفي «الأوسط» ٢٧٠/٤ (٤١٧٠)، وفي «الصغير» ٣٢٦/١ (٥٣٩) من حديث ابن مسعود ﷺ. قال الترمذي: «حسن غريب». وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٥).

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات (٦٣٠٧)، والترمذي في التفسير (٣٢٥٩)، وأحمد ٢/٢٨٢ (٧٧٩٣) من حديث أبي هريرة ﷺ. وأخرجه ابن ماجه في الأدب (٣٨١٦) من حديث أبي موسى ﷺ.

(٣) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٢)، وأبو داود (١٥١٥)، وأحمد ٤/٢١١ (١٧٨٤٨) من حديث الأغر المزني ﷺ. وأخرجه ابن ماجه في الأدب (٣٨١٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

الوصية الحادية عشرة

ليدخل كل منّا على ربه ﷻ من باب الضعف والافتقار والذل والخضوع، جامعاً بين الخوف والرجاء، ولا يغتر بعمله، فلا أحد يدخل الجنة بعمله، ولكن برحمة أرحم الراحمين وفضله ﷻ، كما ﷻ (١).

الوصية الثانية عشرة

ليكن كلُّ منّا رحيماً عطوفاً على الفقراء والمساكين واليتامى والأرامل وذوي الحاجات، محباً للمساكين، رقيقاً بالحيوان، «فإنما يرحم الله من عباده الرحماء» (٢)، «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» (٣).

الوصية الثالثة عشرة

بأن ينظم المرء وقته: فينام مبكراً ويقوم مبكراً، يبارك الله له في عمره وفي أهله وولده، ولنحذر من سهر الليل؛ فإنه السبب الأول للتقصير في حقوق الله تعالى وحقوق الخلق، وفي

(١) أخرجه البخاري في المرضي (٥٦٧٣)، ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار (٢٨١٦)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٠١)، وأحمد ٢ / ٢٥٦ (٧٤٧٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز (١٢٨٤)، ومسلم في الجنائز (٩٢٣)، وأبو داود في الجنائز (٣١٢٥)، والنسائي في الجنائز (١٨٦٨)، وأحمد ٥ / ٢٠٤ (٢١٧٧٦) من حديث أسامة بن زيد ﷺ.

(٣) أخرجه أبو داود في الأدب (٤٩٤١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٤)، وأحمد ٢ / ١٦٠ (٦٤٩٤) من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ. قال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٢٥).

فقدان السعادة والبركة في العمر والرزق، وسبب للقلق والأمراض النفسية وغير ذلك.

الوصية الرابعة عشرة

ليعلم الجميع أن وجود ولاية الأمر في الأمة من أعظم نعم الله تعالى على العباد، بهم يأمن الناس على دمائهم وأعراضهم وأمواهم، وبهم تقوم شعائر الدين، وتتظم مصالح المسلمين، وتقوى شوكتهم وتعظم هيبتهم.

وطاعة ولاية الأمر بالمعروف واجبة، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

وقال ﷺ: «على المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(١).

ومن طاعة ولاية الأمر: الالتزام بتطبيق الأنظمة التي يضعونها لحفظ الأمن، وحفظ مصالح المسلمين؛ كنظام المرور، وتنظيم الحج، وغير ذلك.

ومن حق ولاية الأمر: الدعاء لهم، والنصيحة لهم، والتعاون معهم في مصلحة الأمة، والحذر من جعلهم عرضة للطعن في المجالس العامة والخاصة، وفي وسائل التواصل، فإن ذلك إنما يخدم أعداء الأمة المتربصين بها من كل جانب، فحذارٍ حذارٍ من ذلك!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «يجب أن يُعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس».

ثم ذكر الحديث: «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم»، ثم قال:

(١) أخرجه البخاري في الجهاد (٢٩٥٥)، ومسلم في الإمارة (١٨٣٩)، وأبو داود في الجهاد (٢٦٢٦)، والنسائي في البيعة (٤٢٠٦)، والترمذي في الجهاد (١٧٠٧)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٦٤) من حديث ابن عمر ﷺ. وانظر: «مجموع الفتاوى» (٢٨/٣٩٠ - ٣٩١).

«فأوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع العارض في السفر؛ تنبيهًا بذلك على سائر أنواع الاجتماع، ولأن الله أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة، وكذلك سائر ما أوجهه الله في الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمّع والأعياد، ونصر المظلوم، وإقامة الحدود، ولا تتم إلا بالقوة والإمارة، ولهذا رُوي: «إن السلطان ظل الله في الأرض»، ويقال: «ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان»، والتجربة تبين ذلك، ولهذا كان السلف كالفضيل بن عياض والإمام أحمد بن حنبل وغيرهما يقولون: لو كان لنا دعوة مستجابة لَدَعَوْنَا بِهَا لِلسُلْطَانِ»^(١).

الوصية الخامسة عشرة

اعلم أن الدين النصيحة:

فكن ناصحًا لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

قال ﷺ: «الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٢).

وقال جرير بن عبد الله ﷺ: «بايعتُ رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»^(٣).

الوصية السادسة عشرة

لا تنس أن مستقبلك الحقيقي بعد الموت، فاجتهد لتأمين ذلك المستقبل، واربط حياتك بلقاء ربك، ومن بيده مستقبلك.

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٨ / ٣٩٠ - ٣٩١.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْفَيْكَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَّعَ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ وَأَنَّهُ لَهُ الذِّكْرَى ﴿٣٣﴾ يَقُولُ بَلَيْتَنِي فَدَمَّتْ لِحْيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٣، ٢٤].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ بَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبا: ٤٠] ولكن هيهات!

وقال تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ [سبا: ٣٣].

قال الشاعر:

سوف ترى إذا انجلى الغبارُ أفرسٌ تحتك أم حِمَارُ^(١)

الوصية السابعة عشرة

اعرف قيمة حياتك وعمرك، وأن الأيام والليالي خزائن للأعمال، فاملأها بالأعمال الصالحة، واحذر من ملئها بالأعمال السيئة، واعلم أنها لن تأتي خالية فارغة.

الوصية الثامنة عشرة

اعلم أن رأس مال الإنسان في هذه الدنيا أمران: علم نافع وعمل صالح، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣، والفتح: ٢٨، والصف: ٩].

أي: بالعلم النافع والعمل الصالح، فنافس في ذلك فما زال الباب مفتوحاً، والسوق رابحة، فالיום عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل، فخذ نصيبك من ربك، من

الباقيات الصالحات، وتزود من التقوى فإنها خير زاد، واحذر كل الحذر أن تأتي غداً مغبوناً، فلا أحد يرضى الغبن لنفسه.

الوصية التاسعة عشرة

احفظ الله يحفظك؛ احفظ الله بأداء حقوقه، وفعل أوامره واجتناب نواهيه، وأداء حقوق خلقه.

يحفظك في دينك ودنياك وأخراك، وأهلك وولدك ومالك.

واحترز من الذنوب والمعاصي، فهي السبب الأول لمصائب الدين والدنيا والآخرة، وهي السبب لكل بليّة، والجالبة لكل رزية، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِمَّا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

وقال ﷺ: «إن الرجل ليُحرم الرزق بالذنوب يصيبه»^(١).

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: «واحترزوا من الذنوب فإنها أشد عليكم من عدوكم»^(٢).

الوصية العشرون

اعلم أنك لن تذوق طعم السعادة الحقيقية في حياتك حتى تذوق حلاوة الإيمان، وتلتذ بالطاعة والأعمال الصالحة، وينشرح صدرك بذلك، فتستغني بذلك عن فضول

(١) سبق تخريجه.

(٢) ذكره سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان، في تواريخ الأعيان» (١٦٩/٥)، وهو وصية من عمر كتبها إلى سعد ﷺ قال: «كونوا أشد الناس احتراسا من المعاصي بينكم، من عدوكم».

المباحات والم لذات.

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وقال ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»^(١).

الوصية الحادية والعشرون

أحسن الظن بإخوانك المسلمين، واحذر من سوء الظن، ومن انتقاد الآخرين، فلان فيه كذا، وفلان يقول كذا، وكن ناصحاً لجميع المسلمين، وداعيةً خير، واعمل للإصلاح ما استطعت، وانشغل بعيوبك عن عيوب غيرك.

فإن من الناس من يرى القذاة في عين أخيه، ولا يرى الجذع في عينه.

قال الشاعر:

قبيحٌ من الإنسان ينسى عيوبه ويذكر عيباً في أخيه قد اختلفى
ولو كان ذا عقلٍ لما عاب غيره وفيه عيوبٌ لو رآها به اختلفى^(٢)

الوصية الثانية والعشرون

احذر من عثرات اللسان، والقلم والبنان، وسلبياتها في المنتديات ووسائل التواصل

وغيرها، قال الله تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

(١) سبق تخريجه.

(٢) البيتان بلا نسبة. انظر: «نفع الأزهار، في منتخبات الأشعار» (ص ٦٠).

وقال رحمه الله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(١).

وقال رحمه الله: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»^(٢).

وقال رحمه الله: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»^(٣).

قال الشاعر:

احذِرْ لسانَكَ أيها الإنسانُ لا يلدغَنَّكَ إنه تُعبانُ^(٤)

وقال الآخر:

وما من كاتبٍ إلا سيفنى ويبقى الدهر ما كتبت يداهُ

فلا تكتبْ بكفِّكَ غيرَ شيءٍ يسُرُّكَ في القيامةِ أن تراهُ^(٥)

الوصية الثالثة والعشرون

اتقِ الظلم واعلم أن الظلم ظلمات يوم القيامة، كما قال رحمه الله^(٦).

واعلم أن الله سبحانه حرّمه على نفسه وجعله بين العباد محرماً^(٧)، فهو من أكبر الكبائر،

وعاقبته وخيمته، ونهايته أليمة، مما يوجب الحذر منه كل الحذر.

وقد قيل: «إذا دعيتك فدرتك إلى ظلم الناس فاذكر قدرة الله عليك».

وقال الشاعر:

لا تظلمنَّ إذا ما كنتَ مُقتدِراً فالظلمُ يرجع عقباه إلى الندمِ

تنام عينُكَ والمظلومُ مُنتبهٌ يدعو عليك وعينُ اللهِ لم تنمِ^(٨)

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق.

(٥) انظر: «بلوغ الغاية من تهذيب بداية الهداية» لأبي حامد الغزالي ص (٩٧).

(٦) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٧٨)، وأحمد ٣/ ٣٢٣ (١٤٤٦١) من جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٧) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

(٨) سبق.

وقال الآخر:

وما من يدٍ إلا يد الله فوقها
وقال الشافعي رحمه الله:

إلى ديّان يوم الدين نمضي
ستعلم في الحساب إذا التقينا
واعلم أن من أشد أنواع الظلم ما يلي:

- ظلم الزوج لزوجته: قال رحمه الله: «اتقوا الله في النساء فإنهن عَوَانٌ - أي: أسيرات - عندكم، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله».

- ظلم اليتامى بالاعتداء عليهم وأكل أموالهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آيَاتِنِ ظُلْمًا إِنَّمَّا يَاكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

وقال رحمه الله: «إني أحرّج حق الضعيفين: المرأة واليتيم» ^(٣).

ومثل المرأة واليتيم: الضعفاء والمساكين ونحوهم ممن لا حول لهم ولا طول، فظلمهم من أشد الظلم.

- ظلم ذوي القربى؛ لأن حقهم المساعدة لهم والدفاع عنهم، فكيف يقع الظلم من بعضهم على بعض؟! فهذا من أشد الظلم وقعاً على النفوس، كما قال الشاعر:

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضةً

على النفس من وقع الحسام المهند ^(٤)

- ظلم العمال المكفولين بأكل حقوقهم أو تأخيرها أو إلزامهم بأعمال غير ما استقدموا له، أو ضربهم، أو إهانتهم، أو منعهم من الاتصال بذويهم، أو تعريضهم للهلاك بسبب الجوع والعطش، أو الحر والبرد، وغير ذلك.

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٠٤).

(٢) انظر: «المستطرف في كل فن مستطرف» ص (١١٩).

(٤) سبق.

(٣) سبق تخريجه.

- ظلم البهائم بمنعها الطعام والشراب، أو عدم حلبها، أو تحميلها ما لا تُطيق، ونحو ذلك، فقد دخلت امرأة النار بسبب هرة حبستها حتى ماتت، لا هي أطعمتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض^(١).

الوصية الرابعة والعشرون

كن سباقاً للسلام على كل من لقيت من المسلمين، ممن تعرف وممن لا تعرف، واحذر من قصر السلام على من تعرف أو البخل بالسلام.
سلم عند دخول المسجد والبيت والأماكن العامة والخاصة، وفي الطرقات ماشياً أو راكباً، وعند الإشارات الضوئية، وغير ذلك.
قال ﷺ: «وخيرهما من يبدأ بالسلام»^(٢).
وقال ﷺ: «أبخل الناس الذي يبخل بالسلام»^(٣).
واجتمع بين السلام والمصافحة ما أمكنك ذلك، قال أنس بن مالك ﷺ: «كانت المصافحة في أصحاب رسول الله ﷺ»^(٤).

الوصية الخامسة والعشرون

تبسم في وجه من لقيت من إخوانك المسلمين، فقد قال جرير بن عبد الله ﷺ: «ما حَبَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْذُ أَسَلَمْتُ، وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِ»^(٥).

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري في الاستئذان (٦٢٦٣)، والترمذي في الاستئذان والآداب (٢٧٢٩) من حديث أنس ﷺ.

(٥) سبق تخريجه.

وقال ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ»^(١).

وقال ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ»^(٢).

فاحرص - بارك الله فيك - على التخلق بهذا الخلق الكريم، أسوة بالنبي ﷺ، واحذر أن يخدعك الشيطان فيفوت عليك هذا الأجر العظيم.

الوصية السادسة والعشرون

احذر من التعصب بكل أشكاله وأنواعه وألوانه؛ من التعصب لمذهب أو حزب أو قبيلة، أو موطن، أو غير ذلك، فليس في ذلك فائدة إلا ذهاب العمر بلا فائدة، مع التبعات التي لا تُحمد عُقباها، وتأمل أحوال من قَضُوا أعمارهم وراء ذلك، وماذا جَنَوْا!

الوصية السابعة والعشرون

اعلم أن الانتصار الحقيقي للأمة هو الانتصار بدينها وأخلاقها، كما قال الشاعر:
وإنما الأمم الأخلاقُ ما بقيت فإن هُم ذهبَ أخلاقُهم ذهبوا^(٣)
فمتى انتصرت الأمة بأخلاقها، حصلت لها القوة المعنوية، وتقدمت بسياستها واقتصادها، وصارت بإذن الله تعالى في قوة ومنعة من أعدائها.

(٢) سبق تخريجه.

(١) سبق تخريجه.

(٣) سبق.

الوصية الثامنة والعشرون

كن دقيقاً في حساب زكاة مالك، قليلاً كان أو كثيراً، وحدد وقتاً لإخراج الزكاة، سواء في رمضان أو في المحرم، بداية السنة أو في غير ذلك.

واعمل على أنه إذا جاء الوقت المحدد عندك لإخراجها أن تزكي كل ما عندك من المال بغض النظر عن كون بعضه ما تم عليه الحول، ولم تجب زكاته، فهذا أيسر لك وأسهل، وإن حددت لكل ما يدخل عليك من مال بداية حوله من حين دخوله إلى أن يحول عليه الحول، فهذا هو الأصل، لكن قد يكون فيه مشقة عليك.

واعلم أنه لا مانع من تعجيل الزكاة لحول أو حولين عند الحاجة إذا كان المال موجوداً عندك كما تعجل ﷺ زكاة عمه العباس رضي الله عنه (١).

فمتى رأيت بأحد حاجة أو جاءك تعطيه من زكاة مالك، وإن كان لم يتم عليه الحول. وفيه توسعة والله الحمد.

الوصية التاسعة والعشرون

اقدر لشهر رمضان المبارك قدره، واجتهد في حفظ صيامه من المفطرات الحسية والمعنوية، وفي حفظ قيامه بالقيام مع الإمام حتى ينصرف، يُكتب لك قيام كل الشهر.

(١) أخرج الترمذي في الزكاة (٦٧٨) من طريق إسماعيل بن زكريا، عن الحجاج بن دينار، عن الحكم بن عتيبة، عن حجبة بن عدي، عن علي، أن العباس سأل رسول الله ﷺ في تعجيل صدقته قبل أن تحل، فرخص له في ذلك. وفي (٦٧٩) من طريق إسرائيل، عن الحجاج بن دينار، عن الحكم بن جحل، عن حجر العدوي، عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله عنه: «إنا قد أخذنا زكاة العباس عام الأول للعام». قال الترمذي: «لا أعرف حديث تعجيل الزكاة من حديث إسرائيل، عن الحجاج بن دينار، إلا من هذا الوجه، وحديث إسماعيل بن زكريا عن الحجاج عندي أصح من حديث إسرائيل عن الحجاج بن دينار».

واحذر كل الحذر من نوم النهار أو أكثره، وتفويت صلاة الجماعة، أو تأخير الصلاة عن وقتها، فما صام من فعل ذلك.

واحذر من أن تذهب لصلاة التراويح خلف إمام بعينه فتفوتك صلاة الجماعة مع الإمام، فتكون كمن يعمر قصرًا، ويهدم مصرًا، وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، فلا شيء من النوافل يعوض عن صلاة الجماعة مع الإمام.

واحرص على أداء صلاة التراويح في مسجدك، وشجع الإمام والمؤذن وجماعة الحي، وتعهد أولادك وأهلك، فهو خير لك وأعظم أجرًا، وأفضل من البحث عن مسجد آخر.

واعلم أن شهر رمضان هو شهر القرآن، فأكثر فيه من قراءة القرآن الكريم.

واعلم أن القرآن الكريم هو الزاد والمزاد لك في دينك ودنياك وأخراك، اقرأه بتدبر لألفاظه ومعانيه وأحكامه ومواعظه، واعمل به، اختمه على الأكثر في كل شهر، أو في عشرين، أو في عشر، أو في سبع، أو في ثلاث، ولا تزد على ذلك، كما قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ^(١)، ولقوله ﷺ: «لا يفقه من قرأ القرآن بأقل من ثلاث»^(٢).

واعلم أن من قرأه في ثلاث أفضل ممن قرأه كل ليلة؛ لأن من قرأه في ثلاث أخذ بالسنة، ويمكنه تدبر ما يقرأ، أما من قرأه في أقل من ذلك فإنه لم يأخذ بالسنة، ولا يفقه ما يقرأ، وشق على نفسه، وربما ضيع حقوقًا أخرى لنفسه وأهله وولده وغيرهم، والمُنْبِتُ لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى^(٣).

وقد قال ﷺ: «إن هذا الدين يُسر، ولن يشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا»^(٤).

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ورد في حديث مرفوع أخرجه البزار في «مسنده» كما في «كشف الأستار» ٥٧/١ (٧٤)، وابن الأعرابي في «معجمه» ٣/٨٩٩ (١٨٨٣)، والبيهقي (٣/١٨) من حديث جابر ﷺ. قال الهيثمي في «المجمع» (١/٦٢): «رواه البزار، وفيه يحيى بن المتوكل أبو عقيل، وهو كذاب». وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٠٢٢).

(٤) أخرجه البخاري في الإيمان (٣٩)، والنسائي في الإيمان وشرائعه (٥٠٣٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وقد رد ﷺ على المتبتلين تبتلهم الذين قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «أنتم الذين قلمت كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(١).

خذ المصحف باليمين، وناولهُ باليمين، واحمله باليمين، وقلّب صفحاته باليمين، وجنبه اليسار ما استطعت تكريماً وتوقيراً له واحتراماً، ولك أجر ذلك كله إن شاء الله.

احمله أثناء القراءة إن استطعت بيدك فهو أفضل، احرص على القراءة بالمصحف فهو أجمع للفكر والتدبر وأولى، وأسلم من المشوشات في الجوال.

الوصية الثلاثون

احرص على تطبيق كل ما ثبت بالسنة، فذلك أفضل.

في الرواتب: صلّ تارةً عشر ركعات، وتارةً اثنتي عشرة ركعةً، فهذا أولى وأفضل من المداومة على الاثنتي عشرة ركعةً وحدها، أو على العشر وحدها. والأمر واسع.

في قيام الليل: تنام نصف الليل، وتقوم ثلثه، وتنام سدسه، كما كان قيامه ﷺ، فهذا أولى وأفضل من قيام الليل كله، اللهم إلا في العشر الأواخر من رمضان؛ فقد كان النبي ﷺ يجيى الليل كله^(٢).

في الصوم: صُمْ يوماً وأفطر يوماً كما كان صيام داود ﷺ^(٣).

في ختم القرآن الكريم: اختمه في كل شهر، أو في عشرين، أو في عشر، أو في سبع، أو في ثلاث، ولا تزِدْ على ذلك، كما تقدم بيانه.

(١) أخرجه البخاري في النكاح (٥٠٦٣)، ومسلم في النكاح (١٤٠١)، والنسائي في النكاح (٣٢١٧)، وأحمد ٢٤١/٣ (١٣٥٣٤) من حديث أنس ﷺ.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

الوصية الحادية والثلاثون

اعلم أن العمرة في رمضان من أفضل الأعمال؛ لقوله ﷺ: «عمرة في رمضان تقضي حجة» أو «حجة معي»^(١).

فاغتني هذا الشهر لأداء العمرة ما أمكنك ذلك.

وإن كنت من ذوي المسؤوليات في الأمة وقد أدت العمرة الواجبة عمرة الإسلام، وتتأثر مسؤوليتك بذهابك للعمرة، فأجرك في القيام بمسؤوليتك، والله يكتب لك أجر العمرة إذا كنت إنما تركتها التزامًا بمسؤوليتك، كإمامة الناس في الصلاة، أو خدمة للمسلمين يحتاج إلى قيامك بها، أو القيام على والد أو مريض من ولد أو أخ أو قريب أو صديق، أو أخ في الله يحتاج لقيامك عليه، أو لعمل في الدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو غير ذلك.

وكذلك إن حال بينك وبينها مرض أو سفر، ونحو ذلك، قال ﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر كُتب له ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا»^(٢).

ومثل العمرة في رمضان في كونها من أفضل الأعمال العمرة في ذي القعدة؛ لأن النبي ﷺ اعتمر أربع مرات كلها في ذي القعدة^(٣)، ولنا به أسوة صلوات الله وسلامه عليه في أقواله وأفعاله.

(١) أخرجه البخاري في جزاء الصيد (١٨٦٣)، ومسلم في الحج (١٢٥٦)، وأبو داود في المناسك (١٩٩٠)، وابن ماجه في المناسك (٢٩٩٤)، وأحمد ١/٣٠٨ (٢٨٠٨) من حديث ابن عباس ﷺ. وأخرجه أبو داود في الموضوع السابق (١٩٨٩)، وأحمد ٦/٣٧٥ (٢٧١٠٦) من حديث أم معقل الأسديّة ﷺ.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرج البخاري في المغازي (٤١٤٨)، ومسلم في الحج (١٢٥٣)، وأبو داود في المناسك (١٩٩٤)، والترمذي في الحج (٨١٥)، وأحمد ٣/١٣٤ (١٢٣٧٢) من حديث أنس ﷺ.

الوصية الثانية والثلاثون

اجتهد في العشر الأواخر من رمضان؛ فإن النبي ﷺ كان إذا دخل العشر شدَّ مئزره وأحيا ليله، وأيقظ أهله^(١)، وكان يجتهد فيها ما لا يجتهد في غيرها^(٢).
والتمس ليلة القدر في جميع ليالي العشر، فهي ليالٍ قليلة محدودة معدودة، وكلها تُرجى فيها ليلة القدر، كما جاءت الأحاديث بذلك.
إضافة إلى أن ليلة القدر على الصحيح من أقوال أهل العلم تنتقل، وليست ثابتة في ليلة واحدة^(٣).

الوصية الثالثة والثلاثون

زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين يوم العيد وليلته، وهي صاع من طعام، من بُرٍّ أو شعير أو تمر أو زبيب أو أقط؛ كما قال ابن عمر ﷺ: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من بُرٍّ أو شعير أو تمر أو زبيب أو أقط»^(٤).

ولا يجوز إخراجها من القيمة على الصحيح من أقوال أهل العلم؛ لحديث ابن عمر ﷺ، وينبغي أن يتولاها الإنسان بنفسه؛ لأنها عبادة فيخرجها عن نفسه وأهل بيته، من زوج أو ولد أو مملوك، ممن وُلد قبل غروب الشمس ليلة العيد أو مُلِكَ، وتجب بغروب

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) راجع تفسير سورة القدر في «عون الرحمن».

(٤) أخرجه مالك في الزكاة (١/٢٨٤)، والبخاري في الزكاة (١٥٠٣)، ومسلم في الزكاة (٩٨٤)، وأبو داود في الزكاة (١٦١١)، والنسائي في الزكاة (٢٥٠١)، والترمذي في الزكاة (٦٧٥)، وابن ماجه في الزكاة (١٨٢٥).

الشمس ليلة العيد، والأولى إخراجها يوم العيد قبل الصلاة، ويجوز إخراجها قبل العيد بيوم أو يومين.
ويجوز لمن أُعطيت له إخراجها زكاة عن نفسه وعن أهل بيته.

الوصية الرابعة والثلاثون

اختم صيام رمضان وقيامه بالتكبير ليلة العيد ويومه إلى خروج الإمام لصلاة العيد، تكبيرًا وتعظيمًا لله تعالى على هدايته وشكرًا له على ما يسر من إكمال عدة شهر رمضان وصيامه وقيامه، وقراءة القرآن، وغير ذلك من صالح الأعمال: «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، والله الحمد»^(١).

الوصية الخامسة والثلاثون

صلاة العيد سنة مؤكدة، ويرى بعض أهل العلم وجوبها، فاشهدها مع المسلمين، واذهب إليها من طريق، وارجع من طريق آخر اقتداءً بالنبي ﷺ^(٢).
وافرح بالعيد ووسع فيه على أهلك، فهو «يوم أكل وشرب وذكر لله تعالى»^(٣).

- (١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٤/ ١٩٥ (٥٨٧٨، ٥٦٧٩)، وأبو يوسف في «الآثار» (٢٩٥، ٢٩٧) عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما.
- (٢) أخرجه الترمذي في العيدين (٥٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الترمذي: «حسن غريب». وأخرجه أبو داود في الجمعة (١١٥٦)، وابن ماجه في إقامة الصلاة، والسنة فيها (١٢٩٩) وأحمد ٢/ ١٠٩ (٥٨٧٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٠٤٩).
- (٣) أخرجه مسلم في الصيام (١١٤١)، وأبو داود في الأضاحي (٢٨١٣)، والنسائي في الفرع والعتيرة (٤٢٣٠)، وأحمد ٥/ ٧٦ (٢٠٧٢٨) من حديث نبیة الهذلي رضي الله عنها.

الوصية السادسة والثلاثون

أتبع صيام رمضان بصيام ستّ من شوال، تكن كمن صام الدهر^(١).
 واحرص على المبادرة بصيامها بعد العيد مباشرة؛ فهو أولى وأفضل.
 لا تقدم صيامها على صيام ما عليك من قضاء، بل قدّم صيام القضاء فهو أولى وأجر،
 وأسرع في إبراء الذمة، والواجب مقدّم على السنة.
 واعلم - أخي المسلم وأختي المسلمة - أن من لم يتمكن من صيام الست بسبب كثرة
 ما عليه من القضاء، أو بسبب مرض أو سفر لم يتمكن معه من صيامها، وكان من عادته
 أن يصومها فإن الله ﷻ يكتب له أجر صيامها تامًّا؛ لقوله ﷻ: «إذا مرض العبد أو سافر
 كتب له ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا»^(٢).
 وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

الوصية السابعة والثلاثون

اغتنم أيام عشر ذي الحجة بالأعمال الصالحة كلها.
 واعلم أن العمل الصالح فيها من أحب الأعمال إلى الله تعالى وأفضلها^(٣).

(١) أخرجه أبو داود في الصوم (٢٤٣٣)، وابن ماجه في الصيام (١٧١٦) من حديث أبي أيوب ﷺ. وصححه
 الألباني في «صحيح أبي داود» (١٠٤٩). (٢١٠٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري في العيدين (٩٦٩)، وأبو داود في الصوم (٢٤٣٨)، والترمذي في الصوم (٧٥٧)، وابن
 ماجه في الصيام (١٧٢٧)، وأحمد ١/ ٢٢٤ (١٩٦٨)، والدارمي ٤١/ ٢ (١٧٧٣)، (١٧٧٤) من حديث
 ابن عباس ﷺ.

ومما يتأكد في هذه الأيام العشر من الأعمال الصالحة ما يلي:

أولاً: التكبير والتهليل والتحميد، وهي من أفضل الأعمال الصالحة في هذه الأيام العشر، وهي شعارها؛ لقوله ﷺ: «فأكثرُوا فيهن من التكبير والتهليل والتحميد»^(١).

وكان أبو هريرة وابن عمر ﷺ يخرجان في الناس فيكبران، ويكبر الناس بتكبيرهما^(٢). وكان عمر ﷺ يكبر في قبه بمنى فيسمعه أهل المسجد، فيكبرون ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيراً. وكان ابن عمر ﷺ يكبر بمنى تلك الأيام، وخلف الصلوات، وعلى فراشه، وفي فسطاطه ومجلسه، وممشاه تلك الأيام جميعاً^(٣).

والتكبير منه المطلق الذي يبدأ من دخول شهر ذي الحجة، وحتى غروب الشمس من اليوم الثالث عشر منه، آخر أيام التشريق.

ومنه التكبير المقيد بأدبار الصلوات، ويبدأ من فجر يوم عرفة لغير الحاج إلى عصر آخر أيام التشريق.

فإذا سلم من الفريضة، وقال: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام، شرع في التكبير، فقال: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، والله أكبر، والله الحمد، ويكررها ثلاث مرات، ثم يكمل بقية الأذكار الواردة بعد الصلاة.

والتكبير يكون بأي صيغة من صيغ التكبير الثابتة عن النبي ﷺ.

وينبغي الحرص على إظهار هذا الشعار العظيم لهذه الأيام العشر بالتكبير والتهليل

(١) أخرجه أحمد ٧٥/٢، ١٣١ (٥٤٤٦، ٦١٥٤)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٨٠٥)، وأبو عوانة في «مستخرجه على مسلم» ٢٤٦/٢ (٣٠٢٤)، والبيهقي (٣/٣٥٤). وأخرجه الطبراني في «الكبير» ١١/٨٢ (١١١١٦) من حديث ابن عمر ﷺ. قال الهيثمي في «المجمع» (١٧/٤): «هو في الصحيح باختصار التسييح، وغيره. رواه الطبراني في «الكبير»، ورجاله رجال الصحيح».

(٢) أخرجه البخاري معلقاً في كتاب العيدين، فضل العمل في أيام التشريق قبل (٩٦٩)، ووصله الفاكهي في «أخبار مكة» ٣٧٢/٢ (١٧٠٤). وصححه الألباني في «الإرواء» (٦٥١).

(٣) أخرجهما البخاري تعليقاً في العيدين، باب التكبير أيام منى، وإذا غدا إلى عرفة قبل الحديث (٩٧٠).

والتحميد في المساجد والبيوت والأسواق والأماكن العامة والخاصة، ولا نخجل؛ فإن هذا من إظهار شعائر الإسلام، ومن الأعمال المتعدي نفعها والتذكير بها إلى الآخرين، ومن الدعوة إلى الله تعالى، وقد يفوق العمل على نشره وإظهاره كثيراً من الأعمال القاصرة على الشخص نفسه.

ثانياً: الحج، وهو واجب في حق من لم يحج حجة الإسلام، يجب أن يبادر إليه على الفور ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وهو سنة في حق من حج فرضه، ومندوب إليه. وعلى من أراد الحج الالتزام بالأنظمة التي وضعت لتنظيم الحج، وعدم مخالفتها. وبإمكان من كان صادق الرغبة في أن يكتب له أجر حجة كل سنة أن يدفع قيمة الحج لمن لا يستطيعون الحج من الفقراء من العمالة وغيرهم، بل بإمكانه أن يدفع لأكثر من شخص فيحصل على عدة حجج في سنة واحدة، وفضل الله واسع.

ثالثاً: صيام يوم عرفة، قال ﷺ: «صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة الماضية والباقية»^(١).

رابعاً: صلاة العيد، وهي سنة مؤكدة لا ينبغي للمسلم أن يدها، بل قال بعض أهل العلم بوجوبها^(٢).

خامساً: الأضحية، وهي سنة مؤكدة لا ينبغي لمن كان قادراً أن يتركها، بل أوجبها بعض أهل العلم، وتكون عن الشخص نفسه وعن أهل بيته الأحياء، ومن أراد من الأموات.

والأولى أن يتولى ذبحها بنفسه؛ لأنها عبادة ونسيكة، ويكون ذلك في بيته وبين أهله وأولاده ليتعلموا ذلك، ولهذا لا يحسن أن يعطيها للجهات الخيرية تتولى ذبحها، سواء في الداخل أو الخارج.

وعلى المسلم أن يجتهد في فعل ما استطاع من صالح الأعمال في هذه الأيام العشر؛

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣/١٦١.

(١) سبق تخريجه.

من الصلاة وقيام الليل، والصدقة، وبر الوالدين، وصللة الأرحام، والدعوة إلى الله تعالى، وإصلاح ذات البين، والصيام، والذكر، وقراءة القرآن، وغير ذلك.

قال ابن باز رحمه الله (١): «وصيامها لا بأس به، وفيه أجر؛ لعموم قوله ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح فيهن أحبُّ إلى الله من هذه الأيام العشر» قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله ولم يرجع من ذلك بشيء» (٢).

أما النبي ﷺ فرُوي عنه أنه كان يصومها، ورُوي أنه لم يكن يصومها، ولم يثبت في ذلك شيء من جهة صومه لها أو تركه لذلك.

الوصية الثامنة والثلاثون

احرص على صيام يوم عاشوراء، وهو العاشر من شهر الله المحرم؛ فإنه يكفر السنة الماضية، وضم التاسع قبله؛ اتباعاً للسنة، أو الحادي عشر.

واعلم أن «أفضل الصيام بعد رمضان صيام شهر الله المحرم»؛ كما قال ﷺ (٣).

قال ابن باز رحمه الله (٤): «وصيام يوم عاشور سنة، والأفضل أن يصوم معه يوماً قبله أو بعده، سواءً التاسع أو الحادي عشر، أو يصومها جميعاً معه، وهذا هو الأفضل، وإن صام الشهر كله - شهر المحرم - فهو سنة؛ لقوله ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم».

(٢) سبق تخريجه.

(١) «مجموع الفتاوى» ١٥ / ٤١٦.

(٣) أخرجه مسلم في الصيام (١١٦٣)، وأبو داود في الصوم (٢٤٢٩)، والنسائي في قيام الليل وتطوع النهار (١٦١٣)، والترمذي في الصلاة (٤٣٨)، وابن ماجه في الصيام (١٧٤٢)، وأحمد ٢ / ٣٠٣ (٨٠٢٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) «مجموع الفتاوى» ١٦ / ٤٦٠، وانظر: ١٥ / ٤١٦.

واعلم أن النبي ﷺ كان يصوم شعبان كله، وربما صامه إلا قليلاً منه^(١)، فصيامه أو بعضه سنة لكن دون تخصيص اليوم الخامس عشر بالصوم، فذلك من البدع.

الوصية التاسعة والثلاثون

اعلم أن كسوف الشمس وخسوف القمر مما يخوِّف الله تعالى به العباد، فعن أبي موسى ﷺ قال: حَسَفَتِ الشَّمْسُ، فقام النبي ﷺ فزِعًا، يخشى أن تكون الساعة، فأتى المسجد فصلى بأطول قيام وركوع وسجود رأيتَه قط يفعلُه، وقال: «هذه الآيات التي يرسل الله لا تكون لموت أحدٍ ولا لحياته، ولكن يخوِّف الله به عباده، فإذا رأيتُم شيئًا من ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره»^(٢).

فلا يجوز تفسير ذلك تفسيرًا طبيعيًا فقط، وتناسي الحكمة في ذلك، وأنه مما يخوِّف الله تعالى به عباده؛ لأن الله ﷻ لو شاء ما وقع ذلك.

قال ﷺ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينخسفان لموت أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتُم ذلك فصلُّوا وادعوا حتى ينكشِفَ ما بكم»^(٣).

وفي رواية: «فادعوا وكبروا وصلوا وتصدقوا»^(٤).

فالمشروع عند الكسوف: الصلاة والدعاء والتكبير والصدقة والاستغفار. وصلاة الكسوف سنة مؤكدة، وهي أربع ركوعات في ركعتين، وصفتها: يستفتح

(١) أخرجه مسلم في الصيام (١١٥٦)، والنسائي في الصيام (٢١٧٨)، والترمذي في الصوم (٧٣٧)، وابن ماجه في الصيام (١٧٤٢)، وأحمد ٦/٣٩ (٢٤١١٦) من حديث عائشة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في الكسوف (١٠٥٩)، ومسلم في الكسوف (٩١٢).

(٣) أخرجه البخاري في الكسوف (١٠٤٠)، والنسائي في الكسوف (١٥٠٢)، وأحمد ٥/٣٧ (٢٠٣٩٠) من حديث أبي بكره ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري في الكسوف (١٠٤٤)، ومسلم في الكسوف (٩٠١)، من حديث عائشة ﷺ.

ويقرأ الفاتحة وآيات طويلة، ثم يركع ويطيل الركوع ثم يرفع، ويقرأ الفاتحة وآيات طويلة دون الأولى، ثم يركع ثم يرفع، ثم يسجد، ويكمل بقية الركعة ثم يقوم ويصلي الركعة الثانية كالأولى لكن أخف منها، ثم يتشهد ويسلم، وإذا انجلى الكسوف وهم فيها أتموها خفيفة.

ومثل صلاة الكسوف في مشروعيتها صلاة الاستسقاء، وهي سنة مؤكدة، إذا أجدبت الأرض وقحط المطر تُصَلَّى بعد ارتفاع الشمس قِيدَ رُمْحٍ، وصفتها كصفة صلاة العيد، ويخطب بعدها خطبة واحدة يحث فيها على التوبة والاستغفار وسؤال الله ﷻ إنزال الغيث، وينبغي أن يحرص المسلم على حضورها؛ إذ لا أحد في غنى عن الله ﷻ وسؤاله.

الوصية الأربعون

سَلِّمْ لِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْرِهِ وَارْضَ بِهِ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَنْ يَصِيْبَكَ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً، كما قال ﷺ في وصيته لابن عباس ﷺ (١).
وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥١﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦].

(١) أخرجه أحمد ١/ ٣٠٧ (٢٨٠٣)، والطبراني في «الكبير» ١١/ ١٢٣ (١١٢٤٣)، والحاكم (٣/ ٥٤١)، من حديث ابن عباس ﷺ. قال الحاكم: «هذا حديث كبير عال من حديث عبد الملك بن عمير، عن ابن عباس ﷺ، إلا أن الشيخين ﷺ لم يخرجوا شهاب بن خراش، ولا القداح في الصحيحين». وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة» ص (٢٥٧): «وأصل الحديث بدون لفظ الترجمة عند الترمذي [في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦)]، وصححه من حديث حنّس عن ابن عباس مرفوعاً، بل أخرجه أحمد، والطبراني، وغيرهما من هذا الوجه أيضاً بتمامه، وهو أصح وأقوى رجلاً».

قال بعض السلف: «لن يغلب عسرٌ يُسرين»^(١).

الوصية الحادية والأربعون

اعلم أن الشيطان تسبب في إخراج أبينا آدم ﷺ من الجنة، وهو العدو الأول لآدم وذريته، فاستعد بالله منه، ومن همزاته، وتزيينه الشر ونزغاته، وكن قويَّ الإيمان راسخ العقيدة، معتمداً على الله ﷻ، حذراً كل الحذر من وساوس الشيطان وتوهميه.

الوصية الثانية والأربعون

اعلم أن الخيرة - بعد فعل الأسباب - فيما يختاره الله تعالى لك؛ من صحة وغمي، أو مرض وفقر، أو ذرية أو عقم، أو غير ذلك.

فكم من صحيحٍ غني كان ذلك سبب بُعده عن الله تعالى وطغيانه وهلاكه!
وكم من مبتلى بالفقر والمرض كان ذلك سبباً لقربه من الله تعالى وتضرعه إليه ونجاته!
وكم من مرزوقٍ بالذرية والأولاد كانوا سبب شقائه وهلاكه!
وكم من محرومٍ من الذرية والأولاد كان ذلك سبب سعادته ونجاته، وسخر الله تعالى له وعوضه خيراً من ذلك، وكم، وكم، وكم!

قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [البقرة:

.[٢١٦]

وقال تعالى: ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا﴾ [النساء: ١٩].

قال الشاعر:

(١) سبق تخريجه من قول عمر ﷺ.

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم (١)
وقال الآخر:

لعل عتبك محمودٌ عواقبه وربما صححت الأجسام بالعلل (٢)
فافعل الأسباب، وسلم أمرك لله تعالى، واقنع بما آتاك وقدره لك، وتوكل عليه، فمن
توكل عليه كفاه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

الوصية الثالثة والأربعون

كن الرجل الراحلة الذي يسد مكانه ويملاً فراغه في الأمة، في المسجد والبيت
والعمل، واحذر من السلبيّة؛ فقد قال ﷺ: «الناس كإبلٍ متهمة؛ لا يوجد فيها راحلة» (٣).
قال الشاعر:

والناس ألفٌ منهم كواحدٍ وواحدٌ كالألفِ إن أمرٌ عنا (٤)

الوصية الرابعة والأربعون

اعلم أن الإنسان خلق في كبد، وأن الحياة طُبعت على كدر، وأن السعادة والسلامة
والصفاء بعد دخول الجنة. نسأل الله من فضله.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]؛ أي: في نصب ومكابدة ومجاهدة في جميع

(١) سبق. (٢) البيت للمتنبي في «ديوانه» ص (٣٣٩).

(٣) أخرجه البخاري في الرقاق (٦٤٩٨)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٤٧)، والترمذي في الأمثال (٢٨٧٣)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٩٠)، وأحمد ٢ / ١٠٩ (٥٨٨٢) من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ.

(٤) البيت لابن دريد انظر «ديوانه» ص (١٣٢).

أطوار حياته.

وقال الشاعر:

وَمَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا فَلَا بَدَّ أَنْ يَرَى مِنْ العَيْشِ مَا يَصْفُو وَمَا يَتَكَدَّرُ^(١)

وقال الآخر:

طُبِعْتُ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتِ تُرِيدُهَا صَفْوًا مِنَ الْأَقْدَاءِ وَالْأَقْدَارِ

وَمُكَلِّفَ الْأَيَّامِ ضِدًّا طِبَاعِهَا مُتَلَمِّسٌ فِي المَاءِ جَذْوَةَ نَارِ

وَإِذَا رَجَوْتَ المَسْتَحِيلَ فَإِنَّمَا تَبْنِي الرَّجَاءَ عَلَى شَفِيرِ هَارِ^(٢)

الوصية الخامسة والأربعون

اعلم أن المصيبة العظمى، والكسر الذي لا ينجر، والجرح الذي لا يندمل: أن يصاب الإنسان في دينه، فكل مصيبة تهون دون المصيبة في الدين.

قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا

بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿[سورة العصر].

قال الشاعر:

وكل كسرٍ فإن الله جابره وما لكسر قناة الدين جبران^(٣)

الوصية السادسة والأربعون

تدارك ما فات من عمرك بما بقي منه، واجعل يومك أحسن من أمسك، واعزم على

(٢) سبق.

(١) سبق.

(٣) البيت لأبي الفتح البستي. انظر: «ديوانه» ص ٨٠.

أن يكون ما تستقبله من الأيام أحسن مما مضى، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝١ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

وقال ﷺ: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»^(١).

فالحياة فرصة واحدة، فاحذر من تفويتها بما لا ينفعك غداً، فكن في حفظها وحفظ وقتك أشد من البخيل على درهمه وديناره إلا فيما يقربك إلى الله ﷻ.

قال السَّعدي رحمه الله في آخر كلامه على سورة المزمل^(٢): «فوا أسفاه على أوقات مضت في الغفلات، ووا حسرتاه على أزمان تَقَصَّتْ في غير الأعمال الصالحات، ووا غوثاه من قلوب لم يؤثر فيها وعظ بارئها، ولم ينجع فيها تشويق من هو أرحم بها من نفسها، فلك اللهم الحمد، وإليك المشتكى، وبك المستغاث، ولا حول ولا قوة إلا بك».

قال الشاعر:

الموت بابٌ وكل الناسِ داخلُهُ ياليتَ شعري بعد الموتِ ما الدارُ؟
الدار جنةٌ عدنٌ إن عملتَ بما يُرضي الإلهَ وإن فرطتَ فالنارُ!
هما محلان ما للناسِ غيرُهُما فاخترْ لنفسِكِ ماذا أنتَ تختارُ!^(٣)

الوصية السابعة والأربعون

اعلم أن الوقف من أفضل الصدقات وأعظمها، رغب فيه الإسلام، وحث عليه، قال الله ﷻ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافاً كثيرةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١١].

(١) سبق تخريجه.

(٢) في «تيسير الكريم الرحمن» ٧ / ٥٠٦ - ٥٠٧.

(٣) البيت لأبي العتاهية، انظر: «ديوانه» ص (١٤١).

وقال عليه السلام: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(١).

وقد ذُكر أنه جاء رجل إلى العلامة السَّعدي عليه السلام، فقال له: يا شيخ، أيهما أفضل: أتصدقُ الآن، أم أجعل ذلك في الوصية؟

فقال له الشيخ عليه السلام: أيهما أفضل أن يكون أمامك سراج واحد، أو خلفك سراجان؟ فقال الرجل: سراج واحد أمامي أفضل، فقال له: إذن فتصدق الآن. أو كما قال عليه السلام.

وجاء رجل إلى العلامة ابن حميد عليه السلام، فسأله نحوًا من ذلك؟

فقال له الشيخ عليه السلام: أيهما أولى إذا أردت أن تسافر: أن تحمل زادك معك، أو تقول لأولادك: اتبعوني بالزاد؟ فقال: الأولى أن أحمله معي، قال: إذن فتصدق الآن. أو كما قال عليه السلام.

الوصية الثامنة والأربعون

ينبغي للمسلم ألا يغفل عن ذكر الموت؛ ليعينه ذلك بإذن الله تعالى على الاستعداد للقاء الله تعالى، قال عليه السلام: «أكثرُوا من ذكر هاذم اللذاتِ الموت»^(٢).

وقال عليه السلام: «ما لي وللدنيا إنما أنا كراكبٍ استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها»^(٣).

وأمسك عليه السلام بمنكب ابن عمر عليه السلام وقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، وكان ابن عمر عليه السلام يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت لا تنتظر المساء»^(٤).

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه النسائي في الجنائز (١٨٢٤)، والترمذي في الزهد (٢٣٠٧)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٥٨).

(٣) أخرجه الترمذي في الزهد (٢٣٧٧)، وابن ماجه في الزهد (٤١٠٩)، وأحمد ١ / ٣٩١ (٣٧٠٩). قال الترمذي: «حديث حسن صحيح». وصححه الألباني في «الصحيح» (٤٣٨).

(٤) أخرجه البخاري في الرقاق (٦٤١٦)، والترمذي في الزهد (٢٣٣٣)، وابن ماجه في الزهد (٤١١٤).

الوصية التاسعة والأربعون

يجب على من كان عليه حقوق لله تعالى أو للخلق، أو له حقوق على الناس أن يكتب ذلك في وصيته، ويستحب لمن خلف مالا كثيرا ألا يترك الوصية، كما يُستحب لمن خلف مالا قليلا وخلفه ورثة محتاجون ترك الوصية.

كما ينبغي أن يُعلم أن الوصية بالثلث جائزة، لكن الأولى أن تكون بالخمس، كما أوصى بذلك أبو بكر رضي الله عنه، واختاره جمع من الصحابة رضي الله عنهم، ومن أهل العلم رضي الله عنهم. والأولى أن تكون جهة صرف الوصية مفتوحة يستطيع الناظر عليها صرفها في الأحوج من جهات البر.

الوصية الخمسون

ينبغي أن يعلم أن حرمة المؤمن ميتا كحرمته حيا، أو أشد، ومن حقه الإسراع في تجهيزه وغسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه، ولا يجوز لأحد من أقاربه أو غيرهم تأخيره إلا لحاجة؛ لأن ذلك اعتداء على الميت، ولا ينبغي تأخيره، من أجل حضور فلان أو فلان من أقاربه أو غيرهم، ولا من أجل تكثير المصلين عليه، بل يكفي بمن حضر.

وقد قال رضي الله عنه: «أسرعوا بالجنائز؛ فإن كانت صالحة فخيرٌ تقدّمونها إليه...» الحديث ^(١). وينبغي الحذر كل الحذر مما استحدثه الناس في الجنائز ^(٢).

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: وقفات أربع في الجنائز.

الوصية الحادية والخمسون

يجب الإسراع في قسمة الميراث، وعدم تأخيره متى أمكن ذلك؛ لأنه حق للورثة يجب دفعه لهم، ولأن تأخير قسمة الميراث سبب لكثير من المشكلات والعداوات بين الأقارب.

الوصية الثانية والخمسون

اعلم أن الحياة جد، وأنتك فيها كمن دخل معركة، فإن كان متدرباً متسلحاً انتصر بإذن الله تعالى، وإلا انهزم، أو كمن نزل في البحر فإن كان يجيد السباحة سلم بإذن الله تعالى، وإلا غرق، وما أكثر المنهزمين والغارقين!

قال الشاعر:

الأمر جدٌ وهو غير مزاح فاعمَلْ لنفسِكِ صالحًا يا صاح^(١)
وقال الآخر:

قد رشحوك لأمرٍ لو فطنت له فاربأ بنفسِكِ أن ترعى مع الهَمَلِ^(٢)

الوصية الثالثة والخمسون

اعلم أن ثمرة العلم العمل به، وإلا صار حجةً ووبالاً على صاحبه، فما نفع اليهود علمهم، فقد قال الله تعالى في وصفهم: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْبَةَ ثُمَّ لَمْ يُحْمَلُوا بِهَا كَمَثَلِ الْجَمَارِ يَحْمَلُ أَشْفَارًا يَنْسُ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجلٌ استشهد، فأُتي به فعرفه نِعَمَهُ فعرفَهَا، قال: فما عَمِلتُ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار، ورجل تعلم العلمَ وعلمه وقرأ القرآن، فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها...» إلى آخر الحديث (١).

قال الشاعر:

وعالم بعلمه لم يعملنْ مُعذَّبٌ من قبلِ عبَادِ الوَثْنِ (٢)

الوصية الرابعة والخمسون

اشكر الله ﷻ على ما أولاك من نعمة الإيوان والإسلام، والأمن والعافية والرزق والأهل والولد وغير ذلك، وتأمل قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤، والنحل: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

وقوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقوله ﷻ: «من أصبح آمناً في سربه، معافاً في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا» (٣).

قال الشاعر:

إذا كنت في نعمةٍ فازعها فإن المعاصي تزيل النعم
وحافظ عليها بشكر الإله فإن الإله سريع النقم (٤)

(١) أخرجه مسلم في الإمارة (١٩٠٥).

(٢) سبق.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق.

واعلم أن العبد لا يستطيع شكر الله تعالى حق شكره، ولهذا قال ﷺ: «سبحانك لا أُحصى ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»^(١).

قال الشاعر:

إذا كان شكري نعمةً الله نعمةً عليّ له في مثلها يجبُ الشكرُ
فكيف بلوغُ الشكرِ إلا بفضلِهِ وإن طالت الأيَّامُ واتصلَ العُمُرُ!
إذا عمَّ بالسراءِ عمُّ سُرورها وإن خصَّ بالضراءِ أعقبها الأجرُ^(٢)

الوصية الخامسة والخمسون

لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله تعالى^(٣)، وأكثر من الدعاء والتضرع إلى الله ﷻ، بسؤاله الهداية للصراف المستقيم، والثبات عليه، والعلم النافع والعمل الصالح، والسعادة في الدنيا والآخرة، والحياة الطيبة على الإسلام، والوفاء على الإيمان، واللطف بالقضاء والقدر، وحسن الختام ودخول الجنة والنجاة من النار.

ادعُ بذلك لنفسك ووالديك، وأهلك وأولادك، وأقاربك وجيرانك، وأحبّتك وأصدقائك، ولكل من كان لهم حق عليك، ولجميع المسلمين، واعلم أن هناك ملكاً يؤمّن على دعائك ويقول: «ولك بمثل»^(٤).

(٢) سبق.

(١) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه الترمذي في الدعوات (٣٣٧٥)، وابن ماجه في الأدب (٣٧٩٣)، وأحمد ٤/ ١٨٨ (١٧٦٨٠)

من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه. قال الترمذي: «حديث حسن غريب». وصححه الألباني في تخريج

«الكلم الطيب» (٣)، «صحيح الجامع» (٧٧٠٠).

(٤) سبق تخريجه.

الوصية السادسة والخمسون

أكثر من الصلاة على النبي ﷺ على الدوام، وخاصةً يوم الجمعة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

[الأحزاب: ٥٦].

وقال ﷺ: «من صلى عليّ واحدةً صلى الله عليه بها عشراً»^(١).

وقال ﷺ: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة،

وفيه الصعقة، فأكثروا عليّ فيه من الصلاة؛ فإن صلاتكم معروضة عليّ»^(٢).

قال ابن باز ﷺ^(٣): «أما الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ فهي من أفضل القربات،

ومن الأعمال الصالحات، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وقال ﷺ: «من صلى عليّ واحدةً صلى الله عليه بها عشراً»، وهي مشروعة في جميع

الأوقات، ومتأكدة في آخر كل صلاة، بل واجبة عند جمع من أهل العلم في التشهد الأخير

من كل صلاة.

وسنة مؤكدة في مواضع كثيرة، منها بعد الأذان، وعند ذكره ﷺ، ويوم الجمعة

وليلتها؛ كما دلت على ذلك أحاديث كثيرة».

(١) أخرجه مسلم في الصلاة (٣٨٤)، وأبو داود في الصلاة (٥٢٣)، والنسائي في الأذان (٦٧٨)، والترمذي

في المناقب (٣٦١٤)، وأحمد ٢ / ١٦٨ (٦٥٦٨) من حديث ابن عمرو ﷺ. وأخرجه الترمذي في الوتر

(٤٨٥)، والدرارمي ٢ / ٤٠٨ (٢٧٧٢)، والحاكم (١ / ٥٥٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه أبو داود في الجمعة (١٠٤٧)، وفي الوتر (١٥٣١)، والنسائي في الجمعة (١٣٧٤)، وابن ماجه في

إقامة الصلاة، والسنة فيها (١٠٨٥)، وأحمد ٤ / ٨ (١٦١٦٢)، والدارمي ١ / ٤٤٥ (١٥٧٢) من حديث

أوس بن أوس ﷺ. وصححه الألباني في «الإرواء» (٤)، وفي «صحيح أبي داود» (٩٦٢، ١٣٧٠).

(٣) في مجموع الفتاوى ١ / ١٨٢.

الوصية السابعة والخمسون

اعلم أن الإنصاف من النفس من أشق الأمور على النفس، وهو مُركب صعب لا يستطيعه ولا يلقاه إلا ذو حظ عظيم، اختاره الله تعالى واصطفاه ووفقه.

فكم من إنسان يستطيع قيام الليل، وصيام النهار، وإنفاق الأموال في أعمال البر، والقيام بكثير من الطاعات، لكنه يقف عاجزاً عن الإنصاف من نفسه، وإن ادَّعى ذلك.

عن المعرور بن سُويد رضي الله عنه قال: لقيت أبا ذرٍّ في الرَبْذَةِ، وعليه حُلَّةٌ وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال: إني ساببت رجلاً فعيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ: «يا أبا ذرٍّ، أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يطعم، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»^(١).

فأنصف من نفسك وقل الحق ولو كان مرّاً، عسك تنجو، وما إخالك ناجياً إلا برحمة الله تعالى وفضله.

الوصية الثامنة والخمسون

تأمل في عظيم فضل الله ﷻ وكرمه وجوده على من تاب إليه وآمن وعمل صالحاً، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾

(١) سبق تخريجه.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر ﴿فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾.

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١، والجمعة: ٤].

فأقبل على ربك وتعلق به واطمع فيما عنده، وتقرب إليه بالأعمال الصالحة، وأكثر من الاستغفار، وتب إليه من جميع الذنوب، تجده تواباً غفوراً رحيماً، واستغن به سبحانه عن الخلق كلهم تفرح وتفرح، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

الوصية التاسعة والخمسون

احرص على بذل الصدقة والإحسان والبذل في سبل الخير كلها، فالصدقة برهان على الإيمان، وعلى الصدق مع الله تعالى في طلب النجاة ودخول الجنة، وتطفى غضب الرب كما يطفى الماء النار^(١)، وكل إنسان غداً تحت ظل صدقته، وليس لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت.

قال ﷺ: «يقول ابن آدم: مالي، مالي. قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيته، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت، وما سوى ذلك فذهب وتاركة للناس»^(٢).

وقال ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان، يقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»^(٣).

(١) أخرجه الترمذي في الإيمان (٢٦١٦)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٣)، وأحمد ٥ / ٢٣١ (٢٢٠١٦). قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وصححه الألباني في «الإرواء» (٤١٣). وأخرجه الترمذي في السفر (٦١٤) من حديث كعب بن عجرة ﷺ. قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث عبيد الله بن موسى، وأيوب بن عائذ يضعف، ويقال: كان يرى رأي الإرجاء. وسألت محمداً عن هذا الحديث، فلم يعرفه إلا من حديث عبيد الله بن موسى واستغربه جداً». وأخرجه ابن ماجه في الزهد (٤٢١٠) من حديث أنس ﷺ. وأخرجه أحمد ٣ / ٣٩٩ (١٥٢٨٤) من حديث جابر ﷺ.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري في الزكاة (١٤٤٢)، ومسلم في الزكاة (١٠١٠)، وأحمد ٢ / ٣٤٧ (٨٥٧١) من حديث

قال الشاعر:

المَالُ كالماءِ إن تحبِسِ سواقِيه يَأْسِنُ وإن يجرِ يَعْدُبُ منه سَلْسَالُ
فاللهُ أعطاك فابذُلْ من عَطِيَّتِه فالمالُ عاريةٌ والعمرُ رَحَالُ^(١)

تفقد أحوال من حولك ومن تعرف من الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام والضعفاء والمرضى، وامسح دموعهم بشيء مما أعطاك الله تعالى تجده غداً ﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠].

اجعل في جيبك نحو مئتي ريال فئة عشرة، فإذا رأيت محتاجاً فأعطه ما تيسر، وسيمر عليك شهور عدة ما نَقَدَ ما في جيبك، واحذر أن تكون ممن إذا رأى هؤلاء المساكين قال: هؤلاء فيهم كذا وكذا، واعلم أن الناس فيهم حاجة، وفي الحديث: «تُصَدِّقَ عَلَى غَنِيِّ وَعَلَى سَارِقٍ وَعَلَى زَانِيَةٍ»^(٢).

وقد قيل:

حَالُ المُقِلِّ ناطِقٌ عَمَّا خفى من عَيْبِه
فإن رأيتَ عاريًا فلا تسأل عن ثوبِه^(٣)

الوصية الستون

استحضر مراقبة الله تعالى في جميع أحوالك، فيما تقول وتفعل، وتسمع وتبصر، وفي حَطَرَاتِ قلبك، كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) سبق.

(٢) أخرجه البخاري في الزكاة (١٤٢١)، ومسلم في الزكاة (١٠٢٢)، والنسائي في الزكاة (٢٥٢٣)، وأحمد ٣٢٢/٢ (٨٢٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) البيتان لبدر الدين الشافعي. انظر: «شذرات الذهب» (١٠ / ٤٨٧).

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل: خلوت، ولكن قل: عليّ رقيبٌ
ولا تحسبن الله يغفل ساعةً ولا أن ما يخفى عليه يغيبُ^(١)

الوصية الحادية والستون

حاسب نفسك على تقصيرها في حقوق الله تعالى، وفي حقوق خلقه، وكن ذا قلبٍ
حي يقظ، عساک تنجو.

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا

يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

قال عمر رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا»^(٢).

الوصية الثانية والستون

لا تنسَ استحضار النية الطيبة الصالحة في جميع أعمالك وأقوالك، وأحوالك في
عباداتك، وفي أكلك وشربك، ونزهتك ونومك وراحتك وجماع زوجتك، تُؤَجِّر على
ذلك كله.

واعلم أن الموفقين عاداتهم عبادات، وأن المخذولين عباداتهم عادات، وشتان بين

(١) البيتان لأبي العتاهية. انظر: «ديوانه» ص ٣٤.

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» ١ / ١٠٣ (٣٠٦)، وأبو عبيد في «الخطب والمواعظ» (١٤٤)، وابن أبي

شيبه في «مصنفه» ١٩ / ١٤٣ (٣٥٦٠٠)، وابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (٢)، والآجري في «أدب

النفوس» (١٧)، وأبو نعيم «الحلية» (١ / ٥٢). وأورده الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٢٠١) على

أنه ضعيف مرفوعاً فقال: «موقوف».

الفريقين؛ فريق يُثاب على أكله وشربه ونزهته ونومه ونحو ذلك، وفريق يدخل المسجد ويُهْمهم، ويخرج من الصلاة ما كُتِب له إلا ربعها أو عشرها أو أقل من ذلك، قلبه سارح في مزابِل الدنيا، وشهواتها، وهذا والله غاية الغبن.

الوصية الثالثة والستون

اعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً^(١)، فاجعل الصبر سلاحك ومركبك، صبراً على طاعة الله تعالى، وصبراً عن معصية الله تعالى، وصبراً على أقداره المؤلمة، فهو ﷺ يحب الصابرين، وهو ﷺ معهم بتوفيقه وعونه لهم، فالصبر سبب للخيرية والعقبى الحسنة في الدنيا والآخرة ومضاعفة الأجر، قال تعالى لنبيه ﷺ:

﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [النحل: ١٢٧].

وقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ [النحل: ١٢٦]، وقال تعالى: ﴿ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا فِي الصَّابِرِينَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠].

الوصية الرابعة والستون

تخلق بالحلم وكظم الغيظ، وبإدراك العفو والصفح، فقد جعل الله ﷻ ذلك من أخص صفات المتقين المسارعين إلى مغفرته ورحمته، فقال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَظِيظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

وقال ﷺ لأشجَّ عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»^(٢).

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

وقال ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»^(١).
ويكفي في فضل العفو والصفح قوله ﷺ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].
نسأل الله من فضله.

الوصية الخامسة والستون

احرص على التيمُّن في طهورك وتنعلك، وترجلك ولباسك وفي شأنك كله، فقد كان النبي ﷺ يعجبه التيمُّن في تنعله وترجله وطهوره، وفي شأنه كله^(٢).
وأمر ﷺ بالأكل والشرب باليمين، وحذَّر من الأكل والشرب بالشمال، فقال: «فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله»^(٣).
وأكل رجل عنده بشماله، فقال له ﷺ: «كل بيمينك»، فقال: لا أستطيع، فقال ﷺ: «لا استطعت»، ما منعه إلا الكبير، قال: فما رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ^(٤).
فالأكل والشرب باليمين واجب، والأكل والشرب بالشمال محرَّم؛ لأن ذلك فعل الشيطان؛ ولأن الرسول ﷺ دعا على من أوى الأكل بيمينه تكبراً فسلَّت يده، ولو كان ذلك غير واجب لما دعا عليه ﷺ.

الوصية السادسة والستون

اجعل لك جلسةً يوميًّا مع أهلك وأولادك تعلمهم وتوجههم وتتفقد أحوالهم وتؤانسهم، واحذر كل الحذر أن تشغِل عنهم بأي شاغل، فهم أمانة في عنقك ستسأل

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

عنهم يوم القيامة.

قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَوْأَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من راعٍ يسترعيه الله رعيَةً يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته إلا حَرَّمَ اللهُ عليه الجنة»^(١).

الوصية السابعة والستون

اختر من الجلساء والأصدقاء من يكون عوناً لك على تقوى الله ﷻ، واحذر كل الحذر من جلساء السوء ومجالس السوء التي هي بمثابة مصائد للشيطان، ولضياع الأعمال والأعمار، فوقتك نفيس وعمرك غالٍ.

قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

وقال ﷺ: «لا نزول قَدَمًا عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»^(٢).

فتخفف من فضول المجالس ما استطعت، واحفظ وقتك، واجعل وقتك بين المسجد والبيت والعمل، والترريح عن النفس بما لا يئجل بتنظيم وقتك، ومع من تنتفع بالجلوس معهم.

قال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْزُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا مَلْأَتُ الْبِلَادَ ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

اختر صديقاً كَمَن رثاه صديقه بقوله:

أخ كان لي نعمَ المُعِينِ على التَّقَى
فَطَوْرًا بِأَخْبَارِ الرِّسُولِ وَصَحْبِهِ
على ذا مَضَى عُمُرِي كَذَاكَ وَعُمُرُهُ
وما إِخَالِكَ وَاجِدًا مِثْلَ هَذَا!

به تَنجَلِي عني الهمومُ وَتَذَهَبُ
وطَوْرًا بِآدَابِ تَلِيدٍ وَتَعْدُبُ
صَفِيَّيْنِ لا نَجفُو ولا نَتَعَبُ^(١)

الوصية الثامنة والستون

اقنع من الدنيا بما تيسر، وخذ نصيبك منها متاعاً وبلغةً، وكن حذرًا منها أشدَّ من حذرِكَ من الفقر، قال عليه السلام: «والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تُفتَحَ عليكم الدنيا كما فُتحت على من قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها فتُهْلِككم كما أهلكتهم»^(٢).
وقال عليه السلام: «من أصبح آمنًا في سربه، معافي في بدنه، عنده قوتٌ يومه، فكأنما حيزت له الدنيا»^(٣).

ونام عليه السلام على حَصِيرٍ، فقام وقد أثر في جنبه، فقال ابن مسعود عليه السلام: يا رسول الله، لو اتخذنا لك وطاءً، فقال عليه السلام: «ما لي وللدنيا، إنما أنا كراكبٍ استظلَّ تحت شجرةٍ، ثم راح وترَكها»^(٤).

وقال عليه السلام: «من كانت الدنيا أكبر هممه فرَّق الله شمله، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأتِه منها إلا ما قُسم له، ومن كانت الآخرة أكبر هممه، جمع الله شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة»^(٥).

(١) هذه الأبيات من قصيدة مبكية للشاعر محمد بن صالح العثيمين في رثاء صديقه عبد الله العجيري عليه السلام.

(٢) سبق تخريجه. (٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٥)، وأحمد ١٨٣/٥ (٢١٥٩٠) من حديث زيد بن ثابت عليه السلام. وأخرجه الترمذي

وكانت نفقة الإمام أحمد رحمه الله في الشهر سبعة عشر درهماً، فقال له ابنه: يا أبت، زد في النفقة. فقال رحمه الله: «يا بني، طعام دون طعام، ولباس دون لباس حتى نلقى الله» (١).
وقليل يبارك الله فيه من مال وولد ونحو ذلك خيرٌ من كثيرٍ لا يبارك فيه.
زيادة المرء في دنياه نُقصانٌ وربُّه غير محضٍ الخيرِ خُسرانٌ (٢)
وأى سعادة في زيادة الدنيا مع نقصان العمر والدين؟!
فاقنع - أخي، وفقك الله - من الدنيا بما تيسر، وتخفف من فضول المباحات؛ من المال والطعام والشراب، واللباس والمركب والمسكن، ونحو ذلك، وكن وسطاً في ذلك كله، فخير الأمور الوسط.

خذِ القناعةَ من دنياك وارضَ بها لو لم يكنْ لك فيها إلا راحةُ البدنِ
وانظرْ إلى مَنْ حَوَى الدنيا لِيَجْمَعَهَا هل راحَ منها بغيرِ القطنِ والكفنِ؟ (٣)

الوصية التاسعة والستون

غُضَّ بصرُك واحفظْ فرجَكَ، فهو أزكى لك، وأسلم لدينك وعرضك.
قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٠) ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

في صفة القيامة والرفائق والورع (٢٤٦٥) من حديث أنس رضي الله عنه. وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٤٩، ٩٥٠).

(١) انظر: «الورع» للإمام أحمد رواية المروزي (٢٤٥)، و«الزهد والورع والعبادة» للإمام ابن تيمية ص (٧٤).

(٢) البيت لأبي الفتح البستي، انظر: «ديوانه» ص (٣٥).

(٣) البيتان لعلي بن الحسين الإمام زين العابدين، انظر: «التذكرة» للقرطبي (٢١ / ١)، و«الدر الفريد، وبيت القصيد» للمستعصمي (٣٥٩ / ٤)، و«غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائص الفاضحة» لأبي إسحاق الوطواط ص (٣٧٢)، و«المستطرف، في كل فن مستطرف» لأبي الفتح الأبهشي ص (٨٢).

فالنظر سهم من سهام إبليس (١).

قال الشاعر:

كل الحوادث مَبْدَاهَا مِنَ النَّظْرِ وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرِّ
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فَتَكَ السَّهَامُ بِلَا قَوْسٍ وَلَا وَتْرٍ! (٢)

الوصية السبعون

كن عصامياً عزيز النفس مستغنياً بالله ﷻ، واقطع اليأس عما في أيدي الناس، ولا ترج الفواضل عند غير المفضل.

فقد كان الصحابة ﷺ يسقط سوط أحدهم وهو على ظهر دابته، فلا يقول لأحد المشاة: أعطني إياه، بل ينزل من دابته ويأخذه؛ لأن الرسول ﷺ علمهم أن يستغنوا بالله ﷻ، وألا يمدوا أيديهم إلا لله ﷻ، قال ﷺ: «وَمَنْ يَسْتَعْنِ يُعْزِهِ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ» (٣).

واعلم أنك عزيز عند الناس ما لم تطلب منهم شيئاً، أو تمد يدك إلى لثيم.

قال أحد الحكماء: «تذوقت المرَّ والعَلَقَمَ والصبر، فما وجدتُ أَمْرًا من الحاجة إلى الناس» (٤).

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» ٢٦٢ / ٨ (٨٠١٨)، وفي «الأوسط» ٧٧ / ٣ (٢٥٣٩)، وأبو القاسم البغوي في «نسخة طالوت» (١)، وعنه أبو طاهر المخلص في «المخلصيات» ١٢٨ / ٤ (٣٠٩٧). وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٢٥). وأخرجه الحاكم (٣١٣ / ٤) من حديث حذيفة ﷺ. وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وانظر: «كشف الخفاء» ٣٩٨ / ٢ (٢٨٦٤).

(٢) انظر: «التفسير القيم» ص (٦٢٤ - ٦٢٩).

(٣) أخرجه مالك في الصدقة (٢ / ٩٩٧)، والبخاري في الزكاة (١٤٦٩)، ومسلم في الزكاة (١٠٥٣)، وأبو داود في الزكاة (١٦٤٤)، والنسائي في الزكاة (٢٥٨٨)، والترمذي في البر والصلة (٢٠٢٤)، وأحمد ٩٣ (١١٨٩٠) من حديث أبي سعيد ﷺ.

(٤) ينظر: «ثمار القلوب، في المضاف والمنسوب» (ص ٦٦٨) بنحوه.

قال علي عليه السلام:

صُنِ النَّفْسِ وَاحْمِلْهَا عَلَى مَا يَزِينُهَا تَعَشُّ سَالِمًا وَالْقَوْلُ فَيْكَ جَمِيلٌ
وَلَا تُرِيَنَّ النَّاسَ إِلَّا تَجَمُّلاً نَبَا بِكَ دَهْرٌ أَوْ جَفَاكَ خَلِيلٌ ^(١)
اللهم أغننا بفضلك عن سواك ^(٢)، ولا تحوجنا إلى أحد من خلقك طرفة عين، ولا
أقل من ذلك.

الوصية الحادية والسبعون

كن متفائلاً محسناً الظن بالله تعالى مهما عظمت عليك الخطوب، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أكثر ما يكون تفاؤلاً في أحلك الظروف وأشدّها، ففي يوم الخندق أحاط الأحزاب بالمدينة من كل حذب وصوب، وأطبّقوا عليها كفكي الأسد، وبلغت القلوب الحناجر، كما قال الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ^(١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا [الأحزاب: ١٠، ١١].

واجتمع على المؤمنين في ذلك اليوم: الخوف الشديد، والتعب الشديد من حفر الخندق، والبرد الشديد، والجوع الشديد، وواحدة من هذه كافية، ومع ذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم في أشد ما يكون من التفاؤل، وأخبر أصحابه أنه رأى كَنْزَ كِسْرَى، وكنز قيصر، وكنز تُبَّع في اليمن. وهكذا بلغ مُلْك أُمَّتِهِ صلى الله عليه وسلم ^(٣).

(١) البيتان لعلي بن أبي طالب عليه السلام. انظر: «ديوانه» (ص ١٥٧).

(٢) أخرجه الترمذي في الدعوات (٣٥٦٣)، وأحمد ١/ ١٥٣ (١٣١٩) من حديث علي عليه السلام. قال الترمذي:

«حسن غريب». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٦٦).

(٣) انظر: تفسير آيتي الأحزاب في «عون الرحمن»، في تفسير القرآن.

الوصية الثانية والسبعون

لا تشكونَ حالك إلا إلى الله تعالى الذي يسمع النجوى، وإليه الشكوى، ويرفع البَلْوَى.

قال الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْكِي إِلَى اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١].

وقال الشاعر:

لا تشكونَ إلى خلقٍ فتُشِمَّتَه شكوى الجريحِ إلى الغربانِ والرخمِ (١)

وقال الآخر:

وإذا شكوتَ إلى الأنامِ فإنما تشكو الرحيمَ إلى الذي لا يرحمُ (٢)
واعلم أنه لا ينافي الشكوى إلى الله الاستئناس برأي أخ أو صديق لبيب عاقل ناصح،
وطلب المواساة منه.

وهذا ما عناه الشاعر بقوله:

ولا بد من شكوى إلى ذي مُروءةٍ يُواسيك أو يُسليك أو يتفجعُ (٣)
فشكوى الحال إلى الله تعالى في كل حال، لا ينافيه الاستئناس وطلب المواساة ممن
يقدر على ذلك من الإخوان.

الوصية الثالثة والسبعون

شاوَر من تثق به من أهل المعرفة والحكمة والعقل والعلم والنصح وسداد الرأي فيما

(١) البيت للمتنبي. انظر: «ديوانه» ٢ / ٢٦٢. (٢) سبق.

(٣) البيت لابن نباتة المصري. انظر: «ديوانه» ص (٣١٥)، ونسب أيضاً لبيشار بن برد. انظر: «نهاية الأرب» (٨٠ / ٣).

يحتاج من أمورك إلى مشورة، فقد قال ﷺ في مدح المؤمنين: ﴿وَأْمُرُهُمْ سُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

وقال الشاعر:

شاوِرُ سواك إذا نابتك نائبةً يوماً وإن كنت من أهلِ المشورات
فالعينُ تنظرُ منها ما دنا ونأى ولا ترى نفسها إلا بمرآة^(١)
وقال الآخر:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعِنْ برأي نصيحٍ أو نصيحةٍ حازمٍ
ولا تجعل الشورى عليك غِضاضةً فإن الخوافي^(٢) قوة للقوادم^(٣)

الوصية الرابعة والسبعون

اعلم أن النفس وديعة عند الإنسان، يجب أن يعمل على خلاصها، وأن يسلك بها مسالك النجاة في دينها ودنياها وأخراها، وكما يجب عليه أن يجنبها سبل الردى والهلاك في دينها بالكفر والمعاصي، فكذلك يجب عليه ألا يُلقيَ بها إلى التهلكة في دنياها باستعمال ما يضر بعقله وبدنه من المخدرات والدخان ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

وقال ﷺ: «من وجأ نفسه بحديدة، أو شرب سماً فهو في نار جهنم»^(٤).

(١) البيتان للأرجاني. انظر: «ديوانه» ٢٤٦/١.

(٢) الخوافي: جمع خافية، وهي مقدمة ريش جناح الطائر.

(٣) البيتان لبشار بن برد. انظر: «ديوانه» ١٧٣/٤.

(٤) أخرجه البخاري في الطب (٥٧٧٨)، ومسلم في الإيمان (١٠٩)، وأبو داود في الطب (٣٨٧٢)، والنسائي في الجنائز (١٩٦٥)، والترمذي في الطب (٢٠٤٤)، وابن ماجه في الطب (٣٤٦٠)، والدارمي في الديات ٢٥٢/٢ (٢٣٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال الشاعر:

وما المأل والأهلون إلا ودائعٌ ولا بدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ^(١)

الوصية الخامسة والسبعون

عليك بالصدق فهو سبب التوفيق في الدين، وحبل النجاة في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وقال ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً»^(٢).

وقال ﷺ: «وإياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»^(٣).

واحذر كل الحذر من أرباب الكذب الذين يجعلون الكذب من الحنكة والدهاء، ويعتبرون الصدق من التغفيل والغباء. واعلم أن حبل الكذب قصير وإن طال.

الوصية السادسة والسبعون

ليكن لك يد في الأمر بالمعروف والدعوة إلى الخير، والإصلاح بين الناس ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، بقولك وفعلك وبذلك.

(١) سبق.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب (٦٠٩٤)، ومسلم في البر (٢٦٠٧)، وأبو داود في الأدب (٤٩٨٩)، والترمذي في البر والصلة (١٩٧١)، وابن ماجه في المقدمة (٤٦)، وأحمد ١ / ٣٨٤ (٣٦٣٨) من حديث عبد الله بن

مسعود ﷺ.

(٣) انظر التخریج السابق.

قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

وقال ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إصلاح ذات البين؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة»^(١).
وقال ﷺ: «كل سُلامى من الناس عليه صدقةٌ كلَّ يومٍ تطلعُ فيه الشمس، تعدل بين اثنين صدقة، وتُعين الرجل في دابته فتحمل عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة». الحديث^(٢).

الوصية السابعة والسبعون

خذ بالعزم والحزم في جميع أمورك، وخاصة أمور دينك.
فإذا سمعت: حيَّ على الصلاة، حي على الفلاح، فلا يسبقك أحد إلى المسجد، فإن لم تستطع فاحرص ألا تقام الصلاة إلا وأنت في المسجد.
واحذر من القواطع؛ فإن الظبي أسرع من الكلب، لكن الظبي إذا التفت إلى الكلب أدركه.

وهكذا الإنسان إذا التفت بعد الأذان إلى بعض الشواغل قطعته عن إدراك الصلاة.
خذ نصيبك من ربك، وتقدم في صدارة الصف، واحذر من أحوال الذين إذا دخل الواحد منهم المسجد رأيتهم كالمستوحش، يبحث عن آخر الصف، أو عن الصفوف الأخيرة، أو عن زاوية في المسجد، واعلم أن مكانتك عند الله ﷻ بقدر تقدمك، فلا يخدعَنَّك الشيطان فتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

خذ بالعزم والحزم في أداء حقوق الله تعالى كلها وحقوق الخلق، وخاصة الوالدين

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

والأهل والأولاد والأقارب والجيران والمسلمين.

قال تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا أَوْلُوا الْعَزِيمِ مِنَ الرَّسُولِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾

[الأحقاف: ٣٥].

وقال الشاعر:

بعزم وحزم سادَ في قومه الفتى وكونك إياه عليك يَسِيرٌ^(١)
وقال الآخر:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتكبر في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم^(٢)
وقال الآخر:

وأحزم الناس من لو مات من ظمياً لا يقربُ الورْدَ حتى يَعْرِفَ الصَّدْرَا^(٣)

الوصية الثامنة والسبعون

لا تستوحش من الحق لقله السالكين، ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين، فهذا مصداق

قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

وقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ﴾ [الروم: ٨].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطْعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ بِيضُلُوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ

إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

(٢) سبق.

(١) سبق.

(٣) سبق.

فإذا رأيت زهد كثير من الناس فيما يقربهم إلى الله تعالى، وقتلهم في المساجد، فلا يفت ذلك في عَضْدِكَ، فاعلم أن الله تعالى في ذلك حكمة، ولو شاء ربك ما فعلوه.

فقد قال الله ﷻ لسيد الخلق وصفوتهم ﷺ: ﴿لَعَلَّكَ بِنِعْمِ نَفْسِكَ لَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ [فاطر: ٨].

ووظن نفسك على التمسك بالحق، واسأل ربك الثبات عليه، وشمّر عن ساعد الجد، واعلم أن طريق الجنة محفوف بالمكاره، وطريق النار محفوف بالشهوات، كما قال ﷻ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»^(١).

قال الشاعر:

فَدَرَبُ الصَّاعِدِينَ كَمَا عَلِمْتُمْ بِهِ الْأَشْوَاكُ تَكْثُرُ لَا الْوُرُودُ^(٢)
والعبرة بالكيف، لا بالكم، فبعث النار من كل ألف تسعمئة وتسعون،
وواحد إلى الجنة^(٣).

قال الشاعر:

وَالنَّاسُ أَلْفٌ مِنْهُمْ كَوَاحِدٍ وَوَاحِدٌ كَالْأَلْفِ إِنْ أَمَرْنَا^(٤)

الوصية التاسعة والسبعون

احذر كل الحذر من التسليم لعقدة المؤامرة، فمصائب الأمة منها لا من غيرها، كما

(١) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٢٢)، والترمذي في صفة الجنة (٢٥٥٩)، والدارمي ٢/ ٤٣٧ (٢٨٤٣)، وأحمد ٣/ ١٥٣ (١٢٥٥٩) من حديث أنس بن مالك ﷺ. وأخرجه البخاري في الرقاق (٦٤٨٧)، وأحمد ٢/ ٢٦٠ (٧٥٣٠) من حديث أبي هريرة ﷺ بلفظ: «حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره».

(٢) البيت لوليد الأعظمي انظر «ديوانه الزوابع» ص (٦٩).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿أَوْلَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُّصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل

عمران: ١٦٥].

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

فاخرج من التسليم لعقدة المؤامرة، فهي موجودة منذ نزل قوله تعالى: ﴿وَلَنْ نَّرْضَىٰ عَنْكَ

الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

واحذر من تعليق المسؤولية على الآخرين، كما يتذرع المنهزمون المخذولون، واجتهد

في عمل الخير والدعوة إليه، والإصلاح ما استطعت، ما حييت، وأبشر بالخير.

واحذر أيضاً من المثبتين عن عمل الخير والدعوة إليه القانطين اليائسين من رَوْحِ اللَّهِ

تعالى الذين يقولون: هلك الناس.

واحذر أيضاً من الذين يقولون: أنت تطلب المثالية؛ لأنهم يشطونك عن العمل.

واحذر أيضاً من ضدهم، وهم من يطالبون بالمثالية في كل شيء؛ لئلا يجلبوا لك

الإحباط واليأس في عملك وسيرك إلى الله تعالى.

الوصية الثمانون

احذر من أمراض القلوب كلها.

احذر من النفاق؛ فقد قال عبد الله بن أبي مليكة رضي الله عنه: «أدركت ثلاثين من أصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه»^(١).

(١) أخرجه البخاري معلقاً في كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر، قبل (٤٨).

«فتح الباري» (١ / ١٠٩). ووصله محمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» ٢ / ٦٣٤ (٦٨٨) بلفظ:

«خمسين». وانظر: «مجموع الفتاوى» (١٠ / ١٠٧).

واحذر من الحسد فإنه اعتراض على قضاء الله وقدره، ويأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب^(١)، وصاحبه مهموم مغموم، يقتل نفسه بنفسه، ولا يسود، بل يموت كمدًا بحسده.

واحذر من الإعجاب فإنه يجبط الأعمال، واحذر من الكبر والحِيَاءِ، فإن المتكبرين والمختالين يُحشرون يوم القيامة أمثال الذرِّ، يطوهم الناس^(٢)، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبرٍ^(٣).

الوصية الحادية والثمانون

احذر من الاستغراق في المباحات، ومن المباهاة والمبالغات والإسراف، وإضاعة العمر بالأسفار والتنقلات والتنزهات أتباعاً لهوى النفس، وإشباعاً لرغباتها الجامحة. واعلم أن سعادتك وراحتك في التوسط في ذلك كله. قال بعضهم: «مَنْ طَلَبَ الرَّاحَةَ، تَرَكَ الرَّاحَةَ»^(٤).

الوصية الثانية والثمانون

لا يرغب عنك أبداً التفكير في أمور أربعة:

(١) أخرجه أبو داود في الأدب (٤٩٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (١٩٠٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان (٩١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٩٩)، وأحمد ١ / ٤١٦ (٣٩٤٧) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) انظر: «مفتاح دار السعادة» (١ / ١٠٩ ط العلمية).

أولاً: عظمة الله ﷻ وكبريائه وعزته وقوته.

ثانياً: ضعفك وقلة حيلتك.

ثالثاً: عِظَمَ منزلة الآخرة.

رابعاً: حقارة الدنيا.

ضع هذه الأمور كلها منك على بال؛ فإن هذا مما يعينك على تقوى الله تعالى، وعدم الاغترار بالدنيا، والحذر من فتنتها، والاستعداد للآخرة.

الوصية الثالثة والثمانون

احذر كل الحذر من الربا وأكل أموال الناس بالباطل بشتى صور ذلك وألوانه. فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله و كاتبه وشاهديه»^(١).

احذر كل الحذر من المساهمات المختلطة والمشتبهة، واحذر أن تتساهل بشيء من ذلك وإن قل، وإن أفتاك من أفتاك.

عساک تنجو- وما إخالک ناجياً- في وقت عبد كثير من الناس الدرهم والدينار، واستباحوا الربا الذي هو محاربة الله تعالى ورسوله ﷺ.

واعلم أن درهم ربا ومن غير وجه شرعي يفسد ويهلك كل ما لديك، وسُحِتْ يُوْدِي بصاحبه إلى النار.

(١) أخرجه مسلم في المساقاة (١٥٩٧ / ١٠٥)، والنسائي في الطلاق (٣٤١٦).

الوصية الرابعة والثمانون

احذر كل الحذر من الفتنة في الدين، وابتعد عنها كل البعد، وعن أسبابها، واحفظ لسانك وقلمك وبنانك من الدخول فيها، واسأل الله الهداية والثبات على الحق حتى تلقى الله تعالى.

وقل: «اللهم فاطرَ السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهديني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»^(١).

وقل: «يا مقلبَ القلوب، ثبت قلبي على دينك»^(٢).

الوصية الخامسة والثمانون

تأمل جيداً قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ﴾ [التغابن: ٩].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبا: ٤٠].

وتأمل قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

وأخيراً تأمل قول الله ﷻ: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

(٢) سبق تخريجه.

(١) سبق تخريجه.

الوصية السادسة والثمانون

ينبغي أن يعلم الجميع أن الرجال والنساء بعضهم من بعض، كما قال تعالى:
﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].
 وقال تعالى: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [النحل: ٩٧].

وقال ﷺ: «إنما النساء شقائق الرجال»^(١).

والرجال من حيث العموم أفضل من النساء؛ لقوله تعالى: **﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَىٰ نِسَائِهِمْ دَرَجَةٌ﴾** [البقرة: ٢٢٨].

أما من حيث الخصوص فإن من النساء من هي خير من زوجها، بل خير من عشرات الرجال ديناً وخلقاً وكرماً، بل وشجاعةً وغير ذلك.

ويكفي النساء أن منهن فاطمة ﷺ سيدة نساء أهل الجنة، وسيدة نساء العالمين، ومنهن أمهات المؤمنين ﷺ، ومنهن مريم ابنة عمران ﷺ، ومنهن آسية امرأة فرعون التي اختارت الجار قبل الدار فقالت: **﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِئْتِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾** [التحریم: ١١].

ومنهن أم سليم زوجة أبي أيوب الأنصاري ﷺ، ومنهن ومنهن!
 وأكرم الخلق عند الله أتقاهم.

(١) أخرجه أبو داود في الطهارة (٢٣٦)، والترمذي في الطهارة (١١٣)، وابن ماجه في الطهارة (٦١٢)، وأحمد ٦/ ٢٥٦ (٢٦١٩٥) من حديث عائشة ﷺ، وفيه عبد الله بن عمر العمري قال الترمذي: «ضعفه يحيى بن سعيد من قبل حفظه في الحديث». وقال أحمد شاكر في تعليقه على الترمذي: «والحق أنه ثقة، وإن كان في حفظه شيء، روى عثمان الدارمي عن ابن معين أنه قال فيه: «صالح ثقة» فهذا إسناد صحيح». ثم ذكر ما يشهد لصحته من الأحاديث. وحسنه الألباني في: «الصحيحة» (٢٨٦٣).

الوصية السابعة والثمانون

الزواج سنة من سنن المرسلين، وقد يجب إذا خاف الإنسان على نفسه الوقوع في الفاحشة، وبعض أهل العلم يوجهه على كل من قدر عليه، فلا ينبغي تركه لمن كان قادراً عليه، رجلاً كان أو امرأة، قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ﴾ [النور: ٣٢].

وقال ﷺ: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء»^(١).

وقد أنكر النبي ﷺ على المتبتلين الذين قالوا: نقوم ولا ننام، ونصوم ولا نطعم، ولا نتزوج النساء، فقال ﷺ: «أما والله، إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»^(٢).

فلا ينبغي ترك الزواج والعزوف عنه إلا لعذر؛ لأن به تمام الدين، واستقرار الحياة، وحصول الأولاد الذين هم زينة الحياة ولذتها وجمالها وبهجتها وسعادتها، وقد قال ﷺ: «تزوجوا الودود الولود؛ فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة»^(٣).

(١) أخرجه البخاري في الصوم (١٩٠٥)، وفي النكاح (٥٠٦٥، ٥٠٦٦)، ومسلم في النكاح (١٤٠٠)، وأبو داود في النكاح (٢٠٤٦)، والنسائي في الصيام (٢٢٣٩ - ٢٢٤٣)، والنكاح (٣٢٠٧ - ٣٢٠٩)، وابن ماجه في النكاح (١٨٤٥)، والدارمي في النكاح ٢ / ١٧٧ - ١٧٨ (٢١٦٥، ٢١٦٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود في النكاح (٢٠٥٠)، والنسائي في النكاح (٣٢٢٧)، والحاكم (١٦٢ / ٢) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه السياقة». وأخرجه أحمد ٣ / ١٥٨ (١٢٦١٣)، وابن حبان ٩ / ٣٣٨ (٤٠٢٨)، والطبراني في «الأوسط» ٥ / ٢٠٧ (٥٠٩٩)، والبيهقي (٨١ / ٧)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. صححه الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١١١ / ٩)، وقال: «هذه الأحاديث، وإن كان الكثير منها ضعيفاً، فمجموعها يدل على أن لما يحصل به المقصود من الترغيب أصلاً، لكن في حق من يتأتى منه النسل». وصححه الألباني في «الإرواء» (١٧٧٨).

وينبغي لمن حصل بينهم الفراق من الأزواج بطلاق أو وفاة أن يتزوج ولا يموت عزبًا، فلربما يُرزق بابن أو ابنة، ويكون ذلك خيرًا له من الدنيا وما فيها، صلاحًا وثقًى وبرًا في الحياة وبعد الممات.

الوصية الثامنة والثمانون

لنعلم أن من أهم أسباب استقرار الحياة الزوجية، وبناء الأسرة الصالحة: عدم التهاون في أداء كل من الزوجين حق الآخر عليه، قولًا وفعالًا وبذلاً، وخاصة حسن المعاشرة لتصفو الحياة الزوجية بينهما، وينتظم أمر أسرتهما، وترتفع على عرشها السعادة الزوجية بإذن الله ﷻ.

مع تفهم كل من الزوجين للآخر، ومعرفة أن الكمال البشري عزيز؛ ولهذا قال ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقًا رضِيَ منها آخر»^(١).

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا كَفَى الْمَرْءَ نُبَلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ^(٢)
وقال الآخر:

وَمَنْ لَا يُغْمِضُ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمْتِ وَهُوَ عَائِبٌ
وَمَنْ يَتَّبِعُ جَاهِدًا كُلَّ عَشْرَةٍ يَجِدُهَا، وَلَا يَسْلَمُ لَهُ الدَّهْرَ صَاحِبٌ^(٣)

(١) سبق تخريجه.

(٢) البيت ينسب لبشار بن برد، ولعلي بن الجهم، وليزيد المهلبى. انظر: «التمثيل والمحاضرة» ص (٩٣)، و«زهر الآداب» (١/ ٥٥)، و«نهاية الأرب» (٣/ ٩٤)، و«جمهرة الأنساب المولدة» ص (٣٨٩).

(٣) البيتان لكثير عزة. انظر: «ديوانه» ص (١٥٤).

الوصية التاسعة والثمانون

لنعلم أن الأولاد من أعظم الأمانات في أعناق آبائهم، وحقوقهم من أعظم الحقوق: **من أهمها:** اختيار أمهاتهم من ذوات الدين والخلق القويم، كما قال ﷺ: «فاظْفَرْ بذات الدين تربت يداك»^(١).

ومنها: ذكر اسم الله ﷻ عند الجِماع ودعاؤه لحفظهم من الشيطان، كما قال ﷺ: «لو أن أحدكم إذا أراد أهله قال: باسم الله، اللهم جنبنا الشيطانَ وجنبِ الشيطانَ ما رزقتنا، فقُدِّر بينهم ولدٌ، لم يضرَّه الشيطان»^(٢).

وهذا يغفل عنه كثير من الناس، ولهذا يتسلط الشياطين على كثير من الأولاد.

ومنها: اختيار الأسماء الحسنة لهم ذكورهم وإناثهم؛ كعبد الله وعبد الرحمن للذكور، وغير ذلك من الأسماء المعبدة لله تعالى، والتسمية بالأسماء ذات المعاني الطيبة الجميلة، وأسماء الرسل، وأسماء الصحابة والصحابيات؛ إحياءً لذكورهم ﷺ، أو التسمية باسم الوالد والوالدة إذا كان مناسباً، ورغباً في ذلك، أو باسم يختاره أحدهما وهو مناسب، فهذا من البر بهما.

ومنها: ختان الذكور منهم، وذبح العقيقة عن الغلام شاتان، وعن الجارية شاة، كما جاء في الحديث^(٣).

ومنها: الاهتمام والعناية كل العناية بتربيتهم التربية الإسلامية الصحيحة، وتعليمهم كل ما ينفعهم في دينهم ودنياهم وأخراهم، وتحذيرهم عن كل ما يضرهم في دينهم

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود في الصحايا (٢٨٣٤)، والنسائي في العقيقة (٤٢١٦)، والترمذي في الأضاحي (١٥١٦)، وابن ماجه في الذبائح (٣١٦٢)، وأحمد ٤٢٢/٦ (٢٧٣٦٩، ٢٧٣٧١)، والدارمي ١١١/٢ (١٩٦٦) من حديث أم كرز الكعبية ﷺ. قال الترمذي: «صحيح». وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٢٠).

ودنياهم وأخراهم وتأديبهم، وفي مقدمة ذلك أمرهم بالصلاة وهم أبناء سبع، وضربهم على تركها لعشر، كما قال ﷺ (١).

وتربيتهم على تعظيم الله ﷻ، وتعظيم حقوقه، والتوكل عليه وحده، والثقة به، والحذر من تربيتهم التربية العقيمة الهزيلة على الخوف من الخلق؛ من الجن والسحر والعين، والحروب والأمراض والجوع، وغير ذلك مما يعرضهم لكثير من الأوهام والوساوس والأمراض النفسية ويضعف عندهم التوكل على الله تعالى، ويضعف عندهم المناعة الجسمية ضد الأمراض، وغير ذلك.

الوصية التسعون

لنعلم أن من أكبر الكبائر قطيعة الرحم، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٢٣) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

وقال ﷺ في الحديث القدسي: «الرحم معلقة بالعرش، مَنْ وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته» (٢).

وصلة الأرحام تكون بالزيارة والسلام عليهم، والتواصل معهم بالهاتف والرسائل، والنصيحة لهم، ودعوتهم إلى الخير، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وبذل الندى لهم، والإحسان إليهم، ودفع الأذى عنهم.

والحذر كل الحذر من أذيتهم؛ فإن أشد شيء على القريب أذية قريبه وظلمه له.

كما قال الشاعر:

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضةً على النفس من وقع الحسام المهند (٣)

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق.

ومن المؤسف: أن كثيراً من الأقارب لا يجد إلا قريبه يحسده ويؤذيه ويظلمه، وقد قيل: «العداوة للأقارب، والحسد للجيران».

واشتكى رجل لابن عباس رضي الله عنه أذية أحد أقاربه وأبناء عمه فقال: «هَوْنٌ عليك، فما من ضارٍ على طريدةٍ بأسرعٍ إليها من ابن عمِّ دَنِيٍّ إلى ابن عمِّ سَرِيٍّ؛ فهوَنٌ عليك»^(١). وهذا ظاهر، ومن أعظم المعضلات. والله المستعان.

الوصية الحادية والتسعون

أكرم جارك واقدره قدره، فقد عظم الإسلام شأنه، فقال رضي الله عنه: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكْرِمْ جاره»^(٢).

وقال رضي الله عنه: «ما زال جبريل يوصيني بالجارِ حتى ظننتُ أنه سيورثه»^(٣). وهذا مما يُوجب احترام الجار، وأداء حقوقه، والإحسان إليه، والنصيحة له، والتعاون معه على البر والتقوى.

والحذر كل الحذر من أذيته، فقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من جارٍ السوء في دار المقامة^(٤). وقال رضي الله عنه: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن». قيل: من يارسل الله؟ قال: «من لا يأمن جاره بوائقه»^(٥).

(١) «بهجة المجالس وأنس المجالس» (٧٨١ / ٢).

(٢) سبق تخريجه. (٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه النسائي في الاستعاذة، (٥٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصححه الألباني في «الصحيح» (٣٩٤٣).

(٥) أخرجه البخاري في الأدب (٦٠١٦)، وأحمد ٦ / ٣٨٥ (٢٧١٦٢) من حديث أبي شريح الكعبي رضي الله عنه.

الوصية الثانية والتسعون

استشعر - بقوة - رابطة الأخوة الإيمانية بينك وبين إخوانك المسلمين، التي هي أعظم من رابطة النسب والقرباة وغير ذلك.

واعلم أن الله ﷻ رتب عليها حقوقاً عظيمة للمسلم على أخيه المسلم، منها المبادرة بالسلام عليه عند ملاقاته، والتبسم في وجهه، وإجابة دعوته، والنصيحة له، وتشميته إذا عطس وحمّد الله، وزيارته إذا مرض، واتباع جنازته إذا مات^(١)، إلى غير ذلك. قال جرير بن عبد الله ﷺ: «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»^(٢).

وقال ﷺ: «ما لقيني رسول الله ﷺ إلا تبسم في وجهي»^(٣). ولنا به أسوة وقدوة ﷺ.

وقال ﷺ: «الدين النصيحة» قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٤).

وهذا يوجب النصيحة لجميع المسلمين والاهتمام بأمرهم.



(١) أخرجه البخاري في الجنازات (١٢٤٠)، ومسلم في السلام (٢١٦٢)، وابن ماجه في الجنازات (١٤٣٥)، وأحمد ٢ / ٣٢١ (٨٢٧١) من حديث أبي هريرة ﷺ. وأخرجه الترمذي في الأدب (٢٧٣٦) وحسنه، وابن ماجه في الجنازات (١٤٣٣) من حديث علي ﷺ.

(٢) سبق تخريجه. (٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

الوصية الثالثة والتسعون

اعلم أنه لا يجوز أذية غير المسلم من الذميين والمعاهدين والمستأمنين، بل يجب أداء حقوقهم والإقساط إليهم، ويُستحب الإحسان والبر بهم.

كما قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُوكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: ٨].

وقال ﷺ: «من قتل معاهدًا لم يَرِحْ رائحة الجنة»^(١).

الوصية الرابعة والتسعون

يجب أن يكون للمسلم شخصيته المستقلة المتميزة في عقيدته وفي عباداته، وأقواله وأفعاله، وهيئته ولباسه وعاداته، وغير ذلك، وأن يعتبر بذلك.

وأن يحذر كل الحذر من التشبه بالكفار في عقائدهم وعباداتهم الباطلة وأعيادهم وهيئاتهم ولباسهم وعاداتهم، وأن يعتد ويعتز بذلك.

قال ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»^(٢).

الوصية الخامسة والتسعون

احرص على أن يكون لك يد في رفع شأن لغة القرآن الكريم اللغة العربية، بأي جهد

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أبو داود في اللباس (٤٠٣١)، وأحمد ٢/ ٥٠ (٥١١٤)، من حديث ابن عمر ﷺ. قال محيي الدين عبد الحميد في «التعليق على أبي داود»: «قال السخاوي عن هذا الحديث: فيه ضعف ولكن له شواهد». وقال ابن تيمية: «سند جيد». وقال ابن حجر في «الفتح»: «سند حسن».

تستطيعه من الالتزام بالتكلم بها، والكتابة بها ما استطعت، وتسمية الأشياء بها، تؤجر بإذن الله تعالى على ذلك، ولا تحقرن ما تقوم به من عمل في ذلك مهما قل .
واحذر من أن يكون لك يد في هدمها، في التكلم والكتابة بغيرها لغير حاجة، أو تسمية الأشياء بغيرها.

الوصية السادسة والتسعون

سابق ونافس في أداء عملك الوظيفي الذي تتولاه للمسلمين على أكمل الوجوه وأتمها وأحسنها، قاضياً كنت أو معلماً، أو مؤذناً، أو إماماً، أو موظفاً، أو غير ذلك .
واعلم أن العمل في الأمة جهاد يؤجر عليه الإنسان مع حسن النية .
وحذارٍ، ثم حذارٍ، ثم حذارٍ من تبعات التفريط فيما وليته من مسؤوليات في أعمال المسلمين، فإنك مسؤول عن ذلك غداً أمام الله ﷻ الحكيم العادل، واعلم أن خصمك غداً ليس شخصاً واحداً أو أشخاصاً معدودين، بل خصمك الأمة كلها؛ لأن التفريط في المسؤولية ضرره على الأمة كلها، فهو هدم لكيانها، وتعطيل لمصالحها ولحقوق المسلمين .
فالحذر الحذر أن تأتي غداً بتبعات تنوء عن حملها الجبال، بسبب التغيب والتأخر عن العمل، وتقديم وتقريب هذا، وتأخير وإبعاد ذلك، فالأمر خطير جد خطير!

الوصية السابعة والتسعون

اعلم أن القرآن الكريم شفاء ورحمة وهدى للمؤمنين، وشفاء لما في الصدور، شفاء لأمراض القلوب والأبدان كلها المعنوية والحسية والنفسية .
قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾

[الإسراء: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ

لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: ٤٤].

فاطلب منه الهدى والرحمة والشفاء، لكل داء، ولا تنغلق الأبواب دونك وعندك القرآن الكريم فتكون كما قيل:

كالعِيسِ فِي الْبَيْدَاءِ يَقْتُلُهَا الظَّمَا

والماءُ فَوْقَ ظُهُورِهَا مَحْمُولٌ^(١)

اقرأه والتمس منه الهدى والرحمة والشفاء لكل ما يصيبك في دينك، من قسوة القلب، وشتات الأمر، وضعف الإقبال على الله تعالى، وغير ذلك، ولكل ما يصيبك في دنياك، من فقر وحاجة وغير ذلك من المصائب.

واقرأه على نفسك للاستشفاء به من جميع الأمراض البدنية الحسية والنفسية. ولا بأس إن دعت الحاجة أن يقرأ عليك من تثق بدينه وتقواه وورعه، فقد قال ﷺ: «من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل»^(٢).

مع الحذر كل الحذر من ضعاف الإيوان وأهل الدجل وأدعياء علم الغيب، ممن إذا جاءهم الشخص ولو كان مريضاً بالصداع فقط قالوا: فيك كذا وكذا، فيك سحر، أو عين، أو جن أو غير ذلك، فأدخلوه في دوامة من الوسوس والشكوك والظنون لا يخرج منها طيلة عمره، وشككوا كثيراً ممن يتردد عليهم في عقائدهم، كذبوا وصدق الله العظيم:

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].

(١) انظر: «حياة الحيوان الكبرى» ٢/ ٢٣٢، «نفحة اليمن» ص ١٢٦، «جواهر الأدب» ١/ ١٣١.

(٢) أخرجه مسلم في السلام (٢١٩٩)، وأحمد ٣/ ٣٠٢ (١٤٢٣١) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.

الوصية الثامنة والتسعون

إذا رأيت في منامك رؤيا، فقد قال النبي ﷺ: «الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان، فمن رأى رؤيا يكرهها فلا يخبر بها وليتفل عن يساره ثلاثاً، وليستعد بالله من شرها؛ فإنها لا تضره»^(١).

واحذر كل الحذر من عرضها على مفسري الأحلام تسلم من شرها بإذن الله تعالى، وتسلم من شر كثير منهم؛ فإن كثيراً منهم أضروا بعقائد المسلمين وأفسدوا العلاقات الطيبة بينهم، وأدخلوا عليهم الشكوك وسوء الظن فيما بينهم، وأدخلوا كثيرين منهم في دوامة من الوسوس والمشكلات.

الوصية التاسعة والتسعون

للمعلم خاصة:

اعلم أخي المعلم الكريم- بارك الله فيك ووفقك- أن عملك من أفضل الأعمال وأشرفها وأجلها، وأكثرها نفعاً للأمة، وأعظمها وأكثرها أجراً، وهي وظيفة محمد ﷺ وجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام.

وقد قال ﷺ: «وإن الملائكة لتصلي على معلم الناس الخير»^(٢).

فاقدر لهذا الأمر قدره، واحمد الله ﷻ على ذلك، وسر على بركة الله تعالى، وأبشر بالخير.

(١) سبق.

(٢) أخرجه الترمذي في العلم (٢٦٨٥) من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ. قال الترمذي: «حسن صحيح غريب». وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٨٣٨، ٤٢١٣)، و«مشكاة المصابيح» (٢١٣).

واعلم بارك الله فيك أن ثمرة التعليم هي التربية، فاحرص على تربية الطلاب وتوجيههم إلى ما ينفعهم في أمر دينهم ودنياهم وأخراهم.

واجمع لطلابك بين التربية والتعليم، بين المعلومة والتوجيه والإرشاد، ليتخرجوا على يديك بإذن الله تعالى لديهم الثقة التامة بالله ﷻ، ثم بأنفسهم في خوض غمار الحياة أوفياء لدينهم وأمتهم ووطنهم، ويكون في سجلك وميزان حسناتك بإذن الله تعالى.

قُمْ للمعلم وفّه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا
أرأيتَ أشرفَ أو أجلَّ من الذي يبني وينشئُ أنفسا وعقولا^(١)

الوصية المئة

للمرأة خاصة:

أختي الكريمة، اعلمي أن الوصايا السابقة عامة للرجال والنساء، كلٌ فيما يخصه، وهذه الوصية لك خاصة.

أختي الكريمة، اعرفي مكاتك العظيمة في الإسلام، فأنتِ الأم، والبنت، والأخت، والعمة، والخالة، أنتِ المربية والمعلمة الأولى.

على يدك ومن مدرستك تتخرج الأجيال، فكل عظيم من الرجال وراءه امرأة عظيمة؛ أمٌّ أو زوجةٌ، فأنتنَّ صانعات العطاء والأعلام من الرجال والنساء، من العلماء والمصلحين والأبطال والساسة وغيرهم.

كما قال شوقي:

الأمُّ مدرسةٌ إذا أَعَدَّتْهَا أعددتَ شعبًا طيبَ الأعراق^(٢)

(١) البيتان لأحمد شوقي، انظر: «الشوقيات» (١/ ١٨٠).

(٢) البيت لحافظ إبراهيم، انظر: «جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب» (٢/ ٢٤٩)، «بغية الإيضاح

فارفعن رؤوسكن عِزَّةً وفخرًا بنعمة الإسلام والإيمان، والهدى والقرآن. توكلن على الله ﷻ، واسألنه الهداية والثبات، والزَّمْنَ التستر والعفة والحجاب، واحذرن من التبرج والسفور، وكثرة الخروج بلا حاجة، واحفظن اللسان والبنان والجوارح، وتوسطن في الملبس والمتطلبات.

احذرن كل الحذر من كيد أعداء الإسلام وأتباعهم من دعاة التغريب والفسق والضلال، الذين وصفهم المصطفى ﷺ بقوله: «دعاةٌ على أبواب جهنم من أجا بهم إليها قذفوه فيها»^(١).

فلا تتخذن بطينهم ورنينهم وذنبتهم حول حرية المرأة وحقوقها، كما يزعمون، قاتلهم الله أنى يؤفكون!

أهم أشفق على المرأة من ربها ﷻ، كذبوا ورب الكعبة، وإنما يريدون تحقيق مآربهم الخبيثة من المرأة، وزججها في حياة الضياع وأتون المهالك، لتخسر دينها ودنياها وأخراها. وما مثل هؤلاء في خداعهم للمرأة، ودعوتهم لها للتخلي عن ثوابت دينها وقيمها وأخلاقها، إلا كمثل الشيطان.

قال تعالى: ﴿ كَتَلِ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الحشر: ١٦].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

فاستمسكن من الإسلام بالعروة الوثقى، وتأملن كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ، وسير أمهات المؤمنين وغيرهن من الصحابيات رضي الله عنهن.

وكنَّ عصيَّات على من أراد إخراجكن من الطريق المستقيم إلى طريق الضياع والهلاك

لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة» (٣/ ٤٥٥).

(١) سبق تخريجه.

والشقاء، واسمعن لقول الناصح الشفيق الرؤوف الرحيم بكن وبالامة كلها صلوات الله وسلامه عليه: «اتقوا الله في النساء»^(١).

وقوله ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت».

واعلمن أخواتي الكريبات أن الرسول ﷺ أباح لكن الخروج للحاجة^(٢)، فاقدرن للحاجة قدرها دون زيادة.

كما نهى ﷺ عن منعكن من المساجد، وبين أن الصلاة في بيوتكن أفضل حفاظاً عليكن وطهارة لقلوبكن، وصيانة للمجتمع، فقال ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، وبيوتهن خير لهن»^(٣).

فاحرصن إذا خرجتن على آداب المساجد والصلاة، وعلى تسوية الصفوف، وإكمال الصف الأول فالأول، واحذرن من التبرج والزينة والطيب والكلام في المسجد لغير حاجة، ورفع الصوت بالدعاء أو التأمين، والمرور أمام الصفوف في الصلاة، وغير ذلك. احتسبن في كل ما تقمن به في البيوت من خدمة الأزواج والأولاد، واعلمن أن ذلك أفضل من نوافل العبادات، كالصلاة والصيام، وقراءة القرآن، وغير ذلك.

ففرق بين امرأة صامت النفل وقصرت في خدمة زوجها وأولاده بسبب الصوم والنوم، وبين امرأة لم تصم لكنها قامت بخدمة زوجها وأولاده على الوجه المطلوب، ولهذا كانت عائشة ؓ يكون عليها الصوم من رمضان فلا تقضي إلا في شعبان مراعاة للنبي ﷺ^(٤).

وعن أنس ؓ قال: كنا مع النبي ﷺ في السفر، فمنا الصائم ومنا المفطر، قال: فنزلنا

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري في النكاح (٥٢٣٧)، ومسلم في السلام (٢١٧٠)، وأحمد ٦ / ٥٦ (٢٤٢٩٠) من

حديث عائشة ؓ.

(٤) سبق تخريجه.

منزلاً في يوم حار، أكثرنا ظلاً صاحبُ الكساء، ومنا من يتقي الشمس بيده، قال: فسقط الصوم، وقام المفطرون، ف ضربوا الأبنية وسقوا الركاب، فقال رسول الله ﷺ: «ذهب المفطرون اليوم بالأجر»^(١).

أخواتي الكريبات، ابتلى الله النساء بالحيض، وفي ذلك تعظيم لأجرهن، ورفعة لدرجاتهن بإذن الله ﷻ.

ومن الأمور التي تشتد الحاجة إلى معرفتها ما يلي:

- إذا رأت المرأة الدم بعد طهرها بيوم أو يومين، فإنه يُعتبر حيضاً؛ لأنه لا حدَّ لأقل الطهر بين الحيضتين على الصحيح.

- إذا زادت العادة يوماً أو يومين ونحو ذلك فهو حيض؛ لأنه لا حد لأكثر الحيض على الصحيح.

- إذا رأت المرأة الحيض بعد غروب الشمس فصومها صحيح، وإن انتقل قبل ذلك؛ لأن العبرة بخروج الدم.

- إذا رأت الصُّفرة قبل الغروب ولم ينزل الدم إلا بعد الغروب فصومها صحيح.

- إذا رأت الدم بعد الغروب، وحصل عندها شك أنزل قبله أم بعده فصومها صحيح؛ لأن الأصل أنها طاهرة حتى وقت رؤيتها له.

- إذا طهرت قبل الفجر فصومها صحيح وإن لم تغتسل إلا بعده.

- إذا حاضت المرأة بعد دخول الوقت، وكان قد مضى عليها وقت يتسع للصلاة، فذهب بعض أهل العلم إلى أن عليها القضاء، وهو أحوط، وذهب بعضهم إلى أنه لا قضاء عليها؛ لأن الوقت موسع.

- إذا طهرت المرأة بعد العصر، قال بعض أهل العلم: تصلي الظهر والعصر؛ لأن وقتها واحد، وكذا إذا طهرت بعد العشاء تصلي العشاء والمغرب؛ لأن وقتها واحد،

(١) أخرجه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٩٠)، ومسلم في الصيام (١١١٩)، والنسائي في الصيام (٢٢٨٣).

وذهب بعض أهل العلم إلى أنها تصلي الصلاة الحاضرة، وهي العصر والعشاء، وهذا أرجح.

- المستحاضة قال بعض أهل العلم: تتوضأ لوقت كل صلاة، وقال بعضهم: لا يلزمها ذلك، وهو الأرجح.



ثانياً : أربعون من الفوائد والضرائد

❖ الاستعاذة «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» تُشرع في أول القراءة مرة واحدة، سواء في ابتداء السورة أو في وسطها، في الصلاة، أو خارج الصلاة؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ [النحل: ٩٨].

وعلى هذا فالاستعاذة في الصلاة مرة واحدة بعد التكبير والاستفتاح، يستعيد ثم يبسم، ثم يقرأ الفاتحة؛ لأن قراءة الصلاة كلها في جميع الركعات بمثابة قراءة واحدة، وهي ليست بآية من القرآن الكريم بالاتفاق.

❖ البسمة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ آية مستقلة من القرآن الكريم تنزل مع كل سورة، عدا سورة التوبة، فلم تنزل معها؛ ولهذا لم تُكتب في مطلعها، وليست آية من أي سورة من سور القرآن الكريم على الصحيح، لا الفاتحة ولا غيرها من السور، وهي بعض آية من سورة النمل في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠].
وتُشرع قراءتها في بداية كل سورة، حتى لو كرر قراءة السورة يكرر البسمة معها؛ لأنها آية مستقلة، تُقرأ في مطلع كل سورة، ففي الصلاة يقرأها قبل الفاتحة في كل ركعة، ويقرأها مع كل سورة ابتدأها من أولها.

❖ الحكمة من ذكر الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم:
اعلم أن الحكمة - على القول الراجح - في ذكر الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم، مثل: «الم»، «المص»، «الر»، «كهيعص»، «طه»، «حم»، «حم عسق»، «ق»، «ن»، وغيرها هي بيان إعجاز القرآن الكريم.

وتحدي العرب أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله، مع أنه بالحروف الهجائية التي يتكلمون وينطقون بها، وهي الثمانية والعشرون حرفاً.

❖ بيان المنسوخ في القرآن الكريم:

اعلم أن المنسوخ في القرآن الكريم خمس آيات فقط؛ في خمسة مواضع هي:

الأول: آية التخير بين الصيام والإطعام، وهي قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ

طَعَامٌ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٤].

نُسخت بقوله تعالى في الآية بعدها: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

الثاني: مفهوم قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا

تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣].

فمفهوم هذه الآية جواز السكر في غير وقت الصلاة، وقد نُسَخَ هذا المفهوم بقوله

تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَأَجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٠)

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ

مُنذَرُونَ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

الثالث: قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَادِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ

يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَإِنَّهُمْ لَآيَفْقَهُوتُ﴾ [الأنفال: ٦٥].

فهذه الآية نُسخت بالآية بعدها: ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ

مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦٦].

فكان المؤمن - في أول الأمر - مطالباً بمصابرة العشرة من الكفار، كما في الآية الأولى،

ثم خفف الله عن المؤمنين ذلك لوجود الضعف فيهم، فطلب من الواحد منهم أن يصابر

الاثنتين من الكفار.

الرابع: قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةٌ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ

وَأَطَهَّرَ فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ [المجادلة: ١٢].

نُسخ بقوله تعالى بعدها: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقْتُمْ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾

[المجادلة: ١٣].

الخامس: قوله تعالى: ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلْمُزْمَلِ ﴿١﴾ قُرْآنَ اللَّيْلِ إِذَا يَلِيلًا ﴿٢﴾ يَصْفَهُ ۚ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْزَدَ عَلَيْهِ ﴿٤﴾

[المزمل: ١-٤].

فأوجب الله ﷻ قيام الليل في هذه الآية، فقام النبي ﷺ وأصحابه عامًا حتى تَفَطَّرَتْ أقدامهم، ثم نسخ الله ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ يَصْفَهُ ۚ وَثُلُثَهُ ۚ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۗ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۗ عَلِمَ أَنْ لَّمْ يُخِصِّهِ فَتَابَ عَلَيْكَ ۖ فَاقْرَأْ ۖ وَ مَا يَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۗ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْجُؤٌ ۚ وَأَخْرُوجُونَ بِصُرُوفٍ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۗ وَأَخْرُوجُونَ يُقْنَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَأْ ۖ وَ مَا يَسَّرَ مِنْهُ ﴿٢٠﴾ [المزمل: ٢٠].

هذه هي الآيات المنسوخة، وما عدا ذلك مما قيل فيه النسخ من الآيات فالصحيح أنها مُحْكَمَةٌ غير منسوخة.

❖ الشباب هم أمل الأمة بعد الله ﷻ، فهم الذين انتصرت بهم دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس: ٨٣].

وقال تعالى عن أصحاب الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

وهكذا كان جُلُّ أصحاب رسول الله ﷺ شبابًا.

ولهذا تجب العناية بالشباب وتعليمهم وتربيتهم على العقيدة الصحيحة، وعلى الاستقامة على طاعة الله تعالى، وتشجيعهم على الثقة بالله ثم بأنفسهم، فهم أبناء اليوم ورجال المستقبل.

❖ قالت ملكة سبأ «بلقيس» مستشارة جنودها ورجال مملكتها، لما جاءها خطاب

سليمان ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُوْنِ﴾ [النمل: ٣٢].

فقالوا مغترين بقوتهم وبأسهم: ﴿نَحْنُ أَوْلُوْا قُوَّةً وَأَوْلُوْا بِأَسِّ شَدِيْدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِيْنَ﴾

[النمل: ٣٣].

قالت: ﴿إِنَّ الْمَلُوْكَ إِذَا دَخَلُوْا قَرْيَةً أَفْسَدُوْهَا وَجَعَلُوْا أَعْيُنَ أَهْلِهَا أَذْلَةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُوْنَ﴾ [النمل: ٣٤].

إلى آخر الآيات.

فاختارت بثاقب رأيها وحكمتها وعقلها المسالمة والمهادنة، وعدم المواجهة مع سليمان وجنوده الذين لا قبل لها بهم، ولم تغتر بقول جنودها: ﴿نَحْنُ أَوْلُوْا قُوَّةً وَأَوْلُوْا بِأَسِّ شَدِيْدٍ﴾ بل قدرت للأمر قدره، فسلمت وأسلمت.

ولما جاءت وقيل لها: ﴿أَهْكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ [النمل: ٤٢].

فأجابت إجابة موفقة سديدة: ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ [النمل: ٤٢]، فلم تقل: إنه هو؛ لبعد المسافة بين اليمن وفلسطين، وكيف يأتي بهذه السرعة، ولم تقل: إنه ليس هو؛ لأن أوصافه أوصاف عرشها تمامًا.

❖ استبطأ الله ﷻ خشوع قلوب المؤمنين، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِيْنَ ءَامَنُوْا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوْبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُوْنُوْا كَالَّذِيْنَ أُوتُوْا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوْبُهُمْ وَكَثِيْرٌ مِنْهُمْ فَسِقُوْنَ﴾ [الحديد: ١٦].

ثم بشرهم ﷻ وبعث الأمل والرجاء في قلوبهم بأنه كما يحيي الأرض بعد موتها، سيحيي قلوبهم ويردهم إليه؛ لثلاثا يقنطوا من رحمته ﷻ، فقال: ﴿اعْلَمُوْا أَنَّ اللهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ آيَاتِنَا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ﴾ [الحديد: ١٧].

❖ نهى الله ﷻ المؤمنين عن موالاة الكافرين، فهم أعداؤه ﷻ وأعداء المؤمنين، فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا لَا تَتَّخِذُوْا عَدُوِّي وَعَدُوِّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المتحنة: ١].

وبما أن هؤلاء الذين نهى الله عن موالاتهم أكثرهم من قرابات المؤمنين من الآباء والأولاد والأزواج وغيرهم، وفي معاداتهم من المشقة على المؤمنين ما لا يخفى، لهذا لم يقنطهم الله ﷻ من إيمان هؤلاء القرابات، بل فتح لهم باب الرجاء بإيمانهم، فقال ﷻ بعد ذلك: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المتحنة: ٧].

و«عسى» من الله واجبة؛ أي: هذا وعد من الله بعودة المودة بينهم، وذلك بإيمانهم بإذن الله تعالى، فهو سبحانه قدير يقلب القلوب كيف يشاء، وغفور لعباده ورحيم بهم.

❖ اختارت الجار قبل الدار، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَاتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَخِنِيِّ مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَخِنِيِّ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم: ١١].

هي آسية بنت مُزاحم ﷻ، قال المفسرون: اختارت الجار قبل الدار، فقدمت قولها: ﴿عِنْدَكَ﴾ على قولها: ﴿بَيْتًا﴾، فلم تقل: «بیتاً عندك»، وإنما قالت: ﴿عِنْدَكَ بَيْتًا﴾، فاخترت جوار الله ﷻ قبل البيت والدار.

❖ أمر الله ﷻ النبي ﷺ بالإقسام بربه على أن البعث حق في ثلاث آيات: قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

وقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ نَبْطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ﴾ [سبأ: ٣].

❖ (أل) العهدية ثلاثة أنواع:

العهد الذهني كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧].

العهد الذكري: كما في قوله تعالى: ﴿كَأَازْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ (١٥) ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ [المزمل:

.[١٦،١٥]

العهد الحضوري، كما في قوله تعالى: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

﴿قَالَ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [الآية: ١٢٦].

وقال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [الآية: ٣٥].

فذكر «بلدًا» في سورة البقرة، بالتنكير؛ لأن هذا قبل بناء إبراهيم ﷺ للبيت، وذكره في سورة إبراهيم بالتعريف لأن هذا بعد بنائه له.

﴿الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه لغير الله تعالى، والصفح الجميل الذي لا عتاب فيه، والهجر الجميل الذي لا أذى فيه.

﴿اللطف الخبير: اللطيف: يدرك الدقيق، والخبير: يدرك الخفي.

﴿سُمِّيَ عَيْسَى ﷺ: المسيح بن مريم؛ لأنه لا يمسح ذاعاهة إلا برًّا، وسُمِّيَ الْمَسِيحُ الدجال بذلك لأنه ممسوح العين اليمنى أعور.

﴿مَلِكُ الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ: اثنان مؤمنان: سليمان ﷺ، وذو القرنين، واثنان كافران: النمرود، وبُخْتَنَصَّر.

﴿السورة التي في كل آية منها لفظ الجلالة «الله»: سورة المجادلة.

❖ الذي بعثه الله تعالى، وليس هو من الإنس ولا من الجن هو الغراب، قال تعالى:
﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِثُ سَوْءَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣١].

❖ هارون أخو مريم المذكور في قوله تعالى: ﴿يَتَأَخَذَ هَنُورًا﴾ [مريم: ٢٨] ليس هو
هارون أخا موسى ﷺ، فهذا متقدم وبينهما مدة طويلة، حتى قيل: إنه بين موسى وعيسى
ﷺ ألف نبي.

❖ كل ما حكاه ﷺ في القرآن الكريم عن السابقين من أقوال فهو بالمعنى؛ لأن
لغتهم ليست هي اللغة العربية، لكن تحدث الله ﷻ به وحكاه على ما يريد^(١).

❖ قال بعض السلف: «ما أمر الله بأمر إلا اعترض الشيطان فيه بأمرين، لا يبالي
بأيهما ظفر؛ غلو، أو تقصير»^(٢).

❖ لم يرد في الفاتحة أنها من أذكار الصباح والمساء، وإنما هي رقية.

❖ سميت القيامة الساعة؛ لأنها أعظم حدث.

❖ قال عمر بن الخطاب ﷺ لقبيصة بن جابر: «إن الشاب يكون عنده عشرة أخلاق،
تسعة منها حسنة، وواحد سيء يفسد تلك الأخلاق التسعة، فإياك وعشرات الشباب»^(٣).

(١) انظر: «تفسير سورة المائدة» للشيخ محمد بن عثيمين ﷺ ٢ / ٢٦٨ - ٢٦٩.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: «دقائق التفسير» ٢ / ٥٩.

١٢٥- كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوتر أول الليل مخافة ألا يقوم آخره، وكان عمر رضي الله عنه يوتر آخر الليل لتيقنه أنه سيقوم آخر الليل، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: «أخذ هذا بالحزم»، وقال لعمر: «أخذ هذا بالقوة»^(١).

١٢٦ يقال: يُهلك الناس ثلاثة أنصاف: نصف فقيه، ونصف طبيب، ونصف نحوي، فالأول يفتيهم في الأديان، والثاني يفتيهم في الأبدان، والثالث يفتيهم في اللسان.

١٢٧ سأل أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن يعظهم كل يوم، فقال: «إنما أتحوّلُكم بالموعة كما أن النبي صلى الله عليه وسلم يتحولنا بها مخافة السأم»^(٢).

١٢٨ قيل: رأى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أناسًا في المسجد يعدون حسناتهم بالحصى، وقد جعل كل منهم كومة من الحصى، فقال: ماذا تفعلون؟ فأخبروه وقالوا: ما أردنا إلا خيرًا. فقال رضي الله عنه: «كم من مُريدٍ للخير لم يبلغه، أحصوا سيئاتكم، وأنا كفيّل ألا يضيع شيء من حسناتكم»^(٣).

(١) أخرجه أبو داود في الوتر (١٤٣٤) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه. وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (١٢٨٨). وأخرجه ابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٠٢)، وأحمد ٣/٣٠٩، ٣٣٠، (١٤٣٢٣)، (١٤٥٣٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه. وصححه الألباني في «الصحيحه» (٢٥٩٦).

(٢) أخرجه البخاري في العلم (٦٨، ٧٠)، ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار (٢٨٢١)، والترمذي في الأدب (٢٨٥٥)، وأحمد ١/٣٧٧ (٣٥٨١).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» ٩/١٢٧ (٨٦٣٦). قال الهيثمي في «المجمع» (١/١٨١): «رواه الطبراني في «الكبير»، وفيه مجالد بن سعيد، وثقه النسائي، وضعفه البخاري وأحمد بن حنبل ويحيى».

١٦١ كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجهز الجيش وهو في الصلاة^(١).

١٦٢ النار لا تفتنى ولا يفنى عذابها على الصحيح من أقوال أهل العلم، وعليه دل الكتاب والسنة.

١٦٣ الشك بعد انتهاء العبادة لا يلتفت إليه، وفي أثنائها إن كثر فلا يلتفت إليه أيضاً، وإن لم يكن كثيراً بنى على غلبة الظن، فإن تردد بنى على اليقين.

١٦٤ إذا سلم عن نقص وطال الفصل أعاد الصلاة كلها، وإن كان الفصل قليلاً في حدود ثلاث إلى خمس دقائق بنى على ما مضى وأتم الصلاة وسجد للسهو بعد السلام.

١٦٥ إذا قام إلى الثالثة في النافلة وجب عليه الرجوع؛ لأن صلاة الليل وكذا صلاة النهار مثنى مثنى، فإن لم يعلم إلا في التشهد فلا يطالب برابعة، وهذا بخلاف الوتر فيصل في ثلاثاً أو خمساً أو أكثر.

١٦٦ يجوز عند الحاجة تحويل الفريضة إلى نافلة، ولا يجوز تحويل النافلة إلى فريضة.

١٦٧ الاستخارة إنما تكون في الأمور المباحة، لا في الأمور الواجبة والمستحبة، وتكون فيما تردد فيه الإنسان، فيصل ركعتين، ويدعو بدعاء الاستخارة بعد التشهد قبل السلام أو بعده، أما إذا عزم الإنسان على الأمر فعليه أن يتوكل على الله ولا حاجة للاستخارة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٢/٦٠٩)، و«بدائع التفسير» (٣/٤٢٠).

❖ لا تجوز الإطالة في الجلوس والدعاء بعد دفن الميت، بل يستغفر له ثلاثاً ويسأل الله له التثبيت، ثم ينصرف؛ لقوله ﷺ: «استغفروا لأخيكم واسألوا الله له التثبيت فإنه الآن يسأل»^(١).

وكان من عاداته ﷺ يكرر الدعاء ثلاث مرات^(٢).

❖ قال الإمام أحمد ﷺ لابنه لما قال: أوصني، قال: «انو الخير فما تزال بخير ما نويت الخير»^(٣).

❖ قال معاوية بن أبي سفيان ﷺ لرجل من سبأ: ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة.

فقال الرجل لمعاوية: أجهل من قومي قومك؛ قالوا لرسول الله ﷺ حين دعاهم إلى الحق: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأَنْفَال: ٣٢].

ولم يقولوا: إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَاهْدِنَا لَهُ^(٤).

(١) أخرجه أبو داود في الجنائز (٣٢٢١) من حديث عثمان ﷺ. قال النووي في «الخلاصة» (١٠٢٨/٢): «رواه أبو داود بإسناد حسن». وقال الألباني في «أحكام الجنائز» ص (١٥٦): «أخرجه أبو داود والحاكم (١/٣٧٠)، والبيهقي (٤/٥٦) وعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» ص (١٢٩). وقال الحاكم: «صحيح الإسناد». ووافقه الذهبي، وهو كما قالاً».

(٢) أخرجه البخاري في الوضوء (٢٤٠)، وفي الصلاة (٥٢٠)، ومسلم في الجهاد والهجرة (١٧٩٤)، والنسائي في الطهارة (٣٠٧) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ وفيه: فلما قضى صلاته رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، ثم قال: «اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش».

(٣) انظر: «المناقب» لابن الجوزي ص (٢٧٤)، و«الأداب الشرعية» لابن مفلح (١/١٠٤).

(٤) انظر: «محاسن التأويل» ٥/ ٢٨٤.

١٦٦ جلوس طالب العلم كالجلوس بين السجدين، والجلوس للأكل أيضًا كالجلوس بين السجدين، أو ينصب الركبة اليمنى ويفترش الرجل اليسرى.

١٦٧ حالات سجود السهو:

سجود السهو يجوز أن يكون كله قبل السلام، ويجوز أن يكون كله بعد السلام باتفاق أهل العلم.

والأفضل أن يكون سجود السهو بعد السلام في الحالات الآتية:

الحالة الأولى: إذا سلم عن نقص ركعة فأكثر، فيقوم ويكمل الصلاة، ثم يسلم، ثم يسجد سجدين للسهو، ثم يسلم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشي - قال ابن سيرين: سماها أبو هريرة ولكن نسيت أنا - قال: فصلى بنا ركعتين، ثم سلم، فقام إلى خشبة معروضة في المسجد، فاتكأ عليها كأنه غضبان، ووضع يده اليمنى على اليسرى، وشبك بين أصابعه، ووضع خده الأيمن على ظهر كفه اليسرى، وخرجت السرعان من أبواب المسجد، فقالوا: قصرت الصلاة؟ وفي القوم أبو بكر وعمر، فهابا أن يكلماه، وفي القوم رجل في يديه طول، يقال له: ذو اليدين، قال: يا رسول الله، أنسيت أم قصرت الصلاة؟ قال: «لم أنس ولم تقصّر»، فقال: «أكما يقول ذو اليدين؟» فقالوا: نعم، فتقدم فصلى ما ترك، ثم سلم، ثم كبر وسجد مثل سجوده أو أطول، ثم رفع رأسه وكبر، ثم كبر وسجد مثل سجوده أو أطول، ثم رفع رأسه وكبر، فربما سألوه: ثم سلم؟ فيقول: نبئت أن عمران بن حصين قال: ثم سلم ^(١).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ صلى العصر، فسلم في ثلاث ركعات،

(١) أخرجه مالك في الصلاة (١/٩٤)، والبخاري في الصلاة (٤٨٢)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٧٣)، وأبو داود في الركوع والسجود (١٠٠٨)، والنسائي في السهو (١٢٢٦)، وأحمد ٢/٢٧١ (٧٦٦٦).

ثم دخل منزله، فقام إليه رجل يقال له الخرباق، وكان في يديه طول، فقال: يا رسول الله، فذكر له صنيعه، وخرج غضبانَ يجر رداءه، حتى انتهى إلى الناس، فقال: «أصدق هذا؟» قالوا: نعم، فصلى ركعة، ثم سلم، ثم سجد سجدتين، ثم سلم (١).

الحالة الثانية: إذا بنى على غالب ظنه، كما إذا شك في الرباعية هل صلى ثلاثاً أو أربعاً، أو شك في المغرب، هل صلى اثنتين أو ثلاثاً، أو شك في الفجر هل صلى واحدة أو اثنتين، وغلب على ظنه أحد الأمرين، وهو النقص أو التمام، فإنه في هذه الحال يبني على غالب ظنه، ويسجد للسهو بعد السلام؛ لقوله ﷺ في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «إذا شك أحدكم في صلاته، فليتحرّ الصواب، فليتم عليه، ثم ليسلم، ثم يسجد سجدتين بعد السلام» (٢).
ومثل هاتين الحالتين إذا نسي أن يسجد للسهو قبل السلام، فإنه يسجد بعد السلام، ما لم يطل الفصل.

وما عدا هذه الحالات فالأفضل أن يكون السجود قبل السلام (٣).
والحمد لله على التيسير.

(١) أخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٧٤)، وأبو داود في الركوع والسجود (١٠١٨)، والنسائي في السهو (١٢٣٧)، وأحمد ٤/٤٢٧ (١٩٨٢٨).

(٢) أخرجه البخاري في الصلاة (٤٠١)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٧٢)، وأبو داود في الركوع والسجود (١٠٢٠)، والنسائي في السهو (١٢٤٠، ١٢٤١).

(٣) انظر: «كشاف القناع» للحجاوي ١/٤٠٩، و«المغني» لابن قدامة ٢/١٨، و«مجموع فتاوى ابن باز» ١١/٢٦٧-٢٦٨.

ثالثاً: حكم ومعانٍ شعرية مختارة

الشعر ديوان العرب، فيه حكم عظيمة، ومعانٍ جميلة، وفوائد جمعة.

قال رحمه الله: «إن من الشعر حُكْمًا، وإن من البيان سِحْرًا»^(١).

وقد اخترت لك أكثر من مئة وأربعين بيتاً من الشعر، تم انتقاؤها مما استشهد به وخرّج في هذا التفسير؛ لتطلع على ما فيها من الفوائد الكثيرة، وتستمتع بما اشتملت عليه من الحكم والمعاني الجميلة، وتستشهد منها في خطبة، أو محاضرة، أو مقال، أو كلمة، أو جلسة أدبية، أو غير ذلك.

ولم أفصد ترتيبها لا على الرويِّ، ولا على الموضوعات، ولا على الأهم؛ لينتقل القارئ بين أفيائها، ويقطف منها ما لذّ له وطاب، ويتذوّق ما فيها من الحسن والبلاغة والجمال.

قال علي بن أبي طالب رحمه الله:

مَا الْفُضْلُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمْ
وَقِيَمَةُ الْمَرْءِ مَا قَدْ كَانَ يُحْسِنُهُ
فَقُمْ بِعِلْمٍ وَلَا تَطْلُبْ بِهِ بَدَلًا
وَقَالَ حَسَّانُ رحمه الله:

وَصَمَّ الْإِلَهَ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ
إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَدَّنُ أَشْهَدُ
فُدُّوا الْعَرْشَ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدٌ

وقال الشافعي رحمه الله:

أَخِي لَنْ تَنَالَ الْعِلْمَ إِلَّا بِسِتَّةٍ
ذَكَاءٌ وَحِرْصٌ وَاجْتِهَادٌ وَبُلْغَةٌ
سَأْنِيكَ عَن تَأْوِيلِهَا بَبَيَانٍ
وَرِشَادُ أُسْتَاذٍ وَطُولُ زَمَانٍ

(١) أخرجه أبو داود في الأدب (٥٠١١)، وأحمد ٢٦٩/١ (٢٤٢٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٧٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنه، وصححه الألباني في تحقيقه «الأدب المفرد» في «الصحيحة» (١٧٣١)، وأخرجه أبو داود في الأدب (٥٠١٢) من حديث بُرَيْدَةَ رضي الله عنه.

وقال رضي الله عنه:

وَمَنْ فَاتَهُ التَّعْلِيمُ وَقَتَ شَبَابِهِ
وَذَاتُ الْفِتَى - وَاللَّهِ - بِالْعِلْمِ وَالتَّقَى

وقال أيضًا:

وَمَنْ لَمْ يَذُقْ ذُلَّ التَّعَلُّمِ سَاعَةً

وقال أيضًا:

تَعَلَّمَ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُوَلَّدُ عَالِمًا
وَإِنَّ كَبِيرَ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ

وقال أيضًا:

فَالْعِلْمُ صَيْدٌ وَالْكِتَابَةُ قَيْدُهُ
فَمِنَ الْحَمَاقَةِ أَنْ تَصِيدَ غَزَالَةً

وقال الطغرائي:

الْعِلْمُ يَرْفَعُ بَيْتًا لَا عِمَادَ لَهُ
الْعِلْمُ مُبْلِغُ قَوْمٍ ذُرْوَةَ الشَّرَفِ
يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ مَهَلًا لَا تُدْنِسْهُ

وقال أحمد بن غزال:

الْأَرْضُ تَحْيَا إِذَا مَا عَاشَ عَالِمُهَا
كَالْأَرْضِ تَحْيَا إِذَا مَا الْعَيْثُ حَلَّ بِهَا

وقال عبد العزيز الديربي:

إِذَا مَا مَاتَ ذُو عِلْمٍ وَتَقَوَى
وَمَوْتُ الْعَابِدِ الْقَوَامِ لَيْلًا
وَمَوْتُ فَتَى كَثِيرِ الْجُودِ مَحَلٌّ
وَمَوْتُ الْفَارِسِ الضَّرْعَامِ هَدْمٌ

فَقَدْ تُلِمْتَ مِنَ الْإِسْلَامِ نُلْمَهُ
يُنَاجِي رَبَّهُ فِي كُلِّ ظُلْمَهُ
فَإِنَّ بَقَاءَهُ خِصْبٌ وَنِعْمَهُ
فَكَمْ شَهِدَتْ لَهُ بِالنَّصْرِ عَزْمَهُ

بِحُكْمِ الْأَرْضِ مَنْقَصَةٌ وَنِقْمَةٌ
وَبَاقِي النَّاسِ تَخْفِيفٌ وَرَحْمَةٌ
وَفِي إِجَادِهِمْ لِلَّهِ حِكْمَةٌ

وقال محمد بن الحسن:

إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَأَعْدَلُ قَاصِدٍ
أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ

وَمَوْتُ الْحَاكِمِ الْعَدْلِ الْمَوْلَى
فَحَسْبُكَ خَمْسَةٌ يُبْكِي عَلَيْهِمْ
وَبَاقِي النَّاسِ هُمْ هَمَجٌ رَعَاغٌ

تَفَقَّهُ فَإِنَّ الْفِقْهَ أَكْبَرُ قَائِدٍ
فَإِنَّ فِقْهَهَا وَاحِدًا مُتَوَرِّعًا

وقال الأعشى:

وَشَاهَدْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
وَأَنَّكَ لَمْ تُرْصِدْ لِمَا كَانَ أَرْصَدَا

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرَحَلْ بِزَادٍ مِنَ التُّقَى
نَدِمْتَ عَلَى أَلَّا تَكُونُ كَمِثْلِهِ

وقال الآخر:

فَأَجْسَامُهُمْ قَبْلَ الْقُبُورِ قُبُورُ
فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى النُّشُورِ نُشُورُ

وَفِي الْجَهْلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتُ لِأَهْلِهِ
وَإِنَّ امْرَأً لَمْ يَحْيَ بِالْعِلْمِ مَيِّتٌ

وقال الآخر:

عَلَى عِلْمٍ أَدَقِّ مِنَ الْهَبَاءِ
فَكَيْفَ وَصَلْتُمْ عِلْمَ السَّمَاءِ!؟

أَيَا عُلَمَاءِ النُّجُومِ أَحَلْتُمُونَا
كُنُوزَ الْأَرْضِ لَمْ تَصَلُّوا إِلَيْهَا

وقال الآخر:

فَلَا تَتْرُكِ التَّقْوَى اتِّكَالًا عَلَى النَّسَبِ
وَقَدْ وَضَعَ الشَّرْكَ النَّسِيبَ أَبًا لَهَبِ

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ دِينِهِ
لَقَدْ رَفَعَ الْإِسْلَامَ سَلْمَانَ فَارِسِ

وقال الآخر:

يُغْنِيكَ مَحْمُودُهُ عَنِ النَّسَبِ
لَيْسَ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ كَانَ أَبِي

كُنْ ابْنُ مَنْ شِئْتَ وَاکْتَسَبَ أَدَبًا
إِنَّ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ هَآنَذَا

وقال نهار بن توسعة:

إِذَا افْتَخَرُوا بِقَيْسٍ أَوْ تَمِيمِ

أَبِي الْإِسْلَامِ لَا أَبَ لِي سِوَاهُ

وقال القحطاني:

وَإِذَا خَلَوْتَ بِرَبِيبَةٍ فِي ظُلْمَةٍ
فَاسْتَحْيِ مِنْ نَظَرِ الْإِلَهِ وَقُلْ لَهَا:

وقال أحمد بن العريف:

يَا رَاحِلِينَ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ لَقَدْ
إِنَّا أَقْمَنَا عَلَى عُذْرٍ نُكَابِدُهُ

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام:

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللَّهِ لِلْفَتَى

وقال ابن هانئ:

وَلَمْ أَجِدِ الْإِنْسَانَ إِلَّا ابْنَ سَعِيهِ
فَلَمْ يَتَأَخَّرْ مَنْ أَرَادَ تَقَدُّمًا

وقال النابغة الجعدي:

وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ

وقال الآخر:

لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الدُّنُوبِ صَغِيرَهَا
إِنَّ الصَّغِيرَ وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ

وقال الحطيئة:

وَلَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمَعَ مَالٍ
وَتَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الزَّادِ دُخْرًا

وقال أبو العتاهية:

اصْبِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَتَجَلَّدْ
وَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ الْكِرَامُ فَإِنَّهَا

وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الْعِصْيَانِ
إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلَامَ يَرَانِي

سِرْتُمْ جُسُومًا وَسِرْنَا نَحْنُ أَرْوَاحًا
وَمَنْ أَقَامَ عَلَى عُذْرٍ كَمَنْ رَاحَا

فَأَوَّلُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ

فَمَنْ كَانَ أَسْعَى كَانَ بِالْمَجْدِ أَجْدَرًا
وَلَمْ يَتَقَدَّمْ مَنْ أَرَادَ تَأَخَّرَا

بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا
حَلِيمٌ إِذَا مَا أُوْرَدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا

إِنَّ الصَّغِيرَ غَدًا يَعُودُ كَبِيرًا
عِنْدَ الْإِلَهِ مُسَطَّرٌ تَسْطِيرًا

وَلَكِنَّ التَّقِيَّ هُوَ السَّعِيدُ
وَعِنْدَ اللَّهِ لِلتَّقَى مَزِيدُ

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدٍ
نُوبٌ تَنْوُبُ الْآنَ تُفْرَجُ مِنْ غَدِ

فَاجْبُرْ مُصَابِكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

فَمَوْضُوعٌ بِهَا الْفَرْجُ الْقَرِيبُ

لَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ حَيًّا مُخَلَّدًا

شِبْهُ الرُّجَاةِ كَسْرُهَا لَا يُشْعَبُ

أَلَذُّ وَأَشْهَى مِنْ عَوِيٍّ أَعَاشِرُهُ

إِذَا قِيلَ إِنَّ السَّيْفَ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا؟

لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ

شَكَا الْفَقْرَ أَوْ لَامَ الصِّدِّيقَ فَأَكْثَرَا

صَلَاتُ ذَوِي الْقُرْبَى لَهُ أَنْ تَنْكَرَا

تَعِشْ ذَا يَسَارٍ أَوْ تَمُوتْ فَتُعْتَدِرَا

عَلَى الْمَاءِ خَانَتُهُ فُرُوجُ الْأَصَابِعِ

وَصَدَقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمٍ

وَإِذَا أُصِيبَتْ مُصِيبَةً تَشْجَى بِهَا

وقال ابن السكيت:

وَكُلُّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ

وقال الآخر:

وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَدُومُ لِأَهْلِهَا

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام:

إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَرَ وَدُّهَا

وقال الشافعي عليه السلام:

إِذَا لَمْ أَجِدْ خِلًّا تَقِيًّا فَوَحْدَنِي

وقال الكميت:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَنْقُصُ قَدْرُهُ

وقال أبو العتاهية:

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ

وقال أيضًا:

تَرْجُو النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْأَلْ مَسَالِكَهَا

وقال عروة بن الورد:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَطْلُبْ مَعَاشًا لِنَفْسِهِ

وَصَارَ عَلَى الْأَدْنَيْنِ كَلًّا وَأَوْشَكَتْ

فَسِرٌّ فِي بِلَادِ اللَّهِ وَالْتِمَسِ الْغِنَى

وقال أبو نواس:

وَمَنْ يَأْمَنِ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَابِضٍ

وقال المتنبي:

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ

وَعَادَى مُجَبِّيه بِقَوْلِ عُدَاتِهِ

وقال أبو العتاهية:

فَوَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَـهَ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ

وقال ابن عائشة:

يَدُ الْمَعْرُوفِ خَيْرٌ حَيْثُ كَانَتْ
فَفِي شُكْرِ الشُّكُورِ لَهَا جَزَاءٌ

وقال الشافعي رحمه الله:

النَّاسُ بِالنَّاسِ مَا دَامَ الْحَيَاءُ بِهِمْ
وَأَكْرَمَ النَّاسِ مَا بَيْنَ الْوَرَى رَجُلٌ
لَا تَمْنَعَنَّ يَدَ الْمَعْرُوفِ عَنْ أَحَدٍ
وَأَشْكُرْ فَضَائِلَ صُنْعِ اللَّهِ إِذْ جُعِلَتْ
قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَمَا مَاتَتْ مَكَارِمُهُمْ

وقال الشافعي رحمه الله أيضًا:

كُلُّ الْعَدَاوَاتِ قَدْ تُرْجَى مَوَدَّتُهَا

وقال المتنبي:

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلَّهُمْ

وقال أيضًا:

لَا خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلَا مَالٌ

وقال الآخر:

فَهُنَّ الْمَنَايَا أَيُّ وَادٍ سَلَكَتُهُ

وقال الشافعي رحمه الله:

بِقَدْرِ الْجِدِّ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِي

وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشُّكِّ مُظْلِمٌ

هُ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاحِدُ؟!
تَدُلُّ عَلَيَّ أَنَّهُ وَاحِدٌ

تَلَقَّفَهَا كَفُورٌ أَمْ شُكُورٌ
وَعِنْدَ اللَّهِ مَا كَفَرَ الْكُفُورُ

وَالسَّعْدُ لَا شَكَّ تَارَاتُ وَهَبَاتُ
تُقْضَى عَلَى يَدِهِ لِلنَّاسِ حَاجَاتُ
مَا دُمْتَ مُقْتَدِرًا فَالسَّعْدُ تَارَاتُ
إِلَيْكَ، لَا لَكَ، عِنْدَ النَّاسِ حَاجَاتُ
وَعَاشَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْوَاتُ

إِلَّا عَدَاوَةٌ مَنَ عَادَاكَ عَن حَسَدٍ

الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالٌ

فَلْيُسْعِدِ النَّطْقُ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ

عَلَيْهَا طَرِيقِي أَوْ عَلَيَّ طَرِيقُهَا

وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَى سَهَرَ اللَّيَالِي

وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَى مِنْ غَيْرِ كَدٍّ
وَقَالَ الْآخِرُ:

وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَى مِنْ غَيْرِ كَدٍّ
وَقَالَ الْآخِرُ:

وَمَنْ زَرَعَ الْحُبُوبَ وَمَا سَقَاهَا
وَقَالَ الْمَتْنَبِيُّ:

إِذَا الْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلَاصًا مِنَ الْأَذَى
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْحِجَابِ:

كَأَنَّ بِلَادَ اللَّهِ وَهِيَ عَرِيضَةٌ
وَقَالَ حَسَّانُ رضي الله عنه:

أَصُونُ عِرْضِي بِمَالِي لَا أَدْنِسُهُ
أَحْتَالُ لِلْمَالِ إِنْ أَوْدَى فَأَجْمَعُهُ

وَقَالَ ابْنُ الْوَرْدِيِّ:

إِنَّ نِصْفَ النَّاسِ أَعْدَاءُ لِمَنْ
وَقَالَ الْقَحْطَانِيُّ رضي الله عنه:

إِنَّ الرَّوَافِضَ شَرُّ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى
وَصَدَقَ رضي الله عنه.

وَقَالَ عَمِيرُ بْنُ شَيْمٍ:

قَدْ يُدْرِكُ الْمُتَانِي بَعْضَ حَاجَتِهِ
وَقَالَ الْمَتْنَبِيُّ:

لَعَلَّ عَتَبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ
وَقَالَ كَبِيدٌ:

لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الضَّوَارِبُ بِالْحَصَى
وَلَا زَاجِرَاتُ الطَّيْرِ مَا لِلَّهِ صَانِعُ

وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعٌ
وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالشَّهَابِ وَضَوْئِهِ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا عَامِلَانِ فَعَامِلٌ

وقال الآخر:

تَعَزَّ فَلَا شَيْءٌ عَلَى الْأَرْضِ بَاقِيَا

وقال أبو العتاهية:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَابًا مِنَ التُّقَى
وَخَيْرُ لِبَاسِ الْمَرْءِ طَاعَةُ رَبِّهِ

وقال المتنبي:

وَإِذَا أَتَيْتَكَ مَذْمُوتِي مِنْ نَاقِصٍ

وقال أبو العلاء المعري:

إِذَا كُنْتَ تَهْوَى الْعَيْشَ فَاذْغِ تَوْسُطًا
تُوَقَّى الْبُدُورُ النَّقْصَ وَهِيَ أَهْلَةٌ

وقال إبراهيم بن كنيف النبهاني:

تَعَزَّ فَإِنَّ الصَّبْرَ بِالْحُرِّ أَجْمَلُ

وقال مسكين الدارمي:

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَا لَهُ

وقال المتنبي:

وَكَيفَ يَصِحُّ فِي الْأَذْهَانِ شَيْءٌ

وقال الشافعي رحمته الله:

فَمَا أَكْثَرَ الْإِخْوَانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ

وقال أبو تمام:

أَتَصْبِرُ لِلْبُلُوى رَجَاءً وَحِسْبَةً

وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ
يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ
يُتَبَّرُ مَا يُبْنِي وَآخِرُ رَافِعُ

وَلَا وَرَزَّ مِمَّا قَضَى اللَّهُ وَاقِيَا

تَقَلَّبَ عُرْيَانًا وَإِنْ كَانَ كَاسِيَا
وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ كَانَ لِلَّهِ عَاصِيَا

فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ

فَعِنْدَ التَّنَاهِي يَقْضُرُ الْمُتَطَاوِلُ
وَيُدْرِكُهَا النُّفْصَانُ وَهِيَ كَوَامِلُ

وَلَيْسَ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ مُعَوَّلُ

كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بَغَيْرِ سِلَاحٍ

إِذَا احْتَجَّ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ!؟

وَلَكِنَّهُمْ فِي النَّائِبَاتِ قَلِيلُ

فَتُوجَرُ، أَوْ تَسْلُو سُلُو الْبُهَائِمِ؟

وقال علي عليه السلام:

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّزْقَ ضَاقَ بِلِدَّةٍ
فَارْحَلْ فَارْضُ لِلَّهِ وَاسِعَةَ الْفَضَا

وقال عليه السلام:

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّمَثِيلِ أَكْفَاءُ
فَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ أَصْلِهِمْ نَسَبٌ

وقال القاضي الجرجاني:

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ
وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانُوا وَدَنَسُوا

وقال الشافعي عليه السلام:

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ

وقال عنتره:

لَا يَحْمِلُ الْحِقْدَ مَنْ تَعَلَّوْا بِهِ الرُّتْبُ

وقال أبو القاسم الشابي:

وَمَنْ يَتَهَيَّبُ صُغُودَ الْجِبَالِ

وقال البوصيري:

وَالنَّفْسُ كَالطُّفْلِ إِنْ تَهْمَلُهُ شَبَّ عَلَى

وقال الآخر:

وَأَفَّةُ الْعَقْلِ الْهَوَى فَمَنْ عَلَا

وقال بشار بن برد:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى

وقال المتنبي:

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ

وَحَشِيَّتَ فِيهَا أَنْ يَضِيقَ الْمَذْهَبُ
طُولًا وَعَرْضًا شَرْقِيَّهَا وَالْمَغْرِبُ

أَبْوَهُمْ آدَمُ وَالْأُمَّ حَوَاءُ
يُفَاخِرُونَ بِهِ فَالطَّيْنُ وَالْمَاءُ

وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النَّفْسِ لَعَظَّمَا
مُحْيَاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجَهَّمَا

أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعِدَاوَاتِ

وَلَا يَنَالُ الرِّضَا مَنْ طَبَعَهُ الْعَضْبُ

يَعِشُ أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الْحُفَرِ

حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَفَطَّمَهُ يَنْفَطِمُ

عَلَى هَوَاهُ عَقْلُهُ فَقَدْ نَجَا

ظَمِئْتَ، وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ؟!

هُوَ أَوَّلُ وَهِيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي

وقال ابن الرومي:

وَمِنْ قِلَّةِ الْإِنْصَافِ أَنْكَ تَبْتَغِي الـ

مُهَدَّبَ فِي الدُّنْيَا وَلَسْتَ الْمُهَدَّبَا

وقال الآخر:

وَقَدْ يَأْمُرُ الشَّيْطَانُ بِالْخَيْرِ قَاصِدًا

وُصُولًا إِلَى بَابِ مِنَ الشَّرِّ أَعْظَمِ

وقال الآخر:

وَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِهِمْ

كَأَنَّهُمْ غَنَمٌ فِي حَوْشِ جَزَارٍ

وقال أحمد شوقي:

صَلَّحَ أَمْرِكَ لِإِلْخَاقِ مَرْجِعِهِ

فَقَوْمِ النَّفْسِ بِالْإِخْلَاقِ تَسْتَقِمِ

وقال الآخر:

وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ اللَّهِ فَوْقَهَا

وَلَا ظَالِمٍ إِلَّا سَيُّبَلَى بِظَالِمِ

وقال الآخر:

مَشَيْنَاهَا خُطَى كُتِبَتْ عَلَيْنَا

وَمَنْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ خُطَى مَشَاهَا

وَمَنْ كَانَتْ مَنِيَّتُهُ بِأَرْضِ

فَلَيْسَ يَمُوتُ فِي أَرْضِ سِوَاهَا

وقال حافظ إبراهيم:

رَأَى الْجَمَاعَةَ لَا تَشْقَى الْبِلَادُ بِهِ

رَغَمَ الْخِلَافِ وَرَأَى الْفَرْدَ يُشْقِيهَا

وقال يحيى بن علي:

يُقْضَى عَلَى الْمَرْءِ فِي أَيَّامِ مَحْتَتِهِ

حَتَّى يَرَى حَسَنًا مَا لَيْسَ بِالْحَسَنِ

وقال أحمد شوقي:

دَقَّتْ قَلْبَ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ

إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقُ وَثَوَانِي

وقال الشافعي رحمه الله:

عَفُوا تَعِفْ نِسَاؤُكُمْ فِي الْمَحْرَمِ

وَتَجَنَّبُوا مَا لَا يَلِيقُ بِمُسْلِمِ

إِنَّ الزَّيْنَ دَيْنٌ فَإِنْ أَفْرَضْتَهُ

كَانَ الْوَفَاءُ بِأَهْلِ بَيْتِكَ فَاعْلَمْ

مَنْ يَزِنُ فِي بَيْتِ بَالْفِي دَرَاهِمِ

فِي بَيْتِهِ يُزْنِي بِغَيْرِ الدَّرَاهِمِ

إِنْ كُنْتَ يَا هَذَا لَبِيبًا فَافْهَمِ

مَنْ يَزِنُ يُزَنَ بِهِ وَلَوْ بِجِدَارِهِ

وقال ابن المبارك:

وَقَدْ يُوْرُثُ الدُّلَّ إِذْمَانُهَا

رَأَيْتُ الدُّنُوبَ تُمِيتُ القُلُوبَ

وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِضْيَانُهَا

وَتَرَكُ الدُّنُوبَ حَيَاةَ القُلُوبِ

وقال محمد إقبال:

وَلَا دُنْيَا لِمَنْ لَمْ يُحْيِ دِينَا

إِذَا الإِيْمَانُ ضَاعَ فَلَا أَمَانٌ

وقال ابن القيم:

بَلْ أَنْتِ غَالِيَةٌ عَلَى الكَسْلَانِ

يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَسْتَ رَخِيصَةً

بِالْأَلْفِ إِلَّا وَاحِدًا لَا اثْنَانِ

يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَيْسَ يَنَالُهَا

وقال معروف الرصافي:

يَصُدُّ ذَوِيهِ عَن طَرِيقِ التَّقَدُّمِ

يَقُولُونَ فِي الإِسْلَامِ ظُلْمًا بِأَنَّهُ

أَوَائِلُهُ فِي عَصْرِهَا المُتَقَدِّمِ؟!

فَإِنْ كَانَ ذَا حَقًّا فَكَيْفَ تَقَدَّمتْ

فَمَا ذَا عَلَى الإِسْلَامِ مِنْ جَهْلِ مُسْلِمِ؟!

وَإِنْ كَانَ ذَنْبُ المُسْلِمِ اليَوْمَ جَهْلُهُ

وَهَلْ أُمَّةٌ سَادَتْ بِغَيْرِ التَّعَلُّمِ؟!

هَلِ العِلْمُ فِي الإِسْلَامِ إِلَّا فَرِيضَةٌ

بِصَائِرِ أَقْوَامٍ عَنِ المَجْدِ نَوْمِ

لَقَدْ أَيْقَظَ الإِسْلَامُ لِلْمَجْدِ وَالْعُلَا

وَقَوْضِ أَطْنَابِ الضَّلَالِ المُحَيِّمِ

وَدَكَ حُصُونِ الجَاهِلِيَّةِ بِالهُدَى

رُويْدًا فَقَدْ قَارَفْتُمْ كُلَّ مَائِمِ

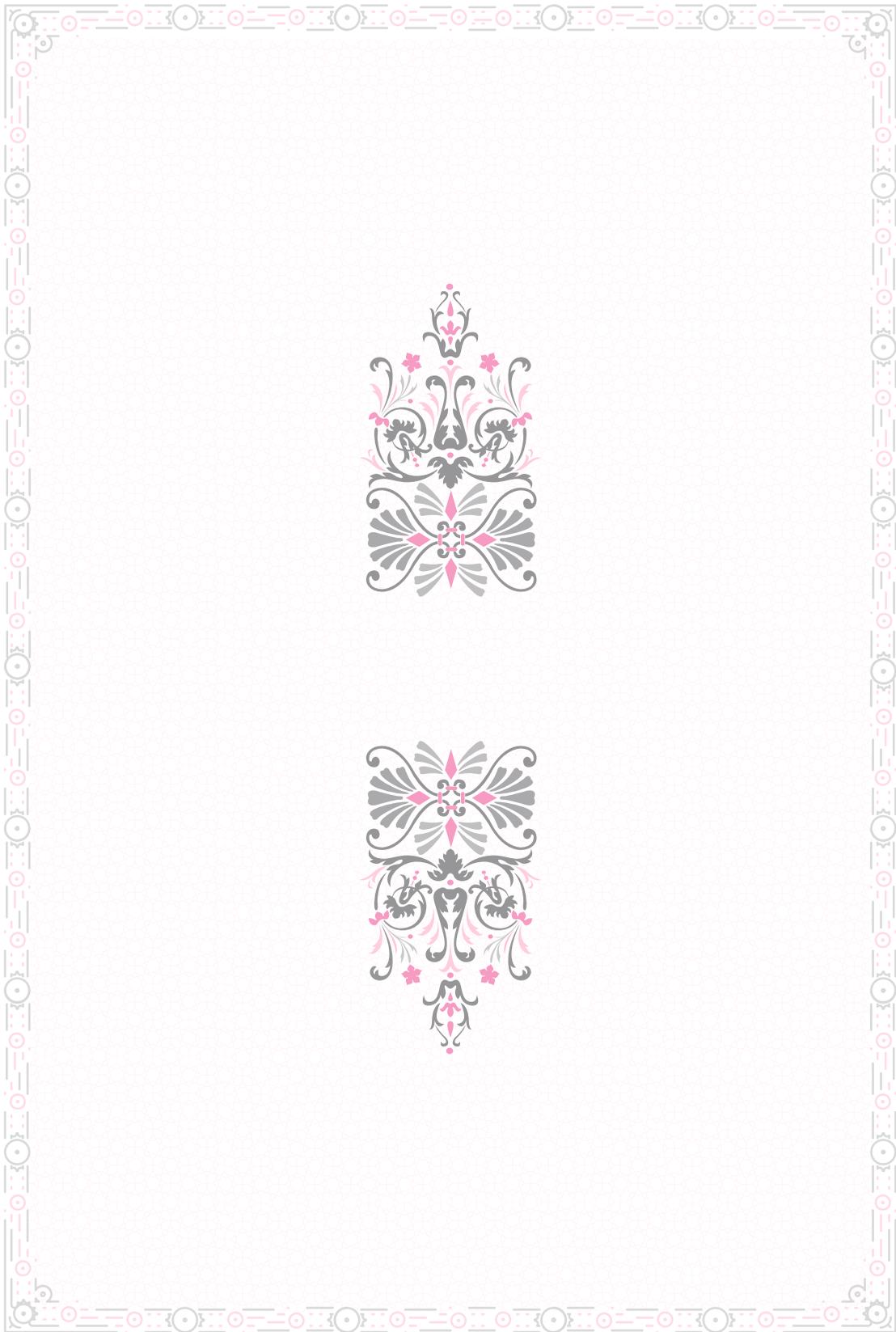
أَلَا قُلْ لِمَنْ جَارُوا عَلَيْنَا بِحُكْمِهِمْ

لَأَبِينُ مِنْ هَذَا الحَدِيثِ المُرْجَمِ

فَلَا تُنْكِرُوا شَمْسَ الحَقِيقَةِ إِنَّهَا

وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا المصطفى الأمين وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله

ربِّ العالمين.



فهرس المحتويات

- مقدمة..... ٥
- وقفة في: وجوب حسن التعامل مع الناس كلهم ١١
- وقفتان في: مجمل القول في النسخ..... ١٨
- الوقفة الأولى في: بيان مجمل القول في معنى النسخ في اصطلاح المتقدمين
والمتأخرين ١٨
- الوقفة الثانية في: مجمل القول في قضايا ودعوى النسخ في القرآن الكريم..... ١٩
- أولاً: القضايا التي تَرَجح أو صح القول فيها بالنسخ: ١٩
- ثانياً: القضايا التي تَرَجح أو صح القول فيها بالإحكام، وعدم النسخ، وهي ست
قضايا، وهي كما يلي: ٢١
- وقفات أربع في: الجنائز..... ٢٤
- الوقفة الأولى في: ما ينبغي للمؤمن مراعاته عند المصيبة: ٢٤
- الوقفة الثانية في: التحذير من بعض البدع والمخالفات في الجنائز: ٣٦
- الوقفة الثالثة في: التنبيه على أمور تتعلق بالجنائز: ٣٧
- الوقفة الرابعة: لا يجوز أن يترتب على الصلاة على الجنابة وتشيعها التفريط فيما هو
أهم ٤٠
- وقفة في: وجوب حسن العشرة بين الزوجين..... ٤١
- همسة: ٤٣
- وقفات ست في: الصلاة: ٤٥
- الوقفة الأولى في: ذكر الأدلة على مشروعية الصلاة، ووجوبها ٤٥
- الوقفة الثانية في: ذكر الأدلة على كفر تارك الصلاة، وأنه لا حظ له في الإسلام . ٤٦
- الوقفة الثالثة في: بيان مكانة الصلاة في الإسلام، وفي سائر الشرائع ٤٩

- الوقفه الرابعة في: ذكر فوائد الصلاة، وآثارها، وثمارها، ومنافعها ٥٤
- الوقفه الخامسة في: ذكر أهم الأسباب المعينة على حفظ الصلاة وإقامتها ٥٩
- الوقفه السادسة في: صفة الصلاة كما صلاها النبي ﷺ ٦١
- وقفتان في: فضل العفو والصفح، والحلم وكظم الغيظ** ٧٢
- الوقفه الأولى في: فضل العفو والصفح ٧٢
- الوقفه الثانية في: فضل الحلم، وكظم الغيظ ٧٦
- وقفه في: حل عقدة المؤامرة** ٨٠
- وقفه في: أعظم الأمانات: النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم** ٨٣
- ثلاث وقفات في: صلاة الجماعة** ٩٠
- الوقفه الأولى في: بيان وجوب صلاة الجماعة ٩٠
- الوقفه الثانية في: ذكر آداب صلاة الجماعة، والأسباب المعينة على المحافظة عليها ٩٩
- الوقفه الثالثة: الأئمة، والمؤذنون، والعاملون في بيوت الله؛ بين التكليف والتشريف ١١٢
- الإمامة فضلها، ومسؤولياتها، وواجبات الإمام: ١١٣
- أولاً: فضل الإمامة: ١١٣
- ثانياً: الإمامة مسؤولية كبيرة وأمانة عظيمة: ١١٣
- ثالثاً: أهم الواجبات على الإمام: ١١٥
- وقفتان في: تقوى الله تعالى؛** ١٣٠
- الوقفه الأولى في: مكانة تقوى الله تعالى، وفضلها ١٣٠
- الوقفه الثانية في: حقيقة تقوى الله تعالى ومعناها، ومضمونها ومقتضاها ١٣٢
- همسة: ١٣٨
- وقفه في: خطر الغلو في الدين** ١٤٠
- أ- معنى: الغلو في الدين: ١٤٠

- ب- نشأة الغلو في الدين: ١٤٠
- ج- الحكمة من نهى أهل الكتاب في القرآن الكريم عن الغلو في الدين: ١٤١
- د- أقسام الغلو في الدين: ١٤١
- هـ- الخطر العظيم الذي يترتب على الغلو في الدين: ١٤٣
- و- سبب الغلو في الدين في هذه الأمة: ١٤٤
- ز- السبيل للسلامة من الغلو في الدين: ١٤٤
- وقفتان في: نعمة اللباس، وأخذ الزينة للصلاة: ١٤٦**
- الوقفة الأولى في: نعمة اللباس، وأن الله جميل يحب الجمال ١٤٦
- أ- اللباس نعمة عظيمة من الله ﷻ: ١٤٦
- ب- إن الله جميل يحب الجمال: ١٤٧
- الوقفة الثانية في: أخذ الزينة للصلاة باللباس وغيره ١٤٨
- وقفات أربع في: الدعاء ١٥٠**
- الوقفة الأولى في: معنى الدعاء، وأنواعه، وفضله ١٥٠
- أ- معنى الدعاء وحدّه: ١٥٠
- ب- أنواع الدعاء: ١٥٠
- ج- فضل الدعاء وثماره، وفوائده وآثاره: ١٥١
- الوقفة الثانية في: آداب الدعاء، وأسباب الإجابة ١٥٦
- جوامع الدعاء: ١٦٩
- أولاً: جوامع الدعاء من القرآن الكريم: ١٦٩
- ثانياً: جوامع الدعاء من السنة النبوية المطهرة: ١٧٣
- الوقفة الثالثة في: الأوقات والأحوال والأماكن التي يُشرع فيها الدعاء ١٨٣
- أ- الأوقات والأحوال التي يشرع فيها الدعاء: ١٨٣
- ب- الأماكن التي يُشرع فيها الدعاء: ١٨٧
- الوقفة الرابعة في: إجابة الدعاء، وموانع الإجابة، والتحذير من الدعاء على النفس والولد والأهل والمال، ومن ترك الأدعية الواردة في الكتاب والسنة، والأدعية

- المأثورة، والاعتداء بالدعاء ١٩٠
- أ- إجابة الدعاء: ١٩٠
- ب- موانع الإجابة: ١٩٢
- ج- التحذير من الدعاء على النفس والولد والأهل والمال: ١٩٣
- د- التحذير من ترك الأدعية الواردة في الكتاب والسنة، والأدعية المأثورة، والاعتداء بالدعاء: ١٩٤
- وقفات أربع في: إصلاح ذات البين..... ١٩٦**
- الوقفة الأولى في: معنى إصلاح ذات البين، وحكمه، وفضله ١٩٦
- أ- معنى: إصلاح ذات البين: ١٩٦
- ب- حكم إصلاح ذات البين: ١٩٦
- ج- فضل إصلاح ذات البين: ١٩٧
- الوقفة الثانية في: عظم مسؤولية الأمة عن إصلاح ذات البين ١٩٩
- الوقفة الثالثة في: الفوائد الجليلة، والمنافع العظيمة، والآثار الحميدة لإصلاح ذات البين ٢٠١
- الوقفة الرابعة في: مجالات إصلاح ذات البين..... ٢٠٣
- مجالات إصلاح ذات البين على قسمين: ٢٠٣
- وقفات ست في: الفتن وخطرهما على الدين، وعلى العباد، والبلاد..... ٢٠٥**
- الوقفة الأولى: معنى الفتنة، وإطلاقاتها في القرآن الكريم ٢٠٥
- أ- معنى الفتنة: ٢٠٥
- ب- إطلاقات الفتنة في القرآن الكريم: ٢٠٦
- الوقفة الثانية في: قضاء الله تعالى التام، وحكمته البالغة بوقوع الفتن ٢٠٨
- أ- فضل نعمة الإسلام: ٢٠٨
- ب- قضاء الله تعالى التام، وحكمته البالغة بوقوع الفتن: ٢٠٩
- الوقفة الثالثة في: الإخبار بوقوع الفتن وخطرهما على الدين وشدتها، وكثرتها في آخر الزمان، ووجوب اتقائها، والحذر منها، والتعوذ بالله منها ٢١٠

- الوقفة الرابعة في: أنواع الفتن وأقسامها، وأقسام القلوب، وأقسام الناس أمامها. ٢١٤
- أ- أنواع الفتن: ٢١٤
- ب- أقسام الفتن: ٢١٥
- ج- أقسام القلوب أمام الفتن: ٢١٦
- د- أقسام الناس أمام الفتن: ٢١٦
- الوقفة الخامسة في: أسباب العصمة من الفتن والنجاة منها ٢١٧
- الوقفة السادسة في: المنهجية والطريقة في مواجهة الفتن ٢٢٧
- وقفات ست في: تربية الأولاد ٢٣٥**
- الوقفة الأولى: الأولاد فتنه؛ بين المنحة والمحنة ٢٣٥
- الوقفة الثانية: الأولاد أمانة عظيمة في أعناق والديهم ٢٣٦
- الوقفة الثالثة: من أهم حقوق الأولاد على والديهم ٢٣٧
- الوقفة الرابعة: العناية بالبنات ٢٤٠
- الوقفة الخامسة: ثمرات العناية بتربية الأولاد ٢٤٣
- الوقفة السادسة في: خطر إهمال تربية الأولاد، وأن الفساد إنما جاء كثيرًا منهم من قبل آبائهم ٢٤٤
- وقفات ثلاث في: الرؤيا وتأويلها ٢٤٨**
- الوقفة الأولى: تأويل الرؤيا وتعبيرها فتوى يجب أن يُبنى على العلم ٢٤٨
- الوقفة الثانية: أقسام ما يراه النائم، والتوجيه النبوي الكريم لمن رأى رؤيا ٢٥٠
- أ- أقسام ما يراه النائم: ٢٥٠
- ب- التوجيه النبوي الكريم لمن رأى رؤيا: ٢٥١
- الوقفة الثالثة: شروط المعبر للرؤيا، وبيان أنه قد يصيب، وقد يخطئ وهو الأكثر، والتحذير من اقتناء كتب تفسير الأحلام وقراءتها ٢٥٣
- أ- شروط المعبر للرؤيا: ٢٥٣
- ب- المعبر للرؤيا قد يصيب وقد يخطئ، وهو الأكثر: ٢٥٣
- ج- التحذير من اقتناء كتب تفسير الأحلام وقراءتها: ٢٥٤

- وقفه في: احفظ الله يحفظك..... ٢٥٥**
- أربع عشرة وقفة في: وجوب شكر نعم الله ﷻ ٢٦١**
- الوقفه الأولى في: معنى الشكر، وأدواته التي يقع بها ٢٦١
- أ- معنى الشكر: ٢٦١
- ب- أدوات الشكر التي يقع بها: ٢٦١
- الوقفه الثانية: النعم كلها من الله تعالى، ولا يمكن إحصاؤها ٢٦٣
- الوقفه الثالثة في: وجوب الشكر لله ﷻ ٢٦٤
- الوقفه الرابعة في: فضل الشكر، وجزائه في الدنيا والآخرة ٢٧١
- الوقفه الخامسة في: شكر نعمة الخلق ٢٧٤
- الوقفه السادسة في: شكر نعمة الإسلام ٢٧٧
- الوقفه السابعة في: شكر نعمة الرزق والمال ٢٨٢
- الوقفه الثامنة في: شكر نعمة الأمن ٢٨٧
- الوقفه التاسعة في: شكر نعمة الصحة والفراغ ٢٩١
- الوقفه العاشرة في: شكر نعمة الأزواج والأولاد ٢٩٢
- الوقفه الحادية عشرة في: الأسباب المعينة على شكر الله ﷻ ٢٩٣
- الوقفه الثانية عشرة في: عجز الإنسان عن شكر الله تعالى حق شكره ٢٩٧
- الوقفه الثالثة عشرة في: الابتلاء والاستدراج بالنعم ٢٩٨
- الوقفه الرابعة عشرة في: قلة الشاكرين ٣٠٠
- وقفات ثلاث في: تحريم كفر نعم الله ﷻ ٣٠٢**
- الوقفه الأولى في: معنى الكفر، وأدواته، ودرجات كفر النعم ٣٠٢
- أ- معنى الكفر: ٣٠٢
- ب- أدوات الكفر: ٣٠٢
- ج- درجات كفر النعم: ٣٠٢
- الوقفه الثانية في: عقوبات كفر نعم الله ﷻ، وآثارها ٣٠٣
- الوقفه الثالثة: الإسراف، والتبذير من أشد أنواع كفر نعم الله ﷻ ٣٠٤

- أ- معني الإسراف والتبذير: ٣٠٤
- ب- حكم الإسراف والتبذير، والتحذير منهما: ٣٠٤
- ج- صور الإسراف والتبذير: ٣٠٦
- د- مفسد الإسراف والتبذير: ٣٠٨
- هـ- عقوبات الإسراف والتبذير: ٣٠٩
- و- أسباب الإسراف والتبذير: ٣١٠
- وقفة في: أهل الجنة بين نزع الغل، وإذهاب الحزن..... ٣١٢**
- وقفة في: فضل التواضع..... ٣١٤**
- وقفة في: مَكْمَن السعادة، والحياة الطيبة..... ٣١٨**
- وقفات ثلاث في: وجوب بر الوالدين، وتحريم عقوقهما..... ٣٢٤**
- الوقفة الأولى في: وجوب بر الوالدين..... ٣٢٤
- أ- الأسباب المعينة على البر بالوالدين، والإحسان إليهما: ٣٢٥
- ب- وجوه البر بالوالدين: ٣٢٦
- ج- تفاوت حق الوالدين في البر: ٣٢٨
- د- استمرار البر بالوالدين بعد موتهما: ٣٢٩
- هـ- ثمار البر بالوالدين، وآثار الإحسان إليهما: ٣٣١
- الوقفة الثانية في: تحريم عقوق الوالدين..... ٣٣٢
- أ- عقوق الوالدين من أكبر الكبائر: ٣٣٢
- ب- الأسباب المؤدية إلى عقوق الوالدين: ٣٣٣
- ج- صور من عقوق الوالدين وأشكاله: ٣٣٥
- د- عقوبات عقوق الوالدين وآثاره: ٣٣٦
- الوقفة الثالثة في: وصيتي للوالدين..... ٣٣٧
- وقفة في: وجوب حفظ السمع والبصر والفؤاد..... ٣٤٠**
- وقفات ثلاث في: الرقية الشرعية..... ٣٤٤**
- الوقفة الأولى: حكم الرقية الشرعية وصفتها..... ٣٤٤

- أ- حكم الرقية الشرعية: ٣٤٤
- ب- صفة الرقية الشرعية: ٣٤٦
- الوقفه الثانية: ما ينبغي للمريض ٣٤٧
- الوقفه الثالثة: ما ينبغي للراقي ٣٤٩
- وقفات أربع في: الصديق والأصدقاء ٣٥٢**
- الوقفه الأولى في: مكانة الصديق في الإسلام، وقيمه ٣٥٢
- الوقفه الثانية في: حاجة الإنسان إلى الصديق ٣٥٣
- الوقفه الثالثة في: اختيار الصديق ٣٥٥
- الوقفه الرابعة في: حقوق الصديق، وكيفية التعامل بين الأصدقاء ٣٦٠
- همسة: ٣٦٨
- وقفات ست في: أهمية الوقت، ووجوب المحافظة عليه، وتنظيمه ٣٦٩**
- الوقفه الأولى في: أهمية الوقت، ووجوب المحافظة عليه ٣٦٩
- الوقفه الثانية في: التحذير من التفريط في العمر، وإضاعة الوقت ٣٧١
- الوقفه الثالثة في: أعظم أسباب التفريط في العمر: الخواء الروحي، وعدم التصور
التام للهدف الذي خُلق الإنسان من أجله ٣٧٢
- الوقفه الرابعة في: أن الوقت يمضي سريعاً ٣٧٥
- الوقفه الخامسة في: تنظيم الوقت ٣٧٦
- نموذج لتنظيم الوقت وعمل اليوم والليلة: ٣٧٩
- الوقفه السادسة في: أعظم أسباب ضياع الوقت وعدم القدرة على تنظيمه ٣٨٠
- وقفتان في: سلامة القلب ٣٨٢**
- الوقفه الأولى في: فضيلة سلامة القلب، وانسراح الصدر ٣٨٢
- الوقفه الثانية: أسباب سلامة القلب، وانسراح الصدر ٣٨٦
- وقفات ثلاث في: اللغة العربية بين عقوق أبنائها وجهلهم، وعجز علمائها ٣٩١**
- الوقفه الأولى في: أهمية اللغة عند الأمم ٣٩١
- الوقفه الثانية في: مكانة اللغة العربية بين اللغات، والاعتزاز بها، وأهميتها وأهمية

- تعلمها ٣٩١
- أ- امتياز مكانة اللغة العربية بين سائر اللغات: ٣٩١
- ب- الاعتزاز باللغة العربية، وأهميتها: ٣٩٣
- ج- أهمية تعلم اللغة العربية لكل مسلم: ٣٩٤
- الوقفه الثالثة في: الواجب على الأمة تجاه اللغة العربية لغة القرآن والسنة ولغة الإسلام ٣٩٦
- وقفة في: الأخذ بالعزم والحزم في الأمور كلها ٤٠١**
- وقفتان في: أمانة المسؤولية في أعمال الأمة ٤٠٦**
- الوقفه الأولى في: الاحتساب في أعمال الأمة ٤٠٦
- الوقفه الثانية في: أمانة المسؤولية في أعمال الأمة ٤٠٧
- وقفات خمس في: تدبر القرآن الكريم ٤١٠**
- الوقفه الأولى في: وجوب تدبر القرآن الكريم، وتحريم هجره وأنواع تدبره ٤١٠
- أ- وجوب تدبر القرآن الكريم، وتحريم هجره: ٤١٠
- ب- أنواع تدبر القرآن الكريم: ٤١١
- النوع الأول: تدبر ألفاظ القرآن الكريم: ٤١١
- النوع الثاني: تدبر معاني القرآن الكريم: ٤١٦
- ج- درجات تدبر معاني القرآن: ٤٢١
- د- مما يعين على تدبر القرآن الكريم وفهمه والخشوع فيه والخضوع له: ٤٢٢
- النوع الثالث: تدبر أحكام القرآن الكريم والعمل به وأهميته: ٤٢٣
- هـ- حكم ترك العمل بالقرآن الكريم: ٤٢٧
- الوقفه الثانية: في مدة ختم القرآن الكريم ٤٢٨
- الوقفه الثالثة في: الصوارف عن قراءة القرآن الكريم وتدبره ٤٣٢
- الوقفه الرابعة في: حرص السلف عليهم السلام على تلاوة كتاب الله تعالى، وتعلمه، وتدبره، وفهم معانيه، والعمل به ٤٣٤
- الوقفه الخامسة في: آداب تلاوة القرآن الكريم وحملته ٤٣٧

وقفات ثلاث في: إنزال الناس منازلهم..... ٤٤٤

الوقفة الأولى في: معنى إنزال الناس منازلهم وأهميته، وحكمة الله تعالى في التفاضل

بين البشر..... ٤٤٤

أ- معنى: إنزال الناس منازلهم:..... ٤٤٤

ب- حكمة الله تعالى في وجود التفاضل بين البشر:..... ٤٤٤

ج- أهمية إنزال الناس منازلهم:..... ٤٤٦

الوقفة الثانية في: أولى الناس بالإكرام، والتوقير، والاحترام..... ٤٤٧

الوقفة الثالثة في: التحذير من هضم حقوق ذوي المكانة في الأمة..... ٤٥٦

وقفة في: شهادة الجوارح على العبد يوم القيامة، ووجوب الاحتراز منها..... ٤٥٨**وقفات ست في: صلة الأرحام..... ٤٦١**

الوقفة الأولى في: وجوب صلة الأرحام..... ٤٦١

الوقفة الثانية في: فضيلة صلة الأرحام..... ٤٦٢

الوقفة الثالثة في: أبواب صلة الأرحام..... ٤٦٣

الوقفة الرابعة في: الأسباب المعينة على صلة الأرحام..... ٤٦٤

الوقفة الخامسة في: حكم قطيعة الرحم..... ٤٦٦

الوقفة السادسة في: أسباب قطيعة الأرحام..... ٤٦٨

وقفة في: حقوق المسلمين بعضهم على بعض..... ٤٧١**وقفات تسع في: تحريم العصبية القبلية، وذمها..... ٤٨١**

الوقفة الأولى: معنى العصبية القبلية..... ٤٨١

الوقفة الثانية: حال الأمة قبل بعثة النبي ﷺ..... ٤٨٢

الوقفة الثالثة: تحريم العصبية القبلية، وذمها..... ٤٨٢

الوقفة الرابعة: الكرم، والعزة، والفخر بالإيمان والإسلام والتقوى..... ٤٨٤

الوقفة الخامسة: أسباب العصبية القبلية..... ٤٨٧

الوقفة السادسة: مفاسد العصبية القبلية، وأضرارها على الفرد والمجتمع..... ٤٨٨

الوقفة السابعة: العصبية للوطن؛ من بلد أو منطقة، أو مدينة، أو محافظة، أو قرية، أو

- ٤٩١ هجرة، أو غير ذلك
- ٤٩٢ الوقفة الثامنة: الأولاد أمانة عظيمة، يجب النأي بهم عن مزالق العصبية كلها
- ٤٩٣ الوقفة التاسعة: ليس من العصبية
- ٤٩٤ **وقفات خمس في: فضيلة اللسان، وخطورته، وجوب حفظه**
- ٤٩٤ الوقفة الأولى في: فضيلة اللسان، وشرفه
- ٤٩٥ الوقفة الثانية: اللسان بين النفع والضرر
- ٤٩٨ الوقفة الثالثة في: وجوب مراقبة اللسان وحفظه
- ٤٩٩ الوقفة الرابعة في: ما يجب حفظ اللسان منه
- ٥٠٢ الوقفة الخامسة: بين اللسان ووسائل الإعلام
- ٥٠٥ **وقفات ثلاث في: الكرم**
- ٥٠٥ الوقفة الأولى في: فضيلة الكرم
- ٥٠٩ الوقفة الثانية في: حكم إكرام الضيف، وفضله
- ٥١٠ الوقفة الثالثة في: آداب الضيافة
- ٥١٠ أ- آداب المضيف:
- ٥١٢ ب- آداب الضيف:
- ٥١٣ ج- آداب حفلات الأفراح:
- ٥١٧ **وقفة في: أهمية خطبة الجمعة، وعظم مسؤوليتها الخطيب**
- ٥١٨ القسم الأول: الموضوعات الخاصة حسب المناسبات:
- ٥١٩ أ- موضوعات المناسبات الدورية السنوية:
- ٥٢٠ ب- موضوعات المناسبات الوقتية الآنية التي تحدث بين وقت وآخر:
- ٥٢١ القسم الثاني: الموضوعات العامة:
- ٥٣٣ تنبيه:
- ٥٣٤ **وقفات ست في: التفاؤل**
- ٥٣٤ الوقفة الأولى: معنى التفاؤل
- ٥٣٥ الوقفة الثانية: مبنى التفاؤل، وأساسه

- الوقف الثالث: حكم التفاؤل، وفضله ٥٣٦
- الوقف الرابعة: نماذج من تعليم الله تعالى لعباده التفاؤل ٥٣٧
- الوقف الخامسة: نماذج من تفاؤل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ٥٣٨
- الوقف السادسة: فوائد التفاؤل، وآثاره ٥٤٢
- وقفات خمس في: حسن الخلق ٥٤٥**
- الوقف الأولى في: معنى حسن الخلق، ومصادره ٥٤٥
- أ- معنى حسن الخلق: ٥٤٥
- ب- مصادر حسن الخلق «الأخلاق الحسنة»: ٥٤٦
- الوقف الثانية في: حقيقة حسن الخلق، ومقوماته، وأركانه ٥٤٧
- أ- الأركان الأساسية لحسن الخلق: ٥٤٧
- ب- مراتب حسن الخلق: ٥٤٩
- الوقف الثالثة في: فضل حسن الخلق ٥٤٩
- الوقف الرابعة في: الأسباب المعينة على حسن الخلق ٥٥٢
- الوقف الخامسة في: آثار حسن الخلق، ومنافعه، وثماره ٥٥٧
- وقفتان في: مشروعية الوقف ٥٦٠**
- الوقف الأولى: معنى الوقف، وحكمه، وحكمته، وأقسامه ٥٦٠
- أ- معنى الوقف: ٥٦٠
- ب- حكم الوقف: ٥٦٠
- ج- الحكمة من مشروعية الوقف: ٥٦٠
- د- أقسام الوقف: ٥٦١
- الوقف الثانية: فضل الوقف وأهميته، ومصارفه ٥٦١
- أ- فضل الوقف وأهميته: ٥٦١
- ب- مصارف الوقف: ٥٦٥
- وقف في: العدل والإنصاف من النفس ٥٦٨**
- وقف في: فضل عشر ذي الحجة، وفضل الأعمال الصالحة فيها، والأعمال التي**
- تتأكد مشروعيتها فيها ٥٧١**

- أ- فضل عشر ذي الحجة، وفضل الأعمال الصالحة فيها: ٥٧١
- ب- الأعمال التي تتأكد مشروعيتها في عشر ذي الحجة: ٥٧٢
- وقفة في: التيمن** ٥٨٣
- أ- معنى التيمن: ٥٨٣
- ب- فضل اليمين، ومشروعية التيمن وفضله: ٥٨٣
- ج- حكم التيمن: ٥٨٦
- د- المواضع التي يُشرع فيها التيمن: ٥٨٧
- هـ- المواضع التي يُستحب فيها التياسر: ٥٨٩
- وقفة تأمل في: معاني سورة العصر** ٥٩١
- وقفة في: الاستعداد للقاء الله تعالى** ٥٩٧
- الأمر الأول: تقوى الله ﷻ؛ بفعل أوامره واجتناب نواهيه: ٥٩٧
- الأمر الثاني: مما يستعد به للقاء الله والدار الآخرة: ٥٩٩
- الأمر الثالث: مما ينبغي أن يستعد به للقاء الله تعالى: ٦٠١
- وقفتان في: الحسد** ٦٠٧
- الوقفة الأولى في: أسباب تحريم الحسد ٦٠٧
- الوقفة الثانية في: الأسباب التي بها يندفع شر الحاسد بإذن الله ﷻ ٦٠٩
- وقفة في: وسوسة الشيطان للإنسان على أنواع ومراتب** ٦١٦
- أ- أنواع وسوسة الشيطان للإنسان: ٦١٦
- ب- مراتب وسوسة الشيطان للإنسان: ٦١٨
- وقفة في: ما يعتصم به الإنسان من الشيطان** ٦٢١

مسك الختام في: وصايا مهمة، وفوائد وفرائد وحكم ومعانٍ شعرية مختارة

- أولاً: وصايا مهمة: ٦٢٧
- الوصية الأولى: بتقوى الله تعالى. ٦٢٧
- الوصية الثانية: بالإخلاص لله تعالى في العبادة والعمل. ٦٢٨
- الوصية الثالثة: التوكل على الله تعالى وتمام الثقة به. ٦٢٩
- الوصية الرابعة: بالمسارعة والمسابقة والمنافسة في طلب مغفرة الله تعالى وجنته، وما يقرب إليه. ٦٢٩
- الوصية الخامسة: بالحرص كل الحرص على سلامة القلب من الغل والحسد والعداوة والحقد على أحد من المسلمين. ٦٣١
- الوصية السادسة: اعلم أن أعظم أسباب التوفيق والقبول، وأوسع أبواب الجنة: الصلاة، وبر الوالدین، وحسن الخلق. ٦٣١
- الوصية السابعة: كن محسناً في عبادة الله وإلى عباد الله. ٦٣٣
- الوصية الثامنة: اعلم أن آية محبة الله تعالى وتعظيمه هي العمل بكتابه ﷺ، واتباع سنة رسوله ﷺ. ٦٣٣
- الوصية التاسعة: احرص على إتيان القول بالعمل: ٦٣٤
- الوصية العاشرة: احرص على ملازمة الأوراد اليومية في الصباح والمساء، وعلى قراءة جزء أو حزب من القرآن الكريم أو أكثر: ٦٣٥
- الوصية الحادية عشرة: ادخل على الله ﷻ من باب الضعف والافتقار والذل والخضوع، ولا تغتر بملكك. ٦٣٦
- الوصية الثانية عشرة: كن رحيماً عطوفاً على الفقراء والمساكين واليتامى ونحوهم.... ٦٣٦
- الوصية الثالثة عشرة: نظم وقتك: فم مبكراً واستيقظ مبكراً، يبارك لك في عمرك ٦٣٦

- الوصية الرابعة عشرة: وجود ولاية الأمر في الأمة من أعظم نعم الله تعالى على العباد،
 وطاعتهم واجبة. ٦٣٧
- الوصية الخامسة عشرة: اعلم أن الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين
 وعامتهم: ٦٣٨
- الوصية السادسة عشرة: لا تنس أن مستقبلك الحقيقي بعد الموت ٦٣٨
- الوصية السابعة عشرة: اعرف قيمة حياتك وعمرك، وأن الأيام والليالي خزائن للأعمال
 الصالحة. ٦٣٩
- الوصية الثامنة عشرة: اعلم أن رأس مال الإنسان في هذه الدنيا أمران: علم نافع وعمل
 صالح ٦٣٩
- الوصية التاسعة عشرة: احفظ الله يحفظك ٦٤٠
- الوصية العشرون: اعلم أنك لن تذوق طعم السعادة الحقيقية في حياتك حتى تذوق حلاوة
 الإيمان ٦٤٠
- الوصية الحادية والعشرون: أحسن الظن بإخوانك المسلمين، واحذر من سوء الظن،
 ومن انتقاد الآخرين ٦٤١
- الوصية الثانية والعشرون: احذر من عثرات اللسان، والقلم والبنان، وسلبياتها ٦٤١
- الوصية الثالثة والعشرون: اتقِ الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ٦٤٢
- الوصية الرابعة والعشرون: كن سباقاً للسلام على كل من لقيت من المسلمين، ممن
 تعرف وممن لا تعرف ٦٤٤
- الوصية الخامسة والعشرون: تبسم في وجه من لقيت من إخوانك المسلمين ٦٤٤
- الوصية السادسة والعشرون: احذر من التعصب لمذهب أو حزب أو قبيلة، أو موطن. ٦٤٥
- الوصية السابعة والعشرون: اعلم أن الانتصار الحقيقي للأمة هو الانتصار بدينها
 وأخلاقها ٦٤٥
- الوصية الثامنة والعشرون: كن دقيقاً في حساب زكاة مالك وإخراجها ٦٤٦
- الوصية التاسعة والعشرون: اقدر لشهر رمضان المبارك قدره، واجتهد فيه في
 الطاعات ٦٤٦

- الوصية الثلاثون: احرص على تطبيق كل ما ثبت بالسنة، فذلك أفضل ٦٤٨
- الوصية الحادية والثلاثون: اعلم أن العمرة في رمضان من أفضل الأعمال، فاحرص عليها ما أمكنك ذلك ما لم يكن لديك مسؤولية أهم. ٦٤٩
- الوصية الثانية والثلاثون: اجتهد في العشر الأواخر من رمضان؛ أسوة بالمصطفى ﷺ. ٦٥٠
- الوصية الثالثة والثلاثون: أخرج زكاة الفطر وتولَّها أنت بنفسك فإنها عبادة. ٦٥٠
- الوصية الرابعة والثلاثون: اختم صيام رمضان وقيامه بالتكبير ليلة العيد ويومه إلى خروج الإمام لصلاة العيد. ٦٥١
- الوصية الخامسة والثلاثون: صلاة العيد سنة مؤكدة، فاشهدا مع المسلمين. ٦٥١
- الوصية السادسة والثلاثون: أتبع صيام رمضان بصيام ستٍّ من شوال، تكن كمن صام الدهر. ٦٥٢
- الوصية السابعة والثلاثون: اغتنم أيام عشر ذي الحجة بالأعمال الصالحة كلها. ٦٥٢
- الوصية الثامنة والثلاثون: احرص على صيام يوم عاشوراء، مع صيام يوم قبله أو يوم بعده ٦٥٥
- الوصية التاسعة والثلاثون: اعلم أن صلاة الكسوف سنة مؤكدة فاحرص عليها وعلى الدعاء والتكبير والاستغفار والصدقة عند ذلك. ٦٥٦
- الوصية الأربعون: سلم لقضاء الله تعالى وقدره وارض به، واعلم أنه لن يصيبك إلا ما كتب الله لك. ٦٥٧
- الوصية الحادية والأربعون: اعلم أن الشيطان هو العدو الأول لبني آدم، فاستعد بالله منه، ومن وساوسه، وكن قويَّ الإيمان، معتمداً على الله ﷻ. ٦٥٨
- الوصية الثانية والأربعون: اعلم أن الخيرة - بعد فعل الأسباب - فيما يختاره الله تعالى لك ٦٥٨
- الوصية الثالثة والأربعون: كن الرجل الراحلة الذي يسد مكانه ويملاً فراغه في الأمة.. ٦٥٩
- الوصية الرابعة والأربعون: اعلم أن الإنسان خلق في كبد، وأن الحياة طُبعت على كدر، وأن السعادة والسلامة والصفاء بعد دخول الجنة. ٦٥٩
- الوصية الخامسة والأربعون: اعلم أن المصيبة العظمى أن يصاب الإنسان في دينه. ٦٦٠

- ٦٦٠ الوصية السادسة والأربعون: تدارك ما فات من عمرك بما بقي منه
الوصية السابعة والأربعون: اعلم أن الوقف من أفضل الصدقات وأعظمها لمن قدر عليه
- ٦٦١ الوصية الثامنة والأربعون: لا تغفل عن ذكر الموت والاستعداد له
الوصية التاسعة والأربعون: اعلم أن الوصية واجبة على من كان عليه حقوق أو له حقوق، وأفضلها الخمس.
الوصية الخمسون: ينبغي أن يعلم أن من أعظم حقوق الميت الإسراع في تجهيزه وغسله وتكفينه وعدم تأخير ذلك
- ٦٦٢ الوصية الحادية والخمسون: الإسراع في قسمة الميراث، وعدم تأخير ذلك
الوصية الثانية والخمسون: اعلم أن الحياة جد، وأنت فيها كمن دخل المعركة، أو نزل البحر
- ٦٦٣ الوصية الثالثة والخمسون: اعلم أن ثمرة العلم العمل به، وإلا صار حجة على صاحبه
الوصية الرابعة والخمسون: اشكر الله ﷻ على ما أولاك من نعمة الإيمان والإسلام وغير ذلك من النعم
- ٦٦٤ الوصية الخامسة والخمسون: لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله تعالى
- ٦٦٥ الوصية السادسة والخمسون: أكثر من الصلاة على النبي ﷺ على الدوام، وخاصة يوم الجمعة
- ٦٦٦ الوصية السابعة والخمسون: أنصف من نفسك واعلم أن ذلك من أشق الأعمال
- ٦٦٧ الوصية الثامنة والخمسون: تأمل في عظيم فضل الله ﷻ وكرمه وجوده على من تاب إليه وآمن وعمل صالحاً
- ٦٦٨ الوصية التاسعة والخمسون: احرص على بذل الصدقة والإحسان في سبل الخير كلها.
- ٦٦٩ الوصية الستون: استحضر مراقبة الله تعالى في جميع أحوالك
الوصية الحادية والستون: حاسب نفسك على تقصيرها في حقوق الله تعالى، وفي حقوق خلقه
- ٦٧٠
- ٦٧١

- الوصية الثانية والستون: لا تنسَ استحضارَ النية الطيبة الصالحة في جميع أحوالك
 ٦٧١ وأعمالك وأقوالك
- الوصية الثالثة والستون: اعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر
 ٦٧٢ يسراً
- الوصية الرابعة والستون: تخلق بالحلم وكظم الغيظ، وبادر إلى العفو والصفح ٦٧٢
 الوصية الخامسة والستون: احْرِصْ على التيمُّن في طهورك وتنعلك، وترجلك ولباسك
 وفي شأنك كله ٦٧٣
 الوصية السادسة والستون: اجعل لك جلسةً يومياً مع أهلك وأولادك تعلمهم وتوجههم
 وتؤانسهم ٦٧٣
 الوصية السابعة والستون: اختر من الجلُساء مَنْ يكون عوناً لك على تقوى الله ﷻ ٦٧٤
 الوصية الثامنة والستون: اقنع من الدنيا بما تيسر، وخذ نصيبك منها متاعاً وبلغاً ٦٧٥
 الوصية التاسعة والستون: غُضِّ بصرك واحفظ فرجك، فهو أذكى لك، وأسلم لدينك
 وعرضك ٦٧٦
 الوصية السبعون: كن عصامياً عزيز النفس مستغنياً بالله ﷻ، واقطع اليأس عما في أيدي
 الناس ٦٧٧
 الوصية الحادية والسبعون: كن متفائلاً محسناً الظن بالله تعالى مهما عظمت عليك
 الخطوب ٦٧٨
 الوصية الثانية والسبعون: لا تشكَّونَّ حالك إلا إلى الله تعالى الذي يسمع النجوى وإليه
 الشكوى، ويرفع البلوى ٦٧٩
 الوصية الثالثة والسبعون: شاور فيما يحتاج إلى مشورة من تثق به ممن هو أهل للمشورة
 ٦٧٩
- الوصية الرابعة والسبعون: اعلم أن النفس ودیعة عندك فاعمل على خلاصها، واسلك بها
 سبيل النجاة ٦٨٠
 الوصية الخامسة والسبعون: عليك بالصدق فهو سبب التوفيق في الدين، وحبل النجاة في
 الدنيا والآخرة ٦٨١

- الوصية السادسة والسبعون: احرص على أن يكون لك يد في الأمر بالمعروف والدعوة إلى الخير، والإصلاح بين الناس ما استطعت ٦٨١
- الوصية السابعة والسبعون: خذ بالعزم والحزم في جميع أمورك، وخاصة أمور دينك. ٦٨٢
- الوصية الثامنة والسبعون: لا تستوحش من الحق لقله السالكين، ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين..... ٦٨٣
- الوصية التاسعة والسبعون: احذر كل الحذر من التسليم لعقدة المؤامرة، فمصاب الأمة منها لا من غيرها ٦٨٤
- الوصية الثمانون: احذر كل الحذر من أمراض القلوب من النفاق والحسد والإعجاب والكبر والخيلاء..... ٦٨٥
- الوصية الحادية والثمانون: احذر من الاستغراق في المباحات والإسراف، وإضاعة العمر في الأسفار والتزهات..... ٦٨٦
- الوصية الثانية والثمانون: لا يغب عنك أبداً التفكير في أمور أربعة: في عظمة الله تعالى، وفي ضعفك، وفي عظمة منزلة الآخرة، وحقارة الدنيا..... ٦٨٦
- الوصية الثالثة والثمانون: احذر كل الحذر من الربا ومن كل مثابه ٦٨٧
- الوصية الرابعة والثمانون: احذر كل الحذر من الفتنة في الدين ٦٨٨
- الوصية الخامسة والثمانون: تأمل جيداً قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]، وما ذكرته لك معها من الآيات..... ٦٨٨
- الوصية السادسة والثمانون: ينبغي أن يعلم الجميع أن الرجال والنساء بعضهم من بعض، وأن أكرمهم عند الله أنقاهم..... ٦٨٩
- الوصية السابعة والثمانون: الزواج سنة من سنن المرسلين، لا ينبغي الرغبة عنه..... ٦٩٠
- الوصية الثامنة والثمانون: من أهم أسباب استقرار الحياة الزوجية حسن المعاشرة بين الزوجين..... ٦٩١
- الوصية التاسعة والثمانون: الأولاد من أعظم الأمانات في أعناق آبائهم، وحقوقهم من أعظم الحقوق..... ٦٩٢

- ٦٩٣ الوصية التسعون: قطيعة الرحم من أكبر الكبائر؛ فيجب الحذر منها كل الحذر.....
- ٦٩٤ الوصية الحادية والتسعون: أكرم جارك واقدره قدره، فقد عظم الإسلام شأنه.....
- الوصية الثانية والتسعون: استشعر - بقوة - رابطة الأخوة الإيمانية بينك وبين إخوانك المسلمين.....
- ٦٩٥ الوصية الثالثة والتسعون: يجب أداء حقوق غير المسلمين والإقساط إليهم وعدم أذيتهم وظلمهم.....
- ٦٩٦ الوصية الرابعة والتسعون: يجب أن يكون للمسلم شخصيته المستقلة، وأن يحذر من التشبه بالكفار.....
- ٦٩٦ الوصية الخامسة والتسعون: احرص على أن يكون لك يد في رفع شأن لغة القرآن الكريم اللغة العربية، بأي جهد تستطيعه.....
- ٦٩٦ الوصية السادسة والتسعون: سابق ونافس في أداء عمك الوظيفي الذي تتولاه للمسلمين على أكمل الوجوه، أيًا كان موقعك.....
- ٦٩٧ الوصية السابعة والتسعون: اعلم أن القرآن الكريم شفاء لأعراض القلوب والأبدان، فاقرأه والتمس منه الهداية والشفاء لكل ما يصيبك.....
- ٦٩٧ الوصية الثامنة والتسعون: الأخذ بوصية النبي ﷺ إذا رأى الإنسان رؤيا يكرهها.....
- ٦٩٩ الوصية التاسعة والتسعون: للمعلم خاصة.....
- ٦٩٩ الوصية المئة: للمرأة خاصة.....
- ٧٠٠



ثانيًا: أربعون من الفوائد والضرائد..... ٧٠٥

- ١ من أحكام الاستعاذة..... ٧٠٥
- ٢ من أحكام البسملة..... ٧٠٥
- ٣ الحكمة من ذكر الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم..... ٧٠٥
- ٤ بيان المنسوخ في القرآن الكريم..... ٧٠٦
- ٥ الشباب هم أمل الأمة بعد الله ﷻ..... ٧٠٧

- ٦ حكمة ملكة سبأ «بلقيس» وثاقب رأيها. ٧٠٧
- ٧ استبطاء الله ﷻ خشوع قلوب المؤمنين ٧٠٨
- ٨ بين قول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِي وَعَدُوَكُمْ ءَوْلِيَاءَ﴾ [المتحنة: ١]، وقوله بعد ذلك: ﴿عَسَىٰ ءَللّٰهُ اَنْ يَّجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِيْنَ ءَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَّوَدَّةً﴾ [المتحنة: ٧] ٧٠٨
- ٩ اختيار الجار قبل الدار ٧٠٩
- ١٠ أمر الله ﷻ النبي ﷺ بالإقسام بربه على أن البعث حق في ثلاث آيات ٧٠٩
- ١١ أنواع (أل) العهدية ٧٠٩
- ١٢ الحكمة من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَهِيْمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦]؛ بتنكير «بلدًا»، وتعريفها في سورة إبراهيم: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [الآية: ٣٥] ٧١٠
- ١٣ معنى «الصبر الجميل» و«الصفح الجميل» و«الهجر الجميل» ٧١٠
- ١٤ بين «اللطف» و«الخير» ٧١٠
- ١٥ لِمَ سُمِّي عيسى ﷺ: بالمسيح؛ وَلِمَ سُمِّي الدجال بالمسيح؟ ٧١٠
- ١٦ ملك الأرض أربعة: اثنان مؤمنان، واثنان كافران ٧١٠
- ١٧ السورة التي في كل آية منها لفظ الجلالة «الله» ٧١٠
- ١٨ الذي بعثه الله تعالى، وليس من الإنس ولا من الجن ٧١١
- ١٩ بين هارون أخي مريم وهارون أخي موسى ﷺ ٧١١
- ٢٠ كل ما حكاه الله ﷻ في القرآن الكريم عن السابقين من أقوال فهو بالمعنى ٧١١
- ٢١ اعتراض الشيطان على كل ما أمر الله تعالى به بأمرين ٧١١
- ٢٢ لم يرد في الفاتحة أنها من أذكار الصباح والمساء، وإنما هي رقية. ٧١١
- ٢٣ لم سميت القيامة: الساعة؟ ٧١١
- ٢٤ وصية عمر بن الخطاب ﷺ لقيصة بن جابر «للشباب» ٧١١
- ٢٥ أبو بكر ﷺ يوتر أول الليل، و عمر ﷺ يوتر آخر الليل ٧١٢
- ٢٦ يهلك الناس ثلاثة أنصاف ٧١٢
- ٢٧ تحوّل النبي ﷺ أصحابه بالموعظة مخافة السأم ٧١٢
- ٢٨ كم من مُريدٍ للخير لم يبلغه ٧١٢

- ٢٩ كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجهز الجيش وهو في الصلاة..... ٧١٣
- ٣٠ النار لا تفتنى ولا يفنى عذابها على الصحيح..... ٧١٣
- ٣١ حكم الشك في العبادة..... ٧١٣
- ٣٢ الحكم إذا سلم عن نقص وطال الفصل..... ٧١٣
- ٣٣ الحكم إذا قام إلى الثالثة في النافلة..... ٧١٣
- ٣٤ حكم تحويل الفريضة إلى نافلة، والعكس..... ٧١٣
- ٣٥ ما تشرع فيه الاستخارة..... ٧١٣
- ٣٦ حكم الإطالة في الجلوس والدعاء بعد دفن الميت..... ٧١٤
- ٣٧ وصية الإمام أحمد رضي الله عنه لابنه..... ٧١٤
- ٣٨ بين معاوية رضي الله عنه ورجل من سبأ..... ٧١٤
- ٣٩ كيفية جلوس طالب العلم..... ٧١٥
- ٤٠ حالات سجود السهو..... ٧١٥

ثالثاً: حكم ومعانٍ شعرية مختارة..... ٧١٧

فهرس المحتويات..... ٧٢٩

نبذة عن المؤلف

- ولد المؤلف - حفظه الله - في محافظة الشامية بالقصيم، ونشأ يتيمًا؛ حيث توفي والده إبراهيم ابن عبد الله اللاحم رحمه الله وهو صغير، فتولت تربيته والدته هيلة بنت عبد الرحمن اليعحي رحمه الله.
- درس في المدرسة السعودية في الشامية، وتخرج فيها سنة ١٣٨٤-١٣٨٥ هـ.
- والتحق بالمعهد العلمي بريدة، وتخرج فيه سنة ١٣٨٩-١٣٩٠ هـ.
- ثم التحق بكلية الشريعة بالرياض وتخرج فيها سنة ١٣٩٣-١٣٩٤ هـ.
- وحصل من كلية أصول الدين بالرياض على درجة الماجستير في القرآن وعلومه سنة ١٤٠١ هـ، وعلى درجة الدكتوراه سنة ١٤٠٧ هـ.
- وكان من الأوائل في سني دراسته كلها.
- بعد تخرجه في الجامعة عمل مدرسًا في التعليم العام في محافظة الشامية، ثم بعد أن حصل على الماجستير انتقل إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وعمل فيها محاضرًا في قسم القرآن الكريم وعلومه في كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم.
- ثم بعد أن حصل على الدكتوراه عين أستاذًا مساعدًا، ثم رقي أستاذًا مشاركًا، ثم أستاذًا.
- تولى وكالة قسم القرآن الكريم وعلومه بالكلية عدة سنوات، ثم عين رئيسًا للقسم ثماني سنوات، ويعمل الآن أستاذًا متعاقدًا في القسم.
- كان له عدة دروس ومحاضرات في عدد من المساجد في محافظة الشامية وفي بعض المراكز القريبة منها، وفي بريدة، وفي المنطقة وخارجها.
- أشرف على كثير من رسائل الماجستير والدكتوراه، وناقش الكثير منها.
- حقق كتاب «الناسخ والمنسوخ» للنحاس.
- وله: «منهج ابن كثير في التفسير»، و«الأئمة والمؤذنون والعاملون في بيوت الله، بين التكليف والتشريف»، وهو كتاب صغير. وكلها منشورة.
- كما نشر له عدة كتب ورسائل في تفسير آيات الأحكام، وفي مفصل القرآن، وقد جمعها كلها في تفسيره: «عون الرحمن في تفسير القرآن».
- نسأل الله تعالى أن يجزيه عن هذه الخدمة لكتاب الله تعالى خير الجزاء، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.